

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الجملة الخبرية

في القرآن الكريم

((دراسة نحوية بلاغية))

سالم مبارك محمد حسن بن عبيد الله

قال الله . سبحانه وتعالى :

الرَّحْمَنُ ۙ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۚ

خَلَقَ الْإِنْسَانَ ۚ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ۚ

(الرحمن : ١ - ٤)

الإهداء

- إلى والدي الذي غرس في قلبي حبَّ كتاب الله - رحمه الله - ، وإلى والدتي التي

أنعمُ بدعواتها الصَّالِحَات .

- وإلى العلماء العاملين ، والقُرَّاء الذين سَخَّرُوا أوقاتهم لخدمة كتاب الله تعالى .

- وإلى أساتذتي الذين بذلوا جهداً كبيراً في تعليمي ، ولم يألوا جهداً في توجيهي ،
ونصحي .

- وإلى شيوخي ، وأساتذتي الذين كان لهم أثرٌ كبير في تربيتي .

إلى هؤلاء جميعاً أهدي ثمرة جهدي ، وباكورة عملي .

سالم بن مبارك بن عبيدالله

المقدمة

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً ، والحمد لله الذي خلق الإنسان علمه البيان ، والحمد لله الذي علم الإنسان ما لم يعلم ، والصلاة والسلام على خاتم النبيين والمرسلين محمد ﷺ الذي أنزل عليه القرآن الكريم ، فعلمه لأصحابه رضوان الله عليهم أجمعين ، وتوالى حفظه عنهم جيلاً بعد جيل إلى وقتنا هذا ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾^١ ، وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله ، رغبنا في حفظ القرآن ، وتعليمه فقال ﷺ : ((خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ ، وَعَلَّمَهُ))^٢ ، فصلّى الله عليه ، وعلى آله ، وأصحابه ، ومن اهتدى بهديه ، وسار على نهجه وخطاه إلى يوم الدين .

وبعد :

لقد كنت منذ نشأتي مولعاً بالقرآن الكريم وبعلمه ، وكنت محباً للمفسرين ، وخاصة الذين يهتمون بالتفسير البياني ، وكنت أحب أن أطلع على كتبهم ، وعلى كتب العلماء الذين يهتمون بدراسة النحو على أساس المعنى ، وأثناء البحث والمتابعة من أجل اختيار عنوان موضوع أبحث فيه ، وقع بين يدي كتابا الدكتور : فاضل السامرائي : ((الجملة العربية ، والمعنى)) ، و ((معاني النحو)) ، فإذا به يشير في كتابه الثاني إلى موضوعات ، ومسائل نحوية كثيرة ، ومهمة لا تقل أهميتها عما بحثه النحاة ، لا تزال دون بحث ، فكان هذا مشجعاً لي على خوض غمار هذا الموضوع : ((الجملة الخبرية في القرآن الكريم)) ، مع الرغبة في استجلاء أسرار معاني القرآن الكريم ، فذهبت أفنّس عنها ، فما وجدت - فيما أعلم - دراسة مستقلة تكشف عن هذه الموضوعات ، والمسائل

^١ سورة الحجر / ٩ .

^٢ صحيح البخاري .

النحوية التي ذكرها الدكتور فاضل سوى عبارات متناثرة وردت في بعض كتب التفسير ، أو بعض كتب النحو ، أو في بحث إعجاز ، أو في كتاب أدب ، ولكن لم تخصص لها دراسات مستقلة .

ونظراً لقلّة مراجع هذا الموضوع من كتب النحو الأمر الذي دعاني للاعتماد بعد الله ﷺ على كتب أهل التفسير ، والتأويل - وخاصة المفسرين الذين يهتمون بالمعاني على أساس نحوي - ، وقد لا قيت عناءً كبيراً في البحث عن المراجع ، والاستفادة منها ، فعمدت إلى الاستفادة من الحاسوب ، ومن الشبكة العنكبوتية ، ثمّ عمدت إلى توثيق نقولاتي من مظانها .

واني إذ أحمدُ الله ﷺ على توفيقه لي في الانتهاء من موضوع ((الجملة الخبرية في القرآن الكريم)) ، كلّي أملٌ أن يقع عملي هذا موقع الرضا والقبول لدى أهل العربية الخالدة . وقد بذلتُ فيه ما وسعني من جهدٍ ، ولم أضن عليه بوقتٍ ، أو بحثٍ ، أو مشورةٍ ، فإن أصبتُ فيما أسلفتُ فمن الله ﷺ ، وأسأله أن يجعلَ عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم ، ومُدخراً لي في صالح العمل ، أزْدلفُ به إليه يوم الحشر الأكبر ، وإن كنتُ أخطأتُ ، أو أسأتُ في عملي ، فأستغفرُ الله العظيم منه ، وأذكُرُ كلَّ مَنْ يقفُ على شيءٍ من ذلك بقول الإمام الخطّابي - رحمه الله - : ((وكلُّ مَنْ عَتَرَ مِنْهُ عَلَى حَرْفٍ ، أَوْ مَعْنَى يَجِبُ تَغْيِيرُهُ ، فَحَنْ نَاشِدُهُ اللهُ فِي إِصْلَاحِهِ ، وَأَدَاءِ حَقِّ النَّصِيحَةِ فِيهِ ، فَإِنَّ الْإِنْسَانَ ضَعِيفٌ لَا يَسْلُمُ مِنَ الْخَطَا إِلَّا أَنْ يَعِصِمَهُ اللهُ بِتَوْفِيقِهِ ، وَنَحْنُ نَسْأَلُ اللهُ ذَلِكَ ، وَنَزَعَبُ إِلَيْهِ فِي دَرْكِهِ ، إِنَّهُ جَوَادٌ وَهُوبٌ)) . والشُّكْرُ مَرْجَى إِلَى كُلِّ مَنْ يَقِفُ عَلَى خَطَا فِيهِ فَيُرْشِدُنِي إِلَيْهِ ، وَرَحِمَ اللهُ امراً أهدى إليّ عيوبي . والرَّجَاءُ مَوْصُولٌ لِكُلِّ مَنْ يَنْظُرُ فِيهِ أَنْ يَخْصَنِي بِدَعْوَةٍ صَالِحَةٍ بظهِرِ الْغَيْبِ .

ونظراً لأنّ الكتابة عن الجملة الخبرية في القرآن طويل جداً ، فسوف أقتصر في كتابة هذا الموضوع على إشاراتٍ موضحة للمطلوب دون استقصاء ما في القرآن ؛ لأنّ البحث لا يسعه . وأعترف بداية بوجود هفواتٍ هنا وهناك ، فالكمال لله وحده ، وهذا وقد اقتضى الحديث عن ((الجملة الخبرية في القرآن الكريم " دراسة نحوية بلاغية ")) ، أن

يأتي هذه الموضوع في أربعة فصول تناولت في أولها : الجملة العربية ، ودلالاتها ،
 فعرضت فيه : عناصر الجملة العربية من خلال تعريف الجملة العربية ، وركنيتها ،
 وتناولت فيه الجملة الاسمية ، والجملة الفعلية ، والجملة الصغرى ، والجملة الكبرى . ثم
 تناولت إعراب الجملة العربية ؛ من خلال الجمل التي لا محلَّ لها من الإعراب ،
 والجمل التي لها محلَّ من الإعراب . وعرضت فيه أيضاً : دلالة الجملة العربية ((بين
 الثبوت ، والتجدد)) ، وأسباب الدلالة الاحتمالية للجملة العربية .

وتناولت في الفصل الثاني : الجملة الإنشائية ، والجملة الخبرية ، حيث درست
 فيه تقسيم الكلام إلى خبر ، وإنشاء فعرفت الكلام ، ثم عرضت فيه الأسلوب الخبري ،
 والأسلوب الإنشائي . ودرست الجملة الإنشائية كتقديم للجملة الخبرية حيث تناولت فيه
 معنى الجملة الإنشائية ، والجملة الإنشائية الطلبيّة ، والجملة الإنشائية غير الطلبيّة .
 ودرست بعد ذلك الجملة الخبرية موضوع بحثي من خلال : تعريف الجملة الخبرية ، ثم
 ذكر أقسامها ، وأغراضها .

وتناولت في الفصل الثالث - الخبر ، وتأكيد الجملة الخبرية ، إذ درست فيه :
 الخبر بين الصدق والكذب ؛ حيث عرفت الخبر ، ثم فصلت أقوال العلماء في صدق
 الخبر ، وكذبه ، والصادق والكاذب من الخبر والمخبر به . وتناولت فيه التأكيد ، وعدمه
 في الجملة الخبرية ؛ فقد عرفت التوكيد ، ثم درست أضرب الخبر ، وإخراج الخبر على
 خلاف مقتضى الظاهر من حيث التأكيد ، أو عدمه . وتناولت فيه أيضاً : تأكيد الجملة
 الخبرية ؛ حيث فصلت في مؤكّدات الجملة الخبرية ، فقد درست طرق وأدوات تأكيدها .

وتناولت في الفصل الرابع والأخير ظاهرة الإعراب في الجملة الخبرية : حيث
 درست البناء ، فعرفته ، وذكرت أقوال العلماء فيه . ودرست الإعراب ، فعرفته . ثم ناقشت
 الشبهة التي تطرّق إليها قطرب مخالفاً بها جمهور العلماء ، وأوضحت مكان الشبه فيها .
 ثم درست الغرض من الإعراب من خلال : الإبانة عن المعاني المختلفة ، والسعة والدقّة
 في التعبير .

ثم ختمت الموضوع بخاتمة تلخص أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال هذا الجهد البسيط بعون الله تعالى .

وفي الأخير ، وإقراراً بالفضل ، وتمسكاً بقول الرسول الكريم ﷺ : ((لا يَشْكُرُ اللهُ مَنْ لا يَشْكُرُ النَّاسَ))^١ أرى لزاماً عليّ في ختام جهدي هذه أن أبادر بتسجيل خالص شكري ، وعظيم تقديري وامتناني إلى فضيلة الدكتور ياسين جاسم المحيمد لتفضله بمراجعة هذا الكتاب ، حيث فتح لي قلبه ، وبيته ، وجاد عليّ بإرشاداته السديدة ، وتوجيهاته المفيدة ، ولم يبخل عليّ بنصحٍ أو توجيهٍ ، وقد منحني الكثير من وقته ، رغم كثرة مشاغله ، كما منحني من علمه ما يعجز مثلي عن مكافأته ، ولقد كان لخلقه العظيم ، وصبره الجميل ، الأثر الكبير في خروج هذا الكتاب بهذه الصورة المشرفة ، أسأل الله تعالى أن يبارك له في علمه ورزقه وذريته ، إنّه مجيب الدعاء .

كما أتوجه بخالص الشكر والعرفان إلى أستاذي الفاضل : فضيلة الدكتور / حسين حامد الصالح ، وفضيلة الدكتور / عبده محمد الحكيمي ، على تفضلهما بطيب نفس ورحابة صدر بمراجعة هذا الكتاب أيضاً ، وإثرائه بالتوجيهات النافعة ، والإرشادات الصائبة ، والملاحظات القيمة ، فلهم منّي دوام الدعاء بالبركة في علمهم ، ورزقهم وذريتهم ، ممزوجاً بالمحبة والعرفان بالجميل .

كما أتوجه بالشكر والعرفان إلى جميع الأساتذة ، الذين تتلمذت على أيديهم . وأشكر كلّ الأساتذة الذين تعاونوا معي ، وأرشدوني ، ووجهوني .

ولا يفوتني أن أتوجه بالشكر والعرفان والتقدير إلى كلّ من مدّ يد العون والمساعدة ، وكلاّني بعين الرعاية ، وأسدى لي نصحاً أو عوناً أو توجيهاً أو إرشاداً ، حتّى تمكّنت من إنجاز كتابي على هذه الصورة .

^١ قال الترمذي : حديث حسن صحيح ، وقال الشيخ الألباني : صحيح ، وسند الحديث : حدثنا مسلم بن إبراهيم ثنا الربيع بن مسلم عن محمد بن زياد عن أبي هريرة عن النبي ﷺ . يُنظَرُ : سنن أبي داود ٤ / ٢٥٥ ، وجامع الترمذي ٤ / ٣٣٩ .

كما أتوجّه بالشكر والتقدير إلى الأخوة الأساتذة جماعة الثقافة ، القائمين على الجهود العلمية والأدبية ضمن أنشطة تريم عاصمة الثقافة ، والقائمين بطباعة تلك الجهود ، والتي تعدُّ بادرة طيبة من شأنها أن تسهم في تشجيع الباحثين ، و طلاب الحقيقة ، و روادها على بذل الجهد ، و التنافس الشريف لتقديم نماذج بحثية تثري الكثير من القضايا في مختلف العلوم والمعارف ، و إظهار كلِّ ما هو جديد ومفيد .. كما أشكر جميع الأخوة القائمين على المكتبات العامة والخاصة ، وكلِّ من أدلى بأيِّ جهدٍ في نشر العلم والتعليم ، فجزا الله الجميع خيراً .

وآخرُ دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين ، وصلى الله على سيِّدنا محمدٍ وعلى آله وصحبه وسلِّم تسليماً كثيراً .

سالم بن مبارك بن محمد بن عبيدالله

الفصل الأول

الجملة الخبرية ،

وإلا لآلها

المبحث الأول

عناصر الجملة العربية

تعريف الجملة العربية

الجملة لغة :

والجملة لغة جماعة الشيء ، قال الزبيدي^١ في تاج العروس " جمل " ومنه أخذ النحويون الجملة لمركب من كلمتين أسندت إحداهما إلى الأخرى ، و أجمل الشيء جمعه عن تفرقة ، وأجمل الحساب رده إلى الجملة ، وهي جماعة كل شيء بكماله من الحساب وغيره^٢ ، قال ﷺ : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً ﴾^٣ .

الجملة عند النحويين

الجملة كلام يتركب من كلمتين ، أو أكثر ، ويفيد معنى .
قال أبو البقاء الكفوي - رحمه الله - في الكليات : ((والجملة أعم من الكلام على الاصطلاح المشهور))^٤ .

^١ محمد مرتضى الزبيدي ، من آثاره : ((تاج العروس)) توفي - رحمه الله - في سنة خمس ومائتين وألف من الهجرة .

^٢ يُنظَر : لسان العرب ، ابن منظور ، دار إحياء التراث - بيروت لبنان ٣٦٤/٢ . ومختار الصحاح ، الرزاري ، مكتبة لبنان ناشرون - بيروت - ١٤١٥هـ - ١٩٩٥ م ، طبعة جديدة ، تحقيق : محمود خاطر ٤٧/١ .
والقاموس المحيط ، محمد بن يعقوب الفيروزآبادي ١ / ١٢٦٦ . وتاج العروس من شرح جواهر القاموس ، محمد مرتضى الزبيدي - ١٣٠٦ - ١٣٠٧ هـ . العين ، الخليل بن أحمد الفاهيدي - دار ومكتبة الهلال - د.مهدي المخزومي ود.إبراهيم السامرائي ٦ / ١٤٣ .

^٣ سورة الفرقان / ٣٢ .

^٤ الكليات ، لأبي البقاء الكفوي ، تحقيق د. عدنان درويش ، ومحمد المصري ، وزارة الثقافة - دمشق ١٩٨٢م . ويُنظَر : رسالة المباحث المرضية ، المتعلقة ب(من) الشرطية ، لعبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن

وقال ابن هشام^١ : ((الجملة عبارة عن الفعل وفاعله ، والمبتدأ وخبره ، وما كان بمنزلة أحدهما وبهذا يظهر لك أنهما ليسا مترادفين كما يتوهم كثير من الناس وهو ظاهر قول صاحب المفصل فإنه بعد أن فرغ من حد الكلام قال ويسمى جملة ، والصواب أنها أعم منه إذ شرطه الإفادة بخلافها ولهذا تسمعهم يقولون جملة الشرط جملة الجواب جملة الصلة وكل ذلك ليس مفيدا فليس بكلام .

والجملة لغة جماعة الشيء قال الزبيدي في تاج العروس جمل ومنه أخذ النحويون الجملة لمركب من كلمتين أسندت إحدهما إلى الأخرى .

الجملة عبارة عن الفعل وفاعله ، ك(قام زيد) ، والمبتدأ وخبره ، ك(زيد قائم) ، وما بمنزلة أحدهما نحو : (ضرب اللص) و (أقائم الزيدان) و (كان زيد قائما) و (ظننته قائما) .

وقال ابن هشام - رحمه الله - : ((الجملة عند جمهور النحاة هي تعبير صناعي ، أو مصطلح نحوي لعلاقة إسنادية بين اسمين ، أو اسم وفعل ، تمت الفائدة أم بها أم لم تتم ، ولذلك فهي أعم من الكلام ، والكلام أخص منها))^٢ .

يوسف بن هشام المصري - دار ابن كثير - دمشق - ١٩٨٧ م - الطبعة الأولى - اسم المحقق : د. مازن المبارك / ٥١ .

^١ الإمام أبو محمد عبدالله جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبدالله بن هشام الأنصاري المصري الحنبلي النحوي ، ولد بالقاهرة سنة ثمان وسبعمائة من الهجرة ، من مصنّفاته " مغني اللبيب " ، و " شذور الذهب " ، و " قطر الندى " ، وغير ذلك توفي - رحمه الله - بالقاهرة في سنة إحدى وستين وسبعمائة هجرية . ويُظنر : بغية الوعاة ، لعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي - تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم - القاهرة ١٩٦٤ م / ١ - ٦٨ - ٦٩ ، والدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، لابن حجر ، أحمد بن علي العسقلاني تحقيق : عبد المعين خان - حيدر آباد ١٩٧٢ م / ٢ - ٣٠٨ - ٣١٠ ، .

^٢ رسالة المباحث المرضية / ٥٠ ، ويُظنر : إلى الأصول في النحو ، لأبي بكر محمد بن سهل بن السراج - تحقيق : الدكتور عبدالحسين الفتلي - مؤسسة الرسالة - بيروت - الطبعة الثالثة ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م . واللّمع في العربية ، لأبي الفتح عثمان بن جني الموصلي النحوي - دار الكتب الثقافية - الكويت - ١٩٧٢ م - تحقيق : فائز فارس / ٢٦ . ٢٧ . والمفصل في صنعة الإعراب ، لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري - دار ومكتبة الهلال - بيروت - الطبعة الأولى - ١٩٩٣ م - تحقيق : د. علي بو ملحم / ٢٢ . ٢٤ . وشرح المفصل ، لموفق الدين يعي ش بن علي بن يعي ش - عالم الكتب - بيروت / ١٨ - ٢١ . وشرح الرّضي على الكافية ، لرّضي الدّين محمّد بن الحسن الاسترّابادي / ١ / ٨ . ومغني اللّيب عن كتب الأعرّيب ، لجمال الدّين أبو محمد عبدالله بن يوسف بن هشام الأنصاري - دار الفكر - بيروت - ١٩٨٥ م - السادسة - تحقيق :

وبهذا يظهر أنَّهما ليسا مترا دفين ، كما يتوهمه كثير من النَّاس ، وهو ظاهر قول صاحب المفصل^١ ، فإنَّه بعد أن فرغ من حدِّ الكلام قال : ويسمى جملة ، والصَّواب أنَّها أعمّ منه ، إذ شرطه الإفادة ، بخلافها ، ولهذا تسمعهم يقولون : جملة الشَّرط ، جملة الجواب ، جملة الصَّلَة ، (وكل ذلك ليس مفيداً ، فليس بكلام)^٢ .

وقال الأزهري^٣ في كتاب موصل الطُّلاب : ((إنَّ اللَّفْظَ المَرْكَبَ الإسنادي يكون مفيداً كـ « قام زيدٌ » ، وغير مفيد نحو : « إن قام زيدٌ » ، أن غير المفيد يسمَّى جملة فقط ، وأنَّ المفيد يسمَّى كلاماً لوجود الفائدة ، ويسمَّى جملة لوجود التَّركيب الإسنادي ، ونعني معشر النُّحاة بالمفيد حيث أطلقناه في بحث الكلام : ما يحسن من المتكلم السُّكوت عليه ، بحيث لا يصير السَّامع منتظراً لشيء آخر)^٤ .

د.مازن المبارك ومحمد علي حمدالله . رسالة المباحث المرضية ١ / ٤٩ . ٥٧ . والخصائص ، لأبي الفتح عثمان بن جني - عالم الكتب - بيروت - تحقيق : محمد علي النجار ١ / ٧٢ - ٧٣ . وموصل الطُّلاب إلى قواعد الإعراب - خالد بن عبدالله الأزهري - مؤسسة الرِّسالة - بيروت - ١٩٩٦ م - الطَّبعة الأولى - تحقيق : د.عبدالكريم مجاهد / ٣١ .

^١ هو محمود الرَّمخشري .

^٢ مغني اللبيب / ٣٦٣ . وينظر : همع الهوامع : ١ / ٤٩ - ٥٠ .

^٣ زين الدِّين خالد بن عبدالله بن أبي بكر بن محمَّد بن أحمد الجرجاوي الأزهري ، وُلِدَ تقريباً في سنة ثمانٍ وثلاثين وثمانمائة من الهجرة الموافق أربع وثلاثين وأربعمائة وألف من الميلاد ، وتوفِّي - رحمه الله - في سنة خمس وتسعمائة من الهجرة ، الموافق تسع وتسعين وأربعمائة وألف من الميلاد ، من آثاره : ((موصل الطُّلاب إلى قواعد الإعراب)) ، و ((إعراب الكافية)) ، و ((التَّوضيح)) وهو شرح لأوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ، و ((شرح الأجروميَّة)) ، و ((شرح الأزهرية في علم العربية)) ، و ((الحواشي الأزهرية في حلِّ ألفاظ المقدِّمة الجزرية)) .

يُنظَر : معجم المؤلفين ، لإسماعيل بن عمر بن كثير - دار إحياء التُّراث - بيروت ٤ / ٩٦ ، والمستدرك على معجم المؤلفين ، عمر رضا كحَّالة ، مؤسسة الرِّسالة ، ط ١ ، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٥ م / ٢٢٧ ، والضَّو اللامع لأهل القرن التاسع ٣ / ١٧١ ، والكواكب السَّائرة ١ / ١٨٨ ، وشذرات الذهب في أخبار من ذهب ، لعبد الحي بن العماد الحنبلي - القاهرة ١٣٥٠ هـ / ٨ / ٢٦ .

^٤ موصل الطلاب / ٣١ ، ويُنظَر : اللُّباب في علل البناء والإعراب ، لأبي البقاء عبدالله بن الحسين العُكْبَري ، تحقيق : غازي مختار طليمات ، والدكتور عبد الإله نبهان - دار الفكر المعاصر - دار الفكر بدمشق ط ١ ، ١٤١٦ هـ - - ١٩٩٥ م / ١ / ٤١ ، والمحيط في أصول العربية ؛ نحوها ، وصرفها ، محمَّد الأنطاكي ، دار الشَّرْق العربي - بيروت ط ١ / ٣١١ .

وقد شدَّ بعض النُّحاة ، وعدُّوا الجملة مرادفة للكلام ، و منهم الزَّمخشرى^١ ، فقال في كتابه المفصل : ((الكلام هو المركب من كلمتين أسندت إحداهما إلى الأخرى ، وذلك لا يتأتَّى إلا في اسمين ، كقولك : « زيد أخوك وبشر صاحبك » ، أو في فعل واسم نحو : قولك : « ضرب زيد ، و انطلق بكر » ، و تسمَّى الجملة))^٢ .

العلاقة بين الكلام والجملة

لقد توسَّع في هذه المسألة كثيراً العُكبري^٣ - رحمه الله - في كتابه " مسائل خلافيَّة " ، فقال : ((مسألة الكلام والجملة ، الكلام : عبارة عن الجملة المفيدة فائدة تامَّة

^١ محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الخوارزمي الزَّمخشري ، جار الله ، أبو القاسم : من أئمة العلم بالدين والتفسير واللغة والآداب . ولد في زَمخشر (من قرى خوارزم) يوم الأربعاء السابع عشر لرجب سنة سبع وستين وأربعمائة للهجرة . وسافر إلى مكة فجاور بها زمناً فلقب بجار الله . وتنتقل في البلدان ، ثم عاد إلى الجرجانية (من قرى خوارزم) فتوفي - رحمه الله - فيها ليلة عرفة سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة للهجرة .

يُنظَر : الأنساب ، لعبد الكريم بن محمَّد السَّمعاني ليدن ١٩١٢ م ، وتحقيق عبد الرَّحمن المعلمي اليماني ، بيروت ٦ / ٢٩٧ - ٢٩٨ ، ونزهة الألباء في تراجم الأدياء ، لعبد الرَّحمن بن محمَّد بن الأنباري ، تحقيق : إبراهيم السَّمرائي - بغداد ١٩٥٩ م / ٣٩١ - ٣٩٣ ، والمنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، لعبد الرَّحمن بن علي بن الجوزي - حيدر آباد ١٣٥٧ - ١٣٥٩ هـ / ١٠ / ١١٢ ، معجم البلدان ، ياقوت بن عبد الله الرُّومي الحموي : دار صادر - بيروت ٣ / ١٤٧ ، ومعجم الأدياء ، أو إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب ، ياقوت بن عبد الله الرُّومي الحموي : دار الشُّرق ، بيروت والقاهرة ١٩٢٣ - ١٩٣٠ م / ١٩ / ١٢٦ - ١٣٥ ، واللُّباب ٢ / ٧٤ ، والكامل في التَّاريخ ، لعلي بن محمَّد عزَّ الدين بن الأثير ، القاهرة ١٢٩٠ ، وبيروت : دار صادر ١١ / ٩٧ ، وإنباه الرُّواة على أنباه النُّحاة ، علي بن يوسف الفقطي ، تحقيق : محمَّد أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة ١٩٥٠ م - ١٩٥٥ م / ٣ / ٢٦٥ - ٢٧٢ ، ووفيات الأعيان ٥ / ١٦٨ - ١٧٤ ، والمختصر في أخبار البشر ، لأبي الفدا إسماعيل بن علي - أستانبول ١٢٨٦ هـ / ٣ / ١٦ ، وسير أعلام النبلاء ، للإمام شمس الدِّين محمَّد بن أحمد بن عثمان الدَّهبي - مؤسَّسة الرِّسالة - الطُّبعة الحادية عشرة ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م / ٢٠ / ١٥١ - ١٥٦ ، وميزان الاعتدال ، لمحمَّد بن أحمد بن عثمان الدَّهبي - تحقيق : علي البجاوي - القاهرة ١٩٦٣ م / ٤ / ٧٨ ، والعبر في خبر من عبر ، لمحمَّد بن أحمد بن عثمان الدَّهبي : ١ ، ٤ ، ٥ - تحقيق : د. صلاح الدين المنجد ، ٢ ، ٣ ، تحقيق : أ. فؤاد السيِّد - الكويت ١٩٦٠ - ١٩٦٩ م / ٤ / ١٠٦ .

^٢ المفصل / ٢٢ .

^٣ عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري البغدادي ، أبو البقاء ، محب الدين ، الضَّرير النَّحويِّ الحنبليِّ صاحب الإعراب ، عالم بالأدب واللغة والفرائض والحساب ، ولد في بغداد سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة هجرية ، له مؤلِّفات كثيرة ، قال الدُّكتور عبد الإله النَّبهان : ((خُلِّف أبو البقاء مؤلِّفات كثيرة ، بلغ تعدادها بحسب إحصائي

. كقولك : زيد منطلق ، وإن تأتني أكرمك ، وقم ، وصه . . . هذا قول الجمهور ، وذهب شردمة من النحويين إلى أن الكلام يطلق على المفيد ، وغير المفيد إطلاقاً حقيقياً^١ .

ثم ذكر أدلة الفريقين وناقشهما باستفاضة ، وبعدها رجح رأي الجمهور ، وقد أيدته في ذلك كثير من العلماء الذين جاءوا بعده ، منهم ابن هشام في كتابه : رسالة المباحث المرضية ، و شرح قطر الندى^٢ ، والأزهري في كتابه موصل الطلاب .

وقد ناقش ابن هشام - رحمه الله - الموضوع بشيء من التفصيل ، وجاء بكلام جميل في هذه المسألة يدل على سعة اطلاع هذا الباحث ، لذا أحببت أن أنقله هنا بنصه لما رأيت فيه من فائدة ، فقال في تحديد معنى الجملة : ((فهم لم يحدّدوا مفهومها ، ولم يتفقوا عليه . وهم لو فعلوا لزال الخلاف فيما بينهم ، و لقاربوا الإجماع أو ما يشبهه . لقد كانت دراسة الجملة موزعة بين علمي النحو و المعاني : و كان جلّ انصراف النحويين : إلى المفردات وأحكامها ، والحروف ومعانيها ، والعوامل وما يترتب عليها ، وأمّا الجملة فلم يمسوها إلا مساً رقيقاً ، ومن ناحية إعرابها وتأويلها بالمفرد ، أو عدمه . وهم لو درسوا الجملة بالتفصيل الذي بسطوه في دراسة المفردات ، لكان للدراسة اللغوية والنحوية من بحوثهم خير كثير . لقد كان من النحويين من نظر إلى الكلام والجملة على أنهما مترادفان))^٣ . وقد صرح الزمخشري - رحمه الله - بذلك في كتابه المفصل فقال : ((والكلام هو : المركب من كلمتين أسندت إحداها إلى الأخرى ، وذلك لا يتأتى إلا في اسمين ، كقولك : « زيد أخوك » ، و « بشرٌ صاحبك » ، أو في فعل واسم ، نحو قولك : « ضرب زيد » ، و « انطلق بكر » ، وتسمّى الجملة))^٤ .

لها في مختلف المصادر خمسة وخمسين مؤلفاً)) (إعراب الحديث ، العكبري ، تحقيق عبد الإله نبهان ، دار الفكر بدمشق ١٩٨٩ م / ١٤) ، توفي - رحمه الله - سنة ست عشرة وستمئة هجرية . يُنظر : بغية الوعاة ٢ / ٣٨ - ٣٩ ، والتكملة لوقيات الثقلة ، الحافظ المنذري ، تحقيق بشر عواد معروف ، مطبعة الآداب بالنجف ١٣٨٨ هـ / ١ / ٣٧٨ ، والأعلام ٤ / ٨٠ ، ووقيات الأعيان وأبناء الزمان ، لأحمد بن محمد بن خلّكان - بيروت ١٩٧٨ م ٢ / ٢٨٦ .

^١ مسائل خلافة ، لأبي البقاء العكبري - دار الشرق العربي - بيروت - الطبعة الأولى ١٩٩٢ م - تحقيق : محمد خير الحلواني / ٣٥ . ٣٦ ، ويُنظر : رسالة المباحث المرضية / ٥٠ .

^٢ يُنظر : رسالة المباحث المرضية / ٤٨-٥٧ . شرح قطر الندى وبل الصدى ، ابن هشام الأنصاري ط. القاهرة ، الحادية عشرة ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد / ٤٤ .

^٣ رسالة المباحث المرضية / ٤٩ .

^٤ المفصل في صناعة الإعراب ١ / ٢٣ .

وعلق ابن يعيش^١ - رحمه الله - في شرحه للمفصل على كلام الزمخشري فقال :
إنه يريد الكلام الذي تتعد به الفائدة ، ثم راح يفرق بين الكلام ، و القول ، والكلم ،
والجواب ، وقال إن الكلام : هو عبارة عن الجمل المفيدة^٢ .
((وغير خاف أن جعله الجملة بمعنى الكلام ، وكون الكلام عندهم هو المفيد ،
هو الذي دفعه وغيره إلى جعل فعل الشرط وجوابه معاً هما خبر اسم الشرط ؛ لأن المعنى
لا يتم إلا بالجواب ، وكثير من النحاة لا يرون هذا الرأي ، بل يفرقون بين الكلام والجملة
، فالكلام : هو ما تتم به الفائدة))^٣ ، والجملة قد تتم بها الفائدة ، فتكون مثل الكلام ، وقد
لا تتم بها .

وصرح بذلك ابن مالك^٤ - رحمه الله - فقال في ألفيته :

((كَلَامُنَا لَفْظٌ مُفِيدٌ كَأَسْمِمْ اسْمٌ وَفَعْلٌ ثُمَّ حَرْفٌ الْكَلِمِ))^٥

فيعني بقوله « كَلَامُنَا » : الكلام عند معاشر النحويين ، وإلى ذلك أشار ابن عقيل^١ عند
شرحه بيت ابن مالك ، فقال : ((وإنما قال المصنف « كَلَامُنَا » ليعلم أن التعريف إنما هو

^١ يعيش بن علي بن يعيش بن أبي السرايا ، محمد بن علي بن الفضل بن عبد الكريم بن محمد بن يحيى بن
حيان ابن القاضي بشر بن حيان ، العلامة موفق الدين أبو البقاء الأسدي الموصلية ، ثم الحلبي النحوي ،
ويعرف قديماً بابن الصانغ . مولده بحلب في سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة . صنف شرحاً « للتصريف الملوكي
« لابن جني ، وشرحاً « للمفصل » وغير ذلك . عاش تسعين سنة . وتوفي - رحمه الله - في الخامس
والعشرين من جمادى الأولى سنة ثلاث وأربعين وستمائة بحلب . ينظر : إنباه الرواة ٤ / ٣٩ - ٤٤ ، ووفيات
الأعيان ٧ / ٤٦ - ٥٣ ، وتاريخ أبي الفدا ٢ / ١٧٤ ، وسير أعلام النبلاء ٢٣ / ١٤٤ ، والعبر ٥ / ١٨١ ،
والنجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، لابن تغري بردي ، يوسف الأتابكي - القاهرة ١٩٩٢ - ١٩٥٦ م ٦
/ ٣٥٥ ، والأعلام ٨ / ٢٠٦ ، وبغية الوعاة ٢ / ٣٥١ - ٣٥٢ ، وشذرات الذهب في أخبار من ذهب ٥ /
٢٢٨ .

^٢ ينظر : شرح المفصل ١ / ١٨ - ٢١ .

^٣ رسالة المباحث المرضية / ٤٩ - ٥٠ .

^٤ الإمام الحجة الثبت : أبو عبدالله جمال الدين ، محمد بن عبدالله بن مالك الطائي الجبالي ، ولد في سنة
ستمائة من الهجرة ، وتوفي - رحمه الله - بدمشق في سنة اثنتين وسبعين وستمائة من الهجرة . من مؤلفاته : ((
تسهيل الفوائد ، وتكميل المقاصد)) ، و ((الألفية)) المشهورة . ينظر غاية النهاية في طبقات القراء ٢ / ١٨١ ،
البيعية ١ / ١٣٠ .

^٥ ألفية ابن مالك في النحو والصرف ، للعلامة محمد بن عبدالله بن مالك الأندلس ، مؤسسة الرسالة ، ط ١٤٢٣ ،

للكلام في اصطلاح النحويين ، لا في اصطلاح اللغويين ، وهو في اللغة اسم لكل ما يُتكلَّم به ، مفيداً كان أو غير مفيد))^٢ ، و بذلك بيّنا - ابن مالك و ابن عقيل - الفرق بين مفهوم الكلام عند كل من النحويين ، واللغويين ، وأوضحنا أنّ الكلام في مصطلح النحويين : هو المفيد ، والجملة قد تتمُّ بها الفائدة ، فتكون مثل الكلام ، وقد لا تتمُّ بها .

((ويؤكد ذلك ما نقله الزبيدي في تاج العروس كلام عن شيخه من أنّ الكلام يطلق على اللفظ المركب ، أفاد أم لا ، مجازاً على ما صرح به سيبويه^٣ في مواضع من كتابه من أنّه لا يطلق حقيقة إلا على الجمل المفيدة^٤ ، وهو مذهب ابن جني^٥))^٦ .

^١ عبدالله بن عبد الرحمن بن عبدالله بن محمد القرشي الهاشمي بهاء الدين بن عقيل ، ولد بالقاهرة سنة ثمان وتسعين وستمائة من الهجرة ، نحوي الديار المصرية ، كان إماماً في العربية والبيان ، وتوفي - رحمه الله - بالقاهرة سنة تسع وستين وسبعائة من الهجرة ، اشتهر بشرحه ألفية ابن مالك . يُنظر : بغية الوعاة ٢ / ٤٧ - ٤٨ ، والذّرر الكامنة ٢ / ٢٦٦ - ٢٦٨ .

^٢ شرح ابن عقيل ، بهاء الدين عبد الله بن عقيل العقيلي المصري الهمداني ، دار الفكر ، دمشق ، ١٩٨٥ م ، الثانية ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ١ / ١٤ .

^٣ عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء ، أبو بشر ، الملقب سيبويه : إمام النحاة ، وأول من بسط علم النحو . ولد في إحدى قرى شيراز ، سنة ثمان وأربعين ومائة من الهجرة ، وقدم البصرة ، فلزم الخليل بن أحمد ففاهه . وصنف كتابه المسمى " الكتاب " في النحو . ورحل إلى بغداد ، فناظر الكسائي . وأجازه الرشيد بعشرة آلاف درهم . وعاد إلى الأهواز فتوفي بها سنة ثمانين ومائة من الهجرة ، قال الخطيب ، وعمره اثنتان وثلاثون سنة وقيل : وفاته وقبره بشيراز . وكانت في لسانه حبة . و " سيبويه " بالفارسية رائحة التفاح . وكان أنيقاً جميلاً .

^٤ يُنظر : طبقات النحويين واللغويين ، لمحمد بن الحسن الزبيدي - القاهرة ١٩٥٤ م / ٦٦ - ٧٤ ، والفهرست ، لمحمد بن إسحاق بن النديم ، تحقيق رضاء تجدد ، طهران ١ / ٥١ ، ٥٢ ، وتاريخ بغداد ، لأحمد بن علي الخطيب البغدادي القاهرة ١٩٣١ م / ١٢ / ١٩٥ ، ونزهة الألباء / ٦٠ - ٦٦ ، ومعجم الأديباء ١٦ / ١١٤ - ١٢٧ ، وإنباه الرواة على أنباه النحاة ٢ / ٣٤٦ - ٣٦٠ ، والأعلام ٥ / ٨١ ، ووفيات الأعيان ١ / ٤٨٧ - ٤٨٨ ، وسير أعلام النبلاء ٨ / ٣٥١ ، والجبر ١ / ٢٧٨ ، ٣٥٠ ، ٤٤٨ .

^٥ قال سيبويه - رحمه الله - : ((وأعلم أنّ " قلت " في كلام العرب إنّما وقعت على أن يحكى بها ، وإنّما يحكى بعد القول ما كان كلاماً لا قولاً)) ففرق بين الكلام والقول ، وأخرج الكلام هنا مخرج ما قد استقرّ في النفوس وزالت عنه عوارض الشكوك ، ثمّ قال في التمثيل ((نحو : قلت زيد منطلق ؛ ألا ترى أنّه يحسن أن تقول : زيد منطلق)) ، فتمثيله بهذا يعلم منه : أنّ الكلام عنده ما كان من الألفاظ قائماً برأسه مستقلاً بمعناه ، وأنّ القول عنده بخلاف ذلك ، إذ لو كانت حال القول عنده حال الكلام لما قدّم الفصل بينهما ، ولما أراك فيه أنّ الكلام هو الجمل المستقلة بأنفسها الغانية عن غيرها ، وأنّ القول لا يستحقُّ هذه الصفة من حيث كانت الكلمة الواحدة قولاً ، وإن لم تكن كلاماً ، ومن حيث كان الاعتقاد والرأي قولاً ، وإن لم يكن كلاماً . يُنظر : الكتاب (

قال ابن جنّي - رحمه الله - بعد أن فصل القول في الفرق بين الكلام والقول :
 ((أمّا الكلام فكلُّ لفظٍ مستقلٍ بنفسه مفيدٌ لمعناه ، وهو الذي يسمّيه النحويون الجمل ، نحو
 : « زيدٌ أخوك » ، و « قامَ محمدٌ » ، و « ضربَ سعيدٌ » ، و « في الدارِ أبوك » ، و «
 صه » ، و « مه » ، و « رويد » ، و « حاءٍ » ، و « عاءٍ » في الأصوات ، و « حسّ »
 ، و « لبّ » ، و « أفّ » ، و « أوّه » ، فكلُّ لفظٍ استقلَّ بنفسه ، وجنبت منه ثمرةً معناه ،
 فهو كلام))^٣ .

((وأمّا الجملة عند جمهور النحاة ، فتعبير صناعي ، أو مصطلح نحويّ لعلاقة
 إسنادية بين اسمين ، أو اسم وفعل تمّت الفائدة بها أم لم تتم ولذلك ، فهي أعمُّ من الكلام
 والكلام أخصُّ منها))^٤ .

كتاب سيويه) ، لأبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر - تحقيق وشرح : عبد السلام محمّد هارون - الهيئة
 المصرية العامة للكتاب - ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م ١ / ٦٢ ، والخصائص ١ / ١٨ - ١٩ .
^١ إمام العربية ، أبو الفتح عثمان بن جنّي الموصليّ ، صاحبُ التّصانيف . لزم أبا علي الفارسي دهرًا ،
 وسافر معه حتى برع وصنّف ، وسكن بغداد . وله « سرّ الصناعة » و « اللّمع » ، و « التصريف » ، و «
 التلقين في النحو » ، و « التعاقب » ، و « الخصائص » ، و « المقصور والممدود » ، و « ما يذكّر ويؤنث
 » ، و « إعراب الحماسة » ، و « المُحتسب في الشواذ » . وله نظمٌ جيد . صديق المتنبّي توفي - رحمه الله -
 في صفر سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة من الهجرة . ولد قبل الثلاثين وثلاثمائة ، وكان أعور . يُنظر : يتيمة
 الدهر ١ / ١٠٨ ، والفهرست / ٩٥ ، وتاريخ بغداد ١١ / ٣١١ ، ٣١٢ ، ودمية القصر وعصرة أهل العصر ،
 لعلي بن الحسن الباخري - تحقيق : محمّد التّونخي - حلب ١٣٤٩ هـ ٣ / ١٤٨١ - ١٤٨٥ ، ونزهة الألباء
 ٣٣٢ - ٣٣٤ ، والمنظّم ٧ / ٢٢٠ - ٢٢١ ، وفيات سنة ٣٩٢ ، ومعجم الأديباء ١٢ / ٨١ - ١١٥ ، وإنباه
 الرّواة ٢ / ٣٣٥ - ٣٤٠ ، واللّباب ١ / ٢٩٩ ، ووفيات الأعيان ٣ / ٢٤٦ - ٢٤٨ ، وتاريخ أبي الفدا ٢ /
 ١٣٦ ، وسير أعلام النبلاء ١٧ / ١٧ - ١٩ ، والعبر ٢ / ٥٣ ، ودول الإسلام ، لمحمّد بن أحمد بن عثمان
 الذهبي - تحقيق : فهيم محمّد شلتوت ، ومحمّد مصطفى إبراهيم - القاهرة ١٩٧٤ م ١ / ٢٣٦ ، ومراة الجنان
 وعبرة اليقظان ، عبدالله بن أسعد اليافعي ، حيدر آباد ١٣٣٧ هـ - ١٣٣٩ هـ ٢ / ٤٤٥ ، والبداية والنّهاية ،
 إسماعيل بن عمر بن كثير ، القاهرة ١٣٥١ - ١٣٥٨ م ١١ / ٣٣١ ، والنّجوم الزّاهرة ٤ / ٢٠٥ ، وبغية
 الوعاة ٢ / ١٣٢ ، ومفتاح السّعادة ، لأحمد بن مصطفى طاش كبرى زادة - تحقيق : كامل بكري ، وعبد
 الوهّاب أبو النّور - دار الكتب الحديثة - القاهرة ١ / ١٣٤ ، ١٣٥ ، وشذرات الدّهب ٣ / ١٤٠ ، ١٤١ ،
 وروضات الجنان في أحوال العلماء والسّادات ، لمحمّد باقر الموسوي الخوانساري - ١٣٤٧ هـ / ٤٦٦ .

^٢ رسالة المباحث المرضية / ٥٠ .

^٣ الخصائص ١ / ١٧ .

^٤ رسالة المباحث المرضية / ٥٠ .

قال ابن هشام - رحمه الله - : ((الكلام - في اصطلاح النحويين - عبارة عما اجتمع فيه أمران اللَّفْظ والإفادة ، والمراد بِاللَّفْظ : الصوت المشتمل على بعض الحروف تحقيقاً أو تقديراً ، والمراد بالمفيد ما دلَّ على معنى يحسن السُّكُوت عليه))^١ .

وفصل ابن هشام ذلك في الجزء الثاني من كتابه مغني اللبيب في باب عقده للجملة عنوانه « شرح الجملة ، وبيان أنَّ الكلام أخصُّ منها لا مرادف لها » قال فيه : ((الكلام : هو القول المفيد بالقصد ، والمراد بالمفيد ما دلَّ على معنى يحسن السُّكُوت عليه ، والجملة عبارة عن الفعل وفاعله ، كـ « قام زيدٌ » ، والمبتدأ وخبره ، كـ « زيدٌ قائمٌ » ، وما كان بمنزلة أحدهما نحو : « ضُربَ اللُّصُّ » ، و « أقائمُ الزَّيدانِ » ، و « كانَ زيدٌ قائماً » ، و « ظننته قائماً » ، وبهذا يظهر لك أنَّهما ليسا مترادفين ، كما يتوهم كثير من النَّاسِ ، وهو ظاهر قول صاحب المفصل ، فإنَّه بعد أن فرغ من حدِّ الكلام ، قال : ((ويسمى جملة))^٢ ، والصَّواب أنَّها أعمُّ منه ، إذ شرطه الإفادة بخلافها ، ولهذا تسمعهم يقولون : جملة الشَّرط ، جملة الجواب ، جملة الصَّلَّة ، وكلَّ ذلك ليس مفيداً ، فليس بكلام . وبهذا التَّقْرِير يتَّضح لك صحَّة قول ابن مالك في قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ بَدَلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّى عَفَوْا وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءُنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ * وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ * أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ ﴾^٣ ، إنَّ الرَّمْخَشْرِي حكم بجواز الاعتراض بسبع جمل ، إذ زعم أنَّ : ﴿ أَفَأَمِنَ ﴾ معطوف على ﴿ فَأَخَذْنَاهُمْ ﴾ ، وردَّ عليه مَنْ ظنَّ أنَّ الجملة والكلام مترادفان ، فقال : إنَّما اعتراض بأربع جمل ، وزعم أنَّ مِنْ عند ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى ﴾ إلى ﴿ وَالْأَرْضِ ﴾ جملة ؛ لأنَّ الفائدة إنَّما تنتمُّ بمجموعه))^٤ .

ثمَّ أوضح ابن هشام هذين القولين ، فقال : ((ففي القولين نظر :

^١ أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ، ابن هشام الأنصاري ، ط. دار الجيل ١٩٧٩م ، الخامسة ، و المفصل في صنعة الإعراب ، محمود بن عمر الرَّمْخَشْرِي ، ط. دار ومكتبة الهلال ، الأولى ، تحقيق د.علي بو ملحم ١

٠ ١١ /

^٢ المفصل في صنعة الإعراب ١ / ٢٣ .

^٣ سورة الأعراف / ٩٥ - ٩٧ .

^٤ مغني اللبيب / ٤٩٠ - ٤٩١ .

أما قول ابن مالك : فلأنه كان من حقه أن يعدّها ثمانى جمل ، إحداهما ﴿ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ ، وأربعة في حيز " لَوْ " وهي ﴿ آمَنُوا ، وَاتَّقُوا ، وَفَتَحْنَا ﴾ ، والمركبة من أن وصلتها مع ثبّت مقدرًا ، أو مع ثابت مقدرًا ، على الخلاف في أنها فعلية أو اسمية ، والسادسة ﴿ وَلَكِنْ كَذَّبُوا ﴾ ، والسابعة ﴿ فَأَخَذْنَاهُمْ ﴾ ، والثامنة ﴿ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ .

فإن قلت لعله بنى ذلك على ما اختاره ونقله عن سيبويه من كون أن وصلتها مبتدأ لا خبر له ، وذلك لطوله وجريان الإسناد في ضمنه .

قلت : إنّما مراده أن يبيّن ما لزم على إعراب الزمخشري ، والزمخشري يرى أن أن وصلتها هنا فاعل بـ " ثَبَّتَ " .

وأما قول المعترض ، فلأنه كان من حقه أن يعدّها ثلاث جمل ، وذلك لأنه لا يعدُّ ﴿ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ جملة ؛ لأنّها حال مرتبطة بعاملها ، وليست مستقلة برأسها ، ويعد " لَوْ " وما في حيزها جملة واحدة : إمّا فعلية إن قدر « ولو ثبت أن أهل القرى آمنوا واتقوا » ، أو اسمية إن قدر : « ولو أن إيمانهم وتقواهم ثابتان » ، ويعدُّ ﴿ وَلَكِنْ كَذَّبُوا ﴾ جملة ، و ﴿ فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ كلّ جملة ، وهذا هو التحقيق ، ولا ينافي ذلك ما قدّمناه في تفسير الجملة ؛ لأنّ الكلام هنا ليس في مطلق الجملة ، بل في الجملة بقيد كونها جملة اعتراض ، وتلك لا تكون إلاّ كلاماً تامّاً ^١ .

وقال أبو البقاء في الكليات : ((والجملة أعم من الكلام على الاصطلاح المشهور ، والجملة الواقعة خبراً ، أو وصفاً ، أو حالاً ، أو شرطاً ، أو صلةً ، أو نحو ذلك ، هي جملة وليست بكلام ؛ لأنّ إسنادها ليس مقصوداً لذاته)) ^٢ .

((ومن عدم التفريق بين معنى الكلام عند اللغويين ، ومعناه عند النحويين يتّضح لنا سبب التقد الذي وجهه الدكتور مهدي المخزومي في غير حق لابن هشام . وإذا لم يكن ثمة اتفاق على المصطلح كان طبيعياً أن تختلف النتائج ، ولا يصح لنا الحكم على آراء النحويين في تعيين الخبر ما دام جملة ، ما لم ننظر إليه في ضوء ما ذهبوا إليه من معنى الجملة)) ^٣ .

^١ مغني اللبيب / ٤٩١ - ٤٩٢ .

^٢ الكليات ١ / ٥٥ . ويُنظر : رسالة المباحث المرضية ، ملحق المحقق د. مازن المبارك / ٥١ .

^٣ رسالة المباحث المرضية ، ملحق المحقق د. مازن المبارك / ٥١ - ٥٢ .

ومن كل ما سبق يمكن أن نخلص إلى ((أن الجملة قد تكون مفيدة ، فتسمى كلاماً ، وقد تكون غير مفيدة ، فنكون إذ ذاك عبارة عن علاقة إسنادية بين كلمتين ، وكل كلمتين أسندت إحداهما إلى الأخرى ، فإذا أفادت معنى يحسن السكوت عليه ، كانتا جملة وكلاماً ، وإذا لم تفيدا كانتا جملة فحسب))^١ .

ومما يجب التنبيه عليه في هذا المجال أن كثيراً مما يفيد لا تتم فائدته إلا بمتبوعه ، أو بلازمه ، أو باتصاله بغيره . وإلا فهل نقول إن : ﴿ أَوْ يَغْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النَّكَاحِ ﴾ من قوله ﷺ : ﴿ وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَغْفُونَ أَوْ يَغْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النَّكَاحِ وَأَنْ تَغْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾^٢ جملة واحدة ؛ لأن الفائدة لا تتم عند قولنا ﴿ الَّذِي ﴾ ، وهو الفاعل الذي أسندنا " العفو " إليه ، ومن من النحويين حتى الذين جعلوا الكلام مرادفاً للجملة يعرب ﴿ يَغْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النَّكَاحِ ﴾ على أنه جملة واحدة ، ومن منهم لا يرى فيه جملتين ؛ هما : الجملة الابتدائية ﴿ يَغْفُوَ الَّذِي ﴾ ، وجملة الصلة ﴿ بِيَدِهِ عُقْدَةُ النَّكَاحِ ﴾ ، وقس على هذا كل الجمل التي يكون الاسم الموصول فيها فاعلاً ، أو خبراً ، وهي جمل لا تتم بها الفائدة إلا إذا أتت بجملة أخرى هي صلاتها ، وهم يسمونها جملاً .

وكذلك الأمر في الجملة الواقعة صفة لخبر نكرة في مثل : ﴿ أَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ من قوله ﷺ : ﴿ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴾^٣ ، و ﴿ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾ من قوله ﷺ : ﴿ وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾^٤ ، ﴿ أَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ ، و ﴿ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾ ، أليسا مؤلفين من جملتين ، وأبي فائدة في الجملة الأولى ﴿ أَنَّهُمْ قَوْمٌ ﴾ ، و ﴿ إِنَّكُمْ قَوْمٌ ﴾ ، وإذا أفادت إحدى هاتين الجملتين معنى ما هو

^١ رسالة المباحث المرضية ، ملحق المحقق د. مازن المبارك / ٥٢ .

^٢ سورة البقرة / ٢٣٧ .

^٣ سورة المائدة / ٥٨ .

^٤ سورة الأعراف / ١٣٨ .

أقرب إلى اللغو منه إلى الكلام المفيد ، فهل هو المعنى المراد ، وهل يكتمل معنى الخبر إلا بصفته التي هي الجملة الثانية ﴿ لا يَغْفُلُونَ ﴾ ، و ﴿ تَجْهَلُونَ ﴾^١ .

((في ضوء هذا الفهم لمعنى الكلام والجملة ننظر في آراء النحويين السالفة ،

فنرى الآتي :

أولاً - القول الأول : ((إنَّ جملتي الشرط والجواب معاً هما الخبر)) ، قول عجيب ؛ لأنه يجعل من الجملتين جملة واحدة ، وهو مناقض لما اصطاح جمهورهم عليه من كون الجملة مسنداً ومسنداً إليه ، ثم هو مناقض لأصولهم في أنَّ الجملة ذات المحل يجب أن تكون صالحة لإحلال المفرد محلها ، وأيِّ مفرد يصلح مكان الشرط وجوابه في وقت واحد .
 • إننا إذا قلنا إنَّ قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَفْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا ﴾^٢ ، تقديره : المقترف الحسنة مزيد له فيها ، وإنَّ قولنا : « مَنْ يَجْتَهِدُ يَنْجَحْ » تقديره : المجتهد ناجح ، ونحن لا نرى هذا التقدير صحيحاً ، لأنه يلغي معنى الشرط ، وهو مراد أصلاً ، فأَيُّ الكلمتين " مزيد " و " ناجح " نابت مناب الجملتين ، ثمَّ إذا كانت جملة جواب الشرط مقترنة بالفاء ، أو إذا الفجائية فهم على أنَّها في محل جزم ، فكيف تكون كذلك ، ثمَّ تكون في الوقت نفسه داخلة مع أختها جملة الشرط في محل الرفع على الخبرية .

ولننظر أخيراً هل بين النحويين من يعد جملتي الشرط والجواب جملة واحدة ،

كما يرى الدكتور المخزومي ؛ ليستقيم لأصحاب هذا القول حكمهم .

لقد وقف النحويون عند أبسط صورة من صور تركيب الكلمات فأطلقوا عليها لفظ الجملة ، وعرفوها بأنَّها تركيب من كلمتين أسندت إحداهما إلى الأخرى .
 • وحين فصل ابن هشام حديثه عن الجملة في باب خاص أفرده لها وتناول فيه الجملة الصغرى ، والجملة الكبرى ، وذات الوجه ، وذات الوجهين ، لم يخرج عمَّا أصَّلوه ، ولم يخالف ما اصطاح جمهورهم عليه من معناها ، وعدَّ الكبرى مؤلفة من جملتين ، فقال : هي الاسمية التي خبرها جملة ، ولم نر أحداً من النحويين يتحدث عن جملة مركبة ، بل جعلوا الكلام هو

^١ يُنظَر : رسالة المباحث المرضية ، ملحق المحقق د. مازن المبارك / ٥٢ - ٥٣ ، والمفصل في صناعة الإعراب / ١ / ٢٣ ، ورسالتان في اللغة - لأبي الحسن علي بن عيسى بن علي بن عبد الله الرُّماني - دار الفكر للنشر والتوزيع - عمان " ١٩٨٤ م " تحقيق : إبراهيم السامرائي / ١ / ٧٠ ، وأوضح المسالك / ١ / ١٣ .

^٢ سورة الشورى / ٢٣ .

المركّب ، وعادوا به تحليلاً ، وتبسيطاً إلى جمل بسيطة ، ولعلّ أسلوب الشرط أولى المواضيع بحديثهم عن الجملة المركّبة من جملتين لو أنّها وجدت ، أو جاء ذكرها على ألسنتهم ، ولكننا نراهم يصرّحون بأنّ أسلوب الشرط جملتان ، لا جملة واحدة ^١ .

قال سيبويه - رحمه الله - : ((واعلم أنّ حروف الجزاء تجزم الأفعال ، وينجزم الجواب بما قبله)) ^٢ .

((وليس يعنينا هنا حديثه عن عامل الجزم ، ولكن يعنينا أنّه عدّ الشرط ، أو الجزاء - كما يلقّبه - مؤلفاً من جملتين ؛ هما جملة الفعل الذي ينجزم بحرف الشرط ، وجملة الجواب الذي ينجزم بما قبله)) ^٣ .

وعدّد ابن السراجّ المواضع التي لا يخلو منها الحرف ، وذكر منها الحرف الذي يدخل ليربط جملة بجملة ، ثمّ قال مفصلاً : ((وأمّا ربطه جملة بجملة ، فنحو قولك : « إن يقيم زيدٌ ، يقعدُ عمروٌ » ، وكان أصل الكلام : « يقيمُ زيدٌ ، يقعدُ عمروٌ » ، ف« يقيمُ زيدٌ » ليس متّصلاً ب« يقعدُ عمروٌ » ، ولا منه في شيء ، فلما دخلت « إن » جعلت إحدى الجملتين شرطاً ، والأخرى جواباً)) ^٤ .

^١ رسالة المباحث المرضية ، ملحق المحقق د. مازن المبارك / ٥٣ - ٥٤ .

^٢ الكتاب ٣ / ٦٢ .

^٣ رسالة المباحث المرضية ، ملحق المحقق د. مازن المبارك / ٥٤ .

^٤ أبو بكر محمد بن السريّ بن سهل ، أحد أئمّة الأدب واللغة ، وهو المعني بأبي بكر حيث أطلق ، أخذ عن المبرّد ، علّم في بغداد ، وتوفّي - رحمه الله - فيها سنة ستّ عشرة وثلاثمائة هجرية ، الموافق تسع وعشرين وتسعمائة ميلادية . من تلاميذه أبو القاسم الرّجّاجي ، وأبو سعيد السيرافي ، وعلي الرّمّاني ، وأبو علي الفارسي . له « شرح كتاب سيبويه » ، و « كتاب الأصول الكبير في النّحو » يقول فيه صاحب كشف الظّنون : ((

كتاب مرجوع إليه عند اضطراب النّقل)) ، وينقل عنه صاحب الخزانة كثيراً ، و « الموجز في النّحو » .

يُنظَر : طبقات النّحويين واللّغويين / ١١٢ - ١١٤ ، والفهرست / ٩٢ - ٩٣ ، وتاريخ بغداد / ٥ / ٣١٩ - ٣٢٠ ، والأنساب / ٢٩٥ / أ ، ونزهة الألباء / ٢٤٩ - ٢٥٠ ، والمنتظم / ٦ / ٢٢٠ ، ومعجم الأدياء / ١٨ / ١٩٧ - ٢٠١ ، والكامل / ٨ / ١٨٠ ، ١٩٩ ، ٣١٥ - ٣١٦ ، وإنباه الرّواة / ٣ / ١٤٥ - ١٤٩ ، ووفيات الأعيان / ٤ / ٣٣٩ - ٣٤٠ ، وسير أعلام النبلاء / ١٤ / ٤٨٣ - ٤٨٤ ، والجبر / ١ / ٢٧٨ ، ٣٥٠ ، ٤٤٨ ، والوافي بالوفيات ، لخليل بن أبيك الصّفدي - تصدرها جمعيّة المستشرقين الألمانيّة بعناية جماعة من العرب والمستشرقين - بيروت ١٩٦٢ - ١٩٨٣ م / ٣ / ٨٦ - ٨٨ ، و مرآة الجنان / ٢ / ٢٧٠ - ٢٧١ ، البداية والنّهاية / ١١ / ١٥٧ ، والبلغة في تاريخ أئمّة اللّغة / ٢٢ - ٢٢٣ ، والنّجوم الرّاهرة / ٣ / ٢٢٢ ، وبغية الوعاة / ١ / ١٠٩ - ١١٠ ، ومفتاح السّعادة / ١ / ١٣٦ - ١٣٠ ، وشذرات الذهب / ٢ / ٢٧٣ - ٢٧٤ .

^٥ الأصول في النّحو / ١ / ٥٤ ، ويُنظَر : رسالة المباحث المرضية ، ملحق المحقق د. مازن المبارك / ٥٥ .

وبين ابن السراج - رحمه الله - تلازم الجملتين ، فقال : ((« إن تأتي أتك ، وإن تقم أقم » ، فقولك : « إن تأتي » شرط « وأتك » جوابه ، ولا بد للشرط من جواب ، وإلا لم يتم الكلام ، وهو نظير المبتدأ الذي لا بد له من خبر))^١ .

فقرر بذلك أن جملة الشرط جملة قائمة بذاتها ، ولكنها غير مفيدة ، إذ لا يتم بها الكلام - كما قال - إلا بالجملة الثانية ؛ لأنه لا بد للشرط من جواب ، وإلا لم يتم الكلام ، وهذا تصريح من صاحب الأصول بما قدمناه من أن أسلوب الشرط قائم على جملتين ، ومن أن الجملة في اصطلاحهم ليست مشروطة بالإفادة .

والى ذلك ذهب أيضاً شيخ فقهاء العربية « ابن جنّي » - رحمه الله - فصرح أن بعض الجمل قد تحتاج إلى جملة ثانية احتياج المفرد إلى المفرد ، فقال : ((أن بعض الجمل قد تحتاج إلى جملة ثانية احتياج المفرد إلى المفرد ، وذلك في الشرط وجزائه ، والقسم وجوابه ، فالشرط نحو قولك : « إن قام زيد ، قام عمرو » ، والقسم نحو قولك : « أقسم ليفؤم زيد » ، فحاجة الجملة الأولى إلى الجملة الثانية ، كحاجة الجزء الأول من الجملة إلى الجزء الثاني ، نحو : « زيد أخوك » ، و « قام أبوك »))^٢ .

((وهكذا يتضح ممّا سبق أنّ الذين جعلوا الشرط والجواب معاً هما الخبر خالفوا ما اصطح عليه جلة النحويين وجمهورهم من معنى الجملة ، وجاءوا بما لا نظير له في النحو ، وهم لم يذهبوا هذا المذهب إلا لأن الشرط وحده لا يتم المعنى ، فشدوا إليه جوابه ، وجعلوا الجميع خبراً ، مع أنّ كلاً من الشرط والجواب جملة مستقلة قائمة بنفسها ، ولولا أداة الشرط لما ترتبت إحداهما على الأخرى ، ولما كانتا متلازمتين ، وهما متلازمتان معنى ، وليس ما يمنع أن يكون لكل منهما محلّ من الإعراب ، وتلازمهما كتلازم المبتدأ والخبر ، وكتلازم الاسم الموصول وصلته ، وهو تلازم معنوي ، لا يقتضي التلازم في الإعراب ، ودخول أداة الشرط لا يفك العلاقة الإسنادية بين المركبين في الجملة الواحدة ، وإنما يجعل بين الجملتين ، أو الوجدتين علاقة تلازم معنوي ، أي : أنّ أداة الشرط تدخل لتدلّ على أنّ معنى الجواب ، وهو معنى مستقل أصلاً بنفسه ، لا يتحقّق إلاّ إذا تحقّق معنى آخر مستقل بنفسه أيضاً في الأصل ، وهو معنى

^١ الأصول في النحو ١ / ٥٦ .

^٢ الخصائص ٣ / ١٧٨ .

الشَّرْطُ ، وحسبنا أنَّ الزَّمخشريّ نفسه ، وهو الذي جعل الكلام مرادفاً للجملة - كما سلف القول - والكلام عنده هو المفيد ، جعل للشَّرْطِ جملتين كسائر النُّحاة))^١ .

قال الزَّمخشريّ - رحمه الله - ومن أصناف الحروف : ((حرفا الشَّرْطِ ، وهما " إِنْ " ، و " لَوْ " يدخلان على جملتين ، فيجعلان الأولى شرطاً ، والثانية جزءاً ، كقولك : « إِنْ تَصْرِيحِي أَضْرِيكَ » ، و « لَوْ جِئْتِي لِأَكْرَمْتِكَ » ، خلا أن " إِنْ " تجعل الفعل للاستقبال ، وإن كان ماضياً ، و " لَوْ " تجعله للمضي ، وإن كان مستقبلاً ، كقوله تعالى : ﴿ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ ﴾^٢ ، وزعم الفراء^٣ أنَّ " لَوْ " تستعمل في الاستقبال كـ " إِنْ "))^٤ .

((ولنا أخيراً أن نسأل القائلين إنَّ الشَّرْطَ ، وجوابه معاً هما الخبر ، والزَّمخشريّ منهم ما دام الشَّرْطُ وجوابه جملتين ، فكيف تُؤوَّلان بمفرد واحد ، وإذا أولناهما بمفردين فلا بدَّ أن يكون لكلٍّ منهما محلٌّ من الإعراب ، فكيف تكون الجملتان المؤوَّلتان بهما في محلٍّ واحدٍ من الإعراب))^٥ .

ثانياً - القول الثاني : ((إنَّ جملة الجواب وحدها هي الخبر)) ، لنا عليه مأخذ :

^١ رسالة المباحث المرضية ، ملحق المحقق د. مازن المبارك / ٥٦ .

^٢ سورة الحجرات / ٧ .

^٣ هو أبو زكرياء ، يحيى بن زياد بن عبدالله بن منظور الدِّلمي ، مولى بني أسد ، المعروف بالفراء . إمام الكوفيين ، وأعلمهم بالنحو واللغة ، وفنون الأدب . تلميذ الكسائي ، ومؤدب ابني المأمون . ولد في الكوفة سنة سبعين هجرية ، ومات وهو في الطريق إلى مكة في سنة سبع ومائتين هجرية . وكان يقال الفراء إمام المؤمنين في النحو . من آثاره : « معاني القرآن » ، و « المقصور والمحدود » ، و « المذكر والمؤنث » ، و « ما تلحن في العامة » ، و « الجمع والتنثنية في القرآن » ، و « الحدود ، ومشكل اللغة » . يُنظر : مراتب النحويين ، لأبي الطَّيِّب اللُّغوي / ٨٦ ، و طبقات الرُّبَيْدي / ١٤٣ ، وأخبار النحويين البصريين ، لسيرافي / ٥١ ، والفهرست / ٧٣ ، ٧٤ ، وتاريخ بغداد / ١٤ / ١٤٦ ، والأنساب / ٩ / ٢٤٧ ، ونزهة الألباء / ٩٨ ، ومعجم الأدياء / ٢٠ / ٩ ، وإنباه الرُّواة رقم (٨١٤) ، وسير أعلام النبلاء / ٦ / ٦٦١ ، ووفيات الأعيان / ٦ / ١٧٦ - ١٨٢ .

^٤ المفصل في صنعة الإعراب / ٤٣٩ .

^٥ رسالة المباحث المرضية ، ملحق المحقق د. مازن المبارك / ٥٧ .

أولها : إنَّ حَجَّةَ القائلين به هي : إنَّ الجواب هو الذي به يتمُّ المعنى ، وهم منطلقون من أنَّ الجملة وحدة لغوية^١ ، أو تركيب مفيد فائدة يحسن السُّكوت عليها ، ولمَّا كان جواب الشرط هو الذي يتمُّ معناه كان هو الخبر ، وقد رأينا أنَّ اصطلاح النَّحويين على غير ذلك ، وأنَّهم فرَّقوا بين الكلام والجملة ، فجعلوا الكلام هو المفيد ، وليست الجملة ، مضى على ذلك متقدِّمهم ، وجمهورهم ، وبات الكلام عندهم مصطلحاً تداولوه بهذا المعنى حتى تميَّزوا به عن اللُّغويين ، كما نصَّت الألفية على ذلك^٢ ، ورأينا هذا الأصل معروفاً عندهم ، وشائعاً في أمثلة كثيرة معروفة ، كجمل الصَّلوات والصفات والقسم ، وكذلك جملة الشرط التي تحتاج من حيث المعنى إلى جملة الجواب احتياج الاسم الموصول إلى صلته ، واحتياج الموصوف إلى صفته ، واحتياج القسم إلى جوابه ؛ لأنَّ الشرط مثلها من الأساليب اللُّغوية القائمة على التلازم بين شيئين ، وإنَّ الجملة قد تتمُّ تركيباً بركنيتها ، ولمَّا يتمُّ معناها ؛ لاحتياج أحد ركنيها إلى ما يكمل معناه ، ولا أظنُّ أحداً من القائلين بهذا الرأي يعرب الاسم الموصول وصلته جميعاً خبراً في مثل قوله :

هَذَا الَّذِي تَعْرِفُ الْبَطْحَاءَ وَطَأَّتُهُ^٣

وإنَّما هم جميعاً على أنَّ " الذي " وحدها هي الخبر ، ولو سألناهم عن تمام المعنى لقالوا : إنَّ الموصول يحتاج إلى صلته ، وبها يكتمل المعنى ، وبمثل قولهم في الموصول وصلته ، نقول في الشَّرَطِ وجوابه ، وكما يتوقَّف تمام المعنى على ذكر الصلَّة ، كذلك يتوقَّف تمام المعنى في أسلوب الشرط على ما يلزم عن الشَّرَطِ ، وهو الجواب ، وقد أشار إلى هذا ابن بابشاد^٣ ، فقال : والجملة الشرطية ناقصة لافتقارها إلى جواب ، وهم ممَّا يسمُّون ما يحتاج إلى غيره ناقصاً ؛ لذلك قالوا عن " ما " الموصولة إنَّها ناقصة ؛

^١ يعني قول ابن مالك : كَلَامُنَا لَفْظٌ مُفِيدٌ كَأَسْمٍ اسْمٌ وَفَعْلٌ ثُمَّ حَرْفٌ الْكَلِمِ

^٢ هذا صدر بيت في ديوان الفرزدق ، وهو مطلع قصيدة يمدح فيها زين العابدين ، وعجزه :

((والبيت يعرفه والحلُّ والحرم)) ، وختمها بقوله :

يستدفع الشَّرُّ والبلوى بحبِّهم ويسترب به الإحسان والنَّعم

يُنظر : ديوان الفرزدق - قدَّم له وشرحه : مجيد طراد - دار الكتاب العربي - بيروت - ط ١٤١٤

هـ - ١٩٩٤ م ٢ / ٢٣٨٠ والفرزدق أخباره ، ونماذج مختارة من شعره ، سلسلة شعراء العرب ، اسماعيل

يوسف ، منشورات دار الكتاب العربي ط ١٩٨٤ م ص / ١١١ .

^٣ المتوقَّى سنة تسع وستين وأربعمائة من الهجرة .

لاحتياجها إلى الصلة ، وقالوا عن " ما " النكرة الموصوفة المجردة عن معنى الحرف إنها ناقصة ؛ لاحتياجها إلى الصفة .

وثانيها : أنهم يحتكمون إلى المعنى ، إذ هو الحكم في كل خلاف . . ونحن نأخذ مأخذهم ، ونقول قولهم ، ولكننا نخالفهم فيما وصلوا إليه من أن المعنى ينصر كون الجواب خيراً لاسم الشَّرَط ؛ لأننا نخالفهم في التقدير الذي قدروه ، فقد قالوا : إننا إذا حولنا صيغة الجملة الشرطية « مَنْ يُسَافِرُ يَبْتَهِجُ » إلى جملة اسمية قلنا : « المسافرُ مبتهجٌ » ، وما اسم الشرط هنا إلا اسم موصول أضيف إليه معنى الشرط ، فكأن صلته بفعله لفظاً لا معنى .

والحق أن تحويل الصيغة الشرطية « مَنْ يُسَافِرُ يَبْتَهِجُ » إلى جملة اسمية ليس هو « المسافرُ مبتهجٌ » ؛ لأن هذا التقدير قد أُلغى معنى الشَّرَط ، وهو الذي بني عليه الكلام أصلاً ، والشرط في هذه الصيغة معنى لا يجوز إغفاله^١ .
((وأما الرأي الأخير ، وهو كون جملة الشرط وحدها هي الخبر ، فهو ما نؤيده ، ونذهب فيه مذهب الجمهور ، ونرى أن جمهور النحاة لم يصطلحوا عليه ، وأن ابن هشام لم يشرحه غير ما مرّة ؛ إلا لأنه المذهب المطرد ، والمنهج الأسد :

أولاً : لأن جملة الشرط الجازم ، إذا كان مبتدأً لا محل لها في أي موضع من المواضع ، وكيفما تقلبت بها الحال ، إلا في هذا الموضع الذي تكون فيه في محل رفع خبراً للمبتدأ ، فلا تنازع عليها بين عاملي الجزم ، والرفع شأن جملة الجواب ، وإنما هي في حالة واحدة من ثلاث حالات مطردة .

الأولى : أنها ليست بذات محل إذا كانت أداة الشرط حرفاً .
الثانية : أنها في محل جرّ بالإضافة إذا كان اسم الشرط ظرفاً .
الثالثة : أنها في محل رفع على الخبرية إذا كان اسم الشرط مبتدأً ، والاطراد وتجنّب الشذوذ أولى بالإتباع .

^١ رسالة المباحث المرضية ، ملحق المحقق د. مازن المبارك / ٥٧ - ٥٨ .

ثانياً : لأنَّ الجملة تبقى في إطار ما اصطلح جمهورهم عليه من كونها مركبة من كلمتين أسندت إحداهما إلى الأخرى ، فلا نضطرُّ إلى مخالفتهم بابتداع جملة جديدة مركبة من جملتين تركيباً ليس شأنه شأن الجملة الكبرى ؛ لأنَّهما في الأصل جملتان مستقلتان لكلِّ منهما علاقة إسنادية بين ركنيها ، ولو حجبنا الشرط الدَّاخل عليهما لعادتا قائمتين بلا إخلال .

ثالثاً : لأنَّ اسم الشرط ، وفعله يكوّنان جملة تامّة الإسناد ، ولكنّها ليست تامّة المعنى المقصود بها بعد دخول الشرط ، وقد كانت تامّة قبله ، وذلك لأنَّ وظيفة الشرط أصلاً أن يجعلها متبوعة بجملة ثانية تكمل معناها ، بل إنَّ معناها الذي كانت مستقلةً به قبل دخول الشرط أصبح كلّ سبباً ، أو علّة لحصول معنى جملة ثانية مستقلةً بمعناها ، فتلازم المعنيان بالشرط بعد أن كانا مستقلّين قبله ، وفي ضوء ما فسّره ابن هشام من معنى الكلام ، والجملة ، وكون الكلام هو المفيد بخلافها ؛ لأنَّها مصطلح أطلق نحوياً على تركيب من كلمتين بينهما علاقة إسناد ، فليس لنا أن نلتقط خيراً من جملة لنجعله مسنداً إلى مبتدأ من جملة أخرى ، متجاوزين العلاقات الإسنادية في كلِّ من الجملتين ، بحجّة المعنى ، والمعنى نفسه غير مشروط في الجملة ، كما رأينا في اصطلاحهم : أنَّ الشرط بدخوله على جملة ما يجعلها ناقصة المعنى حتى تستكمل متبوعاتها ، كما في الأساليب المعروفة في الاسم الموصول الذي لا يتمُّ معناه إلاّ بصلته ، وكما في القسم الذي لا يتمُّ معناه إلاّ بجوابه ، وكذلك أسلوب الشرط ، وهي كلّها أساليب كلامية ، وليست جمليّة ، وإذا لم يكتمل الكلام ، فأنتى تكون الفائدة))^١ .

وقد أشار العكبري - رحمه الله - في شرحه لإيضاح الفارسي^٢ (أبو علي) إلى تلازم جملتي الشرط والجواب ، فقال : ((وينزل الشرط مع الجزاء بمنزلة العلّة مع المعلول))^١ .

^١ رسالة المباحث المرضية ، ملحق المحقق د. مازن المبارك / ٦٣ - ٦٤ .

^٢ أبو علي الفارسي ، إمام النحو ، أبو علي ، الحسنُ ابنُ أحمدَ بنِ عبدِ الغفّارِ الفارسيّ ، صاحبُ التّصانيف أخذ عن الرّجاج ، وابن السّراج ، ومن تلامذته أبو الفتح بنُ جنيّ ، وعليّ بنُ عيسى الرّيعي . وُلِدَ سنة ثمانٍ وثمانين ومائتين . مُصنّفاته كثيرةٌ نافعّة . وكان فيه اعتزال . مات ببغداد في ربيعِ الأوّل سنة سبعٍ وسبعين

وقال ثانياً : ((إنَّ حرف الشَّرْط يوجب حاجة الجملة الأولى إلى جملة أخرى ؛ لأجل التَّعليق ، بحيث لو اقتصرنا على إحداهما ، لم يكن كلاماً ، ولولا " إنَّ " لكانت الجملة الواحدة كلاماً))^٢ .

فقوله : ((لأجل التَّعليق)) هو ما وضَّحه ابن هشام في المباحث المرضية حين قال : ((الصَّحيح أنَّ خبر اسم الشَّرْط ، هو جملة الشَّرْط ، لا جملة الجواب))^٣ . وعزا الظنَّ بأنَّ الخبر هو الجواب إلى التَّوهم ، وقال : ((وجواب هذا التَّوهم أنَّ الفائدة إنَّما توقَّفت على الجواب من حيث التَّعليق ، لا من حيث الخبرية))^٤ .

((ونخلص ممَّا سبق من عرض ومناقشة إلى النتائج الآتية :

أولاً : إنَّ اسم الشَّرْط إذا كان مبتدأً ، فجملة الشَّرْط وحدها هي الخبر ، وبذلك يبقى للقاعدة اطرادها ، وللمنهج سداها ، ولاصطلاح الجملة معناه ووضوحه ، وليس في شيء من ذلك كلُّه خروج عمَّا أصَّله جمهور النُّحاة ، بل هو توضيح لما أرادوه ، وذهبوا إليه

وثلاثمائة . وله كتاب « الحجة » في علل القراءات ، وكتبا « الإيضاح في علل النحو » و « التَّكلمة » وغيرها . يُنظَر : طبقات النُّحويين واللُّغويين / ١٣٠ ، والفهرست / ٩٥ ، وتاريخ بغداد ٧ / ٢٧٥ - ٢٧٦ ، ونزهة الألباء / ٣١٥ - ٣١٧ ، والمنظَّم / ٧ / ١٣٨ ، ومعجم الأدباء / ٧ / ٢٣٢ - ٢٦١ ، ومعجم البلدان ٤ / ٢٦١ ، وإنباه الرُّواة ١ / ٢٧٣ - ٢٧٥ ، والكامل ، لابن الأثير ٩ / ٥١ ، ووفيات الأعيان ٢ / ٨٠ - ٨٢ ، والعبر ٣ / ٤ ، وسير أعلام النبلاء ١٦ / ٣٧٩ ، وميزان الاعتدال ١ / ٤٨٠ - ٤٨١ ، والوفاي بالوفيات ١١ / ٣٧٦ - ٣٧٩ ، ومراة الجنان ٢ / ٤٠٦ - ٤٠٧ ، والبدائية والنَّهائية ١١ / ٣٠٦ ، وغاية النَّهائية ، لمحمَّد بن محمَّد بن الجزري - تحقيق : براجستراسر - القاهرة ١٩٣٢ م ١ / ٢٠٦ - ٢٠٧ ، والنُّجوم الرَّاهرة ٤ / ١٥١ ، ولسان الميزان ٢ / ١٩٥ ، وبغية الوعاة ١ / ٤٩٦ - ٤٩٨ ، والمزهر في علوم اللغة وأنواعها ٢ / ٤٢٠ ، وشذرات الذَّهب ٣ / ٨٨ - ٨٩ ، وروضات الجنان / ٢١٨ - ٢١٩ ، وهديَّة العارفين ١ / ٢٧٢ ، وأعلام الشَّيعة ، للطَّهْماني / ٨٣ .

^١ ويُنظَر : رسالة المباحث المرضية ، ملحق المحقق د. مازن المبارك / ٦٤ .

^٢ ويُنظَر : رسالة المباحث المرضية ، ملحق المحقق د. مازن المبارك / ٦٤ - ٦٥ .

^٣ رسالة المباحث المرضية ، ملحق المحقق د. مازن المبارك / ٣٥ .

^٤ رسالة المباحث المرضية ، ملحق المحقق د. مازن المبارك / ٣٦ .

ثانياً : إنّ في العربية أساليب لا يتمّ الكلام - وهو المفيد - فيها بمجرد قيام علاقة الإسناد بين كلمتين ؛ لأنّ العلاقة الإسنادية تُتمّ الجملة التي قد تكون مفيدة ، أو ناقصة المعنى ؛ لحاجتها إلى غيرها ، وذلك كما في تراكيب الموصول وصلته ، والقسم وجوابه ، والشّرط وجوابه .

ثالثاً : إنّ للشّرط في العربية وظيفتين :

- أولاهما : معنوية ، وهي إضافة معنى الشّرط إلى الجملة الخبرية .
- وثانيتها : وظيفة أسلوبية ، أو تركيبية ، وهي جعل الجملة الثانية معلّقة بالجملة الأولى تعليق المسبّب بالسبب ، أو المعلول بالعلّة ، أو الملزوم باللازم^١ .

^١ رسالة المباحث المرضية ، ملحق المحقق د. مازن المبارك / ٦٥ - ٦٦ .

ركنا الجملة العربية

للجملة العربية ركنان أساسيان هما المسند والمسند إليه ؛ فكل جملة لابد لها من ركنين أساسيين : محكوم عليه ، وهو المسند إليه ، ومحكومٌ به ، وهو المسند ، وما زاد على ذلك في الجملة غير المضاف إليه ، وصلة الموصول ، فهو قيدٌ .
قال سيبويه - رحمه الله - في باب (المسند والمسند إليه) : ((هذا باب المسند و المسند إليه ، وهما ما لا يستغني واحد منهما عن الآخر ، و لا يجد المتكلم منه بدءاً .
فمن ذلك الاسمُ المبتدأُ و المبنئُ عليه ^١ . وهو قولك « عبدُ الله أخوك » ، و « هذا أخوك »
«

ومثل ذلك : « يذهبُ عبدُ الله » ، فلا بدُّ للفعل من الاسم كما لم يكن للاسم الأولُ بدءٌ من الآخر في الابتداء .
وممَّا يكون بمنزلة الابتداء قولك : « كانَ عبدُ الله منطلقاً » ، و « ليتَ زيداً منطلقٌ » ؛ لأنَّ هذا يحتاج إلى ما بعده كاحتياج المبتدأ إلى ما بعده ^٢ .
وقد وافقه في ذلك المبرد ^٣ في كتابه المقتضب فقال : ((هذا باب المسند و المسند إليه : وهما ما لا يستغني كل واحد من صاحبه)) ^١ .

^١ يعني الخبر .

^٢ الكتاب ١ / ٢٣ ، ويُظنر : ٢ / ٧٨ ، ١٢٦ ، وشرح الرضي ١ / ٨ . ٩ ، و المقتضب ، لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد - تحقيق : محمد عبد الخالق عزيمة - عالم الكتب ٤ / ١٢٦ . ١٣٥ ، والمفصل في صنعة الإعراب ١ / ٢٢ ، وشرح المفصل ١ / ٢٠ ، وعلوم البلاغة ، أحمد مصطفى المراغي - دار القلم - بيروت - لبنان / ٤٥ . والإيضاح في علوم البلاغة ، للخطيب القزويني - شرح وتعليق وتفتيح : د. محمد عبد المنعم خفاجي - دار الجيل - بيروت ١ / ٦٥ - ٦٩ ، الخطيب القزويني ، والمطول شرح تلخيص مفتاح العلوم ، للعلامة سعد الدين مسعود بن عمر النفتازاني - تحقيق : د. عبد الحميد هنداوي - منشورات محمد علي بيضون - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م / ١٧٩ ، وجواهر البلاغة ، السيد أحمد الهاشمي - ضبط وتدقيق وتحقي د. يوسف الصميلي - المكتبة العصرية - صيدا - بيروت - ط ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م / ٤٨ . ٥١ . وعلم المعاني ، لعبد العزيز عتيق - دار النهضة العربية - بيروت ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م / ٤٨ . ٥٠ ، ١١٩ . ١٢١ . والنحو الوافي ، عباس حسن - الطبعة الخامسة - دار المعارف بمصر / ٢٨ .
^٣ المبرد ، إمام النحو ، أبو العباس ، محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الأزدي ، البصري ، النحوي ، الأخباري ، صاحب « الكامل » ، و « إعراب القرآن » ، ولد سنة عشر ومائتين من الهجرة ، أخذ عن : أبي عثمان

وأكد ذلك أيضاً الرّمخشريّ في المفصلّ عند ما تكلم عن الكلام فقال : ((والكلام هو المركب من كلمتين أسندت أحدهما إلى الأخرى))^٢ .
واللفظ إمّا مفرد ، أو جملة ، والمفرد إمّا عمدة ، أو فضلة ، والعمدة إمّا مسند ، أو مسند إليه^٣ .
والإسناد من خواص الأسماء ، فلا يسند إلا إلى الأسماء ، قال ابن مالك - رحمه الله - :

((أي من علامات اسمية الكلمة أن يوجد معها " مسند " ، فتكون هي " مسنداً إليها " ، ولا يسند إلا إلى الاسم . وأمّا « تسمع بالمعيديّ خيرٌ من أن تراه » فـ " تسمع " منسبك مع " أن " المحذوفة بمصدر ، والأصل « أن تسمع » أي : " سماعك " . فحذفت " أن " ، وحسن حذفها وجودها في « أن تراه » . وقد روي « أن تسمع » على الأصل ، وأمّا قولهم : « زعموا مطية الكذب » فعلى إرادة اللفظ مثل " من " حرف جرّ ، و " ضرب " فعل ماضٍ ، فكلّ من " زعموا " ، و " من " ، و " ضرب " اسم للفظ

المازني ، وأبي حاتم السجستاني . قال ابن حماد النحوي : كان ثعلب أعلم باللّغة ، وبنفس النحو من المبرّد ، وكان المبرّد أكثر تقنناً في جميع العلوم من ثعلب ، ممثلاً لمذهب البصرة في النحو ، وخصمه ثعلب ممثلاً لمذهب الكوفة . وكان آية في النحو . مات المبرّد - رحمه الله - في أول سنة ست وثمانين ومائتين من الهجرة . يُنظر : طبقات النحويين واللّغويين / ١٠١ - ١١٠ ، وتاريخ بغداد / ٣ - ٣٨٠ - ٣٨٧ ، المنتظم / ٦ - ٩ - ١١ ، ضمن وفيات سنة « ٢٨٥ » ، ومعجم الأدباء / ١٩ - ١١١ - ١٢٢ ، وإنباه الرّواة على أنباه النّحاة / ٣ - ٢٤١ ، ٢٥٣ ، ووفيات الأعيان / ٤ - ٣١٣ - ٣٢٢ ، وسير أعلام النبلاء / ٨ - ٣٥١ ، والعبر / ٢ - ٧٤ - ٧٥ ، و الوافي بالوفيات / ٥ - ٢١٦ - ٢١٨ ، والبداية والنّهاية / ١١ - ٧٩ - ٨٠ ، والبلغة في تاريخ أنمة اللّغة / ٢٥٠ - ٢٥١ ، وغاية النّهاية في طبقات القراء ، لابن الجزري / ٢ - ٢٨٠ ، ولسان الميزان ، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني - حيدر آباد ١٣٢٩ هـ / ٥ - ٤٣٠ - ٤٣٢ ، والنّجوم الزّاهرة / ٣ - ١١٧ ، وبغية الوعاة / ١ - ٢٦٩ - ٢٧١ ، وطبقات المفسّرين ، لعبد الرّحمن بن أبي بكر السيّوطي - ليدن ١٨٣٩ م / ٢ - ٢٦٧ - ٢٧١ ، وشذرات الذهب / ٢ - ١٩٠ - ١٩١ .

^١ المقتضب / ٤ - ١٢٦ .

^٢ المفصلّ في صنعة الإعراب / ٢٢ .

^٣ يُنظر : المطول شرح تلخيص مفتاح العلوم ، التفتازاني / ١٧٢ .

^٤ ((ويروى : لأن تسمع بالمعيديّ خير ، وأن تسمع ، ويروى : تسمع بالمعيديّ لأن تراه . والمختار : أن تسمع . يُضرب لمن خبّره خيرٌ من مرّ أه)) عن مجمّع الأمثال ، أبي الفضل أحمد بن محمد الميداني النيسابوري - دار المعرفة - بيروت - محمد محبي الدين عبد الحميد / ١ - ١٢٩ .

مبتدأ ، وما بعده خبر ٠٠٠ وأما " المسند " ، فلأن " المسند إليه " لا يكون إلا اسماً^١

والمسند يُسمّى محكوماً به ، و المسند إليه ، يُسمّى محكوماً عليه ، وهما عمدة الكلام ٠ وأما النسبة التي بينهما فتدعى إسناد ٠ وما زاد على ذلك - غير المضاف إليه و الصلة - فهو قيد^٢ ٠

الإسناد لغة

هو إضافة الشيء إلى الشيء^٣ ٠

قال ابن منظور - رحمه الله - : ((وقول سيبويه : ((هذا باب المسند والمسند إليه))^٤ ، المسند : هو الجزء الأول من الجملة ، والمسند إليه الجزء الثاني منها ، والهاء من إليه تعود على اللام في المسند الأول ، واللام في قوله المسند إليه ، وهو الجزء الثاني يعود عليها ضمير مرفوع في نفس المسند ؛ لأنه أقيم مقام الفاعل ٠٠ قال الخليل^٥ : ((

^١ شرح الأشمونية على ألفية ابن مالك - دار إحياء الكتب العربية ٠

^٢ يُنظر : مفتاح العلوم ، لأبي يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن السكاكي - المكتبة العلمية الجديدة - بيروت - لبنان / ٨٠ ٠

^٣ يُنظر : لسان العرب (سند) ٣ / ٢٢١ ، ومختار الصحاح (سند) / ١٣٣ ٠

^٤ الكتاب ١ / ٢٣ ٠

^٥ الخليل الإمام ، صاحب العربية ، ومنشئ علم العروض ، أبو عبد الرحمن ، الخليل بن أحمد الفراهيدي ، البصري ، أحد الأعلام . أخذ عنه : سيبويه النحو وغيره . وكان رأساً في لسان العرب ، ديناً ، ورعاً ، قانعاً ، متواضعاً ، كبير الشأن ، يقال : إنّه دعا الله أن يرزقه علماً لا يسبق إليه ، ففتح له بالعروض ، وله كتاب (العين) ، في اللغة . وكان - رحمه الله - مفرط الذكاء . ولد سنة مائة ، ومات سنة بضع وستين ومائة ، وقيل : بقي إلى سنة سبعين ومائة . وكان هو ويونس إمامي أهل البصرة في العربية ، ومات ولم يتم كتاب (العين) ، ولا هذبّه ، ولكن العلماء يعرفون من بحره . يُنظر : التاريخ الكبير ، لمحمد بن إسماعيل البخاري - تحقيق : عبد الرحمن المعلمي اليماني ، دائرة المعاني العثمانية بالهند ١٣٨٠ هـ / ٥٤١ ، وطبقات ابن المعتز ٩٦ - ٩٩ ، والجرح والتعديل ، لابن أبي حاتم ، عبد الرحمن بن محمد بن بن إدريس الرّازي - تحقيق : عبد الرحمن المعلمي اليماني - حيدر آباد ١٣٧٣ هـ ٣ / ٣٨٠ ، وطبقات النّحويين / ٤٧ - ٥١ ، والفهرست المقالة الثانية الفن الأول ، ومعجم الأدباء ١١ / ٧٢ - ٧٧ ، والكامل ، لابن الأثير ٦ / ٥٠ ، وإنباه الرواة ١ / ٣٤١ - ٣٤٧ ، وتهذيب الأسماء واللغات ، يحيى بن شرف محيي الدين النّووي ، القاهرة ١ / ١٧٧ - ١٧٨ ، ووفيات الأعيان ٢ / ٢٤٤ - ٢٤٨ ٠

الكلام سَنَدٌ مُسَنَدٌ فَالسَّنَدُ كَقَوْلِكَ : ((عَبْدُ اللَّهِ رَجُلٌ صَالِحٌ)) فـ"عَبْدُ اللَّهِ" سَنَدٌ ، و " رَجُلٌ صَالِحٌ " مُسَنَدٌ إِلَيْهِ))^١ .

ونحو قوله : ﴿ جَاءَ الْحَقُّ ﴾^٢ ، من قوله ﷺ : ﴿ لَقَدْ ابْتَعُوا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ ﴾^٣ ، فالمسند " جَاءَ " ، والمسند إليه " الْحَقُّ " .

ونحو قوله : ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ﴾^٤ ، من قوله ﷺ : ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكْعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيَّمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾^٥ ، فالمسند " رَسُولٌ " ، والمسند إليه " مُحَمَّدٌ " .

فكل فعلٍ " مسند " ، وكل فاعلٍ " مسند إليه " ، وكل خبرٍ " مسند " ، وكل مبتدأٍ " مسند إليه " . ومثل الفاعل نائبه ، فهو " مسند إليه " ، كقوله : ﴿ قُضِيَ الْأَمْرُ ﴾^٦ ، من قوله ﷺ : ﴿ يَا صَاحِبِي السَّجْنِ أَمَا أَحَدُكُمْ فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَا الْآخِرُ فَيُصَلِّبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴾^٧ .

ومثل المبتدأ اسم كان ، كقوله : ﴿ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾^٨ ، من قوله ﷺ : ﴿ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾^٩ ، واسم " إِنَّ " كقوله ﷺ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾^{١٠} . ومثل الخبر خبر " كَانَ " ، وخبر " إِنَّ " فهو مسند كما تقدّم .

^١ لسان العرب (سند) ٦ / ٣٨٩ .

^٢ سورة التوبة / ٤٨ .

^٣ سورة التوبة / ٤٨ .

^٤ سورة الفتح / ٢٩ .

^٥ سورة الفتح / ٢٩ .

^٦ سورة يوسف / ٤١ .

^٧ سورة يوسف / ٤١ .

^٨ سورة النساء / ١٧ .

^٩ سورة النساء / ١٧ .

^{١٠} سورة البقرة / ١٧٣ .

وما سوى المسند والمسند إليه يُسمَّى فضلة في الكلام - عند أهل البلاغة - ، ولا يعني جواز حذفه دائماً ، بل قد تتوقف صحّة الكلام عليه ، كقوله ﷺ : ﴿ لَا تَقْرُبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى ﴾^١ ، علماً بأنّ هذه الجملة حالية ، وهي فضلة^٢ .

الإسناد عند النحاة :

هو ضم إحدى الكلمتين إلى الأخرى على وجه الإفادة التامة ، أي على وجه يحسن السكوت عليه .
 أوهو إثبات شيء لشيء ثم نفيه عنه ، أو طلبه منه ، وهو العلامة التي دلّت على أنّ المسند إليه اسم^٣ .
 وهو انضمام كلمة المسند إلى المسند إليه على وجه يفيد الحكم بإحدهما على الأخرى ثبوتاً أو نفيّاً^٤ .
 وهو ضمّ كلمة أو ما يجري مجراها إلى أخرى ، بحيث يفيد أنّ مفهوم إحدهما ثابت لمفهوم الأخرى ، أو منفي عنه ، وصدقه مطابقته للواقع وكذبه عدمها ، وقيل صدقه مطابقة للاعتقاد وكذبه عدمها^٥ .

^١ سورة النساء / ٤٣ .

^٢ ينظر : تيسير البلاغة ، أحمد قلاش ، تحقيق : صفوان داوي - ط ٢ ، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م / ١٤ - ١٥ .

^٣ يُنظَر : المطوّل / ١٧٩ ، ويُنظَر : النحو الوافي ١ / ٢٨ .

^٤ يُنظَر : شرح الرّضي على الكافية ١ / ٨ ، والمطوّل / ١٧٩ ، وجواهر البلاغة ، للسيد أحمد الهاشمي - ضبط وتدقيق وتوثيق : د. يوسف الصميلي - المكتبة العصرية - صيدا بيروت - الطبعة الأولى ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م / ٤٨ . ٥١ ، وعلم المعاني / ٤٨ ، وعلوم البلاغة / ٤٥ .

^٥ يُنظَر : التعريفات ، علي بن محمد بن علي الجرجاني - دار الكتاب العربي - بيروت - الطبعة الأولى - ١٤٠٥ هـ - تحقيق : إبراهيم الأبياري / ٤٣ ، والمطوّل / ١٧٩ ، وشرح التلخيص ، سعد الدّين التّنزاني ، وإبن يعقوب المغربي ، وبهاء الدّين السبكي - ط ٢ ، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م - مؤسّسة دار البيان العربي - ودار الهادي - بيروت - لبنان / ١ / ١٩٠ - ١٩٢ ، الطّراز ٣ / ٢٥١ - ٢٥٢ ، وحاشية المنياوي على شرح الدمنهوري لمتن الجوهر المكنون في المعاني والبيان والبدیع ، ط . دار احياء الكتب العربية / ٣٤ ، التّعريف ١ / ٦٥ ، وعلوم البلاغة / ٤٥ ، وعلم المعاني دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني ، بسيوني عبد الفتاح فيود ، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع ، القاهرة ، دار المعالم الثقافية للنشر والتوزيع الإحساء ٢ / ٣٣ .

قال السكاكي - رحمه الله - : أن فنون الاعتبارات الرجعة إلى الخبر لا تزيد على ثلاثة :

١. فن يرجع إلى حكم : أي الرجوع إلى الحكم في التركيب من حيث هو حكم ، من غير التعرض لكونه لغوياً ، أو عقلياً ؛ فإن ذلك وظيفة بيانية ، فكون التركيب تارة غير مكرر ، ومجرداً عن لام الابتداء ، وإن المشبهة ، والقسم ، ولامه ، ونوني التأكيد ، ك نحو : ((زيدٌ عارفٌ)) ، وأخرى مكرراً ، أو غير مكرراً ، ك نحو : ((عرفت عرفت)) ، و ((لزيدٌ عارفٌ)) ، و ((أن زيداً عارفٌ)) ، و ((أن زيداً لعارفٌ)) ، و ((والله لقد عرفت)) ، أو ((لأعرفن)) في الإثبات وفي النفي ، كون التركيب غير مكرراً ، ومقصوراً على كلمة النفي مرةً ، ك نحو ((ليس زيدٌ منطلقاً)) ، و ((ما زيدٌ منطلقاً)) ، و ((لا رجلٌ عندي)) ، ومرةً مكرراً ، ك نحو ((ليس زيدٌ منطلقاً ، ليس زيدٌ منطلقاً)) ، وغير مقصوراً على كلمة النفي ك نحو ((ليس زيدٌ بمنطلق)) ، و ((ما إن يقوم زيدٌ)) ، و ((والله ما زيدٌ قائماً)) ، فهذه ترجع إلى نفس الإسناد الخبري .

٢. فن يرجع إلى المحكوم له ، ((وهو المسند إليه)) ، أي في التركيب من حيث هو مسند إليه ، من غير التعرض لكونه حقيقة ، أو مجازاً ، فككونه محذوفاً ، كقولك : ((عارفٌ)) ، وأنت تريد ((زيدٌ عارفٌ)) ، أو ثابتاً معرفاً من أحد المعارف ، وستعرفها مصحوباً بشيءٍ من التوابع ، أو غير مصحوب ، مقروناً بفصل أو غير مقرون ، أو منكراً مخصوصاً أو غير مخصوص ، مقدماً على المسند أو مؤخراً عنه .

٣. فن يرجع إلى المحكوم به ، ((وهو المسند)) : من حيث هو مسنداً أيضاً ، فكونه متروكاً أو غير متروك ، وكونه مفرداً أو جملة ، وفي أفراد من كونه فعلاً أو اسماً ، منكراً أو معرفاً ، مقيداً كل من ذلك بنوع قيد ، أو غير مقيد ، وفي كونه جملة من كونها اسمية ، أو فعلية ، أو ظرفية ، أو شرطية ، وكونه مقدماً أو مؤخراً ، هذا إذا كانت الجملة الخبرية مفردة .

أما إذا انتظمت مع أخرى ، فيقع إذ ذاك اعتبارات سوى ما ذكر .

٤. فنَّ يرجع إلى مقتضى الحال : الكلام لا يتَّضح الكلام إلا بالتَّعَرُّض لمقتضى الحال^١ .^٢

ومقتضى الحال يختلف باختلاف المقام ؛ فإنَّ مقامات الكلام متفاوتة ، فمقام التَّشكُّر يباين مقام الشُّكَاية ، ومقام التَّهْنئة يباين مقام التَّعزية ، ومقام التَّرهيب ، ومقام الجد يباين مقام الهزل ، ومقام التَّنكير يباين مقام التَّعريف ، ومقام التَّهْنئة يباين مقام التَّعزية ، ومقام المدح يباين مقام الذَّم ، ومقام الإطلاق يباين مقام التَّقييد ، ومقام التَّقديم يباين مقام التَّأخير ، ومقام الذِّكر يباين مقام الحذف ، ومقام القصر يباين مقام خلافه ، ومقام الفصل يباين مقام الوصل ، ومقام الإيجاز يباين مقام الإطناب والمساواة ، وكذا خطاب الذِّكي يباين خطاب الغبي ، ولكلِّ كلمة مع صاحبها مقام ، ولكلِّ حدٍّ ينتهي إليه الكلام مقام ، وارتفاع شأن الكلام في الحسن والقبول بمطابقته للاعتبار المناسب ، وانحطاطه بعدم مطابقته له^٣ .

فمقتضى الحال هو الاعتبار المناسب ، وهذا - أعني تطبيق الكلام على مقتضى الحال - هو الذي يسمِّيه الشَّيخ عبد القاهر^٤ - رحمه الله - (بـ النِّظْم) ، حيث

^١ مقتضى الحال هو الكلام الكلي المشتمل على الخصوصية ، ومطابقة الكلام لذلك المقتضى كون الكلام الجزئي الصادر من المتكلم الملقى للمخاطب المشتمل على الخصوصية من أفراد ذلك الكلام الكلي الذي يقتضيه الحال ، فإن ذلك المقتضى صادق عليه ، فقولنا " أن محمداً في المسجدِ " مؤكداً جزئي من جزئيات ذلك الكلام الكلي الذي يقتضيه الحال ، الذي هو الإنكار المقتضى لكلام مؤكد بمطلق تأكيد لا بتأكيد مخصوص ، فقولنا " أن محمداً في المسجدِ " مطابق له . مفتاح العلوم / ٨٠ . بتصرف .

^٢ يُنظَر : مفتاح العلوم / ٨٠ .

^٣ يُنظَر : مفتاح العلوم / ٨٠ - ٨١ ، و الإيضاح في علوم البلاغة ١ / ٤٢ - ٤٤ .

^٤ الجُرْجَانِي ، شيخُ العربيَّة ، أبو بكر ، عبدُ القاهر بن عبد الرَّحْمَنِ الجُرْجَانِي . أخذ النحو بجرَّجان عن أبي الحسين محمد بن حسن ابن أخت الأستاذ أبي علي الفارسي . وصنَّف شرحاً حافلاً « للإيضاح » ، يكون ثلاثين مجلداً ، وله « إعجاز القرآن » ضخماً ، و « مختصر شرح الإيضاح » ، ثلاثة أسفار ، وكتاب « العوامل المائة » ، وكتاب « المفتاح » ، وفسر الفاتحة في مجلد ، وله « العمدة في التَّصريف » ، و « الجمل » ، وغير ذلك . وكان آية في النحو . تُوفي - رحمه الله - سنة إحدى وسبعين وأربعمئة . يُنظَر : سير أعلام

النُّبلاء ١٨ / ٤٣٢ ، دول الإسلام ٢ / ٢٤٣ ، و بغية الوعاة ٢ / ١٠٦ .

يقول : ((النَّظْمُ تَأْخِي مَعَانِي النَّحْوِ فِيمَا بَيْنَ الْكَلَامِ عَلَى حَسَبِ الْأَغْرَاضِ الَّتِي يَصَاحُ لَهَا الْكَلَامُ))^١ .

فالبلاغة صفة راجعة إلى اللفظ باعتبار إفادته المعنى عند التركيب ، وقد صرح بذلك عبد القاهر الجرجاني في مواضع من دلائل الإعجاز بأن فضيلة الكلام للفظ لا لمعناه ، وقد حكى قول من ذهب إلى عكس ذلك فقال : ((فأنت تراه لا يقدم شعراً حتى يكون قد أودع حكمة ، أو أدبا أو اشتمل على تشبيه غريب ، ومعنى نادر))^٢ . ثم قال : ((والأمر بالضد إذا جننا إلى الحقائق ، وما عليه المحصلون لأننا لا نرى متقدماً في علم البلاغة مبرزاً في شأوها إلا وهو ينكر هذا الرأي)) ، ثم نقل عن الجاحظ^٣ في ذلك كلام منه قوله : ((والمعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي والقروي والبدوي^٤ ، وإنما الشأن في إقامة الوزن ، وتخير اللفظ وسهولة المخرج ، وصحة الطبع ، وكثرة الماء ، وجودة السبك))^٥ . ثم قال : ((ومعلوم أن سبيل الكلام سبيل التصوير والصيانة ، وأن سبيل المعنى الذي يعبر عنه سبيل الشيء الذي يقع التصوير فيه ، كالفضة والذهب يصاغ منها خاتم ، أو سوار ، فكما أنه محال إذا أردت النظر في صوغ الخاتم ، وجودة العمل وردائه أن تنظر إلى الفضة الحاملة لتلك الصورة ، أو الذهب الذي وقع فيه ذلك العمل ، كذلك محال إذا أردت أن تعرف مكان الفضل والمزية في الكلام أن تنظر في مجرد معناه ، وكما لو فضلنا خاتماً على خاتم بأن تكون فضة هذا أجود ، أو فضة ذاك أنفس ، لم يكن ذلك تفضيلاً له من حيث هو خاتم ، كذلك ينبغي إذا فضلنا بيتاً على بيت من أجل معناه أن لا يكون ذلك تفضيلاً له من حيث هو شعر وكلام))^٦ .

^١ دلائل الإعجاز ، لأبي بكر عبدالقاهر بن عبدالرحمن بن محمد الجرجاني - دار الكتاب العربي - بيروت - الطبعة الأولى - ١٩٩٥ م - المحقق : د. محمد التتجي / ٧٧ .

^٢ أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكناي بالولاء الليثي ، الشهير بالجاحظ لأن عينيه كانتا جاحظتين ، من جحظت عينه أي خرجت مقلته أو عظمت ، وُلِدَ حوالي سنة تسع وخمسين ومائة هجرية في البصرة ، كبير أئمة الأدب ، أحد شيوخ المعتزلة ، وتلميذ النظام ، رئيس الفرقة الجاحظية من المعتزلة ، توفي - رحمه الله - في سنة خمس وخمسين ومائتين هجرية . يُنظَرُ : إرشاد الأريب ٦ / ٥٦ ، و أمراء البيان ، لمحمد عبد الرزاق كرد علي - دمشق ١٩٣٧ م / ٣١١ ، و والأعلام ٥ / ٧٤ .

^٣ يُنظَرُ : الحيوان ٣ / ٣٤٠ ، والصناعتين / ٥٥ .

^٤ دلائل الإعجاز / ١٩٧ .

هذا لفظه ، وهو صريح في أنّ الكلام من حيث هو كلام لا يوصف بالفضيلة باعتبار شرف معناه ، ولا شك أنّ الفصاحة من صفاته الفاضلة فلا تكون راجعة إلى المعنى ، وقد صرح فيما سبق بأنّها راجعة إلى المعنى دون اللفظ .
فالجمع بينهما بما قدمناه يحمل كلامه حيث نفى أنّها من صفات اللفظ على نفي أنّها من صفات المفردات^١ من غير اعتبار للتركيب ، وحيث أثبت أنّها من صفاته على أنّها من صفاته باعتبار إفادته المعنى عند التركيب^٢ .

المسند إليه

هو اللفظ الذي نسب إلى صاحبه فعل شيء ، أو عدمه ، أو طلب منه ذلك ، ولا يكون إلا اسماً . و هو الفاعل ، أو نائب الفاعل ، أو المبتدأ الذي له خبر ، أو ما أصله المبتدأ كاسم كان وأخواتها ، واسم " إن " ، وأخواتها ، والمفعول الأول لـ " ظن " وأخواتها أو المفعول الثاني لأرى وأخواتها^٣ .

المسند

هو الشيء الذي حصل ووقع ، أو لم يحصل ولم يقع ، أو طلب حصوله . و هو الفعل التام ، أو المبتدأ المكتفي بمرفوع ، أو خبر المبتدأ ، أو ما أصله خبر المبتدأ كخبر كان وأخواتها ، وخبر إن وأخواتها ، والمفعول الثاني لظن وأخواتها ، والمفعول الثالث لأرى وأخواتها ، أو المصدر الثالث من فعل الأمر^٤ .

^١ أي المفردة عن اعتبار إفادة المعاني - وهي الخصوصيات - وليس المراد التي هي غير مركبة .

^٢ يُنظر : إيضاح البلاغة / ١ / ٤١ - ٤٦ .

^٣ يُنظر : مفتاح العلوم / ٨٠ ، والإيضاح / ٣٩ ، والنحو الوافي / ١ / ٢٨ .

^٤ يُنظر : المفتاح / ٨٠ ، ٩٢ ، ودلائل الإعجاز / ١٣٦ - ١٣٥ . الإيضاح / ، وجواهر البلاغة / ٤٨ . ٥١ .

علم المعاني / ٤٨ ، والنحو الوافي / ١ / ٢٨ .

قيود الجملة

هي أدوات الشَّرط ، وأدوات النَّفي ، وحروف الجرِّ ، والمفاعيل الخمسة : (المفعول به ، والمفعول المطلق ، والمفعول فيه ، والمفعول لأجله ، والمفعول معه ، والحال ، والتَّمييز) ، والتَّوابع الأربعة : (النَّعت ، والعطف ، والتَّوكيد ، والبدل)^١ .

نخلص ممَّا سبق أنَّ الكلام إنَّما يتحقق بالإسناد الذي يتحقق بالمسند إليه والمسند فقط ، وهما إمَّا كلمتان ، أو ما يجري مجراهما ، وما عداهما من الكلمات التي ذكرت في الكلام خارجة عن حقيقة الكلام عارضة لها .

^١ علم المعاني / ٤٩ ، ١٢١ ، يُنظر : جواهر البلاغة / ٤٨ .

أقسام الجمل

الجملة الاسمية ، والجملة الفعلية

يقول النحاة : إنَّ الجملة ثلاثة أنواع ، وهي :

- الأولى : الجملة الأصلية : وهي التي تقتصر على ركني الإسناد (المبتدأ مع خبره ، أو ما يقوم مقام الخبر ، أو تقتصر على الفعل مع فاعله ، أو ما ينوب عن الفعل) .
- الثانية : الجملة الكبرى : وهي ما تتركب من مبتدأ خبره جملة اسمية أو فعلية .
- الثالثة : الجملة الصغرى : وهي الجملة الاسمية ، أو الفعلية إذا وقعت إحداها خبراً لمبتدأ^١

وتنقسم الجملة الأصلية إلى قسمين رئيسيين هما : الجملة الاسمية والجملة الفعلية

، وهو الذي ذهب إليه ابن الحاجب^٢ ، وابن مالك^٣ .

^١ ينظر : النحو الوافي ١ / ١٦ .

^٢ أبو عمرو عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس جمال الدين ابن الحاجب ، فقيه مالكي من أئمة النحويين ، ولد في أسنا من صعيد مصر سنة سبعين وخمسائة من الهجرة ، وتوفي - رحمه الله - في الإسكندرية سنة ست وأربعين وستمائة من الهجرة ، درس على الشاطبي ، ومحمد الغزنوي . علم بالجامع الأموي بدمشق ، من مؤلفاته " الكافية " ، في النحو ، و " الشافية " في الصرف ، و " مختصر المنتهى في الأصول " . يُنظر : سير أعلام النبلاء ٢٣ / ٢٦٤ ، ٢٦٦ ، وتذكرة الحفاظ ، لمحمد بن أحمد بن عثمان الذهبي - تحقيق : عبد الرحمن المعلمي اليماني - حيدر آباد ١٣٧٧ هـ / ٤ / ١٤٥٩ ، والعبر ٥ / ١٧٥ ، والوافي بالوفيات ٨ / ١٦٧ ، والنجوم الزاهرة ٦ / ٣٥٤ ، وطبقات الحفاظ ، لعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي - حلب / ١٥٠٦ ، الدارس في تاريخ المدارس ، للنعمي ١ / ١١١ ، وشذرات الذهب ٥ / ٢١٨ .

^٣ يُنظر : أسرار العربية ، لأبي البركات بن الأنباري ، عبد الرحمن بن أبي الوفاء محمد بن عبيدالله بن أبي سعيد ، ط ١ ، دار الجيل - بيروت ، ١٩٩٥ م ، تحقيق : د. فخر صالح قدارة / ٨٢-٨٦ ، ومغني اللبيب / ٤٩٢ - ٤٩٧ ، وموصل الطلاب / ٣٢ - ٣٥ و النحو الوافي ١ / ١٦ ، والنحو العربي ، شواهد ومقدماته ، د. أحمد ماهر البكري - مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع - إسكندرية - ١٩٨٨ م / ١٤٢ - ١٤٣ ، والنحو الشافي ، د. محمود حسني مغالسة ، مؤسسة الرسالة ط ٣ ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م / ١٩ ، وموسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم ، محمد علي التهوني ، تقديم وإشراف ومراجعة د. وفيق العجم ، تحقيق د. علي دحروج ، مكتبة لبنان ناشرون / ٥٧٦ .

أولاً : الجملة الاسمية

هي التي صدرها اسم صريح ، أو اسم مؤول ، أو وصف رافع لمكتف به .
فالجملة الاسمية المصدرية باسم صريح ، نحو قوله ﷺ : ﴿ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا ﴾^١ ، فـ « أَصْحَابُ » مبتدأ مرفوع ، وهو مضاف ، و « الْجَنَّةِ » مضاف إليه مجرور ، وهو مضاف ، و « يَوْمَئِذٍ » ظرف أضيف إلى مثله ، وهو متعلق بـ « خَيْرٌ » ، و « خَيْرٌ » خبر « أَصْحَابُ » ، وهو اسم تفضيل ، أو لمجرد الوصف ، و « مُسْتَقَرًّا » تمييز منصوب .

ونحو جملة ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ من قوله ﷺ : ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾^٢ ، فلفظ الجلالة ﴿ اللَّهُ ﴾ مبتدأ مرفوع ، وخبره ﴿ نُورُ السَّمَاوَاتِ ﴾ .

والجملة الاسمية المصدرية باسم مؤول نحو جملة : ﴿ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ ﴾^٣ ، من قوله ﷺ : ﴿ أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامَ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾^٤ ، أي : " صومكم خير لكم " .

والجملة الاسمية المصدرية بوصف رافع لمكتف به نحو : ((أقاتم الزيدان)) عند من جوزه ، وهو الأخفش^٥ ، والكوفيون^٥ ، أو اسم فعل نحو قوله ﷺ : ﴿ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴾^١ . ((اسم للفعل ، وهو خبر واقع موقع بعد . وفي فاعله وجهان :

^١ سورة الفرقان / ٢٤ .

^٢ سورة النور / ٣٥ .

^٣ سورة البقرة / ١٨٤ .

^٤ سورة البقرة / ١٨٤ .

^٥ الأخفش الأصغر هو علي بن سليمان بن الفضل ، المعروف بالأخفش الأصغر . أبو المحاسن . عالم بال نحو ، روى عن المبرد وثلثه وغيرهما ، وروى عنه المرزباني وغيره ، وكان ثقة . وهو غير الأخفش الأكبر والأخفش الأوسط . كان بينه وبين الشاعر ابن الرومي منافسة . أقام الأخفش بمصر من سنة ٢٨٧هـ إلى سنة ٣٠٠هـ وقصد بعد ذلك حلبا ثم عاد إلى بغداد وتوفي فيها وهو ابن ثمانين عاما سنة خمس عشرة وثلاثمائة من

أحدهما : هو مضمر ، تقديره : " بعد التصديق لما توعدون " ، أو " الصحة " ، أو " الوقوع " ، ونحو ذلك .

والثاني : فاعله " ما " واللام زائدة : أي : " بعد ماتوعدون من البعث " .

وقال قوم : ﴿ هَيْهَاتَ ﴾ بمعنى البعد فموضعه مبتدأ ، و ﴿ لِمَا تُوعَدُونَ ﴾ الخبر ، وهو ضعيف ، و ﴿ هَيْهَاتَ ﴾ على الوجه الأول لا موضع لها ، وفيها عدة قراءات الفتح بلا تنوين على أنه مفرد ، وبالتنوين على إرادة التأكيد ، وبالكسر بلا تنوين ، وبتنوين على أنه جمع تانيث ، والضم بالوجهين شبه " بقبل " ، و " بعد " ، ويقرأ " هيهاه " بالهاء وقفاً ووصلاً ، ويقرأ " أيهاه " بإبدال الهمزة من الهاء الأولى))^٢ .

وإذا دخل عليها حرف فلا يغير التسمية سواء غير الإعراب دون المعنى ، نحو :

جملة : ﴿ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ من قوله ﷻ : ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخَنزِيرِ وَمَا أُهْلَ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾^٣ ، فهذه تظل جملة اسمية مهما دخل عليها الحرف الناسخ ، فغير إعرابها .

ومثلها إذا دخل عليها الفعل الناسخ نحو جملة ﴿ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ من

قوله ﷻ : ﴿ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾^٤ .

ونحو جملة ﴿ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ من قوله ﷻ : ﴿ دَرَجَاتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً

وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾^٥ .

ونحو جملة ﴿ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ من قوله ﷻ : ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي

ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾^٦ .

الهجرة . من تصانيفه : شرح كتاب سيبويه وكتاب الأنواء والمهذب . ينظر كتاب البداية والنهاية لسنة ٣١٥ هـ ، وفيات الأعيان ٣ / ٣٠١ . إنباه الرواة ٢ / ٢٧٦ . معجم الأدباء ٥ / ٢٢٠ . الفهرست / ١٢٣ . العبر ٢ / ١٦٢ . تاريخ الأدب العربي لفروخ ٢ / ٣٩٣ . الأعلام ٥ / ١٠٣ .

^١ سورة المؤمنين / ٣٦ .

^٢ إملاء ما من به الرحمن ، لإبي البقاء عبدالله بن الحسين العكبري ، دار الفكر ط ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م /

٤٤٥ .

^٣ سورة البقرة / ١٧٣ .

^٤ سورة النساء / ١٧ .

^٥ سورة النساء / ٦٩ .

^٦ سورة الأعراف / ٦١ .

ونحو جملة ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾ من قوله ﷻ : ﴿ وَمَا نُنزِّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾^١ .

ونحو جملة : ﴿ مَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْفَرَى ﴾ من قوله ﷻ : ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْفَرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمَمٍ رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْفَرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ ﴾^٢ .

ونحو جملة : ﴿ كَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴾ من قوله ﷻ : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لِيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴾^٣ .

فهذه جمل اسمية سبقت بأفعال ناقصة " ناسخة " ، فلم تغيّر تسميتها بل بقيت جمل اسمية^٤ .

أم غير - الحرف الدّاخل عليها - المعنى دون الإعراب ، نحو جملة : ﴿ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ ؟ ﴾ من قوله ﷻ : ﴿ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ ﴾^٥ .

وجملة : ﴿ هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ ؟ ﴾ من قوله ﷻ : ﴿ فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ ﴾^٦ .

وجملة : ﴿ هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ ﴾ من قوله ﷻ : ﴿ قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ ﴾^٧ . فهذه

جملة اسمية ، وإن دخلت عليها الحروف وغيّرت معناها دون إعرابها .

^١ مريم / ٦٤ .

^٢ القصص / ٥٩ .

^٣ سورة الفرقان / ٢٠ .

^٤ وعدّها بعض العلماء من الجمل الفعلية ، والصّحيح أنّها من الاسميّة ، قال الأستاذ محمود مغالسة : ((واعلم أنّه يدخل ضمن الجملة الاسميّة ما كان مصدرًا بـ " كان " وأخواتها ، نحو ، " أصبح " ، " أمسى " ، وما كان مصدرًا بأفعال المقاربة ، والرجاء ، والشروع ، نحو : " طفق " ، " شرع " ، " عسى " ؛ ذلك لأنّها ليست أفعالاً حقيقية تامّة ، وإلاّ لاكتفت بفاعل ، وهي تأخذ اسماً ، وخبراً هما في الأصل مبتدأ وخبر ، فأصل الجملة إذن جملة اسميّة)) النّحو الشّافي / ٢٠ .

وقال مثل ذلك البقري ، وعدّها من الجمل الاسميّة ، فقال : ((لا يعتبر الفعل النّاسخ ، أو النّاقص في

بيان نوع الجملة)) النّحو العربي / ١ / ١٤٣ .

^٥ سورة الشعراء / ٣٩ .

^٦ سورة الشعراء / ٢٠٣ .

^٧ سورة الصّافات / ٥٤ .

أم غير المعنى والإعراب معاً ، نحو جملة : ﴿ مَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ من قوله ﷻ : ﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾^١

ونحو جملة ﴿ مَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴾ من قوله ﷻ : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴾^٢ .

أم لم يغير المعنى ، ولا الإعراب ، نحو جملة : ﴿ مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ ﴾ من قوله ﷻ : ﴿ مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾^٣ ، ونحو جملة : ﴿ مَا أَنْتَ بِنِعْمَةٍ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴾ من قوله ﷻ : ﴿ مَا أَنْتَ بِنِعْمَةٍ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴾^٤ .

ثانياً : الجملة الفعلية

هي التي صدرها فعل سواء أكان الفعل ماضياً ، نحو قوله ﷻ : ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾^٦ ، أو مضارعاً نحو قوله ﷻ : ﴿ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ﴾^٧ ، أو أمراً نحو قوله ﷻ : ﴿ وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زُرْعًا ﴾^٨ ، وسواء أكان الفعل متصرفاً نحو قوله ﷻ : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴾^٩ ، أو كان الفعل جامداً نحو قوله ﷻ : ﴿ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾^{١٠} ، وسواء أكان الفعل تاماً ، نحو قوله ﷻ : ﴿ إِنَّا

^١ سورة هود / ١٢٣ .

^٢ سورة فصلت / ٤٦ .

^٣ سورة الشعراء / ١٥٤ .

^٤ سورة القلم / ٢ .

^٥ يُنظَر : أسرار العربية / ٨٢ - ٨٦ ، ومغني اللبيب / ٤٩٢ - ٤٩٧ ، المحيط في أصول العربية ؛ نحوها ، وصرفها / ١ / ٣١٢ ، وموصل الطلاب / ٣٢ - ٣٣ ، والنحو الوافي / ١ / ١٦ ، والنحو العربي ، شواهد و مقدماته / ١٤٢ ، والنحو الشافي / ٢٠ ، وموسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم / ٥٧٦ .

^٦ سورة الفجر / ٢٢ .

^٧ سورة الرعد / ٢٣ .

^٨ سورة الكهف / ٣٢ .

^٩ سورة إبراهيم / ٢٤ .

^{١٠} سورة ص / ٣٠ .

سَخَرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإشْرَاقِ ﴿١﴾ ، أو كان الفعل ناقصاً^٢ ، نحو قوله ﷻ : ﴿ مَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلِهَا مُصْلِحُونَ ﴾^٣ . وسواء أكان الفعل مبيناً للفاعل نحو قوله ﷻ : ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾^٤ ، أو مبيناً للمفعول نحو قوله تعالى : ﴿ قَتَلَ الْخُرَاصُونَ ﴾^٥ ، ولا فرق في الفعل أن يكون مذكوراً مثل : ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾^٦ ، أو محذوفاً مثل : ﴿ يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا ﴾^٧ ، أي أدعو زكريا ، فحذف أدعو ، لأنَّ حرف النداء ، نائب عنه ، أو تقدّم معموله عليه مثل : ﴿ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾^٨ ، أو ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾^٩ ، فتقدّم المفعول على فعله لغرض بلاغي^{١٠} .

وهناك جملة مزيج بين الجملتين - الاسمية ، والفعلية - مثل قولك : « هل قادم الرجال ؟ » ، فإذا قلنا : « الرجال قادمون » كانت الجملة اسمية ، وإذا قلنا : « قديم الرجال » كانت الجملة فعلية ، أمّا قولك : « هل قادم الرجال ؟ » ، فطرفها الأول " المسند " يلقب بـ " المبتدأ " ، وطرفها الثاني " المسند إليه " يلقب بـ " الفاعل " ، ويقال بأنَّ الفاعل هنا سدّ مسدّ الخبر وأغنى عنه ، وأنَّ المبتدأ سدّ مسدّ الفعل وأغنى عنه^{١١} . وقد اشترط له

^١ سورة ص / ١٨ .

^٢ وخالف في ذلك كثير من العلماء منهم البكري في كتابه النحو العربي ١ / ١٤٣ ، وعدّها من الجمل الاسمية ، وقال : لا يعتبر الفعل النَّاسِخ ، أو النَّاقِص في بيان نوع الجملة ، وهذا الذي أراه صحيحاً ، والله اعلم .

^٣ هود / ١١٧ .

^٤ سورة النور / ٣٠ .

^٥ سورة الذّاريات / ١٠ .

^٦ سورة النور / ٣٠ .

^٧ سورة مريم / ٨ .

^٨ سورة البقرة / ٨٧ .

^٩ سورة الفاتحة / ٥ .

^{١٠} يُنظَر : أسرار العربية / ٨٦ ومابعدھا ، ومغني اللبيب / ٤٩٢ - ٤٩٧ ، المحيط في أصول العربية ؛ نحوھا وصرفھا ١ / ٣١١ ، وموصل الطلاب / ٣٣ - ٣٥ ، و النّحو الوافي ١ / ١٦ ، والنّحو العربي ، شواهدہ و مقدماتہ / ١٤٢ - ١٤٣ ، والنّحو الشّافي / ١٩ ، وموسوعة كتّاف اصطلاحات الفنون والعلوم / ٥٧٦ .

^{١١} يُنظَر : المحيط في أصول العربية / ١ / ٣١٢ - ٣١٣ .

البصريون - عدا الأخفش - أن يكون مبتدأه معتمداً على نفي أو استفهام ؛ ليقوى فيه معنى الفعلية ، لأن الاستفهام والنفي لا ينصبان إلا على الأحداث ، أما الكوفيون ، ومعهم الأخفش - من البصريين - ، فقد جوزوا أن يقال : « قادم الرجال » بغير اعتماد على نفي أو استفهام ، وجوزه سيبويه أيضاً على ضعف^١ .

واختلف النحاة في إعراب أسماء الأفعال : قال الأخفش - وتابعه جمهور النحاة - : ((هي أسماء لا محل لها من الإعراب)) . وقال سيبويه : ((اسم الفعل مبتدأ سدّ فاعله سدّ الخبر)) .

وقال : ((اسم الفعل مفعول مطلق لفعل محذوف من معناه ، فتقديره قولك : « هيهات السفر » ، « بعداً بعداً السفر » ، وعلى هذا المذهب تكون الجملة فعلية ، لا اسمية ؛ لأن اسم الفعل ليس صدرًا فيها ، بل الصدر هو الفعل المحذوف)) .
وأضاف بعض النحاة قسامين آخرين للجملة ، وهي : الجملة الظرفية ، و الجملة الشرطية^٢ .

^١ يُنظر : المحيط في أصول العربية / ١ / ٣١٣ .

^٢ يُنظر : أسرار العربية / ٨٣ . ٨٤ ، والمغني / ١ / ٤٩٢ . ٤٩٤ ، وهمع الهوامع : ١ / ٥٠ .

الجملة الظرفية

فهي : ((المصدرة بظرف ، أو بحرف جرّ ، نحو « أعندك زيد ؟ » ، و « أفي الدار زيد » ، إذا قدرّت " زيداً " فاعلاً بالظرف أو المجرور ، لا بالاستقرار المحذوف^١ ، ولا مبتدأ مخبراً عنه بهما^٢)) ، وقد اختلف النحويون فيها إلى قسمين : قسم يعدّها من الجمل ، و قسم آخر يعدّها من المفردات .

أولاً : أنّها من الجمل

القسم الأول : يعدّها من الجمل ، على ثلاثة آراء هي :

١. رأي سيبويه وجماعة من النحويين : أنّها من الجمل ؛ لأنّهم يقدّرون معها الفعل نحو : « زيدٌ عندك » ، و « عمرٌ في الدار » ، فيكون التقدير : زيد استقرّ عندك ، وعمر استقرّ في الدار ، وهؤلاء لا يعدّونها جملة مستقلة ، وإنّما يضمّونها إلى الجملة الفعلية .
٢. وذهب بعض النحويين : إلى أن قدرّوا المرفوع مبتدأ ، أو مرفوعاً بمبتدأ محذوف تقديره " كائنٌ " ، أو " مستقرٌّ " ، فيعدّونها جملة اسمية ، ذات خبر في الأولى ، وذات فاعل مغن عن الخبر في الثانية .

٣. وذهب آخرون إلى أنّها جملة ظرفية ، وزعموا أنّ المرفوع فاعلاً بالظرف ، أو بالجار والمجرور ، لا بالاستقرار المحذوف ، ولا مبتدأ مخبراً عنه بهما ، ومثّل الزمخشريّ لذلك بـ " في الدار " في قولك : « زيدٌ في الدار » ، وهو مبنيٌّ على أنّ الاستقرار يقدّر فعل ، لا اسم ، وعلى أنّه حذف وحده ، وانتقل الضمير إلى الظرف بعد أن عمل فيه .

ثانياً : أنّها من المفردات

^١ لأنّها حينئذٍ جملة فعلية ، والظرف متعلّق بالفعل .

^٢ همع الهوامع : ١ / ٥٠ .

القسم الثاني : ذهب هذا الفريق إلى أنّ الظرف وحرف الجر يعدّان من المفردات ؛ لأنّه يقدرّ معهما مستقرٌّ ، وهو اسم الفاعل ، واسم الفاعل لا يُكوّن مع الضمير جملة .
 وقد رجّح ابن أبي الوفاء في كتابه أسرار البلاغة رأي سيبويه ومن تابعه ، فقال :
 ((والصحيح ما ذهب إليه سيبويه ، ومن تابعه ، والدليل على ذلك أنّا وجدنا الظرف ،
 وحرف الجرّ يقعان في صلة الأسماء الموصولة ، نحو : ” الذي ” ، و ” التي ” ، و ”
 من ” ، و ” ما ” ، وما أشبه ذلك ، تقول : « الذي عندك زيدٌ » ، و « الذي في الدار عمروٌ
 » ، و معلوم أنّ الصلّة لا تكون إلا جملة ، فإذا وجدناهم يصلون بهما الأسماء الموصولة
 دلّنا ذلك على أنّهما يعدّان من الجمل ، لا من المفردات ، وأنّ التقدير استقرّ دون مستقرّ
 ؛ لأنّ استقرّ يصلح أن يكون صلة لأنّه جملة ، و مستقرّ لا يصلح أن يكون صلة ؛ لأنّه
 مفرد))^١ .

ويتّضح من كل ما سبق أنّ الظرف ، و حرف الجرّ لا يعدّان جملة ظرفية ،
 وإنّما يكونان من ضمن الجمل الفعلية ، على تقدير حذف الفعل ((استقرّ)) .

الجملة الشرطية

زادها الرّمخشريّ و غيره ، ورجّح ابن هشام أنّها من قبيل الجملة الفعلية فقال :
 في كتابه مغني اللبيب : ((وزاد الرّمخشريّ وغيره الجملة الشرطية ، والصواب أنّها من
 قبيل الفعلية))^٢ .

وهي ما تشتمل على أداة الشرط ، سواء أكانت مركّبة من فعليتين ، نحو جملة :
 ﴿ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ ﴾ من قوله ﷺ : ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ
 فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ
 وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴾^٣ ، ونحو : « إِنْ تُكْرِمَنِي أَكْرَمَكَ » ، أو من شرطيتين معنى ،
 نحو : إِنْ كَانَ مَتَى كَانَ زَيْدٌ يَكْتُبُ ، فهو يُحرّك يده لم يكتب ، وقولنا ” معنى ” إشارة إلى
 أنّ الشرط لا يجوز أن يكون جملة شرطية لفظاً ؛ لأنّهم لا يوالون بين حرفي الشرط ، فإن

^١ أسرار البلاغة ، بن أبي الوفاء / ٨٣ .

^٢ مغني اللبيب / ٤٩٢ .

^٣ سورة الحجرات / ٧ .

أرادوا ذلك أدخلوا عليه " كَانَ " ، وأسندوه إلى ضمير الشأن ، وجعلوا الشرطية خبره ، فتكون الجملة فعلية لفظاً ، وشرطية معنى^١ .

ملاحظة : المقصود بصدر الجملة - فيما سبق - ما هو صدر في الأصل ، أي : المسند و المسند إليه أيهما كان صدرًا في الأصل ، فلا عبرة بما تقدّم عليهما من الحروف ، كهزمة الاستفهام ، والحروف المشبهة ، ونحو ذلك ، فإنّ هذه الأسماء متأخرة في النية^٢ . فالجمل الآتية : كما وردت في الآيات التالية : ﴿ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ ﴾^٣ ، و ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾^٤ ، و ﴿ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾^٥ ، و ﴿ خُشَعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ ﴾^٦ ، جمل فعلية لأنّ هذا الأسماء في نية التأخير ، وإنّما قدّمت لأغراض بلاغية ، وكذا الجمل نحو قوله ﷺ : ﴿ يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا ﴾^٧ ، و نحو قوله ﷺ : ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ ﴾^٨ ، و نحو قوله ﷺ : ﴿ وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا ﴾^٩ ، و نحو قوله ﷺ : ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى ﴾^{١٠} ، لأنّ صدرها في الأصل أفعال ، و التقدير : " أدعو زكريّا " ، و « إن استجاركَ أحدٌ » ، و « خلق الأنعام » ، و « أقسم » ، و « اللّيل »^{١١} .

نستنتج من كلّ ما سبق أنّ الأصل في الجمل نوعان : جمل فعلية ، وجمل اسمية ، وما التّقسيمات الأخرى إلا لغرض التّبسيط ، قال الزّمخشري : «الأصل أن يكون الجمل على ضربين ؛ اسمية وفعلية» ، وإليه ذهب ابن الحاجب ، وصاحب اللّباب ، وابن

^١ يُنظَر : موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم / ٥٧٧ .

^٢ يُنظَر : مغني اللّبيب / ٤٩٢ ، والعباب .

^٣ سورة غافر / ٨١ .

^٤ سورة الفاتحة / ٥ .

^٥ سورة البقرة / ٨٧ .

^٦ سورة القمر / ٧ .

^٧ سورة مريم / ٧ .

^٨ سورة التوبة / ٦ .

^٩ سورة النحل / ٥ .

^{١٠} سورة اللّيل / ٩ .

^{١١} يُنظَر : مغني اللّبيب / ٤٩٢ . ٤٩٣ ، وهمع الهوامع / ١ / ٥٠ .

مالك ، وإليه ذهب صاحب النحو الوافي ؛ حيث قال - عند ذكره للمركب الإسنادي - بأنه يتركب إمّا من جملة فعلية ؛ من فعل مع فاعله أو مع نائب فاعله ، وإمّا من جملة اسمية ؛ من مبتدأ مع خبره^١ .

وتحقيق ذلك ما وقع في " العباب " ؛ من أنّ هذا التقسيم إقناعي ؛ لتفهم المخاطب ، وإلّا فهي على الحقيقة على ضربين ؛ اسمية وفعلية ، إلا أنّ الشرط لما خالف الظاهر من حيث جري الجملة فيه مجرى المفرد في امتناعها من أن تستقل بنفسها عدت مفرداً ، والظرف لما كان فيه إضمار الفعل ملتزماً ، وناب هو عن الفعل في احتمال ضميره ، وقيامه مقامه صار في حكم ما ليس من الفعل في شيء^٢ .

قد تكون الجملة محتملة للاسمية والفعلية والظرفية ، ومن أمثلة ذلك : « ما رأيته مذُ يومانِ » ، فإنّ تفسيره عند الأخفش ، والرّجّاج^٣ : بيني وبين لقائه يومانِ ، وعند أبي بكر ، وأبي علي الفارسي : أمّد انتقاء الرؤية يومان ، وعليهما ، فالجملة اسمية لا محلّ لها من الإعراب ، و " منذ " خبر على الأوّل ، ومبتدأ على الثاني .

^١ يُنظَر : النحو الوافي / ٢٠٧ .

^٢ موسوعة كشّاف اصطلاحات الفنون والعلوم / ٥٧٧ .

^٣ الرّجّاج الإمام ، نحويّ زمانه ، أبو إسحاق ، إبراهيم بن محمّد بن السّريّ الرّجّاج البغدادي . مصنّف كتاب : « معاني القرآن » ، وله تأليف جمّة . لزم المبرّد ، فكان يعطيه من عمل الرّجّاج كلّ يوم درهماً ، فنصّحه وعلمه . ثمّ أدب القاسم بن عبيد الله الوزير ، فكان سبب غناه ، ثمّ كان من نُدماء المعتضد . مات - رحمه الله - سنة إحدى عشرة وثلاثمائة ، وقيل : مات في تاسع عشر جمادى الآخرة سنة عشرة . وله كتاب : « الإنسان وأعضائه » ، وكتاب : « الفرس » ، وكتاب : « العروس » ، وكتاب : « الاشتقاق » ، وكتاب : « النّوادر » ، وكتاب : « فعلت وأفعلت » . وكان عزيزاً على المعتضد ، له رزق في الفقهاء ، ورزق في العلماء ، ورزق في النّدماء ، نحو ثلاثمائة دينار . أخذ عنه العربية أبو عليّ الفارسيّ ، وجماعة . يُنظَر : طبقات النّحويين واللّغويين / ١١١ - ١١٢ ، والفهرست / ٩٠ - ٩١ ، وتاريخ بغداد / ٦ / ٨٩ - ٩٣ ، والأنساب / ٢٧٢ / أ ، ونزهة الألباء / ٢٤٤ - ٢٤٦ ، والمنتظم / ٦ / ١٧٦ - ١٨٠ ، ومعجم الأدباء / ١ / ١٣٠ - ١٥١ ، والكامل في التّاريخ / ٨ / ١٤٥ ، وأنباه الرّواة / ١ / ١٥٩ - ١٦٦ ، و تهذيب الأسماء واللّغات / ٢ / ١٧٠ - ١٧١ ، ووفيات الأعيان / ١ / ٤٩ - ٥٠ ، وسير أعلام النبلاء / ٤ / ٣٦٠ ، والعبر / ٢ / ١٤٨ ، ودول الإسلام / ١ / ١٨٨ ، والوفاي بالوفيات / ٥ / ٣٤٥ - ٣٥٠ ، ومرآة الجنان / ٢ / ٢٦٢ ، والبلغة في تاريخ أئمّة اللّغة / ٥ - ٦ ، والنّجوم الرّاهرة / ٣ / ٢٠٨ ، وبغية الوعاة / ١ / ٤١١ - ٤١٣ ، ومفتاح السّعادة / ١ / ١٣٤ - ١٣٥ ، وشذرات الذهب / ٢ /

وقال الكسائي^١ وجماعة : المعنى " مُذْ كان يومان " ، فـ " مُذْ " ظرف لما قبلها ، وما بعدها جملة فعلية حُذِفَ فعلها ، وهي في محلِّ خفضٍ .

وقال آخرون المعنى من الزَّمن الذي هو يومان ، ومذ مركبة من حروف الابتداء ، وذو الطائفة واقعة على الزَّمن ، وما بعدها جملة اسمية ، وحذف مبتدأها ، ولا محل لها من الإعراب ؛ لأنها صلة^٢ .

^١ الكسائي الإمام ، شيخ القراءة والعزية ، أبو الحسن علي بن حمزة ، ابن عبد الله ، بن بهمن ، بن فيروز الأسدي ، مولاهم الكوفي ، الملقب بالكسائي لكسائه أحرم فيه . كان الكسائي ذا منزلة رفيعة عند الرشيد ، وأدب ولده الأمين ، ونال جاهاً وأموالاً . ومات - رحمه الله - بالرِّيِّ بقرية أرنبوية سنة تسع وثمانين ومائة من الهجرة عن سبعين سنة ، وفي تاريخ موته أقوال ، فهذا أصحها . وله عدة تصانيف منها : « معاني القرآن » ، وكتاب في القراءات ، وكتاب « النوار الكبير » ، ومختصر في النحو ، وغير ذلك . يُنظَر : التاريخ الكبير ٦ / ٢٦٨ ، والتاريخ الصغير ، لمحمد بن إسماعيل البخاري - تحقيق : محمود إبراهيم زايد - دار الوعي والتراث - حلب ، ١٩٧٧ م ٢ / ٢٤٧ ، والمعارف / ٥٤٥ ، والجرح والتعديل ٦ / ١٨٢ ، ومراتب النحويين / ٧٤ - ٧٥ ، وطبقات النحويين / ١٣٨ - ١٤٢ ، والفهرست / ٢٩ ، وتاريخ بغداد ١١ / ٤٠٣ ، والمقتبس ٢٨٣ - ٢٩١ ، والأنساب ١٠ / ٤١٩ ، ونزهة الألباء / ٦٧ - ٧٥ ، ومعجم الأدياء ١٣ / ١٦٧ ، ٢٠٣ ، وإنباه الرواة ٢ / ٢٥٦ ، ووفيات الأعيان ٣ / ٢٩٥ ، وتاريخ بغداد ٢ / ١٧ ، وسير أعلام النبلاء ٩ / ١٣١ ، ودول الإسلام ١ / ١٢٠ ، والعبير ١ / ٣٠٢ ، ومراة الجنان ١ / ٤٢١ - ٤٢٢ ، والبداية والنهاية ١١ / ٢٠١ - ٢٠٢ ، وتهذيب التهذيب ، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني - حيدر آباد ١٣٢٥ هـ ٧ / ٣١٣ - ٣١٤ ، وغاية النهاية ١ / ٥٣٥ ، والنجوم الزاهرة ٢ / ١٣٠ ، وبغية الوعاة ٢ / ١٦٢ - ١٦٥ ، وطبقات المفسرين / ٣٩٩ ، وشذرات الذهب ١ / ٣٢١ ، ومعرفة القراء الكبار ، لمحمد بن أحمد بن عثمان الذهبي - تحقيق : محمد سيد جاد الحق - القاهرة ١٩٦٧ م ١ / ١٠٠ - ١٠٧ .

^٢ موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم / ٥٧٧ .

الجملة الخبرية الصغرى ، والجملة الخبرية الكبرى

تنقسم الجملة الخبرية من حيث الوصفية إلى جملة صغرى وكبرى^١ :
قسّم ابن هشام الجملة إلى جملة صغرى وجملة كبرى ، وقسّم الكبرى إلى قسمين
جملة ذات وجه ، وجملة ذات وجهين وإليك بيان ذلك :

الجملة الخبرية الصغرى

هي المبنية على المبتدأ ، أي المخبر بها عن مبتدأ في الأصل أو في الحال ،
اسمية كانت ، أو فعلية مثل جملة « اللّهُ رَبِّي » فهي خبر للمبتدأ " هو " - ضمير الشأن -
في قوله : ﴿ لَكِنَّا هُوَ اللّهُ رَبِّي وَلَا نُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ﴾^٢ ، فتقدير الكلام : لكنّ أنا هو الله ربي

• وجملة « قام أبوه » فهي خبر لزيد في جملة ((زيد قام أبوه)) •

الجملة الخبرية الكبرى

هي التي خبرها جملة ، سواء أكانت جملة اسمية ، أو جملة فعلية مثل جملة ﴿ لَكِنَّا هُوَ اللّهُ رَبِّي ﴾ ، فـ « لَكِنَّا » : الأصل : ((لكن أنا)) ، فألقت حركة الهمزة المحذوفة
على النون ، وأدغمت النون في النون ، والجيد حذف الألف في الوصل ، وإثباتها في
الوقف ؛ لأنّ ((أنا)) كذلك ، والألف فيه زائدة لبيان الحركة ، و ((أنا)) مبتدأ ، و ((هو))
أي : ضمير الشأن ، مبتدأ ثانٍ ، و لفظ الجلالة ((اللّهُ)) مبتدأ ثالث ، و ((رَبِّي)) الخبر ،
والياء عائد على المبتدأ الأوّل ، ولا يجوز أن تكون ((لكنّ)) المشددة العاملة نصباً ، إذ لو

^١ يرى ابن هشام أنّ الصحيح أن نقول في " فعلى " " أفعل " بـ " أل " أو بالإضافة ، لا أن نقول " كبرى " و " صغرى " ، ويتخرّج ما قلناه أعلاه على تقدير حذف المضاف إليه ، والمعنى كبرى الجمل ، وصغرها • يُنظَر :
مغني اللبيب ١/ ٤٩٧ . ٤٩٨ ، والنحو العربي ، شواهد و مقدمات / ١٤٣ ، وموسوعة كشاف اصطلاحات

الفنون والعلوم / ٥٧٨ •

^٢ سورة الكهف / ٣٨ •

كان كذلك لم يقع بعدها ((هُوَ)) ؛ لأنه ضمير مرفوع ، ويجوز أن يكون اسم الله بدلاً من ((هُوَ))^١ ، و « زَيْدٌ قَامَ أَبُوهُ » ، و « ظَنَنْتُ زَيْدًا يَقُومُ أَبُوهُ » .

وقد تكون الجملة صغرى وكبرى باعتبارين مثل جملة ﴿ هُوَ اللَّهُ رَبِّي ﴾ من قوله ﷺ : ﴿ لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي ﴾ بتقدير ﴿ هُوَ ﴾ ضمير الشأن ، فأصل الكلام ((لَكِنَّا أَنَا هُوَ اللَّهُ رَبِّي)) ، فجملة ﴿ هُوَ اللَّهُ رَبِّي ﴾ جملة صغرى ؛ لأنها وقعت خبر عن ((أَنَا)) ، وكبرى كونها تكون من مبتدأ « هو » - ضمير الشأن - وخبره جملة ﴿ اللَّهُ رَبِّي ﴾ جملة صغرى .

ومثل جملة : « أَبُوهُ غَلَامُهُ مَنْطِقٌ » من قولك : « زَيْدٌ أَبُوهُ غَلَامُهُ مَنْطِقٌ » ، فهي كبرى كونها تكون من مبتدأ (أبوه) وخبره جملة وغلامه منطلق (جملة صغرى) ، وتعتبر صغرى كونها خبر للمبتدأ (زيد) في جملة الكلام « زَيْدٌ أَبُوهُ غَلَامُهُ مَنْطِقٌ »^٢ .

انقسام الكبرى إلى ذات وجه ، وذات وجهين

تنقسم الجملة الخبرية الكبرى إلى قسمين هما :

١. جملة كبرى ذات وجهين : هي اسمية الصدر فعلية العجز ، نحو : « زَيْدٌ يَقُومُ أَبُوهُ » .
أوفعلية الصدر اسمية العجز ، نحو : « ظَنَنْتُ زَيْدًا أَبُوهُ قَائِمٌ » .
٢. جملة كبرى ذات وجه : هي اسمية الصدر اسمية العجز ، نحو : « زَيْدٌ أَبُوهُ قَائِمٌ » . أو فعلية الصدر فعلية العجز ، نحو : « ظَنَنْتُ زَيْدًا يَقُومُ أَبُوهُ »^٣ .

^١ يُنْظَرُ : إعراب القرآن ٤ / ٤٩٣ .

^٢ يُنْظَرُ : مغني اللبيب / ٤٩١ . ٥٠٠ ، شرح قطر الندى / ١٩٦ . ١٩٧ ، ورسالة المباحث المرضية ، ملحق المحقق د. مازن المبارك / ٥٤ ، وموصل الطلّاب / ٣٣ . ٣٦ ، والنحو الوافي / ١٦ ، والنحو العربي ، شواهد ومقدمات / ١٤٣ ، والمطالع السعيدة / ١ / ٦٤ ، وهمع الهوامع / ١ / ٥١ .

^٣ يُنْظَرُ : مغني اللبيب / ٥٠٠ - ٥٣٦ ، وموصل الطلاب إلى قواعد الإعراب / ٤٨ - ٦٩ ، والنحو العربي / ١٦١ - ١٦٨ ، والنحو الشافي / ٥٤٨ - ٥٥٠ / ٥٥٣ - ٥٥٦ ، والكامل في النحو / ٢٢٢ - ٢٢٥ ، وجامع الدروس العربية ، الشيخ مصطفى غلابيني ، مراجعة وتفتيح د. عبد المنعم خفاجة ، منشورات المكتبة العصرية ، صيدا - بيروت ط ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م ، ج ٣ ، ٣ / ٢٨٥ - ٢٨٩ .

المبحث الثاني

إعراب الجملة الخبرية

تنقسم الجملة الخبرية من حيث الإعراب إلى قسمين هما :

١. الجمل التي لا محلَّ لها من الإعراب .
٢. الجمل التي لها محلَّ من الإعراب .

أولاً - الجمل الخبرية التي لا محل لها من الإعراب :

وهي الجمل التي لا تُؤوَّل بمفرد ، و هي سبع جمل عند ابن هشام ؛ حيث عدَّ الجملة الابتدائية ، والجملة الاستئنافية جملة واحدة ، وكذا الجملة التعليلية ، والجملة التفسيرية ، وهنا سنجعلها تسعاً زيادة في التوضيح :

١. الجملة الابتدائية .
٢. الجملة الاستئنافية .
٣. الجملة التعليلية .
٤. الجملة التفسيرية .
٥. الجملة المعترضة بين شيئين .
٦. الجملة المجاب بها القسم .
٧. الجملة الواقعة جواباً لشرط غير جازم مطلقاً ، أو جازم ، ولم تقترن بالفاء ، ولا بإذا الفجائية .
٨. الجملة الواقعة صلة لاسم أو حرف .
٩. الجملة التابعة لما لا محلَّ له^١ .

^١ يُنظَر : مغني اللبيب / ٥٠٠ - ٥٣٦ ، وموصل الطُّلاب / ٤٨ - ٦٩ ، والتَّحْو العري ، شواهد و مقدمات / ١٦١ - ١٦٨ ، والمطالع السعيدة / ١ / ٦٤ ، وموسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم / ٥٧٨ - ٥٨٠ .

لقد بدأت بالجملة التي لا محل لها من الإعراب ؛ لأنها لم تحل محلّ المفرد ، و ذلك هو الأصل في الجملة ، وها هو تفصيل الجملة التي لا محل لها من الإعراب :

الجملة الأولى : الجملة الخبرية الابتدائية^١

هي الواقعة في مبتدأ الكلام اسمية كانت أو فعلية^٢ ، نحو جملة ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ من قوله ﷻ : ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾^٣ ، فالجملة الاسمية : ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ من المبتدأ وخبره ابتدائية ، لا محل لها من الإعراب .

ونحو الجملة الاستفهامية في قوله ﷻ : ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثٌ ضَلَفَ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ﴾^٤ ، فهي جملة ابتدائية ، لا محل لها من الإعراب .
ومنها الجملة المفتحة بها السور ، نحو جملة ﴿أَقْتَرِبْ﴾ من قوله ﷻ : ﴿أَقْتَرِبْ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ﴾^٥ ، فهي جملة فعلية ، ابتدائية لا محل لها من الإعراب .

ونحو قوله ﷻ : ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾^٦ ، فهي جملة اسمية ، ابتدائية لا محل لها من الإعراب .

^١ عدَّ بعض العلماء ، ومنهم ابن هشام الجملة التي لا محل لها من الإعراب سبعا ، بحيث يجعل الجملة الابتدائية ، والاستثنائية شيئا واحداً ، وكذا التعليلية والتفسيرية ، وأرى أنّ التفريق أولى لزيادة الإيضاح . يُنظر : جامع الدروس العربية ٣ / ٢٨٧ . والنحو الشافي / ٥٤٨ .

^٢ يعدُّ كثير من العلماء الجملة الابتدائية ، والاستثنائية جملة واحدة ، ومنهم ابن هشام ، وواقفه من المتأخرين الكثير منهم الأزهري ، والبكري .

^٣ سورة النور / ٣٥ .

^٤ سورة الداريات / ٢٤ .

^٥ سورة الأنبياء / ١ .

^٦ سورة الكوثر / ١ .

ونحو جملة ((خَفَّ القَطِينُ)) في قول الأخطل^١ :

خَفَّ القَطِينُ ، فراحوا منك ، أو بَكَروا وأزَعَجَتْهُمُ نَوَى في صَرَفِهَا غَيْرُ^٢

فجملة ((خَفَّ القَطِينُ)) لا محل لها ؛ لأنها ابتدائية^٣ .

الجملة الثانية - الجملة الخبرية المنقطعة عما قبلها ((الاستنافية))

و هي التي تكون في أثناء الكلام منقطعة عما قبلها ، لاستئناف كلامٍ جديدٍ^٤ ، مثل جملة ﴿ فَمَنْ بَدَلَهُ بَعْدَمَا سَمِعَهُ ﴾ من قوله ﷺ : ﴿ فَمَنْ بَدَلَهُ بَعْدَمَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾^٥ ، ﴿ فَمَنْ ﴾ الفاء : استنافية ، والجملة مستأنفة مسوقة لذكر حكمٍ يتعلّق بالأوصياء ، والشهود ، و ﴿ مَنْ ﴾ اسم شرطٍ جازمٍ في محلِّ رفعٍ مبتدأ ، ﴿ بَدَلَهُ ﴾ فعل ماضٍ في محلِّ جزمٍ فعل الشرط ، ﴿ بَعْدَمَا سَمِعَهُ ﴾ بعد ظرف زمان ، وما مصدريةٌ منسبكة مع الفعل بعدها بمصدر مضاف إليه ، أي : بعد سماعه إيّاه ، وتحقُّقه منه ، والضمير يعود على الحكم ، ﴿ فَإِنَّمَا ﴾ الفاء رابطة لجواب الشرط ، و ﴿ إِنَّمَا ﴾ كائفة ، ومكفوفة ، و ﴿ إِثْمُهُ ﴾ مبتدأ مرفوع ، وهو مضاف ، والهاء ضمير متّصل مبني على الضمِّ في محلِّ جرٍّ مضاف إليه ، ﴿ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ ﴾ الجار والمجرور متعلّقان بمحذوف خبر ، وجملة ﴿ يُبَدِّلُونَهُ ﴾ لامحلّ لها ؛ لأنها صلة الموصول ، والجملة الاسمية : ﴿ إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ ﴾ في محلِّ جزمٍ جواب الشرط ، وفعل الشرط وجوابه في محلِّ

^١ هو غياث بن غوث بن الصلت بن طارقة بن عمرو، من بني تغلب، أبو مالك: شاعر، مصقول الألفاظ ، حسن النيباجة ، في شعره إبداع . ولد سنة تسعة عشر من الهجرة ، الموافق أربعين وستمائة للميلاد . اشتهر في عهد بني أمية بالشّام ، وأكثر من مدح ملوكهم . وهو أحد الثلاثة المتفق على أنهم أشعر أهل عصرهم : جرير ، والفرزدق ، والأخطل . نشأ على المسيحية ، في أطراف الحيرة (بالعراق) واتصل بالأمويين فكان شاعرهم ، وتهاجى مع جرير والفرزدق ، فتناقل الرواة شعره . له (ديوان شعر) توفي عام تسعين للهجرة ، الموافق ثمان وسبعمئة ميلادية .

^٢ البيت في ديوان الأخطل من البسيط وهو صدر قصيدة يمدح فيها عبد الملك بن مروان ، وختمها بقوله :

قد أقسم المجد حقاً لا يحالفهم حتى يحالف بطن الرّاحة الشّعرَ .

^٣ يُنظَر : مغني اللبيب / ٥٠٠ - ٥٠٦ ، وموصل الطُّلاب / ٤٨ - ٥٤ ، والنحو العربي ، شواهد و مقدماته /

١٦١ ، والمطالع السعيدة / ١ / ٦٤ ، وموسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم / ٥٧٨ .

^٤ يُنظَر : النحو الشّافي / ٥٤٨ .

^٥ سورة البقرة / ١٨١ .

رفع خبر ﴿ مَن ﴾ • وجملة ﴿ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ جملة اسمية مستأنفة ، مسوقة لوعيد المبدل •

وجملة ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ ﴾ من قوله ﷺ : ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْنُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾^١ ، فهي جملة فعلية استأنافية لا محل له من الإعراب ، مستأنفة مسوقة لتقرير حكم آخر يتعلّق بالأموال ، وطرق اكتسابها ، والواو استأنافية ، و ((لا)) نافية مبنية على السكون لا محل له من الإعراب ، و ﴿ تَأْكُلُوا ﴾ فعل مضارع مجزوم بـ ((لا)) الناهية ، وعلامة جزمه حذف النون ؛ لأنّه من الأفعال الخمسة ، و واو الجماعة ضمير متّصل مبني على السكون في محلّ رفع فاعل ، و ﴿ أَمْوَالَكُمْ ﴾ أموال مفعول به منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهر على آخره ، وهو مضاف ، والكاف ضمير متّصل مبني على الضمّ في محلّ جرّ مضاف إليه ، والميم للجمع • و ﴿ بَيْنَكُمْ ﴾ ظرف متعلّق بمحذوف حال من أموالكم ، أي : لا تأكلوها كائنة بينكم • و ﴿ بِالْبَاطِلِ ﴾ الجار والمجرور متعلّقان بتأكلوا ، أي : لا تتناولوها بسبب باطل •

ومن الجمل الاستأنافية جملة ﴿ وَقَاتِلُوا ﴾ من قوله ﷺ : ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾^٢ ، فالواو استأنافية ، والجملة مستأنفة مسوقة لبيان أحكام القتال •

ومن الجمل الاستأنافية جملة ﴿ وَأَتَّقُوا اللَّهَ ﴾ من قوله ﷺ : ﴿ الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَأَتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾^٣ ، فالواو استأنافية ، والجملة مستأنفة مسوقة للتّحذير من المبالغة في الانتقام ؛ لأنّ النفس مفطورة على حبّ المبالغة في الانتقام^٤ •

^١ سورة البقرة / ١٨٨ •

^٢ سورة البقرة / ١٩٠ •

^٣ سورة البقرة / ١٩٤ •

^٤ يُنظَر : إعراب القرآن وبيانه ١ / ٢٥٣ •

ومن الجمل الاستثنائية ﴿ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ ﴾ من قوله ﷺ : ﴿ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾^١ ، فهي جملة فعلية مستأنفة مسوقة لبيان علمه ﷺ وإطلاعه على ما لا يدخل تحت الوجود ، وهو تصوير عبادة في أرحام أمهاتهم .

ومن الجمل الاستثنائية جملة ﴿ سَاءَ ﴾ من قوله ﷺ : ﴿ سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنْفُسُهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ ﴾^٢ ، فجملة ﴿ سَاءَ ﴾ استثنائية مسوقة لبيان كمال قبح المكذبين بعد البيان السابق ، قال الألوسي^٣ - رحمه الله - في تفسير هذه الآية : ((﴿ سَاءَ مَثَلًا ﴾ استئناف مسوق لبيان كمال قبح المكذبين بعد البيان السابق ، و ﴿ سَاءَ ﴾ بمعنى بئس ، وفاعلها مضمر ، و ﴿ مَثَلًا ﴾ تمييز مفسر له ، ويستغني بتذكير التمييز ، وجمعه ، وغيرهما عن فعل ذلك بالضمير ، وأصلها التعدّي لواحد ، والمخصوص بالذمّ قوله ﷺ : ﴿ الْقَوْمَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا ﴾ ، وحيث وجب صدق الفاعل ، والتّمييز ، والمخصوص على شيء واحد ، والمثل مغاير للقوم لزم تقدير محذوف من المخصوص ، وهو الظاهر ، أو التّمييز ، أي : ساء مثلاً مثل القوم ، أو ساء أهل مثل القوم))^٤ .

^١ سورة آل عمران / ٦٠ .

^٢ سورة الأعراف / ١٧٧ .

^٣ أبو النّاء ، محمود بن عبد الله الألوسي البغدادي ، شهاب الدين ، الحنفي ، خاتمة المحققين ، وعمدة المدققين ، وإمام المفسرين ، ومفتي بغداد وعالمها في القرن الثالث عشر الهجري ، ولد سنة سبع عشرة ومائتين بعد الألف من الهجرة ، في جانب الكرخ من بغداد ، نبغ في العلوم من صغره ، ومن أهم مؤلفاته تفسيره " روح المعاني " خير تفسير ، وأجمعه ، وأوفاه ، وقد جمع فيه خلاصة أغلب كتب التّفسير قبله وحواشيها ، وله استدراقات قيّمة ، وتعبّات دقيقة لمن سبقه من العلماء . يُنظَر : الأعلام / ٧ / ١٧٧ ، وأعيان البيان / ٩٩ ، وأعلام العراق / ٢١ .

^٤ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم ، والسّبع المثاني ، للعلامة أبي الفضل شهاب الدّين السيّد محمود الألوسي البغدادي ، ضبطه وصحّحه علي عبد الباري عطية - دار الكتب العلميّة - بيروت - لبنان - الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م / ٩ / ١١٦ .

ونحو قوله ﷺ : ﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ * اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيصُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ ﴾^١ ،
فقوله ﷺ : ﴿ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾ جملة فيها ثلاثة أوجه إعرابية ، وهي :

١. جملة مستأنفة لا محل لها من الإعراب ، أي : ولكل قوم نبي هاد .
 ٢. أن المبتدأ محذوف تقديره : وهو لكل قوم هاد .
 ٣. تقديره : إنما أنت منذر ، وهاد لك قوم ، وفي هذا فصل بين حرف العطف ، والمعطوف^٢ .
- والشاهد هنا هو الوجه الأول .

وكذا قوله ﷺ : ﴿ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ ﴾ ، جملة استئنافية جواباً عن سؤال من يقول : لماذا لم يجابوا إلى المقترح - وهو قولهم : ﴿ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ ﴾ - ، فتقطع حجتهم ، ولعلمهم يهتدون ؟ بأن ذلك أمرٌ مدبرٌ ببالغ العلم ، ونافذ القدرة ، لا عن الجراف ، واتباع آرائهم السخاف^٣ .

ونحو قوله ﷺ : ﴿ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ * لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَىٰ وَيُقَذِفُونَ مِّن كُلِّ جَانِبٍ ﴾^٤ ، فجملة ﴿ لَا يَسْمَعُونَ ﴾ لا محل لها من الإعراب ؛ لأنها مستأنفة استئنافية نحويًا لا استئنافية بيانياً ، وهو ما كان جواباً عن سؤال مقدر ؛ لأنه لو قيل لأي شيء تحفظ من الشيطان ، فأجيب بأنهم ﴿ لَا يَسْمَعُونَ ﴾ لم يستقم ، فينبغي أن يكون كلاماً منقطعاً عما قبله ، وليست جملة ﴿ لَا يَسْمَعُونَ ﴾ صفة ثانية للنكرة ، وهي ﴿ شَيْطَانٍ ﴾ ، ولا حالاً منها مقدرة في المستقبل لوصفها بـ ﴿ مَّارِدٍ ﴾ ، وهو علة لتسويغ مجيء الحال من النكرة^٥ .

^١ سورة الرعد / ٧ - ٨ .

^٢ يُنظَر : إملاء ما من به الرحمن / ٣٥٧ .

^٣ يُنظَر : روح المعاني / ١٣ / ١٠٧ .

^٤ سورة الصافات / ٧ - ٨ .

^٥ يُنظَر : موصل الطلاب إلى قواعد الإعراب / ٤٩ .

قال الألوسي - رحمه الله - بعد أن فسّر هذه الآية وذكر أقوال العلماء فيها : ((والجملة^١ في المشهور مستأنفة استئنافاً نحويّاً ، ولم يُجوّز كونها صفة لشيطان ؛ قالوا إذ لا معنى للحفظ من شياطين لا تسمع ، أو لا تسمع مع إيهامه لعدم الحفظ عمّن عداها . وكذا لم يُجوّز كونها استئنافاً بيانياً واقعاً جواباً لسؤال مقدرّ إذ المتبادر أن يؤخذ السؤال من فحوى ما قبله ، فنقديره حينئذٍ ((لِمَ تُحْفَظ)) ، فيعود محذور الوصفية ، وكذا كونها حالاً مقدرّة ؛ لأنّ الحال كذلك يقدرها صاحبها ، والشياطين لا يقدرّون عدم السّماع ، أو عدم التّسمّع ولا يريدونه ، وجوّز ابن المنير^٢ كونها صفة ، والمراد حفظ السّموات ممّن لا يسمع ، أو لا يسمع بسبب هذا الحفظ ، وهو نظير ﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رَسُولَنَا ﴾^٣ ، ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمْ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾^٤))^٥ .

ثمّ نقل رأي صاحب الكشف في قوله ﴿ لَا يَسْمَعُونَ ﴾ حيث جوّز كونها صفة ، وكونها مستأنفة استئنافاً بيانياً ، فقال : ((وكذا جوّز صاحب الكشف كونها صفة ، وكونها مستأنفة استئنافاً بيانياً أيضاً ، ودفع المحذور ، وأبعد في ذلك المغزى كعادته في سائر تحقيقاته ، فقال : المعنى لا يُمكنون من السّماع مع الإصغاء ، أو لا يُمكنون من التّسمّع ؛ مبالغة في نفي السّماع ، كأنهم مع مبالغتهم في الطّلب لا يمكنهم ذلك ، ولا بدّ من ذلك جعلت الجملة وصفاً ، وجمعاً بين القراءتين وتوفية لحق الإصغاء المدلول عليه بالي وحينئذٍ يكون الوصف شديد الطّباق ؛ وردّ الاستئناف البياني وارد على تقدير السؤال لم تحفظ ؟ ، وليس كذلك ، بل السؤال عمّا يكون عند الحفظ ، وعن كفيته ؛ لأنّ قوله ﷻ : ﴿ وَحِفْظًا مِّنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ ﴾^٦ ممّا يحرك الدّهن له ، فقيل ﴿ لَا يَسْمَعُونَ ﴾ جواباً عمّا

^١ أي جملة ﴿ لَا يَسْمَعُونَ ﴾ .

^٢ أحمد بن محمد بن منصور أبو القاسم ، أبو العبّاس ابن المنير ، إماماً في النّحو ، والأدب ، والأصول ، والتّفسير ، وله يد طولى في علم البيان والإنشاء ، سمع منه أبو حيّان وغيره ، صنّف في التّفسير " الإنتصاف من صاحب الكشّاف " ، ومناسبات تراجم البخاري ، وغير ذلك . توفي - رحمه الله - سنة ثلاث وثمانين وستمئة هجرية . يُنظر : بغية الوعاة ١ / ٣٨٤ .

^٣ سورة المؤمنین / ٤٤ . الآية بكما لها ﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رَسُولَنَا تَنْزِيّاً كَلَّمَا جَاءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَنْبَغْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبَعْدًا لِّقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ .

^٤ سورة النحل / ١٢ .

^٥ روح المعاني ٢٣ / ٦٩ .

^٦ سورة الصّافات / ٧ .

يكون عنده ﴿ وَيُقَدِّفُونَ ﴾ لكيفية الحفظ ، وهذا أولى من جعلها مبدأ اقتصاص مستطرد لئلاً ينقطع ما ليس بمنقطع معنى انتهى . واستدقّه الخفاجي ، واستحسنه وذكر أنّ حاصله أنّه ليس المنفي هنا السماع المطلق حتى يلزم ما ظنّوه من فساد المعنى ؛ لأنّه لما تعدّى بالي وتضمن معنى الإصغاء ، صار المعنى ((حفظناها من شياطين لا نتصت)) لما فيها إنصاتا تاماً تضبط به ما تقوله الملائكة - عليهم السّلام - ومآله حفظناها من شياطين مستترقة للسّمع ، ٥٥ . وقيل : إنّ الأصل ((لأن لا يسمعوا)) على أنّ الجارّ متعلّق بحفظاً ، فحذفت اللّام كما في ((جئتك أن تكرمني)) ، ثمّ حذفت ((أن)) ورفع الفعل ٥٥ . وفيه أنّ حذف اللّام وحذف ((أن)) ورفع الفعل ، وإن كان كل منهما واقعاً في الفصيح ، إلا أن اجتماع الحذفين منكر يسان كلام الله تعالى عنه . وأبو البقاء يجوز كون الجملة صفة ، وكونها استئنافاً ، وكونها حالاً فلا تغفل)) ٥١ .

ونحو قولك : مات فلان - رحمه الله - ، وكقوله ﷺ : ﴿ وَلَا يَحْزُنُكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ ٢ ، فجملة ﴿ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً ﴾ ، مستأنفة لا محل لها من الإعراب ، وليست محكيّة بالقول حتى يكون لها محلّ ، وإنّما المحكي بالقول محذوف تقديره : إنّّه مجنون ، أو شاعر ، أو نحو ذلك ، وإنّما لم تجعل محكيّة بالقول لفساد المعنى ، إذ لو قالوا : إنّ العزة لله جميعاً لم يحزنه ، فينبغي للقارئ أن يقف على ﴿ قَوْلُهُمْ ﴾ ، وبيتدىء ﴿ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً ﴾ ، ونحو قوله ﷺ : ﴿ قُلْ سَأْتَلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ نِكْرًا * إِنَّا مَكْنَأ لَهُ فِي الْأَرْضِ ﴾ ٣ ، ونحو قوله ﷺ : ﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ ٤ ، فهذه جملة منقطعة عمّا قبلها ، لاستئناف كلام جديد .

ومن الجمل الاستأنافية جملة ﴿ مَا ءَامَنْتُ ﴾ من قوله ﷺ : ﴿ مَا ءَامَنْتُ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرِيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ﴾ ٥ ، فهي جملة مستأنفة لا محلّ لها من الإعراب ، مسوقة لتقرير كفرهم ، واستبعاد إيمانهم ، قال الألوسي - رحمه الله - في قوله ﷺ : ﴿ مَا ءَامَنْتُ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرِيَةٍ ﴾ : هذا ((كلام مستأنف مسوق لتكذيبهم فيما ينبيء عنه خاتمة مقالهم من

^١ روح المعاني ٢٣ / ٦٩ . ويُظنر : إملاء ما منّ به الرحمن / ٥٠١ .

^٢ سورة يونس / ٦٥ .

^٣ سورة الكهف / ٨٣ - ٨٤ .

^٤ سورة النحل / ٣ .

^٥ سورة الأنبياء / ٦ .

الوعد الضمني بالإيمان عند إتيان الآية المقترحة ، وبيان أنهم في اقتراح ذلك كالباحث عن حقه بظلمه ، وإن في ترك الإجابة إليه إبقاء عليهم ، كيف لا ؟ ولو أعطوا ما اقترحوه مع عدم إيمانهم قطعاً لاستئصلوا ؛ لجريان سنة الله تعالى ، شأنه في الأمم السالفة على استئصال المقترحين منهم إذا أعطوا ما اقترحوه ، ثم لم يؤمنوا ، وقد سبقت كلمته - سبحانه - أن هذه الأمة لا يعذبون بعذاب الاستئصال))^١ .

و نحو قوله ﷺ : ﴿ يُلْدُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴾^٢ ، فجملة ﴿ يُلْدُونَهُمْ ﴾ جملة منقطعة عما قبلها ، لاستئناف كلام جديد ؛ أي ينادي المنافقون المؤمنين ﴿ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ ﴾ ؛ أي في الظاهر ﴿ قَالُوا بَلَىٰ ﴾ ؛ أي كنتم معنا في الظاهر ، ﴿ وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ ﴾ ؛ أي عرَضتم أنفسكم للفتنة بنفاقكم ، ﴿ وَتَرَبَّصْتُمْ ﴾ ؛ أي بإيمانكم حتى وافيتم على الكفر ، أو تربصتم بالمؤمنين الدوائر ﴿ وَارْتَبْتُمْ ﴾ شككتم في أمر الدين ، ﴿ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ ﴾ وهي الأطماع ، مثل قولهم : ((سيهلك محمد هذا العام)) إلى غير ذلك ، أو طول الآمال في امتداد الأعمار ، ﴿ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ ﴾ وهو الموت على النفاق ، و﴿ الْغُرُورُ ﴾ : الشيطان بالإجماع^٣ .

وقد تقترن الجملة الاستئنافية بالفاء أو الواو الاستئنافية ، فاقترانها بالفاء ، نحو قوله ﷺ : ﴿ فَلَمَّا ءَاتَاهُمَا صَلَاحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا ءَاتَاهُمَا فَتَعَالَىٰ اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾^٤ ، ومن اقترانها بالواو الاستئنافية قوله ﷺ : ﴿ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ ، وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ ﴾^٥ .

الجملة الثالثة - الجملة الخبرية التعليلية

^١ روح المعاني ١٧ / ١١ .

^٢ سورة الحديد / ١٤ .

^٣ يُنظَر : البحر المحيط ، لأبي حيان ، محمّد بن يوسف الأندلسي - دراسة وتحقيق وتعليق : عادل أحمد عبد الموجود ، وعلي محمّد معوض ، وشارك في تحقيقه : د. زكريا عبد المجيد النوني ، و د. أحمد النجولي الجمل - منشورات محمّد علي بيضون - دار الكتب العلميّة - بيروت - لبنان / ٨ / ٢٢١ .

^٤ سورة الأعراف / ١٩٠ .

^٥ سورة آل عمران / ٣٦ .

وهي التي تقع في أثناء الكلام تعليلاً لما قبلها^١ ، مثل جملة ﴿يَأْتِيهِمْ﴾ من قوله ﷺ : ﴿ مَا يَأْتِيهِمْ مِّنْ ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِمْ مُّحَدَّثٍ إِلَّا اسْتَمْعَوْهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴾^٢ ، فهي جملة لا محل لها من الإعراب ؛ كونها تعليلية للجملة السابقة لها ﴿ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴾^٣ .

ومن الجمل التعليلية ، جملة ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ من قوله ﷺ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾^٤ ، فـ " إِنَّ " حرف توكيد ونصب مبني على الفتح ، لا محل له من الإعراب ، و ﴿ اللَّهُ ﴾ لفظ الجلالة اسم إن منصوب ، و ﴿ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ ((مع)) ظرف مكان متعلق بمحذوف خبر ، و ((الصَّابِرِينَ)) مضاف إليه ، وجملة ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ جملة اسمية تعليلية لا محل لها من الإعراب .

ومن الجمل التعليلية ، جملة ﴿ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ من قوله ﷺ : ﴿ فَمَنْ خَافَ مِنْ مَوْصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾^٥ ، فجملة ﴿ إِنَّ ﴾ واسمها ، وخبرها تعليلية ؛ لرفع الإثم ، لا محل لها من الإعراب .

ومن الجمل التعليلية ، جملة ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ من قوله ﷺ : ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقْتُلُونَكُم وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾^٦ ، فجملة ﴿ إِنَّ ﴾ واسمها ، وخبرها تعليلية ؛ لا محل لها من الإعراب .

ومن الجمل التعليلية ، جملة ﴿ إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾ من قوله ﷺ : ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾^٧ ، فالجملة الاسمية : ﴿ إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾ إن حرف توكيد ونصب ، والكاف ضمير متصل مبني على الفتح في محل نصب اسم ﴿ إِنَّ ﴾ ، و ﴿ أَنْتَ ﴾ مبتدأ ، أو ضمير فصل لا محل له من الإعراب ، و ﴿

^١ وكثير من العلماء يعدُّ الجملة التفسيرية والجملة التعليلية جملة واحدة ، ومنهم ابن هشام من القدماء ، ووافقهم

كثير من المتأخرين منهم الأستاذ محمود مغالسة ، والبكري .

^٢ سورة الأنبياء / ٢ .

^٣ سورة الأنبياء / ١ .

^٤ سورة البقرة / ١٥٣ .

^٥ سورة البقرة / ١٨٢ .

^٦ سورة البقرة / ١٩٠ .

^٧ سورة آل عمران / ٨ .

أَلُوْهَابُ ﴿﴾ خبر لـ ﴿أَنْتَ﴾ ، والجملة الاسميّة : ﴿أَنْتَ أَلُوْهَابُ ﴿﴾ في محلّ رفع خبر لـ ﴿إِنَّ﴾ ، ويحتمل أن يكون ﴿أَلُوْهَابُ ﴿﴾ خبر لـ ﴿إِنَّ﴾ والجملة الاسميّة ؛ من إنّ وما في حيّزها ﴿إِنَّكَ أَنْتَ أَلُوْهَابُ ﴿﴾ تعليليّة للدّعاء لا محلّ لها من الإعراب^١ .

ومن الجمل التعليليّة ، جملة ﴿إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمْتُ الْغُيُوبَ ﴿﴾ من قوله ﷺ : ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ لِيَعْسَى ابْنُ مَرْيَمَ أَعْنَتِ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعَلَّمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمْتُ الْغُيُوبَ ﴿﴾^٢ ، فالجملة الاسميّة ﴿إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمْتُ الْغُيُوبَ ﴿﴾ إنّ حرف توكيد ونصب ، والكاف ضمير متّصل مبني على الفتح في محل نصب اسم ﴿إِنَّ﴾ ، و ﴿أَنْتَ﴾ مبتدأ ، أو ضمير فصل لا محلّ له من الإعراب ، و ﴿عَلَّمْتُ﴾ خبر لـ ﴿أَنْتَ﴾ ، والجملة الاسميّة : ﴿أَنْتَ عَلَّمْتُ الْغُيُوبَ ﴿﴾ في محلّ رفع خبر لـ ﴿إِنَّ﴾ ، والجملة الاسميّة ؛ من إنّ وما في حيّزها ﴿إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمْتُ الْغُيُوبَ ﴿﴾ تعليليّة لا محلّ لها من الإعراب .

ومن الجمل التعليليّة ، جملة ﴿إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿﴾ من قوله ﷺ : ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿﴾^٣ ، فالجملة الاسميّة : ﴿إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿﴾ إنّ حرف توكيد ونصب ، والكاف ضمير متّصل مبني على الفتح في محل نصب اسم ﴿إِنَّ﴾ ، و ﴿أَنْتَ﴾ مبتدأ ، أو ضمير فصل لا محلّ له من الإعراب ، و ﴿السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿﴾ خبران لـ ﴿أَنْتَ﴾ ، والجملة الاسميّة : ﴿أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿﴾ في محلّ رفع خبر لـ ﴿إِنَّ﴾ ، ويحتمل أن يكون ﴿السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿﴾ خبران لـ ﴿إِنَّ﴾ والجملة الاسميّة ؛ من إنّ وما في حيّزها ﴿إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿﴾ تعليليّة لا محلّ لها من الإعراب .

ومن الجمل التعليليّة ، جملة ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿﴾ من قوله ﷺ : ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿﴾^٤ ، فـ ﴿إِنَّ﴾ حرف توكيد ونصب ، ولفظ الجلالة ﴿

^١ يُنظَر : إعراب القرآن وبيانه ١ / ٣٩٧ .

^٢ سورة المائدة / ١١٦ .

^٣ سورة آل عمران / ٣٥ .

^٤ سورة المائدة / ٥١ .

﴿اللَّهُ﴾ اسم إن منصوب ، و﴿لَا يَهْدِي﴾ لا نافية ، ويهدي فعل مضارع ، والفاعل ضمير مسستتر يعود على لفظ الجلالة ، و﴿الْقَوْمِ﴾ مفعول به منصوب ، و﴿الظَّالِمِينَ﴾ صفة لقوم منصوبة ، والجملة الاسمية : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ تعليلية ؛ لا محل لها من الإعراب .

ومن الجمل التعليلية ، جملة ﴿إِنَّ صَلَاتِكَ سَكَنَ لَهُمْ﴾ من قوله ﷺ : ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ﴾^١ ، فجملة ﴿إِنَّ﴾ واسمها ، وخبرها تعليلية ؛ لا محل لها من الإعراب .

وقد تقترن بفاء التعليل ، نحو قولك : ((تمسك بالفضيلة ، فإنها زينة العقلاء

((^٢ .

الجملة الرابعة : الجملة الخبرية التفسيرية

والجملتين التعليلية والتفسيرية جلة العلماء على أنهما شيء واحد ، ولكن أحببت التفصيل ، لمزيد الإيضاح ، ((وهي الفضلة الكاشفة لحقيقة ما تليه))^٣ ، أي : مفسرة لما قبلها ، وهي ثلاثة أقسام :

الأولى : مجردة من حرف التفسير

نحو جملة ﴿أَمَدُّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَيْنٍ﴾ من قوله ﷺ : ﴿وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدُّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ * أَمَدُّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَيْنٍ﴾^٤ ، فالجملة الفعلية ﴿أَمَدُّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَيْنٍ﴾ مفسرة للجملة السابقة ﴿اتَّقُوا الَّذِي أَمَدُّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ﴾ لا محل لها من الإعراب^١ .

^١ سورة التوبة / ١٠٣ .

^٢ يُنظَر : مغني اللبيب / ٥٢١ - ٥٢٧ ، موصل الطلاب / ٦٠ - ٦٥ ، وجامع الدروس العربية ٣ / ٢٨٧ ، النحو العربي ، شواهد ومقدماته / ١٦٢ - ١٦٣ ، والنحو الشافي / ٥٤٨ .

^٣ مغني اللبيب / ٥٢١ . ((الفضلة)) ضابط في التعريف احترازاً عن الجملة المفسرة لضمير الشأن ، فلها موضع من الإعراب . يُنظَر : النحو العربي ، شواهد ومقدماته / ١٦٢ .

^٤ سورة الشعراء / ١٣٢ - ١٣٣ .

ونحو جملة ﴿ تُوْمِنُونَ بِاللّٰهِ وَرَسُوْلِهِ ﴾ من قوله ﷺ : ﴿ هَلْ اَدْرٰكُمْ عَلٰى تَجْرِهٖ تَنْجِيْكُمْ مِّنْ عَذَابِ اَلِيْمٍ * تُوْمِنُونَ بِاللّٰهِ وَرَسُوْلِهِ وَتَجْهَدُوْنَ فِىْ سَبِيْلِ اللّٰهِ بِاَمْوَالِكُمْ وَاَنْفُسِكُمْ ذٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ اِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُوْنَ ﴾^٢ ، فالجملة الفعلية جملة تفسيرية للجملة قبلها ، لا محل لها من الإعراب .

ونحو قوله ﷺ : ﴿ قَالَ رَبِّ اِنِّىْ وَهَنْ اَلْعَظْمِ مِىَّى وَاَشْتَعَلَ الرَّاسُ شَيْبًا وَّلَمْ اَكُنْ بِدُعَايِكَ رَبًّا شَقِيًّا ﴾^٣ ، فجملة ﴿ قَالَ رَبًّا ﴾ جملة تفسير للنداء وبيان لكيفيته ، فلا محل لها من الإعراب .

والثانية : مقرونة بـ ((أي))

نحو قول الشاعر :

وَتَرْمِيْنِيْ بِالطَّرْفِ اَيُّ اَنْتَ مُذْنِبٌ وَتَقْلِيْبِيْ لَكِنَّ اِيَّاكَ لَا اَقْلِيْ^٤

والثالثة : مقرونة بأن

نحو جملة ﴿ اَنْ اَصْنَعَ اَلْفُلْكَ بِاَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا ﴾ من قوله ﷺ : ﴿ فَاَوْحَيْنَا اِلَيْهِ اَنْ اَصْنَعَ اَلْفُلْكَ بِاَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَاِذَا جَاءَ اَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُوْرُ فَاَسْلُكْ فِيْهَا مِنْ كُلِّ زَوْجِيْنَ اَنْثِيْنَ وَاَهْلِكَ اِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ اَلْقَوْلُ مِنْهُمْ وَّلَا تَخَاطَبَتِيْ فِى الَّذِيْنَ ظَلَمُوْا اِنَّهُمْ مُّعْرِضُوْنَ ﴾^٥ ، فهي جملة تفسيرية لا محل لها من الإعراب .

ونحو جملة ﴿ اِنَّ صَلٰوَتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ﴾ قوله ﷺ : ﴿ خُذْ مِنْ اَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ اِنَّ صَلٰوَتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَاَللّٰهُ سَمِيْعٌ عَلِيْمٌ ﴾^٦ ، فجملة ﴿ اِنَّ صَلٰوَتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ﴾ تفسيرية .

^١ يُنْظَرُ : إملاء ما من به الرحمن / ٤٦٥ .

^٢ سورة الصف / ١٠ - ١١ .

^٣ سورة مريم / ٤ .

^٤ لم أهد إلى قائله ، وهو في معاني القرآن ، للفرء : ٢ / ١٤٤ ، وخرزانه الأدب ، للبغدادى ٤ / ٤٩٠ ،

والهمع ١ / ١٤٨ ، والدرر ١ / ٢٠٧ .

^٥ سورة المؤمنین / ٢٧ .

^٦ سورة التوبة / ١٠٣ .

ويخالف بعض العلماء فيعدّوا الجملة المفسّرة بحسب ما تفسّره ؛ فإن كانت مفسّرة لجملة لا محلّ لها من الإعراب ، فهي لا محلّ لها من الإعراب ، وإن كانت مفسّرة لجملة لها محلّ لها من الإعراب ، فهي كذلك لها محلّ لها من الإعراب ، قال ابن هشام - رحمه الله - : ((قولنا : إنّ الجملة المفسّرة لا محلّ لها خالف فيه الشّلوّيين ^١ ، فزعم أنّها بحسب ما تفسّره ، فهي في نحو : « زيدا ضربته » لا محلّ لها ، وفي نحو : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ ^٢ ، ونحو : « زيد الخبز يأكله » بنصب " الخبز " ، ولهذا يظهر الرّفْع إذا قلت : " آكله " ، وقال ^٣ :

فَمَنْ نَحْنُ نُؤْمِنُهُ بَيْتٌ وَهُوَ آمِنٌ [وَمَنْ لَا نُجِزُهُ يَمَسُّ مِنَّا مَفْرَعًا]^٤

فظهر الجزم ، وكأنّ الجملة المفسّرة عنده عطف بيان ، أو بدل ، ولم يثبت الجمهور وقوع البيان ، والبدل جملة ، وقد بيّنت أنّ جملة الاشتغال ليست من الجمل التي تُسمّى في الاصطلاح جملة مفسّرة ، وإن حصل فيها تفسير ولم يثبت جواز حذف المعطوف عليه عطف البيان ، واختلف في المبدل منه ، وفي البغداديات لأبي علي أنّ الجزم في ذلك بأداة شرط مقدّرة ، فإنّه قال ما ملخصه : إنّ الفعل المحذوف ، والفعل المذكور في نحو قوله :

لَا تَجْرَعِي إِنْ مُنِيسًا أَهْلَكْتُهُ [وَإِذَا هَلَكْتُ فَعِنْدَ ذَلِكَ فَاجْرَعِي]^٥

^١ أبو علي عمر بن محمّد بن عبدالله المعروف بالشّلوّيين ، من أعلام المدرسة الأندلسية والمغربية في النّحو ، توفّي - رحمه الله - سنة خمس وأربعين وستمائة من الهجرة ، صنّف تعليقا على كتاب سيبويه ، وشرحين على الجزولية ، وله التّوطئة . تنظر ترجمته في : بغية الوعاة ٢ / ٢٢٤ - ٢٢٥ ، وإنباه الرّواة ٢ / ٣٣٢ - ٣٣٥ .

^٢ سورة القمر / ٤٩ .

^٣ هشام المرّي : وهو شاعر جاهليّ من بني ذبيان ، أحد شعراء الفخر والحماسة ، تفاخر بعظمة قبيلته ، وأنّ من يلجأ إليهم يكن آمنا مهما بلغ أعداؤه من قوّة ، ومن لا يشمل ذلك لا يفارقه الخوف والفرع .

^٤ البيت لهشام المرّي ، من بحر الطّويل ، والبيت هو من شواهد سيبويه . ينظر : الكتاب ٣ / ١١٤ ، الإنصاف / ٦١٩ ، وخرانة الأدب ولبّ لسان العرب ٣ / ٦٤٠ ، وهمع الهوامع ٢ / ٥٩ ، وشرح شواهد المغني / ٢٣٧ ، وقال البغدادي : ((وهو منسوب إلى مرّة بن كعب بن لؤي القرشيّ ، وهو شاعر جاهلي)) .

^٥ البيت للتمر بن تولب ، في ديوانه من بحر الكامل ، من قصيدة مطلعها :

قالت لتعدلني من الليل اسمع سفها تبيتك الملامة فاهجعي

مجزومان في التقدير ، وإنَّ انجزام الثاني ليس على البدلية ، إذ لم يثبت حذف المبدل منه ، بل على تكرير ” إنَّ “ ، أي : ” إنَّ أهلكْتُ منفساً إنَّ أهلكْتُه “ ، وساغ إضمار ” إنَّ “ ، وإنَّ لم يجز إضمار لام الأمر إلا ضرورة لاتساعهم فيها بدليل إيلائهم إيها الاسم ، ولأنَّ تقدّمها مقوِّ للدلالة عليها ، ولهذا أجاز سيبويه « يَمَنْ تَمَرُّزُ أَمُرُّزُ » ، ومنع « مَنْ تَضْرِبُ أَنْزِلُ » ؛ لعدم دليل على المحذوف ، وهو ” عليه “ حتّى تقول ” عليه “ ، وقال فيمن قال مررت : « بِرَجُلٍ صَالِحٍ إِنْ لَأَ صَالِحٍ فَطَالِحٍ » بالخفض : إنَّه أسهلُّ من إضمار ” رَبِّ “ بعد الواو ، وربّ شيء يكون ضعيفاً ، ثمَّ يحسن للضرورة ، كما في « ضَرَبَ غَلَامُهُ زَيْدًا » ، فإنَّه ضعيف جداً ، وحسن في نحو « ضَرَبُونِي وَضَرَبْتُ قَوْمَكَ » ، واستغني بجواب الأولى عن جواب الثانية ، كما استغني في نحو « أزيداً ظننته قائماً » بثاني مفعولي ” ظننتُ “ المذكورة عن ثاني مفعولي ” ظننتُ “ المقدّرة))^١ .

الجملة الخامسة - الجملة الخبرية المعترضة بين شيئين

وهي التي تعترض بين شيئين متلازمين ؛ لإفادة الكلام تقوية وتسديداً ، أو تبييناً ، أو تحسیناً ، وتقع بين المبتدأ والخبر ، أو ما هما أصله ، أو الفعل ومرفوعه ، أو الفعل ومنصوبه ، أو فعل الشرط وجوابه ، أو الحال وصاحبها ، أو الصفة والموصوف ، أو حرف الجر و متعلّقه ، أو القسم وجوابه ، أو الموصول وصلته ، أو بين أجزاء الصلّة ، أو بين المعطوفين ، و غير ذلك^٢ .

قال ابن جنّي - رحمه الله - في الاعتراض : ((والاعتراض للتّسديد قد جاء بين الفعل والفاعل ، وبين المبتدأ والخبر ، وبين الموصول والصلّة ، وغير ذلك مجيئاً كثيراً في القرآن ، وفصيح الكلام))^٣ .

والشاعر : هو النّمر بن تولب بن زهير بن أقيس ، شاعر جاهلي أدرك الإسلام ، وهو كبير فأسلم ، وعدّ من الصحابة ، وكان شعره صادقاً ، وألفاظه سهلة جميلة ، توفي في آخر خلافة أبي بكر الصّدّيق سنة أربع عشرة من الهجرة .

^١ مغني اللبيب / ٥٢٦ - ٥٢٧ .

^٢ يُنظَر : مغني اللبيب / ٥٠٦ ، وما بعدها .

^٣ الخصائص ١ / ٣٣١ . ويُنظَر : الخصائص ١ / ٣٣٥ ، وما بعدها .

فمثال الجملة المعترضة بين المبتدأ وخبره ، جملة ((فَلْيَذُوقُوهُ)) من قوله ﷻ : ﴿ هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَعَسَاقٌ ﴾^١ ، فهي معترضة بين المبتدأ ﴿ هَذَا ﴾ ، وخبره ﴿ حَمِيمٌ ﴾^٢ .
ومن الجملة المعترضة بين المبتدأ وخبره ، جملة ((وَالْأَيَّامُ يَعْتُرْنَ بِالْفَتَى)) من قول الشاعر^٣ :

وفيهنَّ - وَالْأَيَّامُ يَعْتُرْنَ بِالْفَتَى - نَوَادِبُ لَا يَمْلَأْنَهُ ، وَنَوَائِحُ

ومثال المعترضة بين الفعل ومرفوعه ، جملة ((وَالْحَوَادِثُ جَمَّةٌ)) من قول الشاعر^٤ :

وَقَدْ أَدْرَكْتَنِي - وَالْحَوَادِثُ جَمَّةٌ - أَسِنَّةُ قَوْمٍ لَا ضِعَافٍ ، وَلَا عَزْلٍ^٥

ومثال المعترضة بين الفعل ومنصوبه ، جملة ((وَالذَّهْرُ ذُو تَبَدُّلٍ)) فهي اعتراض بين المفعول الأول^٦ والثاني من قول الشاعر^٧ :

وَبُدِّلْتُ - وَالذَّهْرُ ذُو تَبَدُّلٍ - هَيْفًا دُبُورًا بِالصَّبَا ، وَالشَّمَالِ^٨

^١ سورة ص / ٥٧ .

^٢ يُنْظَرُ : الخصائص ١ / ٣٤٠ .

^٣ الشاعر معن بن أوس بن نصر بن زياد المزني ، من مخضرمي الجاهلية والإسلام ، له مدائح في جماعة من الصحابة ، وهو صاحب لامية العجم التي أولها :

لعمرك ما أدري وإني لأوجل على أينا تعدو المنية أول

مات - رحمه الله - سنة أربع وستين من الهجرة .

^٤ البيت لمعن بن أوس من بحر الطويل . يُنْظَرُ : الأمالي ، لهبة الله بن علي بن الشجري - حيدر آباد ١٣٤٩ هـ ٢ / ١٩٠ ، واللآلئ / ٨٠٤ ، والخزانة ٣ / ٢٥٨ ، والأغاني ، لأبي الفرج علي بن الحسين الأصفهاني - تحقيق : عبد الستار فراج - القاهرة ١٠ / ١٦٥ .

^٥ الشاعر من بني دارم يمدح بني عجل وقد أسروه ، وأطلقوه جزاءً لمدحه . يُنْظَرُ : شواهد المغني للسيوطي / ٢٧٣ .

^٦ البيت لجويرية بن زيد ، والبيت الذي سبقه :

وقائلة ما باله لا يزورنا وقد كنت عن تلك الزيارة في شغل

ولعلمهم أن يمطروني بنعمة كما صاب ماء المزن في البلد المحل ويعده :

فقد ينعش الله الفتى بعد عثرة وتصطنع الحسنى سراة بني عجل

يُنْظَرُ البيت في : الدرر ٤ / ٢٥ ، ونسب لرجل من بني دارم في شرح شواهد المغني ٢ / ٨٠٧ ، وبلا نسبة في سر صناعة الإعراب ١ / ١٤٠ ، وهمع الهوامع ١ / ٣٤٨ ، ولسان العرب " هيم " ١٥ / ١٨٣ ، والخصائص ١ / ٣٣١ .

^٧ وهو هنا نائب فاعل للفعل المعغير الصيغة (بُدِّلَ) .

^٨ هو أبو النجم العجلي ، الفضل بن قدامة .

ومثال المعترضة بين الشرط و جوابه جملة ﴿ وَلَنْ تَفْعَلُوا ﴾ من قوله ﴿ تَلَا ﴾ : ﴿ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾^٢ ، فالجملة الفعلية ﴿ وَلَنْ تَفْعَلُوا ﴾ لا محل لها من الإعراب ؛ لاعتراضها بين الشرط ﴿ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا ﴾ ، وجوابه ﴿ فَاتَّقُوا النَّارَ ﴾ .

ومن الجمل المعترضة بين الشرط وجوابه جملة ﴿ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ ﴾ من قوله ﴿ تَلَا ﴾ : ﴿ وَإِذَا بَدَلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾^٣ ، فهي معترضة لا محل لها من الإعراب ؛ لأنها وقعت بين الشرط ﴿ وَإِذَا بَدَلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ ﴾ ، وجوابه ﴿ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ ﴾ .

ومن الجمل المعترضة بين الشرط وجوابه جملة ﴿ فَاللَّهُ أَوْلَى ﴾ من قوله ﴿ تَلَا ﴾ : ﴿ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ ﴾^٤ ، كونها وقعت بين الشرط ﴿ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا ﴾ ، وجوابه ﴿ فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ ﴾ قاله جماعة منهم ابن مالك ، والظاهر أنّ الجواب ، فالله أولى بهما ، ولا يرد ذلك تنبيه الضمير كما توهموا ؛ لأنّ ﴿ أَوْ ﴾ هنا للتّويع ، وحكمها حكم الواو في وجوب المطابقة ، نصّ عليه الأبيدي ، وهو الحق^٥ .

ومن الجمل المعترضة بين القسم وجوابه ، والموصوف وصفته : و يجمعهما قوله ﴿ تَلَا ﴾ : ﴿ فَلَا أَقْسِمُ بِمَوْعِدِ النَّجُومِ * وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ * إِنَّهُ لَفَرْعَانٌ كَرِيمٌ ﴾^٦ ، ففي هذه الآية اعتراض في ضمن اعتراض ؛ فالاعتراض الأول ﴿ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴾ ؛ لأنه اعترض به بين القسم الذي هو ﴿ فَلَا أَقْسِمُ بِمَوْعِدِ النَّجُومِ ﴾ ، وبين جوابه الذي هو ﴿ إِنَّهُ لَفَرْعَانٌ كَرِيمٌ ﴾ ، وفي أثناء هذا الاعتراض الذي هو : ﴿ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴾

^١ والبيت من أرجوزة لأبي النجم العجلي : يُنْظَرُ : الخصائص / ١ / ٣٣٦ ، خزانة الأدب للبغدادي / ٢ / ٣٩١ ، ومغني اللبيب / ٥٠٧ ، وهمع الهوامع / ١ / ٢٤٨ ، والأرجوزة في الطرائف الأدبية / ٥٨ / ٥٨ : هيف : ريح حارة من قبل اليمن . و بدلت أي : الإبل . وفي شرح شواهد المغني للبغدادي أنّ هذا في الرّيح ، وقد وهم في الأمر . يُنْظَرُ : الخصائص / ١ / ٣٣٦ ، والأرجوزة في الطرائف الأدبية / ٥٨ .

^٢ سورة البقرة / ٢٤ .

^٣ سورة النحل / ١٠١ .

^٤ النساء / ١٣٥ .

^٥ يُنْظَرُ : إملاء ما منّ به الرّحمن / ٢٠٤ - ٢٤١ ، ومغني اللبيب / ٥٠٩ .

^٦ سورة الواقعة / ٧٥ - ٧٧ .

اعتراض آخر ، وهو قوله ﷺ : ﴿ لَوْ تَعْلَمُونَ ﴾ ، فإنه معترض بين الموصوف ﴿ قَسَمٌ ﴾ ، وصفته ﴿ عَظِيمٌ ﴾ على طريق اللّف ، والنّشر على التّرتيب ، فالاعتراض في هذه الآية بجملة واحدة في ضمنها جملة • فلو جاء الكلام خالياً من الاعتراض لوجب أن يكون :
 فَلَا أَقْسِمُ بِمَوْعِدِ النُّجُومِ ، إِنَّهُ لَفُرْعَانُ كَرِيمٍ ، وَإِنَّهُ لَأَقْسَمُ عَظِيمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ ^١ .
 ومثال الجملة المعترضة بين المعطوفين جملة ﴿ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ ﴾ من قوله ﷺ : ﴿ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجْتُمُوهُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تَقْتُلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يَخْرُجُوا فِيهِ فَإِنْ قَتَلْتُمْ فَأَقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴾ ^٢ ، فهي معترضة بين جملة ﴿ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجْتُمُوهُمْ ﴾ ، وجملة ﴿ وَلَا تَقْتُلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾ ، فهي جملة اعتراضية لا محلّ لها من الإعراب ، جارية مجرى المثل ؛ لأنّ الإخراج من الوطن هو الفتنة ذاتها ، وقيل لبعضهم : ما أشدّ من الموت ، قال : الذي يُتَمَنَّى معه الموت ، والإخراج من الوطن بمثابة إخراج الرّوح من الجسد ، قال ابن الرّومي ^٣ :

فَقَدْ أَلْفَنَةُ النَّفْسُ حَتَّى كَانَتْ لَهَا جَسَدٌ إِنْ بَانَ غَوْدِرَ هَالِكاً

ومثال الجملة المعترضة بين المعطوفين جملة ﴿ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا ﴾ من قوله ﷺ : ﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قُرُونًا ءآخِرِينَ * مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ * ثُمَّ أَرْسَلْنَا رَسُولَنَا تَتْرَى كُلُّ مَا جَاءَ أُمَّةٌ رَّسُولُهَا كَذِبُهُ فَاتَّبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا

^١ يُنظَر : الخصائص / ١ / ٣٣٥ .

^٢ سورة البقرة / ١٩١ .

^٣ علي بن العباس بن جريج ، أبو جورجيس ، الرّومي ، أبو الحسن : شاعر كبير ، من طبقة بشّار والمنتبّي . روميّ الأصل ، كان جدّه من موالى بني العباس . ولد ونشأ ببغداد سنة إحدى وعشرين ومائتين هجرية الموافق ستّ وثلاثين وثمانمائة ميلادية ، ومات فيها مسموماً سنة ثلاثٍ وثمانين ومائتين هجرية الموافق ستّ وتسعين وثمانمائة ، قيل : دسّ له السّمّ القاسم بن عبيد الله (وزير المعتضد) وكان ابن الرّومي قد هجاه . له (ديوان شعر) في ثلاثة أجزاء • يُنظَر : تاريخ بغداد / ١٢ / ٢٣ - ٢٦ ، ورسالة الغفران / ٤٧٦ - ٤٨٣ ط٥ . دار المعارف ، والمنظّم / ٥ / ١٦٥ - ١٦٨ ، ووفيات الأعيان / ٣ / ٣٥٨ - ٣٦٢ ، وسير أعلام النبلاء / ٣١ / ٤٩٥ ، والبداية والنّهاية / ١١ / ٧٤ - ٧٥ ، ومعاهد التّصنيف على شواهد التّلكخيص ، لعبد الرّحيم بن عبد الرّحمن العبّاسي - القاهرة ١٣٦٧ هـ / ١ / ١٠٨ - ١١٨ ، وشذرات الدّهب / ٢ / ١٨٨ - ١٩٠ .

^٤ البيت لابن الرّومي من الطّويل في ديوانه من قصيدة مطلعها :

أَعُوذُ بِحَقْوِيكَ الْعَزِيزِينَ أَنْ أَرَى مُقِرّاً بِضِيْمٍ يَتْرُكُ الْوَجْهَ حَالِكَا

يُنظَر : إعراب القرآن وبيانه / ١ / ٢٥١ - ٢٥٢ .

يُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ، جملة ﴿ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا ﴾ معترضة بين الجملتين المعطوفتين جملة ﴿ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قُرُونًا ءآخِرِينَ ﴾ ، وجملة ﴿ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَى ﴾ والفصل بين المعطوفين بالجملة المعترضة للمسارعة إلى بيان هلاك أولئك القرون على وجه إجمالي .

قال الآلوسي عند تفسيره هذه الآيات : ((ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا ﴾ عطف على ﴿ أَنْشَأْنَا ﴾ ، لكن لا على معنى أَنَّ إرسالهم متراخٍ عن إنشاء القرون المذكورة جميعاً ، بل على معنى أَنَّ إرسال كلِّ رسول متأخَّر عن إرسال قرن مخصوص بذلك الرسول كأنه قيل : ((ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قُرُونًا آخِرِينَ ، قد أرسلنا إلى كل قرن منهم رسولاً خاصاً به)) ، والفصل بين المعطوفين بالجملة المعترضة للمسارعة إلى بيان هلاك أولئك القرون على وجه إجمالي))^٢ .

ومن الجمل الاعتراضية بين المعطوفين الجملة الخبرية ﴿ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ ﴾ من قوله ﷺ : ﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾^٣ ، معترضة بين الجملتين المعطوفتين ، الجملة الخبرية ﴿ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ ﴾ ، وجملة ﴿ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ ﴾ والفصل بين المعطوفين بالجملة المعترضة لتعظيم المولود الذي وضعته ، وتقدير شأنه ، والتجهيل لها بقدره . أي والله أعلم بالشيء الذي وضعته ، وما علق به من عظام الأمور ، ودقائق الأسرار ، وواضح الآيات ، في الوقت الذي كانت فيه أم مريم غافلة عن ذلك كله ، والإتيان بـ ((ما)) دون . مَنْ . يلائم التجهيل ؛ فإنها كثيراً ما يؤتى بها لما يجهل به ، فالله ﷻ أعلم بشأن أم مريم حين تحسرها ، وتحزنها ؛ من توهم خيبة رجاها ، وأنها ليست من الولي إلى الله تعالى في شيء ، إذ لها مرتبة عظيمة^٤ .

ومن الجمل الاعتراضية بين أجزاء الصلة جملة ﴿ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا ﴾ من قوله ﷻ : ﴿ وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا

^١ سورة المؤمنین / ٤٢ - ٤٤ .

^٢ روح المعانی / ١٨ / ٣٤ .

^٣ سورة آل عمران / ٣٦ .

^٤ يُنظَر : روح المعانی / ٣ / ١٣٤ .

أَغَشِيَتْ وَجُوهُهُمْ قِطْعًا مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أَوْلَيْكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١﴾ ، فإن جملة ﴿ وَتَرَاهُمْ ذَلَّةً ﴾ معطوفة على جملة ﴿ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ ﴾ ، فهي من الصلّة ، وما بينهما جملة ﴿ جَزَاءً سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا ﴾ اعتراض بيّن به قدر جزائهم ، وقيل غير ذلك ^١ .

ومن الجمل الاعتراضية بين جملتين مستقلتين جملة ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ ﴾ ، وجملة ﴿ يُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ ^٢ من قوله ﷺ : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَىٰ فَاعْتَزَلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهَرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ * نَسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لَأَنفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ وَيَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ^٣ ، فإن : ﴿ نَسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ ﴾ تفسير لقوله ﷺ : ﴿ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ ﴾ ، أي : إن المأتى الذي أمركم الله به هو مكان الحرث ، ودلالة على أن الغرض الأصلي في الإتيان طلب النسل لا محض الشهوة ، وقد تضمنت هذه الآية الاعتراض بأكثر من جملة ؛ فالجملة الأولى المعترض بها قوله ﷺ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ ﴾ ، والجملة الثانية ﴿ يُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ ^٤ .

ومن الجمل الاعتراضية بين جملتين مستقلتين جملتي ﴿ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهِنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ ﴾ من قوله ﷺ : ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهِنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴾ ^٥ ، فهي جملتان لا محلّ لها من الإعراب معترضة بين جملة ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ ﴾ ، وجملة ﴿ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴾ ^٦ .

ومن الجمل الاعتراضية بين جملتين مستقلتين جملتي ﴿ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ ﴾ من قوله ﷺ : ﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيدُهَا بِنكِ وَدُرَيْتِهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ ^٧ ،

^١ سورة يونس / ٢٧ .

^٢ يُنْظَرُ : إملاء ما من به الرحمن / ٣٢٣ - ٣٢٤ ، و مغني اللبيب / ٥١١ .

^٣ مغني اللبيب / ٥١٤ .

^٤ سورة البقرة / ٢٢٢ - ٢٢٣ .

^٥ مغني اللبيب / ٥١٤ .

^٦ سورة لقمان / ١٤ .

^٧ سورة آل عمران / ٣٦ .

فيمن قرأ بسكون تاء ﴿ وَضَعَتْ ﴾ إذ الجملتان المصدرتان بآئي من قولها عليها السلام وما بينهما اعتراض ، والمعنى : وليس الذكر الذي طلبته كالأنثى التي وهبت لها ، وقال الرّمخشري : ((هنا جملتان معترضتان ، كقوله ﷺ : ﴿ وَإِنَّهُ لَفَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴾ ^١)) وفي التّظهير نظر ؛ لأنّ الذي في الآية التّانية اعتراضان كل منهما بجملة لا اعتراض واحد بجملتين ^٢ .

وقد يعترض بأكثر من جملتين كقوله ﷺ : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحاً مِنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلَالََةَ وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ * وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيّاً وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيراً * مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمِعٍ وَرَاعِنَا لَيّاً بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنَا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانظُرْنَا لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلاً ﴾ ^٣ .

تنبيه : هناك فرق بين التّحويين والبيانيين في مصطلح الاعتراض ، فالنّحويون لا يعرفون الاعتراض إلاّ بين شيئين متطالبين ، وقد نقل هذه المخالفة ابن هشام - رحمه الله - فقال : ((للبيانيين في الاعتراض اصطلاحات مخالفة لاصطلاح النّحويين ، والرّمخشريّ يستعمل بعضها ، كقوله في قوله تعالى : ﴿ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ ^٤ يجوز أن يكون حالاً من فاعل ﴿ نَعْبُدُ ﴾ ، أو من مفعوله لاشتغالها على ضميريهما ، وأن تكون معطوفة على ﴿ نَعْبُدُ ﴾ ، وأن تكون اعتراضية مؤكّدة ، أي : ومن حالنا أنّا مخلصون له التّوحيد ، ويرد عليه مثل ذلك من لا يعرف هذا العلم ، كأبي حيّان ^٥ توهُماً منه أنّه لا اعتراض إلاّ ما يقوله النّحويّ ، وهو الاعتراض بين شيئين متطالبين)) ^١ . ^٢ .

^١ سورة الواقعة / ٧٦ .

^٢ الكشاف عن حقائق غوامض التّنزيل ، وعيون الأقاويل في وجوه التّأويل ، للعلامة جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الرّمخشري - تحقيق ، وتعليق ، ودراسة الشّيخ / عادل أحمد عبد الموجود ، والشّيخ / علي محمّد معوّض - الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م / ١ / ٤٢٤ .

^٣ يُنظَر : مغني اللبيب / ٥١٤ .

^٤ سورة النساء / ٤٤ - ٤٦ .

^٥ سورة البقرة / ١٣٣ ، والآية كاملة : ﴿ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتَ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهاً وَاحِداً وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ .

^٦ الإمام : أنير الدّين ، أبو عبد الله محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيّان الأندلسي ، الغرناطي ، الحيّاني ، الشّهير بأبي حيّان الأندلسي ، من كبار العلماء بالعربية والتفسير والحديث والتراجم واللغات . ولد في

الجملة السادسة : الجملة الخبرية المجاب بها القسم

سواء ذكر فعل القسم وحرفه ، أم الحرف فقط ، أم لم يذكر .
 ومن الجمل المجاب بها القسم قوله ﷺ : ﴿ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ * إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾^٣
 ، ونحو قوله ﷺ : ﴿ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُولُوا مُدْبِرِينَ ﴾^٤ ، ونحو قوله ﷺ : ﴿ كَلَّا
 لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ ﴾^٥ ، ونحو قوله ﷺ : ﴿ وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ ﴾^٦ ، ونحو قوله
 ﷺ : ﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾^٧ ، ونحو قوله ﷺ : ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ﴾^٨ .

ومن أمثلة جواب القسم ما يخفى ، قال ابن هشام - رحمه الله - : ((من أمثلة
 جواب القسم ما يخفى نحو : ﴿ أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بِالِغَةِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ﴾^٩
 ، ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ ﴾^{١٠} ، ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ

إحدى جهات غرناطة سنة أربع وخمسين وستمائة للهجرة ، ورحل إلى مالقة . وتنقل إلى أن أقام بالقاهرة . وتوفي
 - رحمه الله - فيها سنة خمس وأربعين وسبعمائة . من مؤلفاته " غريب القرآن " ، و " شرح الشَّهِيل " ، و "
 البحر المحيط " ؛ في التفسير ، وقد اعتمد على تفاسير من تقدّمه ، وخاصة تفسير الرَّمْخَشْرِي ، وتفسير ابن
 عطية . يُنظَر : بغية الوعاة ١ / ٢٨٢ ، والدُّرر الكامنة ٦ / ٧٦ ، والبدر ٢ / ٢٩٠ ، ونفح الطَّيِّب من غصن
 الأندلس الرُّطِيب ، أحمد بن محمد المقرئ التلمساني - دار صادر - بيروت - ١٩٦٨ م - تحقيق : د. إحسان
 عباس ٣ / ٢٨٩ ، والنُّجُوم الزَّاهِرة ١٠ / ١١١ ، وفوات الوفيات ٢ / ٥٥٥ ، ومعرفة القراء ٢ / ٥٧٧ ، وتنمة
 المختصر في أخبار البشر ، عمر بن المظفر بن الوردی ، بيروت ١٩٧٠ م ٢ / ٤٨ ، وشذرات الذهب ٦ /
 ٤٥ .

^١ مغني اللبيب / ٥٢١ .

^٢ يُنظَر : مغني اللبيب / ٥٠٦ - ٥٢١ ، وموصل الطُّلاب / ٥٥ - ٦٠ ، والنُّحو العربي ، شواهد و مقدماته /
 ١٦١ - ١٦٢ ، والمطالع السَّعيدة ١ / ٦٤ ، وموسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم / ٥٧٨ .

^٣ سورة يس / ٢ - ٣ .

^٤ سورة الأنبياء / ٥٧ .

^٥ سورة الهمزة / ٤ .

^٦ سورة الأحزاب / ١٥ .

^٧ سورة مريم / ٧١ .

^٨ سورة مريم / ٦٨ .

^٩ سورة القلم / ٣٩ .

^{١٠} سورة البقرة / ٨٣ .

﴿١﴾ ، وذلك لأن أخذ الميثاق بمعنى الاستحلاف ، قاله كثيرون ؛ منهم الزجاج ، وبوضحه
﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ﴾^٢ ، وقال الكسائي ، والفراء ، ومن
وافقهما : التفسير بـ " أن لا تعبدوا إلا الله " ، وبـ " أن لا تسفكوا " ثم حذف الجار ، ثم " أن
" فارتفع الفعل ، وجوز الفراء أن يكون الأصل النهي ثم أخرج مخرج الخبر ، ويؤيده أن
بعده ﴿ وَقُولُوا ﴾ ﴿ وَأَقِيمُوا ﴾ ﴿ وَأَتُوا ﴾^٣ .

وقد وقع لمكي ، وأبي البقاء وهم في جملة جواب القسم ، فأعرباها إعراباً يقتضي
أن لها موضعاً من الإعراب . وقد نقل هذه المسألة ابن هشام - رحمه الله - ، فقال : ((
وقع لمكي ، وأبي البقاء وهم في جملة الجواب ، فأعرباها إعراباً يقتضي أن لها موضعاً
٠٠٤ .

الجملة السابعة : الجملة الخبرية الواقعة جواباً لشرط غير جازم مطلقاً ، أو جازم ،
ولم تقترن بالفاء ، ولا بإذا الفجائية

١ . الجمل الواقعة جواباً لشرط غير جازم ((كإذا ، و لو ، و لولا ، و لما)) :

من هذه الجمل الواقعة جواباً لـ ((إذا)) : نحو قوله ﷺ: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ
اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾^٦ ، ونحو قوله ﷺ :
﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ
إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴾^٧ ، ونحو قوله ﷺ : ﴿ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ
وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾^٨ .

^١ سورة البقرة / ٨٤ .

^٢ سورة آل عمران / ١٨٧ .

^٣ مغني اللبيب / ٥٢٨ .

^٤ مغني اللبيب / ٥٣٢ . ويُظنر : ٥٣٢ - ٥٣٤ . فقد ناقش قول كل من مكي وأبي البقاء .

^٥ يُظنر : مغني اللبيب / ٥٢٧ - ٥٣٤ ، وموصل الطلاب / ٦٥ - ٦٨ ، والنحو العربي ، شواهد و مقدماته /

١٦٤ - ١٦٧ ، وموسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم / ٥٧٩ .

^٦ سورة الأنفال / ٢ .

^٧ سورة النصر / ١ - ٣ .

^٨ سورة البقرة / من ١٥٥ - ١٥٦ .

ومن هذه الجملة الواقعة جواباً لـ ((لَمَّا)) : ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ﴾ من قوله ﷺ : ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾^١ ، فالفاء استئنافية ظرفية حينية ، أو حرف للربط ، ﴿وَضَعْتُهَا﴾ وضع فعل ماضٍ والتاء للتأنيث والفاعل ضمير مستتر تقديره ((هي)) والهاء ضمير متصل في محل نصب مفعول به ، وجملة ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ﴾ لا محل لها من الإعراب ؛ لأنها جواب شرط غير جازم ﴿لَمَّا﴾ .
و ﴿قَالَتْ﴾ فعل ماضٍ ، والتاء للتأنيث ، و ﴿رَبِّ﴾ منادى مضاف لياء المتكلم المحذوفة ، و ﴿إِنِّي﴾ إن واسمها ، و ﴿وَضَعْتُهَا﴾ جملة فعلية مكونة من فعل وفاعل ومفعول به ، في محل رفع خبر ﴿إِنَّ﴾ ، و ﴿أُنْثَىٰ﴾ حال مؤكدة ، أو مبينة ، وجملة النداء ﴿رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ﴾ في محل نصب مقول القول .
وجواب لَمَّا نحو قوله ﷺ : ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ﴾^٢ .

ومن هذه الجملة الواقعة جواباً لـ ((كَيْفِ)) : و جواب كيف ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾^٣ .

ومن هذه الجملة الواقعة جواباً لـ ((لَوْ)) : و جواب "لَوْ" نحو قوله ﷺ : ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^٤ .
ونحو قوله ﷺ : ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ لِنَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾^٥ .

ومن هذه الجملة الواقعة جواباً لـ ((لَوْلَا)) : و جواب ((لَوْلَا)) نحو قوله ﷺ : ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾^٦ .
ونحو قوله ﷺ : ﴿وَلَوْلَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾^١ .

^١ سورة آل عمران / ٣٦ .

^٢ سورة غافر / ٨٤ .

^٣ سورة آل عمران / ٦ .

^٤ سورة البقرة / ٢٠ .

^٥ الحشر / ٢١ .

^٦ سورة النساء / ٨٣ .

٢. و من الجمل الواقعة جوابا لشرط جازم ، غير مقترنة بالفاء أو إذا الفجائية :

قوله ﷻ : ﴿ وَ إِلَّا تَغْفِرْ لِي وَ تَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾^٢ ؛ لأنَّ الجزم للفعل نفسه ، و ليس للجملة^٣ .

الجملة الثامنة : الجملة الخبرية الواقعة صلة لاسم أو حرف

الجمل الواقعة صلة للموصول الاسمي

نحو جملة ﴿ يُبَدِّلُونَهُ ﴾ من قوله ﷻ : ﴿ فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَمَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾^٤ ، فجملة يُبَدِّلُونَهُ من الفعل ، والفاعل ، والمفعول به جملة صلة الموصول ﴿ الَّذِينَ ﴾ لا محل لها من الإعراب .

ومن جمل صلة الموصول الاسمي جملة ﴿ كَفَرُوا ﴾ من قوله ﷻ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾^٥ ، ف﴿ كَفَرُوا ﴾ من الفعل والفاعل لا محل لها من الإعراب ؛ لأنها صلة الموصول الاسمي ﴿ الَّذِينَ ﴾ .

ومن جمل صلة الموصول الاسمي جملة ﴿ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ من قوله ﷻ : ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أحيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾^٦ ، فهي جملة فعلية لا محل لها من الإعراب ؛ صلة الموصول الاسمي ﴿ مَنْ ﴾ .

^١ سورة البقرة / ٢٥١ .

^٢ سورة هود / ٤٧ .

^٣ يُنظَر : مغني اللبيب / ٥٣٤ ، وموصل الطُّلُب / ٦٨ - ٦٩ ، والنحو العربي ، شواهد و مقدماته / ١٦٧ -

١٦٨ ، وموسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم / ٥٧٩ ، والنحو الشافي / ٥٤٩ .

^٤ سورة البقرة / ١٨١ .

^٥ سورة البقرة / ٦ .

^٦ سورة البقرة / ١٥٤ .

ومن جمل صلة الموصول الاسمي جملة ﴿يُبَدِّلُونَهُ﴾ من قوله ﷻ : ﴿فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَمَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾^١ ، فهي جملة فعلية لا محل لها من الإعراب ؛ صلة الموصول الاسمي ﴿الَّذِينَ﴾ .

ومن جمل صلة الموصول الاسمي جملة ﴿يَشَاءُ﴾ من قوله ﷻ : ﴿زَيْنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾^٢ ، فالجملة الفعلية ﴿يَشَاءُ﴾ من الفعل والفاعل المستتر لا محل لها من الإعراب ؛ صلة الموصول الاسمي ﴿مَنْ﴾ .

ومن جمل صلة الموصول الاسمي جملة ﴿رَزَقْنَاكُمْ﴾ من قوله ﷻ : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خُلَّةَ وَلَا شَفَاعَةَ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾^٣ ، فـ ﴿أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ﴾ فعل أمر ، وواو الجماعة ضمير متصل في محل رفع فاعل ، و ﴿مِمَّا﴾ جار ومجرور متعلقان بـ ﴿أَنْفِقُوا﴾ والجملة الفعلية ﴿رَزَقْنَاكُمْ﴾ من الفعل والفاعل والمفعول به لا محل لها من الإعراب صلة الموصول ﴿مَا﴾ .

ومن جمل صلة الموصول الاسمي الجملة الفعلية ﴿كَسَبَتْ﴾ من قوله ﷻ : ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾^٤ ، فالجملة الفعلية ﴿كَسَبَتْ﴾ من الفعل والفاعل المستتر ((هي)) لا محل لها من الإعراب ؛ صلة الموصول الاسمي ﴿مَا﴾ .

ومن جمل صلة الموصول الاسمي جملة ﴿يُصَوِّرُكُمْ﴾ من قوله ﷻ : ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾^٥ ، وهي جملة فعلية لا محل لها من الإعراب صلة الموصول . والجار والمجرور ﴿فِي الْأَرْحَامِ﴾ متعلقان بـ ﴿يُصَوِّرُكُمْ﴾ .

^١ سورة البقرة / ١٨١ .

^٢ سورة البقرة / ٢١٢ .

^٣ سورة البقرة / ٢٥٤ .

^٤ سورة البقرة / ٢٨١ .

^٥ سورة آل عمران / ٦ .

ونحو قوله ﷻ : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ﴾^١ ،
 فجملة ﴿ أَنْزَلَ ﴾ جملة الصلة لا محل لها من الإعراب ، ونحو قوله ﷻ : ﴿ وَلَنْ تَرْضَىٰ
 عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَىٰ اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنَّ آتِیَاتَهُمْ بَعْدَ الَّذِي
 جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾^٢ ، فجملة ﴿ جَاءَ ﴾ جملة الصلة لا محل
 لها من الإعراب ، ونحو قوله ﷻ : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى ﴾^٣ .

الجملة الخبرية الواقعة صلة للموصول الحرفي

والمراد بالموصول الحرفي : الحرف المصدرى - وهو يُؤوَّل وما بعده بمصدر ،
 وهو ستة أحرف : ((أَنْ وَأَنَّ وَكَيْ وَمَا وَلَوْ وَهَمْزَةُ التَّسْوِيَةِ)) ، نحو قوله ﷻ : ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ
 أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾^٤ ، قال العكبري - رحمه الله - : في قوله ﷻ : ﴿ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ
 ﴾ : ((هو في موضع رفع صفة لـ ﴿ أَلِيمٌ ﴾ ، وتتعلق الباء بمحذوف ، تقديره : أليم كائنٌ
 بتكذيبهم ، أو مستحق ، و ﴿ مَا ﴾ هنا مصدرية ، وصلتها ﴿ يَكْذِبُونَ ﴾ ، وليست ﴿ كَانَ
 ﴾ صلتها ؛ لأنها الناقصة ، ولا تستعمل منها مصدر ، و ﴿ يَكْذِبُونَ ﴾ في موضع نصب
 خبر ﴿ كَانَ ﴾ ، و " ما " المصدرية حرف عند سيبويه ، واسم عند الأخفش : وعلى كلا
 القولين لا يعود عليها من صلتها شيء))^٥ .

وعقَّب ابن هشام على قول أبي البقاء قائلاً : ((وأما قول أبي البقاء في بـ ﴿ بِمَا
 كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾ إِنَّ ﴿ مَا ﴾ مصدرية ، وصلتها ﴿ يَكْذِبُونَ ﴾ ، وحكمه مع ذلك بأنَّ ﴿
 يَكْذِبُونَ ﴾ في موضع نصب خبراً لكان ، فظاهره متناقض ، ولعلَّ مراده أن المصدر إنما
 ينسب من ﴿ مَا ﴾ و ﴿ يَكْذِبُونَ ﴾ لا منها ، ومنَّ ﴿ كَانَ ﴾ ، بناءً على قول أبي العباس
 المبرِّد ، وأبي بكر ابن السَّراج ، وأبي علي الفارسي ، وأبي الفتح ابن جنِّي ، وآخرين : إنَّ
 ﴿ كَانَ ﴾ الناقصة لا مصدر لها))^٦ .

^١ سورة الكهف / ١ .

^٢ سورة البقرة / ١٢٠ .

^٣ سورة الأعلى / ١٤ .

^٤ سورة البقرة / ١٠ .

^٥ إملاء ما منَّ به الرحمن / ٢٤ .

^٦ مغني اللبيب / ٥٣٦ .

ونحو قوله ﷻ : ﴿ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ ﴾^١ ، ٢٠ .

الجملة التاسعة : الجمل الخبرية التابعة لما لا محل له من الإعراب

نحو جملة ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ ﴾ كقوله ﷻ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحَدِّثُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفُونَ عَلَيْنَا أَفَمَنْ يُقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمَّنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ * إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ﴾^٢ ، فالجملة الاسمية : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ ﴾ من ﴿ إِنَّ ﴾ وما عملت فيه من اسمها وخبرها بدل من الجملة الاسمية السابقة ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحَدِّثُونَ فِي آيَاتِنَا ﴾ ، وهذه الجملة مستأنفة ؛ لبيان حال الملحد لا محل لها من الإعراب .

ومن الجمل التابعة لجملة لا محل لها من الإعراب جملة ﴿ انشَقَّ الْقَمَرُ ﴾ من قوله ﷻ : ﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ ﴾^٤ .

ونحو جملتي ﴿ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ ﴾ ، و ﴿ أَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ من قوله ﷻ : ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾^٥ ، فجملة ﴿ انشَقَّ الْقَمَرُ ﴾ ، و ﴿ أْمُرْ بِالْعُرْفِ ﴾ ، و ﴿ أَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ جمل لا محل لها من الإعراب معطوفة على جمل ابتدائية لا محل لها من الإعراب^٦ .

^١ سورة المائدة / ٥٢ .

^٢ يُنظَر : مغني اللبيب / ٥٣٤ ، وموصل الطُّلاب / ٥٤ ٥٥ ، والنحو العربي ، شواهد و مقدماته / ١٦٣ - ١٦٤ ، وموسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم / ٥٧٩ ، والنحو الشافي / ٥٤٩ - ٥٥٠ .

^٣ سورة فصلت / ٤٠ - ٤١ .

^٤ سورة القمر / ١ .

^٥ سورة الأعراف / ١٩٩ .

^٦ يُنظَر : مغني اللبيب / ٥٣٦ ، وموصل الطُّلاب / ٦٩ ، والنحو العربي ، شواهد و مقدمات / ١٦٨ ، والمطالع السعيدة / ١ / ٦٤ ، وموسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم / ٥٨٠ ، والنحو الشافي / ٥٥٠ .

ثانياً - الجملة الخبرية التي لها محلّ من الإعراب

وهي الجملة الخبرية التي تؤوّل بمفرد ، و تعرب إعراب المفرد الذي تؤوّل به ، و هي سبع جمل أيضاً ، و ها هي :

- ١ . الواقعة خبراً .
- ٢ . الواقعة حالاً .
- ٣ . الواقعة مفعولاً .
- ٤ . المضاف إليها .
- ٥ . الواقعة بعد الفاء أو إذا جواباً لشرط جازم .
- ٦ . التابعة لمفرد .
- ٧ . التابعة لجملة لها محلّ من الإعراب .

و تضاف إليها :

- ٨ . المستثناة .
- ٩ . المسند إليها^١ .

الجملة الأولى : الجملة الخبرية الواقعة خبراً لمبتدأ في الأصل أو في الحال :

ويشترط فيها أن تحتوي على رابط يعود إلى المبتدأ ، و محلّها من الإعراب الرفع إذا كانت خبراً للمبتدأ ، أو خبراً لـ ((إن)) و أخواتها ، أو ((لا)) النافية للجنس . أو محلها النصب إذا كانت خبراً لـ ((كان)) وأخواتها ، و الحروف المشبهة بـ ((ليس)) ، و أفعال المقاربة ، و الرجاء ، و الشروع ، أو اسماً لـ " لأن " وأخواتها .

فمن الجملة الخبرية لمبتدأ في الأصل :

^١ يُنظَر : مغني اللبيب / ٥٣٦ - ٥٥٩ ، وموصل الطلّاب / ٣٧ - ٤٨ ، والنحو العربي ، شواهد و مقدمات / ١٤٣ - ١٦٠ ، والمطالع السعيدة ١ / ٦٤ ، وموسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم ٥٨٠ - ٥٨٢ ، والنحو الشافي / ٥٤٣ - ٥٤٨ .

جملة ﴿ بَدَلَهُ بَعْدَمَا سَمِعَهُ ﴾ من قوله ﷻ : ﴿ فَمَنْ بَدَلَهُ بَعْدَمَا سَمِعَهُ فَأِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾^١ ، فـ ﴿ مَنْ ٠ ﴾ اسم شرط مبني على السكون في محل رفع مبتدأ ، وجملة فعل الشرط ﴿ بَدَلَهُ ﴾ في محل رفع خبر ﴿ مَنْ ٠ ﴾ على الأرجح ، وقيل فعل الشرط ﴿ بَدَلَهُ ﴾ ، وجوابه ﴿ إِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ ﴾ في محل رفع خبر ﴿ مَنْ ٠ ﴾^٢ .

ومن الجمل الخبرية لمبتدأ في الأصل جملة ﴿ خَافَ مِنْ مُوصٍ جَنَفًا ﴾ من قوله ﷻ : ﴿ فَمَنْ خَافَ مِنْ مُوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾^٣ ، فـ ﴿ مَنْ ٠ ﴾ اسم شرط مبني على السكون في محل رفع مبتدأ ، وجملة فعل الشرط ﴿ خَافَ ﴾ في محل رفع خبر ﴿ مَنْ ٠ ﴾ على الأرجح ، وقيل فعل الشرط ﴿ خَافَ ﴾ وجوابه ﴿ لَا إِثْمَ عَلَيْهِ ﴾ في محل رفع خبر ﴿ مَنْ ٠ ﴾ .

ومن الجمل الخبرية لمبتدأ في الأصل جملة ﴿ يَزْرُقُ مَنْ يَشَاءُ ﴾ من قوله ﷻ : ﴿ زَيْنٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ يَزْرُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾^٤ ، فالجملة الفعلية ﴿ يَزْرُقُ مَنْ يَشَاءُ ﴾ من الفعل والفاعل المستتر في محل رفع خبر المبتدأ ﴿ اللَّهُ ﴾ .

ومن الجمل الخبرية لمبتدأ في الأصل جملة ﴿ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ من قوله ﷻ : ﴿ وَأَتَقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾^٥ ، فالجملة الفعلية ﴿ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ من الفعل والفاعل الضمير المنصّل ((واو الجماعة)) في محل رفع خبر المبتدأ ﴿ هُمْ ﴾ .

ومن الجمل الخبرية لمبتدأ في الأصل جملة ﴿ يُضِلُّ اللَّهُ ﴾ من قوله ﷻ : ﴿ مَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾^٦ ، فـ ﴿ مَنْ ٠ ﴾ اسم شرط مبني على

^١ سورة البقرة / ١٨١ .

^٢ إملاء ما من به الرحمن / ٨٦ .

^٣ سورة البقرة / ١٨٢ .

^٤ سورة البقرة / ٢١٢ .

^٥ سورة البقرة / ٢٨١ .

^٦ سورة الأعراف / ١٨٦ .

السُّكُونِ فِي مَحَلِّ رَفْعٍ مُبْتَدَأً ، وَجُمْلَةٌ فِعْلُ الشَّرْطِ ﴿ يُضَلِّلُ ﴾ فِي مَحَلِّ رَفْعِ خَبَرٍ ﴿ مَنْ ﴾ ، وَقِيلَ فِعْلُ الشَّرْطِ ﴿ يُضَلِّلُ ﴾ وَجَوَابُهُ ﴿ لَا هَادِيَ لَهُ ﴾ فِي مَحَلِّ رَفْعِ خَبَرٍ ﴿ مَنْ ﴾ .
 وَمِنَ الْجُمْلَةِ الْخَبَرِيَّةِ لِمُبْتَدَأٍ فِي الْأَصْلِ جُمْلَةٌ ﴿ يَخْزَنُونَ ﴾ مِنْ قَوْلِهِ ﷻ : ﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾^١ ، فَالْجُمْلَةُ الْفِعْلِيَّةُ ﴿ يَخْزَنُونَ ﴾ مِنَ الْفِعْلِ وَالْفَاعِلُ فِي مَحَلِّ رَفْعِ خَبَرٍ الْمُبْتَدَأُ ﴿ هُمْ ﴾ .

وَمِنَ الْجُمْلَةِ الْخَبَرِيَّةِ لِمُبْتَدَأٍ فِي الْأَصْلِ جُمْلَةٌ ﴿ يَخْرُصُونَ ﴾ مِنْ قَوْلِهِ ﷻ : ﴿ أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾^٢ ، فَالْجُمْلَةُ الْفِعْلِيَّةُ ﴿ يَخْرُصُونَ ﴾ مِنَ الْفِعْلِ وَالْفَاعِلُ فِي مَحَلِّ رَفْعِ خَبَرٍ الْمُبْتَدَأُ ﴿ هُمْ ﴾ .

وَمِنَ الْجُمْلَةِ الْخَبَرِيَّةِ لِمُبْتَدَأٍ فِي الْأَصْلِ جُمْلَةٌ ﴿ يَلْعَبُونَ ﴾ مِنْ قَوْلِهِ ﷻ : ﴿ مَا يَأْتِيهِمْ مِّنْ ذِكْرٍ مِّنْ رَبِّهِمْ مُّحَدَّثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴾^٣ ، فَهِيَ جُمْلَةٌ فِعْلِيَّةٌ فِي مَحَلِّ رَفْعِ خَبَرٍ ﴿ هُمْ ﴾ .

وَمِنَ الْجُمْلَةِ الْخَبَرِيَّةِ لِمُبْتَدَأٍ فِي الْأَصْلِ جُمْلَةٌ ﴿ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةً ﴾ مِنْ قَوْلِهِ ﷻ : ﴿ هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةً لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴾^٤ ، فَجُمْلَةٌ ﴿ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةً ﴾ فِي مَحَلِّ رَفْعِ خَبَرٍ الْمُبْتَدَأُ ﴿ هَؤُلَاءِ ﴾ ، وَفِي اسْمِ الْإِشَارَةِ تَحْقِيرٌ لَهُمْ ﴿ قَوْمُنَا ﴾ عَطْفٌ بَيَانٌ لَهُ لَا خَبَرَ لِعَدَمِ إِفَادَتِهِ ، وَلَا صِفَةً لِعَدَمِ شَرْطِهَا^٥ .

وَمِنَ الْجُمْلَةِ الْخَبَرِيَّةِ ، الْجُمْلَةُ الْوَاقِعَةُ خَبْرًا لـ ((إِنَّ)) وَأَخْوَاتُهَا :

^١ سورة يونس / ٦٢ .

^٢ سورة يونس / ٦٦ .

^٣ سورة الأنبياء / ٢ .

^٤ سورة الكهف / ١٥ .

^٥ يُنظَرُ : رُوحُ الْمَعَانِي ١٥ / ٢١٩ ، وَ إِمْلَاءُ مَا مَنَّ بِهِ الرَّحْمَنُ / ٣٩٥ .

نحو جملة ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ﴾ من قوله ﷺ : ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾^١ ، فـ ﴿سَوَاءٌ﴾ خبر مقدّم ، أو خبر إنّ ، ﴿عَلَيْهِمْ﴾ جار ومجرور متعلقان بسواء ، ﴿ءَأَنْذَرْتَهُمْ﴾ الهمزة للاستفهام بمعنى التسوية ، وهي والفعل بعدها في تأويل مصدر مبتدأ مؤخر ، أو فاعل لسواء الذي أجري مجرى المصادر والجملة ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ﴾ في محلّ رفع خبر إنّ .

ومن الجمل الواقعة خبراً لـ ((إنّ)) جملة ﴿لَا يُحِبُّ الْكٰفِرِينَ﴾ من قوله ﷺ : ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكٰفِرِينَ﴾^٢ ، فالجملة الفعلية ﴿لَا يُحِبُّ الْكٰفِرِينَ﴾ من الفعل والفاعل الضمير المستتر ((هو)) في محلّ رفع خبر لـ ﴿إِنَّ﴾ .

ومن الجمل الواقعة خبراً لـ ((إنّ)) جملة ﴿أَصْطَفَىٰ آدَمَ﴾ من قوله ﷺ : ﴿إِنَّ اللَّهَ أَصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَعَالَ إِبْرٰهِيْمَ وَعَالَ عِمْرٰنَ عَلَى الْعٰلَمِينَ﴾^٣ ، فالجملة الفعلية ﴿أَصْطَفَىٰ آدَمَ﴾ من الفعل والفاعل الضمير المستتر ((هو)) في محلّ رفع خبر لـ ﴿إِنَّ﴾ .

ومن الجمل الواقعة خبراً لـ ((إنّ)) جملة ﴿نَذَرْتُ﴾ من قوله ﷺ : ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرٰنَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾^٤ ، فالجملة الفعلية ﴿نَذَرْتُ﴾ من الفعل والفاعل - الضمير المتّصل ((تاء الفاعل)) - في محلّ رفع خبر لـ ﴿إِنَّ﴾ .

ومن الجمل الواقعة خبراً لـ ((إنّ)) جملة ﴿أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ من قوله ﷺ : ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرٰنَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾^٥ ، فالجملة الاسمية ﴿إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ إنّ حرف توكيد ونصب ، والكاف ضمير متّصل مبني على الفتح في محل نصب اسم ﴿إِنَّ﴾ ، و ﴿أَنْتَ﴾ مبتدأ ، أو ضمير فصل لا محلّ له من الإعراب ، و ﴿السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ خبران لـ ﴿أَنْتَ﴾ ، والجملة الاسمية : ﴿أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ في محلّ رفع خبر لـ ﴿إِنَّ﴾ ، ويحتمل أن يكون ﴿السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ خبران لـ ﴿إِنَّ﴾ وجملة إنّ وما في حيزها ﴿إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ تعليلية لا محلّ لها من الإعراب .

^١ سورة البقرة / ٦ .

^٢ سورة آل عمران / ٣٢ .

^٣ سورة آل عمران / ٣٣ .

^٤ سورة آل عمران / ٣٥ .

^٥ سورة آل عمران / ٣٥ .

ومن الجمل الواقعة خبراً لـ ((إِنَّ)) الجمل الفعلية التالية : ﴿ وَضَعْنَهَا ﴾ ، و ﴿ سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ ﴾ ، و ﴿ أَعِيدُهَا ﴾ من قوله ﷺ : ﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيدُهَا بِنكِ وَدُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾^١ ، فالجمل الفعلية الثلاث السابقة في محل رفع خبر لـ ﴿ إِنَّ ﴾ .

ومن الجمل الواقعة خبراً لـ ((إِنَّ)) جملة ﴿ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴾ من قوله ﷻ : ﴿ يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴾^٢ ، فالجملة الاسمية ﴿ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴾ في محل رفع خبر « إِنَّ » ، أو « أَنْتَ » ضمير فصل ، و « عَلَّامٌ » خبر « إِنَّ » وفي هذه الحالة لا شاهد في الآية .

ومن الجمل الواقعة خبراً لـ ((إِنَّ)) جملة ﴿ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ ﴾ من قوله ﷻ : ﴿ الْآيَاتُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾^٣ ، فالجملة ﴿ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ ﴾ في محل رفع خبر لـ ﴿ إِنَّ ﴾ .

ومن الجمل الخبرية ، الجملة الواقعة خبراً لـ ((كَانَ)) وأخواتها :

نحو جملة ﴿ يَكْذِبُونَ ﴾ من قوله ﷻ : ﴿ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾^٤ ، فجملة ﴿ يَكْذِبُونَ ﴾ من الفعل والفاعل - الضمير المتصل ((واو الجماعة)) - في محل نصب خبر لـ ﴿ كَانَ ﴾ .

ومن الجمل الخبرية الواقعة خبراً لـ ((كَانَ)) جملة ﴿ تُحِبُّونَ اللَّهَ ﴾ من قوله ﷻ : ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾^٥ ، فجملة ﴿ تُحِبُّونَ اللَّهَ ﴾ من الفعل والفاعل - الضمير المتصل ((واو الجماعة)) - والمفعول به لفظ الجلالة ﴿ اللَّهُ ﴾ في محل نصب خبر لـ ﴿ كَانَ ﴾ .

^١ سورة آل عمران / ٣٦ .

^٢ المائدة / ١٠٩ .

^٣ سورة يونس / ٦٢ .

^٤ سورة البقرة / ١٠ .

^٥ سورة آل عمران / ٣١ .

ومن الجمل الخبرية الواقعة خبراً لـ ((كان)) جملة ﴿ يَظْلُمُونَ ﴾ من قوله ﷺ : ﴿ سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنْفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ ﴾^١ ، فجملة ﴿ يَظْلُمُونَ ﴾ من الفعل والفاعل - الضمير المتصل ((واو الجماعة)) - في محل نصب خبر لـ ﴿ كَانَ ﴾ .
ونحو جملة ﴿ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ من قوله ﷺ : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾^٢ ، فـ ﴿ إِنْ ﴾ شرطية ، و ﴿ كُنْتُمْ ﴾ فعل ماضٍ ناقص في محلّ جزم فعل الشرط ، والتاء ضمير متصل مبني على الضمّ في محلّ رفع خبر كان ، والميم للجمع ، و جملة ﴿ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ من الفعل وفاعله في محلّ نصب خبر كان ، وجواب الشرط محذوف دلّت عليه الفاء الفصيحة .

ومن الجمل الخبرية ، الجملة الواقعة خبراً لـ ((كاد)) وأخواتها :

نحو جملة ﴿ يَفْعَلُونَ ﴾ من قوله ﷺ : ﴿ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولَ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلِّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبْحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴾^٣ ، فجملة ﴿ يَفْعَلُونَ ﴾ من الفعل ، والفاعل الضمير المتصل في محل نصب خبر لكاد^٤ .

الجملة الثانية : الجمل الخبرية الواقعة حالاً و موضعها النصب

نحو جملة ﴿ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ من قوله ﷺ : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَيَأْتِيهِمْ الْآخِرُ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴾^٥ ، فجملة : ﴿ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ الواو حالية ، و ﴿ مَا ﴾ نافية حجازية تعمل عمل ليس - وغير عاملة عند تميم - و ﴿ مَا ﴾ تنفي في الحال ، وقد تستعمل لنفي المستقبل ، و ﴿ هُمْ ﴾ ضمير منفصل مرفوع بـ ((ما)) عند الحجازيين ، ومبتدأ عند التميميين ، والباء في ﴿ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ حرف جر زائدة غير متعلقة بشيء ، وهكذا

^١ سورة الأعراف / ١٧٧ .

^٢ سورة الأنبياء / ٧ .

^٣ سورة البقرة / ٧١ .

^٤ يُنْظَر : مغني اللبيب / ٥٣٦ ، وموصل الطلّاب / ٣٧ - ٣٩ ، والنحو العربي ، شواهد و مقدمات / ١٤٤

- ١٤٥ ، وموسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم ٥٨٠ ، والنحو الشافي / ٥٤٤ .

^٥ سورة البقرة / ٨ .

كلّ حرف جرّ زيد في المبتدأ ، أو الخبر ، أو الفاعل ، وجاء للتوكيد ؛ لأنّه ليس في القرآن حرف جرّ زائدة ، ولكنّه الاصطلاح النحوي جرى على ذلك ، فهو عند البلاغيين حرف لا يُستغنى عنه ، والجملة الاسميّة ﴿ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ في محلّ نصب على الحال .^١

ونحو جملة ﴿ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ من قوله ﷺ : ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾^٢ ، ﴿ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ فالواو حالية ، و ﴿ أَنْتُمْ ﴾ ضمير منفصل في محلّ رفع مبتدأ ، ﴿ تَعْلَمُونَ ﴾ فعل مضارع مرفوع ، والفاعل الضمير المتّصل ((واو الجماعة)) ، والجملة الفعلية ﴿ تَعْلَمُونَ ﴾ من الفعل والفاعل في محلّ رفع خبر المبتدأ ﴿ أَنْتُمْ ﴾ ، والجملة الاسميّة بعد واو الحال ﴿ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ في محلّ نصب حال .

ونحو جملة ﴿ تَشْعُرُونَ ﴾ من قوله ﷺ : ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾^٣ ، ﴿ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾ فالواو حالية ، و ﴿ لَكِنْ ﴾ مخففة من النقيضة ، فهي لمجرد الاستدراك ، و « لا » نافية « تَشْعُرُونَ » فعل مضارع وعلامة رفعه ثبوت النون ، وواو الجماعة ضمير متّصل في محلّ رفع فاعل ، والجملة الفعلية ﴿ تَشْعُرُونَ ﴾ من الفعل والفاعل في محلّ نصب حال .

ونحو جملة ﴿ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ من قوله ﷺ : ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدُلُّوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾^٤ ، ﴿ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ فالواو حالية ، و ﴿ أَنْتُمْ ﴾ ضمير منفصل في محلّ رفع مبتدأ ، ﴿ تَعْلَمُونَ ﴾ فعل مضارع مرفوع ، والفاعل الضمير المتّصل ((واو الجماعة)) ، والجملة الفعلية ﴿ تَعْلَمُونَ ﴾ من الفعل والفاعل في محلّ رفع خبر المبتدأ ﴿ أَنْتُمْ ﴾ ، والجملة الاسميّة بعد واو الحال ﴿ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ في محلّ نصب حال .

^١ يُنظَر : إملاء ما منّ به الرّحمن / ٢٣ ، و إعراب القرآن وبيانه ١ / ٤٦ .

^٢ سورة البقرة / ٢٢٠ وكذا في سورة البقرة / ٤٢ ، وسورة البقرة / ١٨٨ ، وسورة آل عمران / ٧١ ، وسورة الأنفال / ٢٧ .

^٣ سورة البقرة / ١٥٤ .

^٤ سورة البقرة / ١٨٨ .

ونحو جملة ﴿ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ من قوله ﷻ : ﴿ وَأَتَقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾^١ ، ف﴿ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ فالواو حالية ، و﴿ هُمْ ﴾ ضمير في محلّ رفع مبتدأ ، والجملة الفعلية ﴿ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ من الفعل والفاعل الضمير المتّصل ((واو الجماعة)) في محلّ رفع خبر المبتدأ ﴿ هُمْ ﴾ ، والجملة الاسمية ﴿ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ في محلّ نصب حال من ﴿ كُلُّ ﴾ ؛ لأنها في معنى الجمع ؛ ويجوز أن يكون حالاً من الضمير في ﴿ يُرْجَعُونَ ﴾ عند مَنْ قرأها بالياء ، على أنّه خرج من الخطاب إلى الغيبة ، كقوله ﷻ : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرِينِ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ ﴾^٢ .^٣

ومن الجمل الواقعة حالاً جملة ﴿ كَيْفَ يَشَاءُ ﴾ من قوله ﷻ : ﴿ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾^٤ ، ف﴿ كَيْفَ يَشَاءُ ﴾ أداة شرط مبنية في محلّ نصب ب﴿ يَشَاءُ ﴾ على الحال ، ولم تجزم لعدم اتّصال « ما » بها ، ومفعول يشاء محذوف ؛ للغرابة وإظهار قدرة الله ﷻ ، تقدير المفعول : تصويركم ، أي : يشاء تصويركم ، وقيل ﴿ كَيْفَ ﴾ ظرف ل﴿ يَشَاءُ ﴾ ، وموضع الجملة ﴿ كَيْفَ يَشَاءُ ﴾ في محلّ نصب حال تقديره يصوّرکم على مشيئته ، أي : مريداً ، فعلى هذا يكون حالاً من ضمير اسم الله ؛ ويجوز أن تكون حالاً من الكاف ، والميم ، أي : يصوّرکم متقلّبين على مشيئته^٥ .

قال أبو حيّان - رحمه الله - في قوله ﷻ : ﴿ كَيْفَ يَشَاءُ ﴾ : ((﴿ كَيْفَ ﴾ هنا للجزاء ، لكنّها لا تجزم . ومفعول : ﴿ يَشَاءُ ﴾ محذوف لفهم المعنى ، التّقدير : كيف يشاء أن يصوّرکم . كقوله ﴿ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ ﴾^٦ أي : كيف يشاء أن ينفق ، و : ﴿ كَيْفَ ﴾ ، منصوب : ب﴿ يَشَاءُ ﴾ ، والمعنى : على أي حال شاء أن يصوّرکم صوّرکم ، ونصبه على الحال ، وحذف فعل الجزاء لدلالة ما قبله عليه ، نحو قولهم : « أنت ظالم إن فعلت » ، التّقدير : أنت ظالم إن فعلت فأنت ظالم ، ولا موضع لهذه الجملة من الإعراب ، وإن

^١ سورة البقرة / ٢٨١ .

^٢ سورة يونس / ٢٢ .

^٣ يُنظَر : إملاء ما منّ به الرّحمن / ١٢٥ ، وإعراب القرآن وبيانه ١ / ٣٧٢ .

^٤ سورة آل عمران / ٦ .

^٥ يُنظَر : إملاء ما منّ به الرّحمن / ١٣٠ ، وإعراب القرآن وبيانه ١ / ٣٩٢ .

^٦ المائدة / ٦٤ .

كانت متعلقة بما قبلها في المعنى ، فتعلّقها كتعلق إن فعلت ، كقوله : « أنت ظالم » .

وقال بعضهم ﴿ كَيْفَ يَشَاءُ ﴾ في موضع الحال ، معمول : يصوركم ؛ ومعنى الحال أي : يصوركم في الأرحام قادراً على تصويركم مالكاً ذلك ، وقيل : التقدير في هذه الحال : يصوركم على مشيئته ، أي مريداً ، فيكون حالاً من ضمير اسم الله ، ذكره أبو البقاء ، وجوز أن يكون حالاً من المفعول ، أي : يصوركم منقلبين على مشيئته^١ .

وقال الحوفي^٢ : يجوز أن تكون الجملة في موضع المصدر ، المعنى : يصوركم في الأرحام تصوير المشيئة ، وكما يشاء^٣ .

ونحو قوله ﷻ : ﴿ لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَى ﴾^٤ الواو واو الحال ، و جملة أنتم سكارى جملة حالية في محل نصب .

ونحو قوله ﷻ : ﴿ قَالُوا أَنْتُمْ لَكُمْ وَاتَّبَعَكَ الْأَزْدُونَ ﴾^٥ ، الواو واو الحال ، و جملة ﴿ اتَّبَعَكَ الْأَزْدُونَ ﴾ جملة حالية في محل نصب .

ونحو قوله ﷻ : ﴿ مَا يَأْتِيهِمْ مِّنْ ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِمْ مُّحَدَّثٍ إِلَّا اسْتَمْعَوْهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴾^٦ ، الواو واو الحال ، و جملة ﴿ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴾ جملة حالية في محل نصب ، وصاحب الحال المفعول في ﴿ مَا يَأْتِيهِمْ ﴾ ، وجملة ﴿ هُمْ يَلْعَبُونَ ﴾ جملة حالية في محل نصب من ضمير ﴿ اسْتَمْعَوْهُ ﴾ .

ونحو قوله ﷻ : ﴿ وَجَاءُوا آبَاءَهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ ﴾^٧ .

ومن الجمل الواقعة حالاً جملة ﴿ لَا يَخْفَى ﴾ من قوله ﷻ : ﴿ يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴾^٨ ، فجملة ﴿ لَا يَخْفَى ﴾ حال

^١ يُنظَر : إملاء ما من به الرَّحْمَنُ / ١٣٠ .

^٢ علي بن إبراهيم بن سعيد الحوفي المصري ، صاحب كتاب ((البرهان في علوم القرآن)) ، وكتاب ((إعراب القرآن)) . توفي - رحمه الله - سنة ثلاثين وأربعمائة هجرية . يُنظَر : حسن المحاضرة ، لعبد الرَّحْمَن بن أبي بكر السُّيُوطي - تحقيق : محمَّد أبو الفضل إبراهيم - القاهرة ١٣٨٧ هـ / ٢ / ٢٢٨ ، وإنباه الرُّوَاة ٢ / ٢١٩ .

^٣ البحر المحيط ٢ / ٣٩٥ - ٣٩٦ .

^٤ سورة النَّسَاء / ٤٣ .

^٥ سورة الشُّعْرَاء / ١١١ .

^٦ سورة الأنبياء / ٢ .

^٧ سورة يوسف / ١٦ .

^٨ سورة غافر / ١٦ .

من ضمير ﴿بَارِزُونَ﴾ أو خبر ثانٍ ، وقيل : هي مستأنفة ، ورجَّح الزمخشري - رحمه الله - الحالية^١ ، ولعلَّه على الصَّواب . و ﴿عَلَى اللَّهِ﴾ متعلِّقان بـ ﴿يَخْفَى﴾ ، و ﴿مِنْهُمْ﴾ حال ؛ لأنَّه كان في الأصل صفة لـ ﴿شَيْءٍ﴾ ، و ﴿شَيْءٍ﴾ فاعل يخفى^٢ .
ومن الجمل الواقعة حالاً جملة ﴿تَسْتَكْتَرُ﴾ من قوله ﷺ : ﴿وَلَا تَمُنَّ تَسْتَكْتَرُ﴾^٣ ، بالرَّفْع ، فجملة ((تَسْتَكْتَرُ)) من الفعل والفاعل حال من الضَّمير المستتر في ((تَمُنَّ)) المقدَّر ذلك الضَّمير بـ ((أنت)) ، وهو معرفة محضة ؛ لأنَّ الضَّمائر كلُّها معارف محضة ، بل هي أعرف المعارف .

ذكر الألوسي - رحمه الله - في تفسير هذه الآية عدَّة آراء ، فقال : ((وقرأ الحسن وابن أبي عبله^٤ ((تَسْتَكْتَرُ)) بسكون الرَّاء ، وخرَّج على أنَّه جزم ، والفعل بدل من تَمُنَّ)) المجزوم بلا الناهية كأنَّه قيل ((ولا تمنن لا تستكثر)) ؛ لأنَّ من شأن المانِّ بما يعطي أن يستكثره ؛ أي يراه كثيراً ، ويعتدُّ به ، وهو بدل اشتمال ، وقيل بدل كل من كل على ادعاء الاتحاد ، وفي ((الكشف)) الإبدال من ((تَمُنَّ)) على أنَّ المنَّ هو الاعتداد بما أعطى ، لا الإعطاء نفسه ، فيه لطيفة ؛ لأنَّ الاستكثار مقدِّمة المنِّ ، فكأنَّه قيل ((لا تستكثر فضلاً عن المنِّ)) ، وجوِّز أن يكون سكون وقف حقيقة ، أو بإجراء الوصل مجراه ، أو سكون تخفيف على أن شبه ثرو بعضد فسكن الرَّاء الواقعة بين الثَّاء وواو ((ولربك)) كما سُكِّنَت الضَّاد ، وليس بذاك ، والجملة عليه في موضع الحال ، وقرأ الحسن أيضاً والأعمش ﴿ تَسْتَكْتَرُ ﴾ بالنَّصب على إضمار أنْ كقولهم : ((مره يحفرها)) ؛ أي أن يحفرها ، وقوله (طرفه)^٥ :

^١ ينظر الكشَّاف ٣ / ٤١٩ .

^٢ يُنظَر : مغني اللبيب / ٥٣٦ - ٥٣٧ ، وموصل الطُّلاب / ٣٩ ، والنَّحو العربي ، شواهده و مقدمات / ١٤٨ - ١٥٠ ، وموسوعة كَشَّاف اصطلاحات الفنون والعلوم ٥٨٠ ، والنَّحو الشَّافي / ٥٤٤ .

^٣ سورة المدنر / ٦ .

^٤ إبراهيم بن أبي عبله ، شمَّر بن يقظان الدمشقي ، تابعي ثقة ، له اختيار شاذ . أخذ عن الزُّهري ، وأخذ عنه موسى بن طارق ، توفِّي - رحمه الله - سنة إحدى وخمسين ومائة من الهجرة . تنظر ترجمته في : غاية النهاية في طبقات القراء ١ / ١٩ .

^٥ قول طرفه ، هو طرفة بن العبد بن سفيان بن سعد ، البكري الوائلي ، أبو عمرو : شاعر ، جاهلي ، من الطبقة الأولى . ولد في بادية البحرين حوالي عام ستة وثمانين قبل الهجرة قتله المكعبر ، شاباً ، في "هجر" ، حوالي عام ستين قبل الهجرة ، الموافق أربع وستين وخمسمائة ميلادية . أشهر شعره معلقته ، ومطلعها :

أَلَا أَيُّهَذَا الرَّاجِرِي ^١ أَحْضَرَ الْوَعَى وَأَنْ أَشْهَدَ اللَّذَاتِ هَلْ أَنْتَ مُخْلِدي ^٢؟

في رواية نصب أحضر ، وقرأ ابن مسعود ^٣ ﴿ أَنْ تَسْتَكْتَرُ ﴾ بإظهار أن ، فالمن
بمعنى الإعطاء ، والكلام على إرادة التعليل ؛ أي ((ولا تعط لأجل أن تستكثر)) ، أي

لخولة أطلال ببرقة تهمد تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد

يُنظَر : معاهد التَّنصيص ١ / ٣٦٤ ، وسمط اللآلي في شرح أمالي القالي ، لعبدالله بن عبد العزيز البكري ،
تحقيق : عبد العزيز الميمني - مكتبة المثنى بغداد / ٣١٩ .

^١ وفي رواية : اللَّائِمِي .

^٢ البيت لطرفة بن العبد ، من معلّفته ، و " ألا " أداة استفتاح ، وحرف النداء محذوف ، و " أي " منادى ، واسم
الإشارة نعت له ، و " الرَّاجِرِي " نعت لاسم الإشارة ، مضاف لياء المتكلم إضافة الوصف لمفعوله ، وروي بدله "
اللَّائِمِي " ، وروي " أحضر " منصوباً بإضمار " أن " ، ومرفوعاً على إهمالها ، وحسن حذفها ذكرها فيما بعد .
يقول : يا أيُّها الرَّاجِرِي لي عن حضور الحرب ، وشهود لذاتها ؛ النَّصْر ، والظفر ، والغنيمة . أو شهود لذات
الشَّراب ، ومغازلة النساء المستدعي لإتلاف المال ، لست مخلداً لي لو طاوعتك ، فهو استفهام إنكاري .

يُنظَر : ديوان طرفة بن العبد ، دار صادر ط ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥ م / ٣٢ ، والكتاب ٣ / ٩٩ ،
١٠٠ ، والإتصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين ، أبي البركات عبد الرحمن بن محمد
بن أبي سعيد الأنباري ، دار الفكر - دمشق ٢ / ٥٦٠ ، وخزانة الأدب ، وغاية الأرب ، لتقي الدين أبي بكر
علي بن عبد الله الحموي الأزرازي ولد ٧٦٨ هـ الموافق ١٣٦٧ م ، وتوفي ٨٣٧ هـ الموافق - ١٤٣٤ م ، دار ،
ومكتبة الهلال ، بيروت ١٩٨٧ م ، ط ١ مجلدين ، تحقيق عصام شعيتو ١ / ١١٩ ، ٨ / ٥٧٩ ، والدُّرر ١ /
٧٤ ، وسر صناعة الإعراب ، لأبي الفتح عثمان بن جني - دار القلم - دمشق - الطبعة الأولى ١٩٨٥ م -
تحقيق : د.حسن هندراوي ١ / ٢٨٥ ، وشرح شواهد المغني - دار المأمون ، دمشق ١٩٧٣ م ٢ / ٨٠٠ ،
ولسان العرب " أنن " ، " دنا " ، والمقاصد النحوية ٤ / ٤٠٢ ، والمقتضب ٢ / ٨٥ ، والدُّرر ٣ / ٣٣ ، و٩ /
٦٤ ، ووصف المباني / ١١٣ ، شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب ، لعبدالله بن يوسف بن عبدالله بن
يوسف بن أحمد بن عبدالله بن هشام - الشركة المتحدة للتوزيع - دمشق - ١٩٨٤ م - الطبعة الأولى - تحقيق
: عبدالغني الدقر / ١٩٨ ، وشرح ابن عقيل / ٥٩٧ ، وشرح المفصل ٢ / ٧ ، و٤ / ٢٨ ، و٧ / ٥٢ ،
ومجالس ثعلب / ٣٨٣ ، ومغني اللبيب ٢ / ٣٨٣ ، و٦٤١ ، وهمع الهوامع شرح جمع الجوامع - جلال الدين
السيوطي - ط ١ - ١٣٢٧ هـ - ١٩٠٩ م - مطبعة السعادة بمصر ٢ / ١٧ (الكشاف ١ / ٢٩٠) .

^٣ عبدالله بن مسعود بن غافل ، ويكنى بأبي عبدالرحمن الهذلي ، أسلم قديماً ، وأول من جهر بالقرآن بمكة ، بعد
رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ، وكان يخدم الرسول - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - في أكثر شؤونه ، هاجر
إلى البصرة ثم المدينة ، وصلى إلى القبلتين ، وشهد بدرًا ، وأحد ، والخندق ، وبيعة الرضوان ، وسائر المشاهد
مع رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ، وشهد اليرموك بعد وفاة رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ، وشهد
له الرسول - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بالجنة ، وله مكانة عالية في التفسير . توفي - رضي الله عنه - بالمدينة
سنة اثنتين وثلاثين هجرية ، وكان عمره بضعاً وستين سنة . يُنظَر : سير أعلام النبلاء ١ / ٤٦١ ، و الطَّبقات
الكبرى ، لمحمد بن سعد - دار صادر - بيروت ١ / ١٠٦ ، وحلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، أبو نعيم أحمد
بن عبدالله الأصبهاني - القاهرة ١٩٣٨ م ١ / ١٢٤ ، و تاريخ بغداد ١ / ١٤٧ - ١٥٠ .

تطلب الكثير ممن تعطيه ، وأيدَّ به إرادة المعنى الأوَّل في قراءة الرَّفْع ، وجوَّز الرَّمخِشْرِيَّ في تلك القراءة أن يكون الرَّفْع لحذف أن ، وأبطال عملها ، كما رُوِيَ ((أحضر الوغى)) بالرَّفْع ، فالجملة حينئذ ليست حاليَّة ، وتعقُّبه أبو حيان بأنَّه لا يجوز حمل القرآن على ذلك ؛ إذ لا يجوز ما ذكر إلا في الشُّعر ، ولنا مندوحة عنه مع صحَّة معنى الحال ، وردَّ بأنَّ المخالف للقياس بقاء عملها بعد حذفها ، وأمَّا الحذف و الرَّفْع فلا محذور فيه ، وقد أجازهُ النُّحاة ، ومنه ((تسمع بالمعيدي خيرٌ من أن تراه))^١ .

وقال أبو البقاء - رحمه الله - : ((قوله تعالى : ﴿ تَسْتَكْثِرُ ﴾ بالرَّفْع على أنَّه حال ، وبالجزم على أنَّه جواب أو بدل ، وبالنَّصب على تقدير ((لتستكثر)) ، والتَّقدير في جعله جواباً : إنَّك أن لا تمنن بعملك أو بعطيَّتك ، تزدد من الثواب ؛ لسلامة ذلك عن الإبطال بالمنَّ على ما قال تعالى : ﴿ لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى ﴾^٢))^٣ .

الجملة الثالثة - الجملة الخبرية الواقعة مفعولاً

و محلُّها النَّصب ، و تأتي الجمل مفعولاً به في ثلاثة أبواب ، و هي :

الباب الأول : الحكاية بالقول أو ما فيه معنى القول :

نحو الجملة الاسميَّة من الضمير المستتر ((هم)) في محلِّ رفع مبتدأ ، و ﴿ أَمْوَاتٌ ﴾ خبرها من قوله ﷺ ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أحيَاءٌ وَلَكِنْ لَا

^١ روح المعاني ٢٩ / ١١٩ .

^٢ سورة البقرة / ٢٦٤ .

^٣ إملاء ما منَّ به الرَّحمن / ٥٦٨ .

تَشْعُرُونَ ﴿١﴾ ، فالجملة الاسمية : ﴿ أَمَوَاتٌ ﴾ تقديرها ((هم أموات)) ، في محلّ نصب مقول القول .

ونحو جملة ﴿ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ ﴾ من قوله ﷺ ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾^٢ ، فجملة ﴿ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ ﴾ في محلّ نصب مقول القول .

ونحو جملة ﴿ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ ﴾ من قوله ﷺ : ﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴾^٣ ، فجملة ﴿ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ ﴾ في محلّ نصب مقول القول .

ونحو جملة النداء ﴿ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى ﴾ من قوله ﷺ : ﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذَرَيْتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾^٤ ، ف﴿ رَبِّ ﴾ منادى مضاف لياء المتكلم المحذوفة ، و ﴿ إِنِّي ﴾ إنّ واسمها ، و ﴿ وَضَعْتُهَا ﴾ جملة فعلية مكونة من فعل وفاعل ومفعول به ، في محلّ رفع خبر ﴿ إِنَّ ﴾ ، و ﴿ أُنْثَى ﴾ حال مؤكدة ، أو مبيّنة ، وجملة النداء ﴿ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى ﴾ في محلّ نصب مقول القول للفعل ﴿ قَالَ ﴾ .

ونحو جملة ﴿ هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ ﴾ من قوله ﷺ : ﴿ قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾^٥ ، فالجملة الاسمية : ﴿ هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ ﴾ في محلّ نصب مقول القول .

ونحو جملة ﴿ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ﴾ من قوله ﷺ : ﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَانِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴾^٦ ، فجملة ﴿ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ﴾ في محلّ نصب مفعول به للفعل قال .

الباب الثاني : إذا وقعت الجملة مفعولا به لظنّ و أخواتها

^١ سورة البقرة / ١٥٤ .

^٢ سورة آل عمران / ٣١ .

^٣ سورة آل عمران / ٣٢ .

^٤ سورة آل عمران / ٣٦ .

^٥ سورة المائدة / ١١٩ .

^٦ سورة مريم / ٣٠ .

نحو جملة ﴿ لَمْ يَذْهَبُوا ﴾ من قوله ﷺ : ﴿ يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا ﴾^١ ،
 فجملة ﴿ لَمْ يَذْهَبُوا ﴾ جملة فعلية في محلّ نصب مفعول به ثانٍ للفعل ﴿ يَحْسَبُونَ ﴾ .

الباب الثالث : إذا وقعت الجملة مفعولاً به لأيّ فعل

وجملة القول من هذا النوع ، نحو جملة ﴿ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ﴾ من قوله ﷺ : ﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴾^٢ ، فجملة ﴿ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ﴾ من إنَّ واسمها وخبرها في محلّ نصب مفعول به ، للفعل ﴿ قَالَ ﴾ .

ونحو جملة ﴿ يَا بَنِيَّ ارْكَبْ مَعَنَا ﴾ من قوله ﷺ : ﴿ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بَنِيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ ﴾^٣ ، فجملة ﴿ يَا بَنِيَّ ارْكَبْ مَعَنَا ﴾ في محلّ نصب مفعول به ، للفعل ﴿ نَادَى ﴾ .

ونحو جملة ﴿ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ ﴾ من قوله ﷺ : ﴿ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفَعًا فَرِيضَةٌ مِنَ اللَّهِ إِنْ اللَّهُ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾^٤ ، فجملة ﴿ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ ﴾ في محلّ نصب مفعول به ، للفعل ﴿ يُوصِيكُمُ ﴾ .

ونحو جملة ﴿ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا ﴾ من قوله ﷺ : ﴿ قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَأَصْلَبَنَكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمَنَّ

^١ سورة الأحزاب / ٢٠ .

^٢ سورة مريم / ٣٠ .

^٣ سورة هود / ٤٢ .

^٤ سورة النساء / ١١ .

﴿ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى ﴾^١ ، جملة ﴿ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا ﴾ في محلّ نصب مفعول به ، للفعل ﴿ لَتَعْلَمَنَّ ﴾^٢ .

الجملة الرابعة - الجملة الخبرية المضاف إليها

وتقع بعد كلمة مضافة إلى جملة ((ومحلّها الجرّ ، فعلية كانت أو اسمية))^٣ .

أولاً : الجملة الفعلية المضاف إليها

كلّ جملة بعد ((إذْ)) الدّالة على الماضي ، أو ((إذا)) الدّالة على المستقبل أو ((حيث)) الدّالة على المكان ، أو ((لما)) الوجودية الدّالة على وجود شيء لوجود غيره عند من قال باسميتها وهو أبو بكر بن السّراج ، وتبعه أبو علي الفارسيّ ، و تبعهما أبو الفتح بن جبّي ، وتبعهم جماعة زعموا أنّها ظرف بمعنى ((حين)) ، وقال ابن مالك ظرف بمعنى ((إذْ)) ، واستحسنه المصنّف في المغني ، أو ((بينما)) ، أو ((بينا)) بزيادة الميم في الأولى وحذفها في الثانية ، فهي - أي الجملة الواقعة بعد هذه المذكورات كلّها - في موضع خفض بإضافتهن - أي إضافة هذه المذكورات إليها -^٤ .

فـ ((إذْ)) لما مضى من الدّهر ، و ((إذا)) لما يستقبل منه ، وهما مضافتان أبداً ، إلّا أنّ تضاف إلى كلتا الجملتين ، وأختها لا تضاف إلّا إلى الفعلية تقول : « جئتُ إذْ زيدٌ قائمٌ » ، و « إذْ قامَ زيدٌ » ، و « إذْ يقومُ زيدٌ » ، و « إذْ زيدٌ يقومُ » ، وقد استقبحوا : « إذْ زيدٌ قامَ » ، وتقول : « إذا قامَ زيدٌ » قال الله تعالى : ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى ﴾^٥ .

^١ سورة طه / ٧١ .

^٢ يُنظَر : مغني اللّبيب / ٥٣٨ - ٥٤٧ ، وموصل الطّلاب / ٣٩ - ٤١ ، والنّحو العربي ، شواهد و مقدمات / ١٤٥ - ١٤٧ ، وموسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم / ٥٨٠ - ٥٨١ ، والنّحو الشّافي / ٥٤٥ .

^٣ موصل الطّلاب / ٤١ ، يُنظَر : مغني اللّبيب / ٥٤٧ - ٥٥١ ، والنّحو العربي ، شواهد و مقدمات / ١٥١ - ١٥٦ ، وموسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم / ٥٨١ ، والنّحو الشّافي / ٥٤٦ .

^٤ موصل الطلاب إلى قواعد الإعراب / ٤٢ .

^٥ سورة اللّيل / ١ - ٢ .

^٦ المفصل في صنعة الإعراب / ٢١٣ .

من الجمل الفعلية المضاف إليها بعد ((إذ)) جملة ﴿ قَالَ رَبِّكَ لِلْمَلَائِكَةِ ﴾ من قوله ﷻ : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾^١ ، فـ ﴿ إِذْ ﴾ ظرف لما مضى من الزمان ، والجملة الفعلية ﴿ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ ﴾ من الفعل والفاعل في محلٍّ جرّ مضاف إليه .

ومن الجمل الفعلية المضاف إليها بعد ((إذ)) جملة ﴿ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ ﴾ من قوله ﷻ : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾^٢ ، فـ ﴿ إِذْ ﴾ ظرف لما مضى من الزمان ، والجملة الفعلية ﴿ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ ﴾ من الفعل والفاعل في محلٍّ جرّ مضاف إليه^٣ .

ومن الجمل الفعلية المضاف إليها بعد ((إذا)) المختصة بالجملة الفعلية على الأصحّ جملة ﴿ قِيلَ لَهُمْ ﴾ من قوله ﷻ : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾^٤ ، فـ ﴿ إِذَا ﴾ ظرف لما يستقبل من الزمان فيه معنى الشرط ، والعامل فيه جوابها ، وهو قوله ﴿ قَالُوا ﴾ ؛ وقال قومٌ : العامل فيها ﴿ قِيلَ ﴾ ، وهو خطأ ؛ لأنّه في موضع جرّ بإضافة ﴿ إِذَا ﴾ إليه ، والمضاف إليه لا يعمل في المضاف^٥ ، والجملة الفعلية ﴿ قِيلَ لَهُمْ ﴾ من الفعل والفاعل في محلٍّ جرّ مضاف إليه .

ومن الجمل الفعلية المضاف إليها بعد ((إذا)) جملة ﴿ لَفُؤَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ من قوله ﷻ : ﴿ وَإِذَا لَفُؤَا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شِيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴾

^١ سورة البقرة / ٣٠ .

^٢ سورة البقرة / ٣٤ .

^٣ وقل مثل ذلك في الجمل الفعلية التي بعد " إذ " في الآيات التالية : سورة البقرة / ٣٥ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٨ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٦٣ ، ٦٧ ، ٧٢ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ٩٣ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ، ٢٦٠ ، وسورة آل عمران / ٤٢ ، ٨١ ، ١٢١ ، ١٨٧ ، وسورة المائدة / ٢٠ ، ١١٠ ، ١١١ ، ١١٦ ، و سورة الأنعام / ٧٤ ، وسورة الأعراف / ١٤١ ، ١٦١ ، ١٦٤ ، ١٦٧ ، ١٧٢ ، وسورة الأنفال / ٧ ، ٣٠ ، ٣٢ ، ٤٤ ، ٤٨ ، وسورة إبراهيم / ٦ ، ٧ ، ٣٥ ، وسورة الحجر / ٢٨ ، وسورة الإسراء / ٤٧ ، ٦٠ ، ٦١ ، وسورة الكهف / ١٦ ، ٥٠ ، ٦٠ ، وسورة طه / ١١٦ ، وسورة الحج / ٢٦ ، وسورة الشعراء / ١٠ وغيرها .

^٤ سورة البقرة / ١١ .

^٥ إملاء ما من به الرحمن / ٢٥ .

﴿ ١ ﴾ ، ﴿ إِذَا ﴾ ظرف لما يستقبل من الزّمان فيه معنى الشّرط ، والعامل فيه جوابها ، وهو قوله ﴿ قَالُوا ﴾ ، والجملة الفعلية ﴿ لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ من الفعل والفاعل في محلّ جرّ مضاف إليه .

ومن الجمل الفعلية المضاف إليها بعد ((إذا)) جملة ﴿ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا ﴾ من قوله ﴿ كَذَلِكَ ﴾ : ﴿ يَكَادُ الْبَرْقُ يُخَطِّفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ ٢ ، ﴿ إِذَا ﴾ ظرف لما يستقبل من الزّمان فيه معنى الشّرط ، والعامل فيه جوابها ، وهو قوله ﴿ قَامُوا ﴾ ، والجملة الفعلية ﴿ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا ﴾ من الفعل والفاعل في محلّ جرّ مضاف إليه .

ومن الجمل الفعلية المضاف إليها بعد ((إذا)) جملة ﴿ جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ ﴾ من قوله ﴿ كَذَلِكَ ﴾ : ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴾ ٣ ، فالجملة الفعلية ﴿ جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ ﴾ من الفعل ، والفاعل ، والمفعول به في محلّ جرّ بإضافة ((إذا)) إليها ٤ .

ومنها جملة : ﴿ سِنْتُمْ ﴾ من قوله ﴿ كَذَلِكَ ﴾ : ﴿ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ ٥ ، ﴿ حَيْثُ ﴾ ظرف مكان مبني على الضمّ في محلّ نصب ، والعامل فيه ﴿ كَلَا ﴾ ، و ﴿ سِنْتُمْ ﴾ جملة فعلية من الفعل الماضي ، والفاعل الضمير المتّصل في محلّ جرّ مضاف إليه . ويجوز أن يكون ﴿ حَيْثُ ﴾ بدل من الجنّة ، فيكون مفعولاً به ؛ لأنّ الجنّة مفعول وليس ظرف ، لأنّك تقول سكنت البصرة ، وسكنت الدّار ٦ . و « حَيْثُ » ١ ((ظرف مكان ، وقال الأخفش : تكون زماناً أيضاً ، كقول طرفة :

١ سورة البقرة / ١٤ .

٢ سورة البقرة / ٢٠ .

٣ سورة النّصر / ١ .

٤ وقل مثل ذلك في الجمل التي تلي " إذا " في الآيات الآتية : سورة البقرة ٧٦ ، ٩١ ، ١١٧ ، ١٧٠ ، ١٨٦ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢٣١ ، ٢٣٢ ، وسورة آل عمران / ١١٩ ، وسورة النّساء / ٨ ، ٥٨ ، ٦١ ، ٦٧ ، ٨٣ ، ٨٦ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٤٢ ، وسورة المائدة / ٢ ، ٥٨ ، ٦١ ، ٨٣ ، ١٠٤ ، وسورة الأنعام / ٥٤ ، ٦٨ ، ١٢٤ ، ١٥٢ ، وسورة الأعراف / ٢٨ ، ٤٧ وغيرها .

٥ سورة البقرة / ٣٥ .

٦ يُنْظَرُ : إملاء ما من به الرّحمن / ٣٧ .

لَلْفَتَى عَقْلٌ يَعِيشُ بِهِ حَيْثُ تَهْدِي سَاقَهُ قَدَمُهُ^٢

أي : مدّة حياته • وهذا غير لازم ، إذ يمكن أن يكون المعنى : في أي مكان كان^٣ ((، والجمل بعد « حَيْثُ » تكون في محلّ جرّ مضاف إليه ؛ لأنها)) مبهمة بينها ما بعدها ، ولا تكاد العرب توقع بعدها المفرد ، بل تبيّننها بالجملة ، وذلك لشدّة إبهامها وإرادة تعيّننها بإضافتها إلى المعيّن ، وذلك لأنّك لو قلت : جلستُ حيثُ الجلوسِ أو حيثُ زيدٍ ، لم يكن في ذلك إيضاح تامّ لاحتماله ، فإذا قلت : حيثُ جلسَ زيدٌ ، لم يبقَ فيه احتمال • وقد جاء المفرد بعدها في الشعر كقول الرّاجز :

أما ترى حيثُ سهيلٌ طالِعاً^٤

ويروى ((سهيلٌ)) بالرفع على الابتداء ، والخبر محذوف دلّت عليه الحال ، وهي قوله : ((طالِعاً)) • ويروى بالجرّ ، فمنهم من يقول بإضافتها إلى المفرد وهي مبنية كقوله تعالى

^١ يُنظَر : ما يتعلّق بـ " حيث " في الكتاب ١ / ٤١ ، ٥٤ ، ٢ / ٤٨ ، ٣١٢ ، والقضب ٢ / ٥٤ ، ٣ / ١٧٣ ، ١٧٥ ، ١٧٨ ، ٤ / ٣٣٤ ، ٣٣٩ ، ٣٤٠ ، ٣٤٦ ، و التّبصرة والتّنكرة للصيمري ٢ / ٣١١ ، وشرح المفصل ٤ / ٩١ ، وشرح الكافية للرضي ١ / ٥٠٠ ، ٣ / ١٨٢ ، ومغني اللّبيب ١ / ١٧٦ •

^٢ البيت لطرفة بن العبد من بحر المديد من قصيدة في ديوانه / ٨٦ ، والبيت من أبيات الشّواهد المتعاوره • يُنظَر : مجالس ثعلب / ٣٢٨ ، والأمالى الشجرية ٢ / ١٦٢ ، وشرح المفصل ٤ / ٩٢ ، وخزانة الأدب ، وغاية الأرب ٣ / ١٦٢ ، والهمع ١ / ٢١٢ ، والدّرر الكاملة ١ / ١٨١ •

^٣ قال البغدادي في الخزانة ٣ / ١٦٢ بعد أن أنشد البيت :

((على أنّ الأخفش قال : إنّ " حيث " قد تأتي بمعنى " الحين " أي : ظرف زمان كما في هذا البيت • قال أبو علي في إيضاح الشعر : زعم أبو الحسن أنّ " حيث " قد يكون اسماً للزمان ، وأنشد « للفتى عقلٌ يعيشُ به • • البيت » فجعل " حيث " فيه حيناً • فإن قلت : فهل يجوز على هذا أن يكون موضع الجملة بعد " حيث " جرّاً لإضافة " حيث " إليه كما تضاف أسماء الزّمان إلى الجمل ؟ فالجواب : أنّ ذلك لا يمتنع فيه إذا كان زماناً •

وقال ابن مالك : لا حاجة للأخفش فيه لجواز إرادة المكان على ما هو أصله ، ويدلّ لما قاله أنّ المعنى على الطّرفية المكانية إذ المعنى : أين مشى لا حين مشى)) • يُنظَر : شرح الأبيات للفارسي ٢٠٩ - ٢١٠ •

^٤ اللّباب في علل البناء ، والإعراب ٢ / ٧٧ •

^٥ هذا البيت من الرّجز المشطور ، وهو من الشّواهد التي لم يسمّ قائلها • وتمام البيت : ((نجماً يضيء كالشّهاب لامعاً)) • يُنظَر : مناقشة إعراب هذا الشّاهد في خزانة الأدب ، وغاية الأرب ٣ / ١٥٥ ، ١٥٦ ، وشرح المفصل ٤ / ٩٠ ، ومغني اللّبيب ١ / ١٧٨ ، وشرح شواهد الألفية للعيني ٣ / ٢٨٤ ، والهمع ١ / ٢١٢ ، والدّرر الكامنة ١ / ١٨٠ ، وابن عقيل ٣ / ٥٦ ، وشرح شنور الذهب ١ / ١٦٨ •

: ﴿ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾^١ ، ومنهم من ينصب^٢ « حَيْثُ » ، ويُعربها ويجرّ ما بعدها بالإضافة^٣ .

ومما سبق نقول أنّ الجمل بعد ﴿ حَيْثُ ﴾ في الآيات التالية في محلّ جرّ مضاف إليه ، وهي تضاف إلى الجملتين - الفعلية والاسميّة - وإضافتها إلى الفعلية أكثر^٤ ، منها جملة ﴿ خَرَجْتَ ﴾ : قوله ﷺ : ﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لِلْحَقِّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا لِلَّهِ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾^٥ ، ف﴿ حَيْثُ ﴾ ظرف مكان مبني على الضمّ في محلّ نصب ، والعامل فيه ﴿ فَوَلِّ ﴾ ، و ﴿ خَرَجْتَ ﴾ جملة فعلية من الفعل الماضي ، والفاعل الضمير المتّصل في محلّ جرّ مضاف إليه . ولا يمكن أن تكون ﴿ حَيْثُ ﴾ شرطاً لأنّها لم تقترن بـ ((ما))^٦ .

ومنها جملة ﴿ خَرَجْتَ ﴾ من قوله ﷺ : ﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلَا تَمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾^٧ .

ومنها جملة ﴿ تَقَفْتُمُوهُمْ ﴾ ، وجملة ﴿ أَخْرَجُوكُمْ ﴾ من قوله ﷺ : ﴿ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَقَفْتُمُوهُمْ وَأَخْرَجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تَقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴾^٨ .

ومنها جملة ﴿ أَفَاضَ النَّاسُ ﴾ من قوله ﷺ : ﴿ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾^٩ .

^١ سورة هود / ١١ .

^٢ قال سيبويه - رحمه الله - : فأما ما كان غايةً نحو : قبلُ وبعدُ وحيثُ ، فإنهم يحرّكونه بالضمّ . الكتاب : ٢ / ٤٤٠ . وقد قال بعضهم : حيثُ - بفتح الناء - شبهوه بـ " أين " . يُنظَر : المقتضب ٣ / ١٧٨ .

^٣ اللُّبَاب في علل البناء والإعراب ٢ / ٧٨ . وينظر المفصل في صنعة الإعراب / ٢١١ - ٢١٢ .

^٤ يُنظَر : موصل الطلاب إلى قواعد الإعراب ، الأزهري / ٤٢ .

^٥ سورة البقرة / ١٤٩ .

^٦ يُنظَر : إملاء ما من به الرّحمن / ٧٦ .

^٧ سورة البقرة / ١٥٠ .

^٨ سورة البقرة / ١٩١ .

^٩ سورة البقرة / ١٩٩ .

ومنها جملة ﴿ أَمَرَكُمُ اللَّهُ ﴾ من قوله ﷺ : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَدَىٰ فَأَعْتَرِلُوا نِسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهَرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾^١ .

ومنها جملة ﴿ وَجَدْتُمُوهُمْ ﴾ من قوله ﷺ : ﴿ وَدُوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وُلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾^٢ .

ومنها جملة ﴿ تَقَفْتُمُوهُمْ ﴾ من قوله ﷺ : ﴿ سَتَجِدُونَ آخِرِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلًّا مَا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكَسُوا فِيهَا فَإِنْ لَمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَامَ وَيَكْفُوا أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَقَفْتُمُوهُمْ وَأُولَئِكَ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُبِينًا ﴾^٣ .

ومنها جملة ﴿ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ﴾ من قوله ﷺ : ﴿ وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ ﴾^٤ .

ومنها جملة ﴿ لَا تَرَوْنَهُمْ ﴾ من قوله ﷺ : ﴿ يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوَاتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾^٥ . وغيرها كثير^٦ .

ومن الجمل الفعلية المضاف إليها بعد ((يوم)) جملة ﴿ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ ﴾ من قوله ﷺ : ﴿ قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا فِيهَا أَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾^٧ ، فالجملة الفعلية ﴿ يَنْفَعُ

^١ سورة البقرة / ٢٢٢ .

^٢ سورة النساء / ٨٩ .

^٣ سورة النساء / ٩١ .

^٤ سورة الأنعام / ١٢٤ .

^٥ سورة الأعراف / ٢٧ .

^٦ يُنظَر : سورة الأعراف / ١٦١ ، و سورة الأعراف / ١٨٢ ، و سورة التوبة / ٥ ، و سورة يوسف / ٥٦ ، و سورة يوسف / ٦٨ ، و سورة الحجر / ٦٥ ، و سورة النحل / ٢٦ ، و سورة النحل / ٤٥ ، و سورة طه / ٦٩ ، و سورة ص / ٣٦ ، و سورة الزمر / ٢٥ ، و سورة الزمر / ٧٤ ، و سورة الحشر / ٢ ، و سورة الطلاق / ٣ ، و سورة

الطلاق / ٦ ، و سورة القلم / ٤٤ .

^٧ سورة المائدة / ١١٩ .

الصَادِقِينَ صِدْقُهُمْ ﴿ من الفعل ، والمفعول به المقدم ، والفاعل المؤخر في محل جر بإضافة يوم إليها ، والتقدير « هذا يوم نفع الصادقين صدقهم » .

ونحو جملة ﴿ نُسِِرَ الْجِبَالُ ﴾ من قوله ﷺ : ﴿ وَيَوْمَ نُسِِرَ الْجِبَالُ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمَّ نُعَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴾^١ ، فالجملة الفعلية ﴿ نُسِِرَ الْجِبَالُ ﴾ من الفعل والفاعل المستتر والمفعول به في محل جر بإضافة يوم إليها .

ومن الجمل الفعلية المضاف إليها بعد ((لَمَّا)) المختصة بالفعل الماضي جملة ﴿ جَاءَهُمْ كِتَابٌ ﴾ من قوله ﷺ : ﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾^٢ .

ثانياً : الجملة الاسمية المضاف إليها

من الجمل الاسمية المضاف إليها بعد ((إِذْ)) جملة ﴿ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ من قوله ﷺ : ﴿ وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكَفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾^٣ ، فـ ﴿ إِذْ ﴾ ظرف لما مضى من الزمان ، والجملة الاسمية ﴿ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ من المبتدأ الضمير المنفصل ، والخبر في محل جر مضاف إليه^٤ .

ومن الجمل الاسمية المضاف إليها بعد ((إِذْ)) جملة ﴿ كُنْتُمْ أَعْدَاءً ﴾ من قوله ﷺ : ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾^٥ ، فـ ﴿ إِذْ ﴾ ظرف لما مضى من الزمان ، وجائز أن يكون ظرف للنعمة ، وأن يكون ظرفاً للاستقرار في ﴿ عَلَيْكُمْ ﴾ إذا جعلته حالاً^٦ ، والجملة الاسمية ﴿ كُنْتُمْ أَعْدَاءً ﴾ من ((كَانَ)) النَّاسِخ ، واسمها ، وخبرها في محل جر بإضافة ﴿ إِذْ ﴾ إليها .

^١ سورة الكهف / ٤٧ .

^٢ سورة البقرة / ٨٩ .

^٣ سورة آل عمران / ٨٠ .

^٤ يُنظَر : إملاء ما من به الرَّحْمَن / ١٤٨ .

^٥ سورة آل عمران / ١٠٣ .

^٦ يُنظَر : إملاء ما من به الرَّحْمَن / ١٥٢ .

ومن الجمل الاسمية المضاف إليها بعد ((إذ)) جملة ﴿ الظالمون في غمرات الموت ﴾ من قوله ﷻ : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾^١ ، فـ ﴿ إذ ﴾ ظرف لـ ﴿ ترى ﴾ ، ومفعول ترى محذوف ، أي : ولو ترى الكفار ، أو نحو ذلك ، والجملة الاسمية ﴿ الظالمون في غمرات الموت ﴾ من المبتدأ ﴿ الظالمون ﴾ ، وخبره في محل جر بإضافة ﴿ إذ ﴾ إليها^٢ .

ومن الجمل الاسمية المضاف إليها بعد ((إذ)) جملة ﴿ أنتم قليل ﴾ من قوله ﷻ : ﴿ وَادْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾^٣ ، فـ ﴿ وادكروا ﴾ معطوفة على ﴿ اعلموا ﴾ من قوله ﷻ : ﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾^٤ ، و ﴿ إذ ﴾ ظرف لما مضى من الزمان ، وهو مضاف ، و ﴿ أنتم ﴾ ضمير منفصل في محل رفع مبتدأ ، و ﴿ قليل ﴾ خبرها ، والجملة الاسمية ﴿ أنتم قليل ﴾ في محل جر مضاف إلى الظرف ﴿ إذ ﴾^٥ ، و إذ كنتم قليلاً ، فتضاف إلى الجملتين كما مثلنا^٥ .

ومن الجمل الاسمية المضاف إليها جملة ﴿ أن يأتي يوم ﴾ من قوله ﷻ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خُلَّةَ وَلَا شَفَاعَةَ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾^٦ ، فـ ﴿ أن يأتي يوم ﴾ في تأويل مصدر في محل جر بإضافة ﴿ قبل ﴾ إليه^٦ . والتقدير : من قبل إتيان يوم^٧ .

ومن الجمل الاسمية المضاف إليها جملة ﴿ هم بارزون ﴾ من قوله ﷻ : ﴿ رَفِيعِ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ * يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴾^٨ ، فـ ﴿ يوم ﴾ بدل من

^١ سورة الأنعام / ٩٣ .^٢ يُنظَر : إملاء ما من به الرحمن / ٢٦٠ .^٣ سورة الأنفال / ٢٦ .^٤ سورة الأنفال / ٢٥ .^٥ يُنظَر : موصل الطلاب إلى قواعد الإعراب ، الأزهرى / ٤١ - ٤٢ .^٦ سورة البقرة / ٢٥٤ .^٧ وقل مثل ذلك في الآيات الآتية : سورة إبراهيم / ٣١ ، وسورة الرُّوم / ٤٣ ، وسورة الشورى / ٤٧ .^٨ سورة غافر / ١٥ - ١٦ .

﴿يَوْمَ التَّلَاقِ﴾ ، بدل كل من كل ، و ﴿هُم﴾ ضمير منفصل في محل رفع مبتدأ ، و ﴿بَارِزُونَ﴾ خبرها ، والجملة الاسمية ﴿هُم بَارِزُونَ﴾ من المبتدأ والخبر في محل جر بإضافة يوم إليها ، والدليل على أن يوم فيهما مضاف عدم تنوينه . فحركة يوم حركة إعراب على المشهور ، والإعراب هنا أرجح ؛ لأن إضافة أسماء الزمان إذا وليها فعلاً مضارعاً معرباً ، أو جملة اسمية ؛ فالإعراب أرجح من البناء ، وهو واجب عند البصريين ؛ لعدم التناسب ، وإنما قلنا بأرجحية الإعراب هنا ؛ لأن نافعاً^١ - رحمه الله - قرأ ﴿هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ﴾ من قوله ﷺ : ﴿قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾^٢ ، حيث قرأ ﴿يَوْمٌ﴾ بالفتح على البناء ، لا على الإعراب ، وأجاب جمهور البصريين بأن الفتحة فيه ليست فتحة بناء ، وإنما هي فتحة إعراب ، كما تقول : «جئت يوم زيد أمير» ، فلا يجوز البناء . والتزموا لأجل ذلك أن تكون الإشارة ليست لليوم ، و إلا كون الشيء ظرفاً لنفسه ، ولهذا قال أبو علي الفارسي ، وابن مالك بأرجحية الإعراب ، قال ابن مالك - رحمه الله - في ألفيته :

وَابْنِ أَوْ أَعْرَبِ مَا كَادَ قَدْ أُجْرِيَا وَاخْتَرْنَا مِثْلَ فِعْلٍ بُنِيَا
وَقَبْلَ فِعْلٍ مُعْرَبٍ أَوْ مُبْتَدَأً أَعْرَبِ وَمَنْ بَنَى فَلَنْ يُفَنَّدَا^٣

قال ابن عقيل - رحمه الله - : ((وما وقع قبل فعل معرب ، أو قبل مبتدأ ، فالمختار فيه الإعراب ، ويجوز البناء وهذا معنى قوله : ((ومن بنى فلن يفندا)) ، أي :

^١ نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم القارئ أبو عبد الرحمن . الإمام ، حبر القرآن ، ولد في خلافة عبد الملك بن مروان سنة بضع وسبعين هجرية ، وجود كتاب الله على عدة من التابعين ، قال عنه الليث بن سعد : حجبت سنة ثلاث عشرة ومائة ، وإمام الناس في القراءة بالمدينة نافع بن أبي نعيم . وممن قرأ على هذا الإمام : الإمام مالك . توفي - رحمه الله - سنة تسع وستين ومائة ، قبل مالك بعشر سنين . يُنظر : التاريخ الكبير ٨ / ٨٧ ، ومشاهير علماء الأمصار ، لمحمد بن حبان البستي - تحقيق : فلايشهر - دار الكتب العلمية / ١٤١ ، والكامل ، لابن عدي خ / ٨١٠ ، وتهذيب الكمال ، يوسف بن عبد الرحمن المزني - دار المأمون - دمشق ، ومطبوعة مؤسسة الرسالة / ١٤٠٣ ، وتهذيب التهذيب خ / ٤ / ٩٠ ، وميزان الاعتدال ٤ / ٢٤٢ ، وسير أعلام النبلاء ٧ / ٣٣٦ - ٣٣٨ ، العبر ١ / ٢٥٧ ، وغاية النهاية في طبقات القراء ٢ / ٣٣٠ - ٣٣٤ ، وتهذيب التهذيب ١٠ / ٤٠٧ - ٤٠٨ ، و خلاصة تهذيب الكمال ، أحمد بن عبدالله الخرجي - بولاق ١٣٠١ هـ / ٣٣٩ ، وشذرات الذهب ١ / ٢٧٠ .

^٢ سورة المائدة / ١١٩ .

^٣ ألفية ابن مالك : / ، وابن عقيل ٣ / ٥٨ .

فلن يغلط ، وقد قرئ في السبعة : ﴿ هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ ﴾^١ بالرفع على الإعراب ، وبالفتح على البناء . هذا ما اختاره المصنّف ، ومذهب البصريين أنّه لا يجوز فيما أضيف إلى جملة فعلية صدرت بمضارع ، أو إلى جملة اسمية إلاّ الإعراب ، ولا يجوز البناء إلاّ فيما أضيف إلى جملة فعلية صدرت بماضي ، هذا حكم ما يضاف إلى الجملة جوازاً . وأمّا ما يضاف إليها وجوباً فللبناء لشبهه بالحرف في الافتقار إلى الجملة كـ ((حيث)) و ((إذ)) و ((إذا))^٢ .

قال أبو حيان - رحمه الله - في تفسير قوله ﷺ : ﴿ يَوْمٌ هُمْ بَارِزُونَ ﴾ : ((و)) « يوماً » بدل من ﴿ يَوْمُ التَّلَاقِ ﴾ وكلاهما ظرف مستقبل . والظرف المستقبل عند سيبويه لا يجوز إضافته إلى الجملة الاسمية ، لا يجوز : « أَجِيئُكَ يَوْمَ زَيْدٍ ذَاهِبٌ » ، أجراء له مجرى إذا ، فكما لا يجوز أن تقول : « أَجِيئُكَ إِذَا زَيْدٌ ذَاهِبٌ » ، فكذلك لا يجوز هذا .

وذهب أبو الحسن^٣ إلى جواز ذلك^٤ ، فيتخرّج قوله : ﴿ يَوْمٌ هُمْ بَارِزُونَ ﴾ على هذا المذهب . وقد أجاز ذلك بعض أصحابنا على قلة ، والدلائل المذكورة في علم النحو . وقال ابن عطية^٥ : ويحتمل أن يكون انتصابه على الظرف ، والعامل فيه قوله : ﴿ لا

^١ سورة المائدة / ١١٩ .

^٢ شرح ابن عقيل ٣ / ٦٠ .

^٣ الأخفش .

^٤ ونقل ابن عقيل عن السيرافي أنّه لا يرى خلافاً بين سيبويه والأخفش ، فقال : « وزعم السيرافي أنّه لا خلاف بين سيبويه والأخفش في جواز وقوع المبتدأ بعد إذا ، وإنّما الخلاف بينهما في خبره ؛ فسيبويه يُوجب أن يكون فعلاً ، والأخفش يُجوز أن يكون اسماً ؛ فيجوز في « أَجِيئُكَ إِذَا زَيْدٌ قَامَ » جعلُ " زَيْدٌ " مبتدأ عند سيبويه والأخفش ، ويجوز « أَجِيئُكَ إِذَا زَيْدٌ قَائِمٌ » عند الأخفش فقط . وقد يستدل الأخفش بقول الشاعر :

إِذَا بَاهِلِي تَحْتَهُ حَنْظَلِيَّةٌ لَهُ وَلَدٌ مِنْهَا فَذَاكَ الْمُدْرَعُ

وأنصار سيبويه يُخرّجون هذا البيت على أنّ " كان " مضمرة بعد " إذا " ، وكأنّه قد قال : « إِذَا كَانَ بَاهِلِي » ؛ فتكون " إذا " مضافة إلى جملة فعلية ، وهو تكلف . يُنظر : شرح ابن عقيل ٣ / ٦١ .

^٥ أبو محمّد عبد الحق ابن الحافظ أبي بكر غالب بن عطية المحاربي الغرناطي الأندلسي . إماماً في الفقه ، وفي التفسير ، وفي العربية ، قوي المشاركة ، ذكياً فطناً مدركاً ، من أوعية العلم . وُلِدَ سنة ثمانين وأربعمائة هجرية ، اعتنى به والده ، ولحق به الكبار ، وطلب العلم وهو مراهق ، وكان يتوقّد ذكاءً ، ولي قضاء المرية في سنة تسع وعشرين وخمسائة . وتوفي - رحمه الله - في الخامس والعشرين من شهر رمضان سنة إحدى وأربعين وخمسائة هجرية . يُنظر : الصلّة ٢ / ٣٨٦ ، وبغية الملتبس ، للمفضّل الصّبّي - مدريد ١٨٨٤ -

يَخْفَى ﴿ ، وهي حركة إعراب لا حركة بناء ؛ لأنَّ الظَّرْفَ لا يبنى إلاَّ إذا أُضيف إلى غير متمكَّن ، كـ ((يومئذ)) . وقال الشاعر :

عَلَى حِينٍ عَاتَبْتُ الْمَثِيبَ عَلَى الصَّبَا^١

وكقوله تعالى : ﴿ هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ ﴾ . وأمَّا في هذه الآية فالجملة اسم متمكَّن ، كما تقول : « جئت يوم زيد أمير » ، فلا يجوز البناء . انتهى .

يعني أن ينتصب على الظرف قوله : ﴿ يَوْمٌ هُمْ بَارِزُونَ ﴾ ، وأمَّا قوله لا يبنى إلاَّ إذا أُضيف إلى غير متمكَّن ، فالبناء ليس متحتماً ، بل يجوز فيه البناء والإعراب . وأمَّا تمثيله بـ ﴿ يَوْمٌ يَنْفَعُ ﴾ ، فمذهب البصريين أنه لا يجوز فيه إلاَّ الإعراب ، ومذهب الكوفيين جواز البناء والإعراب فيه . وأمَّا إذا أُضيف إلى جملة اسمية ، كما مثل من قوله : « جئت يوم زيد أمير » ، فالنقل عن البصريين تحتم الإعراب ، كما ذكر ، والنقل عن الكوفيين جواز الإعراب والبناء . وذهب إليه بعض أصحابنا ، وهو الصحيح ؛ لكثرة شواهد البناء على ذلك . ووقع في بعض تصانيف أصحابنا أنه يتحتم فيه البناء ، وهذا قول لم يذهب إليه أحد ، فهو وهم ^٢ .

الجملة الخامسة - الواقعة بعد الفاء أو " إذا " الفجائية جواباً لشرط جازم

ودار الكاتب العربي ١٩٦٧ م / ٣٧٦ ، ومعجم أبن الأبار / ٢٦٩ ، والدِّيَّاج المذهب في معرفة أعيان المذهب ، لإبراهيم بن علي بن فرحون - تحقيق : محمَّد الأحمدى أبو النور - القاهرة ١٣٥١ هـ / ٢ / ٥٧ ، و بغية الوعاة ٢ / ٧٣ ، وطبقات المفسرين ، للسيوطي / ١٦ - ١٧ ، وسير أعلام النبلاء ١٩ / ٥٨٧ ، وطبقات المفسرين ، للدَّاوودي ١ / ٢٦٠ ، ونفح الطيب ١ / ٦٧٩ ، وكشف الظنون / ٤٣٩ ، ١٦١٣ ، وهديَّة العارفين / ٥٠٢ .

^١ هذا صدر بيت للنابغة الذبياني ، وعجزه قوله :

وَقُلْتُ : أَلَمَّا أَصْحُ وَالشَّيْبُ وَازِعٌ ؟

الشَّاهد في البيت : قوله على حين فإنه يُروى بوجهين : بجر " حين " ، وفتحه ، فدل ذلك على أن كلمة " حين " إذا أُضيفت إلى مبني - كما هنا - جاز فيها البناء ؛ لأنَّ الأسماء المبهمة التي تجب إضافتها إلى الجملة إذا أُضيفت إلى مبني فقد تكتسب البناء منه ، كما أنَّ المضاف قد يكتسب التذكير ، أو التأنيث من المضاف إليه ، ويجوز فيها الإعراب على الأصل . ديوان النابغة الذبياني ، تحقيق وشرح علي فاعور - دار الفكر العربي - بيروت ط ١٩٩٣ م / ٨٢ .

^٢ البحر المحيط ٧ / ٤٣٧ .

لأنها لم تصدر بمفرد يقبل الجزم لفظاً أو محلاً .

فمثال الجملة المقرونة بـ ((الفاء)) :

الجملة الاسمية : ﴿ لا إثم عليه ﴾ من قوله ﷺ : ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلَ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾^١ ، فـ ﴿ فلا إثم ﴾ الفاء رابطة لجواب الشرط و ﴿ لا ﴾ نافية للجنس ، و ﴿ إثم ﴾ اسم لا مبني على الفتح ، و ﴿ عليه ﴾ جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر ﴿ لا ﴾ ، وجملة ﴿ لا إثم عليه ﴾ من ﴿ لا ﴾ واسمها وخبرها في محل جزم جواب الشرط ، وفعل الشرط وجوابه في محل رفع خبر ﴿ من ﴾ عند العكبري ، والأرجح فعل الشرط فقط في محل رفع خبر ﴿ من ﴾ .

وقل مثل ذلك في جملة ﴿ لا إثم عليه ﴾ من قوله ﷺ : ﴿ فَمَنْ خَافَ مِنْ مَوْصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾^٢ .

وكذا مثل ذلك في جملة ﴿ لا إثم عليه ﴾ من قوله ﷺ : ﴿ وَأذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾^٣ .

والجملة الاسمية ﴿ إثم على الذين يبدلونه ﴾ من قوله ﷺ : ﴿ فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَمَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾^٤ ، فـ ﴿ فإنما ﴾ الفاء رابطة لجواب الشرط ، و ﴿ إنما ﴾ كافة ومكفوفة ، و ﴿ إثم ﴾ مبتدأ ، والضمير في محل جر مضاف إليه ، و ﴿ على الذين ﴾ جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر ، وجملة ﴿ يبدلونه ﴾ من الفعل والفاعل - الضمير المتصل ((واو الجماعة)) - والمفعول به - الضمير المتصل ((هاء الغائب)) - لا محل لها من الإعراب صلة الموصول ، والجملة الاسمية : ﴿ إثم على الذين يبدلونه ﴾ في محل جزم جواب الشرط ، وفعل الشرط وجوابه في محل رفع خبر ﴿ من ﴾ عند العكبري ، والأرجح فعل الشرط فقط في محل رفع خبر ﴿ من ﴾ .

^١ سورة البقرة / ١٧٣ .

^٢ سورة البقرة / ١٨٢ .

^٣ سورة البقرة / ٢٠٣ .

^٤ سورة البقرة / ١٨١ .

ومن الجمل المقرونة بالفاء جملة ﴿ أَتَّبِعُونِي ﴾ من قوله ﷺ : ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾^١ ، فالفاء رابطة لجواب الشرط ، وجملة ﴿ أَتَّبِعُونِي ﴾ من الفعل والفاعل - الضمير المتصل ((واو الجماعة)) - والمفعول به - الضمير المتصل ((ياء المتكلم)) - في محلّ جزم جواب الشرط .

ومن الجمل المقرونة بالفاء جملة ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴾ من قوله ﷺ : ﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴾^٢ ، فالفاء رابطة لجواب الشرط ، وجملة ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴾ فـ ﴿ إِنَّ ﴾ حرف توكيد ونصب ، ولفظ الجلالة ﴿ اللَّهُ ﴾ اسم ﴿ إِنَّ ﴾ ، و ﴿ لَا ﴾ نافية ، و ﴿ يُحِبُّ ﴾ فعل مضارع ، والفاعل ضمير متصل تقديره هو يعود على لفظ الجلالة ، و ﴿ الْكَافِرِينَ ﴾ ، والجملة الفعلية ﴿ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴾ في محلّ رفع خبر ﴿ إِنَّ ﴾ ، وجملة ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴾ في محلّ جزم جواب الشرط .

ومن الجمل المقرونة بالفاء جملة ﴿ لَا هَادِيَ لَهُ ﴾ من قوله ﷺ : ﴿ مَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾^٣ ، فجملة ﴿ لَا هَادِيَ لَهُ ﴾ من لا النافية للجنس ، و اسمها ، و خبرها في محلّ جزم جواب الشرط ، و ﴿ وَيَذَرُهُمْ ﴾ بالرفع على الاستئناف ، بالجزم عطفاً على المحلّ^٤ .

ومن الجمل المقرونة بالفاء جملة ﴿ قَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهٗ مِنْ قَبْلُ ﴾ من قوله ﷺ : ﴿ قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهٗ مِنْ قَبْلُ فَأَسْرَهَا يُوْسِفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبَيِّدْهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرٌّ مَكَاناً وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴾^٥ ، فجملة : ﴿ قَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهٗ مِنْ قَبْلُ ﴾ من الفعل و الفاعل و ملحقاتهما في محلّ جزم جواب الشرط .

ومن الجمل المقرونة بالفاء جملة ﴿ مَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾ من قوله ﷺ : ﴿ وَمَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾^٦ ، فالجملة الاسمية ﴿ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾ في محلّ جزم جواب الشرط .
والفاء المقدرة كالموجودة .

^١ سورة آل عمران / ٣١ .

^٢ سورة آل عمران / ٣٢ .

^٣ سورة الأعراف / ١٨٦ .

^٤ يُنظَر : إملاء ما منَّ به الرَّحْمَنُ / ٢٩٧ .

^٥ سورة يوسف / ٧٧ .

^٦ سورة الرعد / ٣٣ .

ومثال المقرونة بـ ((إذا)) :

من الجمل المقرونة بـ ((إذا)) جملة ﴿ هُمْ يَتَكْتُمُونَ ﴾ من قوله ﷺ : ﴿ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الرِّجْزَ إِلَىٰ أَجَلٍ هُمْ بَلَّغُوهُ إِذَا هُمْ يَتَكْتُمُونَ ﴾^١ ، فالجملة الاسمية ﴿ هُمْ يَتَكْتُمُونَ ﴾ في محلّ جزم جواب الشرط ، يعني : فلما كشفناه عنهم العذاب ، فاجئوا النكت وبادروا لم يؤخروه ، ﴿ فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴾^٢ ، أي كان إغراقهم بسبب تكذيبهم بالآيات وغفلتهم عنها ، وقلة فكرهم فيها^٣ .

ومن الجمل المقرونة بـ ((إذا)) جملة ﴿ هُمْ يَقْتُلُونَ ﴾ من قوله ﷺ : ﴿ وَإِنْ نَصَبْنَاهُمْ سِيِّئَةً بِمَا قَدَّمْتَ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْتُلُونَ ﴾^٤ ، فجملة ﴿ هُمْ يَقْتُلُونَ ﴾ في محلّ جزم جواب الشرط .

و من الجمل المقرونة بـ ((إذا)) جملة ﴿ هُمْ يَبْغُونَ ﴾ من قوله ﷺ : ﴿ فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّمَا بِغَيْرِكُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾^٥ ، فجملة ﴿ هُمْ يَبْغُونَ ﴾ في محلّ جزم جواب الشرط .

و من الجمل المقرونة بـ ((إذا)) جملة ﴿ هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾ من قوله ﷺ : ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِكِ دَعَاؤُا اللَّهِ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾^٦ ، فجملة ﴿ هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾ في محلّ جزم جواب الشرط .

و من الجمل المقرونة بـ ((إذا)) جملة ﴿ هُمْ يَسْخَطُونَ ﴾ من قوله ﷺ : ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴾^٧ ، فجملة ﴿ هُمْ يَسْخَطُونَ ﴾ في محلّ جزم جواب الشرط .

^١ سورة الأعراف / ١٣٥ .

^٢ سورة الأعراف / ١٣٦ .

^٣ يُنْظَرُ : الكشَّاف / ٢ / ١٠٨ .

^٤ سورة التوبة / ٥٨ .

^٥ سورة يونس / ٢٣ .

^٦ سورة العنكبوت / ٦٥ .

^٧ سورة الرُّوم / ٣٦ .

الجملة السادسة - التابعة لمفرد :

وهي ثلاثة أنواع^٢ :

الجملة الأولى التابعة لمفرد - ((الجملة المنعوت بها)) :

من الجمل التابعة لمفرد الجملة المنعوت بها ، وتأتي في عدّة مواضع منها :

١. تأتي في موضع رفع :

نحو جملة ﴿ لَا بَيْعَ فِيهِ ﴾ من قوله ﷺ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَانْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مَن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفْعَةً ءَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾^٣ ، فالجملة الاسمية ﴿ لَا بَيْعَ فِيهِ ﴾ في موضع رفع صفة لـ ﴿ يَوْمٌ ﴾ ، ويحتاج إلى إضمار التقدير : ولا شفاعة فيه ، فحذف لدلالة : " فيه " الأولى عليه^٤ .

ونحو جملة ﴿ يَسْعَى ﴾ من قوله ﷺ : ﴿ وَجَاءَ مِن أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى ﴾^٥ ، فالجملة الفعلية ﴿ يَسْعَى ﴾ من الفعل والفاعل المستتر في محلّ رفع صفة لرجل^٦ .

٢. وفي موضع نصب :

نحو جملة ﴿ تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ﴾ من قوله ﷺ : ﴿ وَأَتَقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾^٧ ، فالجملة الفعلية ﴿ تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ﴾

^١ يُنْظَرُ : مغني اللبيب / ٥٥١ - ٥٥٣ ، وموصل الطُّلَابُ / ٤٣ - ٤٥ ، والنَّحْوُ الْعَرَبِي ، شواهد و مقدمات

/ ١٥٩ - ١٦٠ ، وموسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم / ٥٨١ ، والنَّحْوُ الشَّافِي / ٥٤٦ .

^٢ يُنْظَرُ : مغني اللبيب / ١ / ٥٥٣ .

^٣ سورة البقرة / ٢٥٤ .

^٤ يُنْظَرُ : إملاء ما من به الرّحمن / ١١٣ ، والبحر المحيط / ٢ / ٢٨٥ - ٢٨٦ .

^٥ سورة يس / ٢٠ .

^٦ يُنْظَرُ : مغني اللبيب / ١ / ٥٥٤ .

^٧ سورة البقرة / ٢٨١ .

من الفعل المضارع المبني للمجهول ، ونائب الفاعل ((الضمير المتصل)) في محلّ نصب صفة لـ ﴿يَوْمًا﴾^١ .

ومن الجمل المنصوبة المحلّ جملة ﴿بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ﴾ من قوله ﷺ : ﴿ذُرِّيَّةٌ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾^٢ ، فجملة ﴿بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ﴾ فـ ﴿بَعْضُهَا﴾ مبتدأ مرفوع ، والهاء في محلّ جرّ مضاف إليه ، و ﴿مِنْ بَعْضٍ﴾ جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر ، والجملة الاسمية ﴿بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ﴾ في محلّ نصب صفة لـ ﴿ذُرِّيَّةٌ﴾ .

ومن الجمل المنصوبة المحلّ جملة ﴿تَكُونُ لَنَا عِيدًا﴾ من قوله ﷺ : ﴿قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَعَايَةَ مِنْكَ وَأَرْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾^٣ ، فجملة ﴿تَكُونُ لَنَا عِيدًا﴾ في محلّ نصب صفة ثانية لـ ﴿مَائِدَةً﴾ ، والصفة الأولى الجار والمجرور ﴿مِنَ السَّمَاءِ﴾ متعلقان بمحذوف صفة لـ ﴿مَائِدَةً﴾ ، أو متعلقان بـ ﴿أَنْزِلُ﴾ أي : يكون يوم نزولها عيداً . و يحتمل أن تكون الجملة الفعلية ﴿تَكُونُ لَنَا عِيدًا﴾ في محلّ نصب حال من ضمير ﴿مَائِدَةً﴾ المستتر في ﴿مِنَ السَّمَاءِ﴾ على تقديره صفة لها ، لا متعلقاً بـ ﴿أَنْزِلُ﴾ ، أو من ﴿مَائِدَةً﴾ على هذا التقدير ؛ لأنها قد وصفت .

ومن الجمل المنصوبة المحلّ جملتي ﴿تُطَهِّرُهُمْ﴾ ، و ﴿وَتُزَكِّيهِمْ﴾ من قوله ﷺ : ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾^٤ ، فجملة ﴿تُطَهِّرُهُمْ﴾ في محلّ نصب صفة لـ ﴿صَدَقَةً﴾ ، و يحتمل أن تكون في محلّ نصب حال من ضمير ﴿خُذْ﴾^٥ .

ومن الجمل المنصوبة المحلّ جملة ﴿نَقَرُوهُ﴾ من قوله ﷺ : ﴿حَتَّى تَنْزَلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقَرُوهُ﴾^٦ ، فجملة نقروه من الفعل والفاعل والمفعول في موضع نصب صفة لـ ((كِتَابًا

^١ يُنظَر : إملاء ما من به الرَّحْمَن / ١٢٥ ، و يُنظَر : مغني اللبيب ١ / ٥٥٤ ، و إعراب القرآن وبيانه ١ /

٣٧٢ .

^٢ سورة آل عمران / ٣٤ .

^٣ سورة المائدة / ١١٤ .

^٤ سورة التوبة / ١٠٣ .

^٥ يُنظَر : إملاء ما من به الرَّحْمَن / ٣١٧ .

^٦ سورة الإسراء / ٩٣ .

((، لأنه أي ((كتابًا)) نكرة محضة ٠ ، قال أبو البقاء - رحمه الله - : ((﴿ نَقَرُوهُ ﴾ صفة لكتاب ، أو حال من المجرور))^١ .

ومن الجمل المنصوبة المحلّ جملة ﴿ يَرِثِي ﴾ من قوله ﷺ : ﴿ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا * يَرِثِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴾^٢ ، فجملة ﴿ يَرِثِي ﴾ من الفعل ، والفاعل - الضمير المستتر - ، والمفعول به - الضمير المتصل - في محلّ نصب صفة لـ ﴿ وَلِيًّا ﴾ ، هذا فيمن رفع ﴿ يَرِثُ ﴾ ، أي : وليًّا وارثًا . وأمّا من جزمه ، فهو جواب للدعاء .

وقل مثل ذلك في جملة ﴿ يُصَدِّقُنِي ﴾ من قوله ﷺ : ﴿ وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَدِّبُونَ ﴾^٣ ، فجملة ﴿ يُصَدِّقُنِي ﴾ من الفعل ، والفاعل - الضمير المستتر - ، والمفعول به - الضمير المتصل - في محلّ نصب صفة لـ ﴿ رِدْءًا ﴾ ، هذا فيمن رفع ﴿ يُصَدِّقُ ﴾ ، أي : رداءً صادقًا ، وأمّا من جزمه ، فهو جواب^٤ .

ومن الجمل التي في موضع نصب جملة ﴿ لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ ﴾ من قوله ﷺ : ﴿ وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ ﴾^٥ ، فالجملة الفعلية من الفعل والفاعل والمفعول به ﴿ لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ ﴾ في محلّ نصب نعت لـ ﴿ جَسَدًا ﴾ ، وجسد مفرد أريد به الجمع ، وإنما وحده ليشمل الجنس عامّة ؛ لأنّ الجسد لا بدّ له من غذاء ، و ﴿ وَمَا ﴾ الواو عاطفة ، و ((ما)) نافية مبنية على السكون لا محلّ لها من الإعراب ، و جملة ﴿ كَانُوا خَالِدِينَ ﴾ من كان واسمها وخبرها معطوفة على جملة ﴿ لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ ﴾ في محلّ نصب^٦ .

ومن الجمل الواقعة في موضع نصب جملة ﴿ نُوحِي إِلَيْهِمْ ﴾ من قوله ﷺ : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رَجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾^٧ ، فهي جملة فعلية

^١ إملاء ما من به الرحمن / ٣٩٢ .

^٢ سورة مريم / ٥ - ٦ .

^٣ سورة القصص / ٣٤ .

^٤ مغني اللبيب / ٥٥٤ .

^٥ سورة الأنبياء / ٨ .

^٦ يُنظَر : إعراب القرآن وبيانه ٥ / ١١ .

^٧ سورة الأنبياء / ٧ .

جاءت بصيغة المضارع ؛ لحكاية الحال الماضية المستمرة • والجملة من الفعل وفاعله في محلّ نصب صفة مادحة لـ ﴿ رَجَالًا ﴾ • وقيل : استئناف مبين لكيفية الإرسال ، وحذف المفعول لعدم القصد إلى خصوصه ، والمعنى : ما أرسلنا إلى الأمم قبل إرسالك إلى أمّتك إلا رجالاتاً ، لا ملائكة نوحى إليهم بواسطة الملك ما نوحى من الشرائع ، والأحكام ، وغيرها من القصص ، والأخبار ، كما نوحى إليك من غير فرق بينهما في حقيقة الوحي ، وحقية مدلوله ، كما لا فرق بينك وبينهم في البشرية ، فما لهم لا يفهمون أنّك لست بدعاً ، وإنّ ما أوحى إليك ليس مخالفاً لما أوحى إليهم فيقولون ما يقولون^١ .

٣. وفي موضع جرّ :

نحو جملة ﴿ لا رَيْبَ فِيهِ ﴾ من قوله ﷺ : ﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴾^٢ ، فالجار والمجرور ﴿ لِيَوْمٍ ﴾ متعلّقان بـ ﴿ جَامِعُ ﴾ ، و ﴿ لا ﴾ نافية للجنس ، و ﴿ رَيْبَ ﴾ اسمها مبني على الفتح ، والجار والمجرور ﴿ فِيهِ ﴾ متعلّقان بمحذوف خبرها ، والجملة الاسمية ﴿ لا رَيْبَ فِيهِ ﴾ في محلّ جرّ صفة لـ ﴿ يَوْمٍ ﴾ •

ومن الجمل المنعوت بها في موضع جرّ جملة ﴿ لا رَيْبَ فِيهِ ﴾ من قوله ﷺ : ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْتَهُمْ لِيَوْمٍ لا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ ﴾^٣ ، فالجار والمجرور ﴿ لِيَوْمٍ ﴾ متعلّقان بـ ﴿ جَمَعْتَ ﴾ ، و ﴿ لا ﴾ نافية للجنس ، و ﴿ رَيْبَ ﴾ اسمها مبني على الفتح ، والجار والمجرور ﴿ فِيهِ ﴾ متعلّقان بمحذوف خبرها ، والجملة الاسمية ﴿ لا رَيْبَ فِيهِ ﴾ في محلّ جرّ صفة لـ ﴿ يَوْمٍ ﴾ •

ومن الجمل المنعوت بها في موضع جرّ جملة ﴿ تَشْخُصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ﴾ من قوله ﷺ : ﴿ وَلا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخَّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخُصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ﴾^٤ ، فالجار والمجرور ﴿ لِيَوْمٍ ﴾ متعلّقان بـ ﴿ يُؤَخَّرُهُمْ ﴾ ، و ﴿ تَشْخُصُ ﴾ فعل مضارع مرفوع ، والجار والمجرور ﴿ فِيهِ ﴾ متعلّقان بـ ﴿ تَشْخُصُ ﴾ ، و ﴿ الْأَبْصَارُ ﴾ فاعل ، والجملة الفعلية ﴿ تَشْخُصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ﴾ في محلّ جرّ صفة لـ ﴿ يَوْمٍ ﴾ •

^١ يُنظَر : روح المعاني ١٧ / ١٢ ، وإعراب القرآن وبيانه ٥ / ١١ •

^٢ سورة آل عمران / ٩ •

^٣ سورة آل عمران / ٢٥ •

^٤ سورة إبراهيم / ٤٢ •

الجملة الثانية التابعة لمفرد - ((المعطوفة بالحرف)) :

ومن الجمل التابعة لمفرد الجملة المعطوفة بالحرف نحو جملة : « زيدٌ منطلقٌ ، وأبوهُ ذاهبٌ » ، إن قَدَّرتِ الواو عاطفةً على الخبر ، فلو قَدَّرتِ العطف على الجملة فلا موضع لها ، أو قَدَّرتِ الواو واو الحال ، فلا تبعيةً ، والمحلُّ نصبٌ .
وقال أبو البقاء - رحمه الله - في قوله ﷺ : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴾^١ ، الأصلُ فهي تصبح ، والضميرُ للقصة وتصبح خبره ، أو تصبح بمعنى أصبحت ، وهو معطوف على أنزل ، فلا محلُّ له إذاً^٢ .

قال ابن هشام - رحمه الله - معقَّباً : ((وفيه إشكالان :

أحدهما : أنه لا محوج في الظاهر لتقدير ضمير القصة .

والثاني : تقديره الفعل المعطوف على الفعل المخبر به لا محلُّ له .

وجواب الأول : أنه قد يكون قَدَّرَ الكلام مستأنفاً ، والنحويون يقدِّرون في مثل ذلك مبتدأً ، كما قالوا في : « وتشرب اللبن » فيمن رفع ، إنَّ التَّقدير : وأنت تشرب اللبن^٣ ، وذلك إمَّا لقصدهم إيضاح الاستئناف ، أو لأنَّه لا يستأنف إلا على هذا التَّقدير ، و إلا لزم العطف الذي هو مقتضى الظاهر .

وجواب الثاني : أنَّ الفاء نَزَلَتْ الجملتين منزلة الجملة الواحدة ، ولهذا اكتفى فيهما بضمير واحد ، و حينئذ فالخبر مجموعهما ، كما في جملتي الشَّرط و الجزاء الواقعتين خبراً ، والمحلُّ لذلك المجموع ، وأمَّا كلُّ منهما فجزء الخبر ، فلا محلُّ له فافهمه فإنَّه بديع .

ويجب على هذا أن يدعى أن الفاء في ذلك ، وفي نظائره من نحو : « زيدٌ يطير

الدُّباب ، فيغضب » ، قد أخلصت لمعنى السببية ، وأخرجت عن العطف ، كما أنَّ الفاء

^١ سورة الحج / ٦٣ .

^٢ يُنظَر : إملاء ما منَّ به الرَّحمن / ٤٤٢ ، و مغني اللبيب / ٥٥٤ ، و البحر المحيط / ٦ - ٣٥٥ - ٣٥٦ .

^٣ يُنظَر : اللُّباب في علل البناء ، والإعراب / ٢ / ٤٠ .

كذلك في جواب الشرط ، وفي نحو : « أحسن إليك فلان ، فأحسن إليه » ، ويكون ذكر أبي البقاء للعطف تجوزاً أو سهواً .

ومما يلحق بهذا البحث أنه إذا قيل : « قال زيد : عبد الله منطلق ، وعمرو مقيم » ، فليست الجملة الأولى في محلّ نصب ، والثانية تابعة لها ، بل الجملتان معاً في موضع نصب ، ولا محلّ لواحدة منهما ؛ لأنّ المقول مجموعهما ، وكلّ منهما جزء للمقول ، كما أنّ جزأي الجملة الواحدة لا محلّ لواحد منهما باعتبار القول فتأمله))^١ .

الجملة الثالثة التابعة لمفرد : ((المبدلة))

ومن الجمل التابعة لمفرد الجملة المبدلة نحو جملة ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ ﴾ من قوله ﷻ : ﴿ مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴾^٢ ، ف﴿ إِنَّ ﴾ وما عملت فيه من اسمها وخبرها بدل من ما وصلتها ، وجاز إسناد ﴿ يُقَالُ ﴾ إلى الجملة كما جاز في : ﴿ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنَّ نَبْئُهَا الظَّنُّ وَمَا تَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴾^٣ ، هذا كله إن كان المعنى : ما يقول الله لك إلا ما قد قيل ، فأمّا إن كان المعنى : ما يقول لك كفّار قومك من الكلمات المؤدية إلا مثل ما قد قال الكفار الماضون لأنبيائهم ، وهو الوجه الذي بدأ به الزمخشريّ فالجملة استئناف ، ومن ذلك : ﴿ فَتَنَّا زُكْرًا وَأَمْرُهُمْ بَيْنَهُمْ وَآسْرُوا النَّجْوَى ﴾^٤ ، ثمّ قال الله ﷻ : ﴿ هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السَّحْرَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ ﴾^٥ . قال الزمخشريّ - رحمه الله - هذا في موضع نصب بدلاً من النجوى^٦ ، ويحتمل التفسير ، وقال ابن جنّي في قول الفرزدق :

^١ مغني اللبيب / ٥٥٥ . و يُنْظَرُ : البحر المحيط / ٦ / ٣٥٥ - ٣٥٦ .

^٢ سورة فصلت / ٤٣ .

^٣ سورة الجاثية / ٣٢ .

^٤ يُنْظَرُ : الكشاف / ٣ / ٤٥٥ .

^٥ سورة طه / ٦٢ .

^٦ سورة الأنبياء / ٣ .

^٧ يُنْظَرُ : الكشاف / ٢ / ٥٦١ .

إلى الله أشكو بالمدينة حاجةً وبالشام أخرى كيف يلتقيان^١
جملة الاستفهام بدل من حاجة ، وأخرى أي إلى الله أشكو حاجتين تعذر التقائهما^٢ .
وقال ابن هشام - رحمه الله - : ((وقد تبدل الجملة من المفرد كقوله :
إلى الله أشكو بالمدينة حاجةً وبالشام أخرى كيف يلتقيان
أبدل ((كيف يلتقيان ؟)) من ((حاجة)) ، و ((أخرى)) ، أي : إلى الله أشكو هاتين
الحاجتين تعذر التقائهما^٣ .

الجملة السابعة : التابعة لجملة لها محلّ من الإعراب

نحو الجملة الاسمية ﴿ أَحْيَاءٌ ﴾ أي : ((هم أحياء)) من قوله ﷻ : ﴿ وَلَا تَقُولُوا
لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾^٤ ، ﴿ بَلْ ﴾ حرف إضراب وعطف
، و ﴿ أَحْيَاءٌ ﴾ خبر لمبتدأ محذوف تقديره ((هم)) ، والجملة الاسمية معطوفة على جملة
((هم أموات)) في محلّ نصب .

ويقع ذلك في بابي النسق و البدل خاصة :

ففي باب النسق

ففي باب النسق : نحو قوله ﷻ : زيد قام أبوه وقعد أخوه ، فجملة قام أبوه في
موضع رفع لأنها خبر المبتدأ ، وكذا جملة قعد أخوه في موضع رفع أيضاً ؛ لأنها معطوفة
على جملة قام أبوه التي هي خبر عن زيد ، ولو قدر العطف لجملة قعد أخوه على
مجموع الجملة الاسمية - الكبرى - التي هي : ((زيد قام أبوه)) لم يكن للمعطوفة ، وهي

^١ البيت يُنسب للفرزدق ، وليس في ديوانه ، من الطويل ، وهو من شواهد الكواكب الدرية شرح منتممة الأجرومية
. ينظر : الكواكب الدرية شرح منتممة الأجرومية ، لمحمد بن أحمد بن عبد الباري الأهدل مكتبة الإرشاد -

صنعاء اليمن / ٥٨١ ، والدُرر اللوامع ، لأحمد الأمين الشنقيطي ٢ / ١٦٦ .

^٢ مغني اللبيب / ٥٥٥ - ٥٥٦ .

^٣ أوضح المسالك / ٣ / ٤٨٠ .

^٤ سورة البقرة / ١٥٤ .

« قَعَدَ أَخُوهُ » محلٌّ ؛ لأنها معطوفة على جملة مستأنفة ، ولو قَدَّرت الواو في و " قَعَدَ " واو الحال ، لا واو العطف ، ولا واو الاستئناف كانت الجملة الداخلة عليها واو الحال في موضع نصب على الحال من أبوه ، وكانت قد فيها مضمرة تقرب الماضي من الحال ، ويكون تقدير الكلام " زيدٌ قامَ أبوهُ " والحال أنه " قَعَدَ أَخُوهُ " .^١

أما في باب البدل

أما في باب البدل^٢ : فيشترط أن تكون الجملة الثانية أوفى من الجملة الأولى في تأدية المعنى المراد ، نحو قوله ﷺ : ﴿ وَأَتَقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ * أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَيْنٍ ﴾^٣ ، فجملة ﴿ أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ ﴾ بدل من جملة ﴿ أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ ﴾ ؛ لأنها أوضح و أوفى في تأدية المعنى منها .

وخالف في ذلك العُكبري - رحمه الله - فأعرب جملة أمدكم بأنعام مفسرة لما قبلها ، لا موضع لها من الإعراب^٤ .

قال ابن هشام في عدد الجمل التي لها محلٌّ من الإعراب ، وقد عدّها سبعاً : ((والحق أنها تسع ، والذي أهملوه : الجملة المستثناة والجملة المسند إليها .

أما الأولى : (المستثناة) فنحو قوله ﷺ : ﴿ لَسْنَا عَلَيْهِمْ بِمُضَيِّطِينَ * إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ * فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ ﴾^٥ . قال ابن خروف^٦ ﴿ مَنْ ﴾ مبتدأ ، و ﴿ يُعَذِّبُهُ اللَّهُ ﴾

^١ يُنْظَرُ : مغني اللبيب / ٥٥٦ ، وموصل الطلاب / ٤٧ .

^٢ المقصود بدل التنسيق ، يُنْظَرُ : النحو العربي / ١٦٠ .

^٣ سورة الشعراء / ١٣٣ .

^٤ إملاء ما من به الرحمن / ٤٦٥ .

^٥ سورة الغاشية / ٢٢ - ٢٤ .

^٦ أبو الحسن علي بن محمد بن علي بن محمد الحضرمي ، ولد سنة أربع وعشرين وخمسمائة ؛ عالم بالعربية أندلسي من أهل إشبيلية ، وقد توفّي - رحمه الله - فيها سنة تسع وستمئة من الهجرة . له " شرح كتاب سيوييه " ، و " شرح الجمل للزجاجي " . يُنْظَرُ : التكملة لكتاب الصلّة ، لابن الأبار محمد بن عبدالله القضاعي :

الخبر ، والجملة في موضع نصب على الاستثناء المنقطع . وقال الفرّاء في قراءة بعضهم ﴿ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ ﴾^١ ، إِنَّ ﴿ قَلِيلٌ ﴾ مبتدأ حذف خبره ، أي : لم يشربوا ، وقال جماعة في : ﴿ إِلَّا أَمْرَاتُكَ ﴾^٢ ، بالرفع إنّه مبتدأ ، والجملة بعده خبر ، وليس من ذلك نحو ((مَا مَرَرْتُ بِأَحَدٍ إِلَّا زَيْدٌ خَيْرٌ مِنْهُ)) ؛ لأنّ الجملة هنا حال من " أَحَدٍ " باتفاق ، أو صفة له عند الأخفش . وكذلك الجملة في ﴿ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ ﴾^٣ ، فإنّها حال ، وفي نحو : « مَا عَلِمْتُ زَيْدًا إِلَّا يَفْعَلُ الْخَيْرَ » ، فإنّها مفعول ((^٤)).

ثمّ تحدّث ابن هشام - رحمه الله - على الجملة الثانية من الجمل التي لها محلّ وقد أغفلت ، فقال : ((وَأَمَّا الثَّانِيَّةُ : الْمَسْنَدُ إِلَيْهَا ، فَنَحْوُ قَوْلِهِ ﷺ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾^٥ ، إِذَا أُعْرِبَ ﴿ سَوَاءٌ ﴾ خبراً ، و ﴿ أُنذِرْتَهُمْ ﴾ مبتدأ ، ونحو « تَسْمَعُ بِالْمَعِيدي خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَرَاهُ » إذا لم تقدّر الأصل أن تسمع ، بل يقدر " تسمع " قائماً مقام السّماع ، كما أنّ الجملة بعد الظرف في نحو : ﴿ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ ﴾^٦ ، وفي نحو ﴿ أُنذِرْتَهُمْ ﴾ في تأويل المصدر ، وإن لم يكن معهما حرف ((^٧)).

ومن الجملة المستتناة جملة ﴿ مَا رَحِمَ رَبِّي ﴾ من قوله ﷺ : ﴿ وَمَا أْبْرَأُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾^٨ ، فجملة ﴿ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي ﴾ في

القاهرة ١٩٥٥ م - ١٩٥٦ م ٣ / ٧١١ نسخة الأزهر ، وتاريخ الإسلام ، لمحَمَّد بن أحمد بن عثمان الدّهبي - مكتبة القدسي - القاهرة ١٣٦٨ هـ - تحقيق : بشار عواد معروف - القاهرة ١٩٧٧ م ١ / ٣٦٢ ، ٤٠٢ ، سير أعلام النبلاء ٢٢ / ٢٦ .

^١ سورة البقرة / ٢٤٩ .

^٢ سورة هود / ٨١ . والآية : ﴿ قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرَبَ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَنْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرَاتُكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴾ .

^٣ سورة الفرقان / ٢٠ . والآية كاملة : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴾ .

^٤ مغني اللبيب / ٥٥٨ .

^٥ سورة البقرة / ٦ .

^٦ سورة الكهف / ٤٧ . والآية بتمامها : ﴿ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُعَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴾ .

^٧ مغني اللبيب / ٥٥٩ .

^٨ سورة يوسف / ٥٣ .

موضع نصب بالاستثناء ، وهو استثناء منقطع ؛ لأنه استثناء المرحوم بالعصمة من النفس الأمانة بالسوء .

قال الطبري^١ - رحمه الله - : ((و « ما » في قوله : ﴿ إِلَّا مَا رَجِمَ رَبِّي ﴾ في موضع نصب ، وذلك أنه استثناء منقطع عما قبله ، كقوله : ﴿ وَلَا هُمْ يُنْقَدُونَ إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا ﴾^٢ بمعنى : إِلَّا أَنْ يُرْحَمُوا ، وَأَنْ إِذَا كَانَتْ فِي مَعْنَى الْمَصْدَرِ تَضَارِعُ « مَا »))^٣ .

قال الزمخشري - رحمه الله - : ((﴿ إِلَّا مَا رَجِمَ رَبِّي ﴾ إِلَّا الْبَعْضُ الَّذِي رَحِمَهُ رَبِّي بِالْعَصْمَةِ كَالْمَلَائِكَةِ . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ ﴿ مَا رَجِمَ ﴾ فِي مَعْنَى الزَّمَنِ ، أَيْ : إِلَّا وَقْتُ رَحْمَةِ رَبِّي ، يَعْنِي أَنَّهَا أَمَارَةٌ بِالسُّوءِ فِي كُلِّ وَقْتٍ وَأَوَانٍ ، إِلَّا وَقْتُ الْعَصْمَةِ . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ اسْتِثْنَاءً مَنْقُطَعًا ، أَيْ : وَلَكِنْ رَحْمَةُ رَبِّي هِيَ الَّتِي تَصَرَّفُ الْإِسَاءَةَ ، كَقَوْلِهِ ﷺ : ﴿ وَلَا هُمْ يُنْقَدُونَ * إِلَّا رَحْمَةً ﴾^٤ ، وَقِيلَ مَعْنَاهُ : ((ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخْنَهُ)) ؛ لِأَنَّ الْمَعْصِيَةَ خِيَانَةٌ))^٥ .

ورجح أبو حيان - رحمه الله - أن يكون ﴿ إِلَّا مَا رَجِمَ رَبِّي ﴾ استثناءً متصلًا فقال : ((وَالظَّاهِرُ أَنَّ ﴿ إِلَّا مَا رَجِمَ رَبِّي ﴾ اسْتِثْنَاءٌ مُتَّصِلٌ مِنْ قَوْلِهِ : ﴿ لِأَمَارَةٍ بِالسُّوءِ ﴾ ، لِأَنَّهُ أَرَادَ الْجِنْسَ بِقَوْلِهِ : ﴿ إِنَّ النَّفْسَ ﴾ ، فَكَأَنَّهُ قَالَ : ((إِلَّا النَّفْسَ الَّتِي رَحِمَهَا رَبِّي ، فَلَا تَأْمُرُ بِالسُّوءِ)) ، فَكَوْنَ اسْتِثْنَاءً مِنَ الضَّمِيرِ الْمُسْتَكْنِ فِي أَمَارَةٍ . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مُسْتَثْنَى مِنْ مَفْعُولِ ﴿ أَمَارَةٍ ﴾ الْمَحذُوفِ إِذِ التَّقْدِيرُ : ((لِأَمَارَةٍ بِالسُّوءِ صَاحِبِهَا)) ، إِلَّا الَّذِي رَحِمَهُ رَبِّي ، فَلَا تَأْمُرُهُ بِالسُّوءِ . وَجُوزُوا أَنْ يَكُونَ مُسْتَثْنَى مِنْ ظَرْفِ الزَّمَانِ الْمَفْهُومِ عُمُومَهُ مِنْ مَا قَبْلَ الْاسْتِثْنَاءِ ، وَ﴿ مَا ﴾ ظَرْفِيَّةٌ إِذِ التَّقْدِيرُ : ((لِأَمَارَةٍ بِالسُّوءِ مَدَّةً بِقَائِلِهَا ، إِلَّا وَقْتُ رَحْمَةِ اللَّهِ الْعَبْدِ ، وَذَهَابِهِ بِهَا عَنْ اسْتِهَاءِ الْمَعَاصِي)) . وَجُوزُوا أَنْ يَكُونَ اسْتِثْنَاءً مَنْقُطَعًا ، وَمَا

^١ محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب ، الإمام أبو جعفر الطبري ، ولد سنة أربع وعشرين ومائتين هجرية ، فقيه ، عالم ، تبخر في فنون شتى من العلم ، فهو أحد المشاهير من رجال التاريخ ، ويعدُّ كتابه " تاريخ الأمم والملوك " فيه مرجع المراجع ، وبه صار إمام المؤرخين غير منازع ، وكتابه في التفسير " جامع البيان في تفسير القرآن " لم يُصنَّف أحد مثله ، وتوفي - رحمه الله - سنة عشر وثلاثمائة هجرية ، وقد جاوز الثمانين بخمس ، أو ست سنوات . يُنظر : طبقات المفسري ، للدَّوودي ٢ / ١٠٦ ، وغاية النهاية ٢ / ١٠٦ .

^٢ سورة يس / ٤٣ - ٤٤ .

^٣ جامع البيان في تفسير القرآن ، لمحمد بن جرير الطبري - الطبعة الثالثة - القاهرة ١٩٦٨ م ١٢ / ٢ .

^٤ سورة يس / ٤٣ - ٤٤ .

^٥ الكشاف ٢ / ٣٧٢ .

مصدرية . وذكر ابن عطية أنه قول الجمهور؛ أي : ((ولكنَّ رحمة ربي هي التي تصرَّف الإساءة))^١ .

وأضاف بعض العلماء للجمل التي لها محلٌّ من الإعراب جملة الفاعل ، و جملة نائب الفاعل^٢ ، و قد فصل ابن هشام هذه المسألة فقال : ((واختلف في الفاعل ونائبه هل يكونان جملة أم لا ؟ فالمشهور المنع مطلقاً ، وأجازته هشام^٣ و ثعلب^٤ مطلقاً ، نحو قولك : ((يُعْجِبُنِي قَامَ زَيْدٌ)) ، وفصل الفراء ، و جماعة ونسبوه لسيبويه ، فقالوا : إن كان الفعل قليلاً ووجد معلق عن العمل ، نحو قوله ﷺ : ((ظَهَرَ لِي أَقَامَ زَيْدٌ)) صحَّ ، و إلاً فلا ، وحملوا عليه : ﴿ ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا آيَاتِ لَيْسَ جُنَّتْ حَتَّى حِينٍ ﴾^٥ . ومنعوا : ((يُعْجِبُنِي يَقُومُ زَيْدٌ))^٥ . و أجازهما هشام ، و ثعلب واحتجا بقوله : ((وَمَا رَاعِنِي إِلَّا يَسِيرٌ بِشَرْطَةٍ))^٥ . ومنع الأكثرون ذلك كله ، وأولوا ما ورد ممَّا يوهمه ، فقالوا : في بدأ ضمير

^١ البحر المحيط ٥ / ٣١٧ .

^٢ يُنْظَرُ : النَّحْوُ الْعَرَبِي / ١٤٥ . النَّحْوُ الشَّافِي / ٥٤٥ .

^٣ هشام بن معاوية الضرير ، العالم النحوي المشهور ، كوفي المذهب ، أنبه تلاميذ الكسائي بعد الفراء ، توفي - رحمه الله - سنة تسع ومائتين هجرية ، من مؤلفاته : الحدود في النحو ، والمختصر ، والقياس . ينظر الفهرست / ١١٠ ، ومعجم الأدياء ١٩ / ٣٩٢ ، ونزهة الألباء / ١٦٤ ، وبغية الوعاة ١ / ٤٠٩ .

^٤ ثعلب ، العلامة المحدث ، إمام النحو ، أبو العباس ، أحمد بن يحيى بن يزيد الشيباني مولا هم البغدادي ، صاحب : « الفصيح والتصانيف » ، وُلِدَ سنة مائتين من الهجرة ، وله كتاب : « اختلاف النحويين » ، وكتاب « القراءات » ، وكتاب « معاني القرآن » وغيرها . وعمر ، وأصم ، صدَّمته دابةً ، فوقع في حفرة ، ومات - رحمه الله - منها في جماد الأولى ، سنة إحدى وتسعين ومائتين من الهجرة .

يُنْظَرُ : مروج الذهب ومعادن الجوهر ، مذيَّل بترجمة فرنسية ، لعلي بن الحسين المسعودي - باريس ١٨٦١ - ١٩٣٠ م ٢ / ٤٩٦ - ٤٩٧ ، وطبقات النحويين واللغويين / ١٤١ - ١٥٠ ، والفهرست / ١١٠ - ١١١ ، وتاريخ بغداد ٥ / ٢٠٤ - ٢١٢ ، والأنساب / ٥٥٥ / ب ، ونزهة الألباء / ٢٢٨ - ٢٣٢ ، والمنظوم ٦ / ٤٤ - ٤٥ ، ومعجم الأدياء ٥ / ١٠٢ - ١٤٦ ، وإنباه الرواة ١ / ١٣٨ - ١٥١ ، و تهذيب الأسماء واللغات ٢ / ٢٧٥ ، ووفيات الأعيان ١ / ١٠٢ - ١٠٤ ، وتذكرة الحفاظ ٢ / ٦٦٦ - ٦٦٧ ، وسير أعلام النبلاء ١٤ / ٥ - ٧ ، والعبر ٢ / ٨٨ ، ودول الإسلام ١ / ١٧٦ ، والوافي بالوفيات ٨ / ٢٤٣ - ٢٤٥ ، ومراة الجنان ٢ / ٢١٨ - ٢٢٠ ، والبداية والنهائية ١١ / ٩٨ ، والبلغة في تاريخ أئمة اللغة / ٣٤ - ٣٥ ، وغاية النهاية في طبقات القراء ١ / ١٤٨ - ١٤٩ ، والنجوم الزاهرة ٣ / ١٣٣ ، وطبقات الحفاظ / ٢٩٠ ، وبغية الوعاة ١ / ٣٩٦ - ٣٩٨ ، ومفتاح السعادة ١ / ١٤٥ - ١٤٦ ، وشذرات الذهب ٢ / ٢٠٧ - ٢٠٨ .

^٥ سورة يوسف / ٣٥ .

البدء ، وتسمع ويسير على إضمار أن ، وأمّا قوله ﷺ : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ ﴾^١ فليس من باب الإسناد إلى الجملة لما بيّنا في غير هذا الموضع^٢ .

^١ سورة البقرة / ١١ . والآية بتمامها : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾ .

^٢ مغني اللبيب / ٥٥٩ .

المبحث الثالث

دلالة الجملة العربية

للجملة العربية دلالات مختلفة ، ويمكن تقسيم هذه الدلالات حسب اعتبارات الثبوت و التجدد ، والقطع والاحتمال ، والمعنى ، والخصوص والعموم ، والتمام و النقص

فتكون الجملة إما ثبوتية أو تجدديّة باعتبار الثبوت والتجدد . وإما قطعية أو احتمالية باعتبار القطع والاحتمال . وإما ظاهرة أو باطنة باعتبار المعنى الظاهر والباطن . وإما خاصة أو عامة باعتبار الخصوص والعموم . وإما تامة أو ناقصة باعتبار النقص والتمام^١ ، وسوف أتكلّم عن هذه الدلالات ، فأقول وبالله التوفيق :

دلالة الجملة العربية على الثبوت أو التجدد

تتراوح دلالة الجملة العربية باعتبار الثبوت ، و التجدد بين جملة نفي الثبوت ، و أخرى نفي التجدد ، وفي الغالب الجملة الفعلية موضوعة لإفادة التجدد والحدوث ، في زمن معين مع الاختصار ، وكذلك الفعل يدل على الحدوث التجدد . والجملة الاسمية نفي بأصل وضعها ثبوت شيء لشيء ، و كذلك الاسم^٢ .

فنلاحظ مثلاً في قوله ﷻ : ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾^٣ ، ﴿ بِسْمِ ﴾ جار ومجرور متعلقان بمحذوف ، والباء هنا للاستعانة أو للإلصاق ، وتقدير المحذوف : ابتدئ ، فالجار والمجرور في محل نصب مفعول به مقدّم ، أو ابتدائي ، فالجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر لمبتدأ محذوف ، وكلاهما جيّد .

^١ يُنظَر : دلائل الإعجاز / ١٤١ - ١٤٣ ، وجواهر البلاغة / ٦٦ - ٦٧ ، والجملة العربية والمعنى ، للأستاذ الدكتور فاضل السامرائي / ١٢ - ٢٩ .

^٢ يُنظَر : دلائل الإعجاز / ١٤١ - ١٤٣ ، والإيضاح في علوم البلاغة / ٨٦ ، والفصول المفيدة في الواو المزينة - صلاح الدين أبو سعيد خليل بن كيلكدي بن عبدالله العلائي الدمشقي الشافعي - دار البشير - عمان - الطبعة الأولى ١٩٩٠ م - تحقيق : د. حسن موسى الشاعر / ١٦٩ ، وجواهر البلاغة / ٦٦ - ٦٧ .

^٣ سورة الفاتحة / ١ .

فنرى أنّ الأولى في متعلّق ﴿ بِسْمِ اللّٰهِ ﴾ أن يكون فعلاً مضارعاً ، فالتقدير : " أبتدئُ بِسْمِ اللّٰهِ " ؛ لأنّه الأصل في العمل ، والتَّمسُّك بالأصل أولى ، وأيضاً الفعل المضارع يفيد التَّجَدُّد الاستمراري ، وإنّما حذف لكثرة دوران المتعلّق به على الألسنة .
أمّا إذا قدرنا المتعلّق به اسماً ، فالتقدير : " ابتدائي بِسْمِ اللّٰهِ " ، فإنّه سيفيد الديمومة والثبوت ؛ لأنّ الجملة اسمية ، كأنّما الابتداء باسم الله حتم دائم في كلّ ما ممارسه من عمل ، وتُرَدِّده من قول^١ .

وللطاهر بن عاشور^٢ كلام جيّد في متعلّق الجار والمجرور ، حيث رجّح أن يكون المتعلّق فعل لا اسم ؛ ليفيد التَّجَدُّد الاستمراري ، فهو يتجدّد مع بدأ العمل ويستمر معه ، قال - رحمه الله - : ((وذكر صاحب « الكشاف » أنّ أهل الجاهليّة كانوا يقولون في ابتداء أعمالهم : « باسم اللّاتِ باسم العزى »^٣ ، فالمجرور ظرف لغو معمول للفعل المحذوف ومتعلّق به ، وليس ظرفاً مستقراً مثل الظروف التي تقع أخباراً ، ودليل المتعلّق ينبىء عنه العمل الذي شرع فيه ، فتعيّن أن يكون فعلاً خاصاً من النّوع الدّال على معنى العمل المشروع فيه دون المتعلّق العام مثل : " أبتدئ " ؛ لأنّ القرينة الدّالة على المتعلّق هي الفعل المشروع فيه المبدوء بالبسملة ، فتعيّن أن يكون المقدّر اللفظ الدّال على ذلك الفعل ، ولا يجري في هذا الخلاف الواقع بين النّحاة في كون متعلّق الظروف هل يقدر اسماً ، نحو : " كائنٌ أو مُستقرٌّ " ، أم فعلاً ، نحو : " كانَ أو استقرَّ " ؛ لأنّ ذلك الخلاف في الظروف الواقعة أخباراً ، أو أحوالاً بناء على تعارض مقتضى تقدير الاسم ، وهو كونه الأصل في الأخبار والحاليّة ، ومقتضى تقدير الفعل ، وهو كونه الأصل في العمل ؛ لأنّ ما هنا ظرف لغو ، والأصل فيه أن يعدّى الأفعال ويتعلّق بها ؛ ولأنّ مقصد المبتدئ بالبسملة أن يكون جميع عمله ذلك مقارناً لبركة اسم الله تعالى ، فلذلك ناسب أن يقدر متعلّق الجار لفظاً دالاً على الفعل المشروع فيه . وهو أنسب لتعميم التّيمّن لإجزاء الفعل ، فالابتداء من هذه الجهة أقلّ عموماً ، فتقدير الفعل العام يخصّص ، وتقدير الفعل الخاص يعمّم ، وهذا يشبهه أن يلغز به . وهذا التّقدير من المقدّرات التي دلّت عليها القرائن

^١ يُنظَر : إعراب القرآن وبيانه ١ / ٢٤ .

^٢ محمد الطاهر بن عاشور وُلِد في سنة تسع وسبعين وثمانمائة وألف ميلادية ، من أعلام تونس المبرزين في شتى العلوم ، توفّي - رحمه الله - في سنة ثلاث وسبعين وتسعمائة وألف ميلادية .

^٣ يُنظَر : الكشاف ١ / ١٠١ - ١٠٢ .

^٤ هذا ردّ ابن عطية ، وبعض المفسّرين إذا عرضوا خلاف النّحاة معتبراً هنا .

، كقول الداعي للمُعَرَّس : « بالزَّفاء والبنين » ، وقول المسافر عند حلوله وترحاله : « باسم الله والبركات » ، وقول نساء العرب عندما يَزْفُقْنَ العروس : « يالْيُمْنِ والبركة وعلى الطائر الميمون » ، ولذلك كان تقدير الفعل ههنا واضحاً . وقد أسعف هذا الحذف بفائدة ، وهي صلوحية البسمة لِيَبْتَدِيَءَ بها كلُّ شارع في فعل ، فلا يلجأ إلى مخالفة لفظ القرآن عند اقتباسه ، والحذف من قبيل الإيجاز ؛ لأنه حذف ما قد يصرِّح به في الكلام ، بخلاف متعلقات الظروف المستقرَّة نحو : ((عندك خير)) ، فإنهم لا يظهرون المتعلق فلا يقولون : ((خير كائن عندك))^١ .

ونلاحظ مثلاً تكرار ﴿ إِنَّ ﴾ أربع مرَّات في إخبار مريم عن وليدها حيث قال تعالى مخبراً عنها : ﴿ إِذْ قَالَتْ أُمْرَأْتُ عِمْرَانُ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذَرَيْتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾^٢ ففي قولها : ﴿ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا ﴾ ، و ﴿ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ ﴾ ، و ﴿ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ ﴾ ففي هذه الجمل الخبرية الثلاث نرى أنَّ خبرها فعلاً ماضياً ، ولكن في المرَّة الرابعة نراها عدلت عن الماضي إلى المضارع ، فقالت : ﴿ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ ﴾ لغرض بلاغي ، وهو ديمومة الاستعادة ، وتجديدها دون انقطاع ، بخلاف الأخبار السابقة ، فإنها انقطعت^٣ .

وقوله ﷻ : ﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾^٤ ، فنرى المخالفة في أسلوب الجملتين ، والعدول عن " لا هم يخافون " الأنسب ، بـ ﴿ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ إلى ﴿ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ ﴾ ؛ لاختلاف شأن الخوف ، والحزن بشيوع وصف الأخير بعدم الثبات

^١ التَّحْرِيرُ والتَّنْوِيرُ ١ / ١٤٧ ، وَيُنْظَرُ : ١٥ / ١٣٠ . تفسير " التَّحْرِيرُ والتَّنْوِيرُ " ، واسمه كاملاً : " تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد " لمؤلفه محمد الطاهر بن عاشور (١٨٧٩ - ١٩٧٣ م) ، من أهم كتب التفسير التي ظهرت في المغرب العربي في القرن العشرين ، لا لكون مؤلفه من أعلام تونس المبرزين في شتى العلوم فحسب ، بل لأن تفسيره يُعد دائرة معارف متخصصة في علوم الشريعة واللغة ، إذ جمع فيه مقاصد الشريعة الإسلامية وفقهها ، واللغة العربية ونحوها ، والقراءات وتوجيهها ، والشعر والأدب والبلاغة ، والإعجاز العلمي ، عدا عن استنباطاته العجيبة ، وردوده المفحمة على بعض ما جاء عند أهل اللغة والتفسير .

^٢ سورة آل عمران / ٣٥ - ٣٦ .

^٣ يُنْظَرُ : إعراب القرآن وبيانه ١ / ٤٢٩ .

^٤ سورة يونس / ٦٢ .

دون الأول ، ولذا ناسب أن يعبر بالاسم في الخوف ﴿ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ ﴾ الأول ، وبالفعل المفيد للحدث والتجدد في ﴿ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾^١ .

وقد قال الجرجاني - رحمه الله - : ((موضوع الاسم : على أن يثبت به المعنى للشيء من غير أن يقتضي تجدده شيئاً بعد شيء ، وأمّا الفعل فموضوعه على أنه يقتضي تجدد المعنى المثبت به شيئاً بعد شيء ، فإذا قلت : « زيدٌ منطلقٌ » ، فقد أثبت الانطلاق فعلاً له من غير أن تجعله يتجدد ، ويحدث منه شيئاً فشيئاً ، بل يكون المعنى فيه كالمعنى في قولك : ((زيدٌ طويلٌ ، وعمروٌ قصيرٌ)) ، فكما لا تقصد هاهنا إلى أن تجعل الطول ، أو القصر يتجدد ، ويحدث ، بل توجبهما ، وتثبتهما فقط ، وتقتضي بوجودهما على الإطلاق ، كذلك لا تتعرض في قولك : ((زيدٌ منطلقٌ)) ، لأكثر من إثباته لزيد .
وأما الفعل : فإنه يقصد فيه إلى ذلك ، فإذا قلت : ((زيدٌ ها هو ذا ينطلقٌ)) ، فقد زعمت أن الانطلاق يقع منه جزءاً فجزءاً ، وجعلته يزاوله ويزجييه ، وإن شئت أن تحسّ الفرق بينهما من حيث يلفظ فتأمل هذا البيت :

لا يَأْلَفُ الدَّرْهَمُ المَضْرُوبُ خَرَقَتْنَا لَكِنْ يَمُرُّ عَلَيْهَا وَهُوَ مُنْطَلِقٌ^٢

هذا هو الحسن اللائق بالمعنى ، ولو قلته بالفعل (لكن يمر عليها وهو ينطلق) ، لم يحسن ، وإذا أردت أن تعتبره بحيث لا يخفى أن أحدهما لا يصلح في موضع صاحبه ، فانظر إلى قوله تعالى : ﴿ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ ﴾^٣ ، فإن أحداً لا يشك في امتناع الفعل هاهنا ، وأن قولنا : « كلبُهُمْ يَبْسُطُ ذِرَاعَيْهِ » لا يؤدي الغرض ، وليس ذلك إلا لأن الفعل يقتضي مزاوله ، وتجدد الصفة في الوقت ، ويقتضي الاسم ثبوت الصفة ، وحصولها من غير أن يكون هناك مزاوله ، و ترجية فعل ، ومعنى يحدث شيئاً فشيئاً ، ولا فرق بين : ((وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ)) ، وبين أن يقول : ((وَكَلْبُهُمْ وَاحِدٌ)) مثلاً في أنك لا تثبت مزاوله ، ولا تجعل الكلب يفعل شيئاً ، بل تثبته بصفة هو عليها ، فالغرض إذا تأدية هيئة الكلب ، ومتى اعتبرت الحال في الصفات المشبهة وجدت الفرق ظاهراً بيئاً ، ولم يعترضك الشك في أن أحدهما لا يصلح في موضع صاحبه ، فإذا قلت : ((زيدٌ طويلٌ ، وعمروٌ قصيرٌ

^١ يُنْظَرُ : روح المعاني ١١ / ١٤٦ .

^٢ البيت للنضر بن جوبة ، من بحر البسيط ، في معاهد التّصنيف ١ / ٢٠٧ ، وشرح الواحدي على ديوان المتنبي / ١٥٧ ، وفي " خرقتنا " رواية أخرى " صرّتنا " وهو الشائع .

^٣ الكهف / ١٨ .

((، لم يصلح مكانه ((يطول ويقصر)) ، وإِنَّمَا تقول : ((يطول ويقصر)) إذا كان الحديث عن شيء يزيد ، وينمو كالشجر ، والنَّبات ، والصبِّي ، ونحو ذلك ممَّا يتجدد فيه الطُّول ، أو يحدث فيه القصر ، فأَمَّا وأنت تحدِّث عن هيئة ثابتة ، وعن شيء قد استقر طوله ، ولم يكن ثَمَّ تزايد وتجدد ، فلا يصلح فيه إلاَّ الاسم))^١ .

ثَمَّ قال - رحمه الله - : ((كما وجدت الاسم يقع حيث لا يصلح الفعل مكانه ، كذلك تجد الفعل يقع ، ثَمَّ لا يصلح الاسم مكانه ، ولا يؤدي ما كان يؤديه ، فمن البيِّن في ذلك قول الأعشى^٢ :

لَعَمْرِي ، لَقَدْ لَاحَتْ عُيُونٌ كَثِيرَةٌ إِلَى ضَوْءِ نَارٍ فِي يَفَاعٍ^٣ تَحْرَقُ
تَشْبُ لِمَقْرُورِينَ يَصْطَلِيَانِهَا وَبَاتَ عَلَى النَّارِ النَّدَى وَالْمَحْلَقُ^٤

معلوم أنَّه لو قيل : ((إلى ضوء نارٍ محرقة)) لنبا عنه الطبع ، و أنكرته النفس ، ثَمَّ لا يكون ذلك النُّبو ، وذلك الإنكار من أجل القافية ، وأنَّها تفسد به من جهة أنَّه لا يشبه الغرض ، ولا يليق بالحال ، وكذلك قوله :

أَوْ كَلَّمَا وَرَدَتْ عُكَاطَ قَبِيلَةٍ^٥ بَعَثُوا إِلَيَّ عَرِيفَهُمْ يَتَوَسَّمُ^٥

وذلك لأنَّ المعنى في بيت الأعشى على أنَّ هناك موقداً يتجدد منه الإلهاب ، والإشعال حالاً فحالاً ، وإذا قيل محرقة ، كان المعنى أنَّ هناك ناراً قد ثبتت لها ، وفيها هذه الصِّفة ، وجرى مجرى أن يقال : « إلى ضوء نارٍ عظيمة » ، في أنَّه لا يفيد فعلاً يفعل ، وكذلك الحال في قوله : « بَعَثُوا إِلَيَّ عَرِيفَهُمْ يَتَوَسَّمُ » ، وذلك لأنَّ المعنى على توسُّم ، وتأمل ،

^١ دلائل الإعجاز / ١٤٢ - ١٤٣ .

^٢ أبو بصير ميمون بن قيس بن جندل ، توفي سنة سبع من الهجرة ، أحد أصحاب المعلقات ، عُرف في الجاهلية بالإكثار من وصف الخمر والتكسب بالمدح . يُنظر : الأغاني ٩ / ١٠٨ ، معاهد التنصيص / ١٩٦ .

^٣ اليفاع : التلال ومفردها اليفع .

^٤ البيتان للأعشى ، من بحر الطويل ، يُنظر : ديوان الأعشى ، تقديم ، وشرح ، وتعليق الدكتور / محمَّد حمود - دار الفكر اللبناني - بيروت ط١ / ١٩٩٦ م / ١٢٦ ، و دلائل الإعجاز / ١٩٥ . ومعنى " المحلق " : أنَّ عبد العزى بن حنتم بن شداد سُمِّيَ بالمحلق ؛ لأنَّ فرساً عضته في خده كالحلقة ، فسُمِّيَ المحلق .

^٥ البيت من البحر الطويل لطريف بن تميم العبدي ، وهو من شواهد الكتاب ٤ / ٧ ، والمنصف ٣ / ٦٦ ، ومعاهد التنصيص ١ / ٢٠٤ ، واللسان ٤ / ٢٨٩٨ ، والأصمعيَّات برقم / ٣٩ . والشاعر هو طريف بن تميم بن عمرو بن عبدالله بن جندب بن عنبر ، أبو سليط أبو عمرو ، فارس الأغر ، وكان فارس عمرو بن تميم في الجاهلية .

ونظر يتجدد من العريف هناك حالاً فحالاً ، وتصفح منه للوجه واحداً بعد واحد ، ولو قيل : « بعثوا إلي عريفهم متوسماً » ، لم يفد ذلك حق الإفادة ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ ﴾^١ ، لو قيل : « هل من خالق غير الله رازق لكم » لكان المعنى غير ما أريد . ولا ينبغي أن يغرك أننا إذ تكلمنا في مسائل المبتدأ ، والخبر قدرنا الفعل في هذا النحو تقدير الاسم كما نقول في : ((زيدٌ يقوم)) إنه في موضع ((زيدٌ قائم)) ، فإن ذلك لا يقتضي أن يستوي المعنى فيها استواء لا يكون من بعده افتراق ، فإنهما لو استويا هذا الاستواء لم يكن أحدهما فعلاً والآخر اسماً ، بل كان ينبغي أن يكونا جميعاً فعلين ، أو يكونا اسمين))^٢ .

وقد تفيد الجملة الفعلية الاستمرار التجددي شيئاً فشيئاً بحسب المقام ، وبمعونة القرائن لا بحسب الوضع ، وذلك نظير الاستمرار الثبوتي في الجملة الاسمية ، نحو قوله تعالى : ﴿ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ ﴾^٣ ، أي لو استمر على طاعتكم وقتاً فوقتاً لحصل لكم عنت ومشقة . بشرط أن يكون الفعل مضارعاً ، نحو قول المتنبي^٤ :

^١ سورة فاطر / ٣ .

^٢ دلائل الإعجاز / ١٤٢ - ١٤٣ .

^٣ سورة الحجرات / ٧ .

^٤ هو أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجعفي الكوفي الكندي ، أبو الطيب المتنبي : الشاعر الحكيم ، وأحد مفاخر الأدب العربي . ولد بالكوفة سنة ٣٠٣ هـ الموافق ٩١٥ م ، في محلة تسمى " كندة " وإليها نسبته . ونشأ بالشام ، ثم تنقل في البادية يطلب الأدب وعلم العربية وأيام الناس . وقال الشعر صبيهاً . قيل أنه أَدعى النبوة ، ثم تاب . قتل أبو الطيب - رحمه الله - بالنعمانية ، بالقرب من دير العاقول " في الجانب الغربي من سواد بغداد " في سنة أربع وخمسين وثلاثمائة هجرية الموافق خمس وستين وتسعمائة ميلادية . له " ديوان شعر " مشروحاً شروحاً وافية . يُنظر : يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر ، لعبد الملك بن محمد النعالي - دمشق ١٣٠٣ هـ / ١ / ١١٠ - ٢٢٤ ، وتاريخ بغداد / ٤ / ١٠٢ - ١٠٥ ، نزهة الألباء / ٢٩٤ - ٢٩٩ ، والمنتظم / ٧ / ٢٤ - ٣٠ ، واللُّباب / ٣ / ١٦٢ ، والكامل / ٨ / ٥٦٦ ، و تهذيب الأسماء واللغات / ٢ / ٢٨٥ ، ووفيات الأعيان / ١ / ١٢٠ - ١٢٥ ، والمختصر في أخبار البشر / ٢ / ١٠٥ ، وسير أعلام النبلاء / ١٦ / ١٩٩ ، والعبر / ٢ / ٣٠٠ ، ودول الإسلام / ١ / ٢٢٠ ، وابن الوردي / ١ / ٢٩٠ ، والوافي بالوفيات / ٦ / ٢٣٦ - ٢٤٦ ، والبداية والنهية / ١١ / ٢٥٦ - ٢٥٩ ، ولسان الميزان / ١ / ١٥٩ - ١٦١ ، والنجوم الزاهرة / ٣ / ٣٤٠ - ٣٤٢ ، وحسن المحاضرة / ١ / ٥٦٠ ، و معاهد التنصيص / ١ / ٢٧ - ٣٣ ، و شذرات الذهب / ٣ / ١٣ - ١٥ ، وروضات الجنان / ٤١ ، وهدية العارفين / ١ / ٦٤ ، وأعيان الشيعة ، لمحسن أمين آغا بزرك - دمشق ١٩٣٥ م / ٨ / ٦١ - ٢٧٨ .

تُدَبِّرُ شَرْقَ الْأَرْضِ وَالْغَرْبَ كَفَّهُ وَلَيْسَ لَهَا وَقْتًا عَنِ الْجُودِ شَاغِلٌ^١

فقرينة المدح تدلُّ على أنَّ تدبير الممالك ديدنه ، وشأنه المستمرُّ الذي لا يحيد عنه ، و
يتجددُّ أنا فأنا .

وكذلك الجملة الاسمية قد تخرج عن أصل وضعها ، و تفيد الدوام والاستمرار
بحسب القرائن ، كأن يكون الحديث في مقام المدح ، أو في معرض الذم كقوله ﷺ : ﴿
وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾^٢ ، فسياق الكلام في معرض المدح دالٌّ على إرادة الاستمرار مع
الثبوت .

وكذا قوله ﷺ : ﴿
إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ * وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴾^٣ ، فالجملة الأولى
: ﴿
إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴾ سيقَّت في معرض مدح الأبرار ، فخرجت بهذه القرينة عن أصل
وضعها ، وهو الثبوت ، وأفادت الدوام والاستمرار ، وأفادت أنَّ الأبرار في نعيم دائم
مستمر . وكذا الجملة الثانية : ﴿
وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴾ سيقَّت في معرض ذمِّ الفجار ،
فخرجت بهذه القرينة عن أصل وضعها ، وهو الثبوت ، وأفادت الدوام والاستمرار ، وأفادت
أنَّ الفجار في جحيم دائم مستمر^٤ .

والجملة الاسمية لا تفيد الثبوت بأصل وضعها ، و لا الاستمرار بالقرآن إلا إذا
كان خبرها مفرداً ، نحو قوله ﷺ : ﴿
وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾^٥ ، فمخرج خبر مفرد
للفظ الجلالة ، وأخبرها جملة اسمية ، نحو قوله ﷺ : ﴿
أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ
وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾^٦ ، فجملة عليهم صلوات جملة اسمية في محلِّ رفع خبر أولئك .

^١ البيت في ديوان المتنبي من الطويل من قصيدة مطلعها :

دروع لملك الروم هذي الرسائل يردُّ بها عن نفسه ويشاغل

وفي رواية أخرى للبيت :

تدبِّرُ شرق الأرض والغرب كفه وليس لها يوماً عن المجد شاغل

ديوان أبي الطيب المتنبي ، شرح أبي البقاء العكبري المسمى بالثبيان في شرح الديوان - دار المعارف

بيروت - لبنان ، ضبطه وصحَّه ووضع فهرسه مصطفى السيفاء ، وإبراهيم الأنبياري ، وعبد الحفيظ شلبي^٣

/ ١١٩ .

^٢ سورة القلم / ٤ .

^٣ سورة الانفطار / ١٣ - ١٤ .

^٤ يُنظَر : علم المعاني / ٤٨ - ٤٩ .

^٥ سورة البقرة / ٧٢ .

^٦ سورة البقرة / ١٥٧ .

أما إذا كان خبرها جملة فعلية فإنها تفيده التجدد ، نحو جملة : ﴿ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ ﴾ من قوله ﷻ : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾^١ ؛ لأنَّ ((الفعل يدلُّ على التجدد ، وعدم الثبوت))^٢ .

^١ سورة البقرة / ٣٠ .

^٢ الفصول المفيدة / ١٦٩ .

الاسم والجملة الاسمية يدلان على الثبوت

قد عرفنا أن الجملة الاسمية : موضوعة لإفادة ثبوت شيء لشيء ، و قد تخرج الجملة الاسمية عن هذا الأصل ، و تفيد الدوام و الاستمرار بحسب القرائن .
وعرفنا أيضا أنها لا تفيد الثبوت بأصل وضعها ، و لا تفيد الاستمرار إلا إذا كان خبرها مفرداً ، أو جملة اسمية .

أما إذا كان خبرها جملة فعلية فإنها تفيد التجدد^١ .

ونحب هنا أن نفضّل في هذه المسألة بضرب بعض الأمثلة من القرآن الكريم في

الجملة الاسمية :

١ . قوله ﷻ : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾^٢ ، فالجملة اسمية مؤلفة من مبتدأ وخبر ، والجملة الاسمية تدلّ على الثبوت والاستقرار ، فالمراد هنا ثبات الحمد واستقراره ؛ لذا عدل عن الجملة الفعلية إلى الجملة الاسمية ، قال الزمخشري - رحمه الله - في قوله ﷻ : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾^٣ : ((وارتفاع الحمد بالابتداء ، وخبره الظرف الذي هو « لله » ، وأصله النصب الذي هو قراءة بعضهم بإضمار فعله على أنه من المصادر التي تنصبها العرب بأفعال مضمرة في معنى الإخبار^٤ ، كقولهم : شكراً ، وكفراً ، وعجباً ، وما أشبه ذلك ، ومنها : سبحانك ، ومعاذ الله ، ينزلونها منزلة أفعالها ، ويسدّون بها مسدّها ، لذلك لا يستعملونها معها ، ويجعلون استعمالها كالشريعة المنسوخة ، والعدل بها عن النصب إلى الرفع على الابتداء للدلالة على ثبات المعنى واستقراره .
ومنه قوله ﷻ : ﴿ قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ ﴾^٥ ، رفع السلام الثاني للدلالة على أن إبراهيم عليه السلام حيّاهم بتحية أحسن من تحيتهم ؛ لأنّ الرفع دالّ على معنى ثبات

^١ يُنْظَر : دلائل الإعجاز / ١٤١ - ١٤٣ ، والإيضاح في علوم البلاغة / ٨٦ ، ٩٩ ، والفصول المفيدة /

١٦٩ ، وجواهر البلاغة / ٦٦-٦٧ .

^٢ سورة الفاتحة / ١ .

^٣ سورة الفاتحة / ١ .

^٤ والسّر في الفرق بين الرفع ، والنصب أنّ في النصب إشعار بالفعل ، وفي صيغة الفعل إشعار بالتجدد والحدوث ، وأما الرفع فهو إشعار بالاسم ، وفي صيغة الاسم إشعار بالثبوت والاستقرار ، فالتقدير مع النصب :

" نحمد الله الحمد " ، ومع الرفع : " الحمد ثابت لله ، أو مستقر " .

^٥ سورة هود / ٦٩ .

السَّلام لهم دون تجدده وحدثه . والمعنى : نحمد الله حمداً ، ولذلك قيل : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾^١ ؛ لأنه بيان لحمدهم له ، كأنه قيل : كيف تحمدون ؟ فقيل : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾^٢ .

وقد ناقش هذه المسألة الطاهر بن عاشور في تفسيره ، وأشار إلى اختيار سيبويه للاسمية مع أن الأصل الفعلية ، وكذا تحدت عن قول الزمخشري - رحمهم الله - فقال : ((﴿أَلْحَمْدُ﴾ مرفوع بالابتداء في جميع القراءات المروية ، وقوله ﴿الله﴾ خبره فلام ﴿الله﴾ متعلق بالكون والاستقرار العام كسائر المجرورات المخبر بها ، وهو هنا من المصادر التي أتت بدلاً عن أفعالها في معنى الإخبار ، فأصله النصب على المفعولية المطلقة على أنه بدل من فعله ، وتقدير الكلام : ((نحمد حمداً لله)) ، فلذلك التزموا حذف أفعالها معها))^٣ . ثم نقل قول سيبويه : ((هذا باب ما ينصب من المصادر على إضمار الفعل غير المستعمل إظهاره : وذلك قولك : سَفِيأً وَرَعِيأً ، ونحو قولك : حَيْبَةً ، وَدَفْرأً ، وَجَدْعاً ٠٠٠ وإنما ينتصب هذا ، وما أشبهه إذا ذكر مذكور ، فدعوت له أو عليه ، على إضمار الفعل ، كأنك قلت : سقاك الله سَفِيأً ٠٠ فكل هذا وأشباهه على هذا ينتصب))^٤ .

ثم قال بعد أبواب : ((هذا باب ما ينتصب على إضمار الفعل المتروك إظهاره من المصادر في غير الدعاء : من ذلك قولك : حمداً وشكراً لا كفراً وعجباً ٠٠٠ فإنما ينتصب هذا على إضمار الفعل ، كأنك قلت : أَحْمَدُ اللهُ حَمْدًا ٠٠٠ وإنما اختزل الفعل هاهنا ؛ لأنهم جعلوا هذا بدلاً من اللفظ بالفعل ، كما فعلوا ذلك في باب الدعاء ٠٠٠ وقد جاء بعض هذا رفعاً يُبتدأ به ، ثم يبنى عليه))^٥ .

ثم قال بعد باب آخر : ((هذا باب يختار فيه أن تكون المصادر مبتدأة مبنياً عليها ما بعدها وما أشبه المصادر من الاسماء والصفات : وذلك قولك : ﴿أَلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾

^١ سورة الفاتحة / ٥ .

^٢ الكشاف / ١ / ١١٢ .

^٣ التحرير والتنوير / ١ / ١٥٦ .

^٤ الكتاب / ١ / ٣١١ - ٣١٢ .

^٥ أي يخبر عنه .

^٦ الكتاب / ١ / ٣١٨ - ٣١٩ .

وَالْعَجَبُ لَكَ ، وَالْوَيْلُ لَكَ ١٠٠٠ وَإِنَّمَا اسْتَحَبُوا الرَّفْعَ فِيهِ ؛ لِأَنَّهُ صَارَ مَعْرِفَةً ، وَهُوَ خَيْرٌ ٢ ، فَقَوِيٌّ فِي الْإِبْتِدَاءِ ٣ ، بِمَنْزِلَةِ عَبْدِ اللَّهِ ، وَالرَّجُلِ ، وَالَّذِي تَعْلَمُ ٤ ؛ لِأَنَّ الْإِبْتِدَاءَ إِنَّمَا هُوَ خَيْرٌ ، وَأَحْسَنُهُ إِذَا اجْتَمَعَ نَكْرَةٌ وَمَعْرِفَةٌ أَنْ يَبْتَدِئَ بِالْأَعْرَفِ ؛ وَهُوَ أَصْلُ الْكَلَامِ ٥٠٠ ، وَلَيْسَ كُلُّ حَرْفٍ ٥ يَصْنَعُ بِهِ ذَاكَ ، كَمَا أَنَّه لَيْسَ كُلُّ حَرْفٍ ٦ يَدْخُلُ فِيهِ الْأَلْفُ وَاللَّامُ مِنْ هَذَا الْبَابِ ٧ . لَوْ قُلْتَ : السَّقِيُّ لَكَ ، وَالرَّعِيُّ لَكَ لَمْ يَجْزِ ٨ .

وَأَعْلَمُ أَنَّ ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ وَإِنْ ابْتَدَأْتَهُ فِيهِ مَعْنَى الْمَنْصُوبِ ، وَهُوَ بَدَلٌ مِنَ اللَّفْظِ بِقَوْلِكَ : أَحْمَدُ اللَّهُ ٩٠٠ وَسَمِعْنَا الْعَرَبَ الْمُوثِقَ بِهِمْ يَقُولُونَ : الثُّرَابُ لَكَ وَالْعَجَبُ لَكَ ، فَتَفْسِيرُ نَصْبِ هَذَا كَتَفْسِيرِهِ حَيْثُ كَانَ نَكْرَةً ، كَأَنَّكَ قُلْتَ : حَمْدًا وَعَجَبًا ، ثُمَّ جِئْتَ بِلِكَ لِتَبَيِّنَ مَنْ تَعْنِي ، وَلَمْ تَجْعَلْهُ مَبْنِيًّا عَلَيْهِ فَتَبْتَدِئَهُ ٩ .

وَبَعْدَ أَنْ سَرَدَ الطَّاهِرُ بْنُ عَاشُورٍ قَوْلَ سَيَّبِيهِ عَلَّقَ عَلَيْهِ قَائِلًا : ((وَإِنَّمَا جَلِبْنَاهُ هُنَا ؛ لِأَنَّهُ أَفْصَحُ كَلَامٍ عَنْ أَطْوَارِ هَذَا الْمَصْدَرِ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ وَاسْتِعْمَالِهِمْ ، وَهُوَ الَّذِي أَشَارَ لَهُ صَاحِبُ « الْكَشَّافِ » بِقَوْلِهِ : « وَأَصْلُهُ النَّصْبُ بِإِضْمَارِ فِعْلِهِ عَلَى أَنَّهُ مِنَ الْمَصَادِرِ الَّتِي يَنْصِبُهَا الْعَرَبُ بِأَفْعَالٍ مُضْمَرَةٍ فِي مَعْنَى الْإِخْبَارِ ١٠٠٠)) ٩ .

ثُمَّ بَيَّنَّ - رَحِمَهُ اللَّهُ - سَبَبَ الْعُدُولِ عَنِ النَّصْبِ فِي قَوْلِهِ ﷻ : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ إِلَى الرَّفْعِ ، فَقَالَ : ((وَمِنْ شَأْنِ بَلْغَاءِ الْعَرَبِ أَنَّهُمْ لَا يَعْدِلُونَ عَنِ الْأَصْلِ إِلَّا وَهُمْ يَرْمُونَ إِلَى غَرَضٍ عَدَلُوا لِأَجْلِهِ ، وَالْعُدُولُ عَنِ النَّصْبِ هُنَا إِلَى الرَّفْعِ لِيَتَأْتِيَ لَهُمُ الدَّلَالَةُ عَلَى

^١ قال السيرافي - رحمه الله - ما ملخصه : يعني هذه المصادر التي ذكرها اختارت العرب فيها الرفع ؛ لأنهم جعلوها كالشيء الازم الواجب ، فأخبروا عنها وجعلوها مبتدأة ، وجعلوا ما بعدها خبرها ، وصار بمنزلة قولك : الغلام لزيد .

^٢ أي : غير إنشاء .

^٣ أي : إنَّه لما كان خبراً لا دعاء ، وكان معرفة بالتهيأت فيه أسباب الابتداء ؛ لأنَّ كونه في معنى الإخبار يهيئ جانب المعنى للخبرية ، وكونه معرفة يصحُّ أن يكون مبتدأ .

^٤ من المعارف .

^٥ أي : تركيب .

^٦ أي : كلمة من هذه المصادر .

^٧ يعني : يقتصر فيه على السماع .

^٨ الكتاب ١ / ٣٢٨ - ٣٣٠ .

^٩ الكشاف ١ / ١١٢ .

^{١٠} التحرير والتنوير ١ / ١٥٧ .

الدَّوام والثَّبَات بمصير الجملة الاسمية ؛ والدَّلَالَةُ على العموم المستفاد في المقام من أُلْ الجَنَسِيَّةِ ، والدَّلَالَةُ على الاهتمام المستفاد من التَّقْدِيم . وليس واحد من هذه الثَّلَاثَةِ بممكن الاستفادة لو بقي المصدر منصوباً ، إذ النَّصْب يدلُّ على الفعل المقدَّر ، والمقدَّر كالملفوظ ، فلا تكون الجملة اسميةً إذ الاسم فيها نائب عن الفعل ، فهو ينادي على تقدير الفعل فلا يحصل الدَّوام . ولأنَّه لا يصح معه اعتبار التَّقْدِيم فلا يحصل الاهتمام . ولأنَّه وإن صحَّ اجتماع الألف واللام مع النَّصْب كما فُرِيَءَ بذلك - وهي لغة تميم كما قال سيبويه^١ - فالتَّعْرِيف حينئذٍ لا يكون دالاً على عموم المحامد ؛ لأنَّه إن قدرَّ الفعل " أَحْمَدُ " بهمزة المتكلم ، فلا يعمُّ إلاَّ تحميدات المتكلم دون تحميدات جميع النَّاس ، وإن قدرَّ الفعل نحمد وأريد بالثُّون جميع المؤمنين بقريظة ﴿ اِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾^٢ ، وبقريظة ﴿ يَاكَ نَعْبُدُ ﴾^٣ ، فإنَّما يعمُّ محامد المؤمنين ، أو محامد الموحِّدين كلَّهم ، كيف وقد حمد أهل الكتاب الله تعالى ، وحمده العرب في الجاهلية ... فهذا معنى ما نُقِلَ عن سيبويه أنَّه قال : إنَّ الذي يَرْفَعُ الحَمْدَ يُخْبِرُ أَنَّ الحَمْدَ منه ومن جميع الخلق ، والذي ينصبُّ يُخْبِرُ أَنَّ الحَمْدَ منه وحده الله تعالى))^٤ .

ثمَّ تحدَّث - رحمه الله - على قراءتي الرَّفْع والنَّصْب مرجحاً قراءة الرَّفْع ؛ لأنَّها أبلغ لدالتها على الدَّوام والثَّبَات ، فقال : ((واعلم أنَّ قراءة النَّصْب وإن كانت شاذةً إلاَّ أنَّها مجدية هنا ؛ لأنَّها دلَّت على اعتبار عربيٍّ في تطوُّر هذا التَّركيب المشهور ، وأنَّ بعض العرب نطقوا به في حال التَّعْرِيف ، ولم ينسوا أصل المفعولية المطلقة . فقد بَانَ أنَّ قوله : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ - بالرَّفْع - أبلغ من ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ بالنَّصْب ، وأنَّ ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ بالنَّصْب والتَّعْرِيف أبلغ من : ((حمداً لله بالتَّكْثِير)) . وإنَّما كان ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ بالرَّفْع أبلغ ؛ لأنَّه دالٌّ على الدَّوام والثَّبَات))^٥ .

^١ حيث قال : ((ومن العرب من ينصب بالالف واللام ، من ذلك قولك : الحمد لله ، فينصبها عامَّة بني تميم ، وناس من العرب كثير)) الكتاب ١ / ٣٢٩ .

^٢ سورة الفاتحة / ٦ .

^٣ سورة الفاتحة / ٥ .

^٤ التَّحْرِير والتَّنْوِير ١ / ١٥٧ - ١٥٨ .

^٥ التَّحْرِير والتَّنْوِير ١ / ١٥٨ .

٢. ونحو جملة : ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴾ من قوله ﷺ : ﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شِيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴾^١ ، فقد جاء بالجملة الاسمية ؛ لتفيد دوام صدور الاستهزاء منهم ، وثباته بحيث لا يحولون عنه . قال الطاهر بن عاشور - رحمه الله - في تفسيره التحرير والتنوير عند تفسيره هذه الآية : ((وجيء في حكاية كلامهم بالمسند الاسمي في قولهم : ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴾ لإفادة كلامهم معنى دوام صدور الاستهزاء منهم ، وثباته بحيث لا يحولون عنه .

وجيء في قوله : ﴿ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ﴾ من قوله ﷺ : ﴿ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾^٢ ، بإفادة التجدد من الفعل المضارع ، أي : تجدد إملاء الله لهم زماناً إلى أن يأخذهم العذاب ؛ ليعلم المسلمون أن ما عليه أهل النفاق من النعمة إنما هو إملاء ، وإن طال كما قال تعالى : ﴿ لَا يَغْرَبُكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ * مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَاوَاهُمْ جَهَنَّمَ وَيُنْسِ الْمِهَادُ ﴾^٣ .

٣. وقوله ﷺ : ﴿ وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلْنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبَشْرَىٰ قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴾^٤ .

وقوله تعالى : ﴿ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ﴾^٥ .

من خلال هاتين الآيتين يتضح لنا الفرق بين دلالة الجملة الاسمية ، و دلالة الجملة الفعلية . فالملائكة عندما دخلوا على إبراهيم عليه السلام قالوا سلاماً ، فقال العلماء : ﴿ قَالُوا سَلَامًا ﴾ منصوب بفعل مقدر : أي سلمنا عليك سلاماً ، و قال بعضهم : قَالُوا سَلَامًا نصب « سلاماً » بإعمال « قالوا » فيه ، كأنه قيل : قالوا قولاً وسلموا تسليماً . فالجملة إذا فعلية ، وهي تدلُّ على التجدد و الحدوث ، فردَّ عليهم إبراهيم - عليه السلام - بقوله : ﴿ سَلَامٌ ﴾ ، فرفع « سلامٌ » ، بمعنى عليكم السلام ، أو بمعنى سلام منكم ، فالجملة اسمية ، و الجملة الاسمية تدلُّ على الثبات والدوام ، فهو إذا ردَّ عليهم برد أفضل من ردِّهم ، فهو سلام دائم أبدي لا ينقطع ، فهو حَيِّي بتحيَّة ، فحيِّي بأحسن منها ،

^١ سورة البقرة / ١٤ .

^٢ سورة البقرة / ١٥ .

^٣ سورة آل عمران / ١٩٦ - ١٩٧ .

^٤ التحرير والتنوير / ١ / ٢٩٤ .

^٥ سورة هود / ٦٩ .

^٦ سورة الداريات / ٢٤ .

استجابة لقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ﴾^١ .

وقد جاء في كتب التفسير كلام جميل في هذه المسألة ، قال الزمخشري - رحمه الله - في تفسيره : ((﴿ سَلَّمَ ﴾ مصدر سادّ مسدّ الفعل مستغنٍ به عنه . وأصله : نسلمّ عليكم سلاماً ، وأما ﴿ سَلَّمَ ﴾ معدول به إلى الرفع على الابتداء . وخبره محذوف ، معناه : عليكم سلام ، للدلالة على ثبات السلام ، كأنه قصد أن يحييهم بأحسن مما حيّوه به ، أخذاً بأدب الله تعالى . وهذا أيضاً من إكرامه لهم . وقرئنا مرفوعين . وقرئ : « سلاماً » قال « سلما » والسلم : السلام . وقرئ « سلاماً قال سلم »^٢ .

وقال أبو حيّان - رحمه الله - في تفسير قوله ﷺ : ﴿ قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَّمَ ﴾ : ((وانتصب ﴿ سَلَّمَ ﴾ على إضمار الفعل ، أي : سلّمنا عليك سلاماً ، ف﴿ سَلَّمَ ﴾ قطعه معمولاً للفعل المضمر المحكي بقالوا ، قال ابن عطية : ويصح أن يكون سلاماً حكاية لمعنى ما قالوا ، لا حكاية للفظهم ، قاله : مجاهد^٣ ، والسدي . ولذلك عمل فيه القول ، كما تقول لرجل قال : « لا إله إلا الله » قلت : حقاً وإخلاصاً ، ولو حكيت لفظهم لم يصح أن يعمل فيه القول انتهى . ويعني لم يصح أن يعمل في لفظهم القول ، يعني في اللفظ ، وإن كان ما لفظوا به في موضع المفعول للقول . و ﴿ سَلَّمَ ﴾ خبر مبتدأ محذوف ، أي : أمري أو أمركم سلام ، أو مبتدأ محذوف الخبر ، أي : عليكم سلام ، والجملة محكية وإن كان حذف منها أحد جزأها كما قال :

إِذَا دُفِنْتُ فَأَهَا قُلْتُ طَعْمُ مَدَامَةٍ^٤

^١ سورة النساء / ٨٦ .

^٢ الكشاف / ٥ / ٦١٥ . و يُنظَر : جامع البيان في تفسير القرآن / ١١ / ٤٦٢ - ٤٦٣ ، وروح المعاني / ١٤ / ١٢ ، وفتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ، محمد بن علي بن محمد الشوكاني - دار الفكر - بيروت / ٥ / ١٠٦ ، وإعراب القرآن وبيانه / ٧ / ٢٩٢ - ٢٩٣ .

^٣ مجاهد بن جبر ، أبو الحجاج القرشي ، المخزومي ، مولى السائب بن أبي السائب المخزومي . ولد سنة إحدى وعشرين هجرية في خلافة عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - وتوفي - رحمه الله - سنة أربع ومائة هجرية . أحد أئمة التابعين والمفسرين ، وأحد أعلام القراء ، ومن خاصّة أصحاب ابن عباس ، اشتهر بقوة حافظته . يُنظَر : السيرة / ٤ / ٤٤٩ ، طبقات بن سعد / ٥ / ٤٦٦ ، البداية والنهاية / ٩ / ٢٢٤ ، تهذيب التهذيب / ١٠ / ٤٢ .

^٤ هذا صدر بيتٍ لامرؤ القيس في ديوانه من قصيدة طويلة من بحر الطويل مطلعها :
لعمرك ما قلبي إلى أهله بحر ولا مقصر يوماً فيأتيني بقر

أي طعمه طعم مدامة . وقرأ الأخوان قال : سلم ، والسلم السلام كحرم وحرام ، ومنه قول الشاعر :

مَرَرْنَا فَقُلْنَا إِيهِ سَلِمٌ فَسَلَّمَتْ كَمَا اكْتَلَّ بِالْبَرْقِ الْعَمَامُ اللُّوَائِحُ^١

اكتل : اتخذ إكليلاً . قال ابن عطية : ويحتمل أن يريد بالسلم ضد الحرب ، تقول : نحن سلم لكم انتهى . ونصب ﴿ سَلِمًا ﴾ يدل على التجدد ، ورفع ﴿ سَلِمٌ ﴾ يدل على الثبوت والاستقرار^٢ .

وقال الرزائي^٣ - رحمه الله - في تكبير ﴿ سَلِمًا ﴾ : ((وأما قوله : ﴿ قَالُوا سَلِمًا قَال سَلِمٌ ﴾ ، فالتكبير في هذا الموضع يدل على التمام والكمال ، فكأنه قيل : سلام كامل تام عليكم ، ونظيره قولنا : سلام عليك ، وقوله تعالى : ﴿ قَال سَلِمٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي ﴾^٤ ، وقوله : ﴿ سَلَامٌ قَوْلًا مِّن رَّبِّ رَحِيمٍ ﴾^٥ ، ﴿ سَلِمٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَلَمِينَ ﴾^٦ ، ﴿ وَالْمَلَكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِّن كُلِّ بَابٍ * سَلِمٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴾^٧ ، فأما قوله تعالى :

والبيت بتمامه : إذا ذقت فاها قلت طعم مدامة معققة مما تجيء به الشجر

يُنظَر : ديوان امرئ القيس تقديم ، وشرح ، وتعليق الدكتور / محمد حمود - دار الفكر اللبناني -

بيروت ط ١٩٩٥ م / ٤٩ .

^١ البيت من بحر الطويل لم اهتد للقائل ، يُنظَر : معاني القرآن لأبي زكريا يحيى بن زياد الفراء - مطبعة دار الكتب المصرية للتأليف ، والترجمة - سنة ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥ م ٢ / ٢١ ، والطبري ١٥ / ٣٨٣ ، وروح المعاني ١٢ / ٩٤ ، ولسان العرب (سلم) ٨ / ١٧٩ .

^٢ البحر المحيط ٥ / ٢٤١ - ٢٤٢ .

^٣ أبو عبدالله ، محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي ، التميمي البكري ، الطبرستاني ، الرزائي ، الملقب بفخر الدين ، والمعروف بان الخطيب الشافعي ، المولود سنة أربع وأربعين وخمسائة من الهجرة ، واشتغل على والده ، وكان من تلامذة محيي السنة البغوي ، وشرح مفصل الزمخشري ، وتوفي - رحمه الله - سنة ست وستمائة هجرية بالرّي . يُنظَر : الأعلام ٧ / ٢٠٣ ، وطبقات الأطباء ، لابن أبي أصيبعة ٢ / ٢٣ ، ووفيات الأعيان ٣ / ٣٨١ ، ولسان الميزان ٤ / ٤٢٦ ، والبداية والنهاية ٣ / ٥٥ ، وطبقات الشافعية ، لعبد الرحيم بن الحسن الإسنوي - تحقيق : عبد الجبوري - بغداد ١٣٩١ هـ ٥ / ٣٣ ، والنجوم الزاهرة ٦ / ١٩٨ ، ومفتاح السعادة ١ / ٤٤٥ ، ومرآة الجنان ٤ / ٧ ، ومرآة الرمان في تاريخ الأعيان ، لسبط بن الجوزي ، يوسف بن قزأوغلي - حيدر آباد ١٩٥١ م ٨ / ٣٥٣ .

^٤ سورة مريم / ٤٧ .

^٥ سورة يس / ٥٨ .

^٦ سورة الصافات / ٧٩ .

^٧ سورة الرعد / ٢٣ - ٢٤ .

وَأَسَلِّمُ عَلَىٰ مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَىٰ ﴿١﴾ ، فهذا أيضاً جائز ، والمراد منه الماهية والحقيقة . وأقول :
 قوله : ﴿ سَلِّمُ عَلَيْكُمْ ﴾ أكمل من قوله : ((السَّلَامُ عَلَيْكُمْ)) ؛ لأنَّ التَّنْكِيرَ فِي قَوْلِهِ : ﴿ سَلِّمُ عَلَيْكُمْ ﴾ يفيد الكمال والمبالغة والتَّمام . وأمَّا لفظ ((السَّلَام)) : فَإِنَّهُ لَا يَفِيدُ إِلَّا الْمَاهِيَّةَ .^٢

٤ . قوله ﷺ : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾^٣ ، فهذه الآية فيها جملتان اسميتان
 جملة : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ ﴾ ، وجملة : ﴿ إِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ ، و الجملة الاسميَّة تدلُّ
 على الثبوت والدوام ممَّا يدلُّ بأنَّ الله ﷻ تكفل بحفظ القرآن الكريم على مدى الزَّمان ،
 وهذا ما تدلُّ عليه هاتان الجملتان الاسميتان .

وقال بهذا القول كثير من العلماء ، منهم أبو السُّعود^٤ - رحمه الله - قال في
 تفسيره ((إرشاد العقل السليم)) ، عند تفسير قوله ﷺ : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ :
 ((وفي سبك الجملتين من الدلالة على كمال الكبرياء ، و الجلالة ، وعلى فخامة شأن
 التَّنْزِيلِ مَا لَا يَخْفَى ، وفي إيراد التَّائِيَةِ بِالْجُمْلَةِ الْاسْمِيَّةِ دَلَالَةٌ عَلَى دَوَامِ الْحَفْظِ ، وَاللَّهُ
 سُبْحَانَهُ أَعْلَمُ))^٥ .

وكذا قال الألوسي عند تفسيره هذه الآية : ((وقال الحسن^٦ : حفظه بإبقاء شريعته
 إلى يوم القيامة ، وجوِّز غير واحد أن يراد حفظه بالإعجاز في كلِّ وقت ، كما تدلُّ عليه

^١ سورة طه / ٤٧ .

^٢ مفاتيح الغيب - الفخر الرازي - دار إحياء التراث العربي ١٨ / ٣٧١ .

^٣ سورة الحجر / ٩ .

^٤ الإمام ، القاضي ، المفتي ، أبو السُّعود ، محمَّد بن محمَّد بن مصطفى ، ولد سنة ثلاث وتسعين و ثمانمائة
 من الهجرة ، بقرية قريبة من القسطنطينية ، ونشأ في بيت عرف بالعلم ، والفضل ، والدين ، تتلمذ على والده ،
 وغيره من العلماء ، كان عالماً ، أديباً متمكناً من اللُّغات الثَّلاث : العربيَّة ، والفارسيَّة ، والتركيَّة ، توفي - رحمه
 الله - بالقسطنطينية في أوائل جمادى الأولى سنة اثنتين وثمانين وتسعمائة من الهجرة . وأشهر مؤلفاته تفسيره "
 إرشاد العقل السليم ، إلى مزايا القرآن الكريم " ، اعتمد فيه على تفسير الكشَّاف ، وتفسير البيضاوي - رحمهما
 الله - وقد خلَّصه من اعتزاليَّات الرَّمْخسري ، ونهج فيه منهج أهل السنَّة . يُنظَر : الأعلام ٧ / ٥٩ ، وشذرات
 الذهب ٣ / ٣٩٨ ، والفوائد البهية في تراجم الحنفيَّة ، لمحمَّد عبد الحي اللكنوي - القاهرة ١٣٢٤ هـ / ٨١ .

^٥ إرشاد العقل السليم ، لأبي السُّعود محمد بن محمد بن مصطفى العمادي ، المولى - دار إحياء التراث العربي
 ٥ / ٦٣ .

^٦ الحسن بن يسار البصري ، أبو سعيد ، مولى الأنصار ، وأمُّه خَيْرَةُ مَوْلَاةٌ أُمُّ سَلْمَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ
 وَسَلَّمَ - رُبِّي فِي حَجْرهَا ، وَأَرْضَعَتْهُ بَلْبَانَهَا ، فَعَادَتْ عَلَيْهِ بِرُكَّةِ النَّبُوَّةِ . وُلِدَ لِسُنَّتَيْنِ بَقِيَّتَا مِنْ خِلَافَةِ عَمْرِ -
 رضي الله عنه - ، وهو أحد كبار التَّابِعِينَ الْأَجْلَاءِ عُلَمَاءَ وَعَمَلَاءَ وَإِخْلَاصاً ، شهد له بالعلم خلق كثير ، قال عنه

الجملة الاسمية من كل زيادة ونقصان وتحريف وتبديل ، ولم يحفظ - سبحانه - كتاباً من الكتب كذلك ، بل استحفظها - جلّ وعلا - الرّبانين والأخبار فوقع فيها ما وقع ، وتولّى حفظ القرآن بنفسه سبحانه))^١ .

٥. قوله ﷺ : ﴿ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾^٢ .
ففي هذه الآية جملتان اسميتان ، أتى بهما للدلالة على الدوام والثبوت ، فهم عليهم صلوات من ربهم ورحمة دائمة مستمرة لا تنقطع ، وكذا هم المهتدون هداية دائمة ثابتة لا تنقطع .

جاء في البحر المحيط عند تفسير هذه الآية : ((وأكّد بقوله : ﴿ هُمْ ﴾ ، وبالألّف واللام ، كأنّ الهداية انحصرت فيهم ، وباسم الفاعل ، ليدلّ على الثبوت ؛ لأنّ الهداية ليست من الأفعال المتجدّدة وقتاً بعد وقت ، فيخبر عنها بالفعل ، بل هي وصف ثابت))^٣ .

٦. قوله سبحانه و تعالى : ﴿ وَلَئِن أُنذِرْتِ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِن آتَبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِّن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴾^٤ .

فجملة ﴿ مَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ﴾ جملة خبرية اسمية ، و الجملة الاسمية تفيد الثبوت والدوام ، فهي تدلّ على أنّه لن يتّبع قبلتهم على الدوام ، فهو ثابت على قبلته لن يحد عنها . وقد جاء عن بعض المفسرين ما يؤيد هذا ، قال أبو حيان الأندلسي عند تفسير هذه الآية : ((هذه جملة خبرية ، قيل : ومعناها النّهي ، أي : لا تتبع قبلتهم ، ومعناها : الدوام على ما أنت عليه ، وإلّا فهو معصوم عن إتباع قبلتهم بعد ورود الأمر))^٥ .

الباقر : ((ذلك الذي يشبه كلامه كلام الأنبياء)) ، توفي - رحمه الله - سنة عشر ومائة من الهجرة ، عن ثمانين سنة . يُنظر : السيرة / ٤ / ٥٦٣ ، طبقات بن سعد ٦ / ١٦ ، طبقات المفسرين ١ / ٤٧١ ، الخلاصة

١ / ٢١٠ - ٢١١ .

^١ روح المعاني ٧ / ٢٦٣ .

^٢ سورة البقرة / ١٥٧ .

^٣ البحر المحيط ١ / ٦٢٦ .

^٤ سورة البقرة / ١٤٥ .

^٥ البحر المحيط ١ / ٦٠٦ .

وجاء أيضا في تفسير أبي السعود : ((وقوله تعالى : ﴿ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبَلْتَهُمْ ﴾ جملة معطوفة على الجملة الشرطية لا على جوابها ، مسوقة لقطع أطماعهم الفارغة ، حيث قالت اليهود لو ثبَّت على قبلتنا لكننا نرجو أن تكون صاحبنا الذي ننتظره تغيراً له عليه الصلاة والسلام ، وطمعاً في رجوعه ، وإيثار الجملة الاسمية للدلالة على دوام مضمونها ، واستمراره ، وإفراد قبلتهم مع تعدُّها باعتبار اتحاديها في البطلان ومخالفة الحق ، ولئلا يُتوهَّم أنَّ مدار النَّفي هو التعدُّ))^١ .

^١ إرشاد العقل السليم ١ / ١٧٠ .

الفعل والجملة الفعلية يدلان على التجدد والحدوث

قد عرفنا أنّ الجملة الفعلية : موضوعة لإفادة التجدد ، والحدوث في زمن معين مع الاختصار ، وقد تفيد الجملة الفعلية الاستمرار التجددي شيئاً فشيئاً بحسب المقام ، وبمعونة القرائن لا بحسب الوضع ، بشرط أن يكون الفعل مضارعاً^١ .
ونحب هنا أن نفضّل في هذه المسألة بضرب بعض الأمثلة من القرآن الكريم في الجملة الفعلية ،
و إليك هذا :

١. قوله ﷻ : ﴿ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾^٢ ، جملة ﴿ زُيِّنَ ﴾ مسوقة للتنديد بمن جعلوا الدنيا ، وما فيها من متع أصل هدفهم فيها ، و جملة ﴿ يَسْخَرُونَ ﴾ معطوفة على جملة ﴿ زُيِّنَ ﴾ ، ويحتمل أن تكون خبراً لمبتدأ محذوف ، أي : وهم يسخرون ، فيكون من عطف الجملة الاسمية على الفعلية ؛ للإشعار بأنه أتى بالأولى ﴿ زُيِّنَ ﴾ فعلية دلالة على التجدد والحدوث^٣ . و ﴿ مِنَ الَّذِينَ ﴾ الجار والمجرور متعلقان بـ ﴿ يَسْخَرُونَ ﴾ ، و ﴿ آمَنُوا ﴾ فعل وفاعل ، والجملة الفعلية لا محلّ لها من الإعراب صلة ﴿ الَّذِينَ ﴾ .

وفي هذه الآية مفارقة في الجمل ، فقد عبّر عن زينة الحياة الدنيا في نظر الذين كفروا ، وعن سخريتهم من المؤمنين بالفعلية ، إشارة إلى الحدوث ، وإنّ ذلك أمر طارئ ، لا يلبث أن يزول بصوارف متعدّدة .

أمّا استعلاء الذين اتقوا عليهم ، فهو أمر ثابت الديمومة لا يطرأ عليه أي

تبديل^٣ .

٢. وقوله ﷻ : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَّا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾^٤ ، ففي هذه الآية الكريمة فنّ رفيع من فنون البلاغة ، بحيث عدل عن العطف بالماضي إلى المضارع ؛ فلم يقل : واطمأنت قلوبهم ، وإنّما قال : ﴿ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ ﴾ ؛ لسرّ دقيق يخفى على الكثير ؛ ذلك أنّ من خصائص الفعل المضارع أنّه قد لا يلاحظ فيه زمان

^١ يُنظَر : دلائل الإعجاز / ١٤١ - ١٤٣ ، والإيضاح في علوم البلاغة / ٨٦ ، ٩٩ ، والفصول المفيدة / ١٦٩

، وجواهر البلاغة / ٦٦-٦٧ .

^٢ سورة البقرة / ٢١٢ .

^٣ إعراب القرآن وبيانه ١ / ٢٧٥ - ٢٧٦ .

^٤ سورة الرعد / ٢٨ .

معين من حال ، أو استقبال ، وهما الزمانان اللذان يحتملها المضارع ، فلا يدل إلا على مجرد الاستمرار ، ومنه هذه الآية ، أي : إن المؤمنين مطمئن قلوبهم بصورة مطردة مهما تتالت المحن ، وتعاقبت الأرزاء ، وحدثت المفاجأة ، فكأنما أعدوا لكل محنة صبراً ، ولكل رزءٍ اطمئناناً جديداً .

قال أبو السعود - رحمه الله - في تفسير قوله ﷺ : ﴿ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾^١ : ((والعدول إلى صيغة المضارع لإفادة دوام الاطمئنان ، وتجده حسب تجدد الآيات وتعددها))^٢ .

٣. قوله سبحانه و تعالى : ﴿ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ ﴾^٣ :

لقد بحث هذه الآية كثير من علماء التفسير ، منهم أبو السعود^٤ ، وجاءوا بلطائف جميلة في تفسيرها ، منهم أبو السعود في تفسيره إرشاد العقل السليم قال : ((وأما صيغة المضارع فقد قيل إنها للدلالة على أن امتناع عنهم لامتناع استمرار طاعته عليه الصلاة والسلام لهم ؛ لأن عندهم إنما يلزم من استمرار الطاعة فيما يعن لهم من الأمور ، إذ فيه اختلال أمر الإبالة^٥ ، وانقلاب الرئيس مَرُوساً لا من إطاعته في بعض ما يروئه نادراً ، بل فيها استمالتهم بلا معرّة ، وقيل : إنها للدلالة على أن امتناع عنهم لاستمرار امتناع طاعته - عليه الصلاة والسلام - لهم في ذلك ، فإن المضارع المنفي قد يدل على استمرار النفي بحسب المقام ، كما في نظائر قوله تعالى : ﴿ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾^٦ ، والتحقق أن الاستمرار الذي تفيده صيغة المضارع يعتبر تارة بالنسبة إلى ما يتعلق بالفعل من الأمور الزمانية المتجددة ، وذلك بأن يعتبر الاستمرار في نفس الفعل على الإبهام ، ثم

^١ سورة الرعد / ٢٨ .

^٢ إرشاد العقل السليم / ٥ / ١٦ .

^٣ سورة الحجرات / ٧ .

^٤ يُنظَر : الكشاف / ٣ / ٥٥٩ ، والبحر المحيط / ٨ / ١٠٩ - ١١٠ ، وتفسير إرشاد العقل السليم / ٨ / ١١٥ ، وروح المعاني / ٢٦ / ١٤٧ ، والجواهر الحسان في تفسير القرآن - عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي - مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت / ٣ / ٢١٢ ، وفتح القدير / ٥ / ٥٨ .

^٥ الرئاسة ، قال ابن منظور : ((٠٠ وأما سيبويه فذكر الإبالة في فعالة مما كان فيه معنى الولاية مثل الإمارة ، والنكائية ، قال : ومثل ذلك الإبالة والعالية ، فعلى قول سيبويه تكون الإبالة مكسورة ؛ لأنه ولاية مثل الإمارة)) .
لسان العرب : (أبل) / ١ / ٤٨ .

^٦ سورة يونس / ٦٢ .

يعتبر تعلق ما يتعلق به بياناً لما فيه الاستمرار ، وأخرى بالنسبة إلى ما يتعلق به من نفس الزمان المتجدد ، وذلك إذا اعتبر تعلقه بما يتعلق به أولاً ، ثم اعتبر استمراره ، فيتعين أن يكون ذلك بحسب الزمان ، فإن أُريدَ باستمرار الطاعة استمرارها ، وتجددُها بحسب تجدّد مواقعها الكثيرة التي يفصحُ عنه قوله تعالى : ﴿ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ ﴾ فالحق هو الأول ضرورة أن مدار امتناع العنت هو امتناع ذلك الاستمرار ، سواءً أكان ذلك الامتناع بعدم وقوع الطاعة في أمرٍ ما من تلك الأمور الكثيرة أصلاً ، أو بعدم وقوعها في كلِّها ، مع وقوعها في بعضٍ يسيرٍ منها ، حتّى لو لم يمتنع ذلك الاستمرارُ بأحد الوجهين المذكورين ، بل وقعت الطاعة فيما ذُكر من كثيرٍ من الأمر في وقتٍ من الأوقات وقع العنت قطعاً ، وإن أُريدَ به استمرار الطاعة الواقعة في الكلِّ ، وتجددُها بحسب تجدّد الزمان ، واستمراره ، فالحق هو الثاني ، فإنَّ مناط امتناع العنت حينئذٍ ليس امتناع استمرار الطاعة المذكورة ضرورةً أنّه موجبٌ لوقوع العنت ، بل هو الاستمرارُ الزمانيُّ لامتناع تلك الطاعة الواقعة في تلك الأمور الكثيرة بأحد الوجهين المذكورين ، حتّى لو لم يستمرَّ امتناعها ، بأن وقعت تلك الطاعة في وقتٍ من الأوقات وقع العنت حتماً ، واعلم أن الأحق بالاختيار والأولى بالاعتبار هو الوجه الأول ؛ لأنّه أوفق بالقياس المُقتضي لاعتبار الامتناع واردةً على الاستمرار حسب ورود كلمة لو المفيدة للأول على صيغة المضارع المفيدة للثاني ، على أن اعتبار الاستمرار واردةً على النفي على خلاف القياس بمعونة المقام ، إنّما يصار إليه إذا تعدّر الجريان على موجب القياس ، أو لم يكن فيه مزيدٌ مزية كما في قوله تعالى : ﴿ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ حيث حمل على استمرار نفي الحزن عنهم إذ ليس في استمرار الحزن مزيدٌ فائدة . وأمّا إذا انتظم الكلام مع مراعاة موجب القياس حق الانتظام فالعدول عنه تمحل لا يخفى))^١ .

والزّمخشري له كلام في استعمال ﴿ يُطِيعُكُمْ ﴾ بدلاً عن " أطاعكم " ، فقال : ((فإن قلت : فلم قيل ﴿ يُطِيعُكُمْ ﴾ دون : أطاعكم ؟ قلت : للدلالة على أنه كان في إرادتهم استمرار عمله على ما يستصوبونه . وأنّه كلّما عنّ لهم رأي في أمرٍ كان معمولاً عليه ، بدليل قوله : ﴿ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ ﴾ كقولك : ((فلان يُقْرِئ الضيف ، ويحمي الحرّيم)) ، تريد : أنّه ممّا اعتاده ووجد منه مستمراً))^٢ .

^١ إرشاد العقل السليم ١١٥ / ٨ .

^٢ الكشاف ٥ / ٥٦٨ ، ويُنظر : روح المعاني ١٣ / ٣٠٠ ، وفتح القدير ٥ / ٧٣ .

٤. قوله ﷻ : ﴿ إِنَّا سَخَرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعُشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ﴾^١ :

في هذه الآية جاءت الجملة الفعلية جملة ((يُسَبِّحْنَ)) ، والفعل المضارع ((يُسَبِّحْنَ)) للدلالة على تجدد التسيب حالاً بعد حال ، وقد قال الزمخشري عند تفسيره هذه الآية : ((و)) ((يُسَبِّحْنَ)) : في معنى ، و " مسبّحات " على الحال . فإن قلت : هل من فرق بين يسبحن ومسبّحات ؟ قلت : نعم ، وما اختير يسبحن على مسبّحات إلا لذلك ، وهو الدلالة على حدوث التسيب من الجبال شيئاً بعد شيء ، وحالاً بعد حال ، كأن السامع محاضر تلك الحال يسمعها تسيح . ومثله قول الأعشى :

لَعَمْرِي ، لَقَدْ لَاحَتْ عُيُونٌ كَثِيرَةٌ إِلَى ضَوْءِ نَارٍ فِي يَفَاحٍ تَحْرَقُ^٢

ولو قال : محرقة ، لم يكن شيئاً . وقوله : ﴿ مَحْشُورَةٌ ﴾^٣ في مقابلة : ﴿ يُسَبِّحْنَ ﴾ ؛ إلا أنه لما لم يكن في الحشر ما كان في التسيب من إرادة الدلالة على الحدوث شيئاً بعد شيء ، جيء به اسماً لا فعلاً . وذلك أنه لو قيل : ((وَسَخَرْنَا الطَّيْرَ يَحْشُرْنَ)) ، على أن الحشر يوجد من حاشرها شيئاً بعد شيء ، والحاشر هو الله عز وجل ، لكان خلفاً ، لأن حشرها جملة واحدة أدل على القدرة^٤ .

فالزمخشري - رحمه الله - فرق بين اسم الفاعل ﴿ مَحْشُورَةٌ ﴾ ، والفعل " يحشرن " في قوله : ﴿ وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةٌ كُلُّ لَهُ أَوَابٌ ﴾^٥ ، فقال : لما كان الواقع حشر الطير دفعة واحدة ، وكان ذلك أدل على القدرة ، لم يكن لاستعمال الفعل الدال على الحدوث شيئاً فشيئاً ، فاستعمل فيه اسم المفعول على خلاف استعمال الفعل في الأوّل^٦ .

وأيدّه الفخر الرّازي فقال : ((قوله تعالى : ﴿ إِنَّا سَخَرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعُشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ﴾ ونظير هذه الآية قوله تعالى : ﴿ يَجِبَالٌ أَوْبِي مَعَهُ وَالطَّيْرُ ﴾^٧ . قال صاحب « الكشّاف » ﴿ يُسَبِّحْنَ ﴾ في معنى مسبّحات ، فإن قالوا هل من فرق بين يسبحن ومسبّحات قلنا : نعم ، فإن صيغة الفعل تدل على الحدوث التجددي ، وصيغة الاسم على

^١ سورة ص / ١٨ .

^٢ البيت للأعشى ، من بحر الطويل ، يُنظَر : ديوانه / ١٢٦ ، ودلائل الإعجاز / ١٤٢ .

^٣ الآية كاملة : ﴿ وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةٌ كُلُّ لَهُ أَوَابٌ ﴾ سورة ص / ١٩ .

^٤ الكشّاف / ٥ / ٢٥٠ .

^٥ سورة ص / ١٩ .

^٦ يُنظَر : الكشّاف / ٥ / ٢٥٠ .

^٧ سورة سبأ / ١٠ .

الدَّوَام ، على ما بيَّنه عبد القاهر النَّحوي في كتاب دلائل الإعجاز^١ ، إذا ثبت هذا فنقول قوله : ﴿ يُسَبِّحَنَّ ﴾ يدلُّ على حدوث النَّسْبِيح من الجبال شيئاً بعد شيء وحالاً بعد حال ، و كأنَّ السَّامع حاضر تلك الجبال يسمعا تسبِّح ٠٠٠ قال صاحب « الكشَّاف » : ((قوله : ﴿ مَحْشُورَةٌ ﴾ في مقابلة ﴿ يُسَبِّحَنَّ ﴾ إلاَّ أنَّه ليس في الحشر مثل ما كان في النَّسْبِيح من إرادة الدَّلالة على الحدوث شيئاً بعد شيء ، فلا جرم جيء به اسماً لا فعلاً ، وذلك أنَّه قال لو قيل : ((وَسَخَّرْنَا الطَّيْرَ مَحْشُورَةً يُسَبِّحَنَّ)) ، على تقدير أنَّ الحشر وجد من حاشرها جملة واحدة دلَّ على القدر المذكور والله أعلم))^٢ .

ووافقهُ أبو حيان ، و الألويسي ، و أبو السُّعود ، كلُّ هؤلاء جاءوا بكلام يقارب ما جاء به الرَّمخسري^٣ .

٥. قوله ﷻ : ﴿ وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا ﴾^٤

هذه الآية بدأت بجملة اسمية ﴿ وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ ﴾ ، و لكن خبرها جملة فعلية ﴿ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ ﴾ ، لتفيد الثبوت التَّجْدُّدي ، فالله ﷻ يريد من عباده الاستمرار في تجديد التَّوْبَةِ ، ثمَّ عطف على هذه الجملة الاسمية بجملة فعلية هي : ﴿ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا ﴾ لإظهار تأكيد الجملة الأولى ، فالله ﷻ يريد ثبوت التَّوْبَةِ على عباده ، و في المقابل أصحاب الهوى والشَّهوات يريدون عكس ذلك ، فهم يريدونهم أن يجدُّوا الزَّيغ والضَّلَال حيناً بعد حين .

قال أبو حيان في تفسير هذه الآية ما يدلُّ على ذلك : ((وجاءت الجملة الأولى اسمية ، والثَّانية فعلية لإظهار تأكيد الجملة الأولى ، لأنَّها أدلُّ على الثبوت . ولتكرير اسم الله تعالى فيها على طريق الإظهار والإضمار . وأمَّا الجملة الثَّانية فجاءت فعلية مشعرة بالتَّجْدُّد ، لأنَّ إرادتهم تتجدَّد في كلِّ وقت))^٥ .

^١ دلائل الإعجاز / ١٤١ .

^٢ مفاتيح الغيب ٢٦ / ٣٧٠ .

^٣ يُنظَر : الكشَّاف / ٥ / ٢٤٩ - ٢٥٠ ، والبحر المحيط ٧ / ٣٧٤ ، وإرشاد العقل السليم ٧ / ٢١٨ ، وروح

المعاني ١٢ / ١٦٧ .

^٤ سورة النساء ٢٧ .

^٥ البحر المحيط ٣ / ٢٣٦ .

٦. قوله ﷻ : ﴿ يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾^١ .

٧. وقوله ﷻ : ﴿ وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعْدُهُمْ أَوْ نتَوْفِينَا فإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴾^٢ .

قال الألوسي - رحمه الله - : ((﴿ وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ ﴾ أصله إن نرينك ؛ و ﴿ مَا ﴾ مزيد لتأكيد معنى الشرط ومن ثمت أكد الفعل بالنون والرؤية بصرية ، أي : إمّا نرينك بعينك ﴿ بَعْضَ الَّذِي نَعْدُهُمْ ﴾ من العذاب بأن نعدّهم في حياتك ﴿ أَوْ نتَوْفِينَا ﴾ قبل ذلك ﴿ فإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ﴾ جواب للشرط وما عطف عليه ، والمعنى إن عذابهم في الآخرة مقرّر عدّبوا في الدنيا أولاً ، وقيل : هو جواب ﴿ نتَوْفِينَا ﴾ كأنه قيل : إنّنا نتوفينا فإلينا مرجعهم فنريكه في الآخرة ، وجواب الأول محذوف ، أي : إمّا نرينك فذاك المراد ، أو المتمني أو نحو ذلك ، وقال الطيبي : أي فذاك حقّ وصواب ، أو واقع أو ثابت واختار الأول أبوحيان ، والاعتراض عليه بأن الرجوع لا يترتب على تلك الإراءة فيحتاج إلى التزام كون الشرطية اتفاقية ناشئة من الغفلة عن المعنى المراد ، والمراد من ﴿ نَعْدُهُمْ ﴾ وعدناهم إلاّ أنّه عدل إلى صيغة الاستقبال لاستحضار الصورة ، أو للدلالة على التجدّد ، والاستمرار أن نعدهم وعداً متجدّداً حسبما تقتضيه الحكمة من إنذار غب إنذار .

وفي تخصيص البعض بالذكر قيل رمز إلى أنّ العدة بإراءة بعض الموعود ، وقد أراه ﷻ ذلك يوم بدر ﴿ وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعْدُهُمْ أَوْ نتَوْفِينَا فإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴾^٣ من الأفعال السيئة التي حكيت عنهم ، والمراد من الشهادة لازمها مجازاً ، وهو المعاقبة والجزاء فكأنه قيل : ثمّ الله تعالى معاقب على ما يفعلون ، وجوز أن يراد منها إقامتها وأداؤها بإنطاق الجوارح ، وإلاّ فشهادة الله ﷻ بمعنى كونه رقيباً ، وحافظاً أمر دائم في الدارين و ﴿ ثُمَّ ﴾ لا تناسب ذلك ، والظاهر أنّها على هذين الوجهين على ظاهرها . وفي « الكشف » وغيره هي على الأول للتراخي الرتبي ، وعلى الثاني على الظاهر ، وظاهر كلام البعض استحسان حملها على التراخي الرتبي مطلقاً ، ولا أرى لارتكاب خلاف الظاهر بعد ذلك الارتكاب داعياً ، وأنّ العطف بها على الجزاء ، لا على مجموع الشرطية ، وأنت تعلم أنّ العطف على ذاك يمنع من إرادة التّعذيب منه ، أو إراءته

^١ سورة الرعد / ٣٩ .

^٢ سورة يونس / ٤٦ .

^٣ سورة يونس / ٤٦ .

أو نحو ذلك ممّا لا يصحّ أن يكون المعنى المعطوف بثمّ بعده ومرتّباً عليه ، ولعلّ ما اعتبروه هناك ليس تفسيراً للرجوع ، بل هو بيان للمقصود من الكلام ، وإظهار اسم الجلالة لإدخال الرّوعة وتربية المهابة وتأكيد التّهديد . وقرأ ابن أبي عبله ﴿ ثُمَّ ﴾ بالفتح أي هنالك .^١

٨- قوله ﷻ : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴾^٢ .

فقد عُطِفَ في هذه الآية المضارع المستقبل على الماضي ﴿ فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ ﴾ ، ولم يقل : فأصبحت عطفاً على أنزل ؛ لإفادة بقاء أثر المطر زماناً بعد زمان ، كما تقول : أنعم عليّ فلان ، فأروح وأغدوا شاكرًا له . ولو قلت : فرحت وغدوت ؛ لم يقع ذلك الموقع ؛ لأنّه يدلُّ على ماضٍ قد انقضى .

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا ، فما له رفع ﴿ تُصْبِحُ ﴾ ، ولم ينصبها جواباً للاستفهام ؟ قلت : لو نصب لأعطى ما هو عكس الغرض ؛ لأنّ معناه إثبات الاخضرار ، فينقلب بالنّصب إلى نفي الاخضرار ، مثاله أن تقول لصاحبك : ((أَلَمْ تَرَ أَنِّي أَنْعَمْتُ عَلَيْكَ ، فَتَشْكُرُ)) ؛ إن نصبته فأنت نافٍ لشكره ، شكّك تفريطه فيه ، وإن رفعته فأنت مثبت للشكر^٣ .

وقال العكبري - رحمه الله - في قوله ﷻ : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴾^٤ ، الأصل فهي تصبح ، والضّمير للقصة وتصبح خبره ، أو تصبح بمعنى أصبحت ، وهو معطوف على أنزل ، فلا محلّ له إذاً^٥ .

وقال ابن عطية - رحمه الله - : وقوله ﴿ فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ ﴾ بمنزلة قوله ف" تضحى " أو تصير عبارة عن استعجالها أثر نزول الماء واستمرارها كذلك عادة ووقع قوله

^١ روح المعاني ٩ / ٢٧ .

^٢ سورة الحج / ٦٣ .

^٣ يُنظَر : الكشّاف ٣ / ٢٠ ، و إعراب القرآن وبيانه ٥ / ١٦٧ .

^٤ سورة الحج / ٦٣ .

^٥ يُنظَر : إملاء ما منّ به الرّحمن / ٤٤٢ ، و مغني اللّبيب / ٥٥٤ ، و البحر المحيط ٦ / ٣٥٥ - ٣٥٦ .

﴿ فَتُصْبِحُ ﴾ من حيث الآية خبراً ، والفاء عاطفة وليست بجواب لأن كونها جواباً لقوله ﴿ أَلَمْ تَرَ ﴾ فاسد المعنى انتهى^١ .

قال أبو حيان - رحمه الله - بعد أن أورد قول الزمخشري ، وابن عطية ، أنهما لم يبيّنا كيف يكون النصب نافياً للاخضرار ، ولا كون المعنى فاسداً . وأن سيبويه سأل الخليل " عن قوله ﷻ : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً ﴾ ، فقال : إن هذا واجب وهو تنبيه ، كأنك تقول : أسمع " أنزل الله من السماء ماء " فكان كذا وكذا .

ثم نقل عن ابن خروف^٢ قوله : إن هذا واجب ، وقوله : فكان كذا ، يريد أنهما ماضيان ، وفسر الكلام بأن تسمع ؛ ليريك أنه لا يتصل بالاستفهام ؛ لضعف حكم الاستفهام فيه . وكذا نقل عن بعض شراح " الكتاب " أنه لا يمكن نصب ﴿ فَتُصْبِحُ ﴾ ؛ لأن الكلام واجب ، كون المعنى : أن الله أنزل الماء ، فالأرض هذا حالها^٣ .

ثم نقل أبو حيان عن الفرّاء : إنما امتنع النصب جواباً للاستفهام هنا ؛ لأن النفي إذا دخل عليه الاستفهام - وإن كان يقتضي تقريراً في بعض الكلام - هو معامل معاملة النفي المحض في الجواب ، ثم دلل بقوله ﷻ : ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا ﴾^٤ ، وكذلك في الجواب بالفاء إذا أجب النفي كان على معنيين في كل منهما ينتفي الجواب ، ثم ذكر أن معنى (ما تأتينا فتحدّثنا) بالنصب ، هو : (ما تأتينا محدثاً) ، إنما تأتي ولا تحدّث ، ويجوز أن يكون المعنى : (إنك لا تأتي ، فكيف تحدّث) ، فالحديث منتف في الحالتين ، وأن التقرير بأداة الاستفهام كالنفي المحض في الجواب يثبت ما دخلته الهمزة ، وينتفي الجواب ، ثم خلاص إلى أنه يلزم من هذا إثبات الرؤية ، وانتفاء الاخضرار ، وهو

^١ يُنظَر : البحر المحيط ٦ / ٣٥٦ ، وإعراب القرآن لابن سيده ٦ / ٣٧٨ .

^٢ في شرح كتاب سيبويه .

^٣ يُنظَر : البحر المحيط ٦ / ٣٥٥ - ٣٥٦ ، ومفاتيح الغيب ٢٣ / ٢٤٦ ، وإعراب القرآن وبيانه ٥ / ١٦٧ -

١٦٨ ، وإعراب القرآن لابن سيده ٦ / ٣٧٨ .

^٤ في فَتُصْبِحُ .

^٥ سورة الأعراف / ١٧٢ .

خلاف المقصود . وأيضاً فإنّ جواب الاستفهام ينعقد منه مع الاستفهام السابق شرط ،
وجزاء ، ثمّ ذكر قول ابن مسهر :

أَلَمْ تَسْأَلْ فَتُخْبِرِكَ الرُّسُومُ [عَلَى فِرْتَاَجٍ ، وَالطَّلُّ الْقَدِيمُ]^١

حيث يتقدّر أن تسأل ، فتخبرك الرسوم ، وهنا لا يتقدّر أن ترى إنزال المطر تصبح
الأرض مخضرة ؛ كون اخضرارها ليس مترتباً على علمك ، أو رؤيتك ، إنّما هو مترتب
على الإنزال ، وأنّ تعبيره بالمضارع إنّما فيه تصوير لهيئة الأرض التي كانت عليها ،
والحالة التي لابستها ، فالماضي يفيد انقطاع الشيء^٢ .

وقال ابن هشام - رحمه الله - في " المغني " في الفاء في ﴿ فَتُصْبِحُ ﴾ : ((
وقيل : الفاء في هذه الآية للسببية ، وفاء السببية لا تستلزم التعقيب بدليل صحّة قولك : ((
إِنْ يَسَلِّمْ ، فَهَوَّ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ)) ومعلوم ما بينهما من المهلة ، وقيل تقع الفاء تارة بمعنى ثمّ
ومنه الآية ، وقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا
الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْماً فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ
الْخَالِقِينَ ﴾^٣ فالفاءات في : فخلقنا العلقة مضغة ، وفي فخلقنا المضغة ، وفي فكسونا
بمعنى " ثمّ " لتراخي معطوفاتها))^٤ .

^١ هذا البيت للبرج بن مسهر الطائي ، و (فرتاج) موضع في بلاد طيء ، وهو من شواهد سيبويه . والشاهد
فيه : نصب ما بعد الفاء ، والرّفْع جائز ، وكذا الجزم . ينظر : الكتاب ٣ / ٣٤ ، ولسان العرب : (فرتج) ١٠
/ ٢٠٨ .

^٢ يُنظَر : البحر المحيط ٦ / ٣٥٥ - ٣٥٦ ، ومفاتيح الغيب ٢٣ / ٢٤٦ ، وإعراب القرآن وبيانه ٥ / ١٦٧ -
١٦٨ .

^٣ سورة المؤمنین / ١٣ - ١٤ .

^٤ المغني / ٢١٤ - ٢١٥ .

الدلالة الاحتمالية للجملة العربية :

أسباب الدلالة الاحتمالية للجملة العربية

الدلالة الاحتمالية : هي التي تحتمل أكثر من معنى ، وقد يترك القائل الدلالة احتمالية ؛ لتحمل أكثر من معنى من باب التوسع في المعنى ، وقد تتحدد الدلالة بقريئة لفظية أو معنوية^١ . وللدلالة الاحتمالية للجملة العربية أسباب عدّة نذكر منها :

١. الاشتراك اللفظي .
 ٢. اشتراك دلالة الصيغة .
 ٣. عدم تبيين أصل الكلمة ، أو وزنها .
 ٤. المجيء بصيغة تؤدي إلى اختلاف محتمل في الإعراب ، والدلالة .
 ٥. ذكر ألفاظ تؤدي إلى احتمال المعنى .
 ٦. الحذف المؤدي إلى احتمال دلالي ، وإعرابي .
 ٧. الاشتراك في الإعراب المؤدي إلى اشتراك في الدلالة .
 ٨. مواقع إعرابية ذات دلالة قطعية ، أو احتمالية .
 ٩. الاختلاف في إرادة الحقيقة ، والمجاز .
 ١٠. جمل تحتمل أكثر من معنى .
 ١١. عبارات تحتمل أكثر من معنى .
- وهناك أسباب أخرى تدعو إلى احتمال المعنى نكتفي بما ذكرنا^٢ .
- و الآن إليك تفصيل هذه الأسباب :

الأول - الاشتراك اللفظي في معنى الكلمة

المشترك اللفظي : ما وضع لمعنيين فأكثر كالقرء للطهر ، والحيض^١ .

^١ يُنظَر : الجملة العربية و المعنى / ١٢ .

^٢ يُنظَر : الجملة العربية و المعنى / ١٢ - ٢٢ .

فالمشترك اللفظي عبارة عن كلمة تحتمل أكثر من معنى ، ولا يدرى أي معانيه هو المقصود إذا لم تكن هناك قرينة تعيّن أحد هذه المعاني ، وبدل على معناه المقصود متى قامت قرينة تعيّن ذلك المعنى ، تقول : ((نَظَرْتُ بِالْعَيْنِ الْمَجْرَدَةَ)) ، و ((شَرِبْتُ مِنْ عَيْنٍ زَبِيدَةٍ)) ، ومعناهما واضح غير مشكل مع أنّ لفظ (العين) فيهما مشترك لفظي ، ولكنّ مدلوله يتعيّن في المثال الأوّل أن يكون جارحة الإنسان الباصرة ، ومدلوله في المثال الثاني يتعيّن أن يكون نابعة الماء الجارية ، وذلك بقرينة لفظ (نظرت) في المعنى الأوّل ، ولفظ (شربت) في الثاني ^١ .

ومن المشترك اللفظي كلمة (قُرُوء) تحتمل معنى الطهر ، وتحتمل معنى الحيض ^٢ . ولذا اختلف العلماء في قوله تعالى : ﴿ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ ﴾ ^٣ اختلفوا في كلمة ﴿ قُرُوء ﴾ ، فقيل هي الطهر ، وقيل هي الحيض ^٤ . قال القرطبي في كتابه الجامع لأحكام القرآن : ((والقُرء : أنقطاع الحيض . وقال بعضهم : ما بين الحيضتين . و أفراّت حاجتك : دنت ، عن الجوهرية ^٥ . وقال أبو عمرو بن العلاء ^٦ : من

^١ الحدود الأنيفة والتعريفات الدقيقة ، زكريا بن محمد بن زكريا الأنصاري أبو يحيى - دار الفكر المعاصر - بيروت - الطبعة الأولى - ١٤١١ هـ - تحقيق : د. مازن المبارك / ١ / ٨٠ .

^٢ يُنظَر : مناهل العرفان في علوم القرآن ، محمد عبدالعظيم الزرقاني - دار الفكر - بيروت - الطبعة الأولى - ١٩٩٦ م - تحقيق : مكتب البحوث والدراسات / ١ / ١٢١ .

^٣ سورة البقرة / ٢٢٨ .

^٤ الإمام : أبو عبدالله ، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج الأنصاري ، الخزرجي الأندلسي ، القرطبي ، المفسر ، كان من عباد الله الصالحين ، والعلماء العارفين ، الورعين ، الزاهدين ، وكانت وفاته سنة إحدى وسبعين وستمائة ، ومن مؤلفاتها " الجامع لأحكام القرآن " من أجل التفسير ، وأعظمها نفعاً ^٥ . يُنظَر : طبقات المفسرين ٢ / ٦٥ ، والديباج المذهب / ٣١٧ ، وشذرات الذهب / ٥ / ٣٣٥ ، وطبقات المفسرين ، للسيوطي / ٢٨ ، ونفح الطيب ، للدواودي / ٢ / ١١٠ ، وهديّة العارفين ٢ / ١٢٩ ، والوفاي بالوقيات ٢ / ١٢٢ .

^٥ الإمام أبو نصر الفارابي ، إسماعيل بن حماد الجوهري ، قال ياقوت كان من أعاجيب الزمان ذكاءً وفطنة ، صاحب الصحاح ، توفي - رحمه الله - سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة ^٦ . يُنظَر : بغية الوعاة / ١ / ٤٤٦ ، ومعجم الأدباء / ٦ / ١٥١ .

^٦ أبو عمرو بن العلاء بن عمّار بن العريان التميمي ، ثم المازني . البصري شيخ القراء ، والعربية . وأمه من بني حنيفة . واختلف في اسمه على أقوال : أشهرها زبّان ، وقيل العريان . ولد في نحو سنة سبعين هجرية . قرأ القرآن على سعيد بن جبير . ومجاهد ، ويحيى بن يعمر ، وعكرمة ، وابن كثير ، وطائفة . برز في الحروف ، وفي النحو ، وتصدّر للإفادة مدة . واشتهر بالفصاحة والصدق وسعة العلم . قال أبو عبيدة . كان أعلم الناس بالقراءات والعربية ، والشعر ، وأيام العرب . ومات في سنة أربع وخمسين ومائة ، وقيل سنة سبع وخمسين ومائة .

العرب من يُسمّى الحيض قُرْءاً ، ومنهم من يُسمّى الطُّهر قرءاً ، ومنهم من يجمعهما جميعاً ؛ فيسمّى الطُّهر مع الحيض قرءاً ؛ ذكره النَّحاس^١ ، وأختلف العلماء في الأقرء ؛ فقال أهل الكوفة : هي الحَيْض ، وهو قول عمر ، وعليّ ، وأبن مسعود ، وأبي موسى ، ومجاهد ، و قتادة^٢ ، والضَّحَّاك^٣ ، وعكرمة^٤ و السَّدِّي . وقال أهل الحجاز ؛ هي الأطهار ؛ ٠٠٠ وقيل : القرء ، الخروج إما من طهر إلى حيض ، أو من حيض إلى طهر .
٠ ° ((

يُنظَر : تاريخ البخاري ٩ / ٥٥ ، وطبقات الزُّبيدي / ٢٨ - ١٢٦ ، ومراتب النَّحويين / ١٣ ، ونزهة الألباء / ١٥ ، ووفيات الأعيان ١ / ٢٣١ ، وتهذيب الكمال / ١٦٢٩ ، وتهذيب النَّهْذِيب ٤ / ٢٢٥ ، وتاريخ الإسلام ٦ / ٣٢٢ ، وسير أعلام النبلاء ٦ / ٤٠٧ - ٤١٠ ، وعبر الذَّهبي ١ / ٢٢٣ ، وفوات الوفيات ١ / ٢٣١ ، وتهذيب النَّهْذِيب ١٢ / ١٧٨ ، وأخبار النَّحويين البصريين / ٢٢ ، بغية الوعاة / ٣٦٧ ، وغاية النهاية في طبقات القراء ١ / ٢٨٨ .

^١ أبو جعفر النَّحَّاس ، أحمد بن محمَّد بن إسماعيل بن يونس المرادي ، من أئمَّة العلم واللُّغة بمصر ، توفِّي - رحمه الله - سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة هجرية . له كتاب ((النَّاسِخُ وَالْمَنْسُوخُ)) . يُنظَر : إنباه الرُّوَاة ١ / ١٠١ .

^٢ قتادة بن دعامة السَّدُوسي ، الأكمه ، أبو الخطَّاب ، عربي الأصل ، كان يسكن البصرة . أحد علماء التَّابعين ، والأئمَّة العالمين ، روى عن : أنس بن مالك ، وجماعة من التَّابعين ، كان قوِّي الحافظة ، واسع الاطِّلاع في الشُّعر العربي ، بصير بأيام العرب . كانت وفاته - رضي الله عنه - سنة سبع عشرة ومائة من الهجرة ، عن ست وخمسين سنة على المشهور ، وقيل سنة خمس عشرة ومائة . يُنظَر : السيرة ٥ / ٢٦٩ ، وطبقات بن سعد ٧ / ٢٢٩ ، وتهذيب النَّهْذِيب ٨ / ٣١٥ ، وطبقات المفسِّرين ٢ / ٤٣ .

^٣ الضَّحَّاك بن مزاحم الهلالي ، مولاهم الخراساني ، روى عن بعض الصَّحابة ، وأخذ عنهم العلم ، وثقَّه أحمد بن حنبل ، كان ذا شهرة في التَّفْسِير ، توفِّي - رحمه الله - في سنة خمس ومائة . يُنظَر : السيرة ٤ / ٥٩٨ ، وتهذيب النَّهْذِيب ٤ / ٤٥٣ ، وطبقات المفسِّرين ١ / ٢١٦ .

^٤ أبو عبدالله : عكرمة بن عبدالله البربري المدني ، مولى عبدالله بن عبَّاس ، أحد الأئمَّة الأعلام ، وقد أخذه ابن عبَّاس بالتَّربية والتَّنْثِيف في صغره ، بل إنَّه كان يقسو عليه حتَّى يعلِّمه قال عرمة : ((كان ابن عبَّاس يجعل في رجلي الكبَّل يعلِّمني القرآن والسُّنة)) ، وقد اختلف العلماء فيه بين معدَّل له ، ومجرَّح ، والأكثرُونَ على توثيقه وتعديله . توفِّي - رحمه الله - سنة خمس ومائة هجرية . يُنظَر : السيرة ٥ / ١٢ ، وطبقات بن سعد ٥ / ٢٨٧ ، وحلية الأولياء ٣ / ٣٣٦ ، وتهذيب النَّهْذِيب ٧ / ٢٦٣ .

^٥ الجامع لأحكام القرآن ، لمحمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي أبو عبد الله - دار الشعب - القاهرة - ١٣٧٢هـ - الطبعة الثَّانية - تحقيق : أحمد عبد العليم البردوني ٣ / ٧٥ - ٧٦ . يُنظَر : البحر المحيط ٢ / ١٩٧ - ١٩٨ ، وإملاء ما من به الرحمن / ١٠٢ ، والتَّفْهِيمُ والتَّحْبِيرُ في علم الأصول ، لمحمد بن محمد ، دار الفكر ، بيروت ، ط ١٩٩٦ م ، تحقيق : مكتب البحوث والدراسات ١ / ٢٣١ .

ومن المشترك اللفظي لفظ (أنى) من قوله ﷻ : ﴿ نَسَاؤُكُمْ حَرَّتْ لَكُمْ فَأَتُوا حَرَّتُكُمْ أَنَّى سَنْتُمْ وَقَدِّمُوا لَأَنْفُسِكُمْ وَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلْقَوُهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾^١ ، فلفظ (أنى) ، بعد قوله ﷻ : ﴿ فَأَتُوا حَرَّتُكُمْ ﴾ ، فإنه مشترك بين معنيين ؛ لاستعماله (كأين) ، كما في قوله ﷻ : ﴿ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَمْرِئُمُ أَنَّى لِكَ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾^٢ ، و(كيف) ، كما في قوله ﷻ : ﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ﴾^٣ ، فاشتبه المعنى المراد في الآية على السامع ، واستمر ذلك ، إلى أن استخراج المراد منها ، بعد النظر أولاً في معاني اللفظ وضبطه ، والوقوف عليه في موقع هذا ، فظهر المعنى الثاني : وهو " كيف " دون " أين " ، بقريضة الحرث ، وتحريم الأذى ، أي : ودلالة تحريم القربان في الأذى العارض ، وهو الحيض ، فإنه في الأذى اللازم أولى ، فيقتضي التخيير في الأوصاف ، أي سواء أكانت قائمة ، أو نائمة ، أو مقبلة ، أو مدبر بعد أن يكون المأتي واحداً .

و(أنى) تأتي على معانٍ عدّة منها : (كيف) فتكون دلت على جواز الوطاء للمرأة ، في أي حال شاءها ، الواطئ مقبلة ومدبرة ، على أي شقٍّ ، وقائمة ومضطجعة ، وغير ذلك من الأحوال ، وذلك في مكان الحرث . أو : بمعنى (متى) فيكون إذ ذاك ظرف زمان ، ويكون المعنى : فأتوا حرثكم في أي زمان أردتم . أو بمعنى (أي) ، والمعنى : على أي صفة سنتم ، فيكون على هذا تخييراً في الخلال والهيئة ، أي : أقبل وأدبر واتق الدبر والحيضة . أو بمعنى (أين) فجعلها مكاناً ، واستدلّ بهذا على جواز نكاح المرأة في دبرها ، وهذا المعنى مستبعد ، وقد أنكره العلماء . و(أنى) : إنما يجيء سؤالاً وإخباراً على أمر له جهات ، فهي أعمّ في اللغة من : (كيف) ، ومن : (أين) ، ومن : (متى) .

وفسر سيبويه (أنى) في هذه الآية ب(كيف) ، ومن أين بإجتماعهما ؟ . وقال النحويون : (أنى) ، لتعميم الأحوال ، وقد تأتي : (أنى) ، بمعنى : متى ، وبمعنى : (أين) ، وتكون استفهاماً وشرطاً ، وجعلوها في الشرطية ظرف مكان فقط . وإذا كان غالب

^١ سورة البقرة / ٢٢٣ .

^٢ سورة آل عمران / ٣٧ .

^٣ سورة البقرة / ٢٥٩ .

^٤ يُنظَر : التّقرير والتّحبير / ٢٠٨ .

مدلولها في اللغة أنها للأحوال ، فلا حجة لمن تعلق بأنها تدلُّ على تعميم مواضع الإتيان ، فتكون بمعنى : (أين)^١ .

قال الزمخشري : ((وقوله : ﴿ فَأَتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ ﴾ : تمثيل ، أي : فاتوهن كما تأتون أراضيكم التي تريدون أن تحرثوها ، من أي جهة شئتم ، لا تحظر عليكم جهة دون جهة ، والمعنى : جامعوهن من أي شق أردتم بعد أن يكون المأتي واحداً ، وهو موضع الحرث))^٢ .

ومن المشترك اللفظي كلمة (رَجَسَ) من قوله ﷺ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رَجَسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾^٣ ، فلفظة (رَجَسَ) من قبيل المشترك اللفظي الذي يراد به أحد معانيه التي تُعيِّنها القرائن ، وتناسب المقام ، فلها معنيان هما : " سخط " ، و : " النَّتْنُ وَالْعَذْرَةُ وَالْأَقْدَارُ " . قال القرطبي - رحمه الله - : ((قال ابن عباس في هذه الآية : « رَجَسٌ » سخط ، وقد يقال : للنَّتْنِ وَالْعَذْرَةِ وَالْأَقْدَارِ رَجَسٌ . والرَّجَزُ بِالزَّيِّ الْعَذَابُ لَا غَيْرَ ، وَالرَّكْسُ الْعَذْرُ لَا غَيْرَ . وَالرَّجَسُ يُقَالُ لِلْأَمْرَيْنِ))^٤ .

ومن المشترك اللفظي كلمة (اليَد) فقد تكون بمعنى اليد الجارحة ، وقد تكون بمعنى القوة والقدرة ، وقد تكون بمعنى النعمة ، ولذا اختلف العلماء في قوله تعالى : ﴿ قَالَ يَا بَلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِيَدَيَّ اسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ ﴾^٥ . فبعض العلماء

^١ يُنظَر : البحر المحيط ٢ / ٤٦١ ، وارتشاف الضرب من لسان العرب ، لأبي حيَّان الأندلسي ، تحقيق وشرح ودراسة د. رجب عثمان محمَّد ، و د. رمضان عبد التَّوَّاب - مكتبة الخانجي - القاهرة - ط ١٤١٨ هـ -

١٩٩٨ م ٤ / ١٨٦٧ .

^٢ الكشَّاف ١ / ٤٣٤ .

^٣ سورة المائدة / ٩٠ .

^٤ عبدالله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ، ابن عمِّ رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ، ولد والنبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وأهل بيته بالشَّعب بمكَّة ، وحنَّكه - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قبل الهجرة بثلاث سنين ، لازم النَّبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ، يلقَّب بالحبر ، والبحر ، وترجمان القرآن لكثرة علمه . توفِّي - رضي الله عنه - بالطائف سنة ثمانٍ وستين من الهجرة ، على الأرجح ، وله من العمر سبعون سنة . يُنظَر : سير أعلام النبلاء ٣ / ٣٣ ، وطبقات ابن سعد ٢ / ٣٦٥ ، وتاريخ بغداد ١ / ١٧٣ ، وأسد الغابة في معرفة الصحابة ، لعلي بن محمَّد عزِّ الدِّين بن الأثير ، القاهرة ١٩٧٠ م ٣ / ٢٩٠ .

^٥ الجامع لأحكام القرآن ٦ / ٢٨٥ .

^٦ سورة ص / ٧٥ .

ذهب إلى أنها اليد ، وهي ثابتة لله ﷻ كما يليق بجلاله ، وهي صفة كمال منزهة عن مشابهة صفات الخلق ، وليس بمعنى القدرة أو النعمة ، وهو قول أهل السنة ، وذهب بعضهم إلى أنها بمعنى القدرة ، كما يقال : هذا الشيء في يد فلان وتحت يد فلان ، يراد به أنه تحت قدرته وفي ملكه ، ويقال : ((رجلٌ أيدٌ)) إذا كان قادراً ، وأن التثنية للتأكيد . وذهب البعض أنها النعمة ، كما يقال : ((لي عند فلان يدٌ بيضاء)) يراد به نعمة^١ .

قال القرطبي عند تفسيره ﴿ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ : ((أضاف خلقه إلى نفسه تكريماً له . . . فإنَّ الرئيس من المخلوقين لا يباشر شيئاً بيده إلا على سبيل الإعظام والتكريم ، فذكر اليد هنا بمعنى هذا . قال مجاهد : اليد هاهنا بمعنى التأكيد والصلة ؛ مجازة لما خلقت أن كقوله : ﴿ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ﴾^٢ ، أي يبقى ربك . وقيل : التشبيه في اليد في خلق الله تعالى دليل على أنه ليس بمعنى النعمة والقوة والقدرة ؛ وأن ما هما إلا صفتان من صفات ذاته تعالى ﷻ . وقيل : أراد باليد القدرة ، يقال : ما لي بهذا الأمر يد . وما لي بالحمل الثقيل يدان . ويدلُّ عليه أن الخلق لا يقع إلا بالقدرة بالإجماع . وقال الشاعر :

تَحَمَّلْتُ مِنْ (عَفْرَاءَ) مَا لَيْسَ لِي بِهِ وَلَا لِلْجِبَالِ الرَّاسِيَاتِ يَدَانِ^٣

وقيل : ﴿ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ لما خلقت بغير واسطة^٤ .

وقال أبو حيان عند تفسير هذه الآية : ((﴿ خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ ، على الإفراد ؛ والجمهور : على التثنية ؛ وقرئ " بيدي " ، كقراءة " بمصرخي " ؛ وقال : ﴿ مِمَّا عَمِلْتُمْ أَيْدِينَا ﴾^٥ بالجمع ، وكلها عبارة عن القدرة والقوة ، وعبر باليد ، إذ كان عند البشر معتاداً

^١ يُنْظَرُ : جامع البيان في تفسير القرآن ١١٩/٢٣ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٢٨/١٥ ، والبحر المحيط ٣٩٢/٧ ، وأضواء البيان في تفسير القرآن ٥٨/٥ .

^٢ سورة الرِّحْمَنِ / ٢٧ .

^٣ البيت لعروة بن حزام صاحب عفرَاء ، وهو في الجامع الأحكام القرآن ١٥ / ٢٢٨ .

^٤ الجامع الأحكام القرآن ١٥ / ٢٢٨ .

^٥ سورة يس / ٧١ .

أَنَّ البطش والقوة باليد . وذهب القاضي أبو بكر بن الطيب^١ إلى أَنَّ اليد صفة ذات . قال ابن عطية : وهو قول مرغوب عنه^٢ .

ومن المشترك اللفظي كلمة (الهدى) فقد جاءت في القرآن بمعانٍ عدة ، قال الزركشي - رحمه الله - عند حديثه عن الوجوه ، والنظائر : ((فمنه^٣ (الهدى) سبعة عشر حرفاً : بمعنى : البيان ، كقوله تعالى : ﴿ أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ﴾^٤ ، وبمعنى : الدين : ﴿ إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَىٰ اللَّهِ ﴾^٥ ، وبمعنى : الإيمان : ﴿ وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى ﴾^٦ ، وبمعنى : الداعي : ﴿ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾^٧ ، ﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا ﴾^٨ ، وبمعنى : الرُّسل ، والكتب : ﴿ فِيمَا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى ﴾^٩ ، وبمعنى : المعرفة : ﴿ وَيَا نَجْمُ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴾^{١٠} ، وبمعنى : الرِّشاد : ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾^{١١} ، وبمعنى محمد ﷺ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ ﴾^{١٢} ، ﴿ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ ﴾^{١٣} ، وبمعنى القرآن : ﴿ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ رَبِّهِمْ الْهُدَىٰ ﴾^{١٤} ، وبمعنى : التَّوراة : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ الْهُدَىٰ ﴾^{١٥} ، وبمعنى : الاسترجاع : ﴿ أُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾^{١٦} ، ونظيرها في

^١ محمَّد بن الطَّيِّب بن محمَّد بن جعفر ، أبو بكر ، قاضي من كبار علماء الكلام ، انتهت إليه الرِّياسة في مذهب الأشاعرة ، ولد في البصرة ، وسكن بغداد ، فتوفِّي - رحمه الله - فيها سنة ثلاث وأربعمائة من الهجرة . من كتبه « إجاز القرآن » ، و « الإنصاف » . يُنظر : وفيات الأعيان ١ / ٤٨١ ، وتاريخ بغداد ٥ / ٣٧٩ ، والأعلام ٦ / ١٧٦ .

^٢ البحر المحيط ٧ / ٣٩٢ .

^٣ أي من الوجوه في القرآن .

^٤ سورة البقرة / ٥ .

^٥ سورة آل عمران / ٧٣ .

^٦ سورة مريم / ٧٦ .

^٧ سورة الرعد / ٧ .

^٨ سورة الأنبياء / ٧٣ .

^٩ سورة البقرة / ٣٨ .

^{١٠} سورة النحل / ١٦ .

^{١١} سورة الفاتحة / ٦ .

^{١٢} سورة البقرة / ١٥٩ .

^{١٣} سورة محمَّد / ٢٥ .

^{١٤} سورة النجم / ٢٣ .

^{١٥} سورة غافر / ٥٣ .

^{١٦} سورة البقرة / ١٥٧ .

التَّغَابِنُ : ﴿ وَمَنْ يُؤْمِنِ بِاللَّهِ ﴾^١ ، أي في المصيبة أنها من عند الله ﴿ يَهْدِ قَلْبَهُ ﴾^٢ للاسترجاع ، وبمعنى : الحجة : ﴿ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾^٣ ، بعد قوله : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ ﴾^٤ ، أي : لا يهديهم إلى الحجة ، وبمعنى التوحيد : ﴿ إِنْ تَتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ ﴾^٥ ، وبمعنى السنة : ﴿ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ ﴾^٦ ، وبمعنى : الإصلاح : ﴿ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَائِنِينَ ﴾^٧ ، وبمعنى : الإلهام : ﴿ أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ حُلُقَهُ ثُمَّ هَدَى ﴾^٨ ، هدى كلا في معيشته ، وبمعنى : التوبة : ﴿ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ ﴾^٩ ، أي : تبنا . وهذا كثير الأنواع)^{١٠} .

ومن الاشتراك اللفظي الاشتراك في الأدوات نحو (مَا) و (أَنْ) وغيرها . فقد تشترك (مَا) في معاني النفي ، والاستفهام والمصدرية ، والموصولية الاسمية وغيرها . وتشترك (أَنْ) في الشرط والنفي والتخفيف من (أَنْ) وغيرها . فإذا جاء في الكلام ما يبين أحد المعاني كانت الدلالة قطعية ، وإن لم يوجد فيه ما يبين أحد المعاني كانت الدلالة احتمالية .

من هذا القبيل قوله ﷺ : ﴿ مَنْ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴾^{١١} ، فلو قلت : ﴿ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ﴾ ووقفت ، لصارت الدلالة احتمالية ، فاحتملت (مَا) أن تكون مصدرية ، بمعنى (صَدَقُوا عَاهَدَ اللَّهُ) ، واحتمل أن تكون اسماً موصولاً بمعنى (صدقوا الذي عاهدوا الله عليه) ،

^١ سورة التَّغَابِنُ / ١١ .

^٢ سورة التَّغَابِنُ / ١١ .

^٣ سورة البقرة / ٢٥٨ .

^٤ سورة البقرة / ٢٥٨ .

^٥ سورة القصص / ٥٧ .

^٦ سورة الزُّخْرَفِ / ٢٢ .

^٧ سورة يوسف / ٥٢ .

^٨ سورة طه / ٥٠ .

^٩ سورة الأعراف / ١٥٦ .

^{١٠} البرهان في علوم القرآن ١ / ١٠٣ - ١٠٤ .

^{١١} سورة الأحزاب / ٢٣ .

ولكن لو قلت : ﴿ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ﴾ فجئت بالعائد - عليه - تعيّن اسميتها ، وأصبحت الدلالة قطعية ، بمعنى (صدقوا الذي عاهدوا الله عليه) .

ونحو قولك : (ما يعلمان أحداً) فالدلالة هنا احتمالية ، فإنّ ما هنا تحتل النفي أي ليس يعلمان أحداً ، وتحتل الموصولية الاسمية أي الذي يعلمان أحداً . ولو قلت كما جاء في قوله تعالى : ﴿ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا أَنْ مَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ﴾^١ ، فلو اقتصر على : ﴿ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ ﴾ فما هنا نافية لا غير ، وصارت الدلالة قطعية ، و(مِنْ) زائدة للتوكيد ، والتقدير : ولا يعلمان أحداً .

ونحو قولك : ((مَا يُعَمَّرُ مُعَمَّرٌ)) فالدلالة هنا احتمالية ، فإنّ (مَا) هنا تحتل النفي ، أي : لَيْسَ يُعَمَّرُ مُعَمَّرٌ ، وتحتل الموصولية الاسمية ، أي : الذي يُعَمَّرُ مُعَمَّرٌ . ولو قلت : ((مَا يُعَمَّرُ مُعَمَّرٌ)) تعيّن (مَا) هنا نافية لا غير ، وصارت الدلالة قطعية ، و(مِنْ) زائدة للتوكيد ، والتقدير : و لا يُعَمَّرُ مُعَمَّرٌ .

ونحو قوله ﷺ : ﴿ وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ ﴾^٢ ، فإنّ (إِنْ) تحتل الشرطية ، بمعنى ولو كان مكرهم معداً لإزالة الجبال ، وتحتل أن تكون نافية ، بمعنى : وما كان مكرهم لتزول منه الجبال .

ومن الاشتراك اللفظي كلمة (الْمُطَهَّرُونَ) ولذا اختلف الأئمة مالك وأبوحنيفة^٣ والشافعي في مسألة اشتراط الطهارة في (مسّ المصحف) من أنّ الطهارة شرط في مسّ المصحف ، وذهبت الظاهرية إلى أنّها ليست بشرط في ذلك . والسبب في اختلافهم في تحديد مفهوم (الْمُطَهَّرُونَ) وتحديد النوع النحوي للجملة المنفية في قوله تعالى : ﴿ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴾^٤ ، فالمالكية والشافعية والحنفية تفهم أنّ المقصود بلفظ (الْمُطَهَّرُونَ) بنو آدم ، وأنّ الجملة الخبرية المنفية تفيد النهي ، فكان معنى الآية : لا يجوز أن يمسّ المصحف إلا آدمي طاهر . أمّا الظاهرية فتفهم من لفظ (الْمُطَهَّرُونَ) الملائكة ، ومن الجملة الإخبار المنفية ، فرأت أنّه ليس في الآية دليل على اشتراط هذه الطهارة في مسّ

^١ البقرة / ١٠٢ .

^٢ سورة إبراهيم / ٤٦ .

^٣ النعمان بن المنذر بن ثابت ، الفقيه الكبير ، إمام المذهب الحنفي ، روى عن الأعمش ، وعاصم ، وروى عنه الحسن بن زياد ، توفي - رحمه الله - في سنة خمسين ومائة هجرية . ينظر : غاية النهاية في طبقات القراء ٢

/ ٣٤٢ .

^٤ سورة الواقعة / ٧٩ .

المصحف ، فبقي الأمر على الإباحة . وقد احتج جمهور الفقهاء لمذهبهم في اشتراط الطهارة بأدلة أخرى من الآثار المنقولة .

• وهناك أمثلة عديدة في المشترك اللفظي ، نكتفي بما ورد^١ .

الثاني - الاشتراك في دلالة الصيغة :

فقد تشترك دلالة الصيغة ، أو البناء في أكثر من معنى ، بحيث يكون للصيغة الواحدة أكثر من معنى ، نحو: صيغة (فَعُول) قد تشترك في مبالغة اسم الفاعل ، نحو: أكول ، وغفور ، وصبور ، وشكور ، واسم المفعول ، نحو: رسول • وصيغة (فُعُول) قد تشترك في المصدر والجمع ، نحو: سجود ، وجلوس ، وقعود ، ونهوض •

و نحو: صيغة (فَعِيل) قد تشترك في المصدر، نحو: شهيق ، وزفير ، والصفة المشبهة ، نحو: رحيم ، وكريم ، ونبييل ، واسم المفعول ، نحو: قتيل ، وجريح، وطريد ، والمبالغة ، نحو: سميع ، وشفيع^٢ •

وقد ترد صيغة في عبارة تحتل أكثر من معنى فتكون دلالة الجملة غير محددة ، بل تحتل أكثر من معنى ، وذلك نحو : قوله ﷺ : ﴿ بِأَيْكُمُ الْمُفْتُونُ ﴾^٣ ، فكلمة (الْمُفْتُونُ) تحتل المصدرية بمعنى الفتنة ، وتحتل اسم المفعول بمعنى المفتون ، ولذا اختلفوا في تفسير هذه الآية ، فقال بعضهم بأَيْكُمُ الفتنة ، أي الجنون ، وقال آخرون أَيْكُمُ المفتون ، أي المجنون والباء زائدة •

قال أبو حيان في تفسير هذه الآية : ((فيكون قوله : ﴿ بِأَيْكُمُ الْمُفْتُونُ ﴾ استفهاماً يراد به الترداد بين أمرين ، ومعلوم نفي الحكم عن أحدهما ، ويعينه الوجود ، وهو المؤمن ، ليس بمفتون ولا به فتون . وإذا كَانَ متعلقاً بما قبله ، وهو قول الجمهور ، فقال قتادة ،

^١ يُنظَر : الجملة العربية و المعنى / ١٣ - ١٤ •

^٢ يُنظَر : شذا العرف في فنّ الصرف ، أحمد الحملاوي ، ط٢ . دار القلم ، و الجملة العربية و المعنى / ١٣ -

١٤ •

^٣ سورة القلم / ٦ •

وأبو عبيدة^١ معمر : الباء زائدة ، والمعنى : أيكم المفتون ؟ وزيدت الباء في المبتدأ ، كما زيدت فيه في قوله : ((بِحَسْبِكَ دِرْهَمٌ)) ، أي حسبك . وقال الحسن والضحاك والأخفش : الباء ليست بزائدة ، والمفتون بمعنى الفتنة ، أي : بأيكم هي الفتنة والفساد الذي سمّوه جنوناً ؟ وقال الأخفش أيضاً : بأيكم فتن المفتون ، حذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه . ففي قوله الأول جعل المفتون مصدرًا ، وهنا أبقاه اسم مفعول وتأوله على حذف مضاف . وقال مجاهد والفراء : الباء بمعنى في ، أي : في أي فريق منكم النوع المفتون ؟ انتهى . فالباء ظرفية ، نحو : ((زيدٌ بالبصرة)) ، أي في البصرة ، فيظهر من هذا القول أنّ الباء في القول قبله ليست ظرفية ، بل هي سببية . وقال الزمخشري : المفتون : المجنون لأنّه فتن ، أي محن بالجنون ، أو لأنّ العرب يزعمون أنّه من تخييل الجن ، وهم الفئان للفئانك منهم^٢ .

((ونحو : قوله ﷺ : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأبيهِ وَقَوْمِهِ أَنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴾^٣ ، فكلمة (بَرَاءٌ) تحتل المصدر على المبالغة ، فيكون من الإخبار بالمصدر عن الذات كقوله ﷺ : ﴿ أَنَّهُ عَمَلٌ غَيْرٌ صَالِحٍ ﴾^٤ ، وتحتل أنّها صفة مشبهة على وزن (فَعَال) كجواد ، وصنّاع^٥ .

الثالث - عدم تبين أصل الكلمة أو وزنها :

بمعنى أنّ الكلمة تحتل معنيين ، ويترتب المعنيان على أساس أصلها ، ووزنها

^١ معمر ابن المنثى التيمي بالولاء البصري أبو عبيدة النحوي من أئمة الأدب واللغة من مصنفاته مجاز القرآن . توفي - رحمه الله - سنة تسع ومائتين هجرية . يُنظر : تاريخ بغداد ١٣ / ٢٥٢ ، والأعلام ٧ / ٢٧٢ .

^٢ البحر المحيط ٨ / ٣٠٣ . ويُنظر : جامع البيان في تفسير القرآن ٢٩ / ١٩ ، والجامع لأحكام القرآن ١٨ / ٢٢٩ ، و إملاء ما من به الرحمن / ٥٦٢ .

^٣ سورة الزخرف / ٢٦ .

^٤ سورة هود / ٤٦ .

^٥ الجملة العربية و المعنى / ١٤ ، ويُنظر : جامع لأحكام القرآن ١٦ / ٧٦ ، والكشاف ٣ / ٤٨٤ ، والبحر المحيط ٨ / ١٣ .

نحو : كلمة (أَكَيْلٌ) أهي (فَعِيلٌ) مِن (أَكَلَ) اسم مفعول (مَأْكُولٌ) من الأكل ،
أم من (كَالٌ) فعل مضارع من الكيل - الوزن - ، كما في قوله ﷺ : ﴿ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ
وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴾^١ .

ونحو: كلمة (أَبَانَ) أهي من (فَعَالَ) كسحاب مِن (أَبَنَ) ، تقول : ((أَبَنَ الدَّمَ
في الجُرْحِ)) : اسْوَدَّ^٢. أم من (أَفْعَلَ) من (بَانَ) تقول : ((أَبَانَ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ)) :
فصلها^٣ . ((وَيَقَالُ : ((أَبَانَ فُلَانٌ بِنْتَهُ ، وَبَيْنَهَا)) إِذَا زَوَّجَهَا))^٣ ، أو اسم علم لشخص
أَبَانَ بن عُمَانَ)^٤ وغير ذلك مما لم يتبين أصله ، ووزنه ، فدلالة الجملة فيه احتمالية ،
أمّا ما تبين أصله ، أو وزنه فدلالته قطعية^٥ .

الرابع - المجيء بصيغة تؤدي إلى اختلاف محتمل في الإعراب و الدلالة :

نحو قوله ﷺ : ﴿ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً أَنَّهُ لَا يَحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾^٥ ، ف﴿ تَضَرُّعًا
وَخُفْيَةً ﴾ يحتمل أن يكونا مصدران في موضع الحال ، أي ذوي تضرّع وخفية ، أو أنّ
تصاب المفعول لأجله أي أدعوه للتضرّع والخفية ، فالدلالة احتمالية^٦ . ولكن لو قلت :
أدعوا ربكم متضرّعين ومتخفّين لتعيّنت الحالية^٧ . وكانت الدلالة قطعية^٨ .

ونحو قوله ﷺ : ﴿ وَلَا تَفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَةَ
اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾^٩ ، فخوفا وطمعا يحتمل أنهما مصدران في موضع الحال ، أي :
ادعوا ربكم خائفين وطماعين ، أو انتصاب المفعول لأجله ، أي : أدعوه لأجل الخوف ،

^١ سورة المطففين / ٣ .

^٢ يُنْظَرُ : القاموس المحيط .

^٣ النهاية في غريب الحديث و الآثار ، للإمام مجد الدين أبي السّعادات المبارك بن محمّد بن الأثير الجزري -
خرّج أحاديثه ، وعلّق عليه أبو عبد الرحمن صلاح بن محمّد بن عويضة - منشورات محمّد علي بيضون - دار
الكتب العلميّة - بيروت لبنان - الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م / ١ / ١٧٢ .

^٤ الجملة العربية و المعنى / ١٦ .

^٥ سورة الأعراف / ٥٥ .

^٦ يُنْظَرُ : إملاء ما من به الرحمن / ٢٨٣ ، والكشاف / ٢ / ٤٥٠ ، والبحر المحيط / ٤ / ٣١٢ - ٣١٣ .

^٧ سورة الأعراف / ٥٦ .

والطَّمْع^١ ، فالدلالة احتمالية . فأما لو قال : (أدعوا ربكم خائفين طامعين) لتعينت الحالية ، ولكانت الدلالة قطعية .

ونحو قوله ﷺ : ﴿ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴾^٢ ، الواو عاطفة ، و ﴿ رَأَيْتَ النَّاسَ ﴾ جملة فعلية من الفعل المضارع ﴿ رَأَيْتَ ﴾ ، والفاعل الضمير المستتر ، والمفعول به ﴿ النَّاسَ ﴾ ، فالرؤية هنا يجوز أن تكون بصريّة ، فتكون جملة ﴿ يَدْخُلُونَ ﴾ في محلّ نصب على الحالية من ﴿ النَّاسَ ﴾ ، ويجوز أن تكون علمية بمعنى (عَلِمْتُ) المتعدية لمفعولين ، فتكون جملة ﴿ يَدْخُلُونَ ﴾ في محلّ نصب مفعولاً به ثانياً لـ ﴿ رَأَيْتَ ﴾ ، و ﴿ فِي دِينِ اللَّهِ ﴾ متعلقان بـ ﴿ يَدْخُلُونَ ﴾ ، و ﴿ أَفْوَاجًا ﴾ حالاً من الواو في ﴿ يَدْخُلُونَ ﴾^٣ .

قال الزّمخشري - رحمه الله - : ((وَقُرِيءَ : « يَدْخُلُونَ » على البناء للمفعول . فإن قلت : ما محلّ يدخلون ؟ قلت : النَّصْبُ إمّا على الحال ، على أن رأيت بمعنى أبصرت أو عرفت . أو هو مفعول ثانٍ على أنه بمعنى علمت))^٤ .

وأيضاً في الجمل التي بها عدد ، نحو : ((أَقْبَلَ تِسْعَةَ عَشَرَ رَجُلًا)) رجلاً يحتمل أن يكون حالاً ، بمعنى أنهم أقبلوا يمشون على أرجلهم ، ويحتمل أن يكون تمييزاً ، بمعنى أنهم تسع عشرة جماعة ، كلّ جماعة هي رجال ، فالدلالة احتمالية . فأما لو قال : ((أَقْبَلَ تِسْعَةَ عَشَرَ رَجُلًا)) لتعين التمييز ، ولكانت الدلالة قطعية ، كقوله ﷺ : ﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴾^٥ ، فـ ﴿ كَوْكَبًا ﴾ تمييز لا حال .

ونحو : ((خَمْسُونَ رَكبانًا)) ، أو ((خَمْسُونَ رَاكِبًا)) ، فالجمع في مثل هذه الحالة ذو دلالة احتمالية ، والمفرد ذو دلالة قطعية^٦ .

^١ يُنظَر : إملاء ما من به الرحمن / ٢٨٣ ، الكشاف / ٢ / ٤٥٠ ، والبحر المحيط / ٤ / ٣١٣ - ٣١٤ .

^٢ سورة النصر / ٢ .

^٣ يُنظَر : إملاء ما من به الرحمن / ٥٩٢ ، والبحر المحيط / ١٠ / ٥٦٢ ،

^٤ الكشاف / ٤ / ٢٩٣ .

^٥ سورة يوسف / ٤ .

^٦ الجملة العربية و المعنى / ١٦ .

الخامس - ذكر ألفاظ تؤدي إلى احتمال المعنى :

هناك بعض الألفاظ إذا ذكرت أدت إلى الاحتمال في المعنى ، سواء أكانت قيوداً أم غيرها ، وإذا لم تذكر كانت الدلالة قطعية ، نحو: قوله ﷺ : ﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَّذْكُوراً ﴾^١ ، فيحتمل أنه كان شيئاً ، ولم يكن مذكوراً ، وذلك من حين خلقه الله من طين إلى أن نفخ فيه الروح ، ويحتمل أنه لم يكن شيئاً أصلاً ؛ مذكوراً ، أو غير مذكور ، فالدلالة في نحو هذا ذو دلالة احتمالية . ولو قلت - في غير القرآن - : ((هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً)) ولم تذكر (مذكوراً) لكانت الدلالة قطعية^٢ .

ومنه نحو قولك : ((مَا رَأَيْتَ الْقَائِدَ ضَاحِكاً)) فالدلالة هنا احتمالية ، فيحتمل أنك لم تر القائد ضاحكاً ، ولكنك قد رأيته ، ويحتمل أنك لم تر القائد أصلاً ضاحكاً ، أو غير ضاحك ، كقوله ﷺ : ﴿ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِحْفَافاً ﴾^٣ ، أي لا يسألونه إحفاً ، ولا غير إحفاً . ولكن لو قلت : ((مَا رَأَيْتَ الْقَائِدَ)) ، فالدلالة هنا قطعية .

قال أبو حيان - رحمه الله - عند تفسير قوله ﷺ : ﴿ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِحْفَافاً ﴾ : ((إذا نفي حكم عن محكوم عليه بقيد ، فالأكثر في لسان العرب أنَّ صرف النفي لذلك القيد ، فيكون المعنى على هذا ثبوت سؤالهم ، ونفي الإلحاح أي : وإن وقع منهم سؤال ، فإنما يكون بتلطف وتسئر لا بإلحاح ، ويجوز أنَّ ينفي ذلك الحكم فينتفي ذلك القيد ، فيكون على هذا نفي السؤال ونفي الإلحاح ، فلا يكون النفي على هذا منصباً على القيد فقط . قال ابن عباس : ((لا يسألون إحفاً ، ولا غير إحفاً)) ، ونظير هذا : ما تأتينا فتحدثنا . فعلى الوجه الأول : ما تأتينا محدثاً ، إنما تأتي ولا تحدث ، وعلى الوجه الثاني : ما يكون منك إتياناً ، فلا يكون حديث ، وكذلك هذا : لا يقع منهم سؤال البتة ، فلا يقع إلحاح . ونبه على نفي الإلحاح دون غير الإلحاح ؛ لقبح هذا الوصف ، ولا يراد به نفي هذا الوصف وحده ، ووجود غيره ؛ لأنه كان يصير المعنى الأول ، وإنما يراد بنفي مثل هذا الوصف نفي المترتبات على المنفي الأول ؛ لأنه نفي الأول على سبيل العموم ،

^١ سورة الإنسان / ١ .^٢ يُنظَر : جامع البيان في تفسير القرآن ١/٢٩/١٩٣ ، الجامع لأحكام القرآن ١/١٩/١١٨ ، البحر المحيط ٨ /

٣٨٥ - ٣٨٦ ، روح المعاني ١٥ / ١٦٦ - ١٦٧ .

^٣ سورة البقرة / ٢٧٣ .

فتنفي مترتباته ، كما أتت إذا نفيت الإتيان ، فانتنى الحديث ، انتفت جميع مترتبات الإتيان من : المجالسة ، والمشاهدة ، والكينونة في محل واحد ، ولكنه نبه بذكر مترتب واحد لغرض ما عن سائر المترتبات))^١ .

ومنه قوله ﷺ : ﴿ كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴾^٢ ، فالدلالة هنا احتمالية ، فيحتمل أن الأرض دُكَّت دَكًّا بعد دك ، قال الزمخشري : ((دَكًّا دَكًّا ﴾ دَكًّا بعد دك . كقوله : ((حَسْبُهُ بَابًا بَابًا)) ، أي : كرر عليها الدك حتى عادت هباءً منبثًا))^٣ .

ووافقه الفخر الرازي فقال : ((فالتكرار في قوله : ﴿ دَكًّا دَكًّا ﴾ معناه دكاً بعد دك ، كقولك : ((حَسْبُهُ بَابًا بَابًا)) ، و ((عَلَّمْتُهُ حَرْفًا حَرْفًا)) ، أي : كرر عليها الدك حتى صارت هباءً منثوراً))^٤ ، ويحتمل أن الأرض دُكَّت دَكَّةً واحدةً ، فتكون الثانية توكيداً للأولى ، ولكن لو قلت - في غير القرآن - : ((كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا)) ، لكانت الدلالة قطعيةً ، بأن الأرض دُكَّت دَكَّةً واحدةً .

ومنه أيضاً قوله ﷺ : ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾^٥ ، فالدلالة هنا احتمالية ، فالمعنى يحتمل أن الملائكة تصطف صفاً بعد صف . قال الزمخشري : ﴿ صَفًّا صَفًّا ﴾ ينزل ملائكة كل سماء فيصطفون صفاً بعد صف محققين بالجن والإنس ، ويحتمل أن الملائكة اصطفت صفاً واحداً ، والثانية للتوكيد . ولكن لو قلت - في غير القرآن - : (وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا) لتعينت الدلالة القطعية^٦ .

أما قوله : ﷺ : ﴿ يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى لَهُ الرِّحْمَانُ وَقَالَ صَوَابًا ﴾^٧ ، فالدلالة هنا قطعية ، ولو قلت - في غير القرآن - : (يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا) لكانت الدلالة احتمالية .

^١ البحر المحيط ٢ / ٣٤٣ .

^٢ سورة الفجر / ٢١ .

^٣ الكشاف ٦ / ٣٧٣ ، يُنظَر : البحر المحيط ٨ / ٤٦٦ .

^٤ مفاتيح الغيب ٣١ / ١٥٨ .

^٥ سورة الفجر / ٢٢ .

^٦ يُنظَر : الكشاف ٦ / ٣٧٣ ، يُنظَر : البحر المحيط ٨ / ٤٦٦ ، و مفاتيح الغيب ٣١ / ١٥٨ .

^٧ سورة النبأ / ٣٨ .

السادس - الحذف المؤدي إلى احتمال دلالي و إعرابي :

نحو قوله ﷺ : ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ فالدلالة هنا احتمالية في متعلق ﴿ بِسْمِ اللَّهِ ﴾ ، فإمّا أن يكون التقدير : ((بِسْمِ اللَّهِ أَقْرَأُ ، أو أَتْلُو)) ، أو ((أَقْرَأُ ، أو أَتْلُو بِسْمِ اللَّهِ)) ، أو أن يكون التقدير : ((قراءتي ، أو تلاوتي بِسْمِ اللَّهِ)) ، أو ((بِسْمِ اللَّهِ قراءتي ، أو تلاوتي)) فإمّا أن تكون الجملة اسمية ، أو فعلية ، ولكل جملة دلالتها .

قال الرّمخسري - رحمه الله - : ((فإن قلت : بم تعلقت الباء ؟ قلت : بمحذوف تقديره : ((بِسْمِ اللَّهِ أَقْرَأُ ، أو أَتْلُو ؛ لأنّ الذي يتلو التسمية مقروء ، كما أنّ المسافر إذا حلّ أو ارتحل ، فقال : بِسْمِ اللَّهِ والبركات)) ، كان المعنى : بِسْمِ اللَّهِ أحلّ ، وبسْمِ اللَّهِ ارتحل ؛ وكذلك الذابح ، وكلّ فاعل يبدأ في فعله بـ ((بِسْمِ اللَّهِ)) كأنّ مضمراً ما جعل التسمية مبدأ له . ونظيره في حذف متعلق الجارّ قوله - عزّ وجلّ - : ﴿ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ ﴾^١ ، أي : اذهب في تسع آيات . وكذلك قول العرب في الدعاء للمعرّس : ((بالرفاءِ والبنينِ)) . وقول الإعرابي : ((باليمنِ والبركةِ)) ، بمعنى أعرّست ، أو نكحت ؛ ومنه قوله :

فَقُلْتُ : إِلَى الطَّعَامِ فَقَالَ مِنْهُمْ قَرِيقٌ : نَحْسُدُ الْإِنْسَ الطَّعَامًا^٢

فإنّ قلت : لم قدرت المحذوف متأخراً ؟ قلت : لأنّ الأهم من الفعل ، والمتعلق به هو المتعلق به ؛ لأنّهم كانوا يبدوون بأسماء آهتهم ، فيقولون : ((باسم اللات)) ، ((باسم العزى)) ، فوجب أن يقصد الموحد معنى اختصاص اسم الله - عزّ وجلّ - بالابتداء ، وذلك بتقديمه ، وتأخير الفعل كما فعل في قوله : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ ، حيث صرح بتقديم الاسم لإرادة للاختصاص^٣ .

وقال الشوكاني - رحمه الله - : ((ومتعلق الباء محذوف ، وهو : أَقْرَأُ ، أو أَتْلُو ؛ لأنّه المناسب لما جعلت البسملة مبدأ له ، فمن قدره متقدماً كان غرضه الدلالة بتقديمه على الاهتمام بشأن الفعل ، ومن قدره متأخراً كان غرضه الدلالة بتأخيره على الاختصاص

^١ سورة النمل / ١٢ .

^٢ البيت من بحر الوافر ، وهو لشمر بن الحارث الضبّي في لسان العرب (حسد) ، وتاج العروس ٨ / ٢٥ ، والحيوان ٦ / ١٩٧ ، ولسهم بن الحارث في الحيوان ٤ / ٤٨٢ ، ولتأبط شراً في ديوانه / ٢٥٧ ، وبلا نسبة في لسان العرب (أنس) .

^٣ الكشاف ١ / ١٠٠ - ١٠٢ .

مع ما يحصل في ضمن ذلك من العناية بشأن الاسم والإشارة إلى أن البداية به أهم ؛ لكون التبرك حصل به ، وبهذا يظهر رجحان تقدير الفعل متأخراً في مثل هذا المقام ، ولا يعارضه قوله تعالى : ﴿ أَقْرَأَ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾^١ ؛ لأن ذلك المقام مقام القراءة ، فكأن الأمر بها أهم ، وأما الخلاف بين أئمة النحو في كون المقدر اسماً ، أو فعلاً ، فلا يتعلق بذلك كثير فائدة^٢ .

ونحو قوله ﷺ : ﴿ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ ﴾^٣ ، فالدلالة هنا احتمالية ، قال ابن جنّي - رحمه الله - : ((إن شئت كان على : طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ أمثل من غيرهما ، وإن شئت كان على : أَمْرُنَا طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ))^٤ ، وقال الزمخشري - رحمه الله - في تفسيره هذه الآية : ((﴿ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ ﴾^٥ كلام مستأنف ، أي : طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ خيرٌ لَهُمْ . وقيل : هي حكاية قولهم ، أي قالوا : وقولٌ معروفٌ ، بمعنى : أمرنا طاعة وقول معروف . وتشهد له قراءة أبي^٦ : « يَقُولُونَ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ »^٧ ولو قال : ((طاعةٌ وقولٌ معروفٌ خيرٌ لهم)) لتعينت الدلالة قطعية .

ومنه قوله ﷺ : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجُّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى ﴾^٨ ، فالدلالة هنا احتمالية ، فيحتمل المعنى : ولكن البرُّ برٌّ من اتقى ، ويحتمل : ولكن ذا البرِّ من اتقى . ولو قال : ((وَلَكِنَّ الْبِرَّ بِرٌّ مَنِ اتَّقَى)) ، أو ((وَلَكِنَّ ذَا الْبِرِّ مَنِ اتَّقَى)) لصارت الدلالة قطعية .

^١ سورة العلق / ١ .

^٢ فتح القدير ١ / ١٧٠ .

^٣ سورة محمد / ٢١٠ .

^٤ الخصائص ٢ / ٣٦٢ .

^٥ سورة محمد / ٢١٠ .

^٦ أبي بن كعب بن قيس من بني النجار الأنصاري الخزرجي ، يكنى : بأبي المنذر ، وأبي الطفيل ، من السابقين للإسلام ، من الأنصار شهد العقبة ، ويدرأ ، ومابعدھا ، وهو أحد المشهورين بحفظ القرآن من الصحابة - رضي الله عنهم - وإقرائه ، سيّد القراء ، وأحد كتاب الوحي ، وكان حبراً من أحبار اليهود . توفي - رضي الله عنه - سنة ثلاثين من الهجرة . يُنظر : السیر ١ / ٣٨٩ ، و طبقات ابن سعد ٣ / ٢ / ٥٩ ، و حلية الأولياء ١ / ٢٥٠ ، و أسد الغابة ١ / ٦١ .

^٧ الكشاف ٣ / ٥٣٥ .

^٨ سورة البقرة / ١٨٩ .

قال ابن جني - رحمه الله - : ((وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى ﴾ أي : برُّ من اتقى ، وإن شئت كان تقديره : ولكنَّ ذَا الْبِرِّ مَنْ اتَّقَى . والأوَّل أجود ؛ لأنَّ حذف المضاف ضرب من الاتِّساع والخبر أولى بذلك من المبتدأ ؛ لأنَّ الاتِّساع بالأعجاز أولى منه بالصُّدور))^١ .

ومنه قوله ﷺ : ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فِرَادَى كَمَا خَلَقْتُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءَ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾^٢ ، فقوله ﷺ : ﴿ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ ﴾ فيمن قرأه بالنَّصب ، فدلالته احتمالية ، فيحتمل أن يكون الفاعل مضمراً ، أي : لقد تقطَّع الأمر والعقد أو الودُّ ، ونحو ذلك بينكم ، ويحتمل أن يكون : من أن يكون بينكم ، قال ابن جني - رحمه الله - : ((قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ ﴾ فيمن قرأه بالنَّصب ، فيحتمل أمرين ، أحدهما : أن يكون الفاعل مضمراً ، أي لقد تقطَّع الأمر ، والعقد ، أو الودُّ ، ونحو ذلك بينكم ، والآخر : أن يكون - ما كان يراه أبو الحسن^٣ - من أن يكون بينكم ، وإن كان منصوب اللفظ مرفوع الموضع بفعله ، غير أنَّه أقرَّ نصبه الظرف ، وإن كان مرفوع الموضع لاطراد استعمالهم إياه ظرفاً ، إلا أنَّ استعمال الجملة التي هي صفة للمبتدأ مكانه أسهل من استعمالها فاعلة ؛ لأنَّه ليس يلزم أن يكون المبتدأ اسماً محضاً كلزوم ذلك في الفاعل))^٤ .

وقال الزمخشري - رحمه الله - : ((﴿ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ ﴾ وقع التقطُّع بينكم ، كما نقول : جمع بين الشَّيئين ، تريد أوقع الجمع بينهما على إسناد الفعل إلى مصدره بهذا التأويل ، ومن رفع فقد أسند الفعل إلى الظرف ، كما نقول : قوتل خلفكم وأمامكم ، وفي قراءة عبد الله : ﴿ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ ﴾^٥ .

^١ الخصائص ٢ / ٣٦٢ ، ويُظنر : مدارك التنزيل ١ / ١ / ١٥٦ .

^٢ سورة الأنعام / ٩٤ .

^٣ حازم بن محمَّد بن حسن بن محمَّد بن خلف بن حازم الأنصاري القرطبي النَّحوي ، أبو الحسن هنيء الدِّين شيخ البلاغة والأدب ، قال أبو جيان صاحب التفسير : هو أوجد زمانه في النُّظم والنَّثر والنَّحو واللُّغة والعروض وعلم البيان ، توفي - رحمه الله - السَّبت الرَّابِع عشر من رمضان سنة أربع وثمانين وستمائة . يُظنر : بغية الوعاة ١ / ٤٩١ .

^٤ الخصائص ٢ / ٣٧٠ .

^٥ الكشَّاف ٢ / ٣٧٤ .

ومنه قوله ﷻ: ﴿فَلْيُضْحَكُوا قَلِيلاً وَلْيَبْكُوا كَثِيراً جِزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾^١ ، فالدلالة هنا احتمالية ، فيحتمل معناه : فليضحكوا ضحكاً قليلاً ، وليبكوا بكاءً كثيراً ، فيكون قوله : (قَلِيلاً) ، و (كَثِيراً) من المفعول المطلق ، ويحتمل معناها فليضحكوا زمناً قليلاً ، وليبكوا زمناً كثيراً ، فيكون قوله : (قَلِيلاً) ، و (كَثِيراً) من الظُروف .
ولو قال : ((فَلْيُضْحَكُوا قَلِيلاً مِنَ الْوَقْتِ)) ، أو ((فَلْيُضْحَكُوا ضَحْكَاً قَلِيلاً)) لصارت الدلالة قطعياً .

ولأبي حيان - رحمه الله - كلام جيد عند تفسيره هذه الآية : ((والأمر بالضحك والبكاء في معنى الخبر ، والمعنى : فسيضحكون قليلاً ويبكون كثيراً ، إلا أنه أُخرج على صيغة الأمر للدلالة على أنه حتم لا يكون غيره . . . والظاهر أن قوله : يضحكوا قليلاً إشارة إلى مدة العمر في الدنيا ، وليبكوا كثيراً إشارة إلى تأبيد الخلود ، فجاء بلفظ الأمر ومعناه الخبر عن حالهم . قال ابن عطية : ويحتمل أن تكون صفة حالهم ، أي : هم لما هم عليه من الحظر مع الله وسوء الحال ، بحيث ينبغي أن يكون ضحكهم قليلاً وبكاؤهم كثيراً . . . وانتصب قليلاً وكثيراً على المصدر ؛ لأنهما نعت للمصدر ، أي : ضحكاً قليلاً ، وبكاءً كثيراً . وهذا من المواضع التي يحذف فيها المنعوت ، ويقوم نعته مقامه ، وذلك لدلالة الفعل عليه .

وقال أبو البقاء : ويجوز أن يكونا نعتاً لظرف محذوف أي : زماناً قليلاً ، وزماناً كثيراً^٢ انتهى . والأول أجود ؛ لأنَّ دلالة الفعل على المصدر بحروفه ، ودلالته على الزمان بهيئته ، فدلالته على المصدر أقوى . وانتصب جزاء على أنه مفعول لأجله ، وهو متعلق بقوله : ﴿وَلْيَبْكُوا كَثِيراً﴾^٣ .

السابع - الاشتراك في الإعراب المؤدِّي إلى اشتراك في الدلالة :

نحو قوله ﷻ: ﴿فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنْكِيلًا﴾^٤ ، فقوله : ﴿لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ﴾ جملة

^١ سورة التوبة / ٨٢ .

^٢ يُنظَر : إملاء ما منَّ به الرَّحْمَنُ / ٣١٥ .

^٣ البحر ٥ / ٨١ - ٨٢ ، ويُنظَر : الجملة العربية و المعنى / ١٧ .

^٤ سورة النساء / ٨٤ .

ذات دلالة احتمالية ، فالجملة تحتل الحالية ، والاستئناف ، ((وحمله الزمخشري على تقدير شرط ، قال : أي أن أفردوك وتركوك وحدك لا تكلف إلا نفسك وحدها أن تقدمها للجهد ، فإن الله هو ناصرك لا الجنود ، فإن شاء نصرك وحدك ، كما ينصرك وحولك الألوفا انتهى . وسبقه إليه الزجاج قال : أمره بالجهد وإن قاتل وحده ؛ لأنه ضمن له النصرة ٠٠٠ وقرأ الجمهور : لا تكلف خبراً مبنياً للمفعول ، قالوا : والجملة في موضع الحال ، ويجوز أن يكون إخباراً من الله لنبيه ، لا حالاً شرع له فيها أنه لا يكلف أمر غيره من المؤمنين ، إنما يكلف أمر نفسه فقط . وقرئ : لا تكلف بالنون وكسر اللام ، ويحتمل وجهي الإعراب : الحال والاستئناف . وقرأ عبد الله بن عمر : لا تكلف بالتاء وفتح اللام ، والجزم على جواب الأمر))^١ .

ومنه قوله ﷻ : ﴿ وَيَقَوْمٌ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذُرُّوْهَا فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴾^٢ ، وقوله : ﴿ وَاللّٰى تَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَقَوْمِ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهِ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذُرُّوْهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾^٣ ، فدلالة جملة (تأكل) دلالة احتمالية ، بحيث تحتل الحال فيكون المعنى فذروها آكلة في أرض الله ، وتحتل الاستئناف فيكون معناها فذروها أنها تأكل في أرض الله ، وتحتل أن تكون جواب الأمر ، قال أبو حيان - رحمه الله - : ((﴿ تَأْكُلْ ﴾ جزم على جواب الأمر ، وقرأ أبو جعفر^٤ في رواية ﴿ تَأْكُلْ ﴾ بالرفع وموضعه))^٥ ، و قال أبو إسحاق الزجاج : ويجوز رفع تأكل على الحال والاستئناف))^٦ ، وعلق عليه

^١ البحر المحيط ٣ / ٣٢١ .

^٢ سورة هود / ٦٤ .

^٣ الأعراف / ٧٣ .

^٤ أحمد بن إبراهيم بن الزبير النقي العاصمي الجباني المولد ، الغرناطي المنشأ ، الأستاذ أبو جعفر ، محدثاً جليلاً ناقداً ، نحويّاً ، أصولياً ، مقرأً ، مفسراً ، مؤرخاً ، ولقد أكثر أبو حيان - رحمه الله - النقل عنه في البحر ، توفي - رحمه الله - سنة ثمان وسبعمئة من الهجرة . يُنظر : بغية الوعاة ١ / ٣٩١ - ٣٩٢ ، والشذرات ٦ / ١٦ ، وغاية النهاية ١ / ٣٢ ، والبدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ، لمحمد بن علي الشوكاني - القاهرة ١٣٤٨ هـ ١ / ٣٣ ، تذكرة الحفاظ ١ / ٨٩ ، الدرر الكامنة ١ / ٨٩ .

^٥ البحر المحيط ٤ / ٣٣١ .

^٦ الجامع لأحكام القرآن ١ / ٩ / ٥٨ .

الشَّوْكَانِيَّ بعد أن ذكر قول أبي إسحاق فقال : ((ولعله يعني في الأصل على ما تقتضيه لغة العرب لا في الآية ، فالمعتمد القراءات المروية على وجه الصَّحَّة))^١ .

ومنه قوله ﷺ : ﴿ وَعَنْتِ أُلُوجُهُ لِحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴾^٢ ، فجملة : ﴿ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴾ دلالتها هنا دلالة احتمالية ، فهي تحتل الحال والاستئناف ، والاعتراض .

قال أبو السَّعود : ((قوله تعالى : ﴿ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴾ . . . وهو استئنافٌ لبيان ما لأجله عننت وجوههم ، أو اعتراضٌ ، كأنه قيل : خابوا وخسروا ، وقيل : حالٌ من الوجوه ، ومنَّ عبارةً عنها مغنيَّةٌ عن ضميرها ، وقيل : الوجوه على العموم ، فالمعنى حينئذ : وقد خاب من حمل ظلمًا))^٣ .

ومنه قولك : (ما أزوَّعه مُهندِساً) و (ما أجمَلُهُ مُعلِّماً) ، و (لله فِداهُ قانِداً) ، و (لله دَرُهُ فَارِيساً) فالمنصوبات في مثل هذه الجمل ذات دلالات احتمالية ، فهي تحتل الحالية والتمييز ، ولكن إذا ذكر ما يعين أحد الاحتمالات كانت الدلالة قطعيةً ، نحو : (ما أزوَّعه مِنْ مُهندِسٍ) و (ما أجمَلُهُ مِنْ مُعلِّمٍ) ، و (لله فِداهُ مِنْ قانِدي) ، و (لله دَرُهُ مِنْ فَارِيسٍ)^٤ .

الثَّامن - مواقع إعرابية ذات دلالة قطعية أو احتمالية :

نحو قولك : ((كلُّ شيءٍ اشترَيْتُهُ لَكَ)) برفع (كلُّ) فدلالة هذه الجملة احتمالية ، فهي تعني أنَّ كل شيءٍ اشتراه هو له ، فجملة (اشترَيْتُهُ) صفة لـ (شيء) ، والخبر (لك) ، فما اشتراه جعله له ، وما لم يشتره لم يجعله له ، ويحتمل أنه اشترى كل شيءٍ له فتكون جملة (اشترَيْتُهُ) خبراً عن (كل) .

وأما لو نصبت (كلَّ) ، فقلت : (كلُّ شيءٍ اشترَيْتُهُ لَكَ) لتعيَّن أنه اشترى كل شيءٍ له فتكون جملة (اشترَيْتُهُ) خبراً عن (كل) . كما قال تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَعَانَا لَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾^٥ ، بنصب (كلَّ) فالدلالة قطعية ، أي

^١ الشَّوْكَانِيَّ ٢ / ٥٠٧ .

^٢ سورة طه / ١١١ .

^٣ إرشاد العقل السليم ٣ / ٦ / ٤٠ ، يُنظَر : أن وار التنزيل ٤ / ٧١ .

^٤ يُنظَر : الجملة العربية والمعنى / ١٨ .

^٥ سورة يس / ١٢ .

أنه على معنى أحصى كل شيء ، وأما لو كان برفع (كل) لكانت الدلالة احتمالية ، لا تليق بالله ﷻ ، بحيث يكون المعنى : أن كل شيء أحصاه أثبته في إمام مبين ، أما الذي لم يحصه فليس كذلك - تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً - فتكون الأشياء على نوعين : نوع مُحصى ، ونوع غير مُحصى ، وهذا لا يليق بعظمة الله ﷻ .

ولهذا اختلف العلماء في معنى قوله ﷻ : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾^١ ، وقد ذكر هذا الخلاف أبو حيان فقال ، بعد أن ذكر قوله ﷻ : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ : ((قراءة الجمهور : ﴿ كُلُّ شَيْءٍ ﴾ بالنصب . وقرأ أبو السَّمال^٢ ، قال ابن عطية ، وقوم من أهل السنة : بالرفع . قال أبو الفتح : هو الوجه في العربية ، وقرأتنا بالنصب مع الجماعة . وقال قوم : إذا كان الفعل يتوهم فيه الوصف ، وأن ما بعده يصلح للخبر ، وكان المعنى على أن يكون الفعل هو الخبر ، اختير النصب في الاسم الأول حتى يتضح أن الفعل ليس بوصف ، ومنه هذا الموضع ، لأن في قراءة الرفع يتخيل أن الفعل وصف ، وأن الخبر يقدر . فقد تنازع أهل السنة والقدريّة الاستدلال بهذه الآية . فأهل السنة يقولون : كل شيء فهو مخلوق لله تعالى بقدره ، دليله قراءة النصب ، لأنه لا يفسر في مثل هذا التركيب إلا ما صح أن يكون خبراً لو وقع الأول على الابتداء . وقالت القدريّة : القراءة برفع ﴿ كُلُّ ﴾ ، و ﴿ خَلَقْنَاهُ ﴾ في موضع الصفة لـ ﴿ كُلُّ ﴾ ، أي : إن أمرنا ، أو شأننا كل شيء خلقناه ، فهو بقدر ، أو بمقدار ، على حد ما في هيئته وزمنه وغير ذلك .

وقال الزمخشري - رحمه الله - : ﴿ كُلُّ شَيْءٍ ﴾ منصوب بفعل مضمر يفسره الظاهر . وقرئ : ﴿ كُلُّ شَيْءٍ ﴾ بالرفع ، والقدر هو التقدير . وقرئ : بهما ، أي خلقنا كل شيء مقدراً محكماً مرتباً على حسب ما اقتضته الحكمة ، أو مقدراً مكتوباً في اللوح ، معلوماً قبل كونه قد علمنا حاله وزمانه))^٣ .

ومنه نحو : ((هُوَ قَائِدٌ جَيْشٍ)) بالإضافة ، فإن الدلالة هنا احتمالية ، فهو يحتمل الماضي ، والحال ، والاستقبال ، بخلاف لو قيل : ((هُوَ قَائِدٌ جَيْشاً)) ، فإن الدلالة هنا قطعية ، فهي تدل على الحال ، أو الاستقبال ، وذلك أن من شروط نصب اسم الفاعل للمفعول به الدلالة على الحال أو الاستقبال . قال ابن هشام - رحمه الله - : ((النوع

^١ سورة القمر ٤٩ .

^٢ أبو السَّمال قعنب ابن أبي قعنب العدوي البصري ، له اختيار شاذ رواه عنه أبو زيد ، ولم تذكر وفاته . ينظر : غاية النهاية في طبقات القراء ٢ / ٢٧ ، الشواذ / ٦ .

^٣ البحر المحيط ٨ / ١٨١ - ١٨٢ ، يُنظر : الكشف ٤ / ٤١ ، إرشاد العقل السليم ٤ / ٨ / ١٦٧ .

الثالث من الأسماء العاملة عمل الفعل اسم الفاعل ٠٠ فإن كان بـ "أل" ، عمل مطلقاً ماضياً كان ، أو حالاً ، أو مستقبلاً ٠ وإن كان مجرداً منها ، فإنما يعمل بشرطين: **أحدها** : أن يكون بمعنى الحال ، أو الاستقبال ، لا بمعنى الماضي ، وخالف في ذلك الكسائي ، وهشام ، وابن مضاء^١ ، فأجازوا إعماله إن كان بمعنى الماضي ، واستدلوا بقوله ﷺ : ﴿ وَكَلْبُهُمْ بَسِطٌ ذِرَاعِيهِ بِالْوَصِيدِ ﴾^٢ ، وأجيب بأن ذلك على إرادة حكاية الحال ، ألا ترى أن المضارع يصح وقوعه هنا ، تقول : ((وَكَلْبُهُمْ يَبْسُطُ ذِرَاعِيهِ)) ، ويدل على إرادة حكاية الحال أن الجملة حالية ، والواو واو الحال ، وقوله ﷺ : ﴿ وَنُقَلِّبُهُمْ ﴾ ولم يقل وقلبناهم ٠

الشَّرْطُ الثَّانِي : أن يعتمد على نفي ، أو استفهام ، أو مخبر عنه ((^٣ ٠

ومنه نحو : ((لَا أَحَدٌ خَيْرًا مِنْكَ)) ، و ((لَا رَجُلٌ أَفْضَلَ مِنْكَ)) برفع اسم (لا) ، فالدلالة هنا احتمالية ، فهذه الجملة تحتل نفي الجنس ، وتحتل نفي الوحدة ٠ ولو قلت : ((لَا أَحَدٌ خَيْرٌ مِنْكَ)) ، و ((لَا رَجُلٌ أَفْضَلُ مِنْكَ)) ببناء اسم (لا) على الفتح تعين نفي الجنس ، وصارت الدلالة قطعية ، ولذا يقول المستفتح - في دعاء الاستفتاح - ((لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)) بالفتح ، لنفي وجود جنس الآلهة عن غير الله ٠

قال ابن عقيل - رحمه الله - في توضيح ذلك : ((لا التي لنفي الجنس ، والمراد بها : لا التي قصد بها التتصيص على استغراق النفي للجنس كله ، وإنما قلت التتصيص احترازاً عن التي يقع الاسم بعدها مرفوعاً ، نحو : ((لَا رَجُلٌ قَائِمًا)) فإنها ليست نصاً في نفي الجنس ، إذ يحتل نفي الواحد ، ونفي الجنس ، فبتقدير إرادة نفي الجنس لا يجوز : ((لَا رَجُلٌ قَائِمًا)) ، بل ((رَجُلَانِ)) ، وبتقدير إرادة نفي الواحد يجوز : ((لَا رَجُلٌ قَائِمًا)) ، بل (

^١ هو أبو العباس أحمد بن عبدالرحمن بن محمد بن مضاء اللخمي الاندلسي القرطبي من أعلام المدرسة الأندلسية ، والمغربية في النحو ، أخذ عن ابن الرَّمَال كتاب سيبويه ، توفي - رحمه الله - سنة اثنتين وتسعين وخمسائة من الهجرة ٠ ينظر الديباج المذهب لابن فرحون / ٤٧ ، والتكملة لابن الأبار / رقم ٢٣٤ ، وبغية الملتصق ، للضبي / ١٩٢ ، وروضات الجنان / ٨٢ ، وبغية الوعاة / ١٣٩ ٠

^٢ سورة الكهف / ١٨ ٠

^٣ شرح قطر الندى ٠ ويُظنر : أوضح المسالك ٠

رجلان ٍ) ، وأما لا هذه فهي لنفي الجنس ليس إلا فلا يجوز: ((لا رجل قائم) بل رجلان
 .^١))

ومن ذلك قوله ﷺ : ﴿ ذَلِكُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾^٢ ، فقوله : ﴿ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ اختلف العلماء في ذلك نتيجة لاختلاف القراءات ، وقد ذكر الخلاف ، وعلق عليه أبو حيان - رحمه الله - فقال : ((و ﴿ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾^٣ ، وأن يكون في موضع نصب أي مبرأ من الريب ، وبناء ﴿ رَيْبَ ﴾ مع ﴿ لَا ﴾ يدلُّ على أنها العاملة عمل (إن) ، فهو في موضع نصب ، ولا وهو في موضع رفع بالابتداء ، فالمرفوع بعده على طريق الإسناد خبر لذلك المبتدأ ، فلم تعمل حالة البناء إلا النَّصْب في الاسم فقط ، هذا مذهب سيبويه . وأما الأخفش فذلك المرفوع خبر لـ ﴿ لَا ﴾ ، فعملت عنده النَّصْب والرَّفْع . وإذا عملت عمل (إن) أفادت الاستغراق فنفت هنا كلَّ ريب ، والفتح هو قراءة الجمهور . وقرأ أبو الشعثاء^٤ : ﴿ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ بالرَّفْع ، وكذا قراءة زيد بن علي^٥ حيث رفع ، والمراد أيضاً هنا الاستغراق ، لا من اللفظ بل من دلالة المعنى ؛ لأنه لا يريد نفي ريب واحد عنه ، وصار نظير من قرأ : ﴿ فَلَا رَفْتٌ وَلَا فُسُوقٌ ﴾^٥ بالبناء والرَّفْع ، لكن البناء يدلُّ بلفظه على قضية العموم ، والرَّفْع لا يدلُّ ؛ لأنه يحتمل العموم ، ويحتمل نفي الوحدة ، لكن سياق الكلام يبين أنَّ المراد العموم ، ورفع على أن يكون ريب مبتدأ وفيه الخبر ، وهذا ضعيف لعدم تكرار (لا) ، أو يكون عملها إعمال (ليس) ، فيكون فيه في موضع نصب على قول الجمهور من أنَّ (لا) إذا عملت عمل ليس رفعت الاسم ونصبت الخبر ، أو على مذهب من ينسب العمل لها في رفع الاسم خاصة ، وأما الخبر فمرفوع لأنها وما عملت فيه في موضع رفع بالابتداء كحالها إذا نصبت وبني الاسم معها ، وذلك في مذهب سيبويه^٦ .

^١ شرح ابن عقيل ، يُنظَر : اللع / ٤٤ ، والمفصل في صنعة الإعراب / ٥٣ ، ١٠٤ ، وشرح قطر الندى وبلّ الصدى / ١٦٦ .

^٢ سورة البقرة / ٢ .

^٣ أبو الشعثاء جابر بن زيد الأزدي ، أثنى عليه ابن عباس ، توفي - رحمه الله - في سنة ثلاث ومائة ، ينظر : صفة الصفة / ٣ / ٢٣٧ .

^٤ زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب العلوي أبو الحسن المدني أحد أئمة أهل البيت قتل في أوائل صفر سنة اثنتين وعشرين ومائة . يُنظَر : الخلاصة / ١ / ٣٥٤ .

^٥ سورة البقرة / ١٩٧ .

^٦ البحر / ١ / ١٥٩ - ١٦٠ .

ومن ذلك أيضا قوله ﷺ: ﴿ أَلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَةٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَغْلُمُهُ اللَّهُ وَتَزُودُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ ﴾^١ ، وقد اختلف العلماء في ذلك لاختلاف القراءات ، وقد نقل الخلاف في ذلك أبو حيان ، وجاء بكلام جيد في هذه المسألة قال فيه : ((وقرأ أبو جعفر بالرفع والتنوين في الثلاثة ، ورويت عن عاصم^٢ في بعض الطرق ، وهو طريق المفضل عن عاصم ، وقرأ أبو رجاء العطاردي^٣ بالنصب والتنوين في الثلاثة . وقرأ الكوفيون ، ونافع بفتح الثلاثة من غير تنوين ؛ وقرأ ابن كثير^٤ ، وأبو عمر برفع : ﴿ فَلَا رَفَثٌ وَلَا فُسُوقٌ ﴾ ، والتنوين ، وفتح : ﴿ وَلَا جِدَالَ ﴾ ، من غير تنوين))^٥ ، فهذه أربع قراءات وردت في (رَفَثٌ ، و فُسُوقٌ ، و جِدَالَ) ، ولكل قراءة معان مختلفة منها ذات دلالة قطعية ، ومنها ذات دلالة احتمالية ، وهذا يعتمد على تغير الإعراب ، واليك تفصيل ذلك :

^١ سورة البقرة / ١٩٧ .

^٢ عاصم بن أبي النجود ، الإمام الكبير مقرئ العصر ، أبو بكر الأسدي مولا هم الكوفي ، مولده في إمرة معاوية بن أبي سفيان . وتصدر للإقراء مدة بالكوفة ، ، يُنظَر : طبقات خليفة / ١٥٩ ، التاريخ الكبير ٦ / ٤٨٧ ، التاريخ الصغير / ٢ / ٦ ، الجرح والتعديل ٦ / ٣٤٠ ، تاريخ بن عساكر / ٣ / ٢٦ ، وفيات الأعيان ٣ / ٩ ، تهذيب الكمال / ٦٣٤ ، تاريخ الإسلام ٥ / ٨٩ ، ميزان الاعتدال ٢ / ٣٥٧ ، سير أعلام النبلاء ٥ / ٢٥٦ - ٢٦١ ، العبر ١ / ١٦٧ ، تهذيب التهذيب ٥ / ٣٨ ، خلاصة تهذيب الكمال / ١٨٢ ، تهذيب بن عساكر ٧ / ١٢٢ ، ١٢٤ ، غاية النهاية في طبقات القراء ١ / ٣٤٦ .

^٣ عمران بن عبد الله بن تميم أبو رجاء العطاردي ، تابعي ، عرض على ابن عباس ، وروى عنه أبو الأشهب العطاردي ، توفي سنة خمس ومائة هجرية . يُنظَر : طبقات القراء : ١ / ٦٠٤ ، وسير أعلام النبلاء ١ / ٧٨ .

^٤ الإمام الحافظ المؤرخ المفسر عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء بن كثير القيسي البصري الدمشقي ، ولد في قرية (القرية) من أعمال بصرى من أرض الشام في الجنوب الشرقي من سورية سنة إحدى وسبعمئة هجرية ، وانتقل مع أخ له إلى دمشق وفيها نشأ . وتوفي - رحمه الله - سنة أربع وسبعين وسبعمئة هجرية .

يُنظَر : المعجم المختص ، للذهبي / ٧٤ ، وذيل العبر ، لابن العراقي محمد بن علي الحسيني - تحقيق : محمد رشاد عبد المطلب - الكويت / ٢ / ٣٥٨ - ٣٦٠ ، تعريف العلاء بمن لم يذكره الذهبي من النبلاء ، لتقي الدين الفاسي / ٩٢ ، وإنباه الغمر بأبناء العمر ، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني - تحقيق : عبد المعين خان - حيدر آباد ١٩٦٧ م ، وتحقيق : محمد أحمد دهمان - دمشق ١٣٩٩ هـ / ١ / ٤٥ - ٤٧ ، والدُرر الكامنة ١ / ٣٧٣ - ٣٧٤ ، النجوم الزاهرة ١١ / ١٢٣ .

^٥ البحر المحيط ٢ / ٩٦ .

((فأما من رفع الثلاثة فإنه جعل : (لا) ، غير عاملة ورفع ما بعدها بالابتداء ، والخبر عن الجميع هو قوله : ﴿ فِي الْحَجِّ ﴾ ، ويجوز أن يكون خبراً عن المبتدأ الأول ، وحذف خبر الثاني . والثالث للدلالة ، ويجوز أن يكون خبراً عن الثالث ، وحذف خبر الأول والثاني للدلالة ، ولا يجوز أن يكون خبراً عن الثاني ، ويكون قد حذف خبر الأول والثالث لقبح هذا التركيب والفصل . قيل : ويجوز أن تكون : لا ، عاملة عمل ليس فيكون : ﴿ فِي الْحَجِّ ﴾ ، في موضع نصب ، وهذا الوجه جزم به ابن عطية ، فقال : و : (لا) ، في معنى ليس في قراءة الرّفْع . . .

وأما قراءة النَّصْب ، والتنوين فأتت منصوبة على المصادر ، والعامل فيها أفعال من لفظها ، التقدير : فلا يرفث رفثاً ، ولا يفسق فسوقاً ، ولا يجادل جدالاً . و : ﴿ فِي الْحَجِّ ﴾ ، متعلق بما شئت من هذه الأفعال على طريقة الأعمال والتنازع .

وأما قراءة الفتح في الثلاثة من غير تنوين ، فالخلاف في الحركة ، فهي حركة إعراب أو حركة بناء ؟ الثاني قول الجمهور . . وإذا بُني معها على الفتح فهل المجموع من لا ، والمبني معها في موضع رفع على الابتداء ؟ وإن كانت : (لا) ، عاملة في الاسم النَّصْب على الموضع ، ولا خبر لها ، أو ليس المجموع في موضع مبتدأ ؟ بل . (لا) ، عاملة في ذلك الاسم النَّصْب على الموضع ، وما بعدها خبر : (لا) ، إذا أُجريت مجرى . (إن) ، في نصب الاسم ورفع الخبر ، قولان للنحويين ، الأول : قول سيبويه ، والثاني : الأخفش ، فعلى هذين القولين يتفرّع إعراب : ﴿ فِي الْحَجِّ ﴾ ، فيكون في موضع خبر المبتدأ على مذهب سيبويه ، وفي موضع خبر : (لا) ، على مذهب الأخفش .

وأما قراءة من رفع ونون : ﴿ فَلَا رَفْثٌ وَلَا فُسُوقٌ ﴾ ، وفتح من غير تنوين : ولا جدال ، فعلى ما اخترناه من الرّفْع على الابتداء ، وعلى مذهب سيبويه : أن المفتوح مع : (لا) ، في موضع رفع على الابتداء ، يكون : ﴿ فِي الْحَجِّ ﴾ ، خبراً عن الجميع ، لأنه ليس فيه ، إلا العطف ، عطف مبتدأ على مبتدأ .

وأما قول الأخفش فلا يصح أن يكون : ﴿ فِي الْحَجِّ ﴾ إلا خبراً للمبتدئين ، أو : (لا) ، أو خبر لـ (لا) ، لاختلاف المعرب في الحج ، يطلبه المبتدأ ، أو تطلبه ، فقد اختلف المعرب ، فلا يجوز أن يكون خبراً عنهما .^١

^١ البحر المحيط ٢ / ٩٦ - ٩٧ ، ويُظنر : الجملة العربية والمعنى / ١٨ - ١٩ .

التاسع - الاختلاف في إرادة الحقيقة و المجاز :

نرى بعض التعبيرات تحتل الحقيقة ، وتحتل المجاز ، فتكون دلالتها احتمالية بحيث تحتل أكثر من معنى ، ولذا نرى الخلاف الكبير الذي جرى بين الفرق الإسلامية في كثير من صفات الله ﷻ ، وذلك لاختلافهم في المراد من بعض المفردات ، أو التعبيرات ، فبعضهم يحملها على حقيقتها ، والبعض يحملها على المجاز .

نحو قوله ﷻ: ﴿ قَالَ يَا بَلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِيَدَيَّ اسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ ﴾^١ ، فقد ذهب بعضهم إلى أنّ هذا التعبير حقيقي ، وأنّ الله خلق آدم بيديه حقيقة ، فالله ﷻ له يدان حقيقتان ، ولكن يدين تليق بجلاله وبعظمته ، كما قال تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾^٢ ، والبعض الآخر ذهب إلى أنّ هذا التعبير مجازي ، وأنّ المراد أنّه ﷻ خلق آدم بقدرته ، وبعضهم يقول خلقه بنعمته .

((أي : ما صرفك ، وصدك عن السجود لما توليت خلقه من غير واسطة ؟ وأضاف خلقه إلى نفسه تكريماً له ، وتشريفاً ، مع أنّه سبحانه خالق كلّ شيء كما أضاف إلى نفسه الرّوح ، والبيت ، والنّاقة ، والمساجد . قال مجاهد : اليد هنا بمعنى : التأكيد ، والصلة مجازاً كقوله : ﴿ وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ﴾^٣ ، وقيل : أراد باليد القدرة ، يقال : ((ما لي بهذا الأمر يد)) ، وما لي به يدان أي : قدرة ، ومنه قول الشاعر^٤ :

تَحَمَّلْتُ مِنْ دَلْفَاءِ مَا لَيْسَ لِي يَدٌ وَلَا لِلْجِبَالِ الرَّاسِيَاتِ يَدَانِ^٥

^١ سورة ص / ٧٥ .

^٢ سورة الشورى / ١١ .

^٣ سورة الرحمن / ٢٧ .

^٤ البيت ، لعروة بن حزام بن مهاجر الضني ، من بني عذرة . شاعر ، من متيمي العرب ، كان يحب ابنة عم له اسمها (عفراء) نشأ معها في بيت واحد ، لأن أباه خلفه صغيراً ، فكفله عمه . ولما كبر خطبها عروة ، فطلبت أمها مهراً لا قدرة له عليه فرحل إلى عم له في اليمن ، وعاد فإذا هي قد تزوجت بأموي من أهل البلقاء (بالشام) فلحق بها ، فأكرمه زوجها . فأقام أياماً وودعها وانصرف ، فضنى حباً ، فمات قبل بلوغ حيّه ، سنة ثلاثين للهجرة ، الموافق خمسين وستمائة للميلاد ، ودفن في وادي القرى (قرب المدينة) . له (ديوان شعر - ط) صغير .

^٥ البيت لعروة بن حزام من قصيد طويلة من بحر الطويل ، مطلعها :

متى تجمعي شوقي وشوقك تُفدحي وما لك بالعجبِ الثَّقِيلِ يَدَانِ

وختمها بقوله : وقد تَرَكْتُ عفراءً قلبي كأنه جَنَاحُ غُرَابٍ دائِمُ الحَفَقَانِ

ويروى البيت أيضاً : تَحَمَّلْتُ مِنْ عفراءٍ ما ليس لي به ولا لِلْجِبَالِ الرَّاسِيَاتِ يَدَانِ

وقيل : التثنية في اليد للدلالة على أنها ليس بمعنى : القوة ، والقدرة ، بل للدلالة على أنهما صفتان من صفات ذاته سبحانه ^١ .

منه قوله ﷺ : ﴿ وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ ^٢ ، فقد ذهب بعضهم إلى أن هذا التعبير حقيقي ، فإن الله ﷻ وجهاً يليق بجلاله وبِعظمتِهِ ، وذهب البعض الآخر إلى أن هذا التعبير مجازي ، أي ويبقى الله ﷻ وحده بعد موت جميع المخلوقات ، فالوجه عبارة عن ذاته سبحانه ووجوده ، والبعض قال : تبقى حجته التي يتقرب بها إليه .

قال الشنقيطي - رحمه الله - : ((ما تضمنته هذه الآية الكريمة من فناء كل من على الأرض وبقاء وجهه جل وعلا المتصف بالجلال والإكرام ، جاء موضعاً في غير هذا الموضع كقوله تعالى : ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾ ^٣ ، وقوله تعالى : ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ ﴾ ^٤ . وقوله تعالى : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ﴾ ^٥ إلى غير ذلك من الآيات ، والوجه صفة من صفات الله العلي وصف بها نفسه ، فعلياً أن نصدق ربنا ونؤمن بما وصف به نفسه مع التنزيه التام عن مشابهة صفات الخلق ^٦ .

ومن ذلك مدلولات الغداة والعشي وما في معناهما بين الحقيقة والمجاز :

والذي ينعم النظر في تتبع مقولات أهل التأويل من المفسرين والمشغلتين بالدراسات القرآنية في معنى ما جاء في طرفي النهار ، يلحظ أنهم لا يقصرون مدلولي الغداة والعشي على وقتيهما المعلومين ، والمخصَّصين لهما عند أهل اللغة على جهة الحقيقة ، أعنى : من الفجر إلى طلوع الشمس ومن العصر إلى انتهاء النهار .. بل إنهم يتوسعون فيهما ليمتدا لديهم وليشملا سائر ساعات الليل والنهار ، وما ذلك إلا حملاً لمعنى الأمر بالتسبيح بالغداة والعشي على معنى المداومة وفقاً لمدلولات النصوص وسياقات الآيات المومنة إلى ذلك.

^١ فتح القدير ٤ / ٥٣٦ ، يُنظر : جامع البيان في تفسير القرآن ١١٩ / ٢٣ ، والجامع لأحكام القرآن

٢٢٨ / ١٥ ، والبحر المحيط ٧ / ٣٩٢ ، وأضواء البيان في تفسير القرآن ٥ / ٥٨ .

^٢ سورة الرحمن / ٢٧ .

^٣ سورة القصص / ٨٨ .

^٤ سورة الفرقان / ٥٨ .

^٥ سورة آل عمران / ١٨٥ .

^٦ أضواء البيان في تفسير القرآن ٧ / ٤٩٣ ، وينظر مفاتيح الغيب ٢٩ / ٣٥٥ .

ولنتأمل في ذلك مثلاً ما ذكره صاحب الكشاف تفسيراً لقول الله ﷻ عن أهل الجنة: ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ من قوله ﷻ: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾^١ ، وقد تبعه فيه غيره ، يقول: - ((أراد دوام الرزق ودروره كما تقول: ((أنا عند فلان صباحاً ومساءً ، وبكرةً وعشيّاً)) ، تريد الديمومة ولا تقصد الوقتين المعلومين))^٢ ، وما ذكره الطاهر بن عاشور في تفسيره لقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾^٣ حيث يقول: ((الغداة: أوّل النهار، والعشي من الزوال إلى الصباح ، والباء للظرفية .. والمعنى أنّهم يدعون الله اليوم كلّهُ ، فالغداة والعشيّ قصد بهما استيعاب الزّمان ، والأيام كما يقصد بالمشرق ، والمغرب استيعاب الأمكنة ، وكما يُقال: الحمد لله بكرةً وأصيلاً))^٤ .

وفي معناه يقول الألوسي تفسيراً لنفس الآية: ((والمراد بهما ها هنا الدوام كما يقال: ((فعله مساءً وصباحاً)) إذا داوم عليه))^٥ ، وعلى هذا دأب جلّ المفسرين ، وربما كان مستندهم في هذا صحّة ما ورد عن العرب ((إنّي لآتيه بالعشايا والغدايا))^٦ يقصدون بذلك استدامة المجيء .

والحق أنّ الأمر في هذا لا يعدو أن يكون كناية عن المداومة في فعل المجيء ، وفي استدامة الدعاء ، وفي عدم انقطاع الرزق عن أهل الجنة ، ولا يعني بحال أن يخرج اللفظان عن حقيقتهما الموضوعية لهما في اصطلاح التّخاطب ، إذ ليس من المعقول أن يظلّ هؤلاء المتحدّث عنهم في آية الأنعام على حال واحدة لا يحدون عنه ولا يميّدون ، كما لا يعقل أن يبقى أهل الجنة الوارد ذكرهم في آية مريم يطعمون ويشربون مدة خلودهم الأبدي وبقائهم السّرمدية ، إذ ذلك - مما لا شك فيه - مما يبعث على الملل ، ومما

^١ سورة مريم / ٦٢ .

^٢ تفسير الكشاف ٢ / ٥١٥ - ٥١٦ ، وينظر: مفاتيح الغيب ٩ / ٤٨٧ ، وحاشية الشّهاب المسماة عناية القاضي وكفاية الرّاضي ، لشهاب الدّين الخفاجي على البيضاوي: ت عبد الرزاق المهدي ط١ دار الكتب العلمية لسنة ١٤١٧ هـ : ٦ / ٢٩٢ .

^٣ سورة الأنعام / ٥٢ .

^٤ التّحرير والتّوير ٧ / ٢٤٧ .

^٥ روح المعاني ٧ / ٢٣٢ .

^٦ أدب الكتاب لابن قتيبة / ١٢٧ ، والزاهر في معاني كلمات الناس ١ / ٥٩ ، المحكم والمحيط الأعظم ٢ / ٢٨٦ ، و اللسان لسان العرب (عشا) ١٥ / ٥٦ .

يتنافى مع خلق التوسط والزهادة اللذين تربوا عليهما في الدنيا ، كما أنّ فيه مشغلة كذلك عن التمتع بسائر ألوان النعيم الأخرى التي أعدّها الله لعباده الصالحين من نحو التسري بالحرور العين ، والتقابل على السرر والأرائك ، والورود على الحوض ومصاحبة الأخلاء من المتقين والنبیین والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً ، بل وفوق كلّ ذلك وأعلاه السعي لنيل رضا الله سبحانه ، والتّمتّع بالنّظر إلى وجهه الكريم كما في قوله ﷺ عن ربّ العزة ﷻ من أنّه : ((يقول لأهل الجنّة : يا أهل الجنّة ، فيقولون : لبيك ربنا وسعديك والخير بين يديك ، فيقول : هل رضيتم ؟ فيقولون : وما لنا لا نرضى يا رب وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من خلقك ؟ فيقول : ألا أعطيتكم أفضل من ذلك ؟ فيقولون : ياربّ وأيّ شيء أفضل من ذلك ؟ فيقول : أحلّ عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبداً))^١ ، وقوله فيما رواه مسلم : ((إذا دخل أهل الجنّة الجنّة ، وأهل النّار النّار نادى منادياً يا أهل الجنّة إنّ لكم عند الله موعداً يريد أن ينجزكموه ، فيقولون : وما هو ؟ ألم يتقل موازيننا ، ألم يبيّض وجوهنا ويدخلنا الجنّة ويُجرّنا من النّار ؟ قال : فيكشف لهم الحجاب ، فينظرون إليه فوالله ما أعطاهم شيئاً أحبّ إليهم من النّظر إليه ولا أقرّ لأعينهم)) .

وقد استشعر البيضاوي كلّ هذه المعاني فراح يعرض حمل المعنى على الديمومة ، ويتورك على القائلين به ، ويقدم عليه ما يفيد الحمل على الحقيقة ، يقول : قوله : ﴿ وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةٌ وَعِشْيًا ﴾^٢ : ((على عادة المتعممين ، والتوسط بين الزهادة والرغبة^٣ ، وقيل المراد دوام الرزق ودروره))^٤ .

^١ رواه البخاري ومسلم واللفظ له .

^٢ سورة مريم / ٦٢ .

^٣ وكان العرب يسمون الأكل مرّة واحدة في اليوم والليلّة (الوجبة) باعتبار أن أكلها يوجب زهادة ، وكان إذا أصاب أحدهم الغداء والعشاء أعجبهم ذلك ويسمون ماعداهما (الرّغبة) أي في كثرة الأكل ، فأخبرهم سبحانه أن لهم في الجنّة هذه الحالة التي تعجبهم [ينظر : أضواء على متشابهات القرآن للشيخ خليل ياسين ١٠/٢] .

^٤ تفسير البيضاوي ، (أنوار التّنزيل) ، لمحمد أشرف بن أمير بن علي بن حيدر ، أبي الطيّب ، شرف الحق ، الصديقي ، العظيم آبادي - دار الفكر / ٦ / ٢٩٢ .

^٥ ينظر : من بلاغة القرآن في التّعبير بالغدو و الأصال والعشى والإبكار ، إعداد : الدكتور محمد محمد عبد العليم دسوقي - المدرس بقسم البلاغة والنقد - كلية اللغة العربية جامعة الأزهر الشريف - رقم الإيداع بدار الكتب ٨٦٠٦ / ٢٠٠٣ م / ١ - ١٤ .

ومن المختلف فيه بسبب الحمل على الحقيقة أو المجاز قوله ﷺ : ﴿ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ ﴾^١ ، فقد حمله بعضهم على الحقيقة ، وحمله البعض الآخر على المجاز ، وهو مما يعدُّ مقبولاً في الحمل على المجاز مع ما يفيد من الدلالة على الاستغراق ، والاستدامة على فعل الشيء في الوقتين المذكورين ، قال الرّازي - رحمه الله - في تفسيره لقول الله ﷻ : ﴿ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ ﴾^٢ قال : ((الإبكار عبارة عن أوّل النهار إلى النّصف ، والعشيّ عبارة عن النّصف إلى آخر النّهار ، فيدخل فيه كل الأوقات))^٣ ، والذي أميل إليه - والله أعلم - أنّ هذا هو الأليق فيما هذا شأنه ، وفيما يقتضي المقام حمله على معنى الاستغراق في الزّمن وفاءً بحقّ السّياق ، على اعتبار أنّ ما يقرب من الشيء يطلق عليه اسمه ، وقد نحا كثير من المفسّرين هذا المنحى مقدّمين إيّاه على القول بمغالطة أهل اللّغة ، والجنوح بالعشيّ وجعله من زوال الشّمس إلى الصّباح . ومن هؤلاء الطّاهر بن عاشور - رحمه الله - فقد ذهب في تفسيره لنفس الآية التي حمل الزّمخشري فيها معنى العشيّ ، والإبكار على الاستدامة الشّاملة لسائر ساعات اليوم واللّيلة ، وهي قوله ﷻ : ﴿ وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾^٤ ، إلى أنّ المقصود من : ((" البكرة " : النّصف الأوّل من النّهار ، و" العشيّ " النّصف الأخير^٥ . والجمع بينهما كناية عن استغراق الزّمن^٦ ، أي لهم رزقهم غير محصور ولا مقدّر بل كلّما شاءوا))^٧ . وإن كان يعاب عليه أنّه لم يستمر على هذا المنحى ، وراح في مواضع أخرى يحمل معنى العشيّ على ما بين زوال الشّمس إلى الصّباح على نحو ما فعل في تفسيره لآية الأنعام .

ولا يُحتجّ لهذا أنّ المقصد من كلامه الذي أورده في تفسير آية الأنعام ، وكذا كلام من حمل بقيده ، التّكنية عن الاستدامة ؛ لأنّ الجواب عن ذلك أنّ الكناية لا تمنع من إرادة ظاهر اللفظ ، وظاهر اللفظ يصعب حمله - على نحو ما ارتأينا - في آيتي

^١ سورة غافر / ٥٥ .^٢ سورة غافر / ٥٥ .^٣ مفاتيح الغيب ١٣ / ٥٦٩ .^٤ سورة مريم / ٦٢ .^٥ ولعلّ هذا ما عناه ابن منظور بقوله: "إنما أراد لهم رزقهم في مقدار ما بين الغداة والعشي".^٦ والأليق منه حمل المعنى على الحقيقة ، لإفادة التّوسّط بين الرّهادة والرّغبة لما سبق ذكره .^٧ التّحرير والتّوير ١٦ / ١٣٨ .

مريم والأنعام على وجه الحقيقة . على أنّ هذا المنحى قد يحمى في مثل قوله ﷺ : ﴿ وَأَذْكُرُ رَبِّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ ﴾^١ إذ الحمل فيه بضميمة قوله ﷺ : ((تَنَامُ عَيْنِي وَلَا يَنَامُ قَلْبِي))^٢ ، وقوله ﷺ : ﴿ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ ﴾^٣ .. على التكنية عن سائر أحواله ﷺ يقظةً أو ناماً سرّاً أو إعلاناً ، ليلاً أو نهاراً لمّا يدلُّ عليه السياق ويومئ إليه ، والشَّرْطُ في ذلك ألا يوجد في سياق الكلام ما ينافيه أو يتماشى معه من نحو إطلاق الذَّكر ، وتقييد نوع منه بوقتي الغداة والعشي في نحو قوله ﷺ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا * وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾^٤ ، وكذا ما تعيّن الحمل فيه على الوقتين لكون الموقوت بزمنيها مختصّ بهما لا يتعدّاهما ، كما في قوله ﷺ : ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُم بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴾^٥ ، إذ من المعلوم بدهاء أنّ الفيء لا يظهر بصورة كاملة تشعر بما يمليه النظم الكريم إلا في الوقتين بمعناهما اللُّغوي ، ونظير ذلك ما كان منصوصاً على وقتيه ببعض دلائله التي لا ينصرف بها المعنى إلا إليه ، كما في الآية الكريمة الواردة في حق داوود - عليه السَّلام - : ﴿ إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعُشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ﴾^٦ .. ذلك أنّ : ((وقت الإشراق محدود بوقت ارتفاعهما عن الأفق الشرقي وهو ما يسمّى بالضَّحوة الصغرى))^٧ ، وذلك لا يتأتّى إلا وقت بدء طلوعها ، ولا يكون دون ذلك أو سواه بحال^٨ .

ومنه قوله ﷺ : ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴾^٩ ، ذهب بعضهم إلى أنّ التَّعبير المراد به حقيقته ، وأنَّ الله ساقاً - تليق بجلاله وعظمته -

^١ سورة الأعراف / ٢٠٥ .

^٢ رواه البخاري في صحيحه عن أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - صحیح البخاري " الجامع الصحيح المختصر " ، لمحمد بن إسماعيل أبي عبدالله البخاري الجعفي - دار ابن كثير - اليمامة - بيروت - ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م - الطبعة الثالثة - تحقيق : د. مصطفى ديب البغا ٣ / ١٣٠٨ ، حديث رقم : ٣٣٧٦ .

^٣ سورة الأعراف / ٢٠٥ .

^٤ سورة الأحزاب / ٤١ - ٤٢ .

^٥ سورة الرعد / ١٥ .

^٦ سورة ص / ١٨ .

^٧ روح المعاني ٢٣ / ٣٥٦ .

^٨ ينظر : من بلاغة القرآن في التعبير بالغدو و الأصال والعشى والإبكار / ١٥ - ١٦ .

^٩ سورة القلم / ٤٢ .

يكشف عنها يوم القيامة ، وذهب آخرون بأنَّ المراد من هذا التعبير المجاز ، لا الحقيقة ، فهو يعبر عن شدة الأمر وعظمته^١ .

وبوب الزركشي^٢ - رحمه الله - باباً تحت عنوان ((النوع السابع والثلاثون في حكم الآيات المتشابهات الواردة في الصفات)) حيث ذكر الأقوال المختلفة في صفات الله ﷻ وأسهب كثيراً ، فليرجع إليه^٣ .

ومنه أيضاً قوله ﷻ : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا أَحْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾^٤ ، فقال البعض بأنَّ التعبير المراد منه حقيقته ، أي أنَّ المراد فار تنور الخبز ، وقال آخرون بأنه تعبير مجازي ، وهو كناية عن شدة الأمر^٥ . ((وفار: معناه أنبعث بقوة ، والتنور : وجه الأرض ، والعرب تسميه تنوراً^٥ أو التنور الذي يخبز فيه^٥ أو أعلى الأرض والمواضع المرتفعة^٥ أو هو مجاز والمراد غلبة الماء ، وظهور العذاب كما قال ﷻ لشدة الحرب : (حَمِي الْوَطِيسُ) والوطيس أيضاً مستوقد النار ، فلا فرق بين حمي وفار ، إذ يستعملان في النار))^٥ .

العاشر - جمل تحتل أكثر من معنى :

فبعض الجمل من أصل تأليفها تحتل أكثر من معنى ، فدلالتها احتمالية ، نحو قوله ﷻ : ﴿ وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴾^٦ ، فقوله : ﴿ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ هذه الجملة ذات دلالة احتمالية ، فهي تحتل أن معناها : أنهم لم يكونوا قليلاً ولا كثيراً ، ويحتمل أن معناها أنهم يصدقون بالشئ قليلاً ويكفرون بما سواه ،

^١ يُنظَر : الجامع لأحكام القرآن ٢٤٨/١٨ ، والكشاف ٤ / ١٤٧ ، وإرشاد العقل السليم ٩/٣-١١ ، وفتح القدير ٥/٢٧٣ .

^٢ الإمام بدر الدين محمد بن عبدالله بن بهادر الزركشي ، من أعلام المفسرين والأصوليين . ولد سنة خمس وأربعين و سبعمائة هجرية ، وتوفي - رحمه الله - سنة أربع وتسعين وسبعمائة هجرية .

^٣ يُنظَر : البرهان في علوم القرآن ، لمحمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي أبو عبد الله - دار المعرفة - بيروت - ١٣٩١ م تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ٢ / ٧٨ - ٨٩ .

^٤ سورة هود / ٤٠ .

^٥ البحر المحيط ٥ / ٢٢٢ - ٢٢٣ ، والجملة العربية والمعنى / ١٩ - ٢٠ .

^٦ سورة البقرة / ٨٨ .

كالإيمان بالرَّسول ﷺ فيكونون كافرين ، وذلك أَنَّ (قليل) و(قل) و(أقل) قد تستعمل لمعنى النَّفي ، وقد تستعمل لمعنى القلَّة .

وقد توسَّع في هذه المسألة أبوحيان - رحمه الله - فقال : ((﴿ فقليلًا ما يؤمنون ﴾ : انتصاب قليلًا على أَنَّهُ نعت لمصدر محذوف ، أي : فإيمانًا قليلًا يؤمنون ، قاله قتادة . وعلى مذهب سيبويه : انتصابه على الحال ، التَّقدير : فيؤمنونه ، أي : الإيمان في حال قلته . وجوزوا انتصابه على أَنَّهُ نعت لزمان محذوف ، أي فزمانًا قليلًا يؤمنون . . . وجوزوا أيضًا انتصابه بـ ﴿ يُؤْمِنُونَ ﴾ على أَنَّ أصله : فقليل يؤمنون . . . وجوزوا أيضًا أن يكون حالًا من الفاعل الذي هو الضَّمير في يؤمنون ، المعنى : أي فجمعًا قليلًا يؤمنون ، أي : المؤمن منهم قليل . . . وقال الواقي : المعنى أي لا قليلًا ولا كثيرًا ، يقال : قلَّ ما يفعل ، أي : ما يفعل أصلًا . وقال ابن الأنباري^١ : أَنَّ المعنى فما يؤمنون قليلًا ولا كثيرًا . وقال المهدي : مذهب قتادة أَنَّ المعنى : فقليل منهم من يؤمن ، وأنكره النحويون وقالوا : لو كان كذلك للزم رفع قليل))^٢ .

ثمَّ تحدَّث عن معنى القلَّة ، و(قليل) و(قل) و(أقل) ومتى تستعمل لمعنى النَّفي ، ومتى تستعمل لمعنى القلَّة ، ونقل في ذلك قول الزَّمخشريّ ثمَّ فصلَّ بعد ذلك ، فقال : ((وقال الزَّمخشريّ : ويجوز أن تكون القلَّة بمعنى العدم ، وما ذهبوا إليه من أَنَّ (قليلًا) يراد به النَّفي صحيح ، لكن في غير هذا التَّركيب ، أعني قوله تعالى : ﴿ فقليلًا ما يؤمنون ﴾ ، لأنَّ قليلًا انتصب بالفعل المثبت ، فصار نظير : (قمتُ قليلًا) ، أي قيامًا قليلًا . ولا يذهب ذاهب إلى أَنَّك إذا أتيت بفعل مثبت ، وجعلت قليلًا منصوبًا نعتًا لمصدر ذلك الفعل ، يكون المعنى في المثبت الواقع على صفة ، أو هيئة انتفاء ذلك المثبت رأسًا وعدم وقوعه بالكلية . وأنما الذي نقل النحويون أَنَّهُ قد يراد بالقلَّة النَّفي المحض في قولهم : ((أقلَّ رجلٌ يقولُ ذلك)) ، و((قلَّ رجلٌ يقولُ ذلك)) ، و((قلَّمَا يقومُ زيدٌ)) ، و((قليلٌ منَ الرجالِ يقولُ ذلك)) ، و((قليلَةٌ منَ النساءِ تقولُ ذلك)) . وإذا تقرَّر هذا ، فحمل القلَّة هنا على النَّفي المحض ليس بصحيح . . . وأما قول العرب : ((مَرَرْنَا بِأَرْضٍ قَلِيلًا مَا

^١ أبو بكر محمد بن القاسم بن محمَّد بن بشر بن الحسين الإمام بن الأنباري النَّحوي اللُّغوي ، من أعلام المذهب البغدادي في النَّحو ، توفِّي - رحمه الله - ببغداد سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة من الهجرة ، وقيل وسبع وعشرين وثلاثمائة . له من التَّصانيف : غريب الحديث والأضداد ، والمذكر والمؤنث والمقصود والمدود ، وغير ذلك . تنتظر ترجمته في : بغية الوعاة ١ / ٢١٢ - ٢١٤ .

^٢ البحر المحيط ١ / ٤٧٠ .

تَنْبُتُ» ، وأَنْهُمْ يريدون لا تنبت شيئاً ، فإنَّما ذلك لأنَّ قليلاً انتصب على الحال من أرض ، وإن كان نكرة ، وما مصدرية ، والتقدير : « قليلاً إنباتُها » ، أي لا تنبت شيئاً ، وليست ما زائدة ، وقليلاً نعت لمصدر محذوف ، تقدير الكلام : « تَنْبُتُ قَلِيلاً » ، إذ لو كان التركيب المقدَّر هذا لما صلح أن يراد بالقليل النفي المحض ؛ لأنَّ قولك : « تَنْبُتُ قَلِيلاً » ، لا يدلُّ على نفي الإنبات رأساً ، وكذلك لو قلنا : « ضَرَبْتُ ضَرْباً قَلِيلاً » ، لم يكن معناه ما ضربت أصلاً^١ .

قال السَّمِين الحلبي^٢ : قال الشَّيخ^٣ : من التعبيرات ما يستخدم للإثبات ، وللنفي في نفس الوقت ، والذي يعين أحدهما السَّيَاق ، نحو قوله ﷻ : ﴿ وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَاراً وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾^٤ ، فقوله : ﴿ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ ﴾ دلالتها محتملة ، فهي تحتل : أن تميل بكم ، وتضطرب ، وتحتل نفي ذلك ، أي : لنلا تميل بكم ، ولنلا تضطرب ، وهذا الأخير هو الذي يدل عليه سياق الآية^٥ .

ومنه قوله ﷻ : ﴿ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضَلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾^٦ ، فقوله : ﴿ أَنْ تَضَلُّوا ﴾ جملة ذات دلالة احتمالية ، فتحتل الإثبات ، أي : إثبات الضلال ، بمعنى لتضلُّوا ، تحتل معنى النفي ، أي نفي الضلال ، بمعنى يبيِّن الله لكم لنلا تضلُّوا ، وهذا المعنى الأخير هو الذي يدلُّ عليه سياق الآية^٧ . قال الفخر الرَّازي في تفسير هذه الآية : ((ثم قال تعالى : ﴿ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضَلُّوا ﴾ وفيه وجوه :

الأوَّل : قال البصريون : المضاف ههنا محذوف ، وتقديره : يبين الله لكم كراهة أن تضلُّوا ، إلاَّ أنَّه حذف المضاف كقوله ﴿ وَأَسْئَلُ الْقُرْآنَةَ ﴾^٧ .

^١ البحر المحيط ١ / ٤٧٠ - ٤٧١ ، يُنظَر : الكشَّاف ١ / ٢٩٦ .

^٢ شهاب الدِّين أبو العباس أحمد بن يوسف بن محمَّد بن مسعود المعروف بالسَّمِين الحلبي ، توفِّي - رحمه الله - في سنة ستِّ وخمسين وسبعمائة هجرية ، من مؤلفاته : الدُّر المصون في علوم الكتاب المكنون ، وتفسير القرآن ، وشرح التَّسهيل . ينظر : طبقات الشَّافعية ، الألويسي ٢ / ٥١٣ ، وشذرات الذهب ٦ / ١٧٩ ، وغاية النهاية في طبقات القراء ١٥٢ / ١ ، وبغية الوعاة ١ / ٤٠٢ ، والأعلام ١ / ٢٦٠ .

^٣ شهاب الدِّين أبو شامة .

^٤ سورة النحل / ١٥ .

^٥ الكشَّاف ٣ / ٤٢٩ .

^٦ سورة النَّساء / ١٧٦ .

^٧ يوسف / ٨٢ .

الثاني : قال الكوفيون : حرف النفي محذوف ، والتقدير : يبين الله لكم لئلا تضلوا ، ونظيره قوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُمَسِّكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا ﴾^١ ، أي لئلا تزولا .
الثالث : قال الجرجاني : يبين الله لكم الضلالة لتعلموا أنها ضلالة فتجتنبوها
٠٢((

ونحو قوله ﷻ : ﴿ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ ﴾^٢ ، فقوله : ﴿ أَنْ تُؤْمِنُوا ﴾ جملة محتملة الدلالة ، فتحتمل نفي الإيمان ، أي لئلا تؤمنوا ، وتحتمل إثبات الإيمان ، أي : لأن تؤمنوا ، وهذا المعنى المحتمل من سياق الآية^٣ .
ونحو قوله ﷻ : ﴿ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ﴾^٤ ، فقوله : ﴿ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ﴾ جملة محتملة الدلالة ، فهي تحتمل أنه خلقها بعمد غير مرئية ، بحيث أنكم لا ترون هذه العمد ، تحتمل أنه خلقها بغير عمد ، وأنكم ترونها مرفوعة بغير عمد ، دليل على عظمته ، وجلاله .

قال أبو السعود : ((﴿ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ﴾ أي بغير دعائم ، جمع عماد ، كإهاب وأهب ، وهو ما يُعمد به أي يُسند ، يقال : عمدت الحائط ، أي أدمته ، و قرىء عمد على جمع عمود بمعنى عماد كرسول ورسول ، وإيراد صيغة الجمع لجمع السموات ، لا لأن المنفي عن كل واحدة منها عمد لا عماد ، ﴿ تَرَوْنَهَا ﴾ استئناف استشهد به على ما ذكر من رفع السموات بغير عمد ، وقيل : صفة لعمد جيء بها إيهاماً ، لأن لها عمداً غير مرئية هي قدرة الله تعالى))^٥ .

وهذه المسألة تكثر في كلام العرب ، فنكتفي بما أوردناه هنا .

الحادي عشر - عبارات تحتمل أكثر من معنى غير أنه قد تتعين الدلالة بالتعليق ، أو الوقف على مواطن من العبارة :

^١ سورة فاطر / ٤١ .

^٢ مفاتيح الغيب / ١١ / ٢٧٤ ، وتفسير الفخر الرازي / ١١ / ٢٧٤ .

^٣ سورة الممتحنة / ١ .

^٤ يُنظَر : فتح القدير / ٥ / ٢٥٦ .

^٥ سورة الرعد / ٢ .

^٦ إرشاد العقل السليم / ٢ / ٥ / ٢ ، يُنظَر : فتح القدير / ٣ / ٧٥ ، الجملة العربية والمعنى / ٢٠ - ٢١ .

ونحو قوله ﷻ : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾^١ ، فالآية ذات دلالة احتمالية ، يعين إحداها الوقف .

ونحو قوله ﷻ : ﴿ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةً وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾^٢ ، فالآية ذات دلالة احتمالية ، يعين أحدها الوقف ، فإن وقفت على القلوب ، بحيث قلت : ﴿ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ ﴾ ، ثم قلت : ﴿ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةً ﴾ صار المعنى : أن الله ختم على القلوب ، وتكون الغشاوة على السمع والأبصار ، وإن وقفت على السمع ، فقلت : ﴿ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ ﴾ ، ثم قلت : ﴿ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةً ﴾ صار المعنى : أن الله ختم على القلوب ، والسمع ، وتكون الغشاوة على الأبصار فحسب ، وهذا المعنى هو الذي رجّحه علماء التفسير ، لأن الختم إنما يكون على القلب والسمع ، والغشاوة إنما تكون على الأبصار ، ويدل على ذلك قوله ﷻ في آية أخرى : ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَصْلَهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾^٣ .

ونحو قوله ﷻ : ﴿ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾^٤ ، فالدلالة هنا احتمالية ، وتتعين الدلالة بالتعليق ، والوقف إنما يكون بحسب التعليق ، فأنت إما أن تقف^٥ على قوله تعالى : ﴿ عَلَيْهِمْ ﴾ ، فنقرأ : ﴿ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ ﴾ ، ثم تواصل القراءة فنقول : ﴿ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾ ، ففي هذه الحالة تكون قد علقت (أربعين سنة) بـ (يتيهون) ، فيكون المعنى : أنها محرمة عليهم أبدا ، وأن التيه أربعون سنة .

أو تقف على قوله : ﴿ سَنَةً ﴾ ، فنقرأ : ﴿ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً ﴾ ، ثم تواصل القراءة ، فنقول : ﴿ يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾ ، ففي هذه

^١ سورة آل عمران / ٧ .

^٢ سورة البقرة / ٧ .

^٣ سورة الجاثية / ٢٣ ، يُنظَر : روح المعاني ١ / ١٣٤ ، مفاتيح الغيب ١ / ٢ / ٢٩١ .

^٤ سورة المائدة / ٢٦ .

^٥ يسمي علماء التجويد هذا الوقف وقف معانقة .

الحالة تكون قد علقّت ﴿أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾ بـ ﴿مُحَرَّمَةً﴾ ، فيكون المعنى : أنّ مدّة التّحرّيم أربعين سنة .

قال أبو حيّان : ((والظاهر أنّ العامل في قوله : ﴿أَرْبَعِينَ﴾ ﴿مُحَرَّمَةً﴾ ، فيكون التّحرّيم مقيّداً بهذه المدّة ، ويكون يتيهون مستأنفاً أو حالاً من الضّمير في عليهم . ويجوز أن يكون العامل يتيهون ، أي : يتيهون هذه المدّة في الأرض ، ويكون التّحرّيم على هذا غير مؤقّت بهذه المدّة ، بل يكون إخباراً بأنّهم لا يدخلونها ، وأنّهم مع ذلك يتيهون في الأرض أربعين سنة يموت فيها من مات . وروي أنّه من كان جاوز عشرين سنة لم يعيش إلى الخروج من التّيّه ، وأنّ من كان دون العشرين عاشوا ، كأنّه لم يعيش المكافون العصاة ، أشار إلى ذلك الرّجّاج ، ولذلك ذهب إلى أنّ العامل في ﴿أَرْبَعِينَ﴾ ﴿مُحَرَّمَةً﴾ . وقال ابن عطية : يحتمل أن يكون العامل في أربعين مضمرأ يدلُّ عليه يتيهون المتأخر))^١ .

ومنه قوله ﷺ : ﴿ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا * بِآيَاتِنَا * أَنْتُمْ وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ ﴾^٢ ، فالدلالة هنا احتمالية ، وتتعيّن الدلالة بالتعليق ، والوقف إنّما يكون بحسب التعليق ، فأنت إمّا أن تقف على قوله تعالى : (بِآيَاتِنَا) ، فنقرأ : ﴿ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا * بِآيَاتِنَا * ﴾ ، ثمّ تواصل فنقول : ﴿ أَنْتُمْ وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ ﴾ ، فتكون قد علقّت (بِآيَاتِنَا) ، بـ (يَصِلُونَ) ، فيكون المعنى : أنّهم لا يصلون إليهما بسبب الآيات ، وإمّا أن تقف على (إِلَيْكُمَا) ، فنقرأ : ﴿ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا * ﴾ ، ثمّ تواصل فنقول : ﴿ بِآيَاتِنَا أَنْتُمْ وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ ﴾ ، فتكون قد علقّت (بِآيَاتِنَا) ، بـ (الْغَالِبُونَ) ، فيكون المعنى : أنّهم غالبون بالآيات ، وهذا الذي رجّحه أهل العلم .

قال الشوكاني - رحمه الله - في تفسير هذه الآية : ((وعلى قومه ﴿ فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا ﴾ بالأذى ، ولا يقدرّون على غلبتكم بالحجّة ، و﴿ بِآيَاتِنَا ﴾ متعلق بمحذوف أي : تمتنعان منهم بآياتنا ، أو اذهبا بآياتنا . وقيل : الباء للقسّم ، وجوابه ﴿ يَصِلُونَ ﴾ ، وما

^١ البحر المحيط ٣ / ٤٧٣ ، يُنظر : فتح القدير ٢ / ٣٨ ، ٤٠ .

^٢ سورة القصص / ٣٥ .

أضعف هذا القول . وقال الأخفش ، وابن جرير : في الكلام تقديم ، وتأخير ، والتقدير : ((
أنتما ومن اتبعكما الغالبون بآياتنا)) ، وأول هذه الوجوه أولاها ^١ .

وهناك أسباب كثيرة تدعو إلى الاحتمال ، وقد أخذنا بعضاً منها ، ونكتفي بها .

^١ فتح القدير الشوكاني ٤ / ٢٠٨ ، يُنظَر : الكشاف ٤ / ٥٠٢ ، و البحر المحيط ٧ / ١١٣ ، الجملة العربية والمعنى / ١٢ - ٢٢ .

الفصل الثاني

الجملة الإنشائية ،
والجملة الخبرية

المبحث الأول

تقسيم الكلام إلى خبر وإنشاء

تعريف الكلام

الكلام لغةً :

((يطلق على ثلاثة أمور :

أحدها - الحدث : الذي هو التّكليم ، تقول : ((أَعْجَبَنِي كَلَامُكَ زِيدًا)) ؛ أي تكليمك إياه ، وإذا استعمل بهذا المعنى عَمِلَ عَمَلِ الأفعال ، كما في هذا المثال ، وكقوله :
قَالُوا كَلَامَكَ هَذَا وَهِيَ مُصْنَعِيَّةٌ يَشْفُوكَ ، قُلْتُ صَحِيحٌ ذَلِكَ لَوْ كَانَا
 أي : تكليمك هذا .

والثاني : ما في النفس مما يعبر عنه باللفظ المفيد ، وذلك كأن يقوم بنفسك معنى نحو : ((قَامَ زَيْدٌ)) ، أو ((قَعَدَ عَمْرٌو)) ، ونحو ذلك ، فيسمى ذلك الذي تخيلته كلاماً ، قال الأخطل^٢ :

لا يُعْجِبَنَّكَ مِنْ خَطِيبٍ خُطْبَةٌ حَتَّى يَكُونَ مَعَ الكَلَامِ أَصِيلًا
 إِنَّ الكَلَامَ لَفِي الفُؤَادِ وَإِنَّمَا جُعِلَ اللِّسَانُ عَلَى الفُؤَادِ دَلِيلًا^٣

^١ البيت من بحر البسيط ، لم أقف على قائله ، وهو من شواهد شرح شنور الذهب / ٣٣ .

^٢ هو غياث بن غوث بن الصلت ، أحد بني جشم بن بكر ، ثم أحد بني تغلب ، كنيته أبو مالك ، المعروف بالأخطل ، ولد سنة تسع عشرة من الهجرة ، الموافق سنة أربعين وستمائة من الميلاد ، وهو شاعر فحل ، مصقول الألفاظ ، حسن الديباجة ، في شعره إبداع . اشتهر في عهد بني أمية بالشام ، وأكثر من مدح ملوكهم . وهو أحد الثلاثة المتفق على أنهم أشعر أهل عصرهم : جرير والفرزدق والأخطل . نشأ على المسيحية في أطراف الحيرة بالعراق واتصل بالأمويين فكان شاعرهم ، وتهاجى مع جرير والفرزدق ، فتناقل الرواة شعره . وكان معجباً بأدبه ، تياهاً ، كثير العناية بشعره . وكانت إقامته حيناً في دمشق وحيناً في الجزيرة ، توفي سنة تسعين من الهجرة ، الموافق ثمان وسبعمائة من الميلاد .

^٣ البيتان تُنسب إلى الأخطل من بحر الكامل ، ولم أجدهما في ديوانه ، وإنما هما في زياداته . ينظر : ملحقات ديوانه / ٥٠٨ ، وشعر الأخطل / ٥٠٨ ، وابن يعيش / ١ / ٢١ ، شذرات الذهب / ٢٨ ، وشرح الجمل لابن عصفور / ٨٥/١ ، والتذييل والتكميل / ١٨ ، والمطالع السعيدة / ٣٩/١ ، والدُر المصون / ١ / ٤٤١ ، وحاشية الخضري على ابن عقيل / ١ / ٣٩ ، وشرح شنور الذهب / ٣٥ . والبيت من شواهد ابن يعيش في شرح المفصل

والثالث : ما تحصل به الفائدة ، سواء كان لفظاً ، أو خطأً ، أو إشارةً ، أو ما نطق به لسان الحال ، والدليل على ذلك في الخط قول العرب : ((القلمُ أحدُ اللسانين)) ، وتسميتهم ما بين دفتي المصحف كلام الله ، والدليل عليه في الإشارة قوله ﷺ : ﴿ قَالَ ءَايَتِكَ أَلَّا تَكَلَّمَ النَّاسُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمَزًا ﴾^١ ، فاستثنى الرمز من الكلام ، والأصل في الاستثناء الاتصال ، وأمّا قول عمر بن أبي ربيعة^٢ :

أَشَارَتْ بِطَرْفِ الْعَيْنِ خَيْفَةَ أَهْلِهَا إِشَارَةَ مَحْزُونٍ ، وَلَمْ تَتَكَلَّمْ

فَأَيَقَنْتُ أَنَّ الطَّرْفَ قَدْ قَالَ : مَرْحَبًا وَأَهْلًا ، وَسَهْلًا بِالْحَبِيبِ الْمُتَيْمِّ !^٣

فإنما نفي الكلام اللفظي لا مطلق الكلام ، ولو أراد بقوله : ((ولم تتكلم)) نفي غير الكلام اللفظي لانتقض بقوله : ((فأيقنت أن الطرف قد قال مرحباً)) ؛ لأنه أثبت للطرف قولاً بعد أن نفي الكلام ، والمراد نفي الكلام اللفظي ، وإثبات الكلام اللغوي .
والدليل عليه فيما نطق به لسان الحال قول نصيب^٤ :

فَعَاجِبُوا فَاثْنُوا بِالَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ وَلَوْ سَكَتُوا أَثْنْتَ عَلَيْكَ الْحَقَائِبُ^١

^١ سورة آل عمران / ٤١ .

^٢ عمر بن أبي ربيعة بن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم بن يقظة ، شاعر قرشي ، كان يتغزل بالنثر بالشمية ، مولده ليلة مقتل عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - غزا البحر ، فأحرق في حدود سنة ثلاث وتسعين هجرية الموافق إحدى عشر وسبعمائة هجرية . يُنظر : الشعر والشعراء ، لعبد الله بن مسلم بن قتيبة - تحقيق : أحمد شاكر - القاهرة ١٩٦٦ م / ٤٥٧ ، والأغاني / ١ / ٣٠ ، وتاريخ ابن عساكر ٣ / ١٢٠ ، وفيات الأعيان ٣ / ٤٣٦ ، وتاريخ الإسلام ٤ / ١٦١ ، والبداية والنهاية ٩ / ٩٢ ، والعقد النمين في تاريخ البلد الأمين ، لمحمد بن أحمد - تحقيق : السيد الطناحي - القاهرة ٦ / ٣١١ ، والنجوم الزاهرة ١ / ٢٤٧ ، وشذرات الذهب ١ / ١٠١ ، خزنة الأدب بتحقيق هارون ٢ / ٣٢ .

^٣ البيت في ديوان عمر بن أبي ربيعة ، من الطويل من قصيدة يقول في مطلعها :

أَلَا قَلِّ لِهِنْدٍ : إِحْرَجِي وَتَأْنَمِي وَلَا نَقْتُلِينِي ، لَا يَحِلُّ لَكُمْ دَمِي

وختمها بقوله : هَنِيئًا لَكُمْ قَتْلِي وَصَفُّ مَوَدَّتِي فَقَدْ سَيِّطَ مِنْ لَحْمِي هَوَاكِ وَمِنْ دَمِي

يُنظر : ديوان عمر بن أبي ربيعة ، دار صادر ط ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م / ٣٤٥ .

^٤ نصيب بن رباح ، أبو محجن ، الأموي بالولاء ، لأنه كان مولى عبد العزيز بن مروان ، وكان شاعراً فصيحاً مقدماً في المديح والنسيب له شهرة ذائعة ، وأخبار مع عبد العزيز بن مروان وسليمان بن عبد الملك والفرزدق وغيرهم . وكان يعد مع جرير وكثير عزة ، وسئل عنه جرير ، فقال : أشعر أهل جلدته ، وتتسك في أواخر عمره ، وكان له بنات ، من لونه ، امتنع عن تزويجهن للموالي ولم يتزوجهن العرب ، فقيل له : ما حال بناتك ؟ فقال : صببت عليهن من جلدي (بكسر الجيم) فكسدن علي ! قال الثعالبي : وصرن مثلاً للبنات يرضن بها أبوها فلا يرضى من يخطبها ولا يرغب فيها من يرضاه لها . توفي سنة ثمان مائة من الهجرة الموافق سنة ستة وعشرين وسبعمائة من الميلاد . يُنظر : الأعلام للزركلي ٨ / ٣١ .

وقال الله تعالى : ﴿ قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾^٢ ، فزعم قوم من العلماء أنَّهما تكلمتا حقيقة ، وقال آخرون إنَّهما لمَّا انقادتا لأمر الله عزَّ وجلَّ نُزِّلَ ذلك منزلة القول^٣ .

الكلام اصطلاحاً

هو القول المفيد ، أي القول الدال على معنى يحسن السكوت عليه ، نحو : ((زيد قائم)) ، و : ((قام أخوك)) ، بخلاف نحو : ((زيد)) ، و نحو : ((غلام زيد)) ، ونحو : ((الذي قام أبوه)) فلا يسمَّى شيء من هذا مفيداً ؛ لأنَّه لا يحسن السكوت عليه ، فلا يُسمَّى كلاماً^٤ .

فالكلام المفيد : هو عبارة عن تقرير أمر ما ، و إخبار عن قضية من القضايا ، أو الحديث عن أمر لم يحصل بعد ، لطلب تحقيقه ، أو للتهي عنه ، أولتمنييه ، أو للاستخبار والاستفهام عنه ، أو لمناداته .

وهذا كلُّه محصور في شيئين اثنين لا ثالث لهما ، وهما : إمَّا أن يكون خبراً ، أو

إنشاءً .

قال ابن هشام - رحمه الله - عن أقسام الكلام ، الكلام ينقسم إلى : ((خبر ، وطلب ، وإنشاء ، وأقول : هذا التقسيم تبعث فيه بعضهم ، والتحقق خلافه ، وأنَّ الكلام ينقسم إلى خبر ، وإنشاء فقط ، وأنَّ الطلب من أقسام الإنشاء ، وأنَّ مدلول ((فم)) حاصل عند التلقظ به لا يتأخر عنه ، وإنَّما يتأخر عنه الامتثال ، وهو خارج عن مدلول

^١ البيت في ديوان نصيب ، من بحر الطويل ، من أبيات يمدح فيها سليمان بن عبد الملك ، قال في مطلعها :
وأندر مولاه بأن وراءه تمام جلال هذبته التجارب .

وروي أيضا عن علي الغراب الصفاقي ، وعن حمودة بن عبد العزيز ، وعن محمد بن أحمد الورغي . يُنظر :
تاج العروس (حرث) ٥ / ٢١٤ ، و (ودد) ٩ / ٢٨٣ ، و لسان العرب (حدث) ٢ / ١٣١ ، و شرح شذور
الذهب / ٣٨ ، وإعجاز القرآن للباقلاني / ٧٧ ، والصناعتين / ٦٦ ، و نقد الشعر / ١٤ ، و سر الفصاحة /
٢١٤ ، والصناعتين الكتابة والشعر / ٢١٤ ، والمثل السائر ٢ / ١٩٧ ،

^٢ سورة فصلت / ١١ .

^٣ شرح شذور الذهب / ٣٣ - ٣٩ .

^٤ يُنظر : شرح شذور الذهب / ٣٣ .

اللفظ ، ولما اختصَّ هذا النوع بأنَّ إيجاد لفظه إيجاد لمعناه ، سُمِّي إنشاءً ، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّا أَنشَأْنَهُنَّ إِنشَاءً ﴾^١ ، أي : أوجدناهنَّ إيجاداً^٢ .

وقال السيوطي^٣ - رحمه الله - في الخبر والإنشاء : ((اعلم أنَّ الحدَّاق من النُّحاة ، وغيرهم ، وأهل البيان^٤ قاطبة ، على انحصار الكلام فيهما ، وأنَّه ليس له قسم ثالث ، وادَّعى قومٌ أنَّ أقسام الكلام عشرة : نداء ، ومسألة ، وأمر ، وتشفُّع ، وتعجُّب ، وقسم ، وشرط ، ووضع ، وشكٌّ ، واستفهام .

وقيل تسعة بإسقاط الاستفهام ؛ لدخوله في المسألة .

وقيل ثمانية بإسقاط التشفُّع ؛ لدخوله فيها ، وقيل سبعة بإسقاط الشكِّ ؛ لأنَّه من

قسم الخبر .

وقال الأخفش هي ستة : خبر ، واستخبار ، وأمر ، ونهي ، ونداء ، وتمنٍ^٥ .

^١ سورة الواقعة / ٣٥ .

^٢ شرح شذور الذهب / ٣٩ - ٤٠ .

^٣ عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد ابن سابق الدين الخضير السيوطي، جلال الدين ، إمام حافظ مؤرخ أديب . والسيوطي نسبة إلى أسيوط مدينة في صعيد مصر . عالم موسوعي في الحديث والتفسير واللغة والتاريخ والأدب والفقه وغيرها من العلوم . وُلد في القاهرة سنة تسع وأربعين وثمانمائة ونشأ فيها . رحل إلى الشام والحجاز واليمن والهند والمغرب ثم عاد إلى مصر فاستقر بها . تولى مناصب عدة . ولما بلغ الأربعين ، اعتزل في منزله ، وعكف على التصنيف . ذُكر له من المؤلفات نحو ٦٠٠ مؤلف . منها المجلدات الكبيرة ومنها الرسالة القصيرة ذات الورقة أو الوريقات . وذكر الأستاذ أحمد الشرقاوي في كتابه مكتبة الجلال السيوطي أن عدد مؤلفاته بلغ ٧٢٥ مصنفاً . من أشهر كتبه : الجامع الكبير ، الجامع الصغير في أحاديث النذير البشير ، الإتيقان في علوم القرآن ، الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، تنوير الحوالك في شرح موطأ الإمام مالك ، الخصائص والمعجزات النبوية ، طبقات الحفاظ ، طبقات المفسرين ، الأشباه والنظائر وهما كتابان باسم واحد أحدهما في اللغة ، والثاني في فروع الشافعية ، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة الفريدة ، وهي ألفية في النحو ، وله ألفية أخرى في مصطلح الحديث ، اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة ، همع الهوامع . وله مشاركات أدبية : شعر ومقامات . توفي بالقاهرة سنة إحدى عشر وتسعمائة . يُنظر : الأعلام للزركلي ٣ / ٣٠١ .

^٤ هو علم يعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة على المقصود ، أي : ملكة ، وهيئة راسخة في النَّفس يقتدر بها على إدراكات جزئية ، أو أصول وقواعد معلومة ، يُعرف بها إيراد وتأدية المعنى الواحد الدلول عليه بكلام مطابق لمقتضى الحال بطرق ، أي : بتراكيب مختلفة في وضوح الدلالة على ذلك المعنى .

^٥ وزاد سلمة بن مسلم العوتبي أربعة فصارت عشرة وهي : الخبر والاستخبار والاستفهام والدُّعاء والتَّمَنِّي والأمر والنَّهْي والطلب والتعجُّب والعرض . ينظر : الأبانة / ١ - ٥٣ - ٥٤ .

- وقال بعضهم خمسة : خبر ، وأمر ، وتصريح ، وطلب ، ونداء .
 وقال قوم أربعة : خبر ، واستخبار ، وطلب ، ونداء .
 وقال كثيرون ثلاثة : خبر ، وطلب ، وإنشاء ، قالوا : لأنَّ الكلام إمَّا أنْ يحتمل
 التَّصديق ، والتَّكذيب ، أوْ لا ؛ الأوَّل الخبر ، والثَّاني إنْ اقترنَ معناه بلفظه ، فهو الإنشاء
 ، وإنْ لم يقترنْ ، بل تأخَّر عنه فهو الطَّلَب^١ .
 والمحقِّقون على دخول الطَّلَب في الإنشاء ، وأنَّ معنى ((اضْرِب)) ، مثلاً -
 وهو طلب - الضَّرْب مقترن بلفظه ، وأمَّا ((الضَّرْب)) الذي يوجد بعد ذلك ، فهو متعلِّق
 الطَّلَب ، لا نفسه))^٢ .
 قال السَّكَّاکي - رحمه الله - : ((والسَّابِق في الاعتبار في كلام العرب شيئان :
 الخبر ، والطَّلَب المنحصر بحكم الاستقرار))^٣ .
 قال الخطيب القزويني^١ - رحمه الله - : ((ووجه الحصر أنَّ الكلام : إمَّا خبر ،
 أو إنشاء ؛ لأنَّه إمَّا أن يكون لنسبته خارج تطابقه ، أو لا تطابقه ، أو لا يكون لها خارج ،
 الأوَّل الخبر ، والثَّاني الإنشاء))^٢ .

^١ يختلف العلماء في تقسيم الكلام ؛ فيذهب بعضهم إلى أنه ينقسم إلى ثلاثة أقسام : خبر وطلب وإنشاء ، وبيان ذلك على ما أشار إليه المؤلف أنَّ الكلام إن كان في ذاته يصحُّ أن يقال عنه إنَّه صدق أو كذب ؛ فهو الخبر وإن كان لا يصحُّ أن يقال فيه ذلك ، فإن كان يدلُّ بالوضع على أنَّ المتكلِّم به طالب لمضمونه من المخاطب ، فإنَّه يسمَّى طلباً ، وذلك يشمل ثلاثة أنواع وهي : الأمر ، والنَّهي ، والاستفهام ؛ لأنَّ المتكلِّم بالأمر نحو : " اكتب " ، و " لتكتب " يطلب من مخاطبه طلباً جازماً أن يحدث الكتابة مثلاً ، ولأنَّ المتكلِّم بالنَّهي ، نحو : " لا تلعب " طالب من مخاطبه ترك اللَّعب طلباً جازماً ؛ ولأنَّ المتكلِّم بالاستفهام نحو : " أزيد عندك ؟ " طالب من مخاطبه أن ينبئه عن مضمون هذا الكلام ، وإن كان الكلام لا يصحُّ أن يخبر عنه بأنَّه صدق أو كذب ، وكان مع ذلك لا يدلُّ بالوضع على أنَّ المتكلِّم به طالب من المخاطب شيئاً ، فهو الإنشاء . وهذا الإنشاء ينقسم إلى قسمين ؛ وذلك لأنَّه إمَّا أن يدلُّ بدلالة الالتزام على الطَّلَب ، وإمَّا ألا يدلُّ على الطَّلَب أصلاً ، لا بالوضع ، ولا بالالتزام ، والنُّوع الأوَّل من هذين يشمل : العرض ، والتَّحضيض ، والتَّمني ، والرَّجاء ، والنداء ، والجملة الأولى من جملتي القسم ، والنُّوع الثَّاني يختصُّ بالجملة الخبرية المستعملة في الإنشاء ، مثل صيغ العقود ، كبعث واشترت ، ووهبت ، وتزوَّجت ، وقبلت ، وهذا التَّقسيم غير مرضيٍّ عند محقِّقي العلماء ، وعندهم أنَّ الكلام ينقسم إلى قسمين لا ثالث لهما ؛ وأنَّه إمَّا خبر ، وإمَّا إنشاء . ((شرح شذور الذهب لابن هشام ، ومعه كتاب منتهى الإرب تأليف / محمَّد محي الدِّين عبد الحميد ١ / ٥٣ - ٥٤ الهامش .

^٢ الإتيان في علوم القرآن ، لجلال الدِّين السيوطي ط ٣ ١٣٢٧ هـ - ١٩٥١ م - شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر ٢ / ٢٠٣ ، وينظر : همع الهوامع ١ / ٤٦ - ٤٧ .
^٣ مفتاح العلوم / ٧٨ .

وقد شرح هذا الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي ، فقال : ((إنَّ الكلام لا محالة ، يشتمل على نسبة تامّة بين الطرفين قائمة بنفس المتكلم ، وهي تعلق أحد الشئيين - أي : الطرفين : المسند أو المسند إليه - بالآخر ، بحيث يصح السكوت على التعلُّق ، سواء كان ذلك التعلُّق إيجابياً ، أو سلبياً (وهذا لا يكون إلا في الخبر ، بخلاف الإنشاء ، فلا يتَّصف بإيجاب ولا بسلب ؛ لأنَّهما من أنواع الحكم ، والإنشاء ليس بحكم ، بل هو إيجاد معنى بلفظ يقارنه في الوجود) أو غيرهما كما في الإنشائيات .

والمراد بالتعلُّق ما يشمل النسبة الحكمية - أعني ثبوت المحمول للموضوع - وما يشمل النسبة الإنشائية . والمراد بالإيجاب إدراك الثبوت ، أي : إنَّه مطابق للواقع أو غير مطابق ، وبالسلب عكسه ، فهو إدراك الانتقاء ، أي : أنَّه مطابق للواقع أو غير مطابق . . . وتفسير النسبة بإيقاع المحكوم به على المحكوم عليه ، أو سلبه عنه خطأ في هذا المقام ؛ لأنَّه لا يشمل النسبة في الكلام الإنشائي ، فلا يصحُّ التقسيم))^٣ .

إذن ينحصر الكلام في قسمين لا ثالث لهما ، وهما : الخبر والإنشاء .
فأيُّ كلام مفيد تنطق به لا يخلو من أن يكون أحد أمرين ، فإمَّا أن نقرّر أمراً من الأمور ، ونخبر عن قضية من القضايا ، أو أن نتحدّث عن أمر لم يحصل بعد ؛ نطلب تحقيقة ، أو ننهي عنه ، أو نتمناه ، أو نستخبر عنه ، أو نناديه .

فالقسم الأول : هو الخبر ، أو الأسلوب الخبري ، فهو يحتمل - لذات الكلام لا لمقتضيات أخرى - أن يقال فيه هو مطابق للواقع ، أو غير مطابق للواقع .
والقسم الثاني : هو الإنشاء ، أو الأسلوب الإنشائي ، فهو لا يحتمل أن يقال فيه هو مطابق للواقع ، أو غير مطابق للواقع ، باعتبار منطوقه ، لا باعتبار دلالاته اللزومية .

^١ محمّد بن عبد الرحمن بن عمر بن أحمد العجلي القزويني جلال الدين أبو المعالي بن سعد الدين بن أبي القاسم بن إمام الدين الشافعي العلامة . ولد سنة ست وستين وسئتين وسئمانه هجرية ، له مصنّفات في المعاني ، وله مصنّف مشهور اسمه التلخيص اختصر فيه المفتاح للسكّاكي ، وله إيضاح التلخيص ، والسور المرجاني من شعر الأرجاني ، توفي - رحمه الله - سنة تسع وثلاثين وسبعمئة هجرية . يُنظر : الدرر : ٤ / ٣ - ٤ ، والبداية والنّهاية لابن كثير - ط دار الفكر ١٤ / ١٨٥ ، و بغيّة الوعاة ١ / ١٥٦ - ١٥٧ ، و مفتاح السعادة ١ / ١٩٤ ، والأعلام ٦ / ١٩٢ ، وكشف الظنون ١ / ٤٧٣ .

^٢ الإيضاح في علوم البلاغة ١ / ٥٥-٥٦ .

^٣ الإيضاح في علوم البلاغة ١ / ٥٦ .

الأسلوب الإنشائي

والأسلوب الإنشائي : هو الذي لا يحتمل الصدق والكذب لذاته ؛ لأنَّ أساليب الإنشاء الهدف منها ، والمقصد هو إيجاد الشيء ، وإنشاء المعاني ، وصوغها ابتداءً ؛ ليطلب بها مطلوباً معيناً ، وهذا لا يعني أنه ليس لمفهوم الأسلوب الإنشائي واقع يوافقه ، أو يخالفه ، بل له واقع خارج نطاق العبارة (وهو قيام المعنى الإنشائي من تمنٍ ، أو أمرٍ ، أو نهْيٍ ، أو استفهامٍ ، أو نداءٍ في نفس المتكلم) له واقع في ذهن المتكلم به ، ولكن لا يقصد موافقة مفهوم الأسلوب الإنشائي لهذا الواقع الخارجي الكائن في ذهن المتكلم ، أو عدم موافقته ، بل منها إنشاء المعنى وابتدائه .

فقولك مثلاً ((سِرْ عَلَى الطَّرِيقِ)) ، و ((اتَّبِعِ الْمَنْهَجَ الْقَوِيمَ)) ، و ((لَا تَنْتَرِكِ الصَّلَاةَ)) ، و ((لَا تَشْرَبِ الْخَمْرَ)) . و ((أَيْنَ الْخَلْلُ ؟)) ، و ((مَا السَّبَبُ ؟)) ، و ((لَيْتَ السَّمَاءَ تَدْنُو)) . و ((يَا جَيْشَ مُحَمَّدٍ)) . و ((يَا خَيْلَ اللَّهِ ازْكَبِي)) هذه أساليب إنشائية القصد منها إحداث الشيء ، وإيجاده ابتداءً ، ولا يقصد وصفها بالصدق أو الكذب .^١

قال السَّكَّانِي - رحمه الله - : وَأَمَّا الطَّلْبُ فَلَأَنَّ كُلَّ أَحَدٍ يَتَمَنَّى ، وَيَسْتَفْهِمُ ، وَيَأْمُرُ ، وَيَنْهَى ، وَيُنَادِي ، يُوْجِدُ كَلَامًا مِنْ ذَلِكَ فِي مَوْضِعٍ نَفْسُهُ عَنْ عِلْمٍ ، وَكُلِّ وَاحِدٍ مِنْ ذَلِكَ طَلْبٌ مَخْصُوصٌ ، وَالْعِلْمُ بِالطَّلْبِ الْمَخْصُوصِ مَسْبُوقٌ بِالْعِلْمِ بِنَفْسِ الطَّلْبِ ، ثُمَّ إِنَّ الْخَبْرَ ، وَالطَّلْبَ بَعْدَ افْتِرَاقِهَا بِحَقِيقَتِهِمَا يَفْتَرِقَانِ . بِاللَّازِمِ الْمَشْهُورِ ، وَهُوَ احْتِمَالُ الصِّدْقِ ، وَالْكَذْبِ .^٢

وتستطيع أن تدرك ذلك عندما تتأمل الأسلوب الإنشائي ، وتقرن بينه وبين الأسلوب الخبري .

^١ يُنظَرُ : مفتاح العلوم / ٧٩ ، والمطول / ١٧١ ، وحاشية المنياوي / ٣١ . ٣٢ ، والبلاغة العربية أسسها ، وعلومها ، وفنونها / ١٦٧ . ١٦٨ ، وعلم المعاني دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني / ١ / ٣١ ، ٢ / ٦٣ ، والبلاغة فنونها وأفانها ، الدكتور فضل حسن عباس - دار الفرقان - ط ٣ ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م / ١٠٠ . ١٠١ .

^٢ مفتاح العلوم / ٧٩ .

فمثلاً قوله ﷺ : ﴿ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ ﴾^١ ، وقوله ﷺ : ﴿ وَأَتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴾^٢ ، وقوله ﷺ : ﴿ سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ ﴾^٣ ، وقوله ﷺ : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾^٤ ، وقوله ﷺ : ﴿ وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴾^٥ ، فنجد المعنى في هذه الآيات مبني على الإخبار عن أشياء تحتمل الصدق ، أو الكذب لذاتها بغض النظر عن قائلها .

وأما قوله ﷺ : ﴿ وَيَشْرُ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾^٦ ، وقوله ﷺ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾^٧ ، وقوله ﷺ : ﴿ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكَ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾^٨ ، وقوله ﷺ : ﴿ يَا مُوسَى لَا تَخَفْ ﴾^٩ ، وقوله ﷺ : ﴿ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴾^{١٠} ، و ﷺ : ﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ﴾^{١١} ، وقوله ﷺ : ﴿ وَلَا تَصْعَرَ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾^{١٢} ، فنجد المعاني في هذه الآيات المراد منها إنشاء الأمر ، أو النهي ، أو التمني ، أو النداء ، أو الاستفهام ، مع إيجاد النسبة ، وإيقاعها دون قصد إلى المطابقة لما في نفس القائل ، أو عدم المطابقة ، ولذا نجد المعاني الإنشائية قد ترد في أسلوب الخبر ، كقولهم

^١ الكهف / ١٨ .

^٢ سورة النساء / ١٢٥ .

^٣ سورة آل عمران / ١٥١ .

^٤ النور / ٥٥ .

^٥ الشورى / ٢٦ .

^٦ سورة البقرة / من ١٥٥ - ١٥٦ .

^٧ آل عمران / ٢٠٠ .

^٨ هود / ٤٤ .

^٩ النمل / ١٠ .

^{١٠} يس / ٢٦ .

^{١١} الرحمن / ٦٠ .

^{١٢} لقمان / ١٨ .

: ((رَحِمَ اللهُ مُحَمَّدًا)) ، ((عَفَرَ اللهُ لَهُ)) ، ((فَرَّجَ اللهُ عَنْكَ)) ، ((أَثَابَهُمُ اللهُ)) ، وكقوله ﷺ : ((لا يجتمع دينان في جزيرة العرب))^{١ ٢ ١} .

وقوله ﷺ : ﴿ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبَلْتَهُمْ ﴾^٣ ، أي لا تتبع قبلتهم ، و نحو قوله ﷺ : ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا ﴾^٤ ، فهذه كلها معاني إنشائية جاءت بأساليب خبرية ، ولكن المراد منها الإنشاء .

كما أنَّ المعاني الخبرية قد ترد في الأسلوب الإنشائي : نحو قوله ﷺ : ﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾^٥ ، و نحو قوله ﷺ : ((مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا ، فَلْيَتَّبِعُوا مَفْعَدَهُ مِنَ النَّارِ))^٦ ، فهذه معاني خبرية جاءت بأساليب إنشائية .
ولك أن تخبر عن أساليب الإنشاء ، فتقول : ((تَمَنَّيْتُ لَكَ الْخَيْرَ)) ، و ((أَمَرْتُ خَالِدًا بِالْمَعْرُوفِ)) ، و ((نَهَيْتُهُ عَنِ الْمُنْكَرِ)) ، و ((اسْتَفْهَمْتُ عَنْ مَوْعِدِ الْاِخْتِبَارِ)) ، و ((نَادَيْتُ عَمْرًا ، فَأَقْبَلَ إِلَيَّ)) ، و ((رَجَوْتُ لَكَ الْخَيْرَ وَالصَّلَاحَ)) ، و ((أَفْسَمْتُ بِاللهِ أَنْ أَبْرَّ وَالِدِي)) ، و عندئذ يأخذ الأسلوب طابع الحكاية و الخبر ، فيكون كلاماً يحتمل الصدق و الكذب .

^١ رواه مالك - رحمه الله - في موطأه عن ابن شهاب ينظر : الموطأ ٢ / ٨٩٢ ، وشرح الزرقاني ٤ / ٢٩٢ ،

والتَّمْهِيدُ لابن عبد البر ٦ / ٤٦٣ ، و ١٢ / ١٣ ، ومصنَّف ابن أبي شيبة ٦ / ٤٦٨ ، ومصنَّف عبد الرَّزَّاقِ

١٠ / ٣٥٩ ، و سنن البيهقي ٦ / ٢٠٨ ، وغيرها .

^٢ ينظر مفتاح العلوم / ١٤٥ - ١٤٧ .

^٣ البقرة / ١٤٥ .

^٤ البقرة / ١٢٥ .

^٥ الأعراف / ٢٩ .

^٦ رواه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة - رضي الله عنه - ، ينظر : صحيح مسلم ١ / ١٠ ، صحيح البخاري

١ / ٥٢ ، ٤٣٤ ، سنن الترمذي ٥ / ٥٣ ، ٣٦ ، ٦٣٤ ، صحيح ابن حبان ١ / ٢١٤ .

الأسلوب الخبري

فالأسلوب الخبري : هو الذي يحتمل الصدق والكذب لذاته ، نحو قولنا : ((قرأ محمد)) ، فهذه جملة أفادت نسبة القراءة إلى محمد ، والحكم به عليه . فإن وافق ذلك الكلام الواقع كان الخبر صادقاً ، ووصف الكلام بالصدق ، وإن خالفه كان الخبر كاذباً ، ووصف الكلام بالكذب .

وكذا قولنا : ((ما قرأ محمد)) أفاد الكلام نفي القراءة عن محمد ، فإن وافق ذلك الواقع وصف الكلام بالصدق ، وإن خالفه وصف بالكذب .
وقد يوصف الخبر بالصدق فحسب ، أو بالكذب فقط ، ولكن هذا ليس لذات الكلام من حيث هو كلام خبري ، وإنما باعتبار أسباب أخرى خارجة عن نطاق الجملة تؤيد صدقه أو كذبه .

فأخبار القرآن لا تحتمل إلا الصدق باعتبارها كلام الله ﷻ وإن كانت تحتمل الصدق والكذب من حيث هي أخبار بصرف النظر عن قائلها ، وكذلك ما صح عن رسول الله ﷺ ، وأي كلام نجزم بصدق قائله .
وقول اليهود : ((عزير ابن الله)) ، وقول النصارى : ((المسيح ابن الله)) ، وقول المشركين : ((الملائكة بنات الله)) ، وادعاء الكذابين بأنهم أنبياء الله ، وادعاء اليهود بأن فلسطين لهم ، كلام لا يحتمل إلا الكذب ؛ لأن الواقع يكذبه ، ويبطله ، وإن كانت تحتمل الصدق والكذب من حيث هي أخبار ، وكذا كل كلام نحن على يقين من كذب قائله .

ولذا وضع العلماء قيماً آخر في تعريف الخبر ، فقالوا : ما احتتمل الصدق والكذب لذاته . أي لذات الخبر نفسه^١ .

^١ مفتاح العلوم / ٧٨ . ٧٩ ، والمطول / ١٧١ ، وحاشية المنياوي على شرح الدمنهوري لمتن الجوهر المكنون / ٣٠ . ٣٢ ، والبلاغة العربية أسسها ، وعلومها وفنونها لعبد الرحمن حسن حبنكة الميداني ط . دار القلم ، الدار الشامية ١ / ١٦٦ ، وعلم المعاني دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني ٢ / ٦٢ ، والبلاغة وأفانها / ٩٩ .

وقال السيوطي - رحمه الله - في حدّ الخبر : ((وقد اختلف النَّاسُ في حدّ الخبر ، فقيل لا يُحدُّ ؛ لعسره • وقيل لأنَّه ضروريّ ، لأنَّ الإنسانَ يفرِّقُ بين الإنشاء ، والخبر ضرورة ، ورجَّحه الإمام في المحصول^١ ، والأكثر على حدّه •

قال القاضي أبو بكر بن الطَّيِّب ، والمعتزلة : ((الخبر الكلام الذي يدخله الصِّدْق ، والكذب)) ، فأورد عليه خبر الله تعالى ، فإنَّه لا يكون إلا صادقاً ، فأجاب القاضي بأنَّه يصحُّ دخوله لغة •

وقيل الذي يدخله التَّصديق ، والتَّكذيب ، وهو سالم من الإيراد المذكور •
وقال أبو الحسن البصري^٢ - رحمه الله - : ((كلام يفيد بنفسه نسبة))^٣ ، فأورد عليه نحو : ((فَمُ)) ، فإنَّه يَدْخُلُ في الحدِّ ؛ لأنَّ القيام منسوب ، والطَّلب منسوب •
وقيل : الكلام المفيد بنفسه إضافة أمر من الأمور ، إلى أمر من الأمور نفيًا ، أو إثباتًا •

وقيل : القول المقتضي بصريحه نسبة معلوم إلى معلوم بالنفي ، والإثبات •
وقال المتأخرون : الإنشاء ما يحصل مدلوله في الخارج بالكلام ، والخبر خلافه •

وقال بعض من جعل الأقسام ثلاثة : الكلام إن أفاد بالوضع طلباً ، فلا يخلو ؛ إمَّا أن يكون بطلب ذكر الماهية ، أو تحصيلها ، أو الكفِّ عنها ، والأوَّل الاستفهام ، والثَّاني الأمر ، والثَّالث النَّهي • وإن لم يفد طلباً بالوضع ، فإن لم يحتمل الصِّدْق ، والكذب سُمِّيَ تنبيهاً ، وإنشاءً ؛ لأنَّك نَبَّهت به على مقصودك ، وأنشأته ، أي ابتكرته من غير أن يكون موجوداً في الخارج ، سواء أفاد طلباً باللازم ، كالتمنِّي ، والترجِّي ، والنِّداء ، والقسم ، أم لا ، ك((أنتِ طَالِقٌ)) ، وإن احتملها من حيث هو ، فهو الخبر))^٤ •

١ لأبي عبدالله ، محمد بن عمر الرَّايزي ، صاحب تفسير مفاتيح الغيب •

٢ سعيد بن مسعدة المجاشعي بالولاء ، البلخي ثم البصري ، أبو الحسن ، المعروف بالاخفش الاوسط ، توفِّي سنة خمس عشرة من الهجرة ، الموافق ثلاثين وثمانمائة من الميلاد . يُنظَر : الأعلام للزركلي ٣ / ١٠١ .

٣ يُنظَر : الكليات / ٤١٥ ، و الإتيان في علوم القرآن ٢ / ٢٠٤ ، والإحكام في أصول القرآن / ١١١ .

٤ الإتيان ٢ / ٢٠٣ - ٢٠٤ •

المبحث الثاني

الجملة الإنشائية

الجملة المفيدة تنقسم إلى قسمين هما :

الجملة الإنشائية ، والجملة الخبرية .

أولاً - الجملة الإنشائية

معنى الجملة الإنشائية

الإنشاء لغة :

الإيجاد والاختراع ، فتقول : **أَنْشَأَ اللَّهُ خَلْقَهُ ، وَنَشَأَ يَنْشَأُ نَشْأً وَنُشُوءاً وَنَشَاءً وَنَشَاءً وَنَشَاءَ حَيِي ، وَأَنْشَأَ اللَّهُ الْخَلْقَ ، أَي ابْتَدَأَ خَلْفَهُمْ** ^١ .

الإنشاء اصطلاحاً : له معنيان :

١ . **المعنى المصدرى** : وهو إلقاء الكلام الذي ليس لنسبته خارج تطابقه أو لا تطابقه .
أي : ابتداء كلام ليس له واقع يصدقه ، أو يكذبه ، كقولك : اجتهد ، اكتب ، امش ، صل ، وغير ذلك ^٢ .

٢ . **المعنى الاسمي** : وهو نفس الكلام الملقى الذي له الصفة المتقدمة ^٣ .

والجملة الإنشائية : هي التي لا تحتمل الصدق والكذب لذاتها ، لأنه ليس لمدلول لفظها قبل النطق به وجود خارجي يطابقه ، أو لا يطابقه ^٤ .

فالجملـة الإنشائية :

هي الجملة التي لم تشتمل على خبر ، وإنما أنشأ النطق بها حدثاً ما ، كإنشاء طلب الفعل ، نحو قوله ﷺ : ﴿ **وَعَاتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تَبْذُرْ تَبْذِيرًا** ﴾ ^٥

^١ يُنْظَرُ : لسان العرب (نشأ) ١ / ١٧٠ ، والتعاريف / ٩٩ ، والخاصة في علوم البلاغة / ٨ .

^٢ يُنْظَرُ : التعاريف / ٩٩ ، والتعريفات / ٥٦ ، والحدود الأنيقة / ٧٤ ، والخاصة في علوم البلاغة / ٨ .

^٣ يُنْظَرُ : الإيضاح في علوم البلاغة ٣ / ٥١ الهامش ، والمطول / ٤٠٦ ، وجواهر البلاغة / ٦٩ ، وعلوم

البلاغة / ٥٩ ، وعلم المعاني / ٦٩ ، والبلاغة فنونها وأفانها / ١٤٧ .

^٤ يُنْظَرُ : التعاريف / ٩٩ ، والتعريفات / ٥٦ .

^٥ سورة الإسراء / ٢٦ .

، ونحو قوله ﷺ : ﴿ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾^١
 ، ونحو قوله ﷺ : ﴿ قُلْ أَدْعُوا الَّذِينَ رَعِمْتُمْ مِّنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضَّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴾^٢
 ، ونحو قوله ﷺ : ﴿ وَأَسْتَفْزِرُّ مَنِ اسْتَنْطَعَتْ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكِهِمْ
 فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدَّتِهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴾^٣ ، ونحو قوله ﷺ : ﴿ أَقِمِ الصَّلَاةَ
 لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴾^٤ ، ونحو قوله ﷺ :
 ﴿ وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَأَجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا * وَقُلْ جَاءَ
 الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾^٥ .

ونحو قولك لطلابك : ((اجتهدوا في دراستكم)) ، أو ((ثابروا ، ولا تتكاسلوا)) ، أو ((اقرؤوا كثيرا)) ، أو ((لا تضيعوا أوقاتكم سدا)) ، أو ((اجتنبوا قراء السوء)) .

وكإنشاء طلب الفهم ، إذا قلت لمعلمك : ((هل هذا هو المطلوب ؟)) ، أو ((هل أقرأ
 هذا الكتاب ؟)) ، أو ((كيف حل هذه المسألة ؟)) ، أو ((ما حقيقة هذا الموضوع ؟)) .

أو كإنشاء طلب النهي ، نحو قوله ﷺ : ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا
 تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾^٦ ، ونحو قوله ﷺ : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ
 نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا * وَلَا تَقْرَبُوا الزَّوْجَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا * وَلَا
 تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا فَلَا يَسْرِفُ فِي الْقَتْلِ
 إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا * وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ
 كَانَ مَسْئُولًا ﴾^٧ ، ونحو قوله ﷺ : ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ

^١ سورة الإسراء / ٣٥ .

^٢ سورة الإسراء / ٥٦ .

^٣ سورة الإسراء / ٦٤ .

^٤ سورة الإسراء / ٧٨ .

^٥ سورة الإسراء / ٨٠ - ٨١ .

^٦ سورة الإسراء / ٢٩ .

^٧ سورة الإسراء / ٣١ - ٣٤ .

أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا * وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا ﴿١﴾

أو كإشياء طلب النداء ، نحو قوله ﷺ : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾^٢ ، ونحو قوله ﷺ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا أَنْظِرْنَا وَاسْمِعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾^٣ ، ونحو قوله ﷺ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾^٤ ، ونحو قوله ﷺ : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾^٥ ، ونحو قوله ﷺ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾^٦ ، ونحو قوله ﷺ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾^٧ ، ونحو قوله ﷺ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْخُلُوا فِي السَّلْمِ كَأَفْهٍ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾^٨ ، ونحو قوله ﷺ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ ﴾^٩ ، ونحو قوله ﷺ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِّنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾^{١٠} ، ونحو قوله ﷺ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾^{١١} ، ونحو ذلك^{١٢} .

^١ سورة الإسراء / ٣٦ - ٣٧ .

^٢ سورة البقرة / ٢١ .

^٣ سورة البقرة / ١٠٤ .

^٤ سورة البقرة / ١٥٣ .

^٥ سورة البقرة / ١٦٨ .

^٦ سورة البقرة / ١٧٢ .

^٧ سورة البقرة / ١٨٣ .

^٨ سورة البقرة / ٢٠٨ .

^٩ سورة آل عمران / ١٠٠ .

^{١٠} سورة النساء / ٢٩ .

^{١١} سورة الأنفال / ٢٧ .

^{١٢} يُنظر : البلاغة العربية أسسها ، وعلومها ، وفنونها / ١ / ١٦٧ .

الجملة الإنشائية الطلبية

تنقسم الجملة الإنشائية إلى : إنشائية طلبية ، و إنشائية غير طلبية .

أولاً - الجملة الإنشائية الطلبية :

هي الجملة التي يستدعي كلامها شيئاً غير حاصل عند النطق ، نحو قوله ﷺ : ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾^١ ، فهذه الجملة الثلاث كلها طلبية ؛ لأن الله ﷻ طلب من نبيه أن يفعل هذه الأوامر بعد قولها ، فهي مطلوبة منه بعد القول . فهو غير حاصل حال التلفظ به .

ونحو قوله ﷻ : ﴿ وَلَا تَصْعَرَ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرْحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾^٢ . فجملة ﴿ لَا تَصْعَرَ خَدَّكَ لِلنَّاسِ ﴾ ، و جملة ﴿ لَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرْحًا ﴾ جملتان إنشائيتان ، فهذا خطاب مطلوب فعله بعد التلفظ به .

أنواع الإنشاء الطلبي

الإنشاء الطلبي خمسة أنواع ، وهي :

١. التمني : نحو قوله ﷻ : ﴿ يَلَيْتُ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قُرُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾^٣ .
- ونحو قوله ﷻ : ﴿ لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ * أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعُ إِلَى اللَّهِ مُوسِيًّا ﴾^٤ .
٢. الاستفهام : نحو قوله ﷻ : ﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ﴾^٥ .
٣. الأمر : نحو قوله ﷻ : ﴿ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْتًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنُتْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نَعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾^٦ .

^١ سورة الأعراف / ١٩٩ .

^٢ سورة لقمان / ١٨ .

^٣ سور القصص / ٧٩ .

^٤ سور غافر / ٣٦-٣٧ .

^٥ سور الرحمن / ٦٠ .

^٦ سورة ص / ٤٤ .

٤. النهي : ﴿ وَعَاتِذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تَبْذُرْ تَبْذِيرًا ﴾^١ . فالنهي قوله : ﴿ لَا تَبْذُرْ تَبْذِيرًا ﴾ .

٥. النداء : نحو قوله ﷺ : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾^٢ .

هذه أنواع الجمل الطلبية الإنشائية ، وكل جملة منها لا تحتل صدقاً ولا كذباً ، وإنما يطلب بها حصول شيء لم يكن حاصلًا وقت الطلب ، لذا يسمّى الإنشاء فيها طلبياً .

ويمكن أن نسترسل في بعض منها ، كنموذج ، على النحو التالي :

أولاً - التمني :

((وهو طلب حصول شيء على سبيل المحبة))^٣ مع نفي الطماعية في تحقيق ذلك الشيء . فمن خلال التعريف يخرج ما لا يشترط فيه المحبة كـ (الأمر ، والنهي ، والنداء ، والرجاء) بناءً على أنه طلب ، و لكن لا تشترط فيه المحبة ، ويخرج الرجاء لنفي الطماعية من تحقق الشيء .

فهو طلب حصول الشيء المحبوب دون أن يكون لك طمع ، وتقرب في حصوله ؛ لأن الشيء الذي تحبه إن كان قريب الحصول مترقب الوقوع كان (ترجياً) ، ولا يسمّى (تمنياً) ، و (الترجي) ليس من أقسام الإنشاء الطلبية ؛ لأنه ترقب حصول الشيء ، فهو ليس طلب ، أمّا (التمني) فهو طلب حصول الشيء .

و (التمني) : هو طلب الشيء المحبوب ، وقد يكون ممكناً ، وقد يكون مستحيلاً ؛ لأن الإنسان كثيراً ما يحبّ المحال ويطلبه ، ولكن إذا كان ممكناً يجب أن لا يكون لك توقع ، وطماعية في وقوعه ، أمّا إذا كان الأمر المحبوب الممكن مما يرجى حصوله كان طلبه ترجياً ، ويعبر فيه بـ (عسى ، أو لعل) ، نحو قوله ﷺ : ﴿ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسْرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِنْدِهِ فَيُضْبِحُوا

^١ سورة الإسراء / ٢٦ .

^٢ سورة آل عمران / ٦٥ .

^٣ المطول / ٤٠٧ .

عَلَى مَا أَسْرَوْا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ ﴿١﴾ ، و نحو قوله ﷺ : ﴿ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا ﴾ ٢ .

ونحو قوله ﷺ : ﴿ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي ﴾ ٣ .

فمن خلال ذلك يتضح الفرق بين (التمني) و (الترجي) ، فـ (التمني) : طلب أمر محبوب لا يرجى حصوله : إما لكونه مستحيلًا ، وإما لكونه ممكنًا غير مطموع في نيله ٤ .

وإما (الترجي) : فهو طلب حصول الشيء المحبوب المترقب الوقوع ٥ .

أدوات التمني

للتَّـمَنِّي أربع أدواتٍ ، واحدة أصلية ، وهي (لَيْتَ) ، وثلاث أخرى غير أصلية وهي : (هَلْ ، و لَأَ ، و لَعَلَّ) ، ويُتمنى بها لأغراض بلاغية ٥ .
قال الخطيب القزويني - رحمه الله - : ((واللَّفْظُ الموضوع له : (لَيْتَ) ، ولا يشترط في (التَّمَنِّي) الإمكان تقول : ((لَيْتَ زَيْدًا يَجِيءُ)) ، و ((لَيْتَ الشَّبَابَ يَعُودُ)) ٦
قال الشاعر :

١ سورة المائدة / ٥٢ .

٢ سورة الطلاق / ١ .

٣ سورة الفجر / ٢٤ .

٤ يُنظَر : الإيضاح في علوم البلاغة ٣/ ٥٢ - ٥٣ ، والمطوّل / ٤٠٧ ، وجواهر البلاغة / ٨٧ ، وعلوم البلاغة / ٦٠ - ٦١ ، و علم المعاني / ١١١ - ١١٢ ، والبلاغة فنونها وأفانها / ١٥٦ - ١٥٧ .

٥ وقد عدّه الشيخ أحمد فلاح في تيسير البلاغة من نوع الإنشاء الطلبي ، ومثّل له بقوله - سبحانه وتعالى - : ((أَكْرَمِي مَنْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا)) سورة يوسف : من الآية / ٢١٠ . ينظر : تيسير البلاغة / ٢٣ .

والذي أراه - والله أعلم - غير ذلك ؛ لأنه - كما سبق - ترقّب حصول الشيء ، فهو ليس طلب

٦ كما في قول أبي العتاهية :

فيا ليت الشباب يعود يوماً فأخبره بما فعل المشيب

البيت في ديوان أبي العتاهية ، وفي رواية (بما صنع المشيب) ، وهو من مجموعة أبيات بدأها بقوله

: بكيت على الشباب بدمع عيني فلم يغن البكاء ولا النحيب .

يَا لَيْتَ أَيَّامَ الصَّبَا رَوَّاجِعًا^١ . ٢

ولذا كثر مجيئها في كتاب الله ، نحو قوله ﷺ : ﴿ وَلَئِنِ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَلَيْتِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾^٣ ، و نحو قوله ﷺ : ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذَّبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾^٤ ، و نحو قوله ﷺ : ﴿ وَأَحْيَيْتَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِبَةٌ عَلَى غُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَلَيْتِي لِمَ أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ﴾^٥ وغير هذا من الأمثلة الكثير ، ونكتفي بذلك^٦ .

هذا هو التَّمَنِي بالحرف الأصلي ، وهناك أدوات أخرى للتَّمَنِي خرجوا بها عن أصل وضعها ، وهي : (هل ، ولا ، ولعل) ، وركبت من (هل ، ولا) : (هلاً) ، و (لولا) ، و (لوما) - ومعروف أن : (هل) حرف استفهام ، و (لو) حرف شرط ، يفيد امتناع الجواب لامتناع الشرط ، و (لعل) حرف ترجي - ويتمنى بها لأغراض بلاغية ، فالغرض البلاغي من وراء التَّمَنِي بـ (هل) ، و (لعل) هو : إبراز المتمنى المستحيل ، وإظهاره في صورة الممكن القريب الحصول ، لكمال العناية به ، والشوق إليه .
والغرض البلاغي من استعمال (لو) في التَّمَنِي ، هو الإشعار بعزة المتمنى ، وقدرته ، أن المتكلم يظهره في صورة الممنوع ، إذ أن (لو) تدلّ بأصل وضعها على امتناع الجواب لامتناع الشرط^٧ .

^١ هذا شطر من الرجز للعجاج بن رؤبة . ديوانه بتحقيق سعدي ضناوي / ٤٠٥ ، ونسبه ابن يعيش في شرح المفصل لرؤبة ١ / ١٠٤ . وهذا البيت من الشواهد المشهورة عند النحويين ، وهو من شواهد سيبويه - رحمه الله - . الكتاب ٢ / ١٤٢ . وينظر : ملحقات ديوانه / ٨٢ ، وابن سلام / ٦٥ ، وابن يعيش ١ / ١٠٣ ، ١٠٤ ، والخزانة ٤ / ٢٩٠ ، وهمع الهوامع ١ / ١٣٤ ، وشرح شواهد المغني ، للسيوطي / ٢٣٦ ، والأشموني ٢ / ٢٧٠ .

^٢ الإيضاح في علوم البلاغة ٣ / ٥٢ - ٥٣ .

^٣ سورة النساء / ٧٣ .

^٤ سورة الأنعام / ٢٧ .

^٥ سورة الكهف / ٤٢ .

^٦ يُنظَر : الآيات مريم / ٢٣ ، الفرقان / ٢٧ ، القصص / ٧٩ ، الأحزاب / ٦٦ ، يس / ٢٦ ، الزخرف / ٣٨ ،

الحاقة / ٢٧ ، الفجر / ٢٤ .

^٧ يُنظَر : علم المعاني / ١١٣ .

قال الخطيب القزويني : ((وقد يتمنى بـ (هل) ، كقول القائل : ((هل لي من شفيعٍ في مكان يعلم أنه لا شفيع له فيه ، لإبراز المتمنى لكمال العناية به في صورة الممكن ، وعليه قوله تعالى حكاية عن الكفار : ﴿ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا ﴾^١ ، وقد يتمنى بـ (لو) كقولك : ((لو تأتيتني فتحدثتني)) بالنصب))^٢ .

قال السكاكي - رحمه الله - : ((وكأن حروف التّنديم والتّحضيض وهي : (هلاً) ، و (ألا) بقلب الهاء همزة ، و (لولا) ، و (لوما) ، مأخوذة منهما^٣ ، مركبتين مع (لا) ، و (ما) المزيديتين لتضمينهما معنى التّمني ، ليتولد منه في الماضي التّنديم ، نحو : ((هلاً أكرمت زيداً)) ، وفي المضارع التّحضيض ، نحو : ((هلاً تقوم))^٤ . وقد يتمنى بـ (لعل) ، فتعطي حكم (ليت) نحو : ((لعلّي أحجّ فأزورك)) بالنّصب ؛ لبعد المرجو عن الحصول^٥ ، وعليه قراءة عاصم في رواية حفص ﴿ لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ * أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعُ إِلَىٰ آلِهِ مُوْسَىٰ ﴾^٦ بالنّصب))^٧ .

فمن أمثلة (هل) : قوله ﷺ : ﴿ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلْ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ ﴾^٨ ، فعدل عن (ليت) إلى (هل) لإبراز المتمنى ، لكمال العناية به ، في صورة الممكن الذي لا يجزم بانتفائه ، وهو المستفهم عنه . ونحو قوله ﷺ : ﴿ قَالُوا رَبَّنَا آمَنَّا أَلْتُنَّيْنَا وَأَحْيَيْتَنَا فَأَعْرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّنْ سَبِيلٍ ﴾^٩ ، ونحو قوله ﷺ : ﴿ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَّالِيٍّ مِّنْ بَعْدِهِ ﴾^{١٠}

^١ سورة الأعراف / ٥٣ .

^٢ الإيضاح في علوم البلاغة ٣ / ٥٢ .

^٣ أي من هل ولو اللتين للتمني حال كونهما مركبتين مع لا وما .

^٤ ولعل هنا للترجي ، والترجي هو ارتقاب الشيء ، وهو يشمل المحبوب و المكروه ، فليس من أنواع الطلب حقيقة لأنّ المكروه لا يطلب ، فلا ينصب الجواب بعد لعل ، إلا إذا استعمل للتمني ، والتمني في هل ولو معنى مجازي ، وفي لعل من مستتبعات التركيب .

^٥ سورة غافر / ٣٦ - ٣٧ .

^٦ مفتاح العلوم / ١٣٣ .

^٧ سورة الأعراف / ٥٣ .

^٨ سورة غافر / ١١ .

وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ ﴿١﴾ ، فأيضاً في هاتين الآيتين عدل عن (ليت) إلى (هل) لإبراز المتمنى ، لكمال العناية به ، في صورة الممكن الذي لا يجزم بانتقائه .

ومن أمثلة (لو) : قوله ﷺ : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ حَسْرَتٍ عَلَيْهِمْ ﴾ ٢ .
فقد عدل عن (ليت) إلى (لو) للدلالة على عزة متمناه ، وندرته ، حيث أبرزه في صورة الذي لا يوجد ؛ لأنّ (لو) تدلّ بأصل وضعها على امتناع الجواب لامتناع الشرط .

ونحو قوله ﷺ : ﴿ قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوَىٰ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴾ ٣ ، ونحو قوله ﷺ : ﴿ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ ٤ ، ونحو قوله ﷺ : ﴿ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ٥ ، ونحو قوله ﷺ : ﴿ وَدُؤا لَوْ تَذَهْن فَيَذَهْنُونَ ﴾ ٦ ، فقد جاء بها هنا ، لأنّ المتمنى هنا عزيزاً ، صعب الوقوع ، بعيد المنال . ولم يأت بـ(هل) .
وألقوا بـ(هل) ، و (لو) : (لا) ، و (ما) ، فقالوا : (هلاً) ، و (لولا) ، و (لوما) ، يقصدون بها التمني كذلك .

قال ﷺ : ﴿ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمٌ يُونُسَ لَمَّا ءَامَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ ٧ ، و قال سبحانه تعالى : ﴿ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ ﴾ ٨ ، وقال ﷺ : ﴿ لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَائِكَةِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾

^١ سورة الشورى / ٤٤ .

^٢ سورة البقرة / ١٦٧ .

^٣ سورة هود / ٨٠ .

^٤ سورة الزمر / ٥٨ .

^٥ سورة الشعراء / ١٠٢ .

^٦ سورة القلم / ٩ .

^٧ سورة يونس / ٩٨ .

^٨ سورة هود / ١١٦ .

* مَا نُزِّلَ الْمَلَكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذَا مُنْظَرِينَ ﴿١﴾ ، وقال ﷺ : ﴿لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾^٢ ، وقال عنتر بن شداد :
هَلَّا سَأَلْتِ الْخَيْلَ يَا ابْنَةَ مَالِكِ إِنْ كُنْتِ جَاهِلَةً بِمَا لَمْ تَعْلَمِي^٣ .

ومن أمثلة (لعل) - وهي من أدوات التمني التي خرجت عن الأصل - ، فإن أصل وضعها للترجي ، والغرض من استعمالها للتمني الدلالة على استحالة الأمر المتمنى بها نحو قوله ﷺ : ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَهْمَنُ عَلَى الطَّيْنِ فَأَجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لأظنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾^٤ ، ونحو قوله ﷺ : ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَهْمَنُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ﴾^٥ .

قال الدكتور فضل حسن عباس : ((وإنما كان التمني بـ(لعل) أمراً مستحيلاً ، لأن (لعل) وضعت في أصل الوضع للترجي ، وهو ترقيب حصول الأمر ، فلو كان المتمنى بها أمراً ممكناً لالتبس الأمر ، وفهم منها الترجي ، لذا لا يتمنى بها إلا الأمر المستحيل ، وهذه نكتة بيانية دقيقة ، تدل على دقة العربية ، وسلامة الطبع لأهلها))^٦ .

^١ سورة الحجر / ٧ .

^٢ سورة النور / ١٣ .

^٣ البيت في ديوان عنتر بن شداد من بحر الكامل ، من معلقته المشهورة ، ومطلعها :

هل غادر الشعراء من متردّم أم هل عرفت الدار بعد توهم

ديوان عنتر / ١٤٧ .

^٤ سورة القصص / ٣٨ .

^٥ سورة غافر / ٣٧ .

^٦ البلاغة فنونها وأفانها / ١٦٠ ، يُنظَر : المفتاح / ١٤٧ - ١٤٨ ، والإيضاح في علوم البلاغة ٣/ ٥٢ - ٥٤ ، والمطول / ٤٠٧ - ٤٠٨ ، وجواهر البلاغة / ٨٧ ، وحاشية مخلوف المنيوي على شرح الدمنهوري لمتن الجوهير المكنون في المعاني والبيان والبدیع / ١١١ ، وعلوم البلاغة / ٦٠ ، وعلم المعاني / ٨٨ ، والبلاغة فنونها وأفانها / ١٥٦ - ١٦١ ، وتطبيقات نحوية وبلاغية ، د. عبد العال سالم مكرم - دار البحوث العلمية ط١

ثانياً : الاستفهام

نوع من الإنشاء الطلبي . وقد عرّفه التفتازاني^١ بقوله : ((هو طلب حصول صورة الشيء في الذهن))^٢ .

فهو طلب العلم بشيء لم يكن معلوماً من قبل ، بأداة من الأدوات الآتية : (الهمزة ، وهل ، وما ، ومن ، وأي ، وكَمْ ، وكيف ، وأين ، وأنى ، ومتى ، وأيان)^٣ .

ويمكن أن نمثل بالأداة الثانية ((هل)) ، حتى نفرّق بينها وبين الأداة الأولى ((الهمزة)) ، وهما أهم أدوات الاستفهام .

الأداة الثانية - ((هل)) :

يُسْتَفْهَمُ به عن التصديق فقد ، ولا يُسْتَفْهَمُ بها إلا عن الجملة في الإثبات ، نحو "هل قرأت النحو؟" ، ولا يُقال "هل لم تقرأه؟" . وأكثر ما يليها الفعل ، كما ذكر ، وقل أن يليها الاسم ، نحو "هل عليّ مجتهد؟" . وإذا دخلت على المضارع خصصته بالاستقبال ؛ لذلك لا يُقال "هل تسافر الآن؟" . ولا تدخل على جملة الشرط ، وتدخل على جملة الجواب ، نحو "إن يَمُ سعيدٌ فهل تقوم؟" . ولا تدخل على "إن" ونحوها ؛ لأنها للتوكيد وتقرير الواقع ، والاستفهامُ ينافي ذلك^٤ .

((وهل من النوع الثاني^٥ لا تطلب به إلا التصديق))^١ ، نحو قوله ﷺ : ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴾^٢ ، ونحو قوله ﷺ : ﴿ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تَجْرَةِ تَجْرِكُمْ ﴾

^١ مسعود بن عمر بن عبدالله سعد الدين التفتازاني ، الإمام العالم بالعلوم العربية ، والكلام ، والأصول ، والمنطق ، ولد بتفتازان سنة اثنتي عشرة وسبعمائة من الهجرة ، من مؤلفاته : ((الشرحان الكبير والصغير على تلخيص المفتاح)) ، و ((حواشي الكشاف)) ، و ((شرح المفتاح)) . توفي - رحمه الله - في سنة إحدى وتسعين وسبعمائة ، وقيل اثنتين وتسعين وسبعمائة من الهجرة . يُنظر : الدرر الكامنة / ، وبغية الوعاة / ، ومعجم المؤلفين ١٢ / ٢٢٨ ، و المستدرك على معجم المؤلفين / ٧٨٤ .

^٢ المطول / ٤٠٩ . ويُنظر : جواهر البلاغة / ٨٧ - ٨٨ ، علوم البلاغة / ٦٠ - ٦١ ، علم المعاني / ١١١ - ١١٤ ، البلاغة فنونها وأفانها / ١٦٨ .

^٣ يُنظر : الكتاب ٣ / ١٧٥ ، ١٨٩ ، ٤ / ٣٢٣ فقد وضّح معاني بعض أسماء الاستفهام .

^٤ يُنظر : البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها / ١٩٨ ، ٢٠١ ، وجامع الدروس العربية / ٨٩ .

^٥ أي التصديق .

مَنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣﴾ ، ونحو قوله ﷺ : ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ ﴿٤﴾ ، () ولاختصاصه بالتصديق امتنع أن يقال : ((هَلْ عِنْدَكَ عَمْرُو ، أَمْ بِشْرٌ ؟)) ° بانئصال (أم) ، دون : ((أَمْ عِنْدَكَ بِشْرٌ)) بانقِطَاعِهَا ^١ ، وقبح : ((هَلْ رَجُلٌ عَرَفَ ؟)) ^٢ ، و ((هَلْ زَيْدًا عَرَفْتَ ؟)) ^٣ ، دون : ((هَلْ زَيْدًا عَرَفْتَهُ ؟)) ، ولم يقبح : ((أَرَجُلٌ عَرَفَ ؟)) ، و ((أزيداً عرفت ؟)) لما سبق أن التقديم يستدعي حصول التصديق بنفس الفعل ، فبينه وبين هل تدافع ^٩ ^{١٠} . ولا بدَّ لهل من أن يخصَّص الفعل المضارع بالاستقبال ، فلا يصحُّ أن يقال : ((هَلْ تَضْرِبُ زَيْدًا ، وَهُوَ أَخُوكَ ؟)) على نحو : ((أَتَضْرِبُ زَيْدًا ، وَهُوَ أَخُوكَ ؟)) في أن يكون الضرب واقعاً في الحال ، ولكون (هل) لطلب الحكم بالثبوت ، أو الانتفاء . على أن الإثبات ، و النَّفْي لا يتوجَّهان إلى الدَّوات ، وإنَّما يتوجَّهان إلى الصِّفات ، ولاستدعائه التَّخصيص بالاستقبال لما يحتمل ذلك ^{١١} .

وقال الخطيب القزويني : ((اختصاصها بالتصديق ، وتخصيصها المضارع بالاستقبال كان لها مزيد اختصاص بما كونه زمانياً أظهر كالفعل ، أمَّا النَّانِي فظاهر ، وأمَّا الأوَّل فلأنَّ الفعل لا يكون إلا صفة ، والتَّصديق حكم بالثبوت أو الانتفاء ، والنَّفْي والإثبات إنَّما يتوجَّهان إلى الصِّفات لا الدَّوات .

^١ مفتاح العلوم / ١٤٨ .

^٢ سورة الكهف / ١٠٣ .

^٣ سورة الصَّف / ١٠ .

^٤ سورة الصَّف / ١٠ .

^٥ يُنظَر : شرح المفصل ٨ / ١٥١ ، والإيضاح في علوم البلاغة ٣ / ٥٧ ، والمطوَّل / ٤١٠ - ٤١١ .

^٦ يُنظَر : شرح المفصل ٨ / ١٥١ ، والإيضاح في علوم البلاغة ٣ / ٥٧ ، والمطوَّل / ٤١٠ - ٤١١ .

^٧ أي من كل مثال تركيب هو مظنة للعلم بحصول أصل النسبة ، وهو ما يتقدم فيه المفعول على الفعل .

^٨ لجواز تقديره ب " هل عرفت زيدا عرفتة ؟ " ، فيكون السؤال حينئذٍ عن أصل ثبوت الفعل لا عن المفعول .

^٩ وعَلَّ الزَّمخشري - في المفصل - القبح في قولك " هل رجلٌ عرف ؟ " و " وهل زيدا عرفت ؟ " بأنَّ أصل هل أن تكون بمعنى قد ، إلا أنَّهم تركوا الهمزة قبلها لكثرة وقوعها في الاستفهام ، فأقيمت هي مقام الهمزة ، وقد تطلَّعت عليها في الاستفهام ، وقد من خواص الأفعال ، فكذا ما هي بمعناها ، وإنَّما لم يقبح " هل زيدٌ قائمٌ " لأنها إذا لم ترَّ الفعل في حيزها تسألته عنه ، بخلاف ما إذا رأته ، فأنَّها لا ترضى إلا بوجوده بجوارها . (شرح

وتعليق د. محمد عبد المنعم خفاجي على الإيضاح في علوم البلاغة ، بتصرُّف) .

^{١٠} يُنظَر : الكتاب ١ / ٩٨ - ١٠١ ، و المفصل للزَّمخشري / ٤٣٧ ، شرح المفصل ٨ / ١٥٢ - ١٥٣ .

^{١١} مفتاح العلوم / ١٤٨ .

ولهذا كان قوله تعالى ﴿ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ ﴾^١ أدلّ على طلب الشكر من قولنا ((فَهَلْ تَشْكُرُونَ ؟)) ، وقولنا ((فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ ؟)) ؛ لأنّ إبراز ما سيتجدد في معرض الثابت أدلّ على كمال العناية بحصوله من إبقائه على أصله ، وكذا من قولنا ((فَأَنْتُمْ شَاكِرُونَ)) ، وإن كانت صيغته للثبوت لأنّ (هل) أدعى للفعل من الهمزة ، فتركه معه أدلّ على كمال العناية بحصوله ، ولهذا لا يحسن ((هَلْ زَيْدٌ مَنْطِقٌ ؟)) إلا من البليغ .
وهي قسمان :

١. بسيطة : وهي التي يطلب بها وجود الشيء ، كقولنا : ((هَلْ الْحَرَكَةُ مُوجُودَةٌ ؟)) .
٢. ومركبة : وهي التي يطلب بها وجود شيء لشيء ، كقولنا : ((هَلْ الْحَرَكَةُ دَائِمَةٌ ؟)) ، والألفاظ الباقية لطلب التصور فقط))^٢ .

الفروق بين أداتي الاستفهام " هل " و " الهمزة "

تفترق " هل " عن (الهمزة) من سبعة أوجه ، وعدّها بعضهم عشرة^٣ ، وهي :

١. اختصاصها بالتصديق .
٢. اختصاصها بالإيجاب : تقول : ((هَلْ زَيْدٌ قَائِمٌ ؟)) ، ويمتنع ((هَلْ لَمْ يَقُمْ ؟)) بخلاف الهمزة ، كقوله ﷺ : ﴿ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آفَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُنزَلِينَ ﴾^٤ ، وقوله ﷺ : ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ ﴾^٥ ، وقوله ﷺ : ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ ﴾^٦ ، وقوله ﷺ : ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى ﴾^٧ ، وقوله ﷺ : ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴾^٨ .

^١ سورة الأنبياء / ٨٠ .

^٢ الإيضاح في علم البلاغة ٣ / ٦٠ - ٦١ ، ويُنظر : المطول / ٤١٤ - ٤١٦ .

^٣ يُنظر : مغني اللبيب / ٤٥٧ - ٤٦٣ .

^٤ سورة آل عمران / ١٢٤ .

^٥ سورة الأنعام / ٥٣ .

^٦ سورة الزمر / ٣٦ .

^٧ سورة الضحى / ٦ .

^٨ سورة الشرح / ١ .

٣. تخصيصها المضارع بالاستقبال : نحو : (هل تسافر) بخلاف الهمزة نحو : (أتظنه قائماً) ؛ وأما قول ابن سيده^١ في شرح الجمل : أن لا يكون الفعل المستفهم عنه إلا مستقبلاً ، كما قال الله ﷻ : ﴿ فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا ﴾^٢ ، وقال زهير بن أبي سلمى^٣ :

فَمَنْ مُبْلَغُ الْأَحْلَافِ عَنِّي رِسَالَةً وَدُبِّيَّانَ هَلْ أَفْسَمْتُمْ كُلَّ مُقْسِمٍ^٤

٤. أنها لا تدخل على الشرط ولا على إن ولا على اسم بعده فعل في الاختيار :

^١ علي بن أحمد بن سيده ، اللُّغَوِيُّ ، النَّحْوِيُّ ، الأندلسي ، أبو الحسن الضَّرِير ، لم يكن في زمانه أعلم منه بالنحو ، واللُّغَةُ ، والأشعار ، وأيام العرب ، توفي - رحمه الله - سنة ثمان وخمسين وأربعمائة ، عن نحو ستين سنة ، من مؤلفاته " المخصَّص " ، و " المحكم ، والمحيط الأعظم " ، وفي اللُّغَةُ ، و " الأنيق " في شرح حماسة أبي تمام . يُنظَر : طبقات الأمم الصَّاعِد / ١١٩ ، وجذوة المقتبس / ٣١١ - ٣١٢ ، والصلَّة / ٢ / ٤١٧ - ٤١٨ ، وبغية الملتبس / ٤١٨ - ٤١٩ ، ومعجم الأدباء / ١٢ / ٢٣١ - ٢٣٥ ، وأنباه الزُّوَاة / ٢ / ٢٢٥ - ٢٢٧ ، والمغرب في حليِّ المغرب ، لعلي بن موسى بن سعيد الأندلسي - تحقيق : شوقي ضيف - القاهرة ١٩٥٥ م / ٢ / ٢٥٩ ، ووفيات الأعيان / ٣ / ٣٣٠ - ٣٣١ ، والمختصر في أخبار البشر / ٢ / ٨٦ ، وسير أعلام النبلاء / ١٨ / ١٤٤ ، والعبر / ٣ / ٢٤٣ ، ودول الإسلام / ١ / ٢٦٩ ، ومرآة الجنان / ٣ / ٨٣ ، والبداية والنَّهْيَةُ / ١٢ / ٩٥ ، والديباج المذهب / ٢ / ١٠٦ - ١٠٧ ، وطبقات ابن قاضي شهبة / ٢ / ١٣٢ - ١٤٠ ، ولسان الميزان / ٤ / ٢٠٥ - ٢٠٦ ، وبغية الوعاة / ٢ / ١٤٣ ، ومفتاح السَّعَادَةِ / ١ / ١١٤ - ١١٥ ، ونفح الطيب / ٤ / ٢٧ - ٢٨ ، وكشف الظُّنُون / ١ / ٦٩١ ، و / ٢ / ١٦١٦ ، ١٦١٧ ، وشذرات الدَّهَبِ / ٣ / ٣٠٥ - ٣٠٦ ، وهدية العارفين / ١ / ٦٩١ .

^٢ سورة الأعراف / ٤٤ .

^٣ زُهَيْر بن أبي سُلْمَى ربيعة بن رياح المزني ، من مضر : حكيم الشعراء في الجاهلية . وفي أئمة الأدب من يفضله على شعراء العرب كافة . قال ابن الأعرابي : كان لزهير في الشعر ما لم يكن لغيره ، كان أبوه شاعراً ، وخاله شاعراً ، وأخته سلمى شاعرة ، وابناه كعب ويجير شاعران ، وأخته الخنساء شاعرة . ولد في بلاد (مُرَيْتَةُ) بنواحي المدينة ، وكان يقيم في الحاجر (من ديار نجد) واستمر بنوه فيه بعد الإسلام . قيل : كان ينظم القصيدة في شهر ، وينفحها ويهبها في سنة ، فكانت قصائده تسمى (الحواليات) أشهر شعره معلقته التي مطلعها :

أَمِنْ أَوْفَى دِمْنَةَ لَمْ تَكَلِّمْ بِحَوْمَانَةَ الدَّرَاجِ فَالْمُنْتَلَمِّ

ويقال : إن أبياته التي في آخر هذه القصيدة تشبه كلام الأنبياء . توفي سنة ثلاث عشرة قبل الهجرة - الموافق تسع وستمئة ميلادية . يُنظَر : الأعلام / ٣ / ٥٢ ، والأغاني / ١٠ / ٢٨٨ ، معاهد التَّنْصِيصِ / ١ / ٣٢٧ ، وشرح زهير / ٥٥ .

^٤ البيت في ديوان زهير من بحر الطويل ، من معلقة المشهورة ، ومطلعها :

أَمِنْ أَوْفَى دِمْنَةَ لَمْ تَكَلِّمْ بِحَوْمَانَةَ الدَّرَاجِ فَالْمُنْتَلَمِّ .

بخلاف الهمزة بدليل قوله ﷺ : ﴿ أَفَأَنْ مَّتَّ فَهْمُ الْخَالِدُونَ ﴾^١ ، قوله ﷺ : ﴿ أَنْ أَنْ دُكْرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ ﴾^٢ ، وقوله ﷺ : ﴿ أَنْتَكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ ﴾^٣ ، وقوله ﷺ : ﴿ فَقَالُوا أَبَشَرًا مَنَا وَاحِدًا تَتَّبِعُهُ ﴾^٤ .

٥. أنها تقع بعد العاطف لا قبله ، وبعد أم :

نحو قوله ﷺ : ﴿ فَهَلْ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الْفَاسِقُونَ ﴾^٥ ، ونحو قوله ﷺ : ﴿ وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى ﴾^٦ ، ونحو قوله ﷺ : ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ ﴾^٧ .

٦. أنه يراد بالاستفهام بها النفي :

ولذلك دخلت على الخبر بعدها إلا في نحو قوله ﷺ : ﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ﴾^٨ ، والباء في قول الفرزدق :

يَقُولُ إِذَا أَقُولِي عَلَيْهَا وَأَقْرَدَتْ أَلَا هَلْ أَحُو عَيْشٍ لَدِيذٍ بِدَائِمٍ^٩

وصح العطف في قول امرؤ القيس^{١٠} :

وَإِنَّ شِفَائِي عِبْرَةٌ مَهْرَاقَةٌ وَهَلْ عِنْدَ رَسْمٍ دَارِسٍ مِنْ مُعَوَّلٍ^{١١}

^١ سورة الأنبياء / ٣٤ .

^٢ سورة يس / ١٩ .

^٣ سورة يوسف / ٩٠ .

^٤ سورة القمر / ٢٤ .

^٥ سورة الأحقاف / ٣٥ .

^٦ سورة طه / ٩ .

^٧ سورة الرعد / ١٦ .

^٨ سورة الرحمن / ٦٠ .

^٩ هذا البيت في ديوان الفرزدق من قصيدة شهيرة يهجو جريراً . ينظر الديوان / ٨٦٣ ، وخزانة الأدب ، للبغدادى / ٤ / ١٤٢ ، وشواهد المغني ، للسيوطي / ٢ / ٧٧٢ ، وجمهرة اللُّغة / ٢ / ٦٣٦ ، والتصريح / ١ / ٢٠٢ ، والدرر اللوامع / ١ / ١٠١ ، ٢ / ٩٢ ، وشفاء العليل / ١ / ٣٣٦ ، وشرح التسهيل / ١ / ٢٧٢ ، ٣٨٣ ، والمخصَّص / ١٢ / ١١٨ .

^{١٠} امرؤ القيس الحارث بن حُجر بن الحارث الكندي من بني آكل المُرار ، أشهر شعراء العرب على الإطلاق يمانى الأصل ، مولده بنجد ، قتل بنو أسد أباه ، وأخفق في التَّار له ، وفي استرداد ملكه ، توفي سنة ثمانين قبل الهجرة . يُنظَر : الأعلام / ٢ / ١١ - ١٢ ، وطبقات الشعراء ، عبدالله بن محمَّد بن المعتز - تحقيق عبد السَّتَّار فَرَّاج - القاهرة ١٩٥٦ م / ١ / ٥١ ، والأغاني / ٩ / ٧٧ ، والشعر والشُعراء / ١ / ١٠٥ .

^{١١} البيت من معلقة امرؤ القيس بن حجر المشهورة من بحر الطَّويل والتي مطلعها :

إذ لا يعطف الإنشاء على الخبر، فإن قلت أن الهمزة تأتي لمثل ذلك مثل قوله ﷺ: ﴿أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَيِّنَاتِ وَأَخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاءً إِنَّكُمْ لَقَائِلُونَ قَوْلًا عَظِيمًا﴾^١ ألا ترى أن الواقع أنه ﷺ لم يصفهم بذلك، قلت: إنما مر أنها للإنكار على مدعي ذلك، ويلزم من ذلك الانتفاء، لا أنها للنفي ابتداء، ولهذا لا يجوز: ((أقام إلا زيد؟))، كما يجوز: ((هل قام إلا زيد؟))، نحو قوله ﷺ: ﴿فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾^٢، ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾^٣، وقد يكون الإنكار مقتضياً لوقوع الفعل، على العكس من هذا وذلك، إذا كان بمعنى ((ما كان ينبغي لك أن تفعل))، نحو ((أتضرب زيدا وهو أخوك؟))، ويتلخص أن الإنكار على ثلاثة أوجه:

- إنكار على من ادعى وقوع الشيء، ويلزم من هذا النفي
- وإنكار على من أوقع الشيء، ويختصان بالهمزة
- وإنكار لوقوع الشيء، وهذا هو معنى النفي، وهو الذي تتفرد به ((هل)) عن الهمزة

٧. أنها تأتي بمعنى ((قد)):

وذلك مع الفعل، وبذلك فسّر قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً﴾^٤ جماعة منهم ابن عباس رضي الله عنهما، والكسائي، والفرّاء، والمبرد قال في مقتضبه: ((هل)) للاستفهام، نحو: (هل جاء زيد؟)، وقد تكون بمنزلة (قد)، نحو قوله جلّ اسمه: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ﴾^٥، وبالغ الزمخشري فزعم أنها أبداً بمعنى ((قد))، وأن الاستفهام إنما هو مستفاد من همزة مقدّرة معها، ونقله في المفصل عن سيبويه فقال: ((وعند سيبويه أن (هل) بمعنى ((قد)) إلا أنهم تركوا الألف قبلها لأنها لا تقع إلا في الاستفهام وقد جاء دخولها عليها في قوله^٦:

قفا نيك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللّوى بين الدّخول فحومل

يُنظَر: ديوان امرئ القيس / ٩٢، وشرح المعلّقات السبع للرزني / ١١

^١ الإسراء / ٤٠

^٢ النحل / ٣٥

^٣ الرّحرف / ٦٦

^٤ الإنسان / ١

^٥ المقتضب / ١ / ٤٤

^٦ هو زيد بن مهلهل بن منهب بن عباد بن عبد رضا من طيء، أبو منكب، من أبطال الجاهلية، لقب بزيد الخيل لكثرة خيله، أو لكثرة طرده بها، أدرك الإسلام ووفد على النبي - صلى الله عليه وسلم - سنة تسع

سَائِلَ فَوَارِسَ يَرْبُوعٍ بِشَدَّتِنَا أَهْلَ رَأُونَا بِسَفْحِ الْقَاعِ ذِي الْأَكْمِ^١)^٢ .

ولو كان كما زعم لم تدخل إلا على الفعل كقد ، وثبت في كتاب سيبويه - رحمه الله - ما نقله عنه ذكره في باب أم المتصلة^٣ ، ولكن فيه أيضاً ما قد يخالفه ، فإنه قال في باب عدة ما يكون عليه الكلم ما نصه : ((وهل وهي للاستفهام))^٤ ، ولم يزد على ذلك ، وقال الزمخشري - رحمه الله - في كشافه : ((هل أتى ، أي قد أتى على معنى التّفير ، والتّفير جميعاً ؛ أي أتى على الإنسان قبل زمان قريب طائفة من الزّمان الطويل الممتد لم يكن فيه شيئاً مذكوراً ، بل شيئاً منسياً ، نطفة في الأصلاب ، والمراد بالإنسان الجنس بدليل ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾^٥))^٦ ، وفسرها غيره بـ (قد) خاصة ، ولم يحملوا قد على معنى التّفير ، بل على معنى التّحقيق ، وقال بعضهم معناها التّفير ، وكأنّه قيل لقوم يتوقّعون الخبر عمّا أتى على الإنسان - وهو آدم عليه الصلاة والسلام - قال : ((والحين زمن كونه طيناً)) ، وفي تسهيل ابن مالك أنّه يتعيّن مرادفة (هل) ل (قد) إذا دخلت عليها الهمزة يعني كما في البيت ومفهومه أنّها لا تتعين لذلك إذا لم تدخل عليها بل قد تأتي لذلك كما في الآية ، وقد لا تأتي له ، وقد عكس قوم ما قاله الزمخشري ، فزعموا أنّ (هل) ، لا تأتي بمعنى (قد) ، أصلاً ، وهذا هو الصواب عندي ؛ إذ لا متمسك لمن أثبت ذلك إلا أحد ثلاثة أمور :

* الأول - تفسير ابن عباس - رضي الله عنهما - : ولعلّه إنّما أراد أنّ الاستفهام في الآية للتّفير ، وليس باستفهام حقيقي ، وقد صرح بذلك جماعة من المفسرين فقال بعضهم (هل) هنا للاستفهام التّفيري ، والمقرّر به من أنكر البعث ، وقد علم أنّهم يقولون نعم قد

للهجرة في وفد طيء ، فأسلم ، وسمّاه الرسول - صلى الله عليه وسلم - (زيد الخيل) ، ومات في نفس هذه السنة - رحمه الله - .

^١ البيت لزيد الخيل الطائي من بحر البسيط ، وهو مطلع لخمسة أبيات ، أنهاها بقوله :

• وكلّ مسترق نهد وسلهبة يكتمن عند اعتراك الموت باللّم

وفي رواية أخرى للشّطر الثاني من البيت : أَهْلَ رَأُونَا بِوَادِيِ الْقُفِّ ذِي الْأَكْمِ • ينظر : المقتضب ١ / ٤٤ ،

والخصائص ٢ / ٤٦٣ ، وهمع الهوامع ٢ / ٧٧ ، والدّرر ٢ / ٩٥ ، والدّرر المصون ٧ / ٣٧ .

^٢ المفصل ٤٣٧ ، ويُنظر : شرح المفصل ٨ / ١٥٢ - ١٥٣ .

^٣ سيبويه ٣ / ١٦٩ - ١٧٥ .

^٤ المصدر السابق

^٥ سورة الإنسان / ٢ .

^٦ الكشّاف

مضى دهر طويل لا إنسان فيه ، فيقال لهم : فالذي أحدث النَّاسَ بعد أن لم يكونوا ، كيف يمتنع عليه إحيائهم بعد موتهم ؟ ، وهو معنى قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴾^١ ، أي : فهلا تذكرون ، فتعلمون أنه من أنشأ شيئاً بعد أن لم يكن قادر على إعادته بعد عدمه انتهى ، وقال آخر مثل ذلك إلا أنه فسّر (الحين) بزمان التصوير في الرَّحْم ، فقال : المعنى ألم يأت على النَّاسِ حينٌ من الدَّهرِ كانوا فيه نطفاً ، ثم علّقاً ثم مضغاً إلى أن صاروا شيئاً مذكوراً ، وكذا قال الرَّجَّاجُ إلا أنه حمل الإنسان على آدم - عليه الصلاة والسلام - فقال المعنى : ألم يأت على الإنسان حينٌ من الدَّهرِ كان فيه تراباً وطينا إلى أن نفخ فيه الروح ، وقال بعضهم لا تكون (هل) للاستفهام التَّقريبي ، وإنما ذلك من خصائص الهمزة ، وليس كما قال ، وذكر جماعة من النُّحويين أنَّ (هل) تكون بمنزلة إن في إفادة التَّوكيد والتَّحقيق ، وحملوا على ذلك (هل) في قوله ﷺ : ﴿ هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ ﴾^٢ ، وقدروه جواباً للقسم ، وهو بعيد .

* الثَّانِي - قول سيبويه الذي شافه العرب وفهم مقاصدهم : وقد مضى أن سيبويه لم يقل ذلك .

* الثالث دخول الهمزة عليها في البيت والحرف لا يدخل على مثله في المعنى : وقد رأيت عن السيرافي^٣ أنَّ الرُّوَايَةَ الصَّحِيحَةَ (أم هل) ، وأم هذه منقطعة بمعنى (بل) فلا دليل ،

^١ سورة الواقعة / ٦٢ .

^٢ الفجر / ٥ .

^٣ أبو سعيد ، الحسن علي بن عبدالله ، نحوي ، وعالم بالأدب ، وُلِدَ في سيراف سنة أربع وثمانين ومائتين من الهجرة ، وتوفِّي - رحمه الله - في بغداد سنة سبع وتسعين وثلاثمائة من الهجرة . أخذ علم العربية في بغداد عن ابن دريد ، وابن السَّرَّاج ، فبرع في جميع علوم الإسلام ، وشاع صيته ، من مؤلفاته " شرح كتاب سيبويه " ، و " أخبار النُّحويين البصريين " ، و " كتاب المدخل إلى كتاب سيبويه " ، و " كتاب شواهد سيبويه " . يُنظَر : طبقات النُّحويين واللُّغويين / ١٢٩ - ١٣٠ ، والإمتاع والمؤانسة ، لأبي حيان التُّوحيد ، علي بن محمَّد - تحقيق : أحمد أمين - مكتبة الحياة - بيروت / ١ - ١٠٨ - ١٣٣ ، والفهرست / ٩٣ ، وتاريخ بغداد / ٧ / ٣٤١ - ٣٤٢ ، والأنساب / ٧ / ٢١٨ - ٢١٩ ، ونزهة الألباء / ٣٠٧ - ٣٠٨ ، والمنظَّم / ٧ / ٩٥ ، ومعجم الأدياء / ٨ / ١٤٥ - ٢٣٢ ، ومعجم البلدان / ٣ / ٢٩٥ ، وأنباء الرُّوَاة / ١ / ٣١٣ - ٣١٥ ، اللُّبَاب / ٢ / ١٦٥ ، ووفيات الأعيان / ٢ / ٧٨ - ٧٩ ، وسير أعلام النبلاء / ١٦ / ٢٤٧ - ٢٤٩ ، والعبر / ٢ / ٣٤٧ ، والوفاي بالوفيات / ٢ / ٧٤ ، ومرآة الجنان / ٢ / ٣٩٠ - ٣٩١ ، والبداية والنهاية / ١١ / ٢٩٤ ، والبلغة في تاريخ أئمَّة اللُّغة / ٦١ - ٦٢ ، وطبقات المعتزلة ، أحمد بن يحيى بن المرتضى - بيروت ١٩٦١ م / ١٣١ ، وغاية النهاية / ١ / ٢١٨ ، والفلاكة والمفلوكون / ٩٥ - ٩٦ ، ولسان الميزان / ٢ / ٢١٨ ، والنُّجُوم الرَّاهِرة / ٤ / ١٣٣ - ١٣٤ ، وبغية الوعاة / ١ / ٥٠٧ - ٥٠٩ ، والجواهر المضئية في طبقات الحنفية ، لعبد القادر بن محمَّد القرشي - تحقيق : عبد

ويتقدير ثبوت تلك الرواية فالبيت شاذٌ ، فيمكن تخريجه على أنه من الجمع بين حرفين لمعنى واحد على سبيل التوكيد كقول مسلم بن معبد الوالبي^١ :

فَلَا وَاللَّهِ لَا يُلْفَى لِمَا بِي وَلَا لِمَا بِهِمْ أَبَدًا دَوَاءً^٢

بل الذي في ذلك البيت أسهل لاختلاف اللفظين ، وكون أحدهما على حرفين فهو كقول الأسود بن يعفر^٣ (بضم الياء والفاء) :

فَأَصْبَحَ لَا يَسْأَلُنُهُ عَنِّ بِمَا بِهِ أَصَعَدَ فِي عُلُوِّ الْهَوَى أَمْ تَصَوَّبًا^٤ .

ونكتفي بهذا عن (هل) الاستفهامية^٥ .

الأداة الثالثة - ((ما)) :

الفتاح الحلو - القاهرة - حيدر آباد ١٣٣٢ هـ ٢ / ٦٦ - ٧٦ ، وشذرات الذهب ٣ - ٦٥ - ٦٦ ، وروضات الجنان / ٢١٨ - ٢١٩ ، وهديّة العارفين ١ / ٢٧١ .

^١ مسلم بن معبد الوالبي وهو شاعر إسلامي من شعراء الدولة الأموية .

^٢ هذا البيت لمسلم بن معبد الوالبي ، من قصيدة يشكو فيها اعتداء المصدقين على إبله وأولها :

بكت إبلي وحق لها البكاء وفرقها المظالم والعداء .

ويؤى الشطر الثاني : " وَمَا بِهِمْ مِنَ الْبُلْوَى دَوَاءً "

ينظر : خزنة الأدب ، وغاية الأرب ١ / ٣٦٤ ، ومعاني القآن ، للفرّاء ١ / ٦٨ ، والإنصاف ٢ /

٥٧١ ، ووصف المباني ٢ / ٢٠٢ ، وشواهد المغني ٥٠٥ / ٢ ، والدُرر ٢ / ١٥ ، والدُرر المصون ٣ / ٣٤٤ ، وسرّ الصنّاعة ١ / ٢٨٣ .

^٣ هو الأسود بن يعفر النهشلي الدارمي التميمي ، أبو نهشل ، شاعر جاهلي ، من سادات تميم ، من أهل العراق ، كان فصيحاً جواداً ، نادم النعمان ببن المنذر ، ولما أسن كفّ بصره ويقال له : أعشى بني نهشل . توفى في سنة ثلاثٍ وعشرين قبل الهجرة ، الموافق ستمائة للميلاد .

^٤ هذا البيت في ديوان الأسود بن يعفر ، من أبيات قليلة من بحر الطويل بدأها بقوله :

صَحَا سَكْرٌ مِنْهُ طَوِيلٌ بَرِيْبًا تَعَاقِبُهُ لَمَّا اسْتَبَانَ وَجَرَبًا

وختمها بـ : فَأَلَانَ إِذْ هَا زَلْتُهُنَّ فَإِنَّمَا يَقْلَنَ أَلَا لَمْ يَذْهَبِ الْمَرْءُ مَذْهَبًا

جمع هذا الديوان الدكتور نوري حمودي القيسي . يُنظَر : الدِّيوان / ٢١ ، ومغني اللبيب / ٤٥٧ - ٤٦٣ .

^٥ يُنظَر : الكتاب ٣ / ١٧٥ ، والمفصل في صنعة الإعراب / ٤٣٧ - ٤٣٨ ، وشرح المفصل ٨ / ١٥١ -

١٥٥ ، ومغني اللبيب ١ / ٤٥٦ - ٤٦٣ ، ومفتاح العلوم / ١٤٨ - ١٤٩ ، والإيضاح في علوم البلاغة / ٥٧ -

٦١ ، والمطول / ٤١٠ - ٤١٦ ، وحاشية المنياوي على شرح الدّمهورى لمتن الجواهر المكونون / ١١٢ ،

وجواهر البلاغة / ٧٩ - ٨١ ، وعلوم البلاغة / ٦٣ - ٦٥ ، وعلم المعاني / ٩١ ، والبلاغة العربية أسسها ،

وعلومها ، وفنونها ١ / ٢٦١ - ٢٦٣ ، والبلاغة فنونها وأفنانها / ١٨٠ - ١٨٧ ، وعلم المعاني دراسة بلاغية

ونقدية لمسائل المعاني ٢ / ٩١ - ٩٧ ، والدليل إلى البلاغة ، وعروض الخليل ، د. علي جميل سلّوم ، و د.

حسن محمّد نور الدّين - دار العلوم العربيّة - بيروت - لبنان ط ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م / ٤٧ ، وتطبيقات

نحوية ، وبلاغية ٢ / ٣٠٦ .

وهي اسم استفهام ، ومعناها ((أي شيء ؟)) ، وهي للاستفهام عن غير العقلاء

الجملة الإنشائية غير الطلبية

ثانياً - الجملة الإنشائية غير الطلبية :

هي الجملة التي لا تستدعي أمراً حاصلًا عند الطلب . نحو قوله ﷺ : ﴿ وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ ﴾^١ ؛ فقوله : ﴿ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ ﴾ جملة إنشائية ، ولكنها لا تستدعي أمراً غير حاصل وقت الطلب .

ونحو قوله ﷺ : ﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾^٢ ، فقوله : ﴿ عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾ ، جملة إنشائية ، ولكنها لا تستدعي أمراً غير حاصل وقت الطلب .

ونحو قوله ﷺ : ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمَيِّتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾^٣ ، فهذه الجملة تعجبية إنشائية ، ولكن لا تطلب بها شيئاً .
فهذه الجملة كلها لا تحتل صدقا و لا كذبا ، ولكن لا تستدعي شيئاً غير حاصل عند النطق ، فهي من الإنشاء غير الطلبية .

صيغ وأساليب الإنشاء غير الطلبية

للإنشاء غير الطلبية صيغ وأساليب كثيرة منها :

١. صيغ المدح والذم :

ويكونان بنعم و بئس ، وما جرى مجراهما ، مثل : حبذا ، ولا حبذا ، والأفعال المحولة إلى فعل وغير ذلك .

^١ سورة النحل / ٣٠ .

^٢ سورة الإسراء / ٧٩ .

^٣ سورة البقرة / ٢٨ .

ونحو قوله ﷻ : ﴿ وَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ ﴾^١ ، ونحو قوله ﷻ : ﴿ أُولَئِكَ جَزَاءُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴾^٢ ، ونحو قوله ﷻ : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴾^٣ .

٢. صيغ التعجب :

وهو تفضيل شيء على شيء في وصف من الأوصاف ، ويأتي قياسياً بصيغتين هما : (ما أفعله) ، و (أفعل به) ، ويأتي بغير ذلك .
نحو قوله ﷻ : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ ﴾^٤ ، و نحو قوله ﷻ : ﴿ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾^٥ ، ونحو قوله ﷻ : ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمَيِّتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾^٦ .

اختلف العلماء في التعجب هو من الإنشاء أم الخير ؟ ، والذي يترجح لدى الباحث أنه من الإنشاء ، ورجح جلال الدين السيوطي - رحمه الله - أن التعجب من الخبر ، فقال : ((من أقسامه على الأصح التعجب))^٧ .

ثم أورد - رحمه الله - الأقوال المختلفة في هذا ، فقال :
(قال ابن فارس : وهو تفضيل شيء على أضرابه .
وقال ابن الصائغ : استعظام صفة خرج بها المتعجب منه عن نظائره .
وقال الزمخشري : معنى التعجب تعظيم الأمر في قلوب السامعين ؛ لأن التعجب لا يكون إلا من شيء خارج عن نظائره ، وأشكاله .

^١ سورة النحل / ٣٠ .

^٢ سورة آل عمران / ١٣٦ .

^٣ سورة البقرة / ٢٠٦ .

^٤ سورة البقرة / ١٧٥ .

^٥ سورة مريم / ٤٠ .

^٦ سورة البقرة / ٢٨ .

^٧ الإتيقان / ٢ / ٢٠٥ .

وقال الرّماني^١ : المطلوب في التّعجب الإبهام ؛ لأنّ من شأن النّاس أن يتعجبوا ممّا لا يُعرف سببه ، فكلمة استبهم السّبب كان التّعجب أحسن ٠٠٠ وأصل التّعجب إنّما هو للمعنى الخفيّ سببه ، والصّيغة الدّالة عليه تُسمى تعجباً مجازاً ٠٠٠ ومن أجل الإبهام لم تعمل ((نِعَم)) إلاّ في الجنس ، من أجل التّفخيم ؛ ليقع التّفسير على نحو التّفخيم بالإضمار قبل الذّكر))^٢ .

صيغ التّعجب

قد وضع العلماء للتّعجب صيغاً من لفظ المتعجب منه ، وهي : على وزن ((مَا أَفْعَلَهُ !)) ، نحو : ((مَا أَحْسَنَهُ !)) ٠ و على وزن ((أَفْعِلْ بِهِ)) ، ونحو قوله ﷺ : ﴿ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾^٣ .
وصيغاً أخرى من غير لفظه ، نحو قوله ﷺ : ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمَيِّنُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾^٤ .
ونحو قوله ﷺ : ﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ ﴾^٥ ، ونحو قوله ﷺ : ﴿ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ ﴾^٦ ، ونحو قوله ﷺ : ﴿ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾^٧ .^٨

فائدة

ذكر جلال الدين السيوطي - رحمه الله - فائدة في التّعجب إذا جاء من الله ، فقال : ((قال المحققون إذا ورد التّعجب من الله صُرف إلى المخاطب ، كقوله : ﴿ فَمَا

^١ عليّ بن عيسى الرّماني ، أبو الحسن الورّاق ، توفي - رحمه الله - سنة أربع وثمانين وثلاثمائة من الهجرة ، يُقال له الإخشيدّي ، كان إماماً في علوم العربيّة ، وفي الأدب ٠ يُنظر : بغية الوعاة ٢ / ١٨٠ ، ونزهة الألباء

ع ١ / ٢٣٣ ٠

^٢ الإتيقان ٢ / ٢٠٥ - ٢٠٦ ٠

^٣ سورة مريم / ٣٨ ٠

^٤ سورة البقرة / ٢٨ ٠

^٥ سورة الكهف / ٥ ٠

^٦ سورة غافر / ٣٥ ٠

^٧ سورة الصّف / ٣ ٠

^٨ الإتيقان ٢ / ٢٠٥ - ٢٠٦ ٠

أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ ﴿١﴾ ، أي هؤلاء يجب أن يُتَعَجَّبَ منهم ، وإنَّما لا يوصف ﴿١﴾ بالتَّعَجُّبِ ؛ لأنَّه استعظام يصحبه الجهل ، وهو تعالى منزَّه عن ذلك ، ولهذا تعبَّر جماعة بالتَّعَجُّبِ بدلَه ؛ أي أنَّه تعجيب من الله للمخاطبين ، ونظير هذا مجيء الدُّعاء ، والتَّرجي منه تعالى ، إنَّما هو بالنَّظر إلى ما تفهمه العرب ؛ أي هؤلاء مما يجب أن يُقال لهم : عندكم هذا ، ولذلك قال سيبويه^٢ في قوله تعالى : ﴿لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾^٣ المعنى اذهبوا على رجائكم ، وطمعكم ، وفي قوله : ﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ﴾^٤ ، ﴿وَيْلٌ لِلْمُكَدِّبِينَ﴾^٥ ، لا نقول هذا دعاء ؛ لأنَّ الكلام بذلك قبيح ، ولكن العرب إنَّما تكلموا بكلامهم ، وجاء القرآن على لغتهم ، وعلى ما يعنون ، فكأنَّه قيل لهم : ﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ﴾ ؛ أي هؤلاء ممَّا يجب هذا القول لهم ؛ لأنَّ هذا الكلام إنَّما يُقال لصاحب الشُّرور ، والهلكة ، فقيل هؤلاء ممَّن دخل في الهلكة ﴿٦﴾ .

٣. صيغ القسم :

اختلف العلماء في القسم ؛ أهو خبر ، أم إنشاء . فمن الذين يعدُّونه من الخبر ابن جنِّي - رحمه الله - حيث قال : ((اعلم أنَّ القسم ضرب من الخبر يذكر ليؤكد به خبر آخر))^٧ . والأرجح - والله أعلم - أنَّه من الإنشاء غير الطَّلبيِّ ، وقد نقل السيوطي - رحمه الله - الإجماع عن القرافي^٨ على أنَّه من الإنشاء ، فقال : ((نقل القرافي الإجماع على أنَّه إنشاء ، وفائدته تأكيد الجملة الخبرية ، وتحقيقها عند السَّامع))^٩ .

١ سورة البقرة / ١٧٥ . والآية بتمامها : ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾ .

٢ يُنْظَر : الكتاب ١ / ٣٣١ .

٣ سورة طه / ٤٤ .

٤ سورة المطففين / ١ .

٥ سورة المطففين / ١٠ .

٦ الإِتقان ٢ / ٢٠٦ .

٧ اللُّمع في العربيَّة / ١٨٣ .

٨ أحمد بن إدريس أبو العباس من علماء المالكيَّة ، مصري النَّشأة ، والوفاء له : الأحكام ، والدَّخيرة ، توفي -

رحمه الله - سنة أربع وثمانين وسثمائة هجرية . ينظر : الأعلام ١ / ٩٤ .

٩ الإِتقان ٢ / ٢٢٤ .

وتكون بثلاثة أحرف هي : (الواو و الباء و التاء) ، وهذه الأحرف الثلاثة تجرّ ما بعدها ، وتكون بغيرها ، نحو : (لعمرك ما فعلت كذا) ، كما تكون بالفعل (أقسم) ، أو ما في معناه من مثل (أحلف) .

والحرف الأصلي في القسم هو (الباء) ، وتدخل على المقسم به ، سواء أكان اسماً ظاهراً ، أو ضميراً ، نحو قوله ﷻ : ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوْجِعِ النُّجُومِ ﴾^١ ، ونحو قوله ﷻ : ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴾^٢ . ونحو : (أقسم بالله) ، و (أقسم به)^٣ .

وحرف (الواو) تدخل على الاسم الظاهر فقط ، نحو قوله ﷻ : ﴿ وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا * وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَّهَا * وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّهَا * وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا * وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا * وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا * وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴾^٤ ، و نحو قوله ﷻ : ﴿ وَالضُّحَى * وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى * مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى * وَلَا آخِرَةَ خَيْرَ لَكَ مِنَ الْأُولَى * وَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ﴾^٥ .

وحرف (التاء) فهي لا تدخل إلا على اسم الله ﷻ فقط ، نحو قوله ﷻ : ﴿ قَالُوا تَأَلَّه لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ ﴾^٦ .

و نحو قوله ﷻ : ﴿ تَأَلَّه لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾^٧ ، و نحو قوله ﷻ : ﴿ وَتَأَلَّه لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ ﴾^٨ .

وهناك صيغ أخرى للقسم ترد كثيراً في أساليب العربية منها (لعمر) مضافة إلى اسم ظاهر مثل : (لعمر الله) ، أو ضمير مثل : (لعمرك) ، وتقدير ذلك : لعمر الله ، و لعمرك قسمي ، أو يميني ، أو ما أحلف به ، نحو قوله ﷻ : ﴿ لَعْمَرِكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾^٩ .

^١ سورة الواقعة / ٧٥ .

^٢ سورة الحاقة / ٣٨ .

^٣ اللُّبَاب في علل البناء والإعراب ١ / ٣٧٤ - ٣٧٥ .

^٤ سورة الشمس / ١ - ٧ .

^٥ سورة الضحى / ١ - ٥ .

^٦ سورة يوسف / ٧٣ .

^٧ سورة النحل / ٦٣ .

^٨ سورة الأنبياء / ٥٧ .

^٩ سورة الحجر / ٧٢ .

والقسم إذا كان مجرداً عن المقسم به - لأنه ليس من لوازمه - فإنما يراد به تأكيد قول ، أو إظهار عزم ، وصريمة .

أما إذا أقسم بشيء فإن المقصود هو الإشهاد ، حتى في الأيمان الدينية ، وإنما اختلط به معنى التعظيم من جهة المقسم به ، لا من جهة أصل معنى القسم . وربما يكون القسم لمحض الاستدلال .
أما أقسام القرآن فليست إلا للاستدلال ، والاستشهاد بالآيات الدالة .

٤ . الرجاء :

يكون الرجاء بأفعال الرجاء الثلاثة (عسى ، و حرى ، و اخلوق) ، ويكون بحرف الرجاء (لعل) .

نحو قوله ﷻ : ﴿ كَتَبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالَ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾^١ ، و نحو قوله ﷻ : ﴿ قَالَ بَلْ سَأَلْتُمْ لَكُمْ أَنْفُسَكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾^٢ ، و نحو قوله ﷻ : ﴿ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُذْتُمْ عُنَدَنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيراً ﴾^٣ .

ويكون الرجاء بـ(لعل) التي تفيد الرجاء ، لا (لعل) التي تفيد التعليل بمعنى (كي) ، يَأْيُهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ^٤ ، و نحو قوله ﷻ : ﴿ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾^٥ ، فهذه كلها ليست من باب الرجاء ، فهي بمعنى التعليل ، أي كي تتقون ، وكي تشكرون ، وكي تهتدون . ولا (لعل) التي بمعنى (ظن) حو قول امرؤ القيس :

وَبَدَّلْتُ قَرْحاً دَامِياً بَعْدَ صِحَّةٍ فَيَا لَكَ مِنْ نُعْمَى تَحَوَّلَنْ أَبُوساً^٦

^١ سورة البقرة / ٢١٦ .

^٢ سورة يوسف / ٨٣ .

^٣ سورة الإسراء / ٨ .

^٤ سورة البقرة / ٢١ .

^٥ سورة البقرة / ٥٢ - ٥٣ .

^٦ البيت في ديوان امرئ القيس من بحر الطويل ، من قصيدة مطلعها :

ألمًا على الرِّبع القديم بعسعا كأنِّي أنادي أو أكلّم أخرسا

وفي رواية أخرى للبيت تقول :

ولكن يكون الرجاء بـ(لعل) التي تفيد الرجاء ، نحو قوله ﷺ : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا ﴾^١ .

٥. صيغ العقود :

وتكون بالفعل الماضي كثيراً ، نحو : بعته ، واشتريت ، و وهبت ، و أعتقت ، وقولك لمن أوجب عليك الزواج ، أو البيع ((قبلت هذا الزواج)) ، أو ((قبلت هذا البيع)) ، ويقع بغير الفعل الماضي قليلاً ، نحو : ((أنا بائع)) ، و ((عبدي حرٌّ لوجه الله تعالى)) . وفي كل هذه الحالات يفترن الفعل بالكلام ، فبمجرد أن تقول القول يكون الفعل قد تم^٢ . فهي من الإنشاء غير الطلبية .

وَيُدَلِّتُ فَرْحًا دَامِيًا بَعْدَ صِحَّةٍ لَعَلَّ مَنَائِمَنَا تَحْوُلُنَّ أَبْوَسًا

ديوان امرئ القيس / ٦٥ .

^١ سورة الطلاق / ١ .

^٢ جواهر البلاغة / ٦٩ - ٧٠ ، علم المعاني / ٧١ - ٧٤ .

المبحث الثالث

الجملة الخبرية

ثانياً - الجملة الخبرية " الأسلوب الخبري "

معنى الجملة الخبرية

الجملة الخبرية: هي الجملة التي اشتملت على خبر ما ، فمضمونها إخبار عن أمرٍ ما ، إيجاباً ، أو سلباً .

والقصد منها الإعلام بأنّ الحكم الذي اشتملت عليه له واقع خارج العبارة الكلامية مطابق له^١ .

هي التي تحتل الصدق والكذب لذاتها ، نحو قولنا : ((قَرَأَ مُحَمَّدٌ)) ، فهذه جملة أفادت نسبة القراءة إلى ((مُحَمَّد)) والحكم به عليه . فإن وافق ذلك الكلام الواقع كان الخبر صادقاً ، ووصف الكلام بالصدق ، وإن خالفه كان الخبر كاذباً ، ووصف الكلام بالكذب .

وكذا قولنا : ((مَا قَرَأَ مُحَمَّدٌ)) أفاد الكلام نفي القراءة عن ((مُحَمَّد)) ، فإن وافق ذلك الواقع وصف الكلام بالصدق ، وإن خالفه وصف بالكذب .

قال السكاكي - رحمه الله - عند ذكره الحدود التي تذكر لمعرفة الخبر الصدق والخبر الكذب - : ((كقولهم الخبر : هو الكلام المحتمل للصدق والكذب ، أو التصديق والتكذيب ، وكقولهم : هو الكلام المفيد بنفسه إضافة أمر من الأمور إلى أمرٍ من الأمور نفياً ، أو إثباتاً بعد تعريفهم الكلام بأنه المنتظم من الحروف المسموعة المتميزة ، وكقول من قال : هو القول المقتضي بصريحه نسبة معلوم إلى معلوم بالنفي أو بالإثبات))^٢ .

^١ يُنظَر : البلاغة العربية أسسها ، علومها ، فنونها ١ / ١٦٦ .

^٢ مفتاح العلوم / ٧٨ .

وقال الخطيب القزويني - رحمه الله - : ((ووجه الحصر أنّ الكلام : إمّا خبرٌ ، أو إنشاءٌ ، لأنّه إمّا أن يكون لنسبته خارج تطابقه ، أو لا تطابقه ، أو لا يكون لها خارج^١ ، الأوّل الخبر ، والثاني الإنشاء))^٢ .

وعرّفها الأزهرى فقال : ((الجمل الخبرية : هي المحتملة للتصديق والتكذيب مع قطع النظر عن قائلها))^٣ .

قال القاضي عبد القاهر الجرجاني - رحمه الله - : ((لا يكون خبر حتى يكون مخبر به ، ومخبر عنه ؛ لأنّه ينقسم إلى إثبات ونفي ، والإثبات يقتضي مثبتاً ومثبتاً له ، والنفي يقتضي منفيًا ومنفيًا عنه))^٤ .

ثمّ قال - رحمه الله - : ((فإنّه مما لا يبقى معه لعاقل شكٌّ أنّ الخبر معنى لا يتصور إلاّ بين شيئين ، يكون أحدهما مثبتاً ، والآخر مثبتاً له ، أو يكون أحدهما منفيًا ، والآخر منفيًا عنه ، وأنّه لا يتصور مثبت من غير مثبت له ، ومنفي من دون منفي عنه ، ولما كان الأمر كذلك أوجب ذلك أن لا يعقل إلاّ من مجموع جملة فعل واسم ، كقولنا : ((خرج زيد)) ، أو اسم واسم كقولنا : ((زيدٌ مُنْطَلِقٌ)) ، فليس في الدنيا خبرٌ يُعرّف من غير هذا السبيل ، وبغير هذا الدليل . . . كذلك لا يُتصور أن يكون خبرٌ حتى يكون له مخبر يصدر عنه ، ويحصل من جهته ، ويكون له نسبة إليه ، وتعود التّبعة فيه عليه ، فيكون هو الموصوف بالصدق إن كان صادقاً ، وبالكذب إن كان كذباً ، أفلا ترى أنّ من المعلوم أنّه لا يكون إثبات ونفي ، حتّى يكون مثبت ونافي يكون مصدرهما من جهته ويكون هو

^١ وقد أوضح هذا الكلام ، الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي فقال : ((أن الكلام لا محالة ، يشتمل على نسبة تامة بين الطرفين قائمة بنفس المتكلم ، وهي تعلق أحد الشئيين - أي الطرفين : المسند أو المسند إليه - بالآخر ، بحيث يصح السكوت على التعلق ، سواء كان ذلك التعلق إيجابياً ، أو سلبياً (وهذا لا يكون إلا في الخبر ، بخلاف الإنشاء فلا يتصف بإيجاب ولا بسلب ، لأنهما من أنواع الحكم ، والإنشاء ليس بحكم ، بل هو إيجاد معنى بلفظ يقارنه في الوجود) أو غيرهما كما في الإنشائيات)) الإيضاح في علوم البلاغة ، شرح وتعليق د. محمد عبد المنعم خفاجي / ٥٦/١ .

^٢ الإيضاح في علوم البلاغة / ١ / ٥٥-٥٦ ، ويُنظر : شروح التلخيص / ١ / ١٦٢ - ١٦٦ ، والمطول / ١٧١ .

^٣ موصّل الطلاب على قواعد الإعراب / ٧١ .

^٤ دلائل الإعجاز / ٣٤٧ .

المرجى لهما ، والمبرم ، والناقض فيهما ، ويكون بهما موافقاً ومخالفاً ، ومصيباً ومخطئاً ، ومحسناً ومسيئاً^١ .

ونخلص من كل ما سبق إلى أن الجملة الخبرية هي : ((هي الجملة التي اشتملت على خبر ما ، فمضمونها إخبار عن أمر ما ، إيجاباً أو سلباً .
والقصد منها الإعلام بأن الحكم الذي اشتملت عليه له واقع خارج العبارة الكلامية مطابق له))^٢ .

وقد يوصف الخبر بالصدق فحسب ، أو بالكذب فقط ، ولكن هذا ليس لذات الكلام من حيث هو كلام خبري ، وإنما باعتبار أسباب أخرى خارجة عن نطاق الجملة تؤيد صدقه ، أو كذبه .

فأخبار القرآن لا تحتل إلا الصدق باعتبارها كلام الله ﷻ ، وإن كانت تحتل الصدق والكذب من حيث هي أخبار بصرف النظر عن قائلها ، وكذلك ما صح عن رسول الله ﷺ ، وأي كلام نجزم بصدق قائله .

وقول اليهود : ((عزيز ابن الله)) ، وقول النصارى : ((المسيح ابن الله)) ، وقول المشركين : ((الملائكة بنات الله)) ، وأدعاء الكذابين : ((أنهم أنبياء الله)) ، وأدعاء اليهود : ((أن فلسطين لهم)) ، كلام لا يحتل إلا الكذب ؛ لأن الواقع يكذبه ، ويبطله ، وإن كانت تحتل الصدق والكذب من حيث هي أخبار ، وكذا كل كلام على يقين من كذب قائله .

ولذا وضع العلماء قيماً آخر في تعريف الخبر ، فقالوا : ما احتل الصدق والكذب لذاته . أي لذات الخبر نفسه^٣ .

^١ نفس المصدر السابق / ٣٤٧ - ٣٤٨ .

^٢ البلاغة العربية أسسها ، علومها ، فنونها / ١٦٦ .

^٣ يُنظَر : مفتاح العلوم / ٧٨ . ٧٩ ، والمطول / ١٧١ ، حاشية المنياوي على شرح الدمنهوري لمتن الجواهر المكنون / ٣٠ . ٣٢ ، البلاغة العربية أسسها ، وعلومها وفنونها لعبد الرحمن حسن حبنكة الميداني ط . دار القلم ، الدار الشامية / ١٦٦ ، علم المعاني دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني / ١ . ٣٠ . ٣١ ، ٢ / ٦٢ ، والبلاغة وأفنانها / ٩٩ . ١٠١ .

أمثلة عن الجمل الخبرية

- توجد في القرآن الكريم أمثلة كثيرة للجملة الخبرية ، فلا أستطيع حصرها هنا ، ولكنني سأقتصر على البعض ، وقد افتتح الله ﷻ بها بعض سور القرآن منها :
- من الجمل الخبرية التي افتتح الله ﷻ بها بعض السور جملة : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ ﴾ من قوله ﷻ : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾^١ .
- وجملة : ﴿ بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ ﴾ من قوله ﷻ : ﴿ بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾^٢ .
- وجملة : ﴿ أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ ﴾ من قوله ﷻ : ﴿ أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾^٣ .
- وجملة : ﴿ اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ ﴾ من قوله ﷻ : ﴿ اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴾^٤ .
- وجملة : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ من قوله ﷻ : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾^٥ .
- وجملة : ﴿ سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا ﴾ من قوله ﷻ : ﴿ سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾^٦ .
- وجملة : ﴿ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ ﴾ من قوله ﷻ : ﴿ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴾^٧ .
- وجملة : ﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ من قوله ﷻ : ﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلُّ أَعْمَالُهُمْ ﴾^٨ .

١ سورة الأنفال / ١ .

٢ سورة التوبة / ١ .

٣ سورة النحل / ١ .

٤ سورة الأنبياء / ١ .

٥ سورة المؤمنین / ١ .

٦ سورة النور / ١ .

٧ سورة الزمر / ١ .

٨ سورة محمد / ١ .

- وجملة : ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا ﴾ من قوله ﷺ : ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ﴾^١ .
- وجملة : ﴿ افْتَرَبَتِ السَّاعَةُ ﴾ من قوله ﷺ : ﴿ افْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ ﴾^٢ .
- وجملة : ﴿ الرَّحْمَنُ ﴾ من قوله ﷺ : ﴿ الرَّحْمَنُ ﴾^٣ .
- وجملة : ﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ ﴾ من قوله ﷺ : ﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾^٤ .
- وجملة : ﴿ الْحَاقَّةُ ﴾ من قوله ﷺ : ﴿ الْحَاقَّةُ ﴾^٥ .
- وجملة : ﴿ سَأَلَ سَائِلٌ ﴾ من قوله ﷺ : ﴿ سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴾^٦ .
- وجملة : ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا ﴾ من قوله ﷺ : ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾^٧ .

فهذه جمل خبرية بدأ الله ﷻ بها سور القرآن الكريم .

ومن الجمل الخبرية جملة ﴿ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا ﴾ في قصة إبراهيم عليه السلام عندما كسر الأصنام ، ثم جعل الفأس في رقبة كبيرهم ، وحين سُئِلَ عن الفاعل قال : ﴿ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ ﴾^٨ ، ففي الآيات إشارة لقومه بأن من لا ينطق ولا يدفع عنه الضر لا يستحق أن يُتخذ إلهاً ، وشبهة الكذب على إبراهيم - عليه السلام - مندفة بأنه لم يكن في مقام الأخبار حتى يقال بكذبه ، فالصدق والكذب من لوازم الخبر ، بينما هو يستهزئ بقومه ، فالجملة خبرية في مورد الاستهزاء ، كما هو حال الجملة الخبرية التي تستخدم في مقام الإنشاء ، فلا يصح عند ذلك وصفها بالصدق أو الكذب .

ومن الجمل الخبرية قوله ﷺ : ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْخُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾^٩ .

^١ سورة الفتح / ١ .

^٢ سورة القمر / ١ .

^٣ سورة الرحمن / ١ .

^٤ سورة المجادلة / ١ .

^٥ سورة الحاقة / ١ .

^٦ سورة المعارج / ١ .

^٧ سورة نوح / ١ .

^٨ سورة الأنبياء / ٦٣ .

^٩ سورة يونس / ٢٦ .

ومن الجمل الخبرية جملة ﴿ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴾ من قوله ﷻ : ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴾^١ .

ومن الجمل الخبرية قوله ﷻ : ﴿ فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾^٢ .

ومن الجمل الخبرية قوله ﷻ : ﴿ الَمْ * غَلَبَتِ الرُّومَ * فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِّنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ * فِي بَضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلِ وَمِنْ بَعْدِ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ * بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾^٣ .

ومن الجمل الخبرية قوله ﷻ : ﴿ الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ * الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ * وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ * وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ﴾^٤ .
ومن الجمل الخبرية جملة : ﴿ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ ﴾ ، و : ﴿ فَكَرِهْتُمُوهُ ﴾ ، و : ﴿ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴾ ، هذا من قوله ﷻ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴾^٥ .

ومن الجمل الخبرية قوله ﷻ : ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾^٦ .

ومن الجمل الخبرية ؛ صفات الله الخبرية التي وصف الله بها نفسه في كتابه ،

ومنها :

قوله ﷻ : ﴿ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾^٧ ، وقوله ﷻ : ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾^٨ ، وقوله ﷻ : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾^٩ .

^١ سورة مريم / ٤ .

^٢ سورة القصص / ٢٤ .

^٣ سورة الرُّوم / ١ - ٥ .

^٤ سورة الرَّحْمَن / ١ - ٧ .

^٥ سورة الحجرات / ١٢ .

^٦ سورة يونس / ٢٦ .

^٧ سورة الذَّارِيَات / ٤٧ .

^٨ سورة طه / ٥ .

^٩ سورة الشُّورَى / ١١ .

وهناك جمل خبرية كثيرة في أحاديث الرسول ﷺ نحو قوله ﷺ : ((الجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله ، والنار مثل ذلك))^١ .

- ونحو قوله ﷺ : ((الجنة تحت أقدام الأمهات))^٢ .
- ونحو قوله ﷺ : ((سبعة يظلهم الله في ظله : الإمام العادل ، وشاب نشأ بعبادة الله ، ورجل قلبه معلق في المساجد ، ورجلان تحابا في الله ؛ اجتمعا عليه وتفرقا عليه ، ورجل دعتة امرأة ذات منصب وجمال ، فقال إني أخاف الله ، ورجل تصدق بصدقه ، فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ، ورجل ذكر الله خالياً ، ففاضت عيناه))^٣ .

- ونحو قوله ﷺ : ((عدل ساعة خير من عبادة سنة))^٤ .
- ونحو قول عنتر بن شداد :

لا يَحْمِلُ الْحِقْدَ مَنْ تَعَلَّوْا بِهِ الرُّتْبُ وَلَا يَبَالُ الْعُلَا مَنْ طَبَعَهُ الْغَضَبُ^٥ .

- ونحو قول أبو الطيب المتنبي :

^١ رواه البخاري في صحيحه عن عبدالله بن مسعود - رضي الله عنه - صحیح البخاري : حديث رقم / ٦١٢٣ ، ٥ / ٢٣٨٠ .

^٢ رواه أحمد والنسائي وابن ماجه والحاكم عن معاوية بن جاهمة السلمي . يُنظَر : الجامع الصغير ، والدرر المنتثر ، الإصدار ٣٠ . ٢ . للإمام السيوطي ، الحديث ٨٩٠٦ .

^٣ متفق عليه ، واللفظ لمسلم ، عن أبي هريرة . صحیح مسلم - لمسلم بن الحجاج أبي الحسين القشيري النيسابوري - دار إحياء التراث العربي - بيروت - تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي : حديث رقم / ١٠٣١ ، ٢ / ٧١٥ .

^٤ رواه الزيلعي في نصب ، وقال عنه : ((غريب بهذا اللفظ)) . نصب الزبية لأحاديث الهداية - لعبدالله بن يوسف أبي محمد الحنفي الزيلعي - دار الحديث - ١٣٥٧ هـ - تحقيق : محمد يوسف البتوري ٤ / ٦٧ .
^٥ البيت في ديوان عنتر وهو مطلع قصيدة ، من البحر البسيط ، يتوعد فيها النعمان بن المنذر ملك العرب ، ويفتخر بقومه ، وختمها بقوله :

والنقع يوم طراد الخيل يشهد لي والضرب والطعن والأقلام والكتب

ديوان عنتر بن شداد / ٢٢ .

أَعَزُّ مَكَانٍ فِي الدُّنْيَا سَرْجُ سَابِحٍ وَخَيْرُ جَلِيسٍ فِي الزَّمَانِ كِتَابٌ^١ .

• ونحو قول الفرزدق :

حُلُّ المُلُوكِ لِبِاسِنَا فِي أَهْلِنَا وَالسَّابِغَاتِ إِلَى الوَعْيِ تَسْرِيْلُ
أَخْلَامُنَا تَزِنُ الجِبَالَ رَزَانَةً وَتَخَالِنَا جِنًّا إِذَا مَا نَجْهَلُ^٢ .

• ونحو قول الحجاج بن يوسف الثقفي من خطبته في أهل العراق بعد دير الجماجم :

((إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ اسْتَبَطَنَكُمْ ، فَخَالَطَ اللَّحْمَ ، وَالدَّمَ ، وَالْعَصَبَ ، وَالْمَسَامِعَ ، وَالْأَطْرَافَ ،
وَالْأَعْضَاءَ ، وَالشَّعَافَ ، ثُمَّ أَفْضَى إِلَى الْأَمْخَاحِ ، وَالْأَصْمَاحِ ، ثُمَّ ارْتَفَعَ فَعَشَّشَ ، ثُمَّ بَاضَ
، وَفَرَّخَ ، فَحَشَاكُمْ نَفَاقًا ، وَشَقَاقًا ، وَأَشْعَرَكُمْ خِلَافًا أَخَذْتُمُوهُ دَلِيلًا تَتَّبِعُونَهُ ، وَقَائِدًا تَطِيعُونَهُ
، وَمُؤَامِرًا تَسْتَشِيرُونَهُ))^٣ .

وغير ذلك من الأمثلة الكثير سنذكرها في مواطنها ، ونكتفي بذلك .

^١ البيت لأبي الطيب المتنبي من قصيدة من بحر الطويل مطلعها :

((منى كن لي أن البياض خضاب فيخفى بتبييض القرون شباب))

ديوان أبي الطيب المتنبي ١ / ١٩٣ .

^٢ البيتان للفرزدق من قصيدة من بحر الكامل مطلعها :

” إن الذي سمك السماء بنى لنا بيتا دعائمه أعز وأطول “

يُنظَرُ : ديوان الفرزدق ٢ / ٢١١ .

^٣ البيان والتبيين ، لأبي عثمان عمرو بن بحر - دار صعب - بيروت - الطبعة الأولى - ١٩٦٨ م - تحقيق

: المحامي فوزي عطوي ١ / ٢٨٦ .

دلالات الجملة الخبرية ((الخبر))

الدلالة الأولى من دلالات الجملة الخبرية : الوعد والوعيد

نحو قوله ﷻ: ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾^١ ، وقوله ﷻ: ﴿ وَسَيَعْلَمَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴾^٢

وفي كلام ابن قتيبة^٣ - رحمه الله - ما يوهم أنه إنشاء .

الدلالة الثانية من دلالات الجملة الخبرية : النفي

ومن دلالات الجملة الخبرية النفي ، وهو شطر الكلام كله ، والفرق بينه ، وبين الجحد ، أن النافي إن كان صادقاً سُمِّيَ كلامه نفيّاً ، ولا يسمَّى جحداً ، وإن كان كاذباً سُمِّيَ جحداً ، ونفيّاً أيضاً ، فكلُّ جحدٍ نفي ، وليس كلُّ نفي جحداً ، ذكره أبو جعفر النَّحَّاس ، وابن الشَّجَرِيّ ، وغيرهما .

^١ سورة فصلت / ٥٣

^٢ الآية كاملة : ﴿ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴾ (سورة الشعراء / ٢٢٧) .

^٣ عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري النحوي اللغوي كان رأساً في العربية ، واللغة والأخبار وأيام الناس ثقة ديواناً فاضلاً هكذا وصفه الخطيب في التاريخ . يُنظر : تاريخ بغداد ١ / ١٧٠ ، والبغية ٢ / ٦٣ .

^٤ هبة الله بن علي بن محمد الحسني ، أبو السَّعَادَاتِ ، الشَّرِيفُ ، المعروف بابن الشَّجَرِيّ . من أئمة العلم باللغة والأدب وأحوال العرب . مولده ببغداد سنة خمسين وأربعمائة هجرية ، ووفاته - رحمه الله - سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة هجرية . من كتبه ((الأمالي)) ، و ((الحماسة)) ضاهى به حماسة أبي تمام ، و ((ديوان مختارات الشعراء)) ، و ((ديوان شعر)) ، وكتاب ((ما اتفق لفظه واختلف معناه)) ، و ((شرح اللُّمَع لابن جني)) ، و ((شرح التَّصْرِيف الملوكي)) . ينظر : معجم الأدباء ١٩ / ٢٨٢ ، وفيات الأعيان ١ / ٢٣٨ ، ومعجم المؤلفين

أدوات النفي

أدوات النفي هي : ((لآ)) ، و ((لآت)) ، و ((لئيس)) ، و ((مآ)) ، و ((إن)) ، و ((لم)) ، و ((لمآ)) .

ذكر جلال الدين السيوطي - رحمه الله - فائدة عن الخويي ، فقال : ((فائدة زائدة قال الخويي : أصل أدوات النفي ((لآ)) ، و ((مآ)) ؛ لأنَّ النفي إمَّا في الماضي ، وإمَّا في المستقبل ، والاستقبال أكثر من الماضي أبداً ، ولا أخفَّ من ((مآ)) ، فوضعوا الأخفَّ للأكثر .

ثمَّ إنَّ النفي في الماضي إمَّا أن يكون نفيًا واحدًا مستمرًا ، أو نفيًا فيه أحكام متعدّدة ، وكذلك النفي في المستقبل ، فصار النفي على أربعة أقسام ، واختاروا له أربع كلمات : ((مآ)) ، و ((لم)) ، و ((لن)) ، و ((لآ)) ، وأمَّا ((إن)) ، و ((لمآ)) ، فليسا بأصلين ، ف((مآ)) ، و ((لآ)) في الماضي ، والمستقبل متقابلان ، و ((لم)) كأنَّه مأخوذ من ((لآ)) ، و ((مآ)) ؛ لأنَّ ((لم)) نفي للاستقبال لفظاً ، والمضي معنى ، فأخذ اللام من ((لآ)) التي هي لنفي المستقبل ، والميم من ((مآ)) التي هي لنفي الماضي ، وجمع بينهما إشارة إلى أنَّ في ((لم)) إشارة إلى المستقبل ، والماضي ، وقُدِّم اللام على الميم إشارة إلى أنَّ ((لآ)) هي أصل النفي ، ولهذا ينفي بها في أثناء الكلام ، فيقال : ((لم يفعل زيدٌ ، ولا عمرو)) ، وأمَّا ((لمآ)) فتركيب بعد تركيب ، كأنَّه قال : ((لم)) ، و ((مآ)) لتوكيد معنى النفي في الماضي ، وتفيد الاستقبال أيضاً ، ولهذا تفيد ((لمآ)) الاستمرار .^١

أمثلة الجمل الخبرية المنفية

نحو جملة : ﴿ لا يسألون الناس إلحافاً ﴾ من قوله ﷺ : ﴿ للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضرباً في الأرض يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس إلحافاً وما تنفقوا من خير فإن الله به عليم ﴾^٢ ، فهذه جملة خبرية منفية ، فقد

^١ الإتيان في علوم القرآن ٢ / ٢٠٧ .

^٢ سورة البقرة / ٢٧٣ .

نفي الإلحاف في السؤال في ظاهر الآية ، والمطلوب حقيقة نفي السؤال تماماً بإلحاف أو بدون إلحاف ، وهذا فن جميل من أبداع الفنون البيانية ويسمونه ((نفي الشيء بإيجابه)) وحده أن يثبت الشاعر أو الكاتب شيئاً في ظاهر كلامه ، ثم ينفي ما هو من سببه ، قال ابن الأثير^١ - رحمه الله - في تعريفه : ((في عكس الظاهر : وهو نفي الشيء بإثباته ، وهو من مستطرفات علم البيان وذلك أنك تذكر كلاماً يدل ظاهره على أنه نفي لصفة موصوف ، وهو نفي للموصوف أصلاً))^٢ . وهو كثير في القرآن الكريم . وفي هذه الآية فالمنفي في الظاهر هو الإلحاف في السؤال ، لا نفس السؤال مجازاً ، والمنفي في الباطن حقيقة هو نفس السؤال ، إلحافاً كان أو غير إلحاف ، وهذا الذي يقتضيه المديح ، وهو من طرائف علم البيان . ومن بارعة قول الإمام علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - في وصف النبي ﷺ في مجلسه : ((لا تنتهي فلتاته)) ، أي : لا تداع سقطاته ، فظاهر هذا اللفظ أنه كان ثم فلتات غير أنها لا تداع ، وليس المراد ذلك ، ولكن المراد أنه لم يكن ثم فلتات للنبي ﷺ فننتى . وهذا من أغرب ما توسعت فيه لغتنا العربية .

وزعم ابن الأثير في ((المثل السائر)) ، أنه قليل في الشعر ، فقال : ((ولقد مكثت زماناً أطوف على أقوال الشعراء قصداً للظفر بأمتلة من الشعر جارية هذا المجرى فلم أجد إلا بيتاً لامرئ القيس وهو :

عَلَى لَاحِبٍ لَا يَهْتَدِي لِمَنَارِهِ إِذَا سَافَهُ الْعُودَ الدِّيَابِيُّ جَرَجْرًا^٣))^٤ .

ونحو قوله ﷺ : ﴿ مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظَلِّعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ^٥ .

^١ أبو الفتح ضياء الدين نصرالله بن محمد بن محمد بن عبدالكريم الموصلية . توفي - رحمه الله - في سنة سبع وثلاثين وستمائة هجرية .

^٢ المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، لأبي الفتح ضياء الدين نصرالله بن محمد بن محمد بن عبدالكريم الموصلية - المكتبة العصرية - بيروت - ١٩٩٥ م - تحقيق : محمد محيي الدين عبدالحميد ٢ / ٦١ .

^٣ البيت لامرئ القيس من بحر الطويل من قصيدة طويلة يقول في مطلعها :

سَمَا لَكَ شَوْقٌ بَعْدَمَا كَانَ أَفْصَرَا وَحَلَّتْ سُلَيْمَى بَطْنَ قَوْ فَعَرَعَرَا

وختمها بقوله : وَنَشْرَبُ حَتَّى نَحْسِبَ الْخَيْلَ حَوْلَنَا نِقَادًا وَحَتَّى نَحْسِبَ الْجَوْنَ أَشْقَرَا

ويروى البيت : عَلَى لَاحِبٍ لَا يَهْتَدِي بِمَنَارِهِ إِذَا سَافَهُ الْعُودُ النُّبَاطِيُّ جَرَجْرًا

^٤ المثل السائر ٢ / ٦٢ .

^٥ سورة آل عمران / ١٧٩ .

قال الألوسي - رحمه الله - في قوله ﷺ : ﴿ مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ ﴾ : ((كلام مستأنف مسوق لوعده المؤمنين ، ووعيد المنافقين بالعقوبة الدنيوية ، وهي الفضيحة ، والخزي إثر بيان عقوبتهم الأخروية ، وقدّم بيان ذلك ؛ لأنه أمس بالإملاء لازدياد الآثام ، وفي هذا الوعد ، والوعيد أيضاً ما لا يخفى من التسلية له ﷺ
واللّام في ﴿ لِيَذَرَ ﴾ متعلّقة بمحذوف هو الخبر لكان ، والفعل منصوب بـ ((أَنْ مضمرة بعدها . كما ذهب إليه البصريون . أي : ما كان الله مريداً لأن يذر المؤمنين الخ .

وقال الكوفيون اللّام مزيدة للتأكيد ، وناصبة للفعل بنفسها ، والخبر هو الفعل ؛ ولا يقدح في عملها زيادتها ؛ إذ الزائد قد يعمل كما في حروف الجر الزائدة ، فلا ضعف في مذهبهم من هذه الحيثية كما وهم^١ .
ونحو قوله ﷺ : ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾^٢ . فهذه جمل خبرية منفية .

قال الألوسي - رحمه الله - في قوله ﷺ : ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ ﴾ : ((جواب لكلمتهم الشنعاء ، وبيان لما كان الموجب لإمهالهم ، وعدم إجابة دعائهم الذي قصدوا به ما قصدوا ، واللّام هي التي تُسمّى لام الجحود ، ولام النّفي لاختصاصها بنفي كان الماضية لفظاً أو معنى ، وهي إمّا زائدة ، أو غير زائدة ، والخبر محذوف ، أي : ((ما كان الله مريداً لتعذيبهم)) ؛ وأياً ما كان ، فالمراد تأكيد النّفي ، أمّا على زيادتها فظاهر ، وأمّا على عدم زيادتها ، وجعل الخبر ما علمت فلانّ نفي إرادة الفعل أبلغ من نفيه ، وقيل : في وجه إفادة اللّام تأكيد النّفي هنا أنّها هي التي في قولهم : ((أنت لهذه الخطّة)) ، أي مناسب لها ، وهي تليق بك ، ونفي اللياقة أبلغ من نفي أصل الفعل ، ولا يخلو عن حسن ، وإن قيل : إنّه تكلف لا حاجة إليه بعد ما بيّنه النّحاة في وجه ذلك))^٣ .

والجمل الخبرية السابقة جمل منفية مقيدة ، فالجملة الخبرية الأولى : ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ ﴾ ، مقيدة بالجملة الاسمية ﴿ وَأَنْتَ فِيهِمْ ﴾ ، والجملة الاسمية في موضع نصب حال .

^١ روح المعاني ٤ / ١٣٦ ، و يُنظَر : إملاء ما منّ به الرّحمن / ١٦٦ .

^٢ سورة الأنفال / ٣٣ .

^٣ روح المعاني ٩ / ٢٠٠ .

والجملة الخبرية الثانية : ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ مقيّدة بالجملة الاسمية ﴿ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ ، والجملة الاسمية في موضع نصب حال .

والقيد في الكلام المنفي قد يكون لتقييد النفي ، وقد يكون لنفي التقييد ؛ بمعنى انتفاء كل من الفعل والقيد ، أو القيد فقط ، أو الفعل فقط .

وأياً ما كان فالجملة الاسمية في موضع الحال ، إلا أن القيد مثبت على الوجهين الأولين ، منفي على الوجه الأخير ، ومبني الاختلاف في ذلك ما نقل عن السلف من الاختلاف في تفسيره .

وقيل : إن الدال على انتفاء الاستغفار هنا على الوجه الأخير القرينة ، والمقام ، لا نفس الكلام ، وإلا لكان معنى ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ ﴾ نفي كونه فيهم ، لأن أمر الحالية مشترك بين الجملتين .

وقال بعضهم : إن المعنى الأولى : ((لو كنت فيهم لم يعذبوا)) ، كما قيل في معنى ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ : ((لو استغفروا لم يعذبوا)) ، ويكون ذلك إشارة إلى أنهم عذبوا بما وقع لهم في بدر ؛ لأنهم أخرجوا النبي ﷺ من مكة ، ولم يبق فيهم فيها ؛ إلا أن هذا خلاف الظاهر .

ومن تأكيد النفي في قوله : ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ ﴾ ، وعدم تأكيده في قوله : ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ يظهر أن كون النبي ﷺ فيهم أدعى حكمة لعدم التعذيب من الاستغفار^١ .

ونحو قوله ﷻ : ﴿ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾^٢ ، جملة خبرية منفية ، أي : فما صحّ من الله ﷻ أن يظلمهم ، وهو حكيم لا يجوز عليه القبيح ، وأن يعاقبهم بغير جرم ، ولكن ظلّموا أنفسهم حيث كفروا به فاستحقوا عقابه .

ونحو قوله ﷻ : ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾^٣ .

ونحو قوله ﷻ : ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهِلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلِهَا مُصْلِحُونَ ﴾^٤ ، أي ما صحّ ، وما استقام ، بل استحال في الحكمة أن يهلك القرى التي أهلكتها ، وبلغتكم أنبأؤها ،

^١ يُنظَر : روح المعاني ٩ / ٢٠٠ .

^٢ سورة التوبة / ٧٠ .

^٣ سورة التوبة / ١١٥ .

^٤ سورة هود / ١١٧ .

وغيرها من القرى الظالم أهلها ، واللام في مثل ذلك زائدة لتأكيد النفي عند الكوفيين ، وعند البصريين متعلقة بمحذوف توجه إليه النفي^١ .

ونحو قوله ﷺ : ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾^٢ .

ونحو قوله ﷺ : ﴿ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾^٣ .

ونحو قوله ﷺ : ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾^٤ . فقد نفى الله ﷺ في هذه الآية الأبوة الحقيقية الشرعية التي يترتب عليها أحكام الأبوة الحقيقية اللغوية ؛ من الإرث ، ووجوب النفقة وحرمة المصاهرة سواء أكانت بالولادة ، أو بالرضاع ، أو بالتبني .

وتعميم نفي أبوته ﷺ لأحد من رجالهم بحيث شمل نفي الأبوة بالولادة ، والأبوة بالرضاع ، والأبوة بالتبني ، مع أن الكلام في انتفاء الأبوة بالتبني فقط ، إذ هي التي يزعمها من يقول : ((تزوج محمد ﷺ زوجة ابنه)) ؛ للمبالغة في نفي الأبوة بالتبني التي زعموا ترتب أحكام الأبوة الحقيقية عليها بنظم ما خفي في سلك ما لا خفاء فيه أصلاً .

ولعل هذا هو السر في قوله ﷺ : ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ ﴾ دون ((مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن الرِّجَالِ)) ، أو ((مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّنكُمْ)) ، ولعله لهذا أيضاً صرح بنفي أبوته ﷺ لأحد من رجالهم ؛ ليعلم منه نفي بنوة أحد من رجالهم له ﷺ ، ولم يعكس الحال بأن يصرح بنفي بنوة أحد من رجالهم له ﷺ ليعلم نفي أبوته ﷺ لأحد من رجالهم ، ويؤتي بما بعد على وجه ينتظم مع ما قبل ، وبحمل الأبوة المنفية على الأبوة الحقيقية الشرعية ينحل إشكال في الآية ، وهو أن سياقها لنفي أبوته ﷺ لزيد ؛ ليرد به على من يعترض على النبي ﷺ بتزوجه مطلقته ، فإن أريد بالأبوة الحقيقية اللغوية ، وهي ما يكون بالولادة لم تلائم السياق ، ولم يحصل بها الرد المذكور مع أن هو المقصود ، إذ لم يكن أحد يزعم ويتوهم أنه ﷺ كان أباً زيد بالولادة ، وإن أريد بها الأبوة المجازية التي تحقق بالتبني ونحوه ، فنفيها غير صحيح ؛ لأنه ﷺ كان أباً لزيد مجازاً لتبنيه إياه ولم يزل زيد يدعى بابن محمد ﷺ حتى نزل قوله ﷺ : ﴿ ادْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ

^١ يُنظَر : روح المعاني ١٢ / ١٦٣ .

^٢ سورة العنكبوت / ٤٠ .

^٣ سورة الروم / ٩ .

^٤ سورة الأحزاب / ٤٠ .

لَمْ تَعْلَمُوا عِبَاءَهُمْ فَأَخَوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوْلِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١﴾ فدعوه حينئذ بابت حارثة ٢ .

ونحو قوله ﷺ : ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ ٣ ، أي : وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ صَلَاتَكُمْ إِلَى الْقِبْلَةِ الْمَنْسُوخَةِ ، فالإيمان مجاز من إطلاق اللّام على ملزومه ٤ . وقيل : المراد ثباتكم على الإيمان ، أو إيمانكم بالقبلة المنسوخة ٥ - واللام . في ﴿ لِيُضِيعَ ﴾ متعلّقة بخبر ((كَانَ)) المحذوف . كما هو رأي البصريين . ، وانتصاب الفعل بعدها بـ ((أَنْ)) مضمرة ، أي ما كان مريداً . لأنّ يضيع . وفي توجيه النفي إلى إرادة الفعل مبالغة ليست في توجيهه إليه نفسه ٥ .

وقال الكوفيون : اللّام زائدة ، وهي النّاصبة للفعل ، و ﴿ يَضِيعُ ﴾ هو الخبر ، ولا يقدر في عملها زيادتها ، كما لا تقدر زيادة حروف الجر في العمل ، وبهذا يندفع استبعاد أبي البقاء خبرية ﴿ يَضِيعُ ﴾ بأنّ . اللّام لام الجرّ - و ((أَنْ)) بعدها مرادة ، فيصير التقدير : ((ما كان الله إضاعة إيمانكم)) . فيحوج للتأويل . لكن أنت تعلم أنّ هذا الذي ذهب إليه الكوفيون بعيد من جهة أخرى لا تخفى ٥ .

ونحو قوله ﷺ : ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴾ ٦ .

الجدد

جَدَدَهُ حَقَّةً وَبِحَقِّهِ، كمنعه، و جَدَدًا وَجُودًا : أُنْكَرَهُ مَعِ عِلْمِهِ ٧ .

١ سورة الأحزاب / ٥ .

٢ يُنْظَرُ : روح المعاني ٢١ / ١٤٧ .

٣ سورة البقرة / ١٤٣ .

٤ يُنْظَرُ : إملاء ما من به الرّحمن / ٧٤ .

٥ يُنْظَرُ : روح المعاني ٢ / ٣ .

٦ سورة فاطر / ٤٤ .

٧ القاموس المحيط ٧ .

وَالْجُحُودُ : الإنكار مع العلم يقال جَدَّه حَقَّه ، وجده بحقه ، وبابه قطع وخضع و
الْجَدُّ قَلَّةُ الْخَيْرِ^١ .

وقال الأصفهاني^٢ - رحمه الله - : والجحود : نفي ما في القلب إثباته ، وإثبات ما في القلب نفيه ، يقال : جدد جوداً ، وجدداً قال عز وجل^٣ : ﴿ وَجَعَدُوا بِهَا وَأَسْتَيْقِنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ﴾^٤ ، وقال عز وجل^٥ : ﴿ بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴾^٤ ، وَتَجَدَّدَ تَخَصَّصَ بفعل ذلك ، يقال : رجل جدد : شحيح قليل الخير يظهر الفقر ، وأرض جعدة : قليلة الثبوت ، يقال : جدداً له ونكدأ ، وأجدد : صار ذا جدد^٥ .

مثل قوله ﷺ : ﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾^٦ ، و ﴿ إِنْ ﴾ في قوله ﷺ ﴿ إِنْ هَذَا ﴾ نافية ، أي ما هذا الكتاب ﴿ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ أي ظاهر كونه سحراً .

ونحو قوله ﷺ : ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَلَئِنْ قُلْتُمْ إِنَّا نَجْعَلُكُمْ مَجْعُودِينَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولُنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾^٧

ومنه نفي فرعون وقومه آيات موسى قال الله ﷻ : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾^٨ .

^١ مختار الصحاح .

^٢ الحسين بن محمد بن محمد بن الفضل ، أبو القاسم الاصفهاني (أو الاصبهاني) المعروف بالراغب ، ولد ستة اثنتين وخمسمائة للميلاد ، أديب ، من الحكماء العلماء . من أهل (أصبهان) سكن بغداد ، واشتهر ، حتى كان يقرن بالإمام الغزالي ، توفي سنة ثمان ومائة وألف للميلاد . من كتبه (محاضرات الادباء - ط) مجلدان ، و (الذريعة إلى مكارم الشريعة - ط) و (الاخلاق) ويسمى (أخلاق الراغب) و (جامع التفاسير) كبير ، طبعت مقدمته ، أخذ عنه البيضاوي في تفسيره ، و (المفردات في غريب القرآن - ط) و (حل متشابهات القرآن - خ) و (تفصيل النشأتين - ط) في الحكمة وعلم النفس ، و (تحقيق البيان - خ) في اللغة والحكمة ، وكتاب في (الاعتقاد - خ) و (أفانين البلاغة) . الأعلام للزركلي ٢ / ٢٥٥ .

^٣ سورة النمل / ١٤ .

^٤ سورة الأعراف / ٥١ .

^٥ مفردات ألفاظ القرآن .

^٦ سورة الأنعام / ٧ .

^٧ سورة هود / ٧ .

^٨ سورة سبأ / ٤٣ .

تنبيهات حول النفي

التنبيه الأول

- زعم بعض العلماء أنّ شرط صحّة النفي عن الشّيء صحّة اتصاف المنفي عنه بذلك الشّيء ، وهو مردود بمثل قوله ﷺ : ﴿ لَا تَأْخُذْهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾^١ .
- وقول الله ﷻ : ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِغَفَلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾^٢ .
- وقول الله ﷻ : ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾^٣ .
- والصّواب أنّ انتفاء الشّيء عن الشّيء قد يكون لكونه لا يمكن منه عقلاً ، وقد يكون لكونه لا يقع منه مع إمكانه .

التنبيه الثاني

- نفي الذات الموصوفة قد يكون نفيّاً للصفة دون الذات ، وقد يكون نفيّاً للذات أيضاً .
- من نفي الذات الموصوفة الذي هو نفي للصفة دون الذات : قوله ﷺ : ﴿ وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَداً لَّا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ ﴾^٤ ؛ أي : بل هم جسد يأكلونه .
- ومن نفي الذات الموصوفة الذي هو للذات : قوله ﷻ : ﴿ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِحْافًا ﴾^٥ ؛ أي لا سؤال لهم أصلاً ، فلا يحصل منهم إحاف .
- ونحو قوله ﷻ : ﴿ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾^٦ ، أي لا شفيع لهم أصلاً .

^١ سورة البقرة / ٢٥٥ .

^٢ سورة الأنعام / ١٣٢ .

^٣ سورة مريم / ٦٤ .

^٤ سورة الأنبياء / ٨ .

^٥ سورة البقرة / ٢٧٣ .

^٦ سورة غافر / ١٨ .

- ونحو قوله ﷺ: ﴿فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾^١؛ أي لا شافعین لهم فتفنعهم شفاعتهم ، بدليل قولهم: ﴿فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ﴾^٢ .
- ويُسمَّى هذا النوع عند أهل البديع^٣ نفي الشّيء بإيجابه ، وعبارة ابن رشيق في تفسيره أن يكون الكلام ظاهره إيجاب الشّيء ، وباطنه نفيه ، بأن ينفي ما هو من سببه كوصفه ، وهو المنفي في الباطن .
- وعبارة غيره أن ينفي الشّيء مقيداً ، والمراد نفيه مطلقاً مبالغة في النفي ، وتأكيداً له ، ومنه قوله ﷺ: ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾^٤ ، فإنّ الإله مع الله لا يكون إلا عن غير برهان .
- ونحو قوله ﷺ: ﴿وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾^٥ ، فإنّ قتلهم لا يكون إلا بغير حق .
- ونحو قوله ﷺ: ﴿رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾^٦ ، فإنّها لا عمد لها أصلاً .

التشبيه الثالث

- قد ينفي الشّيء رأساً لعدم كمال وصفه ، أو انتفاء ثمرته ، كقوله ﷺ في صفة أهل النار: ﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى﴾^٧ ، فنفي عنه الموت ؛ لأنّه ليس بموتٍ صريح ، ونفي عنه الحياة ؛ لأنّها ليست بحياة طيبة ، ولا نافعة .
- ونحو قوله ﷺ: ﴿وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾^١ ، فإنّ المعتزلة احتجوا بها على نفي الرؤية ، فإنّ النظر في قوله ﷺ: ﴿إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾^٢ ، لا يستلزم الإبصار ، وردّ بأنّ المعنى : أنّها تنظر إليه بإقبالها عليه ، وليست تبصر شيئاً .

^١ سورة المدثر / ٤٨ .

^٢ سورة الشعراء / ١٠٠ .

^٣ هو علم يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية المطابقة لمقتضى الحال ، وبعد رعاية وضوح الدلالة على المرام . والمستفاد من علم البديع الحسن العرضي ، ومن البيان الحسن الذاتي .

^٤ سورة المؤمنین / ١١٧ .

^٥ سورة آل عمران / ٢١ .

^٦ سورة الرعد / ٢٠ والآية كاملة : ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُؤْفِقُونَ﴾ .

^٧ سورة الأعلى / ١٣ .

ونحو قوله ﷻ : ﴿ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾^٣ ، فإنه وصفهم أولاً بالعلم على سبيل التوكيد القسمي ، ثم نفاه آخراً عنهم لعدم جريهم على موجب العلم ، قال بهذا السكاكي - رحمه الله - .

التنبيه الرابع

قالوا المجاز يصحُ نفيه ، بخلاف الحقيقة ، وأشكل على ذلك ، قوله ﷻ ﴿ وَمَا رَمَيْتْ إِذْ رَمَيْتْ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى ﴾^٤ ، فإنَّ المنفي فيه هو الحقيقة ، وأجيب بأنَّ المراد بالرَّمي هنا المترتب عليه ، وهو وصوله إلى الكفار ، فالوارد عليه النفي هنا مجاز لا حقيقة ، والتقدير : وما رميت خلقاً ، إذ رميت كسباً ، أو : ما رميت انتهاءً ، إذ رميت ابتداءً .

التنبيه الخامس

نفي الاستطاعة ؛ قد يراد به نفي القدرة ، والإمكان ، وقد يراد نفي الامتناع ، وقد يراد به الوقوع بمشقة وكلفة .

ومن نفي الاستطاعة المراد به نفي القدرة والإمكان ، قوله ﷻ : ﴿ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴾^٥ .

ومنه قوله ﷻ : ﴿ بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴾^٦ .

ومنه قوله ﷻ : ﴿ فَمَا اسْتَطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا ﴾^١ .

^١ سورة الأعراف / ١٩٨ . والآية بتمامها : ﴿ وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَىٰ الْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا وَتَرَاهُمْ يُنظَرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ .

^٢ سورة القيامة / ٢٣ .

^٣ سورة البقرة / ١٠٢ . والآية كاملة : ﴿ وَاتَّبِعُوا مَا نَزَّلْنَا عَلَىٰ الْمَلَائِكِينَ بَبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعْلَمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ .

^٤ سورة الأنفال / ١٧ .

^٥ سورة يس / ٥٠ .

^٦ سورة الأنبياء / ٤٠ .

ومن نفي الاستطاعة المراد به نفي الامتناع : قوله ﷺ : ﴿ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾^٢ ، على القراءتين ؛ أي : هل يفعل ، أو هل تجيبنا إلى أن تسأل ، فقد علموا أنه قادرٌ على الإنزال ، وأن عيسى قادرٌ على السؤال .

ومن نفي الاستطاعة المراد به الوقوع بمشقة وكلفة : قوله ﷺ : ﴿ قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴾^٣ .

التنبيه السادس

نفي العام يدلُّ على نفي الخاص ، وثبوته لا يدلُّ على ثبوته ، وثبوت الخاص يدلُّ على ثبوت العام ، ونفيه لا يدلُّ على نفيه ، ولا شك أن زيادة المفهوم من اللفظ توجب الالتذاذ به ، فلذلك كان نفي العام أحسن من نفي الخاص ، وإثبات الخاص أحسن من إثبات العام .

نفي العام يدلُّ على نفي الخاص

نحو قوله ﷺ : ﴿ فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ ﴾^٤ ، ولم يقل ((بِضُورِهِمْ)) بعد قوله ﴿ أَضَاءَتْ ﴾ ؛ لأنَّ النُّورَ أعمُّ من الضَّوِّءِ ، إذ يقال على القليل والكثير ، وإنما يقال الضوء على النور الكثير ، ولذلك قال ﷺ : ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾^٥ ، ففي الضَّوِّءِ دلالة على النُّورِ ، فهو أخصُّ منه ، فعدمه يوجب عدم الضَّوِّءِ ، بخلاف العكس ، والقصد إزالة النُّورِ عنهم أصلاً ، ولذا قال ﷺ عَقِبَهُ : ﴿ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ ﴾^٦ .

^١ سورة الكهف / ٩٧ .

^٢ سورة المائدة / ١١٢ .

^٣ سورة الكهف / ٦٧ .

^٤ سورة البقرة / ١٧ .

^٥ سورة يونس / ٥ .

^٦ سورة البقرة / ١٧ . والآية بتمامها : ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ .

ومنه قوله ﷺ : ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾^١ ، ولم يقل : ((ضلال)) ، كما قالوا له : ﴿ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾^٢ ؛ لأنها أعمُّ منه ، فكان أبلغ في نفي الضلال ، وعبر عن هذا بأن نفي الواحد يلزم منه نفي الجنس البتة ، وبأن نفي الأدنى يلزم منه نفي الأعلى .

ثبوت الخاص يدلُّ على ثبوت العام

نحو قوله ﷺ : ﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾^٣ ، ولم يقل : ((طولها)) ؛ لأنَّ العرض أخصُّ ، إذ كلُّ ما له عرض فله طول ، ولا ينعكس .

ونظير هذا أنَّ نفي المبالغة في الفعل لا يستلزم نفي أصل الفعل

وقد أشكل على هذا آيتان قوله ﷺ : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴾^٤ ، وقوله ﷺ : ﴿ وَمَا نَنْزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾^٥ .

وأجيب عن قوله ﷺ : ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴾^٦ ، بالآتي :

١. أنَّ ﴿ ظَلَّامٍ ﴾ : وإن كان للكثرة ، لكنَّه جيء به في مقابلة ﴿ لِلْعَبِيدِ ﴾ ، الذي هو جمع كثرة ، ويرشحه أن الله ﷻ قال : ﴿ عَلَامُ الْغُيُوبِ ﴾^٧ ، فقابل صيغة ((فَعَال)) بالجمع ،

^١ سورة الأعراف / ٦١ .

^٢ سورة الأعراف / ٦٠ .

^٣ سورة آل عمران / ١٣٣ .

^٤ سورة فصلت / ٤٦ .

^٥ سورة مريم / ٦٤ .

^٦ سورة فصلت / ٤٦ .

^٧ سورة المائدة / ١٠٩ ، ١١٦ ، وسورة التوبة / ٧٨ ، سورة سبأ / ٤٨ .

- وقال ﷺ في آية أخرى : ﴿عَالِمِ الْغَيْبِ﴾^١ ، فقابل صيغة ((فَاعِل)) الدالة على أصل الفعل بالواحد .
٢. أن الله ﷻ نفى عن نفسه الظلم الكثير ؛ لينتفي القليل ضرورة ؛ لأن الذي يظلم إنما يظلم لانتفاعه بالظلم ، فإذا ترك الكثير مع زيادة نفعه ، فلأن يترك القليل أولى .
٣. أن قوله ﴿ظَلَامٌ﴾ على النسبة ؛ أي بذي ظلم حكاه ابن مالك عن المحققين^٢ .
٤. أنه أتى بمعنى ((فَاعِل)) لا كثرة فيه .
٥. أن أقل القليل لو ورد من الله ﷻ لكان كثيراً ، كما يقال : ((زَلَّةُ الْعَالَمِ كَبِيرَةٌ)) .
٦. أنه أراد ليس بظالم ، ليس بظالم ، تأكيداً للنفي ، فعبر عن ذلك بـ ((لَيْسَ بِظَالِمٍ)) .
٧. أنه ورد جواباً لمن قال : ((ظَلَامٌ)) ، والتكرار إذا ورد جواباً لكلام خاص لم يكن له مفهوم .
٨. أن صيغة المبالغة ، وغيرها في صفات الله سواء في الإثبات ، فجرى النفي على ذلك .
٩. أنه قصد التعريض بأنَّ ظلاماً للعبيد من ولاية الجور .
- ويجاب عن قوله ﷻ : ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾^٣ بهذه الأجوبة ، بالإضافة إلى مناسبة رعوس الآي^٤ .

التنبيه السابع

نقل جلال الدين السيوطي - رحمه الله - عن صاحب الياقوتة^٥ قول ثعلب والمبرد : أنه إذا جاء بين الكلامين بجحدين كان الكلام إخباراً ، حيث قال : ((قال

^١ سورة الأنعام / ٧٣ ، سورة التوبة / ٩٤ ، سورة الرعد / ٩ ، سورة المؤمنین / ٩٢ ، وسورة السجدة / ٦ ، وسورة سبأ / ٣ ، وسورة الزمر / ٤٦ ، وسورة الحشر / ٢٢ ، وسورة الجمعة / ٨ ، وسورة التغابن / ١٨ ، وسورة الجن / ٢٦ .

^٢ إملأ ما من به الرحمن / ١٦٧ .

^٣ سورة مريم / ٦٤ و الآية بكمالها : ﴿وَمَا نَنْزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ .

^٤ يُنظَر : الإِتْقَان ٢ / ٢٠٨ - ٢١١ .

^٥ أبو عمر ، الزاهد الإمام الأوحى ، العلامة اللغوي المحدث ، أبو عمر محمد بن عبد الواحد بن أبي هاشم ، البغدادي الزاهد ، المعروف بـ غلام ثعلب . ولد سنة إحدى وستين ومائتين . قال ابن خلكان : استدرک على

صاحب الياقوتة قال ثعلب والمبرد : ((العرب إذا جاءت بين الكلامين بجحدين كان الكلام إخباراً)) ، نحو : ﴿ وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَداً لَّا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ ﴾^١ ، والمعنى : ((إنما جعلناهم جسداً يأكلون الطعام)) .

وإذا كان الجحد في أول الكلام ، كان جحداً حقيقياً : نحو : ((ما زيدٌ بخارج)) .

وإذا كان في أول الكلام جحداً ، كان أحدهما زائداً ، وعليه : ﴿ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ ﴾^٢ ، في أحد الأقوال^٣ .

القسم الثالث من أقسام الجملة الخبرية : التَّعْجُبُ

اختلف العلماء في التَّعْجُبِ أهو من الخير أم الإنشاء ؟

والذي يترجَّح لدى الباحث أنه من الإنشاء ، وقد سبقت مناقشته في الجملة الإنشائية غير الطلبية .

أغراض الجملة الخبرية

يأتي الخبر لإفادة المخاطب ، وقد يرد لمعانٍ ثلاثة ، وهي : الأمر ، أو النهي ، أو الدعاء .

فالأمر : نحو قوله ﷺ : ﴿ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ ﴾^١ ، حيث أمر الله ﷻ بهذه الجملة الخبرية المطلقات المدخول بهنَّ من نوات الأقرء ، بأن يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء ، أي

^١ «الفصيح» لثعلب كُرَّاساً ، سماه «فائت الفصيح» ، وله كتاب «الياقوتة» ، وكتاب «الموضح» ، وكتاب «الساعات» ، وكتاب «يوم وليلة» ، وكتاب «المستحسن» ، وكتاب «الشورى» ، وكتاب «البيوع» ، وكتاب «تفسير أسماء الشعراء» ، وكتاب «القبائل» ، وكتاب «المكنون (والمكتوم)» ، وكتاب «النفحة» ، وكتاب «المُدَاخِل» ، وكتاب «فائت الجمهرة» ، وكتاب «فائت العين» ، وأشياء . مات أبو عمر - رحمه الله - في ذي القعدة سنة خمس وأربعين وثلاثمائة . يُنظَر : سير أعلام النبلاء ١٠ / ١٧١ .

^٢ سورة الأنبياء / ٨ .

^٣ سورة الأحقاف / ٢٦ . والآية بتمامها : ﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِيْمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعاً وَأَبْصَاراً وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾ .

^٤ الإتقان ٢ / ٢١١ .

: بأن تمكث إحداهن بعد طلاق زوجها لها ثلاثة قروء ؛ ثم تتزوج إن شاءت^٢ . وكذا في قوله ﷺ : ﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضَعْنَ أَوْلَادَهُنَّ ﴾^٣ ، حيث أمر الله ﷻ بهذه الجملة الخبرية الأمهات أن يرضعن أولادهن كمال الرضاعة ، وهي سنتان^٤ .

والنهي ، نحو قوله ﷺ : ﴿ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴾^٥ ، حيث نهى الله ﷻ بهذه الجملة الخبرية أن يمس القرآن غير طاهر^٦ .

والدعاء ، نحو قوله ﷺ : ﴿ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾^٧ ، أي : أعنا ، ومنه : ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾^٨ ، فإنه دعاء عليه ، وكذا قوله ﷺ : ﴿ قَتَلَهُمُ اللَّهُ ﴾^٩ ، وكذا قوله ﷺ : ﴿ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا ﴾^{١٠} ، وجعل منه قوم قوله ﷺ : ﴿ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ ﴾^{١١} ، قالوا : هو دعاء عليهم بضيق صدورهم عن قتال أحد^{١٢} .

ونازع ابن العربي^{١٣} في : إن الخبر يرد بمعنى الأمر ، أو النهي ؛ حيث قال : في قوله ﷺ : ﴿ فَلَا رَفَثَ ﴾^{١٤} ، ليس نفيًا لوجود الرَفَث ، بل نفي لمشروعيته ، فإنَّ الرَفَث يوجد من بعض النَّاس ، وأخبار الله تعالى لا يجوز أن تقع بخلاف مخبره ، وإنما يرجع

^١ سورة البقرة / ٢٢٨ .

^٢ يُنْظَرُ : تفسير ابن كثير ١ / ٦٠٦ .

^٣ سورة البقرة / ٢٣٣ .

^٤ يُنْظَرُ : تفسير ابن كثير ١ / ٦٣٣ .

^٥ سورة الواقعة / ٧٩ .

^٦ يُنْظَرُ : تفسير ابن كثير ٧ / ٥٤٥ .

^٧ سورة الفاتحة / ٥ .

^٨ سورة تَبَّتْ / ١ .

^٩ سورة النَّوْبَةِ / ٣٠ .

^{١٠} سورة المائدة / ٦٤ .

^{١١} سورة النَّسَاءِ / ٩٠ .

^{١٢} يُنْظَرُ : الإِتْقَانُ ٢ / ٢٠٤ .

^{١٣} محمَّد بن عبدالله بن محمَّد بن عبدالله بن أحمد المعروف بابن العربي المعافري الإشبيلي المالكي يُكْنَى بأبي بكر ، وكان مولده ليلة الخميس لثمان بقين من شعبان سنة ثمان وستين وأربعمائة ، وتوفي - رحمه الله - سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة . يُنْظَرُ : وفيات الأعيان ١ / ٤٨٩ ، وفتح الطيب ١ / ٣٤٠ ، والأعلام ٦ / ٢٣٠ .

^{١٤} سورة البقرة / ١٩٧ .

النَّفْي إلى وجوده مشروعاً ، لا إلى وجوده محسوساً ، كقوله ﷺ : ﴿ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ ﴾^١ ، ومعناه مشروعاً ، لا محسوساً ، فإننا نجد مطلقات لا يترَبَّصن ، فعاد النَّفْي إلى الحكم الشرعي ، لا إلى الوجود الحسي ، وكذا قوله ﷺ : ﴿ لَا يَمْسُهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴾^٢ ، أي : لا يمسُّه أحدٌ منهم شرعاً ، فإن وجد المسُّ فعلى خلاف حكم الشرع .

قال وهذه الدَّفينة التي فاتت العلماء ، فقالوا : إنَّ الخبر يكون بمعنى النَّهي ، وما وجد ذلك قطُّ ، ولا يصحُّ أن يوجد ، فإنَّهما مختلفان حقيقة ، ويتباينان وضعاً^٣ .

ويعني علماء البيان بأغراض الخبر الفائدة التي يبغيها المتكلم حينما يخاطب أحداً من النَّاس ، ولا أعني أن أفيد المخاطب بكلِّ ما أريد ، بل قد يكون كلامي لإفادة المخاطب ، وقد لا يكون ، وذلك حينما يكون المخاطب عالماً بالخبر ، فيلقى الخبر لأحد غرضين :

^١ سورة البقرة / ٢٢٨ .

^٢ سورة الواقعة / ٧٩ .

^٣ يُنظَر : الإتيان ٢ / ٢٠٤ - ٢٠٥ .

الغرض الأول : فائدة الخبر

وهو إفادة المخاطب ، أو السامع مضمون الخبر ، أو الحكم الذي تضمنته الجملة .
 مثل الجمل التالية : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالِدَمُّ وَلَحْمُ الْخَنزِيرِ وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَبْسُ الدِّينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ ﴾ ، و : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ من قوله ﷺ : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالِدَمُّ وَلَحْمُ الْخَنزِيرِ وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَبْسُ الدِّينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنَ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنْ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾^١ .

ونحو الجمل التالية من قوله ﷺ : ﴿ الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حَلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرِ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾^٢ .

الغرض الثاني : لازم الفائدة

وهو إفادة المخاطب ، أو السامع أن المتكلم عالم بمضمون الخبر أو الحكم الذي تضمنته الجملة^٣ .

قال السكاكي - رحمه الله - : ((من المعلوم أن حكم العقل حال إطلاق اللسان هو أن يفرغ المتكلم في قالب الإفادة ما ينطق به تحاشياً عن وصمة اللاغية ، فإذا اندفع

^١ سورة المائدة / ٣ .

^٢ سورة المائدة / ٥ .

^٣ ويُنظَر : المطول / ١٧٩ ، شروح التلخيص / ١ / ١٩٢ - ١٩٥ ، الطراز / ٣ / ٢٥٢ ، حاشية المنياوي على شرح الدمنهوري للجواهر المكنون / ٣٥ ، جواهر البلاغة / ٥٥ - ٥٦ ، علوم البلاغة / ٤٦ ، البلاغة فنونها وأفانها / ١٠٦ ، علم المعاني دراسة بلاغية ، ونقدية ، لمسائل المعاني / ٢ / ٣٣ - ٣٤ ، الدليل إلى البلاغة ، وعروض الخليل / ٣٧ - ٣٨ ، تطبيقات نحوية / ٢ / ٢٩٧ - ٢٩٩ .

في الكلام مخبراً لزم أن يكون قصده في حكمه بالمسند للمسند إليه خبره ذاك إفادته للمخاطب^١ .

وقال أيضاً : ((والأولى بدون هذه^٢ تمتع ، وهذه بدون الأولى لا تمتع ، كما هو حكم اللازم المجهول المساواة))^٣ ، بحيث يمتنع ألا يحصل العلم الثاني من الخبر نفسه عند حصول الأول منه ؛ لامتناع حصول الثاني قبل حصول الأول ، مع أن سماع الخبر من المخبر كافٍ في حصول الثاني منه^٤ ، ولا يمتنع ألا يحصل الأول من الخبر نفسه عند حصول الثاني منه ، لجواز حصول الأول قبل حصول الثاني^٥ ، وامتناع حصول الحاصل^٦ .

قال الخطيب القزويني - رحمه الله - في كتابه تلخيص علوم البلاغة - : ((لاشك أن قصد المخبر بخبره إفادة المخاطب : إما الحكم ، أو كونه عالماً به ؛ ويسمى الأول : فائدة الخبر ، والثاني لازمها^٧))^٨ .

وقال - رحمه الله - في كتابه الإيضاح : ((من المعلوم لكل عاقل أن قصد المخبر بخبره إفادة المخاطب إما نفس الحكم ، كقولك : ((زيد قائم)) لمن لا يعلم أنه قائم ؛ ويسمى هذا فائدة الخبر . وإما كون المخبر عالماً بالحكم ، كقولك لمن زيد عنده ، ولا يعلم أنك تعلم ذلك : ((زيد عندك)) ؛ ويسمى هذا لازم فائدة الخبر))^٩ .

^١ مفتاح العلوم / ٧٩ .

^٢ هي فائدة الخبر .

^٣ أي بدون لازم فائدة الخبر .

^٤ مفتاح العلوم / ٨٨ .

^٥ لأن من يخبر بشيء لا بد أن يكون عنده علم أو ظن به ، فالمراد بالعلم الثاني علم المخاطب بأن المخبر

عالم بالحكم ، والمراد بالعلم الأول علمه بذلك الحكم .

^٦ بأن يكون المخاطب عالماً بالحكم قبل الإخبار به ، فيحصل بالخبر في هذه الحالة لازم فائدته دونها ، لامتناع

تحصيل الحاصل .

^٧ يُنظر : بغية الإيضاح / ١ - ٣٣ - ٣٤ .

^٨ هذا وتفسير الفائدة بالحكم الذي يقصد بالخبر إفادته ، ولزام الفائدة يكون المخبر عالماً بالحكم رأي الجمهور ومنهم السكاكي كما ترى في المفتاح وزعم العلامة الشيرازي أن فائدة الخبر هي استفادة السامع من الخبر أن المخبر عالم بالحكم ، وهو خلاف التحقيق . (شرح وتعليق وتنقيح د. محمد عبد المنعم خفاجي على الإيضاح / ١ / ٦٦) .

^٩ يُنظر : المطول / ٢٠ ، والإيضاح في علوم البلاغة / ١ / ٦٥ - ٦٦ .

^{١٠} الإيضاح في علوم البلاغة / ١ / ٦٥ - ٦٦ ، ٦٧ .

أمثلة لازم فائدة الخبر

١. قال الله ﷻ: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ﴾^١ ، ف قوله ﷻ: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ﴾ جملة خبرية تفيد لازم الخبر ، وهذا عند من قدر مفعول ﴿لَّا يَشْعُرُونَ﴾ محذوفاً مقدراً بأنهم مفسدون ، أو من قدره أن وبال ذلك الفساد يرجع إليهم ، أو أننا نعلم أنهم مفسدون بناءً على أنهم عالمون بالخبر جاحدون له كما هو عادتهم المستمرة

قال الآلوسي - رحمه الله - عند تفسير هذه الآية : ((وهذا كله على تقدير أن يكون مفعول ﴿لَّا يَشْعُرُونَ﴾ محذوفاً مقدراً بأنهم مفسدون ، ويحتمل أن يقدر أن وبال ذلك الفساد يرجع إليهم ، أو أن نعلم أنهم مفسدون ويكون ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ﴾ لإفادة لازم فائدة الخبر بناءً على أنهم عالمون بالخبر جاحدون له ، كما هو عادتهم المستمرة ، ويبعد هذا إذا كان المنافقون أهل كتاب ، ويحتمل أن لا ينوي محذوف ، وهو أبلغ في الذم . وفيه مزيد تسلية له ﷻ إذ من كان من أهل الجهل لا ينبغي للعالم أن يكثر بمخالفته .^٢))

٢. قال الله ﷻ: ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذَرَيْتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾^٣ ، ((فالمراد بالخبر في قوله ﷻ حكاية عن نفسه ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ﴾ لازم الفائدة ، والقصد منه إفادتها دون التصريح بما سيكون من شأن المولود ؛ الذي لم تأبه له في بادئ الأمر ، وهي جاهلة مآل أمر ذلك المولودة التي ستلد رسول الرأفة والسلام))^٤ ، فالمراد من الجملة الخبرية ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ﴾ لازم الفائدة .

٣. وقوله ﷻ: ﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تَنْزَلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهِرْ عُوا إِنَّا اللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ﴾^٥ ، ف قوله ﷻ: ﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تَنْزَلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ ، هذه جمل خبرية تفيد حذر المنافقين من إنزال الله ﷻ سورة على رسوله -

^١ سورة البقرة / ١٢ .

^٢ روح المعاني / ١ / ١٥٦ .

^٣ سورة آل عمران / ٣٦ .

^٤ إعراب القرآن وبيانه / ١ / ٤٢٩ .

^٥ سورة التوبة / ٦٤ .

عليه الصلّاة والسّلام - تُنبئُهُم بما يخفونه في قلوبهم ، فينبئهم الرّسول - عليه الصلّاة والسّلام - بذلك على وجه يكون المقصود منه لازم فائدة الخبر . وهذا على قول من فسّر هذه الآية بهذا المعنى ، وإن كان الأولى أنّها من قبيل فائدة الخبر .

وقد نقل هذا الرّأي الآلوسي - رحمه الله - في تفسيره بصيغة التّضعيف : فقال : ((وقيل : المراد تخبرهم بما في قلوبهم على وجه يكون المقصود منه لازم فائدة الخبر ، وهو علم الرّسول - عليه الصلّاة والسّلام - به ، وقيل : المراد بالنتبئة المبالغة في كون السّورة مشتملة على أسرارهم ، كأنّها تعلم من أحوالهم الباطنة ما لا يعلمونه ، فتنبئهم بها ، وتنعى عليهم قبائحهم))^١ .

٤ . ونحو قوله ﷺ : ﴿ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾^٢ .

قال الآلوسي - رحمه الله - عند تفسير هذه الآية : ((وإمّا لأنّ الكلام مخرج على تنزيل العالم بالشّيء منزلة الجاهل ، ووجود الشّيء منزلة عدمه لعدم ثمرته أنّهم لم يعملوا بعلمهم ، أو على تنزيل العالم بفائدة الخبر ولازمها منزلة الجاهل بناء على أنّ قوله تعالى : ﴿ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ معناه لو كان لهم علم بذلك الشّرء لامتنعوا منه ؛ أي : ليس لهم علم فلا يمتنعون ، وهذا هو الخبر الملقى إليهم ، واعتراض العلّامة بأنّ هذا الخبر لو فرض كونه ملقى إليهم ، فلا معنى لكونهم عالمين بمضمونه ، كيف وقد تحقّق في ﴿ وَلَقَدْ عَلِمُوا ﴾ نقيضه ، وهو أنّ لهم علماً به ، وبعد اللّتيّ والتّي لا معنى لتزليلهم منزلة الجاهل بأنّ ليس لهم علم بأنّ من اشتراه . ماله في الآخرة من خلاق . بل إنّ كان ، فلا بد أن ينزلوا منزلة الجاهل بأنّ لهم علماً بذلك يجاب عنه :

أمّا أولاً : فبأنّ الخطاب صريحاً للرّسول ﷺ وتعريضاً لهم ، ولذا أكّد .

وأمّا ثانياً : فبأنّ المستفاد من ﴿ وَلَقَدْ عَلِمُوا ﴾ ثبوت العلم لهم حقيقة ، والمستفاد

من الخبر الملقى لهم نفي العلم عنهم تنزيلاً ولا منافاة بينهما .

وأمّا ثالثاً : فبأنّ العالم إذا عمل بخلاف علمه كان بمنزلة الجاهل في عدم ترتب

ثمرة علمه ، ومقتضى هذا العلم أن يمتنع عن ذلك العمل ، ففيما نحن فيه كانوا عالمين فيه بأنّ ليس لهم علم ، وأنّهم بمنزلة الجاهل في ذلك الشّرء ، ومقتضى هذا العلم أن

^١ روح المعاني ٥ / ٣١٩ .

^٢ سورة البقرة / من ١٠٢ .

يمنتعوا عنه ، وإذا لم يمنتعوا كانوا بمنزلة الجاهل في عدم جريهم على مقتضى هذا العلم ، فألقى الخبر إليهم بأن ليس لهم علم مع علمهم به كذا قيل . ولا يخفى ما فيه من شدة التكلّف^١ .

٥. قوله ﷺ : ﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُنْفِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنْفِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴾^٢ ، فقول المنافقين للرسول ﷺ ﴿ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ ﴾ هو خبر مؤكد بأن واللام ، يفيد أن المنافقين أعلموا الرسول ﷺ بأنهم يعلمون أنه رسول الله ، فهو من قبيل لازم فائدة الخبر . لا من أجل إفادة الخبر .

قال الآلوسي - رحمه الله - : ((﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُنْفِقُونَ ﴾ أي حضروا مجلسك ، والمراد بهم عبد الله بن أبي وأصحابه ﴿ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ ﴾ التأكيد بـ ﴿ إِنَّ ﴾ واللام للزم فائدة الخبر ، وهو علمهم بهذا الخبر المشهود به ، يفيد تأكيد الشهادة ، ويدل على ادعائهم فيها المواطأة ، وإن كانت في نفسها تقع على الحق والزور ، والتأكيد في قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ ﴾ لمزيد الاعتناء حقيقة بشأن الخبر ، أو ليس إلا ليوافق صنيعهم ، وجيء بالجملة اعتراضاً لإمارة ما عسى أن يتوهم من قوله عز وجل : ﴿ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنْفِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴾ من رجوع التّكذيب إلى نفس الخبر المشهود به من أول الأمر ، فالتّكذيب راجع إلى ﴿ نَشْهَدُ ﴾ باعتبار الخبر الضمّني الذي دلّ عليه التأكيد ، وهو دعوى المواطأة في الشهادة ، أي والله يشهد إنهم لكاذبون فيما ضمّنوه قولهم : ﴿ نَشْهَدُ ﴾ من دعوى المواطأة وتوافق اللسان والقلب في هذه الشهادة ، ٠٠٠ وجوز أن يكون التّكذيب راجعاً إلى قولهم : ﴿ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ ﴾ باعتبار لازم فائدة الخبر ، وهو بمعنى رجوعه إلى الخبر الضمّني ، وأن يكون راجعاً إليه باعتبار ما عندهم أي لكاذبون في قولهم : ﴿ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ ﴾ عند أنفسهم لأنهم كانوا يعتقدون أنه كذب ، وخبر على خلاف ما عليه حال المخبر عنه))^٣ .

^١ روح المعاني ١ / ٣٣٧ ، ويُظنر : المطوّل / ١٨٣ - ١٨٤ .

^٢ سورة المنافقون / ١ .

^٣ روح المعاني ١٤ / ٣٠٣ - ٣٠٤ .

أغراض أخرى للخبر

قد يلقي الخبر على خلاف الأصل ، بحيث لا يكون قصد المُخْبِرِ إفادة المُخاطَبِ الحكم الذي تضمّنته الجملة الخبرية ، ولا إفادته علم المتكلم بهذا الحكم ، بل يكون مراد المُخْبِرِ غرضاً آخرًا يدلُّنا عليه سياق الكلام ، وتدلُّ عليه القرائن ، وأهم هذه الأغراض هي :

إظهار الضعف ، والاسترحام والاستعطاف ، وإظهار التَّحَسُّرِ و التَّأْسُفِ ، والفخر ، والتَّعْرِيفِ ، وإظهار الفرح ، و الشَّماتة ، والتَّذْكِيرِ ما بين المراتب ، والوعظ (النَّصْح) و الإرشاد ، والاعتذار ، و الحنين إلى الوطن و الشوق إليه ، و التَّهْكُمْ و السُّخْرِيَّةِ ، و الدَّمِّ ، و التَّنْشِيطِ ، و الحثُّ على السَّعي في الخير ، و التَّوْبِيخِ (العتب و الإنكار) ، و التَّهْدِيدِ و الوعيد ، و التَّنْبِيهِ و التَّخْوِيفِ ، و إظهار الفرح ، الامتتان •
وبعض العلماء يخالف البلاغيين هذا التفسير ويرى أنَّ للخبر غرضين أساسيين ، وهذان الغرضان يحملان في نفس الوقت معاني شتى^١ •

من هذه الأغراض

الأول: التَّنْشِيطِ و تحريك الهمة :

قد يراد من الجملة الخبرية التَّنْشِيطِ و تحريك الهمة لنيل ما يلزم تحصيله :

١. نحو قوله ﷺ : ﴿ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴾^٢ ، هذه جملة خبرية الغرض منها ليس فائدة الخبر ، ولا لازمه ، وإنما المراد منها - والله أعلم - تنشيط همم الصالحين ، وحثهم على بذل المزيد من الأعمال الصالحة ؛ لأنها لا تضيع عند الله ﷻ ، بل يحصيها ، ويجزي الخير الكثير عليها •

^١ تنتظر البلاغة في ثوبها الجديد . د. بكرى الشيخ أمين / ٦٠ ، والدليل إلى البلاغة وعروض الخليل •

^٢ سورة الكهف / ٣٠ •

قال الطاهر بن عاشور - رحمه الله - عند تفسير قوله ﷺ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴾^١ : هذه « جملة مستأنفة استئنافاً بيانياً مراعى فيه حال السامعين من المؤمنين ، فإنهم حين يسمعون ما أعدّ للمشركين تنتشوف نفوسهم إلى معرفة ما أعدّ للذين آمنوا ، ونبذوا الشرك فأعلموا أن عملهم مرعى عند ربهم . وجرياً على عادة القرآن في تعقيب الوعيد بالوعد ، والترهيب بالترغيب »^٢ .

الثاني : إظهار التَّحَسُّرِ و الحزن

١. نحو قوله ﷺ : ﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذَرَيْتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾^٣ .
 جملة ﴿ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ ﴾ جملة خبرية قالتها أم مريم لتعبر بها عن تحزنها و تحسرها لخيبة رجائها ، وانقطاع حبل الأمل ؛ لأنها كانت تتمنى أن يكون المولود غلاماً ، فلم يتحقق ذلك الأمل فولدت أنثى ، فتحسرت وتألمت ، فليس الغرض من هذا الكلام الإخبار ؛ لأنّ الإخبار إمّا أن يكون للفائدة ، أو للازمها ، وعلم الله ﷻ محيط بهما ، بل الغرض من خبرها التَّحَسُّرُ و الحزن .

قال الآلوسي - رحمه الله - : ((وليس الغرض من هذا الكلام الإخبار ؛ لأنّه إمّا للفائدة أو للازمها ، وعلم الله تعالى محيط بهما بل لمجرد التَّحَسُّرِ والحزن . فإنّ هذا الكلام تحزّن ، وتفجّع ، وليس بإخبار ، وحاصل المعنى هنا على ما قرّر . فلما وضعت بنتاً تحسرت إلى مولاها ، وتفجّعت إذ خاب منها رجاها . وما قيل : إنّه يحتمل أن يكون فائدة هذا الكلام . التَّحْقِيرِ للمحرر استجلاباً للقبول ؛ لأنّه من تواضع لله تعالى رفعه الله سبحانه . فمستحقر من القول بالنسبة إلى ما ذكرنا ؛ والتأكيد هنا قيل : للردّ على اعتقادها الباطل ، وربّما أنّه يعود إلى الاعتناء ، والمبالغة في التَّحَسُّرِ الذي قصدته ، والرّمز إلى أنّه صادر عن قلب كسير وفؤاد بقيود الحرمان أسير))^٤ .

^١ سورة الكهف / ٣٠ .

^٢ التَّحْرِيرِ وَالتَّوْبِيرِ ١٥ / ٣٠٩ - ٣١٠ .

^٣ سورة آل عمران / ٣٦ .

^٤ روح المعاني ٢ / ١٢٩ - ١٣٠ ، ويُنظَرُ : إعراب القرآن وبيانه ١ / ٤٢٩ .

٢. ومنه قوله ﷻ : ﴿ وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيَكَانَ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيَكَانَهُ لَا يَفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴾^١ . فقوله : ﴿ وَيَكَانَ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ ﴾ جملة خبرية المراد منها التَّحَسُّرُ والتَّنَدُّمُ على ما حصل منهم .

قال الألوسي - رحمه الله - في : ((و " وَي " عند الخليل وسيبويه اسم فعل ، ومعناها أعجب ، وتكون للتَّحَسُّرِ والتَّنَدُّمِ أيضاً كما صرحوا به ، وعن الخليل أن القوم ندموا فقالوا متندِّمين على ما سلف منهم ، وكلُّ من ندم ، وأراد إظهار ندمه قال " وَي " ، ولعلَّ الأظهر إرادة التَّعَجُّبِ ، بأن يكونوا تعجَّبوا أولاً مما وقع ، وقالوا ثانياً ﴿ كَأَنَّ ﴾ الخ ، و ﴿ كَأَنَّ ﴾ فيه عارية عن معنى التَّشْبِيهِ جيء بها للتَّحْقِيقِ ٠٠٠ وقيل : هي غير عارية عن ذلك ، والمراد تشبيه الحال المطلق بما في حيزها إشارة إلى أنَّه لتحقِّقه وشهرته يصلح أن يشبَّه به كل شيء ، وهو كما ترى ، وزعم الهمداني أن الخليل ذهب إلى أن ﴿ وَي ﴾ للتَّنَدُّمِ ، و ﴿ كَأَنَّ ﴾ للتَّعَجُّبِ والمعنى ندموا متعجِّبين في أن الله تعالى يبسط الخ ، وفيه أن كون ﴿ كَأَنَّ ﴾ للتَّعَجُّبِ مما لم يعهد ، و أياً ما كان فالوقف كما في البحر على ﴿ وَي ﴾ ، والقياس كتابتها مفصولة ، وكتبت متصلة بالكاف لكثرة الاستعمال ٠٠٠ و ﴿ أَنْ ﴾ عنده مفتوحة الهمزة بتقدير العلم ، أي أعلم أن الله الخ))^٢ .

٣. ومنه قول الحارث بن وعلَّة الجرمي^٣ :

قَوْمِي هُمْ قَتَلُوا أُمِيمٌ أَخِي فَإِذَا رَمَيْتُ يُصِيبُنِي سَهْمِي
فَلَيْتَ عَفْوْتُ لِأَعْفُونَ جَلَاءً وَلَيْتَ سَطَوْتُ لِأَوْهِنَ عَظْمِي^٤

^١ سورة القصص / ٨٢ .

^٢ روح المعاني ٢٠ / ١٢٣ .

^٣ الحارث بن وعلَّة بن عبد الله بن الحارث ينتهي نسبه إلى جرم بن الريان ، وهو شاعر جاهلي ، وكان هو وأبوه ، وعلَّة من فرسان قضاة ، وأمجادها ، وأعلامها ، وشعرائها ، وهو غير الحارث بن وعلَّة الشيباني .

^٤ بالرَّفْعِ على لغة من لا ينتظر وروي بالنَّصْبِ .

^٥ البيتان للحارث من بحر الكامل . السَطْوُ القهر بالبطش ، والوهم الضعف ، وكذلك الوهي ، والجلل من الأضداد يكون للصغير وللعظيم وهو المراد هنا ، والمعنى إن تركت الانتقام منهم صفحت عن أمر عظيم ، وإن انتقامت منهم أو هنت عظمي ، أميم منادى مرخم أميمة ، يقول قومي يا أميمة هم الذين فجعوني بأخي ، ووتروني فيه ، فإذا انتقامت منهم عاد ضرر ذلك علي ؛ لأن عز الرجل بعشيرته ، يُنظَرُ : دلائل الإعجاز / ١٩٦ ، والمزهر في علوم اللغة وأنواعها ١ / ٣١٣ ، وديوان الحماسة ، لهبة الله بن علي بن الشَّجْري - تحقيق : عبد المعين ملوحي وأسماء الحمصي - دمشق ١٩٧٠ م ١ / ٦٤ ، واللوامع والدُّرر ٥ / ١٢٣ ، وسمط

فإنَّ هذه الجملة الخبرية أتت بها الحارثُ بن وَعَلَّةَ عندما لامته أميمة على عدم الانتقام والأخذ بثأر أخيه ، فالغرض منها إظهار الحزن والنَّفَجُ على موت أخيه ، وليس بإخبار ؛ لأنها لم تأت للفائدة ، و لا لالازمها ؛ فأميمة تعلم بأنَّ القاتلين لأخيه قومه ، وتعلم أنَّه عالم بذلك^١ .

٤. ومنه قول لبيد بن ربيعة^٢ :

دَهَبَ الذِّينَ يُعَاشُ فِي أَكْنَافِهِمْ وَيَقِيْتُ فِي خَلْفٍ^٣ كَجَدِّ الْأَجْرِبِ^٤

٥. ومنه قول أبي العتاهية^٥ :

الدَّالِي ٣٠٥ ، ٥٨٤ ، وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي / ٣٠٤ ، وشرح شواهد المغني ١ / ٦٣ ، ولسان العرب ١١ / ١١٨ (جلد) ، و ٤٥٣/١٣ (وهن) ، والمؤتلف والمختلف ، للحسن بن بشر الأمدي - تحقيق : عبد الستار فراج - القاهرة ١٩٦١ م / ١٩٧ ، وشرح الحماسة للتبريزي ١/١٠٧ ، والمفتاح / ١٠٠ ، ومغني اللبيب ١٢٠/ .

^١ يُنْظَرُ : شروح التلخيص ١ / ١٩٣ - ١٩٤ .

^٢ هو لبيد بن ربيعة بن مالك ، أبو عقيل العامري ، أحد الشعراء الفرسان الأشراف في الجاهلية ، من أهل عالية نجد ، أدرك الإسلام ، ووفد على النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ويعدُّ من الصَّحَابَةِ ، ومن المؤلفة قلوبهم . وتركَ الشَّعْرَ ، فلم يقل في الإسلام إلا بيتاً واحداً ، قيل : هو

ما عاتب المرء الكريم كنفسه والمرء يصلحه الجليس الصالح

سكن الكوفة، وعاش عمراً طويلاً ، وهو أحد أصحاب المعلقات ، ومطلع معلقته :

عفت الديار محلها فمقامها بمنى ، تأبد غولها فرجامها

وكان كريماً : نذر أن لا تُهَبَّ الصَّبا إلا نحر وأطعم . توفي - رحمه الله - سنة إحدى وأربعين هجرية .

يُنْظَرُ : الشَّعْرُ والشُّعْرَاءُ ١ / ٢٧٤ ، و خزانة الأدب ، وغاية الأرب ٢ / ٢٤٦ .

^٣ الأكناف : الجوانب ، و الخلف : البقية الصالحة من الولد و الأهل . والخلف ضد الخلف وهو الجيل السوء الذي لا خير فيه .

^٤ البيت للبيد بن ربيعة العامري ، من بحر الكامل من قصيدة مطلعها :

طرب الفؤاد وليته لم يطرب وعناه ذكرى خلَّة لم تصقب

يُنْظَرُ : ديوان لبيد بن ربيعة العامري تقديم ، وشرح ، وتعليق الدكتور / محمَّد حمود - دار الفكر

اللبناني - بيروت ط١ / ١٩٩٦ م / ٣٤ ، والكامل ٤ / ٣٣ ، والتَّهْذِيبُ ٧ / ٣٩٤ ، وتفسير الرُّازِي ١٥ / ٤٣ ، واللسان ٢ / ١٢٣٦ - ١٢٣٩ ، والطَّبْرِي ١٢ / ٢١٠ ، والبيان والتبيين ١ / ٢٥٨ - ٥٢٧ .

^٥ هو إسماعيل بن القاسم بن سُويد العيني ، العنزي (من قبيلة عنزة) بالولاء ، أبو إسحاق الشهير بـ "أبي العتاهية" شاعر مكثر، سريع خاطر، في شعره إبداع . يعدُّ من مقدمي المولدين ، من طبقة بشَّار وأبي نؤاس وأمثالهما . ولد في (عين النَّمر) بقرب الكوفة ، سنة ثلاثين ومائة هجرية - الموافق ثمان وأربعين وسبعمائة ميلادية ، ونشأ في الكوفة ، وسكن بغداد . توفي - رحمه الله - في بغداد سنة إحدى عشرة ومائتين هجرية - الموافق ست وعشرين وثمانمائة ميلادية . يُنْظَرُ : الشَّعْرُ والشُّعْرَاءُ / ٤٩٧ - ٥٠١ ، وطبقات ابن المعنز /

بَكَيْتُكَ يَا عَلِيٌّ^١ بَدَمَعِ عَيْنِي فَمَا أَغْنَى الْبِكَاءُ عَلَيْكَ شَيْئاً
وَكَاثَتْ فِي حَيَاتِكَ لِي عِظَاتٌ وَأَنْتَ الْيَوْمَ أَوْعِظُ مِنْكَ حَيًّا^٢

فهذه جملة خبرية أتى بها أبو العتاهية والمراد منها إظهار التَّحَسُّرِ والتَّوَجُّعِ لفقدان

ولده ، لا فائدة الخبر ، ولا لازمه •

٦. ومنه قول جعفر بن عُلبَةَ الحارثي^٣ :

هَوَايَ مَعَ الرَّكْبِ الْيَمَانِيِّنِ مُصْعِدُ جَنِيبٌ وَجُنْمَانِي بِمَكَّةَ مُوثِقُ^٤

فالشاعر هنا لا يريد إخبارنا بخبر جديد وإنما يريد أن يظهر لنا أساه وحزنه •

٧. ومنه قول ابن زهر^٥ :

كَانَتْ سُلَيْمَى تُنَادِي يَا أَخِي وَقَدْ صَارَتْ سُلَيْمَى تُنَادِي الْيَوْمَ يَا أَبْتَأ^٦

فهذه جملة خبرية المراد منها إظهار الحسرة والألم •

٨. ومنه قول أحمد شوقي^١ ، نستأنس به وإن كان شاعراً معاصراً :

٢٨٨ ، وتاريخ الطبري ١٠ / ٢٧٨ ، ومروج الذهب ٧ / ٨٢ - ٨٨ ، والموشح / ٢٥٤ - ٢٦٣ ، والفهرست /
١٨١ ، وتاريخ بغداد ٦ / ٢٥٠ - ٢٦٠ ، ووفيات الأعيان ١ / ٢١٩ - ٢٢٦ ، والمختصر في أخبار البشر ٢
/ ٣١ ، وميزان الاعتدال ١ / ٢٤٥ ، والعبر ١ / ٣٦٠ •

^١ وفي رواية : (يا أخي) •

^٢ البيتان في ديوان أبي العتاهية من الوافر ، من مقطع خمسة أبيات ؛ هذين البيتين ، وقبلهما :

ألا من لي بأنسك يا أخياً ومن لي أن أبئك ما لدياً

طوتك خطوب دهرك بعد نشر كذلك خطوبه نشرأ وطياً

فلو نشرت قواك لي المنايا شكوت إليك ما صنعت إلياً •

^٣ ابن علبَةَ بضم فسكون وباء موحدة ينتهي نسبه إلى كعب بن الحارث ، شاعر مقل غزل فارس مذكور في
قومه وكان من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية ، وقتل في قصاص اختلف في سببه الناس • يُنظَر :
ديوان الحماسة ١ / ١١ •

^٤ الركب الركبان الإبل خاصة ، واليمانون جمع يمان المنسوب إلى اليمن ، والمصعد المبعد من الأبعاد أي
الأبعاد ، وجنيب بمعنى مجنوب مستتبع ، والجنمان البدن ، والموثق المقيد ، يقول هواي مع ركبان الإبل
القاصدين نحو اليمن مقود ، وبدني مأسور مقيد بمكة • يُنظَر : ديوان الحماسة ١ / ١١ •

^٥ محمّد بن عبد الملك بن زهر بن عبد الملك بن محمّد بن مروان بن زهر الأيادي • وُلِدَ سنة سبع وخمسمائة
هجريّة الموافق ثلاث عشرة ومائة وألف ميلاديّة بأشبيلية • رُزِقَ حظاً وافراً من الآداب ، واللغة ، وحفظاً لأشعار
الجاهليّة ، وكان حافظاً للقرآن • توفّي - رحمه الله - سنة خمس وتسعين وخمسمائة هجريّة الموافق ثمان
وتسعين ومائة وألف ميلاديّة •

^٦ نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب ٢ / ٧٢٩ •

يا أُخْتِ أَنْدُلْسِ عَلَيْكَ سَلَامٌ هَوَتْ الْخِلَافَةُ عَنْكَ وَ الْإِسْلَامُ^٢

فجملة ((هَوَتْ الْخِلَافَةُ عَنْكَ وَ الْإِسْلَامُ)) جملة خبرية لا يريد بها أحمد شوقي الإعلام بمضمون الخبر ولا بلازمه ، وإنما يريد التعبير عن تحسره وتألمه لزوال الخلافة والإسلام عن فلسطين .

٩. وكذا قول محمد محمود الزبيري^٣ يرثي يحيى بن محمد الإرياني :

وَلَىٰ عِمَادُ الْهُدَىٰ يَحْيَىٰ تُشَيِّعُهُ الدَّيَّانِيَا بِأَدْمُعِهَا وَ الْعِلْمُ وَ النَّوْرُ؛

فالزبيري ينعي الإرياني ، فهو يخبر عن موت علم من أعلام الهدى والنور ، وأنَّ النَّاسَ قاموا يشيِّعونَه إلى مثواه الأخير ، فهو لا يريد الإخبار بمضمون هذا الكلام ، ولكن يريد التعبير عمَّا انتابه ، وانتاب النَّاسَ من الأسي والحزن لفقدان هذا الرَّجُلِ العظيم ، فالغرض إظهار النَّحْسِ والحُزْنِ .

١٠. ومنه قول الشاعر :

^١ أحمد شوقي بن علي بن أحمد شوقي : أشهر شعراء العصر الأخير ، يلقَّب بـ " أمير الشعراء " ، مولده بالقاهرة سنة خمس وثمانين ومائتين وألف هجرية - الموافق ثمان وستين وثمانمائة وألف ميلادية ، نشأ في ظلَّ البيت المالِك بمصر . توفي - رحمه الله - سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة وألف هجرية - الموافق اثنتين وثلاثين وتسعمائة وألف ميلادية . عالج أكثر فنون الشعر . أول من جوَّد القصص الشعري التمثيلي ، بالعربية ، وأراد أن يجمع بين عنصرَي البيان ؛ الشعر والنثر ، فكتب نثرًا مسجوعاً على نمط المقامات ، فلم يلق نجاحاً ، فعاد منصرفاً إلى الشعر . من آثاره " الشوقيَّات " ، و " دول العرب " نظم ، و " مصرع كليوباترة " قصَّة شعريَّة ، و " مجنون ليلى " ، و " تمبيز " و " علي بك " ، و " علي بك الكبير " ، و " عذراء الهند " وقصص أخرى .

^٢ البيت في الشوقيَّات من الكامل وهو مطلع قصيدة رثاء وختامها :

حتى حواك مقابراً وحيوته جئنًا فلا غين ولا استندمام

يُنظَر : الشوقيَّات ، شرح وتعليق الدكتور يحيى شامي - دار الفكر العربي - بيروت ط ١٩٩٦ م

٥٤٢ / ٢

^٣ محمَّد محمود الزبيري ، ولد بصنعاء سنة ست وثلاثين ثلاثمائة وألف من الهجرة ، تلقَّى تعليمه في مدارسها ومساجدها ، ثمَّ في دار العلوم بالقاهرة ، خَلَّف عدداً من الدواوين الشعريَّة ، والدراسات الفكرية والأدبية ، اغتيل في برط سنة أربع وثمانين وثلاثمائة وألف من الهجرة .

يُنظَر : أعلام الأدب العربي المعاصر سيِّر ، وسيِّر ذاتية ، إعداد روبرت . كامل - مركز الدراسات للعالم العربي المعاصر - جامعة القديس يوسف - بيروت - الشركة المتحدة للتوزيع - بيروت ، ط ١٩٩٦ م

٦٦٢ / ١ - ٦٦٤

^٤ البيت لمحمَّد محمود الزبيري ، من قصيدة رثاء مطلعها :

شمس طواها لبليل القبر مقدور فالنور مُفْتَقَد والصُّبْح مقبور

ديوان الزبيري (صلاة في الجحيم) ، دار الكلمة - صنعاء ، ط ١٩٨٥ م / ٧٥ .

أَصْبَتْ بِسَادَةٍ كَانُوا عِيُونًا بِهِمْ نُسَقِيَ إِذَا انْقَطَعَ الْعَمَامُ^١

هذه جملة خبرية أتى بها الشاعر ليظهر أسفه وحزنه على فقدان أولئك السادة

الأمجاد ، فالغرض منها إظهار التَّحَسُّر والحزن .

١١ . ومنه ما روي عن الإمام علي بن أبي طالب^٢ - رضي الله عنه - :

ذَهَبَ الشَّبَابُ فَمَا لَهُ مِنْ عَوْدَةٍ وَأَتَى الْمَشِيبُ فَأَيْنَ مِنْهُ الْمَهْرَبُ^٣

هنا أتى بجملة خبرية ليعبر عن أسفه وحسرتة على شبابه الذي ولّى مدبراً ، وأتى

المشيب الذي لا مفرّ منه .

١٢ . ومنه قول الطُّغْرَائِي^٤ :

أَهْبْتُ بِالْحَظِّ لَوْ نَادَيْتَ مُسْتَمِعًا وَالْحَظُّ عَنِّي بِالْجُهَالِ فِي شُغْلٍ^٥

فالطُّغْرَائِي أتى بجملة خبرية ليعبر عن أسفه وحسرتة على فوات ما كان يرجوه

ويؤمله .

١٣ . ومنه قول العَرَجِيِّ^١ :

^١ كانوا يطلبون الماء إذا انقطع الغيث بالإشادة بذكر العظام والأشرف .

^٢ علي بن أبي طالب بن عبد المطلب الهاشمي القرشي ، أبو الحسن : أمير المؤمنين ، رابع الخلفاء الراشدين ، وأحد العشرة المبشرين ، وأول الناس إسلاماً بعد خديجة . ولد بمكة سنة ثلاث وعشرين قبل الهجرة . و ولي الخلافة بعد مقتل عثمان ابن عفان " سنة ٣٥ هـ . وأقام علي بالكوفة "دار خلافته" إلى أن قتله عبد الرحمن بن ملجم المرادي غيلة في مؤامرة السابع عشر من رمضان المشهورة سنة أربعين من الهجرة . التَّهْذِيبُ ٧ / ٣٣٤ ، النَّقْرِيْبُ ٢ / ٣٩ .

^٣ البيت من ديوان الإمام علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - من بحر الكامل ، من القصيدة الزينية المشهورة المنسوبة له ، وهي من أنفس المدائح والمواعظ مطلعها :

صرمت حبالك بعد وصلك زينبُ والدَّهْرُ فِيهِ تَصْرُمُ وَتَقْلُبُ

يُنْظَرُ : ديوان الإمام علي - رضي الله عنه - جمع وترتيب عبد العزيز الكرم - دار القلم - بيروت

- لبنان / ٣٢ .

^٤ هو الحسين بن علي بن محمد بن عبد الصمد ، أبو إسماعيل مؤيد الدين الأصبهاني الطُّغْرَائِي . شاعر من الوزراء الكتاب ، كان يُنعت بالأستاذ ، وُلِدَ بأصبهان عام ٤٥٥ هـ الموافق ١٠٦٣ م ، اتصل بالسُلطان مسعود ، وأخ له اسمه السلطان محمود ، فظفر محمود وقبض على رجال مسعود ، وفي جملتهم الطُّغْرَائِي ، فأراد قتله ، ثم خاف عاقبة النِّقْمَة عليه ، لِمَا كَانَ الطُّغْرَائِي مشهوراً به من العلم والفضل ، فأوعز إلى من أشاع اتهامه بالإلحاد والزندقة ، فنتاقل الناس ذلك ، فاتخذ السلطان محمود حجّةً فقتله عام ٥١٣ هـ الموافق ١١٢٠ م . ونسبه الطُّغْرَائِي إلى كتابه الطُّغْرَاء . وللمؤرخين ثناء عليه كثير .

^٥ البيت للطُّغْرَائِي فِي ديوانه من قصيدة مطلعها :

أصالة الرأي صاننتني عن الخطل وحلية الفضل زاننتني لدى العطل .

أَضَاعُونِي وَأَيَّ فَتَى أَضَاعُوا لِيَوْمِ كَرِيهَةٍ وَسِدَادٍ تُغْرٍ^٢
١٤ . ومنه قول محمود سامي البارودي^٣ :

ذَهَبَ الصَّبَا وَتَوَلَّتِ الْأَيَّامُ فَعَلَى الصَّبَا وَعَلَى الزَّمَانِ سَلَامٌ^٤

الثالث : إظهار الضعف و الخشوع

١ . قوله ﷺ : ﴿ لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ ﴾^٥ .

فجملة ﴿ لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ ﴾ جملة خبرية الغرض منها إظهار الضعف ؛ أي لا قدرة لنا بمحاربتهم ومقاومتهم فضلاً عن الغلبة عليهم ، والقائل بعض المؤمنين لبعض ، وهو إظهار ضعف لا نكوص لما شاهدوا من الأعداء ما شاهدوا من الكثرة والشدة .

٢ . وقوله ﷺ : ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَأَشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ ﴾^٦ .

^١ عبد الله بن عمر بن عمرو بن عثمان بن عفان الأموي القرشي ، أبو عمر . شاعر ، غزل مطبوع ، ينحو نحو عمر بن أبي ربيعة ، كان مشغولاً باللهو والصيد، وكان من الأدباء الظرفاء الأسخياء، ومن الفرسان المعدودين، صحب مسلمة بن عبد الملك في وقائعه بأرض الروم، وأبلى معه البلاء الحسن، وهو من أهل مكة، ولقب بالعرجي لسكناه قرية (العرج) في الطائف. وسجنه والي مكة محمد بن هشام في تهمة دم مولى لعبد الله بن عمر، فلم يزل في السجن إلى أن مات سنة عشرين ومائة من الهجرة ، الموافق سبع وثلاثين وسبعمائة من الميلاد .

^٢ البيت مطلع مقطوعة شعرية من ستة أبيات يفخر فيها العرجي بنفسه ، من بحر الطويل ، وختمها بقوله :

فَأَجْرِي بِالْكَرَامَةِ أَهْلَ وُدِّي وَأُورِثُ بِالضَّعَائِنِ أَهْلَ وَتْرِي .

^٣ هو محمود سامي باشا بن حسين بن عبدالله البارودي المصري ، ولد سنة ألف ومائتين وخمسة وخمسين هجرية . أول ناهض الشعر العربي من كبوته ، في العصر الحديث ، توفي - رحمه الله - سنة اثنين وعشرين وثلاثمائة وألف هجرية . و شعره يصحُّ اتخاذه فاتحة للأسلوب العصري الرأقي ، بعد إسفاف النظم زمناً غير معتبر .

^٤ البيت في ديوانه البارودي من بحر الكامل ، وهو مطلع قصيدة طويلة ختمها بقوله :

فَالنُّورُ لَوْ بَيَّنَّتْ أَمْرُكَ ظِلْمَةَ وَالْبَدءُ لَوْ فَكَّرَتْ فِيهِ خَتَامُ

ينظر : ديوان محمود سامي البارودي باشا - حقيقه ، وصححه ، وضبطه ، وشرحه : علي الجارم بك

، ومحمد شفيق معروف ٣ / ٣٣٣ .

^٥ سورة البقرة / ٢٤٩ .

^٦ سورة مريم / ٤ .

فقول زكريا - عليه الصلاة والسلام - ﴿ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي ﴾ في دعائه هو خبر الغرض منه إظهار الضعف و التَّخْشَعُ والخضوع لله عزَّ وجلَّ ، فزكريا - عليه الصلاة والسلام - يصف حاله ، ويظهر ضعفه ، ونفاذ قوته ، وقد جاء ما يدل على هذا في مواضع آخر من القرآن الكريم ، كقوله هنا : ﴿ وَقَدْ بَلَغْتَ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا ﴾^١ ، وقوله في « سورة آل عمران » : ﴿ وَقَدْ بَلَغَنِي الْكِبَرُ ﴾^٢ ، ونستفيد من ذكره هنا من إظهار الضعف أنه ينبغي للداعي إظهار الضعف والخشية والخشوع في دعائه^٣ .

وفي أفراد العظم في قوله ﴿ وَهَنَ الْعَظْمُ ﴾ نكتة ذكرها الرَّمْخَسْرِي - رحمه الله - في تفسيره فقال : ((ووَحْدَهُ ؛ لأنَّ الواحد هو الدَّالُّ على معنى الجِنْسِيَّةِ ، وَقَصْدُهُ إِلَى أَنَّ هذا الجنس الذي هو العمود والقوام ، وأشدُّ ما تركَّب منه الجسد قد أصابه الوهن ، ولو جمع لكان قصداً إلى معنى آخر ، وهو أنه لم يهن منه بعض عظامه ولكن كلها))^٤ .
^٣ ومنه قوله ﷺ : ﴿ فَسَقَى لَهْمًا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾^٥ .
 فقوله ﷺ حكاية عن موسى - عليه الصلاة والسلام - ﴿ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾ جمل خبرية الغرض منها إظهار ضعفه وفقره - عليه الصلاة والسلام - على ربه مهما أنزل عليه من خير .

والكلام تعريض لما يطعمه لما ناله من شدة الجوع ، والتَّعْبِيرُ بِالْمَاضِي بدل المضارع في ﴿ أَرَوَّوْا نَزَلْتُمْ ﴾ للاستعطاف كالافتتاح برب ، وتأكيد الجملة للاعتناء ، والتَّنْكِيرُ فِي ﴿ خَيْرٍ ﴾ لإفادة التَّوَعُّبِ والتَّعْظِيمِ ، وصلة فقير مقدرة أي إِنِّي فقير إلى الطعام ، أو من الدنيا ، وليس الغرض التَّعْرِيزُ لما يطعمه ولا التَّشْكِي والتَّضَجُّرُ بل إظهار التَّبَجُّحِ والشُّكْرِ على ذلك^٦ .

^١ سورة مريم / ٨ .

^٢ آل عمران / ٤٠ .

^٣ يُنْظَرُ : أضواء البيان في تفسير القرآن ٤ / ١٥٧ ، و المطوَّل / ١٧٩ ، علم المعاني ١ / ٣٥ .

^٤ أي العظم .

^٥ الكشَّاف / ٤ / ٦ .

^٦ سورة القصص / ٢٤ .

^٧ يُنْظَرُ : روح المعاني ١٠ / ٢٧٣ .

قال أبوحيان - رحمه الله - عند تفسير قوله ﷻ : ﴿ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾ : ((قال المفسرون : تعرّض لما يطعمه ، لما ناله من الجوع ، ولم يصرّح بالسؤال ؛ و ﴿ أَنْزَلْتَ ﴾ هنا بمعنى تنزل . وقال الزمخشري : وعدى باللام فقير ، لأنّه ضمن معنى سائل وطالب . ويحتمل أن يريد ، أي فقير من الدنيا لأجل ما أنزلت إليّ من خير الدين ، وهو النجاة من الظالمين ، لأنّه كان عند فرعون في ملك وثروة ، قال ذلك رضا بالبدل السنّي ، وفرحاً به وشكراً له . وقال الحسن : سأل الزيادة في العلم والحكمة))^١ .

وقال الرّازي - رحمه الله - : ((فالمعنى إِنِّي لأَيِّ شيء أنزلت إليّ من خير قليل ، أو كثير غث أو سمين لفقير ، وإنّما عدى فقيراً باللام لأنّه ضمن معنى سائل وطالب .

واعلم أن هذا الكلام يدل على الحاجة ، إمّا إلى الطعام ، أو إلى غيره ، إلا أنّ المفسرين حملوه على الطّعام قال ابن عباس يريد طعاماً يأكله))^٢ .

٤ . ومنه قول أبي فراس الحمداني^٣ :

قَدْ كُنْتُ عُدَّتِي الَّتِي أُسْطُو بِهَا وَبَيْدِي إِذَا اشْتَدَّ الزَّمَانُ وَسَاعِدِي^٤

٥ . ومنه قول عوف بن محمّ الخزاعي^٥ :

إِنَّ الثَّمَانِينَ - وَبُلْعَنَهَا - قَدْ أَحْوَجَتْ سَمْعِي إِلَى تَرْجُمَانٍ^١

^١ البحر المحيط ٧ / ١٠٩ .

^٢ مفاتيح الغيب ٢٤ / ٥٨٧ .

^٣ الحارث بن سعيد بن حمدان التّغليبي الرّبيعي ، أبو فراس ، ولد سنة عشرين وثلاثمائة هجرية ، الموافق اثنتين وثلاثين وتسعمائة ميلادية ، شاعر أمير فارس ، ابن عمّي سيف الدولة . له وقائع كثيرة ، قاتل بها بين يدي سيف الدولة ، مات قتيلاً - رحمه الله - سنة سبع وخمسين وثلاثمائة هجرية ، الموافق سبع وستين وتسعمائة ميلادية .

^٤ هذا البيت في ديوان أبي فراس الحمداني من قصيدة من بحر الكامل مطلعها :

إني منعت من المسير إليكم ولو استطعت لكنت أول وارد

يُنظَر : ديوان أبي فراس الحمداني ، دار صادر - بيروت ط ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥ م / ٧٨ .

^٥ هو عوف بن محمّ الخزاعي أبو المنهال ، أحد العلماء ، والأدباء ، والرُّواة النُدماء الشعراء ، أصله من حرّان ، صحب طاهر بن الحسين في العراق ، ثم حنّ إلى أهله ، فعاد ، ومات في طريقه إلى حرّان سنة مائتين وعشرين هجرية .

الغرض من الجمل الخبرية هنا إظهار الضعف ، وإبداء الملل والسآمة .
٦ . ومنه قول يحيى البرمكي^٢ يخاطب هارون الرشيد^٣ :

إِنَّ الْبِرَامِكَةَ الَّذِي نَزَّمُوا لَدَيْكَ بِدَاهِيَةً
صَفَّرَ الْوُجُوهُ عَلَيْهِمْ خَلَعَ الْمَدَلَّةَ بَادِيَةً ٠

الرابع : إظهار الاسترحام والاستعطاف

١ . نحو قوله ﷺ : ﴿ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي ﴾^٤ .

فموسى - عليه الصلاة والسلام - عندما وكز الظالم ، فمات استعظم هذا الفعل ، فأتى بهذه الجملة الخبرية ليطلب من الله ﷻ الرحمة والعطف ، ليغفر له هذا الذنب ، فهو لم يرد من هذه الجملة إفادة الخبر ؛ لأنه يخاطب عالم الغيب والشهادة ، ولم يرد أيضاً لازم الفائدة ، بل أراد الاسترحام والاستعطاف .

٢ . ونحو قوله ﷺ : ﴿ قُلْ لَمَنْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لِيَجْمَعَنَّكُمْ

إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾^٥ .

^١ يُنظَر : خزانة الأدب ، وغاية الأرب ١ / ٣٧٥ ، ٢ / ٢٨٠ ، معاهد التنصيص ١ / ٣٧٥ ، وثمار القلوب في المضاف والمنسوب ١ / ٦١٠ ، شذور الذهب / ٤٥ ، البلاغة العربية فنونها وأفانها / ١٠٨ ، علم المعاني / ٣٥ .

^٢ هو أحمد بن جعفر بن يحيى بن خالد بن برمك جحظة البرمكي ؛ أبو الحسن ولد سنة ٢٢٤ هـ ، أديب ، وشاعر ، وإخباري ، ذو فنون ونوادير ، توفي بواسط سنة ٣٢٦ هـ . ينظر تاريخ خليفة / ٤٦٥ ، والمعارف / ٣٨١ ، ٣٨٢ ، وتاريخ بغداد ١٤ / ١٢٨ ، ومعجم الأديباء ٢٠ / ٥ ، ووفيات الأعيان ٦ / ٢١٩ ، وسير أعلام النبلاء ٩ / ٨٩ ، والعير ١ / ٣٠٦ ، ومرآة الجنان ١ / ٤٢٤ ، والبداية والنهاية ١٠ / ٢٠٤ ، وشذرات الذهب ١ / ٢٨٨ ، ٣٢٧ ، والبيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب ، لمحمد المراكشي بن عذاري - ليدن ١٩٤٨ - ١٩٥١ م ، وباريس ١٩٣٠ م ، وتطوان ١٩٥٦ م ١ / ٨٠ ، ومرجع الذهب ٢ / ٢٢٨ ، والكامل ، لابن الأثير ٦ / ١٥ ، ١٦ ، ١٧٧ ، وغيرها .

^٣ هارون الرشيد بن محمد المهدي بن المنصور العباسي أبو جعفر ، خامس خلفاء الدولة العباسية ، وُلِدَ بالرِّي ؛ لمَّا كان أبوه أميراً على خراسان ، بُويِع بالخلافة بعد وفاة أخيه عبد الهادي ، وازدهرت الدولة في أيامه ، كان عالماً بالأدب ، وأخبار العرب ، والحديث ، والفقه ، توفي - رحمه الله - سنة ثلاث وتسعين ومائة هجرية .

^٤ سورة القصص / ١٦ .

^٥ سورة الأنعام / ١٢ .

فقوله ﷺ : ﴿ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ﴾ جملة خبرية أخبر بها أنه بعباده رحيم ، لا يعجل عليهم بالعقوبة ، ويقبل منهم الإنابة والتوبة . فالغرض من الجملة استعطاف للمعرضين عنه إلى الإقبال إليه بالتوبة ، فيقول : أن هؤلاء العادلين بي الجاحدين نبوتك يا محمد ، إن تابوا وأنابوا قبلت توبتهم ، وإني قد قضيت في خلقي أن رحمتي وسعت كل شيء^١ .

وجاء عن أبي هريرة ، أن النبي ﷺ قال : ((لَمَّا فَرَعَ اللَّهُ مِنَ الْخَلْقِ كَتَبَ كِتَابًا : إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي))^٢ .^٣

٣ . ونحو قوله ﷺ : ﴿ إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرَ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾^٤ .
 فقول عيسى - عليه الصلاة والسلام - لرب العزة ﷻ : ﴿ إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ﴾ ، فجملة ﴿ إِنَّهُمْ عِبَادُكَ ﴾ جملة خبرية لغرض الاستعطاف لهم ، والرأفة بهم ، كما يستعطف السيد لعبده ؛ ولهذا لم يقل : فَإِنَّهُمْ عَصَوْكَ . وهذا استعطاف منه تعالى للمتولين عنه إلى الإقبال إليه ، وإخبار منه ﷻ بأنه رحيم بعباده لا يعجل عليهم بالعقوبة ، ويقبل منهم الإنابة والتوبة ، وقيل : قاله على وجه التسليم لأمره ، والاستجارة من عذابه ، وهو يعلم أنه لا يغفر لكافر . وقيل الهاء والميم في ﴿ إِنْ تُعَذِّبُهُمْ ﴾ . لمن مات منهم على الكفر ، والهاء والميم في ﴿ وَإِنْ تَغْفِرَ لَهُمْ ﴾ لمن تاب منهم قبل الموت ؛ وهذا حسن .
 وقوله ﴿ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ جملة خبرية جاء بها لمناسبة المقام ، ولم يقل : ((فَإِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ)) على ما تقتضيه القصة من التسليم لأمره ، والتفويض لحكمه . ولو قال : ((فَإِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ)) لأوهم الدعاء بالمغفرة لمن مات على شركه وذلك مستحيل ؛ فالتقدير إن تبقيهم على كفرهم حتى يموتوا وتعذبهم فإنهم عبادك ، وإن تدهم إلى توحيدك ، وطاعتك فتغفر لهم فإنك أنت العزيز الذي لا يمتنع عليك ما تريده ؛ الحكيم فيما تفعله ؛ تضل من تشاء وتهدي من تشاء^٥ .
 ٤ . ونحو قول الشاعر :

١ تفسير الطبري ١١ / ٢٧٤ .

٢ رواه مسلم عن أبي هريرة - رضي الله عنه - .

٣ يُنظَر : جامع البيان في تفسير القرآن ٧ / ٩٩ ، و الجامع لأحكام القرآن ٥ / ١٥٥ .

٤ سورة المائدة / ١١٨ .

٥ يُنظَر : الجامع لأحكام القرآن ٥ / ١٤٠ .

رَبِّ إِيَّيْ لَا أَسْتَطِيعُ اصْطِبَارًا فَاعْفُ عَنِّي يَا مَنْ يُقِيلُ الْعِثَارَ^١

الخامس : إظهار الفرح

وقد يراد من الخبر إظهار الفرح ، نحو :

١. قول أهل الجنّة مظهرين الفرح من خلال ثنائهم على الله ﷻ بما آتاهم من فضله ، كما جاء في قوله ﷻ : ﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَمَلِينَ ﴾^٢ .

فالمؤمنين بعد دخولهم الجنّة يقولون ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ ﴾ ؛ أي : أنجزنا ما وعدنا في الدنيا من نعيم العقبى ، ﴿ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ ﴾ أرض الجنّة ، وقد أورثوها ؛ أي ملكوها ، وأصبحوا ملوكها ، وأطلق تصرفهم فيها كما يشاءون تشبيهاً بحال الوارث وتصرفه فيما يرثه ، واتساعه فيه ﴿ نَتَبَوَّأُ ﴾ حال ﴿ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ ﴾ بحيث يكون لكل واحد منهم جنّ ٍ ٍ ٍ لا توصف سعة وزيادة على الحاجة ، فيتبوّأ ؛ أي فيتخذ متبوّأ ومقرّاً من جنته حيث يشاء ، ﴿ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَمَلِينَ ﴾ في الدنيا الجنّة^٣ .

٢. وقد يراد بالجملة الخبرية الفرح بمقبل والشّماتة بمدبر ، نحو قوله ﷻ : ﴿ جَاءَ الْحَقُّ وَرَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾^٤ ، فالمراد من هذا الخبر هو الفرح بإقبال الحق ، وانتصاره على الباطل ، والشّماتة من أهل الباطل لذهابه ، وانتهائه .
ومنه قول الأبيوردي^٥ :

بُشْرَى فَقَدْ أَنْجَرَ الْأَيَّامُ مَا وَعَدَتْ وَقَلَّمَا صَدَقَتْ مِنْهَا الْمَوَاعِيدُ^٦

^١ لم أف على قائله .

^٢ سورة الزمر / ٧٤ .

^٣ يُنْظَرُ : مدارك التّنزيل / ٤ / ١٠١ .

^٤ سورة الإسراء / ٨١ .

^٥ محمد بن أحمد بن محمد القرشي الأموي ، أبو المظفر : شاعر عالي الطبقة ، مؤرخ ، عالم بالأدب ، ولد في أبيورد "بخراسان" ، ومات مسموماً في أصبهان كهلاً سنة خمسمائة وسبع من الهجرة . من كتبه "تاريخ أبيورد" ، و "المختلف والمؤتلف" في الأنساب ، و "طبقات العلماء في كل فن" ، و "أنساب العرب" ، و "ديوان شعره" ، و "زاد الرفاق" في المحاضرات .

^٦ البيت للأبيوردي من ديوانه ، من البسيط ، من قصيدة طويلة مطلعها :

رنت إلي وظلّ النقع ممدود سوابق الخيل والمهري القود .

السادس : الإنكار

١. نحو قوله ﷺ : ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ ءَادَنْ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكْرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾^١ .

٢. ونحو قوله ﷺ : ﴿ هُوَءَاءِ قَوْمَنَا أَتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةً لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَىٰ عَلَىٰ اللَّهِ كَذِبًا ﴾^٢ .

هذه جمل خبرية المراد منها الإنكار، لا أخبار محضة بقرينة ما بعدها ﴿ لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ ﴾، ولأنَّ فائدة الخبر معلومة .

وفي اسم الإشارة ﴿ هُوَءَاءِ ﴾ تحقير لهم ، وهو مبتدأ ، و ﴿ قَوْمَنَا ﴾ عطف بيان له لا خبر لعدم إفادته ، ولا صفة لعدم شرطها ، والخبر الجملة الفعلية ﴿ أَتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةً ﴾ في محل رفع خبر .

وقوله ﷺ ﴿ لَوْلَا يَأْتُونَ ﴾ تحضيض على وجه الإنكار والتعجيز ، إذ يستحيل أن يأتوا بحجة ظاهرة الدلالة على مدعاهم . ﴿ عَلَيْهِمْ ﴾ بتقدير مضاف ؛ أي على ألوهيتهم ، أو على صحة اتخاذهم لها آلهة ﴿ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ ﴾ بحجة ظاهرة الدلالة على مدعاهم ، فإنَّ الدين لا يؤخذ إلا به، واستدلَّ به أن ما لا دليل عليه من أمثال ما ذكر مردود ، وقوله ﷺ : ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَىٰ عَلَىٰ اللَّهِ كَذِبًا ﴾ بنسبة الشريك إليه تعالى عن ذلك علواً كبيراً ، فهذه المقالة يحتمل أن يكونوا قالوها بين يدي الجبار تبكيتاً ، وتعجيزاً ، وتأكيذاً للتبري من عبادة ما يدعوهم إليه بأسلوب حسن ، ويحتمل أن يكونوا قالوها فيما بينهم لما عزموا عليه^٣ .

السابع : التوبيخ

١. قوله ﷺ : ﴿ قَالَ ءَامَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ ءَادَنْ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السَّحْرَ فَلَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴾^٤ .

^١ سورة الأعراف / ١٢٣ .

^٢ سورة الكهف / ١٥ .

^٣ روح المعاني / ١٥ / ٢١٩ .

^٤ سورة طه / ٧١ .

فقول فرعون لقوم موسى ﴿عَٰمَنُتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ ءَادَنَ لَكُمْ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكْرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ منكرًا على السحرة موبخاً لهم على ما فعلوه ، فهذه جمل خبرية المقصود منها التوبيخ والتفريع ؛ لأن فرعون خاطبهم بما فعلوا مخبراً لهم بذلك ، مع ظهور عدم قصد إفادة الخبر ، ولا لازمه ؛ فالخبر إذا لم يقصد به فائدته ، ولا لازمها تولد منه بحسب المقام ما يناسبه .

ويجوز أن تقدر فيه الهمزة بناء على اطراد ذلك ، والاستفهام للإنكار والتوبيخ بمعنى أنه لا ينبغي ذلك ، وتؤيد ذلك قراءة حمزة^١ . والكسائي . وأبي بكر عن عاصم . وروح عن يعقوب ﴿آمَنُتُمْ﴾ بهمزتين محققتين ، وتحقيق الأولى ، وتسهيل الثانية بين بين مما قرىء به أيضاً^٢ .

وفي قول فرعون ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ أي عاقبة ما فعلتم ، وهذا وعيد ساقه بطريق الإجمال للتّهويل ، ثم عقبه بالتفصيل ﴿لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِّنْ خِلَافٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾^٣ ، قال ابن عباس : كان فرعون أول من صلب ، وقطع الأيدي والأرجل من خلاف ، الرجل اليمنى واليد اليسرى ، واليد اليمنى والرجل اليسرى^٤ .

٢ . نحو قوله ﷻ : ﴿يُنذِرُهُمُ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبِّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾^٥ .

فالجمل الخبرية التي أجاب بها المؤمنون المنافقين حين نادوهم - بعد ضرب السور ﴿فَضْرِبَ بَيْنَهُمُ بِسُورٍ لَهُٗ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾^٦ - ﴿يُنذِرُهُمُ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ﴾ ، فأجابوهم ﴿بَلَىٰ وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبِّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾ فالجواب بجمل خبرية المراد منها توبيخ المنافقين .

^١ حمزة بن علي بن حمزة بن فارس ، الإمام شيخ الفراء أبو يعلى ابن القبيطي الحناني ، ثم البغدادي ، أخو المحدث أبي الفرج محمد . ولد سنة أربع وعشرين وخمسائة من الهجرة . توفي - رحمه الله - في الثامن عشر من ذي الحجة سنة اثنتين وستمائة من الهجرة . يُنظر : سير أعلام النبلاء ١٦ / ١٥ .

^٢ يُنظر : روح المعاني ١٦ / ٢٣١ ، وإملاء ما من به الرحمن / ٢٨٩ .

^٣ سورة الأعراف / ١٢٤ .

^٤ يُنظر : الجامع لأحكام القرآن ٧ / ٢٦٠ ، وروح المعاني ٩ / ٢٧ .

^٥ سورة الحديد / ١٤ .

^٦ سورة الحديد / ١٥ .

٣. ونحو قوله ﷺ : ﴿ يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنْزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ ﴾^١ .

فالمقالة ﴿ هَذَا مَا كَنْزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ ﴾ الموجّهة للذين يكنزون الذّهب والفضّة حين يعدّون بصفاتها المحمّية في نار جهنّم جملة خبرية المراد منها توبيخهم على ما فعلوا في الدّنيا . يقال لهم هذا ما كنزتموه لتنتفع به نفوسكم ، وما علمتم أنكم كنزتموه لتستضرّ به أنفسكم ، وهو توبيخ لهم على ما فعلوا ، ﴿ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ ﴾ ؛ أي وبال المال الذي كنتم تكنزونه، أو وبال كونكم كانزين^٢ .

٤. و نحو قوله ﷺ : ﴿ فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ رَسُولٌ مِّنْ قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴾^٣ .

﴿ فَإِنْ كَذَّبُوكَ ﴾ فيما جنّتهم به ، ﴿ فَقَدْ كَذَّبَ رَسُولٌ مِّنْ قَبْلِكَ ﴾ جاءوا بمثل ما جنّت به ، والجملة جواب للشرط لكن باعتبار لازمها الذي دلّ عليه المقام فإنّه لتسليته ﷺ من تكذيب قومه واليهود له ، فإن يكذبوك فتكذيبك تكذيب رسل من قبلك حيث أخبروا ببعثتك ، وفي ذلك كمال توبيخهم ، وتوضيح صدقه ﷺ^٤ .

٥. وكتقديم المفعول الثاني على الأوّل في قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنِّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَفُوا لَهُ بَيْنَ وَبَيْنَ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَكَ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُصِفُونَ ﴾^٥ ، والأصل ((الجن شركاء)) ، وقدّم لأنّ المقصود التّوبيخ ، وتقديم الشّركاء أبلغ في حصوله^٦ .

قال عبد القاهر الجرجاني - رحمه الله - في تقديم الشّركاء على الجنّ في هذه الآية : ((قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنِّ ﴾ ليس بخاف أنّ لتقديم الشّركاء حسناً ، وروعة ، ومأخذاً من القلوب أنت لا تجد شيئاً منه إن أنت أخّرت ، فقلت : ((وجعلوا الجن شركاء لله)) ، وأنك ترى حالك حال من نقل عن الصّورة المبهجة ، والمنظر الرّائق ، والحسن الباهر ، إلى الشّيء الغفل ، الذي لا تحلى منه بكثير طائل ، ولا تصير النّفس به إلى حاصل ، والسّبب في أن كان ذلك كذلك ، هو أنّ للتّقديم فائدة شريفة ، ومعنى جليلاً

^١ سورة التّوبة / ٣٥ .

^٢ يُنظَر : مدارك التنزيل ٢ / ١٨٠ .

^٣ سورة آل عمران / ١٨٤ .

^٤ روح المعاني ٤ / ١٤٤ .

^٥ سورة الأنعام / ١٠٠ .

^٦ يُنظَر : البرهان في علوم القرآن ٣ / ٢٣٦ .

لا سبيل إليه مع التأخير ، بيانه أننا وإن كنا نرى جملة المعنى ، ومحصوله : أنهم جعلوا الجن شركاء ، وعبدوهم مع الله تعالى ، وكان هذا المعنى يحصل مع التأخير حصوله مع التقديم ، فإنَّ تقديم ((الشركاء)) يفيد هذا المعنى ، ويفيد معه معنى آخر ، وهو أنه ما كان ينبغي أن يكون لله شريك ، لا من الجن ، ولا غير الجن ، وإذا أُخِّر ، فقيل : ((جعلوا الجنَّ شركاء لله)) لم يفد ذلك ، ولم يكن فيه شيء أكثر من الإخبار عنهم بأنهم عبدوا الجن مع الله تعالى ، فأما إنكار أن يعبد مع الله غيره ، وأن يكون له شريك من الجن ، وغير الجن ، فلا يكون في اللفظ مع تأخير الشركاء دليل عليه ؛ وذلك أنَّ التَّقدير يكون مع التقديم أنَّ شركاء مفعول أول لـ ((جعل)) ، و ((لله)) في موضع المفعول الثاني ، ويكون الجنُّ على كلام ثانٍ ، على تقدير أنه كأنه قيل : فمن جعلوا شركاء الله تعالى ؟ فقيل : الجنُّ ، وإذا كان التَّقدير في ((شركاء)) أنه مفعول أول ، و ((لله)) في موضع المفعول الثاني ، وقع الإنكار على كون شركاء الله تعالى على الإطلاق من غير اختصاص شيء دون شيء ، وحصل من ذلك أن اتَّخاذا الشريك من غير الجنِّ قد دخل في الإنكار دخول اتَّخاذه من الجنِّ ؛ لأنَّ الصِّفة إذا ذُكرت مجردة غير مجرأة على شيء ، كان الذي تعلَّق بها من النفي عاماً في كلِّ ما يجوز أن تكون له تلك الصِّفة ، فإذا قلت : ((ما في الدَّارِ كريم)) كنت نفيت الكينونة في الدَّارِ عن كلِّ من يكون الكرم صفة له ، وحكم الإنكار أبداً حكم النفي ، وإذا أُخِّر ، فقيل : ((وجعلوا الجنَّ شركاء لله)) كان الجنُّ مفعولاً أولاً ، والشركاء مفعولاً ثانياً ، وإذا كان كذلك كان الشركاء مخصوصاً غير مطلق من حيث كان محالاً أن يجري خبراً على الجنِّ ، ثم يكون عاماً فيهم ، وفي غيرهم ، وإذا كان كذلك احتمل أن يكون القصد بالإنكار إلى الجنِّ خصوصاً أن يكونوا شركاء دون غيرهم جل الله وتعالى عن أن يكون له شريك ، وشبيهه بحال))^١ .

وقال الزمخشري - رحمه الله - : ((إن جعلت ﴿لِلَّهِ شُرَكَاءُ﴾ مفعولي جعلوا ، نصبت الجنَّ بدلاً من شركاء ، وإن جعلت ﴿لِلَّهِ﴾ لغواً كان ﴿شُرَكَاءُ الْجِنِّ﴾ مفعولين قدَّم ثانيهما على الأول . فإن قلت : فما فائدة التقديم ؟ قلت : فائدته استعظام أن يُتَّخذ الله شريك من كان ملكاً أو جنياً أو إنسياً أو غير ذلك . ولذلك قدَّم اسم الله على الشركاء))^٢ .

^١ دلائل الإعجاز / ٢٢١ - ٢٢٢ .

^٢ الكشاف / ٢ / ٤٠ .

٦. ومنه قوله ﷺ في سورة يس : ﴿ وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ﴾^١ وجاء ﴿ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ ﴾ هنا مقدماً على ﴿ رَجُلٌ ﴾ عكس ما جاء في القصص ؛ لأن المقصود التوبيخ ، فالتقديم أبلغ في حصوله .

ومنه قوله ﷺ في سورة يس : ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴾^٢ ، فقوله : ﴿ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ ﴾ فهذه جملة خبرية قدم الله ﷺ فيها خبر إن على اسمها لتوبيخ بعض المؤمنين على ما استهجن الله منهم من استتباع رأي رسول الله ﷺ لارائهم . قال الزمخشري - رحمه الله - في تفسير هذه الآية : ((فإن قلت : ما فائدة تقديم خبر إن على اسمها ؟ قلت : القصد إلى توبيخ بعض المؤمنين على ما استهجن الله منهم من استتباع رأي رسول الله ﷺ لارائهم ، فوجب تقديمه لانصباب الغرض إليه))^٣ .

٧. ونحو قول المتنبي :

ذَلَّ مَنْ يَغِيبُ الدَّلِيلَ بَعِيشٍ رُبَّ عَيْشٍ أَحْفُ مِنْهُ الْحِمَامُ

٨. ونحو قول معروف الرصافي^٤ :

فَشَرُّ النَّاسِ قَوْمٌ ذُو حُمُولٍ إِذَا فَاخَرْتَهُمْ ذَكَرُوا الْجُدُوداً^٥

ومنه المثل المشهور : ((من حفر حفرة لأخيه وقع فيها)) ، و كذا المثل الآخر : ((يَدَاكَ أَوْكَتَا وَفُوكَ نَفَخَ)) ، ويضرب لمن أصابه كرب أو هم نتيجة تقصيره .

^١ سورة يس / ٢٠ .

^٢ سورة الحجرات / ٧ .

^٣ الكشاف / ٣ / ٥٥٩ .

^٤ البيت في ديوان أبي الطيب المتنبي ، من قصيدة من بحر الخفيف ، يمدح فيها أبي الحسين علي بن أحمد المري الخراساني ، يُنظر : الديوان / ٤ / ٩٣ .

^٥ معروف بن عبد الغني البغدادي الرصافي : شاعر العراق في عصره . من أعضاء المجمع العلمي العربي (بدمشق) ، ولد ببغداد سنة ألف ومائتين وأربع وتسعين هجرية . عُيِّن نائباً لرئيس لجنة (التَّرجمة والتَّعريب) ، ثم أصدر جريدة (الأمل) يومية (سنة ١٩٢٣ م) فعاشت أقل من ثلاثة أشهر . وكان من خطباء ثورة الكيلاني ، حيث عاش بعد فشلها في شبه انزواء عن الناس إلى أن توفي - رحمه الله - ببيته ، في الأعظمية ، ببغداد سنة أربع وستين وثلاثمائة وألف هجرية . كان جزل الألفاظ في أكثر شعره ، عالي الأسلوب . له كتب ، منها (ديوان الرصافي) و(دفع الهجنة) .

^٦ وفي رواية العالمين .

^٧ البيت من ديوان الرصافي ، من قصيدة مطلعها :

أرى مستقبل الأيام أولى بمطمح من يحاول أن يسودا .

الثامن : الامتنان

١. قوله ﷺ : ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴾^١ .

المقصود بالفتح هنا هو صلح الحديبية^٢ على أرجح الأقوال ، وقيل المقصود فتح مكة^٣ ، وقيل فتح خيبر ، وقيل غير ذلك .

ورجَّح الزمخشري - رحمه الله - أنه فتح مكة فقال : ((هو فتح مكة ، وقد نزلت عند مرجع رسول الله ﷺ عن مكة عام الحديبية عدة له بالفتح ، وجيء به على لفظ الماضي على عادة رب العزة سبحانه في أخباره ؛ لأنها في تحققها وتيقنها بمنزلة الكائنة الموجودة ، وفي ذلك من الفخامة والدلالة على علو شأن المخبر ما لا يخفى))^٤ .

فجملة ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴾ جملة خبرية الغرض منها هنا امتنان الله ﷻ على رسوله ﷺ ، وعلى المؤمنين ، وتذكيرهم بهذه النعمة ، فهم بعد أن كانوا مهانين لا قيمة لهم ، فإذا بالمشركين اليوم رضوا بالصلح ، ويسألونهم القضية ، ويرغبون إليهم في الأمان ، وقد كرهوا منهم هذا من قبل ، وقد أظفروهم الله عليهم ، وردهم سالمين غانمين مأجورين .

وقيل إنَّ الغرض من هذه الجملة الخبرية فائدة الخبر ؛ لأنه قد خفي على بعض الصحابة أن ما كان في الحديبية فتحاً ، حتى بينه عليه الصلاة والسلام .

فقد أخرج البيهقي^٥ عن عروة^٦ قال : « أقبل رسول الله ﷺ من الحديبية راجعاً ، فقال رجل من أصحاب رسول الله ﷺ : « والله ما هذا بفتح ؛ لقد صُدِدْنَا عن البيت ، وصُدِّدْنا هدينا ، وعكف رسول الله ﷺ بالحديبية ، ورُدَّ رجلين من المسلمين خرجا ، فبلغ

^١ سورة الفتح / ١ .

^٢ هو رأي الجمهور ونقل هذا الرأي أبو حيان ، والشوكاني ورجَّحاه ، وبه قال السُّدي ، والشَّعبي ، والرُّهري ، وقال ابن عطية وهو الصَّحيح . يُنظَر : البحر المحيط ٨ / ٨٩ ، وفتح القدير ٥ / ٤٤ .

^٣ رجَّحه الزمخشري . يُنظَر : الكشاف ٣ / ٥٤٠ .

^٤ الكشاف ٣ / ٥٤٠ .

^٥ أحمد بن الحسين بن علي أبو بكر ، صاحب السنن الكبرى وغيرها . توفي - رحمه الله - في سنة ثمان وخمسين وأربعمائة هجرية . يُنظَر : شذرات الذهب ٣ / ٣٠٤ ، وابن السُّبكي ٣ / ٣ .

^٦ عروة بن الزبير بن العوام ، أبو عبدالله المدني ، ثقة ، فقيه مشهور ، من الثَّانية ، مات سنة أربع وتسعين هجرية . على الصَّحيح ومولده في أوائل خلافة عمر الفاروق . تقريب ٢ / ١٩ ، وتهذيب ٧ / ١٨٠ .

رسول الله ﷺ ذلك ، فقال : ((بئس الكلام هذا ، بل هو أعظم الفتح لقد رضي المشركون أن يدفعوكم بالزّاح^١ عن بلادكم ، ويسألونكم القضية ، ويرغبون إليكم في الأمان ، وقد كرهوا منكم ما كرهوا ، وقد أظفركم الله عليهم ، وردكم سالمين غانمين مأجورين ، فهذا أعظم الفتح ، أنسيتم يوم أحد إذا تصعدون ، ولا تلتون على أحد ، وأنا أدعوكم في إخراجكم ؟ ، أنسيتم يوم الأحزاب إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم ، وإذا زاغت الأبصار ، وبلغت القلوب الحناجر ، وتظنون بالله الظنون ؟ ، قال المسلمون : صدق الله ورسوله ، هو أعظم الفتح ، والله يا نبيّ الله ما فكرنا فيما ذكرت ، ولأنت أعلم بالله وبالأمر منا «

- وفائدة الخبر بالفتح بالنسبة لهؤلاء الذين لم يعلموا أنه صلح .
- وقيل إنّ الغرض من هذه الجملة الخبرية هو لازم فائدة الخبر ؛ لأنّ الرسول ﷺ ، وأغلب الصحابة - رضي الله عنهم - كانوا يعرفون أنه صلح .
- والدّي يترجّح لدي أنّ الغرض من هذه الجملة الخبرية هو امتنان الله ﷻ على رسوله ﷺ ، وعلى المؤمنين - رضي الله عنهم - ، وتذكيرهم بهذه النعمة^٢ .

التّاسع : التّحقيق

١. نحو قوله ﷻ : ﴿ فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾^٣ .
- هذه جمل خبرية المراد منها تحقير الحياة الدنيا ، والتقليل من شأنها ، وزينتها ، وما فيها من الزّهرة ، والنّعيم الفاني ؛ فمهما حصلتم وجمعتم ، فلا تغتروا به ؛ فإنّما هو متاع الحياة الدنيا ، وهي دارٌ دنيئة فانية زائلة لا محالة .
- والتّريغيب فيما عند الله ﷻ فثواب الله تعالى خير من الدنيا ، وهو باقٍ سرمديّ ، فلا تقدّموا الفاني على الباقي ، ولهذا قال ﷻ : ﴿ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ ؛ أي للذين صبروا على

^١ بالقوة .

^٢ يُنظَر : روح المعاني ٢٦ / ٨٤ .

^٣ سورة الشورى / ٣٦ .

ترك الملاذ في الدنيا ﴿ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ أي ليعينهم على الصبر في أداء الواجبات وترك المحرمات .

ومن التحقير قول سبط بن التعاويذ^١ :

فَمَاتُوا بِهَا مَوْتِ الْكِلَابِ أَدْلَةً وَعَاشُوا بِهَا فِي الْجَهْلِ عَشْرَ النَّهَائِمِ^٢

العاشر : التذكير

وقد يراد من الخبر التذكير ، كأن يُقال عند من حضرته الوفاة : ((أشهد أن لا إله إلا الله ، وأنَّ محمداً رسول الله)) ، بحيث يُراد من ذلك تذكير المحتضر بالشهادتين حتى ينلَّقظ بها ، لتكون حجة له عند ربه .

الحادي عشر - التذكير ما بين المراتب

وقد يراد من الخبر التذكير ما بين المراتب من التفاوت ، وإليك أمثلة ذلك :

١. نحو قوله ﷺ : ﴿ لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرَ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾^٣ .

هذه الآية فيها جمل خبرية الغرض منها التذكير لما بين الفريقين من التفاوت

العظيم ؛ ليتأنف القاعد ، ويرتفع بنفسه عن انحطاط منزلته^٤ .

^١ محمد بن عبيدالله بن عبدالله ، أبو الفتح ، المعروف بابن النعاويذي . شاعر العراق في عصره ، من أهل بغداد مولداً ووفاة ، ولد سنة خمسمائة وتسع عشرة هجرية ، وتوفي سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة هجرية ، ولي فيها الكتابة في ديوان المقاطعات ، وعمي سنة خمسمائة وتسع وسبعين هجرية ، وهو سبط الزاهد أبي محمد بن النعاويذي ، كان أبوه مولى اسمه " نشتكين " ، فسمي عبيد الله .

^٢ البيت من قصيدة طويلة من بحر الطويل . مطلعها :

حياك الربيع من فصاح أعاجم باخضر مياد من البان ناعم .

^٣ سورة النساء / ٩٥ .

^٤ يُنظَر : المطول / ١٨٠ .

قال أبو السعود - رحمه الله - في تفسيره : ((لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ ﴾ بيان لتفاوت طبقات المؤمنين بحسب تفاوت درجات مساعيهم في الجهاد بعد ما مر من الأمر به ، وتحريض المؤمنين عليه ليأنف القاعدُ عنه ، وبترفع بنفسه عن انحطاط رتبته فيهنتر له رغبةً في ارتفاع طبقته ، والمراد بهم الذين أذن لهم في القعود عن الجهاد اكتفاءً بغيرهم . . . وتقييدُ المجاهدة بكونها ﴿ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ ﴾ ؛ لمدحهم بذلك والإشعار بعلة استحقاتهم لعلو المرتبة ، مع ما فيه من حسن موقع السبيل في مقابلة القعود وتقديم القاعدين في الذكر ، والإيدان من أول الأمر بأن القصور الذي يُبنىء عنه عدم الاستواء من جهتهم لا من جهة مقابلتهم ، فإن مفهوم عدم الاستواء بين الشئيين المتفاوتين زيادةً وتقصاناً ، وإن جاز اعتباره بحسب زيادة الرائد ، لكن المتبادر اعتباره بحسب قصور القاصر ، وعليه قوله تعالى : ﴿ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ ﴾^١ إلى غير ذلك .

وأما قوله تعالى : ﴿ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾^٢ فلعل تقديم الفاضل فيه ؛ لأن صلته ملكة لصلة المفضل ، وقوله - عز وجل - : ﴿ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً ﴾ استئناف مسوق لتفصيل ما بين الفريقين من التفاضل المفهوم من ذكر عدم استوائهما إجمالاً ببيان كميته وكميته مبني على سؤال ينساق إليه المقال ، كأنه قيل : كيف وقع ذلك ؟ فقيل : ((فضل الله الخ)) ، وأما تقدير ما لهم لا يستوون ، فإنما يليق بجعل الاستئناف تعليلاً ؛ لعدم الاستواء مسوقاً لإثباته ، وفيه عكس ظاهر فإن الذي يحق أن يكون مقصوداً بالذات إنما هو بيان تفاضل الفريقين على درجات متفاوتة ، وأما عدم استوائهما فقصار أمره أن يكون توطئةً لذكره ، ولأم المجاهدين والقاعدين للعهد ، فقيد كون الجهاد في سبيل الله معتبر في الأول ، كما أن قيد عدم الضرر معتبر في الثاني ، و ﴿ دَرَجَةً ﴾ نُصِبَ عَلَى الْمَصْدَرِيَّةِ لَوْعُودِهَا مَوْجِعَ الْمَرَّةِ مِنَ التَّفْضِيلِ أَيْ فَضَّلَ اللَّهُ تَفْضِيلَةً ، أَوْ عَلَى نَزْعِ الْخَافِضِ أَيْ بَدْرَجَةٍ ، وَقِيلَ : عَلَى التَّمْيِيزِ ، وَقِيلَ : عَلَى الْحَالِيَّةِ مِنَ الْمَجَاهِدِينَ ، أَيْ : ذَوِي دَرَجَةٍ وَتَوْبِيئُهَا لِلتَّفْخِيمِ))^٣ .

^١ سورة الرعد / ١٦ .

^٢ سورة الزمر / ٩ . والآية كاملة : ﴿ أَمْ مَنْ هُوَ قَائِمٌ أَنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ .

^٣ مدارك التنزيل / ٢ / ٢٢٠ .

٢. ونحو قول الزهاوي^١ :

وَالنَّاسُ إِمَّا سَادَةٌ لَهُمُ الْإِرَادَةُ أَوْ عَبِيدُ

الثاني عشر : الوعظ

وقد يراد من الخبر الوعظ والإرشاد ، وذلك بتحريك النفس من الداخل بحيث تثير فيها المطامع ، وتبعدها عن المخاوف ، تحبب لها الخير ، وتجنّب بها الشرّ ، فتستعرض مثلاً نعيم الجنة ؛ لاستنارة مطامع النفس ، وتستعرض عذاب القبر والنار لاستنارة مخاوف النَّفْسِ حتى تلتزم صراط الله المستقيم الذي لا عوجاج فيه ، وإليك أمثلة ذلك :

١. نحو قوله ﷺ : ﴿ فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ * وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ * وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ * وَجِزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ * وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَٰئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ * إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ۝ ٢ ۝

هذه جمل خبرية المراد منها الوعظ والإرشاد ، فالله ﷻ حَقَّرَ الحياة الدنيا ، وقَلَّلَ من شأنها ، وزينتها ، وما فيها من الزهرة ، والنَّعيم الفاني ؛ فمهما حصلتكم وجمعتكم ، فلا تغنَّروا به ؛ فإنَّما هو متاع الحياة الدنيا ، وهي دارٌ دنيئة فانية زائلة لا محالة ، فقال : ﴿ فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۝ ٢ ۝

ورَغَّبَ فيما عنده ﷻ فقال : ﴿ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى ۝ ٢ ۝ ، فنوَّاب الله تعالى خير من الدنيا ، وهو باقٍ سرمديّ ، فلا تقدِّموا الفاني على الباقي ، ثُمَّ بَيَّنَّ ﷻ أَنَّ هذا الأمر لا يُوَفَّقُ له إلا من كانت عنده الصِّفَاتُ التَّالِيَةُ ، فقال : ﴿ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا ۝ ٢ ۝ ؛ أي للذين صبروا على ترك الملاذ في الدنيا ﴿ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝ ٢ ۝ ؛ أي ليعينهم على الصَّبْرِ في أداء الواجبات وترك المحرِّمات ۝ ثُمَّ عَدَّدَ بَقِيَّةَ الصِّفَاتِ : ﴿ وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ

^١ إبراهيم أدهم بن صالح الزهاوي : شاعر عراقي . مولده ببغداد سنة عشرين وثلاثمائة وألف هجرية . ووفاته فيها أيضاً سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائة وألف هجرية الموافق اثنتين وستين وتسعمائة وألف ميلادية .

^٢ سورة الشورى / ٣٦ - ٤٣ .

وَأَلْفَوْحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿١﴾ ؛ أي سجيبتهم تقتضي الصَّفْح ، والعتفو عن النَّاس ليس سجيبتهم الانتقام من النَّاس . من صفاتهم ﴿ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ ﴾ ؛ أي اتبعوا رسله ، وأطاعوا أمره ، واجتنبوا زجره ، وأقاموا الصَّلَاة ، وهي أعظم العبادات لله عز جل ، ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ ﴾ ؛ أي لا يبرمون أمراً حتى يتشاوروا فيه ليتساعدوا بآرائهم في مثل الحروب ، وما جرى مجراها كما قال تبارك وتعالى : ﴿ وَشَاوَرَهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ﴾ ^١ ، ولهذا كان رسول الله ﷺ يشاورهم في الحروب ونحوها ؛ ليطيب بذلك قلوبهم ، ومن صفاتهم ﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾ ؛ وذلك بالإحسان إلى خلق الله الأقرب إليهم منهم فالأقرب ، ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ ﴾ ؛ أي فيهم قوّة الانتصار ممن ظلمهم ، واعتدى عليهم ليسوا بالعاجزين ، ولا الأذليين ، بل يقدرون على الانتقام ممن بغى عليهم ، وإن كانوا مع هذا إذا قدروا عفواً ، كما قال يوسف - عليه الصَّلَاة والسَّلَام - لإخوته : ﴿ لَا تَتْرِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّحِيمِينَ ﴾ ^٢ ، مع قدرته على مؤاخذتهم ومقابلتهم على صنيعهم إليه .

ثم أخبر ﷺ أن جزاء السيئة سيئة مثلها ، فقال : ﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا ﴾ ، كقوله ﷺ : ﴿ فَمَنْ أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَأَعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ ﴾ ^٣ ، وكقوله : ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ﴾ ^٤ ، فشرع العدل وهو القصاص وندب إلى الفضل ، وهو العفو كقوله - جلّ وعلا : ﴿ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ ﴾ ^٥ .

ثم رغب الله ﷻ في العفو الصَّفْح فقال : ﴿ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ﴾ ؛ أي لا يضيع ذلك عند الله كما صحَّ ذلك في الحديث ((وما زاد الله تعالى عبداً بعفو إلا عزاً)) ^٥ .

ثم أخبر ﷺ إنه لا يحبُّ الذين يبتدون بالإساءة فيعتدون على النَّاس ؛ ترهيباً وتحذيراً من هذا الفعل السيئ فقال : ﴿ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾ ؛ أي المعتدين وهو المبتدئ بالسيئة .

^١ سورة آل عمران / ١٥٩ .

^٢ سورة يوسف / ٩٢ .

^٣ سورة البقرة / ١٩٤ .

^٤ سورة النحل / ١٢٦ .

^٥ سورة المائدة / ٤٥ .

وبعض العلماء يرى بأن الله ﷻ أخبر عن أقسام الناس الثلاثة : الظالم لنفسه ، والمقتصد ، والسابق بالخيرات ، فذكر المقتصد ، وهو الذي يفيض بقدر حقه لقوله : ﴿ وَجَزَاء سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ﴾ ، ثم ذكر السابق بقوله : ﴿ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ﴾ ، ثم ذكر الظالم بقوله : ﴿ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾ ، فأمر بالعدل ، وندب إلى الفضل ، ونهى من الظلم . ثم قال جل وعلا : ﴿ وَلَمَنْ آتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مَن سَبِيلٍ ﴾ ؛ أي ليس عليهم جناح في الانتصار ممن ظلمهم .

ثم قال عز وجل : ﴿ إِنَّمَا السَّبِيلُ ﴾ ؛ أي إنما الحرج والعنت ﴿ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾ ؛ أي يبدعون الناس الظلم ، ﴿ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ ؛ أي شديد موجه .

ثم إن الله تعالى ، لما ذم الظلم وأهله وشرع القصاص ، قال نادباً إلى العفو والصَّفْح : ﴿ وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ ﴾ ؛ أي صبر على الأذى ، وستر السيئة ﴿ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ ؛ أي لمن حق الأمور التي أمر الله بها ، و لمن الأمور المشكورة ، والأفعال الحميدة التي عليها ثواب جزيل ، وثناء جميل . فإن من عفا وأصلح فأجره على الله ، وصاحب العفو ينام على فراشه بالليل ، وصاحب الانتصار يقلب الأمور^١ .

ثم يواصل الله ﷻ الأخبار لغرض الوعظ والإرشاد فيقول : ﴿ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَلِيٍّ مِنْ بَعْدِهِ وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ * وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الدُّلِّ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفِ حَفِيٍّ وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ * وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ أَوْلِيَاءَ يَنْصُرُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ سَبِيلٍ ﴾^٢ .

فإنه ﷻ يخبر عن نفسه الكريمة أنه ما يشاء كان ولا راد له ، وما لم يشأ لم يكن فلا موجد له ، وأنه من هداه فلا مضل له ، ومن يضل الله فلا هادي له ، كما قال عز وجل : ﴿ وَمَنْ يُضِلِلِ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْسِدًا ﴾^٣ ، ثم قال عز وجل مخبراً عن الظالمين ، وهم المشركون بالله ﷻ فهم ﴿ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ ﴾ يوم القيامة تمنوا الرجعة إلى الدنيا ﴿ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ ﴾ ، كما قال جل وعلا : ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا

^١ يُنظَر : تفسير القرآن العظيم العظيم ، لإسماعيل بن عمر بن كثير - تقديم : عبد القادر الأرنبوط - مكتبة

دار الفحاء للطباعة والنشر والتوزيع - مكتبة دار السلام ٧ / ١٩٢ - ١٩٤ .

^٢ سورة الشورى / ٤٤ - ٤٦ .

^٣ سورة الكهف / ١٧ .

يَلِينَتَا نُرْدُ وَلَا نُكْذِبُ بِبَيِّنَاتٍ رَبَّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * بَلْ بَدَأَ لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَدُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١﴾ ، وقوله ﷺ : ﴿ وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا ﴾ ؛ أي على النار ﴿ خَشِعِينَ مِنَ الذَّلِّ ﴾ الذي قد اعتراهم بما أسلفوا من عصيان الله ، ثم أخبر أنهم ﴿ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفِ خَفِيٍّ ﴾ أي من طَرْفٍ ذليل ، فهم ينظرون إليها مسارقة خوفاً منها ، والذي يحذرون منه واقع بهم لا محالة ، وما هو أعظم مما في نفوسهم - أجازنا الله من ذلك - .

ثم يخبر ﷺ عن أحوال المؤمنين ترغيباً في الإيمان والعمل الصالح فيقول : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ يوم القيامة ﴿ إِنَّ الْخَاسِرِينَ ﴾ أي الخسارة الكبرى ﴿ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ فذهب بهم إلى النار فعدموا لذتهم في دار الأبد وخسروا أنفسهم ، وفرق بينهم وبين أحبائهم وأصحابهم وأهاليهم وقراباتهم ، فخسروهم ، ثم قال : ﴿ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُقِيمٍ ﴾ ؛ أي دائم سرمدي أبدي لا خروج لهم منها ، ولا محيد لهم عنها . ثم واصل الإخبار عنهم فقال : ﴿ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ أَوْلِيَاءَ يَنْصُرُونَهُمْ مَنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ بحيث ينقذونهم مما هم فيه من العذاب و النكال ﴿ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ سَبِيلٍ ﴾ فليس له خلاص .

فلما أخبر ﷺ عما يكون في يوم القيامة من الأهوال والأمور العظام الهائلة ، غير أسلوب الخطاب من الأسلوب الخبري إلى الأسلوب الإنشائي ، لأن الغرض من هذه الأخبار هو الوعظ والإرشاد ، فحذّر من يوم القيامة وأمر بالاستعداد له ، فقال ﷺ : ﴿ اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ ﴾ ٢ . ٣ .

٢ . ونحو قوله ﷺ : ﴿ يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّتْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ ٤

ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة أن المؤمنين يوم القيامة، يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم ، وهو جمع يمين ، وأنهم يقال لهم : ﴿ بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّتْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ .

١ سورة الأنعام / ٢٧ - ٢٨ .

٢ سورة الشورى / ٤٧ .

٣ يُنْظَرُ : تفسير القرآن العظيم ٧ / ١٩٦ - ١٩٧ .

٤ سورة الحديد / ١٢ .

وما تضمنته هذه الآية الكريمة مما ذكرنا ، جاء موضحاً في آيات أخر ، أما سعي نورهم بين أيديهم وبأيامانهم ، فقد بينه تعالى في سورة التَّحْرِيمِ ، وزاد فيها بيان دعائهم الذين يدعون به في ذلك الوقت وذلك في قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا ۗ ﴾ .

وأما تبشيرهم بالجنات، فقد جاء موضحاً في مواضع أخر، وبين الله فيها أن الملائكة تبشروهم وأن ربهم أيضاً يبشروهم كقوله تعالى : ﴿ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّتْ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ إلى قوله : ﴿ نُزُلًا مِّنْ غُفُورٍ رَّحِيمٍ ﴾ إلى غير ذلك من الآيات .

٣. ومنه قوله ﷺ : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأَدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعٌ الْغُرُورِ ﴾^١ .

تضمنت هذه الجملة الخبرية الوعظ ، والتسليية لرسول الله ﷺ عن الدنيا ، وأهلها ، والوعد بالنَّجاة في الآخرة بذكر الموت . فالغرض من الخبر هنا الوعظ والإرشاد ، لا الفائدة ، ولا لازمها .

قال أبو حيان - رحمه الله - في تفسير هذه الآية : ((تضمنت هذه الجملة ، وما بعدها الوعظ ، والتسليية لرسول الله ﷺ عن الدنيا ، وأهلها ، والوعد بالنَّجاة في الآخرة بذكر الموت ، والفكرة فيه تهون ما يصدر من الكفار من تكذيب وغيره . ولما تقدّم ذكر المكذبين الكاذبين على الله من اليهود والمنافقين وذكرهم المؤمنين ، نبهوا كلهم على أنهم ميتون ، ومآلهم إلى الآخرة ، ففيها يظهر النَّاجي والهالك ، وأنَّ ما تعلقوا به في الدنيا من مال وأهل وعشيرة إنما هو على سبيل التَّمَتُّعِ المغرور به ، كلها تضمحلّ وتزول ولا يبقى إلا ما عمله الإنسان ، وهو يوفاه في الآخرة ، يوفى على طاعته ومعصيته))^٢ .

٤. ومنه قول أبي العتاهية :

إِنَّ الشَّبَابَ ، وَالْفِرَاعَ ، وَالْجِدَّةَ مَفْسَدَةٌ لِلْمَرْءِ^٣ أَيُّ مَفْسَدَةٍ

^١ سورة آل عمران / ١٨٥ .

^٢ البحر المحيط ٣ / ١٣٨ - ١٣٩ .

^٣ وفي رواية للعقل .

^٤ البيت في ديوان أبي العتاهية من الرجز من قصيدة طويلة بدأها بقوله :

الحمد لله على تقديره وحسن ما صرف من أموره .

٥. ومنه قول لبيد بن ربيعة :

أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللَّهَ بَاطِلٌ وَكُلُّ نَعِيمٍ لَا مَحَالَةَ زَائِلٌ^١

الثالث عشر : التنبية و الحث

وقد يكون الغرض من الجملة الخبرية التنبية ، و الحث ، كقول بشّار بن بُرد^٢ :

مَنْ رَاقَبَ النَّاسَ لَمْ يَظْفَرْ بِحَاجَتِهِ وَفَازَ بِالطَّيِّبَاتِ الْفَاتِكِ اللَّهْجِ^٣

وقول سلم الخاسر^٤ :

مَنْ رَاقَبَ النَّاسَ مَاتَ غَمًّا وَفَازَ بِاللَّذَّةِ الْجَسُورِ^٥

^١ البيت من الطويل للبيد بن ربيعة العامري ، يُنظَر : ديوانه / ١٣٢ ، وشرح المفصل ٢ / ٧٨ ، والمغني / ١٣٣ ، ١٦٩ ، والعيني ١ / ١٥ ، ٣ / ١٤٣ ، والنصريح ١ / ٢٩ ، والهمع ١ / ٢٣ ، ٢٢٦ ، ٢٣٣ ، والدُّرر اللوامع ١ / ٢ ، ١٩٣ ، ١٩٧ ، وشرح الأشموني ١ / ٢٨ ، ٢ / ١٦٤ ، وحاشية يس ١ / ٣٥٥ .

^٢ هو بشّار بن بُرد العُقيلي ، بالولاء ، أبو معاذ : أشعر المولدين على الإطلاق . نسبته إلى امرأة (عُقيلية) قيل إنَّها أعتقته من الرِّق . وكان ضريباً . ولد في البصرة سنة خمس وتسعين هجرية ، ونشأ فيها ، وقدم بغداد . وأدرك الدولتين الأموية والعباسية . وشعره كثير متفرق من الطبقة الأولى . قال الجاحظ : (كان شاعراً راجزاً ، سجعاً خطيباً ، صاحب منثور ومزدوج ، وله رسائل معروفة) . وأثمهم بالزندقة فمات ضرباً بالسَّياط سنة سبع وستين ومائة هجرية . يُنظَر : الشعر والشُعراء ٢ / ٧٥٧ - ٧٦٠ ، وطبقات ابن المعتز / ٢١ - ٣١ ، وتاريخ الطُّبري ٨ / ١٨١ ، والأغاني ٣ / ١٣٥ - ١٥٠ ، وتاريخ بغداد ٧ / ١١٢ - ١١٨ ، والكامل ، لابن الأثير ٦ / ٧٠ ، ٧٤ ، ٨٦ ، ووفيات الأعيان ١ / ٢٧١ - ٢٧٤ ، وعبر الذهب ١ / ٢٥٢ ، ونكت الهميان في نكت العميان ، لخليل بن أبيك الصَّفدي - تحقيق : أحمد زكي - القاهرة ١٩١١ م / ١٢٥ ، ومعاهد التنصيص ١ / ٨٩ - ١٠٢ ، والبداية والنَّهاية ١٠ / ١٤٩ - ١٥٠ ، ولسان الميزان ٢ / ١٥ - ١٦ ، وشذرات الذهب ١ / ٢٦٤ - ٢٦٥ ، وخزانة الأدب ، وغاية الأرب ١ / ٥٤١ - ٥٤٢ .

^٣ البيت في ديوان بشّار بن برد من بحر البسيط من قصيدة مطلعها :

خَشَابٌ هَلْ لِمَحَبِّ عِنْدَكُمْ فَرَجٌ أَوْ لَا فَإِنِّي بِحَبْلِ الْمَوْتِ مَعْتَلِجٌ .

^٤ سلم بن عمرو بن حماد البصري ، شاعر ، خليع ، ماجن ، من أهل البصرة ، من الموالي . سكن بغداد ، له مدائح في المهدي ، والرَّشيد العباسيين ، وأخبار مع بشار بن برد ، وأبي العتاهية . شعره رقيق رصين . سُمِّي الخاسر : لأنَّه باع مصحفاً ، واشترى بثمنه طنبوراً " آلة من آلات الطُّرب ذات عنق طويل ، وستة أوتار ، جمعها طنابير " . يُنظَر : طبقات ابن المعتز / ٩٩ ، تاريخ بغداد ٩ / ١٣٦ ، الأغاني ١٩ / ٢١٤ ، معجم الأدباء ١١ / ٢٣٦ ، وفيات الأعيان ٢ / ٣٥٠ - ٣٥٢ .

^٥ البيت من بحر مixel البسيط ، وبعد ه قال :

لولا منى العاشقين ماتوا غمًّا وبعض المنى غرور

الرابع عشر - الرثاء

وقد يراد من الخبر الرثاء كما في :

١. قول أبي ذؤيب الهذلي^١ :

أُودَى بَنِي وَأَعْقُبُونِي غَصَّةً^٢ بَعْدَ الرُّقَادِ وَعَبْرَةً لَا تَقْلَعُ^٣

وقوله أيضاً يرثي بنيه :

سَبَقُوا هَوِيَّ وَأَعْنَقُوا لِهَوَاهُمْ فَحُحِرُّمُوا وَلِكُلِّ جَنْبٍ مَصْرَعٌ^٤

٢. ونحو قول ابن الرومي :

طَوَاهُ الرَّدَى عَنِّي فَأَضْحَى مَرَارُهُ بَعِيداً عَلَى قُرْبٍ قَرِيباً عَلَى بُعْدٍ^٥

٣. ونحو قول حسان بن ثابت^٦ في رثاء النبي ﷺ :

وروي هذا البيت لصريع الغواني .

^١ أبو ذؤيب خويلد بن خالد بن محرت ، شاعر مضرّي فحل ، أدرك الإسلام ، ووفد على النبيّ - صَلَّى اللهُ عليه وسلّم - يوم وفاته ، وشارك في الفتوح كلّها ، ومات - رحمه الله - في مصر وهو عائد من فتح إفريقية سنة سبعة وعشرين من الهجرة . يُنظَر : خزّانة الأدب ولبّ لسان العرب ، عبد القادر بن عمر البغدادي - تحقيق وشرح : عبد السلام محمّد هارون - الهيئة المصريّة العامة للكتاب - الطبعة الثّانية ١٩٧٩ م ١ / ٤٢٢ ، و الأغاني ٦ / ٢٤٦ .

^٢ وفي رواية حَسْرَةٌ بدلاً عن غَصَّة .

^٣ ورُوي عنْدَ بدلاً عن بَعْدَ .

^٤ البيت من بحر الكامل لأبي ذؤيب الهذلي . يُنظَر : ديوانه ١ / ٢ ، والمفضّليات ٢ / ٢٢١ ، والمقاصد النّحوية ٣ / ٤٩٨ ، والأشْموني ٢ / ٢٨١ ، والتّصريح ٢ / ٦١ ، وروح المعاني ١٤ / ١٧ ، والشّاهد قوله ((ما تَقْلَع)) حيث دخلت ((ما)) على المضارع مراداً به الاستقبال .

^٥ البيت لأبي ذؤيب الهذلي من بحر الكامل .

^٦ البيت في ديوان ابن الرومي من الطّويل من قصيدة مطلعها :

بكاؤكما يشفي وإن كان لا يجدي فجودا فقد أودى نظيركما عندي .

^٧ حسان بن ثابت ، ابن المنذر ، بن حرام ، بن النجار . سيّد الشعراء المؤمنين ، المؤيّد بروح القدس . أبو الوليد ، ويقال : أبو الحسام . الأنصاريّ الخزرجي النجاري المدني ، ابن الفريضة . شاعرٌ رسول الله وصاحبُه . قال ابن سعد : عاش ستين سنة في الجاهلية ، وستين في الإسلام . وقال ابن إسحاق : توفي حسان - رضي الله عنه - سنة أربع وخمسين . وقال الهيثم بن عدي ، والمدائني : توفي سنة أربعين . يُنظَر : مسند أحمد ٣ / ٤٢٢ ، ٥ / ٢٢٢ ، والتّاريخ لابن معين ١٠٧ / ١ ، والتّاريخ الكبير ٣ / ٢٩ ، والمعارف ٢ / ١٢٨ ، ١٤٣ ، ١٩٧ ، ١٣٢ ، والجرح والتّعديل ٣ / ٢٣٣ ، والأغاني ٤ / ١٣٤ - ١٦٩ ، ومعجم الطّبراني ٤ / ٤٤ ،

يَا وَيْحَ أَنْصَارِ النَّبِيِّ وَرَهْطِهِ بَعْدَ الْمُعَيَّبِ فِي سَوَاءِ الْمَلْحَدِ^١
٤. ونحو قول لبيد بن ربيعة العامري يرثي أخاه أُرَيْدَ :

لَمْ تَبْلُغِ الْعَيْنُ كُلَّ نَهْمَتِهَا لَيْلَةَ تُمْسِي الْجِيَادُ كَالْقَدِيدِ^٢

الخامس عشر : الشَّتِيْمَة

وقد يراد من الخبر الشَّتِيْمَة ، كأن يُقال لِلْقَيْطِ : ((أَنْتَ وَوَلَدُ زَيْنَا))^٥ وكقول المستضعفين : ((هَاهُمْ الظَّالِمُونَ يُلقُونَ مَصَارِعَهُمْ)) ، أو ((هَاهُمْ الخَوَنَةُ يَتَسَاقَطُونَ واحداً أُنْزَ واحداً))^٥

السادس عشر : الفخر

وقد يراد من الخبر الفخر ، نحو قول عمرو بن كلثوم في قصيدة له فخرية^٣ :

والمستدرك ٣ / ٤٨٦ ، والاستبصار في نسب الصحابة من الأنصار ، لعبد الله بن أحمد موفق الدين بن قدامة - تحقيق : علي نويهض - بيروت / ٥١ - ٥٣ ، والاستيعاب في معرفة الأصحاب ، ليوسف بن عبد الله بن عبد البر - تحقيق : علي البجاوي - القاهرة وبهامش الإصابة ١ / ٣٤١ ، وأسد الغابة ٢ / ٥ ، وتهذيب الكمال / ٢٥١ ، وسير أعلام النبلاء ٢ / ٥١٢ ، وتاريخ الإسلام ٢ / ٢٧٧ ، والعبير ١ / ٥٩ ، ومجمع الزوائد ٩ / ٣٧٧ ، و تهذيب التهذيب ٢ / ٢٤٧ - ٢٤٨ ، والإصابة في تمييز الصحابة ، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني - طبعة مولاي عبد الحفيظ - القاهرة ١٣٢٨ هـ ٢ / ٢٣٧ ، و خلاصة تهذيب الكمال / ٧٥ ، وشذرات الذهب ١ / ٤١ ، ٦٠ .

^١ البيت من ديوان حسّان بن ثابت - رضي الله عنه - من بحر الكامل من قصيدته التي رثاء فيها النبي - صلى الله عليه وسلم - مطلعها :

مَا بَالُ عَيْنِكَ لَا تَتَامُ كَأَنَّ مَآ كَلْتِ مَاقِيهَا بِكَلِّ الْأَرْمَدِ

يُنْظَرُ : ديوان حسّان بن ثابت ، شرحه ، وكتب هوامشه ، وقدم له عبداً . مهتاً - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان ، ط ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م / ٦٦ .

^٢ البيت من ديوان لبيد العامري من المنسرح ، من قصيدة رثى فيها أخاه مطلعها :

مَا إِنْ تَعْرِى الْمُنُونِ مِنْ أَحَدٍ لَا وَالِدَ مَشْفُقٍ وَلَا وَلَدَ

يُنْظَرُ : ديوان لبيد العامري / ٤٩ .

^٣ عمرو بن كلثوم بن مالك بن عتاب ، من بني تغلب ، أبو الأسود : شاعر جاهلي ، من الطبقة الأولى . كان من أعزّ النَّاسِ نفساً ، وهو من الفُتَّاكِ الشجعان . ساد قومه (تغلب) وهو فتى ، وعمر طويلاً . وهو الذي قتل الملك عمرو بن هند . أشهر شعره معلقته التي مطلعها :

أَلَا هُبِّي بِصَحْنِكَ فَاصْبَحِينَا وَلَا تُبْقِي خُمُورَ الْأَنْدَرِينَا

إِذَا بَلَغَ الْفَطَامَ لَنَا وَلَيْدٌ تَخِرُّ لَهُ الْجَبَابِرُ سَاجِدِينَ^١
 فهو لا يريد أن يخبرنا بأن الولد إذا بلغ الفطام تخرُّ له الجبابرة ساجدين ، وإنما يريد
 أن يفتخر بنفسه وبقومه ، وبأنهم سادة القوم .

السابع عشر : المدح

وقد يراد من الخبر المدح ، نحو قول النَّابِغَةِ الذَّبْيَانِي^٢ يمدح الثُّعْمَانَ بن المنذر :
 فَإِنَّكَ شَمْسٌ ، وَالْمَلُوكُ كَوَاكِبٌ ، إِذَا طَلَعَتْ لَمْ يَبْدُ مِنْهُنَّ كَوَكَبٌ^٣

الثامن عشر : النصح والإرشاد

وقد يراد من الخبر النصح والإرشاد ، نحو قول زهير بن أبي سلمى :
 وَمَنْ يَكُ ذَا فَضْلٍ فَيَبْخُلُ بِفَضْلِهِ عَلَى قَوْمِهِ يُسْتَعْنَ عَنْهُ وَيُدْمَمُ^٤

التاسع عشر : الهجاء

يقال : إنَّها كانت في نحو ألف بيت ، وإنما بقي منها ما حفظه الرُّوَاةُ ، وفيها من الفخر والحماسة العجب ،
 توفي نحو سنة أربعين قبل الهجرة .

^١ البيت من الوافر ، من معلقة عمرو بن كلثوم الشهيرة ، ومطلعها :

أَلَا هُبِّي بِصَحْنِكَ فَاصْبِحِينَ وَلَا تُبْقِي خُمُورَ الْأَنْدَرِيْنَا .

^٢ زياد بن معاوية بن ضباب الذبباني الغطفاني المصري ، أبو أمامة : شاعر جاهلي ، من الطبقة الأولى . من
 أهل الحجاز . كانت تضرب له قبة من جلد أحمر بسوق عكاظ ، فتقصده الشعراء فتعرض عليه أشعارها . توفي
 نحو ثمانية عشرة قبل الهجرة . الأعلام ٣ / ٥٤ ، و معاهد التنصيص ١ / ٣٣٣ ، و نهاية الأرب في فنون
 الأدب ، أحمد بن عبد الوهاب النويري ، القاهرة - ١٩٥٥ م ٣ / ٥٩ ، وسمَّاه زياد بن عمرو ، و الأغاني ١١
 / ٣ .

^٣ البيت في ديوان النَّابِغَةِ الذَّبْيَانِي من الطَّوِيل من قصيدة مدح فيها النَّابِغَةُ الذَّبْيَانِي مطلعها :

أَتَانِي أُبَيْتُ اللَّعْنِ أَنْكَ لِمَتْنِي وَتَلَّكَ الَّتِي أَهْتَمُّ مِنْهَا وَأُنْصَبُ

يُنظَرُ : ديوان النَّابِغَةِ الذَّبْيَانِي / ١٩ .

^٤ البيت في ديوان زهير بن أبي سلمى من الطَّوِيل من قصيدة طويلة مطلعها :

كِرَامِ فَلَإِ نُو الْوَتْرِ يَدْرِكُ وَتَرَهُ لَدَيْهِمْ وَلَا الْجَانِي عَلَيْهِمْ بِمُسْلِمٍ .

وقد يراد من الخبر الهجاء ، نحو قول جرير^١ يهجو الفرزدق في قصيدة من بحر الكامل :

رَعَمَ الْفَرَزْدَقُ أَنْ سَيَقْتُلُ مَرْعاً أَبَشِرُ بِطُولِ سَلَامَةٍ يَا مَرْعُ^٢

العشرون : الترغيب

مثل قوله ﷺ : ﴿ فَتَلَقَىٰ آدَمَ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾^٣ ، فقوله ﷺ : ﴿ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ جملة خبرية مؤكدة بأربع تأكيدات ، وهي ﴿ إِنَّ ﴾ ، وضمير الفصل ، والمبالغتان مع الصفتين له ؛ ليدل على ترغيب الله العبد في التوبة ، فإنه إذا علم ذلك طمع في عفو^٤ .

و قال الآلوسي - رحمه الله - : ((وفي الجملة الاسمية^٥ ما يقوي رجاء المذنبين ، ويجبر كسر قلوب الخاطئين حيث افتتحها بأن ، وأتى بضمير الفصل ، وعرف المسند ، وأتى به من صيغ المبالغة إشارة إلى قبول التوبة كلما تاب العبد ، ويحتمل أن ذلك لكثرة من يتوب عليهم ، وجمع بين وصفي كونه تواباً وكونه رحيماً ؛ إشارة إلى مزيد الفضل ، وقدم التواب لظهور مناسبته لما قبله ، وقيل في ذكر الرحيم بعده إشارة إلى أن قبول التوبة ليس على سبيل الوجوب . كما زعمت المعتزلة . بل على سبيل الترحم والتفضل ، وأنه الذي

^١ جرير بن عطية بن حذيفة الخطفي بن بدر الكلبي اليربوعي ، من تميم : أشعر أهل عصره . ولد سنة ٢٨ هـ الموافق ٦٥٠ م في اليمامة ، ومات فيها سنة ١١٠ هـ الموافق ٧٢٨ م . وعاش عمره كله يناضل شعراء زمنه ويساجلهم . وكان هجاءً مرّاً . فلم يثبت أمامه غير الفرزدق والأخطل . وكان عفيفاً ، وهو من أغزل الناس شعراً . وقد جمعت (نقائضه مع الفرزدق) في ثلاثة أجزاء ، و (ديوان شعره) في جزأين . وأخباره مع الشعراء وغيرهم كثيرة جداً . وكان يكنى بأبي حزرّة . و لجميل سلطان (جرير ، قصة حياته ودراسة أشعاره) . يُنظر : الأغاني ٣ / ٨ ، وو وفيّات الأعيان ١ / ٣٢١ .

^٢ البيت في ديوان جرير من بحر الكامل من قصيدة طويلة يهجو جرير بها الفرزدق ، مطلعها :

بان الخليط برامتين فودّعوا أو كلّمنا رفعوا لبين تجزّع .

^٣ سورة البقرة / ٣٧ .

^٤ يُنظر : البرهان في علوم القرآن ٢ / ٣٨٩ .

^٥ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ .

سبقت رحمته غضبه ، فيرحم عبده في عين غضبه . كما جعل هبوط آدم سبب ارتفاعه ، وبعده سبب قربه . فسبحانه من تواب ما أكرمه ! ومن رحيم ما أعظمه !^١ .

ومثل قوله ﷺ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُعْضُونَ أَسْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾^٢ ، ففي هذه الآية ترغيب في غضِّ الأصوات عند الرسول ﷺ ، و الانتهاء عما نهوا عنه ، بعد الترهيب عن الإخلال به ، أي يخفضون أصواتهم مراعاة للأدب ، أو خشية من مخالفة النهي^٣ .

الحادي والعشرون : التَّعْجُبُ وَالتَّهْكُمُ

نحو قوله ﷺ ﴿ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضلاً وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾^٤ ، ((﴿ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ ﴾ استئناف لبيان سبب تيمم الخبيث في الإنفاق ، وتوهين شأنه ، والوعد في أصل وضعه لغة شائع في الخير والشر ، وأما في الاستعمال الشائع فالوعد في الخير ، والإيعاد في الشر حتى يحملوا خلافه على المجاز والتَّهْكُم ، وقد استعمل هنا في الشر نظراً إلى أصل الوضع لأنَّ الفقر مما يراه الإنسان شراً ، ولهذا يخوف الشيطان به المتصدقين فيقول لهم : لا تنفقوا الجيد من أموالكم ، وأنَّ عاقبة إنفاقكم أن تفتقروا ، وتسمية ذلك وعداً مع أنَّه اعتبر فيه الإخبار بما سيكون من جهة المخبر ، والشيطان لم يضيف مجيء الفقر إلى جهته للإيذان بمبالغة اللعين في الإخبار بتحقيق مجيئه ، كأنَّه نزله في تقرر الوقوع منزلة أفعاله الواقعة حسب إرادته ، أو لوقوعه في مقابلة وعده تعالى على طريق المشاكلة ، ومن النَّاس من زعم أن استعمال الوعد هنا في الخير حسب الاستعمال الشائع ، والمراد أنَّ ما يخوفكم به هو وعد الخير ؛ لأنَّ الفقر للإنفاق أجل خير ، ولا يخفى أنه بمراحل عن مذاق التنزيل ، وقرىء . الفقر . بالضم والسكون وبفتحتين وضميتين وكلها لغات في الفقر وأصله كسر فقار الظهر . ﴿ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ ﴾ أي : الخصلة الفحشاء ، وهي البخل وترك الصدقات^٥ .

^١ يُنْظَر : روح المعاني ١ / ٢٣٧ .

^٢ الحجرات / ٣ .

^٣ يُنْظَر : روح المعاني ١٦ / ١٣٧ .

^٤ سورة البقرة / ٢٦٨ .

^٥ يُنْظَر : روح المعاني ٣ / ٤٠ .

الثاني والعشرون : التهديد

نحو قوله ﷺ : ﴿ وَلَنْ يَتَمَنَّوهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾^١ ، فقوله ﷺ : ﴿ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾ جملة خبرية الغرض منها ، التهديد ، والتنبيه على أنهم ظالمون في ادعاء ما ليس لهم ، ونفيه عن غيرهم .

الثالث والعشرون : نفي الاعتقاد السائد

نحو قوله ﷺ : ﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ وَإِنِّي أَعِيدُهَا بَكَ وَذُرِّيَّتُهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾^٢ ، فالمراد بالخبر في قوله ﷺ : ﴿ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ ﴾ نفي الاعتقاد السائد بين الناس بوجود تفاوت بين الأولاد ، وإن هذا التفاوت الذي يبدو للوهلة الأولى ، إنما هو أمر ظاهري لا يثبت عند الابتلاء والتجربة ، فإن الغيب أعمق غوراً من أن يسبروه ، وأبعد منالاً من أن يدكروه ، وكم من النساء من فاقت الرجال ، وأربت عليهم في الدرجات ، وقد تعلق أبو الطيب المتنبي بأذيال هذا المعنى البديع فقال :

وَلَوْ كَانَ النِّسَاءُ كَمَنْ فَفَدْنَا لَفُضِّلَتِ النِّسَاءُ عَلَى الرِّجَالِ
وَمَا التَّأْنِيثُ لِاسْمِ الشَّمْسِ عَيْبٌ وَلَا التَّذْكِيرُ فَخْرٌ لِلْهَلَالِ^٣ ٤

^١ سورة البقرة / ٩٥ .

^٢ سورة آل عمران / ٣٦ .

^٣ البيت في ديوان المتنبي من الوافر من قصيدة طويلة مطلعها :

نعدُّ المشرفية والعوالي ونقتلنا المنون بلا قتال

يُنظَرُ : ديوان المتنبي ٣ / ١٨ .

^٤ ينظر إعراب القرآن وبيانه ١ / ٤٢٩ - ٤٣٠ .

الرابع والعشرون : الاعتذار

١. نحو قوله ﷺ : ﴿ وَأَنَا ظَنُّنَا أَنَّ لِن تَقُولَ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴾^١ .

هذه جمل خبرية المراد منها اعتذار الجن عن تقليدهم لسفيهم ؛ حيث قالوا : إننا كنا نظن أن لن يكذب على الله تعالى أحد ، فينسب إليه سبحانه الصاحبة والولد ، ولذلك اعتقدنا صحة قول السفي ، ولعل الإيمان متعلق بما يشعر به كلامهم هذا ، وينساق إليه من خطئهم في ظنهم ، كأته قيل وصدقنا بخطئنا في ظننا الذي لأجله اعتقدنا ما اعتقدنا ، وكذباً مصدر مؤكد لتقول ؛ لأنه نوع من القول كما في : ((قعدت القرفصاء)) ، أو وصف لمصدر محذوف ؛ أي : ((قولاً كذباً)) أي مكنوباً فيه ؛ لأنه لا يتصور صدور الكذب منه ، وإن اشتهر توصيفه به كالقائل ، وجوز أن يكون من الوصف بالمصدر مبالغة ، وهي راجعة للنفي دون المنفي^٢ .

^١ سورة الجن / ٥ .

^٢ يُنْظَر : روح المعاني / ٢٩ / ٨٥ .

الفصل الثالث

الخبر وتأكيده

الجملة الخبرية

المبحث الأول

الخبر بين الصدق ، والكذب

تعريف الخبر

الخبر لغة

مشتقٌّ من الخبار ، وهي الأرض الرّخوة لأنّ الخبر يثير الفائدة ، كما إنّ الأرض الخبار تثير الغبار إذا قرعها الحافر ونحوه ، وهو نوع مخصوص من القول ، وقسم من الكلام اللّساني ، وقد يستعمل في القول كقول أبي جندل الهذلي :

تُخْبِرُكَ الْعَيْنَانِ مَا الْقَلْبُ كَاتِمٌ وَلَا جَنٌّ بِالْبَعْضَاءِ وَالنَّظْرُ الشَّرُّ^١

وقول المعريّ^٢ :

نَبِيٌّ مِنَ الْعَرَبَانِ لَيْسَ عَلَى شَرَعٍ يُخْبِرُنَا أَنَّ الشُّعُوبَ إِلَى الصَّدْعِ^٣

^١ وفي رواية أخرى : تحدثني عينك ما القلب كاتم . ينظر مجمع الأمثال ٢ / ٢٤٠ .

^٢ أحمد بن عبد الله بن سليمان، التتوخي المعري ، ولد سنة ثلاث وستين وثلاثمائة هجرية ، وتوفي - رحمه الله - سنة تسع وأربعين وأربعمائة هجرية ، شاعر فيلسوف . ولد ومات في معرة النعمان . وقال الشعر وهو ابن إحدى عشرة سنة . أما شعره وهو ديوان حكمته وفلسفته ، فثلاثة أقسام : " لزوم ما لا يلزم " ويعرف ب " اللزوميّات " ، و " سقط الزند " و " ضوء السقط " ، وقد تُرجم كثير من شعره إلى غير العربية ، وأمّا كتبه فكثيرة ، وفهرسها في معجم الأدباء . يُنظَر : تنمّة البيّمة ، لعبد الملك بن محمّد النّعالبي - طهران ١٣٥٣ هـ ١ / ٩ ، تاريخ بغداد ٤ / ٢٤٠ - ٢٤١ ، دميّة القصر ١ / ١٥٧ - ١٦٥ ، الأنساب ٣ / ٩٠ - ٩٣ ، نزهة الألباء ٣ / ٣٥٣ - ٣٥٤ ، المنتظم ٨ / ١٨٤ - ١٨٨ ، معجم البلدان ٥ / ١٥٦ ، معجم الأدباء ٣ / ١٠٧ - ٢١٨ ، الكامل في التّاريخ ٩ / ٦٣٦ - ٦٣٧ ، اللّباب ١ / ٢٢٥ (التّوخي) و ٣ / ٢٣٤ (المعريّ) ، إنباه الرّواة ١ / ٤٦ - ٨٣ ، الإنصاف والنّحرّي لابن العديم ، وفيات الأعيان ١ / ١١٣ - ١١٦ ، المختصر في أخبار البشر ٢ / ١٧٦ - ١٧٧ ، العبر ٣ / ٢١٨ ، دول الإسلام ١ / ٢٦٤ ، ميزان الاعتدال ١ / ١١٢ ، سير أعلام النبلاء ١٨ - ٣٩ ، البداية والنّهاية ١٢ / ٧٢ - ٧٦ .

^٣ البيت في ديوان أبي العلاء المعريّ ، من الطّويل ، وهو مطلع قصيدة ختمها بقوله :

تعلّلت إن لم أئن جهدي عليكم سحاب الرّزايا وهي صائبة الوقع .

ولكنه استعمال مجازي لا حقيقي ؛ لأن من وصف غيره بأنه أخبر بكذا لم يسبق إلى فهم السامع إلا القول^١ .

وجاء في لسان العرب : ((الخَبْرُ ، بالتَّحْرِيكِ : واحد الأخبار ، و الخَبْرُ : ما أتاك من نبيٍّ عمن تَسْتَخْبِرُ . ابن سيده : الخبر : النَّبَأُ ، والجمع أخبار ، و أخابير جمع الجمع^٢ ، فأما قوله تعالى : ﴿ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴾^٣ ، فمعناه يوم تزلزل تخبر بما عمل عليها ، و خَبَرَهُ بكذا ، وأخبره نَبَأَهُ ، و اسْتَخْبِرَهُ : سأله عن الخبر ، وطلب أن يخبره ؛ ويقال : تَخَبَّرْتُ الخبر ، واستخبرته ؛ ومثله : تَضَعَّفْتُ الرَّجُلَ ، واستضعفته ، و تَخَبَّرْتُ الجواب واستخبرته ، و الاستخبار و التَّخْبِيرُ : السُّؤَالُ عن الخبر))^٤ .

وجاء في القاموس المحيط : ((الخَبْرُ محرَّكة النَّبَأُ ، جمعه أخبار ، جمع الجمع أخابير ، ورجلٌ خَابِرٌ وخبيرٌ وخبيرٌ ، ككَتِفٌ وُجُرٌّ : عالمٌ به ، وأخْبَرَهُ خَبْرَهُ : أنبأه ما عنده ، والخَبْرُ والخَبْرَةُ بكسرهما ، ويضمان ، والمَخْبِرَةُ والمَخْبِرَةُ : العلم بالشيء كالاخْتِبَارِ والتَّخْبِيرِ ، و قد خَبِرَ ، ككَرَّمَ))^٥ .

وفي مختار الصحاح : ((الخَبْرُ : واحد الأخبار ، و أخبره بكذا ، و خَبَرَهُ بمعنى ، والاستخبار السُّؤَالُ عن الخبر ، وكذا التَّخْبِيرُ و المَخْبِرُ بوزن المصدر ضدَّ المنظر ، وكذا المَخْبِرَةُ بضمِّ الباء ، وهو ضدُّ المرءة ، وخبَرَ الأمرُ علمه ، وبابه نَصَرَ ، والاسم الخَبْرُ بالضمِّ ، وهو العلم بالشيء ، والخبير العالم))^٦ .

^١ إرشاد الفحول / ٨٣ .

^٢ يُنْظَرُ : المخصَّص ، لعلي بن إسماعيل بن سيده - القاهرة ١٣٢١ هـ ، والمجمل ، لأحمد بن فارس .

^٣ سورة الزلزلة / ٤ .

^٤ لسان العرب / ٤ / ١٢ . طبعة جديدة محققة ، ط ٢ ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م ، دار إحياء التراث العربي ،

مؤسسة التاريخ العربي " ابن عباس " .

^٥ القاموس المحيط ، باب الرءاء فصل الخاء ١ / ٤٨٨ .

^٦ مختار الصحاح / ٧١ .

من خلال ما سبق يتضح لنا أنّ الخبر : هو ما احتمل الصدق والكذب لذاته •
ولكن يأتي سؤال ، متى نعدّ الخبر صادقاً ، أو غير صادق ؟

قال القاضي عبد القاهر الجرجاني - رحمه الله - : ((واعلم أنّه إنّما لزمهم ما قلناه من أن يكون الخبر على وفق المخبر عنه أبداً من حيث أنّه إذا كان معنى الخبر عندهم إذا كان إثباتاً : أنّه لفظٌ موضوعٌ ليدلّ على وجود المعنى المخبر به من المخبر عنه ، أو فيه وجب أن يكون كذلك أبداً ، وأن لا يصح أن يقال : ((ضرب زيد)) ، إلا إذا كان الضرب قد وجد من زيد ، وكذلك يجب في النفي أن لا يصح أن يقال : ((ما ضرب زيد)) إلا إذا كان الضرب لم يوجد منه ••• لأنّ معنى اللفظ عندنا هو : الحكم بوجود المُخْبِر به من المُخْبَر عنه ، أو فيه إذا كان الخبر إثباتاً ، والحكم بعدمه إذا كان نفيّاً ، و اللفظ عندنا لا ينفك من ذلك ، ولا يخلو منه ، وذلك لأنّ قولنا : ((ضرب)) و ((ما ضرب)) ، يدلّ من قول الكاذب على نفس ما يدلّ عليه من قول الصادق ••• وإذا اعتبرنا أصلنا كان تفسيره أنّ الكاذب يحكم بالوجود فيما ليس بموجود ، وبالعدم فيما ليس بمعدوم • وهو أسدّ كلامٍ وأحسنه ، والدليل على أنّ اللفظ من قول الكاذب يدلّ على نفس ما يدلّ عليه من قول الصادق إنّهم جعلوا خاصّ وصف الخبر أنّه يحتمل الصدق والكذب ، فلولا أنّ حقيقته فيهما حقيقة واحدة لما كان لحدّهم هذا معنى ، ولا يجوز أن يقال : إنّ الكاذب يأتي بالعبارة على خلاف المُعْبَر عنه لأنّ ذلك إنّما يقال فيمن أراد شيئاً ثمّ أتى بلفظ لا يصلح للذّي أراد ، ولا يمكننا أن نزعم في الكاذب أنّه أراد أمراً ثمّ أتى بعبارة لا تصلح لما أراد))^١

وقد اختلف العلماء في انحصار الخبر في الصادق والكاذب على عدّة آراء ، قال الخطيب القزويني - رحمه الله - : ((اختلف النَّاس في انحصار الخبر في الصادق والكاذب ، فذهب الجمهور إلى أنّه منحصر فيهما ، ثمّ اختلفوا فقال الأكثر منهم صدقه مطابقة حكمه للواقع ، وكذبه عدم مطابقة حكمه له ، هذا هو المشهور وعليه التّعويل •

^١ دلائل الإعجاز / ٣٥٠ - ٣٥١ •

وقال بعض الناس^١ صدقه مطابقة حكمه لاعتقاد المخبر ؛ صواباً كان أو خطأ ،
وكذبه عدم مطابقة حكمه له^٢ وأنكر الجاحظ انحصار الخبر في القسمين ، وزعم أنه
ثلاثة أقسام : صادق ، وكاذب ، وغير صادق ولا كاذب ، لأن الحكم إما مطابق للواقع
مع اعتقاد المخبر له ، أو عدمه ، وإما غير مطابق مع الاعتقاد ، أو عدمه ، فالأول أي :
المطابق مع الاعتقاد هو الصادق ، والثالث أي : غير المطابق مع عدم الاعتقاد هو
الكاذب ، والثاني والرابع أي : المطابق مع عدم الاعتقاد ، وغير المطابق مع عدم الاعتقاد
كلّ منهما ليس بصادق ولا كاذب ، فالصدق عنده : مطابقة الحكم للواقع مع اعتقاده ،
والكذب عدم مطابقته مع اعتقاده .

وغيرهما ضربان : مطابقته مع عدم اعتقاده ، وعدم مطابقته مع عدم اعتقاده^٣ .

من كل ما سبق يتضح أنّ العلماء اختلفوا في انحصار الخبر في الصادق
والكاذب ، فذهب الجمهور إلى أنّه منحصر فيهما ، وخالف الجاحظ .

^١ هو إبراهيم بن سيّار المعروف بالنّظام .

^٢ أي لاعتقاده ، وهذا بأن يكون له اعتقاد يخالفه أو لا يكون له اعتقاد أصلاً ، فيدخل خبر الشاك عند النّظام
في الكذب ، ويكون من يقول - محمّد رسول - وهو شاكّ فيه ، كاذباً عنده ، وهو صادق عند الجمهور . وقيل
: إنّ خبر الشاكّ ليس خبراً .

^٣ الإيضاح في علوم البلاغة ١ / ٥٩ - ٦٢ .

أقوال العلماء في صدق الخبر ، وكذبه

اختلف العلماء في انحصار الخبر في الصادق والكاذب ، فذهب الجمهور إلى أنه منحصر فيهما ، وخالف الجاحظ ، وعليه يمكن تقسيم الخبر إلى أقسام أربعة ، وهي :

* الأول - قول الجمهور : إنَّ الخبر يكون صادقاً إذا طابق حكمه للواقع ، ويكون كاذباً إذا لم يطابق حكمه الواقع ، وهذا هو المشهور وعليه التَّعْوِيل^١ .

* الثاني - قول النَّظَام^٢ : إنَّ صدق الخبر مطابقتَه للاعتقاد^٣ المُخْبِرِ به ، ولو كان خطأً غير مطابق للواقع ، وكذبه عدم مطابقتَه للاعتقاد ولو صواباً ، وما للاعتقاد معه داخل في الكذب ، لا واسطة ؛ فإذا قال قائلٌ : ((السَّمَاءُ تَحْتَنَا)) ، أو ((الأَرْضُ فَوْقَنَا)) معتقداً ذلك كان صادقاً . وإذا قال : ((السَّمَاءُ فَوْقَنَا)) ، أو ((الأَرْضُ تَحْتَنَا)) غير معتقداً كان كاذباً .

* الثالث - قول الجاحظ : أنكر الجاحظ انحصار الخبر في الصادق والكذب ، وزعم أنه ثلاثة أقسام : صادق ، وكاذب ، وغير صادق ولا كاذب ؛ لأنَّ الحكم إمَّا مطابق للواقع مع اعتقاد المخبر له أو عدمه ، وإمَّا غير مطابق مع الاعتقاد أو عدمه :

فالأوَّل - أي المطابق مع الاعتقاد - هو الصادق : أي مطابقة الخبر للواقع مع اعتقاد المُخْبِرِ أنه مطابق له .

^١ يُنظَر : مفتاح العلوم / ٧٩ - ٨٠ ، المطول شرح التلخيص في علوم البلاغة / ١٩ - ٢٠ ، ويُنظَر : / ١٧٢ - ١٧٨ .

^٢ إبراهيم بن سيَّار بن هانئ النَّظَام ، كان أحد فرسان أهل النَّظَر والكلام على مذهب المعتزلة ، وهو دقيق المعاني على طريقة المتكلمين ، والجاحظ كثير الحكايات عنه ، مات سنة إحدى وثلاثين ومائتين هجرية . المعجم : ١ / ٣٧ .

^٣ المراد بالاعتقاد الحكم الذهني الجازم أو الرَّاجِح ، فيعمُّ العلم وهو حكم جازم لا يقبل التَّشكيك ، والاعتقاد المشهور ، وهو حكم جازم يقبله ، والظَّنُّ : وهو الحكم بالطرف الرَّاجِح ، فالخبر المعلوم ، والمعتقد ، و المظنون صادق والموهوب كاذب ؛ لأنَّه الحكم بخلاف الطرف الرَّاجِح .

وأما المشكوك فلا يتحقق فيه الاعتقاد ؛ لأنَّ الشكَّ عبارة عن تساوي الطرفين والتردد فيهما جميعاً من غير ترجيح ، فلا يكون صادقاً ولا كاذباً ، وثبت بالواسطة .

اللهم إلا أن يقال : إذا انتفى الاعتقاد تحقق عدم المطابقة للاعتقاد فيكون كاذباً . [المطول / ١٧٤] .

والتَّالِث - أي غير المطابق مع الاعتقاد - هو الكاذب : أي عدم مطابقته للواقع مع اعتقاد أنه غير مطابق له .

والتَّانِي والرَّابِع - أي المطابق مع عدم الاعتقاد - أي : مع عدم الاعتقاد أصلاً ، أو مع الاعتقاد بأنه غير مطابق . وغير المطابق مع عدم الاعتقاد - أي : مع عدم الاعتقاد أصلاً ، أو مع اعتقاد المطابقة . - كلٌّ منهما ليس بصادق ولا كاذب^١ .
فالصِّدْق عنده مطابقة الحكم للواقع مع اعتقاده - والكذب عدم مطابقته مع اعتقاده .

وغيرهما ضربان مطابقته مع عدم اعتقاده ، وعدم مطابقته مع عدم اعتقاده^٢ .

٣ .

وأضاف بعضهم^٤ قسماً رابعاً وهو :

* الرَّابِع - قول الرَّاعِب^٥ : مثل قول الجاحظ غير أنه وصف الصُّور الأربع بالصِّدْق والكذب باعتبارين ؛ فالصِّدْق باعتبار المطابقة للخارج ، أو للاعتقاد ، والكذب من حيث انتفاء المطابقة للخارج أو للاعتقاد .
واليك تفصيل هذه الأقوال :

^١ فالذي ليس بصادقٍ ولا كاذبٍ أربعة :

- ١ . المطابقة مع اعتقاد عدم المطابقة .
- ٢ . المطابقة بدون الاعتقاد أصلاً .
- ٣ . عدم المطابقة مع اعتقاد المطابقة .
- ٤ . عدم المطابقة بدون الاعتقاد أصلاً .

^٢ الإيضاح في علوم البلاغة / ١ / ٦١ - ٦٢ .

^٣ يُنظَر : مفتاح العلوم / ٧٩ - ٨١ ، وحاشية المنياوي على شرح الدمنهوري للجواهر المكنون / ٣٢ - ٣٤ ، والإيضاح في علوم البلاغة / ١ / ٥٩ - ٦٢ ، المطوّل / ١٩ - ٢٠ ، ١٧٢ - ١٧٨ ، و الطَّرَاز / ٣ / ٢٥٢ ، وشرح التلخيص / ١ / ١٧٣ - ١٨٩ ، وإرشاد الفحول / ٨٤ - ٨٦ ، وعلوم البلاغة / ٤٤ - ٤٥ ، البلاغة فنونها وأفنانها / ١٠١ - ١٠٥ .

^٤ تنظر حاشية المنياوي على شرح الدمنهوري للجواهر المكنون / ٣٣ .

^٥ الحسين بن محمد بن الفضل أبو القاسم الأصفهاني ، المعروف بالرَّاعِب ، توفّي سنة اثنتين وخمسمائة هجرية . يُنظَر : روضات الجنان / ٢٤٩ ، الأعلام / ٢ / ٢٥٥ .

أولاً : رأي الجمهور

ذهب الجمهور أن الخبر يكون صادقاً إذا طابق حكمه للواقع ، ويكون كاذباً إذا لم يطابق حكمه الواقع ، وهذا هو المشهور وعليه التعميل^١ . فصدق الخبر إذاً هو مطابقة نسبه الكلامية للنسبة الخارجية^٢ .

((فالكلام الذي دلّ على وقوع نسبة بين شيئين إمّا بالثبوت بأنّ هذا ذاك ، أو بالنقي بأنّ هذا ليس ذاك ، فمع قطع النظر عمّا في الذهن من النسبة ، لا بدّ وأن يكون بينهما نسبة ثبوتية أو سلبية ؛ لأنّه إمّا أن يكون هذا ذاك أو لم يكن . فمطابقة هذه النسبة الحاصلة في الذهن المفهومة من الكلام لتلك النسبة الواقعة الخارجة بأن تكونا ثبوتيتين ، أو سلبيتين صدق ، وعدمها كذب ، وهذا معنى مطابقة الكلام للواقع والخارج وما في نفس الأمر))^٣ .

فمثلاً قوله ﷺ : ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاَهُمْ هُدًى ﴾^٤ ، فهذا الخبر يؤيده الواقع ، فالخبر صادق .

وقول أخوة يوسف - عليه الصلّاة والسّلام - عندما طلبوا من عزيز مصر أن يأخذ أحدهم بدلاً عن أخيهم بنيامين : ﴿ إِنَّ لَهُ أباً شَيْخاً كَبِيراً ﴾^٥ ، فالواقع يؤيد هذا الخبر ؛ لأنّ له أباً شيخاً ، فالخبر صادق .

وقول يوسف - عليه الصلّاة والسّلام - لأخيه بنيامين : ﴿ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ ﴾^٦ ، فالواقع يؤيده أيضاً ، فالخبر صادق . وكذا كلّ أخبار القرآن الكريم .

وأما قول النّصارى : ((المسيح بن الله)) فهذا الخبر لا يؤيده الواقع ؛ لأنّ المسيح ((عبد الله ورسوله وكلمته ألقاه إلى مريم وروح منه)) ؛ كما قال ﷺ : ﴿ يَا هَلْ أَلْتَابِ

^١ يُنظَر : مفتاح العلوم / ٧٩ - ٨٠ ، المطول شرح التلخيص في علوم البلاغة / ١٩ - ٢٠ ، ويُنظَر : / ١٧٢ - ١٧٨ .

^٢ يُنظَر : شروح التلخيص ، حاشية الدسوقي على شرح السعد / ١ / ١٦٤ - ١٧٠ ، شرح وتعليق وتنقيح د محمد عبد المنعم خفاجي على الإيضاح / ١ / ٥٩ ، وحاشية المنياوي على شرح الدمنهوري للجواهر المكنون / ٣٢ ، جواهر البلاغة الهامش / ٥٥ ، علوم البلاغة / ٤٣ .

^٣ المطول / ١٧٣ .

^٤ سورة الكهف / ١٣ .

^٥ سورة يوسف / ٧٨ .

^٦ سورة يوسف / ٦٩ .

لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ
الْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ^١ ، وقوله ﷺ : ﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴾^٢
، فهنا الخبر كاذباً .

وكذا قول اليهود : ((عزير بن الله)) ، وقول المشركين : ((الملائكة بنات الله)) ،
﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴾^٣ ، فهذه أخبار كاذبة ؛ لأنَّ الواقع لا
يؤيدها .

وقول أخوة يوسف - عليه الصلوة والسلام - : ﴿ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ
عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذَّنْبُ ﴾^٤ ، فهذا خبر لا يؤيده الواقع ؛ لأنهم رموه في البئر ، ولذا فالخبر
كاذب ، قال ﷺ : ﴿ وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ
وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴾^٥ .

ثانياً : رأي النِّظَام

خالف الجمهور ، وذهب إلى أن الصِّدْق ما وافق اعتقاد المتكلم ، والكذب ما
خالف الاعتقاد ، وإن تنافيا مع الواقع ، فالمعول عنده اعتقاد المتكلم ، لا الواقع - كما
ذهب الجمهور .

فعلى قول النِّظَام ومن وافقه يكون اليهودي والنَّصراني ، والكافر صادقاً إذا قال :
((الإسلام باطل)) ؛ لأنهم يعتقدون بطلانه أصلاً . و كاذبين إذا قالوا : ((الإسلام حق))
؛ لأنهم لا يعتقدون ذلك أصلاً . واستدلَّ النِّظَامُ بأدلةٍ نقلية ، وعقلية .

^١ سورة النساء / ١٧١ .

^٢ سورة مريم / ٣٠ .

^٣ سورة الكهف / ٥ .

^٤ سورة يوسف / ١٧ .

^٥ سورة يوسف / ١٨ .

أدلة النظام النقلية

الدليل الأول

قول الله ﷻ ﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ كَذِبُونَ ﴾^١ ، فقال النظام : إن الله ﷻ حكم في هذه الآية حكماً مؤكداً بأنهم كاذبون في قولهم : ﴿ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ ﴾ مع مطابقتها للواقع ؛ ولكنه مخالف لاعتقادهم ؛ لأن المنافقين يظهرون الإيمان ويبطنون الكفر ، فلو كان للمطابقة للواقع ، أو لعدمها مدخل في الصدق ، والكذب لما كانوا كاذبين ؛ لأن خبرهم هذا مطابق للواقع ، ولا واسطة بين الصدق والكذب .

الدليل الثاني

ما روي عن أم المؤمنين ، السيدة عائشة - رضي الله عنها - أنها قالت عمّن أخطأ في قوله ، فقال قولاً مخالفاً للواقع : إنه ((وهم)) ، ولم تقل عنه أنه : ((كذب)) ، ((فقد ذكر عندها ؛ أن ابن عمر يرفع إلى النبي ﷺ : ((إن الميت يعذب في قبره ببكاء أهله عليه)) . فقالت : ((وهل)) . إنما قال رسول الله ﷺ : ((إنه ليُعذب بخطيئته أو بدنيته ، وإن أهله ليبكون عليه الآن))^٢ . وذلك مثل قوله : إن رسول الله ﷺ قام على القليب يوم بدر . وفيه قتلى بدر من المشركين . فقال لهم ما قال : ((إنهم ليسمعون ما أقول)) وقد وهل . إنما قال : ((إنهم ليعلمون أن ما كنت أقول لهم حق)) ، ثم قرأ : ﴿ إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى ﴾^٣ ، ﴿ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ ﴾^٤ يقول : حين تبوؤوا مقاعدهم من النار))^٥ .

^١ سورة المنافقين / ١ .

^٢ رواه مسلم في صحيحه عن ابن عمر . ينظر : صحيح مسلم ٢ / ٦٤٣ ، وصحيح البخاري ٤ / ١٤٦٢ ،

وسنن البيهقي الكبرى ٤ / ٧٢ .

^٣ سورة النمل / ٨٠ .

^٤ سورة فاطر / ٢٢ .

^٥ أخرجه مسلم في كتاب الجنائز ، باب : الميت يعذب ببكاء أهله عليه . ٢٦ - (٩٣٢)

فاستدلَّ النَّظَامُ بقول - أم المؤمنين - عائشة - رضي الله عنها - : ((وَهَلِ)) ، ولم تقل كذب ابن عمر ، مع أن ابن عمر كان قوله موافقاً لاعتقاده ، ولكنه مخالف للواقع .

الأدلة العقلية للنظام

أن من غلب على ظنه أن : ((زيدا في الدار)) ، ثم ظهر أنه ما كان كذلك لم يقل أحد أنه ((كذب)) في هذا الخبر ، بل يقال : ((أخطأ)) ، أو ((وهم)) .
إن أكثر العمومات والمطلقات مخصّصة ومقيّدة ، فلو كان الخبر الذي لا يطابق المخبر عنه كذبا لتطرق الكذب إلى كلام الشارع^١ .

رد الجمهور على النظام

١ . إن التّكذيب راجع إلى خبر تضمنه معنى ﴿ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ ﴾ ، وهو أن شهادتهم هذه من صميم القلب ، و خلوص الاعتقاد ؛ لأن ذلك معنى الشهادة ، سيما بعد تأكيده بأن ، واللام ، والجملة الاسمية .

٢ . أن التّكذيب راجع إلى زعمهم الفاسد ، واعتقادهم الباطل ؛ لأنهم يعتقدون أنه غير مطابق للواقع .

٣ . أن التّكذيب راجع إلى حلفهم المدلول عليه بقولهم ﴿ لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجنّ الأعرار منها الأذلّ ﴾^٢ .^٣

قال السّكاكي : ((تكذيبنا لليهودي مثلاً إذا قال : ((الإسلام باطل)) ، وتصديقنا له إذا قال : ((الإسلام حق)) ينحيان بالقلع على هذا ، ويستوجبان طلب تأويل لقوله تعالى : ﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ

^١ يُنظَر : إرشاد الفحول / ٨٧

^٢ سورة المنافقين / ٨ .

^٣ يُنظَر : مفتاح العلوم / ٧٩ - ٨٠ ، والإيضاح في علوم البلاغة / ٦٠ - ٦١ ، المطوّل / ١٩ ، ١٧٤ - ١٧٥ ، وشروح التلخيص / ١ - ١٧٦ - ١٧٧ ، وإرشاد الفحول / ٨٤ - ٨٦ ، وعلوم البلاغة / ٤٤ ، البلاغة فنونها وأفنانها / ١٠٤ ، وبغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة ، لعبد المتعال الصّعيدي - توزيع مكتبة المعارف - الرياض - الناشر - مكتبة الآداب - القاهرة ط ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م / ١ - ٢٩ - ٣٠ .

الْمُنْفِقِينَ لَكَذِبُونَ ﴿١﴾ ، وهو حمل قول المنافقين على كونه مقروناً بأنه قول من صميم القلب كما يترجم عنه " إِنَّ " ، واللَّامُ ، وكون الجملة اسمية ، في قولهم لأرباب البلاغة . ٢

وقال الزمخشري - رحمه الله - عند تفسير قوله ﷺ : ﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُنْفِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنْفِقِينَ لَكَذِبُونَ ﴾ ٣ : ((أرادوا بقولهم : ﴿ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ ﴾ شهادة واطأت فيها قلوبهم ألسنتهم ، فقال الله عز وجل : قالوا ذلك ﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ ﴾ أن الأمر كما يدل عليه قولهم : ﴿ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ ﴾ ، والله يشهد إنهم لكاذبون في قولهم : ﴿ نَشْهَدُ ﴾ ؛ وادعائهم فيه المواطأة . أو إنهم لكاذبون فيه ؛ لأنه إذا خلا عن المواطأة لم يكن شهادة في الحقيقة ؛ فهم كاذبون في تسميته شهادة .

أو أراد : والله يشهد إنهم لكاذبون عند أنفسهم : لأنهم كانوا يعتقدون أن قولهم : ﴿ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ ﴾ كذب وخبر على خلاف ما عليه حال المخبر عنه .
فإن قلت : أي فائدة في قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ ﴾ ؟ قلت : لو قال : ((قالوا نشهد إنك لرسول الله ، والله يشهد إنهم الكاذبون)) لكان يوهم أن قولهم هذا كذب ؛ فوسط بينهما قوله : ﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ ﴾ ؟ ليميط هذا الإيهام ٤ .

وقال أبو حيان - رحمه الله - عند تفسير هذه الآية : ((أصل الشهادة أن يواطئ اللسان القلب هذا بالنطق ، وذلك بالاعتقاد ؛ فأكذبهم الله وفضحهم بقوله : ﴿ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنْفِقِينَ لَكَذِبُونَ ﴾ ٥ أي : لم تواطئ قلوبهم ألسنتهم على تصديقك ، واعتقادهم أنك غير رسول ، فهم كاذبون عند الله وعند من خبر حالهم ، أو كاذبون عند أنفسهم ، إذ كانوا يعتقدون أن قولهم : ﴿ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ ﴾ كذب . وجاء بين شهادتهم وتكذيبهم قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ ﴾ ، إيداناً أن الأمر كما لفظوا به من كونه رسول الله حقاً . ولم تأت هذه الجملة لتوهم أن قولهم هذا كذب ، فوسطت الأمر بينهما ليزول ذلك التوهم ٦ .

١ سورة المنافقين / ١ .

٢ مفتاح العلوم / ٧٩ - ٨٠ .

٣ سورة المنافقين / ١ .

٤ الكشاف / ٤ / ١٠٧ .

٥ سورة المنافقين / ١ .

٦ البحر المحيط / ٨ / ٢٦٧ .

وقال الآلوسي - رحمه الله - عند تفسيره هذه الآية : ((﴿ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ ﴾^١ التأكيد بأنّ واللام للآزم فائدة الخبر ، وهو علمهم بهذا الخبر المشهود به ، فيفيد تأكيد الشهادة ، ويدلّ على ادعائهم فيها المواطأة ، وإن كانت في نفسها تقع على الحق ، والزور ، والتأكيد في قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ ﴾ ، لمزيد الاعتناء حقيقة بشأن الخبر ، أو ليس إلا ليوافق صنيعهم ، وجيء بالجملة اعتراضاً لإمارة ما عسى أن يتوهم من قوله - عز وجل - : ﴿ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴾ من رجوع التّكذيب إلى نفس الخبر المشهود به من أول الأمر ، وذكر الطّيب : أنّ هذا نوع من التّتميم لطيف المسلك ، ونظيره قول أبي الطيب :

وَتَحْتَقِرُ الدُّنْيَا احْتِقَارَ مُجْرَبٍ يَرَى كُلَّ مَا فِيهَا - وَحَاشَاكَ - فَانِيًا^٢

فالتكذيب راجع إلى ﴿ نَشْهَدُ ﴾ باعتبار الخبر الضمني الذي دلّ عليه التأكيد ، وهو دعوى المواطأة في الشهادة أي والله يشهد إنهم لكاذبون فيما ضمنوه قولهم : ﴿ نَشْهَدُ ﴾ من دعوى المواطأة وتوافق اللسان والقلب في هذه الشهادة ، وقد يقال : الشهادة خبر خاص وهو ما وافق فيه اللسان والقلب ، وأمّا شهادة الزور فتجوز كإطلاق البيع على غير الصحيح فهم كاذبون في قولهم : ﴿ نَشْهَدُ ﴾ المتفرّع على تسمية قولهم ذلك شهادة ، وهو مراد من قال : أي لكاذبون في تسميتهم ذلك شهادة فلا تغفل . وعلى هذا لا يحتاج في تحقق كذبهم إلى ادعائهم المواطأة ضمناً لأنّ اللفظ موضوع للمواطء ، وجوز أن يكون التّكذيب راجعاً إلى قولهم : ﴿ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ ﴾ باعتبار لازم فائدة الخبر وهو بمعنى رجوعه إلى الخبر الضمني . وأن يكون راجعاً إليه باعتبار ما عندهم ؛ أي لكاذبون في قولهم : ﴿ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ ﴾ عند أنفسهم لأنهم كانوا يعتقدون أنّه كذب ، وخبر على خلاف ما عليه حال المخبر عنه ، قيل : وعلى هذا الكذب هو الشرعي اللّاحق به الدّم ألا ترى أنّ المجتهدين لا ينسبون إلى الكذب وإن نسبوا إلى الخطأ .

وجوز العلامة الثاني أن يكون التّكذيب راجعاً إلى حلف المنافقين ، وزعموا أنّهم لم يقولوا : ((لا تنفقوا على من عند رسول حتى ينفضوا من حوله ، ولئن رجعنا إلى المدينة ليخرجنّ الأعرّ منها الأذلّ)) ؛ لما ذكر في صحيح البخاري عن زيد بن أرقم أنّه

^١ سورة المنافقين / ١ .

^٢ البيت في ديوان المتنبي من الطويل من قصيدة طويلة مطلعها :

أبا كلّ طيب لا أبا المسك وحده وكلّ سحاب لا أخصّ الغواصيا

قال : كنت في غزاة مع رسول الله ﷺ فسمعت عبد الله بن أبي بن سلول يقول : ((لا تنتفخوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا من حوله ، ولو رجعنا من عنده ليخرجن الأعرز منها الأذل)) ، فذكرت ذلك لعمي فذكره لنبي الله - صلى الله عليه وسلم - فدعاني فحدثته ، فأرسل رسول الله - عليه الصلاة والسلام - إلى عبد الله بن أبي ، وأصحابه فحلفوا أنهم ما قالوا : فكذبني رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وصدقته ، فأصابني همٌّ لم يصبني مثله قط ، فجلست في البيت فقال لي عمي : ما أردت إلى أن كذبك رسول الله ﷺ ومقتك فأنزل الله ﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُنْفِقُونَ ﴾ فبعث إلي النبي ﷺ فقرأ ، فقال : « إن الله صدقك يا زيد . »

وجوز بعض الأفاضل أن يكون المعنى إن المنافقين شأنهم الكذب ، وإن صدقوا في هذا الخبر ، و أياً ما كان فلا يتم للنظام الاستدلال بالآية على : ((أن صدق الخبر مطابقته لاعتقاد المخبر ، ولو كان ذلك الاعتقاد خطأ ، وكذبه عدمها)) ، وإظهار المنافقين في موقع الإضرار لذمهم والإشعار بعلّة الحكم))^١ .

ومن ردّ الجمهور على النظام

إن صدق الخبر مطابقته ، وكذبه عدمها ؛ لأن الله ﷻ قال : ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ﴾^٢ .
وقال ﷻ : ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾^٣ ، فكذبهم الله ﷻ مع كونهم يعتقدون ذلك .

وقد بين ذلك بقوله ﷻ : ﴿ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يُخْتَلَفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَذِبِينَ ﴾^٤ ، والآيات في هذا المعنى كثيرة .

قال الألوسي - رحمه الله - عند تفسيره هذه الآية : ((أنه إنما لم يدرج علم الكفار بكذبهم تحت التبیین بأن يقال مثلاً : ((وأن الذين كفروا كانوا كاذبين)) ، بل جيء

^١ روح المعاني ٢٨ / ١٠٨ .

^٢ سورة المائدة / ١٧ .

^٣ سورة المائدة / ٧٣ .

^٤ سورة النحل / ٣٩ .

بصيغة العلم ؛ لأن ذلك ليس مما يتعلّق به التّبين الذي هو عبارة عن إظهار ما كان مبهماً قبل ذلك بأن يخبر به فيختلف فيه ، كالبعث الذي نطق به القرآن ، فاختلف فيه المختلفون ، وأمّا كذب الكافرين فليس من هذا القبيل ، ويستفاد من تحقيقه في نظير ما هنا أنّه لمّا كان مدلول الخبر هو الصّدق والكذب احتمال عقلي ، وكان معنى تبيين الصّدق إظهار ذلك المدلول ، وقطع احتمال نقيضه بعدما كان محتماً له احتمالاً عقلياً ناسب أن يعلّق التّبين بالذي فيه يختلفون من الحق ، وليس بين الصّدق ، والحقّ كثير فرق ، ولما كان الكذب أمراً حادثاً لا دلالة الخبر عليه حتى يتعلّق به التّبين والإظهار ، بل هو نقيض مدلوله فما يتعلّق به يكون علماً مستأنفاً ناسب أن يعلّق العلم نقيض مدلوله فما يتعلّق به يكون علماً مستأنفاً ناسب أن يعلّق العلم بأنهم كانوا كاذبين فليتدبر))^١ .

وثبت في الصّحاحين من حديث سلمة بن الأكوع رضي الله عنه ، وقد قال للنبي صلى الله عليه وآله : ((أن جماعة من الصّحابة قالوا بطل عمل عامر)) ؛ لمّا رجع سيفه على نفسه فقتله ، فقال صلى الله عليه وآله : ((كذب من قال ذلك ، بل له أجره مرّتين)) ، فكذبهم صلى الله عليه وآله مع إنّهم إنّما اخبروا بما كان في اعتقادهم .

وفي البخاري وغيره أنّ أبا سفيان رضي الله عنه قال للنبي صلى الله عليه وآله - يوم الفتح - : أنّ سعد بن عبادة رضي الله عنه قال : ((اليوم تستحلّ الكعبة)) ، فقال صلى الله عليه وآله : ((كذب سعد ، ولكن هذا يوم يعظّم الله فيه الكعبة)) .

^١ روح المعاني ١٤ / ١٤١ .

^٢ أبو سفيان بن الحارث هو ابن عمّ النبيّ المغيّرة بن الحارث بن عبدالمطلب بن هاشم الهاشمي . أخو نوفل وزبيعة . تلقى النبي - صلى الله عليه وسلم - ، في الطريق قبل أن يدخل مكة مسلماً . ثم حُسن إسلامه ، ولزم ، هو ، والعباس رسول الله يوم حنين إذ فرّ الناس ، وأخذ بلجام البغلة ، وثبتّ معه ، ويقال : مات سنة عشرين من الهجرة بالمدينة . يُنظر : سير أعلام النبلاء ١ / ١٤٨ .

^٣ سعد بن عبادة بن دُلَيْم بن حارثة بن أبي حزيمة ، وقيل : حارثة ابن جزام بن حزيمة بن ثعلبة بن طريف بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج الأنصاري الساعدي ، يكنى أبا ثابت ، وكان نقيب بني ساعدة ، عند جميعهم ، وشهد بدرًا ، عند بعضهم ، كالواقدي ، والمدائني ، وابن الكلبي . وكان سيّدًا جوادًا ، وهو صاحب راية الأنصار في المشاهد كلها ، وكان وجيهاً في الأنصار . وكانت راية رسول الله بيد سعد بن عبادة يوم الفتح ، ومات - رضي الله عنه - سنة خمس عشرة ، وقيل : سنة أربع عشرة ، وقيل : مات سنة إحدى عشرة من الهجرة . يُنظر : أسد الغابة ٢ / ٢٩٩ .

ومن الرد على النظام الإجماع على تكذيب اليهود ، والنصارى في كفرياتهم ، مع
إننا نعلم أنهم يعتقدون صحة تلك الكفريات ، وكذلك الإجماع على تكذيب الكافر إذا قال
الإسلام باطل ، مع مطابقته لاعتقاده^١ .

وقال الشوكاني - رحمه الله - : ((والذي يظهر لي أن الخبر لا يتصف بالصدق
إلا إذا جمع بين مطابقة الواقع والاعتقاد ؛ فإن خالفهما ، أو أحدهما فكذب ، فيقال في
تعريفهما هكذا : الصدق ما طابق الواقع والاعتقاد ، والكذب ما خالفهما ، أو أحدهما ، ولا
يلزم على هذا ثبوت واسطة ؛ لأنّ الاعتبار هو كلام العقلاء ، فلا يرد كلام الساهي
والمجنون أدلةً تصلح للاستدلال بها على هذا ، ولا يرد عليه شيء مما ورد عليها ، فإن
قلت : من جملة ما استدل به الجمهور الإجماع على تصديق الكافر إذا قال : ((الإسلام
حق)) ؛ وهو إنما طابق الواقع لا الاعتقاد ، قلت : ليس النزاع إلا في مدلول الصدق ،
والكذب لغة لا شرعاً ، وهذا الإجماع إنما هو من أهل الشرع ، لا من أهل اللغة ، والدليل
الذي هو إجماعهم شرعي لا لغوي ، ولكن الكذب المذموم شرعاً هو المخالف للاعتقاد ؛
سواء طابق الواقع ، أو خالفه . وذلك لا يمنع من صدق وصف ما خالف الواقع ، وطابق
الاعتقاد بالكذب))^٢ .

ثالثاً - رأي الجاحظ

فقد خالف الجمهور ، كما خالف أستاذه النظام ؛ فالخبر عنده ثلاثة أقسام : خبر
صديق ، وخبر كاذب ، وخبر غير صادق ولا كاذب ((واسطة)) .
فالخبر الصادق : هو ما طابق الواقع والاعتقاد معاً .
والخبر الكاذب : هو ما خالف الواقع والاعتقاد معاً .
والخبر الواسطة - بين الصدق والكذب - : هو ما طابق الواقع ، وخالف
الاعتقاد ، أو ما خالف الواقع ، وطابق الاعتقاد^٣ .

أدلة الجاحظ

^١ إرشاد الفحول / ٨٧ - ٨٨ .

^٢ إرشاد العقول / ٨٨ .

^٣ ينظر بغية الإيضاح / ١ / ٣٠ .

استدلّ بقوله ﷺ : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُكُمُ عَلَىٰ رَجُلٍ يَبِينُكُمْ إِذَا مُرِقْتُمْ كُلٌّ مُّرِقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ * أَفْتَرَىٰ عَلَىٰ اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ ﴾^١ ، فقال أنّ المشركين حصروا ذلك في كونه افتراء ﴿ أَفْتَرَىٰ عَلَىٰ اللَّهِ كَذِبًا ﴾ ، أو كلام مجنون ﴿ أَمْ بِهِ جِنَّةٌ ﴾ ، فعلى تقدير كونه كلام مجنون لا يكون صدقاً ؛ لأنهم لا يعتقدون كونه صدقاً ، وقد صرحوا بنفي الكذب عنه لكونه قسيم الكذب - وقسيم الشيء يجب أن يكون غيره - ، وما ذلك إلا أنّ المجنون لا يقول عن قصد واعتقاد ، والمشركون من أهل اللسان عارفون باللُّغة ، فيجب أن يكون من الخبر ما ليس بصادقٍ ولا كاذب ، على قولهم .

وقال القرطبي - رحمه الله - في تفسير قوله ﷺ ﴿ أَفْتَرَىٰ عَلَىٰ اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ ﴾ : ((لما دخلت ألف الاستفهام استغنيت عن ألف الوصل فحذفتها ، وكان فتح ألف الاستفهام فرقاً بينها وبين ألف الوصل .٠٠ ﴿ أَمْ بِهِ جِنَّةٌ ﴾ هذا مردودٌ على ما تقدّم من قول المشركين ، والمعنى قال المشركون : ﴿ أَفْتَرَىٰ عَلَىٰ اللَّهِ كَذِبًا ﴾ . والافتراء الاختلاق ، ﴿ أَمْ بِهِ جِنَّةٌ ﴾ أي جنون ، فهو يتكلم بما لا يدري . ثم ردّ عليهم فقال : ﴿ بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ ﴾ أي ليس الأمر كما قالوا ، بل هو أصدق الصادقين ، ومن ينكر البعث فهو غداً في العذاب ، واليوم في الضلال عن الصواب ؛ إذ صاروا إلى تعجيز الإلّهِ ونسبة الافتراء إلى من أيده الله بالمعجزات))^٢ .

وقال الزمخشري - رحمه الله - في تفسيره : ((أهو مفتر على الله كذباً فيما ينسب إليه من ذلك ؟ أم به جنون يوهمه ذلك ويلقيه على لسانه ؟ ثم قال سبحانه ليس محمد من الافتراء والجنون في شيء ، وهو مبرأ منهما ؛ بل هؤلاء القائلون الكافرون بالبعث : واقعون في عذاب النار فيما يؤدّيهم إليه من الضلال عن الحق ، وهم غافلون عن ذلك ، وذلك أجنّ الجنون ، وأشدّه إطباقاً على عقولهم : جعل وقوعهم في العذاب رسولاً لوقوعهم في الضلال ، كأنهما كائنان في وقت واحد ؛ لأنّ الضلال لما كان العذاب من لوازمه وموجباته ، جعلاً كأنهما في الحقيقة مقترنان))^٣ .

^١ سورة سبأ / ٧ - ٨ .

^٢ الجامع لأحكام القرآن ١٤ / ٢٦٣ .

^٣ الكشف ٣ / ٢٨٠ .

وقال أبوحيان - رحمه الله - في تفسير قوله ﷺ: ﴿أَفْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ﴾: ((والظاهر أن قوله ﴿أَفْتَرَىٰ﴾: من قول بعضهم لبعض ، أي هو مفتر ﴿عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ ، فيما ينسب إليه من أمر البعث ، ﴿أَمْ بِهِ﴾ جنون يوهمه ذلك ، ويلقيه على لسانه . عادلوا بين الافتراء والجنون ، لأن هذا القول عندهم إنما يصدر عن أحد هذين ؛ لأنه إذا كان يعتقد خلاف ما أتى به فهو مفتر، وإن كان لا يعتقدده فهو مجنون ، ويحتمل أن يكون من كلام السامع المجيب لمن قال : ﴿هَلْ نَدُلُّكُمْ﴾ ، ردّد بين الشّيين ، ولم يجزم بأحدهما ، حيث جوّز هذا وجوّز هذا ، ولم يجزم بأنّه افتراء محض ، احترازاً من أن ينسب الكذب لعاقل نسبة قطعية ، إذ العاقل حتى الكافر لا يرضى بالكذب ، لا من نفسه ولا من غيره ، وأضرب تعالى عن مقالاتهم ، والمعنى : ليس للرّسول كما نسبتهم ألبتّة ، بل أنتم في عذاب النّار ، أو في عذاب الدّنيا بما تكابدونه من إبطال الشّرع ، وهو بحق ، وإطفاء نور الله ، وهو متم))^١ .

وقال الألويسي - رحمه الله - في تفسير قوله ﷺ: ﴿أَفْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ﴾: ((واستدل به أبو عمرو الجاحظ على ما ذهب إليه من أن صدق الخبر مطابقتها للواقع مع الاعتقاد ، وكذبه عدمها معه ، وغيرهما ليس بصدق ولا كذب ، وذلك أن الكفار وهم عقلاء من أهل اللسان عارفون باللّغة حصروا أخبار النبي ﷺ بالبعث في : الافتراء ، والأخبار حال الجنّة على سبيل منع الخلو بالمعنى الأعم ، ولا شك أن المراد بالثّاني غير الكذب ؛ لأنّه قسميه ، وغير الصّدق لأنّهم اعتقدوا عدمه ، وأيضاً لا دلالة لقولهم ﴿أَمْ بِهِ جِنَّةٌ﴾ على معنى أم صدق بوجه من الوجوه ، فيجب أن يكون بعض الخبر ما ليس بصادق ولا كاذب ؛ ليكون ذلك منه بزعمهم ، وإن كان صادقاً في نفس الأمر ، وتوضيحه أن ظاهر كلامهم هذا يدلُّ على طلب تعيين أحد حالي النّبي ﷺ المستويين في اعتقاد المتكلّم حين الأخبار بالبعث ، وهو يستلزم تعيين أحد حالي الخبر ، والاستفهام هاهنا للتّقرير فيفيد ثبوت أحد الحالين للخبر ، ولا شك أن ثبوت أحدهما لا يثبت الواسطة ما لم يعتبر تنافيهما ، وكذا تنافيهما في الجمع لا يثبتها بل لا بدّ من تنافيهما في الارتفاع ، يعني أن خبره ﷺ بالبعث لا يخلو عن أحد الأمرين المتنافيين ، فيكون المراد بالثّاني ما هو مناف ، وقسيم للأول ، ومعلوم أنّه غير الصّدق ، فليس الصّدق عبارة عن مطابقة الواقع فقط ، والكذب عدم المطابقة له كما يقول الجمهور ، أو عن مطابقة الاعتقاد له ، وعدم

^١ البحر المحيط ٧ / ٢٥٠ - ٢٥١ .

مطابقتها له كما يقول النُّظَام ، فيكونان عبارتين عن مطابقتها ، وعدم مطابقتها وتثبت الوساطة . وأجيب بأن معنى ﴿ أَمْ بِهِ جِنَّةٌ ﴾ ، أَمْ لَمْ يَفْتَر ، فعبر عن عدم الافتراء بالجِنَّة ؛ لأنَّ المجنون يلزمه أن لا افتراء له ، كما دلَّ عليه نقل الأئمة ، واستعمال العرب الكذب عن عمد ، ولا عمد للمجنون ، فالتَّأني ليس قسيماً للكذب ، بل لما هو أخصُّ منه ، أعني الافتراء ، فيكون ذلك حصراً للخبر الكاذب بزعمهم في نوعيه ؛ الكذب عن عمد ، والكذب لا عن عمد ، ولو سلّم أنَّ الافتراء بمعنى الكذب مطلقاً ، فالمعنى الافتراء أي الكذب ، أَمْ لَمْ يَقْصِد ، بل كذب بلا قصد لما به من الجِنَّة .

وقيل : المعنى افتري أَمْ لَمْ يَفْتَر ، بل به جنون ، وكلام المجنون ليس بخبر ؛ لأنَّه لا قصد له يعتدُّ به ، ولا شعور ، فيكون مرادهم حصره في جنونه خبراً كاذباً ، أو ليس بخبر ، فلا يثبت خبر لا يكون صادقاً ولا كاذباً ، وتوقَّش فيه كما لا يخفى على من راجع كتب المعاني .

بقي هاهنا بحث ، وهو أنَّ الطيبي أشار إلى أنَّ مبنى الاستدلال كون ((أَمْ)) متَّصلة واعتراضه بأنَّ الظَّاهر كونها منقطعة ، أمَّا لفظاً ؛ فلا اختلاف مدخول الهمزة وأم ، وأمَّا معنى ؛ فلأنَّ الكفرة المعاندين لما أخرجوا قولهم : ((هل ندلُّكم على رجل ينيبكم)) مخرج الظنِّ ، والسُّخريَّة ، متجاهلين برسول الله ﷺ وبكلامه من إثبات الحشر والنَّشر ، وعقَّبوه بقوله : ﴿ أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً ﴾ أضربوا عنه إلى ما هو أبلغ منه ، ترقياً من الأهون إلى الأغلظ ؛ من نسبة الجنون إليه وحاشاه ﷺ فكأنَّهم قالوا : دعوا حديث الافتراء ؛ فإنَّ ههنا ما هو أطمَّ منه ؛ لأنَّ العاقل كيف يحدث بإنشاء خلق جديد بعد الرُّفات والتراب ، ولمَّا كان التَّعَوُّل على ما بعد الإضراب من إثبات الجنون أوقع الإضراب التَّأني في كلامه تعالى ؛ رداً لقولهم ، ونفياً للجنون عنه - صلوات الله تعالى وسلامه عليه - وإثباتاً له فيهم إلى آخر ما قال ، ولم يرتض ذلك صاحب . . .

وأنت تعلم أنَّ ظاهر الاستدلال يقتضي الاتصال لكن قال الخفاجي : إنَّ كون الاستدلال مبنياً على الاتصال غير مسلّم فتأمل ، والظَّاهر : ((أفترى على الله كذباً ، أَمْ بِهِ جِنَّةٌ من قول بعضهم لبعض)) ، وفي البحر يحتمل أن يكون من كلام السَّامع المجيب لمن قال : ((هل ندلُّكم)) ردَّد بين شيئين ، ولم يجزم بأحدهما لما في كلِّ من الفطاعة ، ﴿ بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ ﴾^١ ، إبطالاً من جهته تعالى لما قالوا

بقسميه ، وأثبت ما هو أشدُّ وأفظع لهم ؛ ولذا وضع الذين لا يؤمنون موضع الضمير ؛ توبيخاً لهم وإيماء إلى سبب الحكم بما بعده ، كأنه قيل : ليس الأمر كما زعموا بل هم في كمال اختلال العقل ، وغاية الضلال عن الفهم ، والإدراك الذي هو الجنون حقيقة ، وفيما يؤدي إليه ذلك من العذاب ؛ حيث أنكروا حكمة الله تعالى في خلق العالم ، وكذبوه - عزَّ وجلَّ - في وعده ، و وعيده ، وتعرضوا لسخطه سبحانه .

وتقديم العذاب على ما يوجبه ، ويستتبعه للمسارعة إلى بيان ما يسوءهم ، وبفت في أعضادهم ، والأشعار بغاية سرعة ترتبه عليه ، كأنه يسابقه فيسبقه ، ووصف الضلال بالبعيد الذي هو وصف الضال للمبالغة^١ .

ويرى الشوكاني - رحمه الله - بأنَّ المراد من الآية حصر للكذب في نوعين ؛ الكذب عن عمد ، والكذب عن غير عمد ، فقال : ((يتَّضح بأنَّ المراد من الآية افتري أم لم يفتر ؟ ، فيكون مجنوناً ؛ لأنَّ المجنون لا افتراء له ، والكاذب قصدٌ يكونُ مجنوناً^٢ ، أو المراد أقصدَ ، فيكون مجنوناً ، أم لا يقصد فلا يكون خبيراً .

والحاصل أنَّ الافتراء^٣ أخصُّ من الكذب ، ومقابلته قد يكون كذباً ، وإن سلم ، فقد لا يكون خبيراً ، فيكون هذا حصراً للكذب في نوعيه ؛ الكذب عن عمد ، والكذب عن غير عمد^٤ .

وقال الخطيب القزويني في معرض ردِّه على الجاحظ - رحمهما الله - : ((أجيب عنه بأنَّ الافتراء ، هو الكذب عن عمد ، فهو نوع من الكذب ، فلا يمتنع أن يكون الإخبار حال الجنون كذباً أيضاً ؛ لجواز أن يكون نوعاً آخر من الكذب ، وهو الكذب لا عن عمد ، فيكون التَّقسيم للخبر الكاذب ، لا للخبر مطلقاً ، والمعنى : ((افتري أم لم يفتر ؟)) ، وعبر عن الثاني بقوله : ﴿ أَمْ بِهِ جِنَّةٌ ﴾ ؛ لأنَّ المجنون لا افتراء له^٥ .

ويرى الرززي - رحمه الله - بأنَّ المسألة لفظية ، فقال في المحصول : ((والحقَّ أنَّ المسألة لفظية ؛ لأنَّا نعلم بالبديهة : أنَّ كل خبر ؛ فإمَّا أن يكون مطابقاً للمخبر عنه

^١ روح المعاني ٢٢ / ١١٠ .

^٢ فكذبه من النوع الثاني الذي هو عن غير عمد .

^٣ هو الكذب عن عمد .

^٤ إرشاد الفحول / ٨٦ .

^٥ الإيضاح / ١ / ٦٢ .

، أو لا يكون ؛ فإن أريد بالصدق الخبر المطابق كيف كان ، وبالكذب الخبر غير المطابق كيف كان ، وجب القطع بأنه لا واسطة بين الصدق والكذب .
 وإن أريد بالصدق ما يكون مطابقاً مع أنّ المخبر يكون عالماً بكونه مطابق ، كان هناك قسم ثالث بالضرورة ، وهو الخبر الذي لا يعلم قائله أنّه مطابق أم لا ، فثبت أنّ المسألة لفظية))^١ .

الرابع : قول الرّاعب

مثل قول الجاحظ غير أنّه وصف الأربع صور بالصدق والكذب باعتبارين ؛ فالصدق باعتبار المطابقة للخارج ، أو للاعتقاد ، والكذب من حيث انتفاء المطابقة للخارج أو للاعتقاد ، ذكر هذا الرأي الشيخ أحمد الدّمهوري - رحمه الله - في شرحه لنظم الأخصري المسمّى بالجواهر المكنون^٢ .

علّق على رأي الدّمهوري مخلوف بن محمد البدوي ، فقال : ((ما ذكره لا يظهر في الصورة الرابعة ، وهي غير المطابق ، ولا اعتقاد بشيء ، إذ قد انعدم فيها مطابقة الواقع والاعتقاد ، فلا يتأتى فيها صدق أصلاً ، فلعلّ مراده بوصف الأربع بما ذكر وصف ما فيه إحدى المطابقتين منها ، ثمّ بعد كتابي هذا رأيت في حاشية البنّاني على جمع الجوامع أنّ كلّ من الأولى والرابعة واسطة عند الرّاعب ، لا يوصفان بصدق ولا كذب ، وحينئذّ فما ذكره الشّارح مع عدم ظهوره في الرّابع غير مناسب في الأولى لصدقه عليها مع خروجها ، فكان عليه أن يذكر أنّ الصدق والكذب التّامين في صورتين ، وكذا غير التّامين ، وأنّ الواسطة اثنتان))^٣ .

وهناك رأي خامس للقرافي نقله عنه الشّوكاني في إرشاد الفحول فقال : ((ادّعى أنّ العرب لم تضع الخبر إلاّ للصدق ، وليس لنا خبر كذب ، واحتمال الصدق والكذب إنّما هو من جهة المتكلم لا من جهة الواضع ، ونظيره قولهم الكلام يحتمل الحقيقة والمجاز ، وقد اجمعوا على أنّ المجاز ليس من الوضع الأوّل ، ثمّ استدلّ على ذلك باتّفاق اللّغويين والنّحاة على أنّ معنى قولنا : ((قام زيد)) حصول القيام له في الزّمن الماضي ،

^١ المحصول في علم الأصول - الفخر الرازي - دار الكتب العلمية - ١٩٨٨ م ٤ / ٣١٩ - ٣٢٠ .

^٢ تنظر حاشية المنياوي على شرح الدّمهوري للجواهر المكنون / ٣٣ .

^٣ حاشية المنياوي على شرح الدّمهوري للجواهر المكنون / ٣٣ - ٣٤ .

ولم يقل أحد أنّ معناه صدور القيام أو عدمه ، وإنّما احتماله له من جهة المتكلم لا من جهة اللّغة ، وأجيب عنه بأنّه مصادم للإجماع على أنّ الخبر موضوع لأعمّ من ذلك ، وما ادّعاه من أنّ معنى : ((قَامَ زَيْدٌ)) حصول القيام له في الزّمن الماضي باتّفاق أهل اللّغة والنّحو ممنوع ؛ فإنّ مدلوله الحكم بحصول القيام ، وذلك يحتمل الصّدق والكذب ، ويجاب عن هذا الجواب بأنّ هذا الاحتمال إن كان من جهة المتكلم ، فلا يقدر على القرافي ، بل هو معترف به كما تقدّم عنه ، وإن كان من جهة اللّغة فذلك مجرد دعوى ، ويقوّي ما قاله القرافي إجماع أهل اللّغة قبل ورود الشّرع ، وبعده على مدح الصّدق ، ودم الكاذب ، ولو كان الخبر موضوعاً لهما لما كان على من تكلم بما هو موضوع من بأس ، ثمّ اعلم أنّه قد ذهب الجمهور إلى أنّه لا واسطة بين الصّدق والكذب ؛ لأنّ الحكم إمّا مطابق للخارج ، أو لا ، والأوّل الصّدق ، والثّاني الكذب))^١ .

الخلاصة

الرأي الصواب من هذه الآراء هو رأي الجمهور ؛ لكثرة الأدلّة المؤيّدّة له ، وهو الذي عليه جمهور العلماء ، وأمّا المخالفين فنشئتوا في الآراء ، ولم يتفقوا على رأي واحد ؛ لعدم وضوح الأدلّة التي استدلوها بها ، فهي خلافات لا طائل تحتها ، والله أعلم .

الصَّادِقُ وَالكَاذِبُ مِنَ الْخَبْرِ وَالْمُخْبِرِ بِهِ

لكي ننهي إشكالات كثيرة في التعاريف ، في كثير من الأمور المتعلقة بالصدق والكذب ، لابد من التفريق بين الخبرِ و المُخْبِرِ بِهِ ، من جهة الصدق والكذب .

١. الْخَبْرُ الصَّادِقُ أَوْ الْخَبْرُ الصَّدْقُ : هو ما كان من الكلام مطابقاً للواقع في حقيقة الأمر .

٢. الْخَبْرُ الْكَاذِبُ ، أَوْ الْخَبْرُ الْكَذِبُ : هو ما كان من الكلام غير مطابق للواقع في حقيقة الأمر .

٣. الْمُخْبِرُ الصَّادِقُ : هو المُخْبِرُ بخبرٍ يدَّعي أنه صادق فيه ، وهو يعتقد أنه حقٌ وصدقٌ ، ولو كان ما أخبر به كذباً غير مطابق للواقع في حقيقة الأمر . وحين ينفي الحق وهو يعتقد صحة ما يقول ، فإنه يُسمَّى نافياً ، ولا يُسمَّى جاحداً للحق ، إذ هو يقول ما يعتقد .

٤. الْمُخْبِرُ الْكَاذِبُ : هو المُخْبِرُ بخبرٍ يدَّعي أنه صادق فيه ، وهو يعتقد أنه باطلٌ وكذبٌ ، ولو كان ما أخبر به صدقاً مطابقاً للواقع في حقيقة الأمر ، ونفيه للحق يسمَّى جحداً وجحوداً ، فالذي ينفي أمراً وهو يرى أنه أمرٌ ثابتٌ هو جاحدٌ ، ويُقال له نافيٌ بمقتضى الإطلاق العام .

قال ﷺ : ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ * وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴾^١ ، فوصفهم ﷺ بالجحود ؛ لأنهم نفوا مع الاستيقان .

وقال ﷺ : ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾^٢ ، فوصفهم ﷺ بالجحود ؛ لأنهم يدركون آيات الله ثم ينكرون دلالاتها الواضحات .

والمنافق الذي يقول بلسانه : ((محمدٌ رسولُ الله)) هو كاذبٌ في قوله ؛ لأنه يقول خلاف ما يعتقد ، وكلامه حقٌ وصدقٌ ؛ لأنه مطابق للواقع .

^١ سورة النمل / ١٣ - ١٤ .

^٢ سورة الأنعام / ٣٣ .

قال ﷺ : ﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُنْفِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنْفِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴾^١ ، فقد كذبه ﷺ مع أن قولهم حق ؛ لأنهم يقولون ما لا يعتقدون .

وبهذا التفرقة بين الخبر ، والمخبر به تتحل إشكالات كثيرة ، واعتراضات موجة للتعريف التي ذكرت للصدق والكذب^٢ .

^١ سورة المنافقين / ١ .

^٢ يُنظَر : البلاغة العربية أسسها ، وعلومها ، وفنونها / ١ / ١٧٠ - ١٧١ ، والأخلاق الإسلامية وأسسها / ١

أحكام الخبر

وقد قسم علماء الأصول الخبر إلى أربعة أقسام :

١. خبر يحيط العلم بصدقه :

كأخبار الرُّسل المسموعة منهم ، فإنَّ جهة الصِّدق متعيّن فيها لقيام الدّلالة على أنّهم معصومون عن الكذب ، وثبوت رسالتهم بالمعجزات الخارجة عن مقدور البشر عادة ، وحكم هذا النوع اعتقاد الحقيقة فيه ، و الإلتزام به بحسب الطّاقة ، قال ﷺ : ﴿ وَمَا عَاتَكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾^١ ، وقد أخبر عنه ﷺ بأنّه لا ينطق عن الهوى ، فقال : ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴾^٢ ، وقال ﷺ : ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ * لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴾^٣ .

٢. خبر يحيط العلم بكذبه :

نحو دعوى فرعون الرُّبوبيّة ، ودعوى الكفّار أنّ الأصنام آلهة ، أو أنّها شفعاؤهم ، ثمّ الله ، أو أنّها تقرّبهم إلى الله زلفى مع التّيقن بأنّها جمادات ، ونحو دعوى متنبّي النبوة ، مع ظهور أفعال تدلّ على السّفه منهم ، وأنّهم لم يبرهنوا على ذلك إلاّ بما هو مخرفة من جنس أفعال المشعوذين ، فالعلم يحيط بكذب هذا النوع ، وحكمه اعتقاد البطلان فيه ، ثمّ الاشتغال برده باللسان ، واليد بحسب ما تقع الحاجة إليه في دفع الفتنة . وقد أكّد الله ﷻ في كتابه بأنّ محمداً آخر النّبیین ، فلا نبيّ بعده ، فقال : ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾^٤ .

^١ سورة الحشر / ٧ .

^٢ سورة النّجم / ٣ .

^٣ سورة الحاقّة / ٤٤ - ٤٦ .

^٤ سورة الأحزاب / ٤٠ .

وقد وردت عن الرسول ﷺ أحاديث كثيرة تدلُّ على عدم وجود نبوة بعده ، منها :
 قوله ﷺ : ((ذهب النبوة ، فلا نبوة بعدي إلا المبشرات : الرؤيا الصالحة يراها الرجل أو
 تُرى له))^١ .

٣. خبر يحتملها على السواء :

نحو خبر الفاسق في أمر الدين ، ففيه احتمال الصدق باعتبار ، واحتمال الكذب
 باعتبار تعاطيه واستوى الجانبان في الاحتمال ، فالحكم فيه التوقف إلى أن يظهر ما
 يترجح به أحد الجانبين عملاً بقوله ﷺ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا
 أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴾^٢ ، فلا بدَّ من طلب الثبات والتأني
 حتى يتضح حاله .

٤. خبر يترجح فيه أحد الجانبين :

نحو شهادة الفاسق إذا ردّها القاضي ، فإنَّ بقضائه يترجح جانب الكذب فيه ،
 وخبر المحدود^٣ في القذف ، ثمَّ إقامة الحدِّ عليه ، وحكمه أنَّه لا يجوز العمل به بعد ذلك
 ؛ لتعيّن جانب الكذب فيه فيما يوجب العمل .
 ومن هذا النوع خبر العدل المستجمع لشرائط الرواية في باب الدين ، فإنَّه يترجح
 جانب الصدق فيه بوجود دليل شرعي موجب للعمل به^٤ .

^١ رواه الطبراني في الكبير، عن حذيفة بن أسيد ، وصحَّحه السيوطي .

^٢ سورة الحجرات / ٦ .

^٣ أي الذي عليه حدُّ القذف .

^٤ يُنظر : أصول السرخسي ١ / ٣٧٤ - ٣٧٥ .

المبحث الثاني

التأكيد ، وعدمه في الجملة الخبرية

تعريف التوكيد

التوكيد

لغةً : شدُّ السَّرَجِ على ظهر الدابة بالسيور حتى لا يسقط ، والمياكيدُ ، والتأكيدُ والتواكيدُ : السيور التي يُشدُّ بها القربوسُ . والتوكيدُ : أفصحُ من التأكيدِ . وَكَدَّ العَقْدَ والعَهْدَ : أوثقه ، والهمز فيه لغة . يقال : أوكدته . و أكدته ، وأكدته إيكاداً ، وبالواو أفصح ، أي شددته ، و توكد الأمر ، و تأكّد بمعنى . ويقال : وكدت اليمينَ ، والهمزُ في العَقْدِ أجودُ ، وتقول : إذا عَقَدتَ فأكدُ ، وإذا حَلَفْتَ فوكدُ . وقال أبو العباس : التوكيدُ دخل في الكلام لإخراج الشك ، وفي الأعداد لإحاطة الأجزاء . ووكد الرجلَ والسرجَ توكيداً : شده^١ .

و من هذا المعنى اللغوي أخذ لتقوية صدق الكلام الخبري بما يؤكد من ألفاظٍ اسم التوكيد .

والغرض من توكيد المتكلم كلامه ، إعلام المخاطب بأنه يقول كلاماً جازماً ، قاصداً لما يدلُّ عليه كلامه ، مُتَبَيِّناً منه ، لا يقوله عن توهمٍ أو ثرثرةٍ أو تضليلٍ ، أو اختراعٍ ، أو نحو ذلك ، كما يفعل صانعو القصص باستعمال قدراتهم التخيلية في تأليف قصصهم المخترعة .

والتوكيد في الجمل إنما يكون للإسناد ((أي : الحكم)) فيها ، موجبةً كانت ، أو

سالبة .

^١ يُنْظَرُ : لسان العرب ، القاموس المحيط .

أضرب ((أقسام)) الخبر

قسّم الخبر إلى أقسامٍ ثلاثة ، لما يقتضيه كلام العرب ، فلكل مقامٍ عند علماء اللّغة مقالٌ لا يُحسِن فيه غيره ، وقد خفيت هذه المسألة على كثيرٍ من النّاس ، قال القاضي عبد القاهر الجرجاني - رحمه الله - : ((فصل في التّوكيد ، وعلاماته : واعلم أنّ مما أُغْمِضَ الطّريق إلى معرفة ما نحن بصدده أنّ هاهنا فروقاً خفيّةً تجهلها العامّة ، وكثيرٌ من الخاصّة ، ليس أنّهم يجهلون في موضع ، ويعرفونها في آخر ، بل لا يدرون أنّها هي ، ولا يعلمونها ، في جملة ولا تفصيل ، روي عن ابن الأنباريّ أنّه قال : " ركب الكنديّ^١ المتفلسف إلى أبي العباس^٢ ، وقال له : " إنّني لأجد في كلام العرب حشواً " ، فقال له أبو العباس : " في أي موضع وجدت ذلك " ، فقال : " أجد العرب يقولون : " عبد الله قائم " ، ثمّ يقولون : " إنّ عبد الله قائم " ، ثمّ يقولون : " إنّ عبد الله قائم " ، فالألفاظ متكرّرة ، والمعنى واحد . فقال أبو العباس : " بل المعاني مختلفة لاختلاف الألفاظ ، فقولهم : " عبد الله قائم " إخبار عن قيامه ، وقولهم : " إنّ عبد الله قائم " جواب عن سؤال سائل ، وقولهم : " إنّ عبد الله قائم " جواب عن إنكار منكر قيامه ، فقد تكرّرت الألفاظ لتكرر المعاني " . قال فما أحرار المتفلسف جواباً^٣ .

ويسمى النوع الأوّل من الخبر ابتدائياً " عبد الله قائم " ؛ كونه ألقي إلى من هو خالي الذّهن عمّا يُلقى إليه فاستغنى فيها عن المؤكّدات .
والثّاني من الخبر طلبياً " إنّ عبد الله قائم " ؛ كونه ألقي إلى طالب للخبر ، متحيّراً فيه ، فيستحسن هنا توكيد الخبر ليزيل حيرته .
والثّالث من الخبر إنكارياً " إنّ عبد الله قائم " ؛ كونه ألقي إلى من هو منكر له ، جاحدٌ به ، فوجب هنا توكيد الكلام بأكثر من مؤكّد ، ليزيل إنكاره وجحوده^٤ .

^١ الكندي أبو يوسف يعقوب بن اسحاق ، فقيه حافظ من أكثر أهل العراق اتباعاً للحديث ، فيلسوف العرب المشهور ، من مؤلّفاته : كتاب الخراج ، وكتاب الرّد على سير الأوزاعي . توفّي - رحمه الله - نحو سنة ثلاث وخمسين ومائتين من الهجرة . يُنظر : معجم المؤلّفين ١٣ / ٢٤٤ ، والمستدرک على معجم المؤلّفين / ٨٤١ .
^٢ أبو العباس هو محمد بن يزيد المبرّد ، الإمام في اللّغة و النّحو و صاحب الكامل توفي - رحمه الله - سنة خمس وثمانين ومائتين ، وقيل ست وثمانين ومائتين هجرية .

^٣ دلائل الإعجاز / ٢٤٢ - ٢٤٣ ، ويُنظر : المفتاح / ٨٢ ، و الإيضاح / ١ / ٧١ ، وبغية الإيضاح / ١ / ٣٤ -

^٤ يُنظر : مفتاح العلوم / ٨١ - ٨٢ ، الإيضاح / ١ / ٧١ .

وإخراج الكلام على هذه الوجوه إخراجاً على مقتضى الظاهر .
وقد علّق الإمام عبد القاهر الجرجاني - رحمه الله - بعد أن ذكر ردّ أبي العباس
المبرّد على الكندي فقال : ((واعلم أنّ هاهنا دقائق لو أنّ الكندي استقرأ ، وتصفح ، وتتبع
مواقع إنّ ، ثمّ ألطف النظر ، وأكثر التدبّر لعلم علم ضرورة أن ليس سواء دخولها ، وأن
لا تدخل ، فأول ذلك ، وأعجبه ما قدمت لك ذكره في بيت بشار :

بَكَرًا صَاحِبِي قَبْلَ الْهَجِيرِ فَذَاكَ النَّجَاحَ فِي التَّبْكِيرِ^١

وما أنشدته معه من قول بعض العرب :

فَعَنَّتْهَا وَهِيَ لَكَ الْفِدَاءُ إِنَّ غِنَاءَ الْإِبِلِ الْحِدَاءُ^٢

وذلك أنّه هل شيء أبين في الفائدة وأدلّ على أن ليس سواء دخولها ، وأن لا تدخل
من أنّك ترى الجملة إذا هي دخلت ترتبط بما قبلها ، وتأتلف معه ، وتتحد به حتى كأنّ
الكلامين قد أفرغا إفراغاً واحداً ، وكأنّ أحدهما قد سبك في الآخر ، هذه هي الصّورة ،
حتى إذا جنّت إلى " إنّ " فأسقطتها رأيت الثّاني منهما قد نبا عن الأوّل وتجاوى معناه عن
معناه ، ورأيت لا يتّصل به ، ولا يكون منه بسبيل حتى تجيء بالفاء فنقول :

بَكَرًا صَاحِبِي قَبْلَ الْهَجِيرِ فَذَاكَ النَّجَاحَ فِي التَّبْكِيرِ

وَعَنَّتْهَا وَهِيَ لَكَ الْفِدَاءُ فَعِنَاءُ الْإِبِلِ الْحِدَاءُ

ثمّ لا ترى الفاء تعيد الجمليتين إلى ما كانتا عليه من الألفة ولا ترد عليك الذي كنت
تجد ب " إنّ " من المعنى . وهذا الضّرْب كثير جداً في التّنزيل من ذلك قوله تعالى
﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴾^٣ ، وقوله عزّ اسمه : ﴿ يَا بَنِي آدَمَ
الصَّلَاةَ وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنَّهُ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾^٤ ، وقوله
سبحانه : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ
سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾^٥ ، ومن أبين ذلك قوله تعالى : ﴿ وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي

^١ البيت في ديوان بشار بن برد ، وهو مطلع قصيدة طويلة من الخفيف ، ختمها بقوله :

أنبت الرّيش في جناحيه حتّى عاد وحفا وطار كلّ مطير .

^٢ البيت في دلائل الإعجاز بدون عزو .

^٣ سورة الحج / ١ .

^٤ سورة لقمان / ١٧ .

^٥ سورة التوبة / ١٠٣ .

الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُعْرِضُونَ ﴿١﴾ ، وقد يتكرر في الآية الواحدة ، كقوله عز اسمه : ﴿ وَمَا أُبْرَأُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾^٢ ، وهي على الجملة من الكثرة بحيث لا يدركها الإحصاء ، ومن خصائصها أنك ترى لضمير الأمر والشأن معها من الحسن ، واللطف ما لا تراه إذا هي لم تدخل عليه ، بل تراه لا يصلح حيث صلح إلا بها ، وذلك في مثل قوله تعالى : ﴿ إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾^٣ ، وقوله : ﴿ أَنَّهُ مَنْ يَحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ ﴾^٤ ، وقوله : ﴿ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ ﴾^٥ ، وقوله : ﴿ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴾^٦ ، ومن ذلك قوله : ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارَ ﴾^٧ ، وأجاز أبو الحسن فيها وجها آخر ، وهو أن يكون الضمير في إنها للأبصار أضمرت قبل الذكر على شريطة التفسير ، والحاجة في هذا الوجه أيضا إلى " إن " قائمة كما كانت في الوجه الأول ، فإنه لا يقال " هي لا تعمي الأبصار " كما لا يقال " هو من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع " ، فإن قلت ، أو ليس قد جاء ضمير الأمر مبتدأ به معرى من العوامل في قوله تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾^٨ ، قيل وإن جاء هاهنا فإنه لا يكاد يوجد مع الجملة من الشرط والجزاء بل تراه لا يجيء إلا ب " إن " على أنهم قد أجازوا في ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ أن لا يكون الضمير للأمر ((^٩ .

إذا للخبر من حيث التوكيد أضرب ثلاثة هي :

- الخبر الابتدائي
- الخبر الطلبية

^١ سورة هود / ٣٧ .

^٢ سورة يوسف / ٥٣ .

^٣ سورة يوسف / ٩٠ .

^٤ سورة التوبة / ٦٣ .

^٥ سورة الأنعام / ٥٤ .

^٦ سورة المؤمنین / ١١٧ .

^٧ سورة الحج / ٤٦ .

^٨ سورة الإخلاص / ١ .

^٩ دلائل الإعجاز / ٢٤٣ - ٢٤٤ .

• الخبر الإنكاري •

ومجيء الخبر على هذه الأضرب الثلاثة ، وملائماً لحال المخاطب ، فيخلوا من التأكيد عند إلقائه لخالي الذهن ، ويؤكد استحساناً للمتمرد ، ووجوباً للمنكر ، يسمّى إخراج الكلام على مقتضى الظاهر ، ويسمّى في علم البيان بـ "التصريح" ^١ .

^١ يُنظَر : مفتاح العلوم / ١ - ٨٢ ، و الإيضاح / ١ - ٧١ ، و علم المعاني دراسة بلاغية ونقدية لمسائل

أولاً : الخبر الابتدائي

الأصل في الجملة الخبرية مثبتة كانت أو منفية أن يُؤتى بها بدون مؤكّدات ، حين لا يكون حال المخاطب يستدعي تأكيد الخبر له ، بحيث يكون خالي الدهن ، فلا يكون في نفسه ضدّ مقدّم الخبر عوامل شكّ ، أو إحجام عن قبول أخباره .

ويحسن في ابتداء الإخبار بالخبر إيراد غير مقترن بأية مؤكّدات ، لأنّ الغرض منه مطلق الخبر ، و إليك أمثلة ذلك :

١ . قوله ﷺ في أول ما نزل من القرآن الكريم على نبيّنا محمدٍ ﷺ : ﴿ أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾^١

فالجمل الخبرية في هذه الآيات خالية من المؤكّدات ؛ لعدم وجود الدّاعي إلى اقترانها بما يقتضي تأكيدها^٢ .

٢ . ومنه قوله ﷺ ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾^٣ .

فالمؤمنون كانوا متوقّعين لمثل هذه البشارة وهي الإخبار بثبات الفلاح لهم ، فخطبوا بما دلّ على ثبات ما توقّعوه . والفلاح : الظفر بالمراد ، وقيل : البقاء في الخير . و﴿ أَفْلَحَ ﴾ دخل في الفلاح ، كأبشر : دخل في البشارة . ويقال : أفلحه : أصاره إلى الفلاح . وعليه قراءة طلحة بن مصرف : ﴿ أَفْلَحَ ﴾ ، على البناء للمفعول . وعنه : «أفلحوا» على : أكلوني البراغيث . أو على الإبهام والتفسير^٤ .

^١ سورة العلق / ١ - ٥ .

^٢ تنتظر البلاغة العربية ١ / ١٧٨ .

^٣ سورة المؤمنین / ١ .

^٤ يُنظَر : الكشّاف ٣ / ٢٥ .

ثانياً : الخبر الطلبي

حين يكون لدى المخاطب شك في الخبر ، أو عوامل شك ، أو إحجام عن قبول الخبر ، فإن حاله تكون حال طالب يسأل عن صحة الخبر ، فيحسن أن يؤتى له بالجملة الخبرية مقترنة بما يؤكد صحة مضمون الخبر ، فلا يجب في هذه الحالة التأكيد ، بعكس المنكر فيجب التأكيد له ، وهنا يكون الفارق بين الخبر الطلبي ، والخبر الإنكاري ، ويؤتى بالمؤكدات في الخبر الطلبي بما يلائم نسبة التشكك لديه ، وعوامل الإحجام عن قبول الخبر .

فإذا كانت عوامل الشك والإحجام غير قوية حسن في الكلام إيراده مقتناً ببعض المؤكّدات من درجة دنيا .
وكلمًا زاد الشك والإحجام ، وقويت عوامل رفض قبول الخبر ، وكان من بلاغة الكلام الخبري زيادة المؤكّدات فيه ، بمقدار حالة نفس المخاطب .
وقد ينزل غير الشك منزلة الشك إذا بدت عليه أمارات الشك منذ بداية التلويح له بالخبر^١ .

أمثلة الخبر الطلبي

١ . قوله ﷻ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَأَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعُ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾^٢ .
فقوله : ﴿ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ هذه جملة خبرية جاءت مؤكدة بالضمير ﴿ هُم ﴾ ، وكذا بالجملة الاسمية ، وفائدة هذه الجملة الخبرية أن الكافرون هم الظالمون لأنفسهم ، ولم يظلمه الله ﷻ فهم مستحقّين العذاب ؛ لأنهم هم الظالمون لأنفسهم المتسببون لذلك^٣ .

^١ تنتظر البلاغة العربية ١ / ١٧٩ .

^٢ سورة البقرة / ٢٥٤ .

^٣ يُنظر : روح المعاني ٣ / ٤ .

٢. ومنه قوله ﷺ : ﴿ هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْمَهْدَىٰ مَعَكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ مَحَلُّهُ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُّؤْمِنَاتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَّوَّهُمْ فِتْصِيْبِكُمْ مِنْهُمْ مَعْرَةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِّيَدْخُلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾^١ .

فهذه جملة خبرية طلبية مؤكدة بـ ﴿ هُمُ ﴾ ، وبالجملة الاسمية ، أكد بأنهم الذين كفروا وصدوا المسلمين عن المسجد الحرام من أن يصلوا إليه ويطوفوا به ، وصدوا الهدي وهو ما يهدي إلى البيت .

٣. ومنه قوله ﷺ : ﴿ هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنْفَضُوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴾^٢ .

فقوله : ﴿ هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﴾ جملة خبرية طلبية مؤكدة بـ ﴿ هُمُ ﴾ ، وبالجملة الاسمية . وهي استئناف مبين لبعض ما يدل على فسقهم ، وجوز أن يكون جارياً مجرى التعليل لعدم مغفرته تعالى لهم ، وليس بشيء لأن ذلك معلل بما قبل ، والقائل رأس المنافقين ابن أبي وسائرهم راضون بذلك .

٤. ومنه قوله ﷺ : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾^٣ .

فهذه جملة خبرية طلبية مؤكدة بـ ﴿ إِنَّا ﴾ ، ليؤكد أنه أنزله في هذه الليلة المباركة ليزيل أي شك .

٥. ومنه قوله ﷺ : ﴿ إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَىٰ الدَّارِ * وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ ﴾^٤ .

فهذه جملة خبرية طلبية مؤكدة بقوله ﴿ إِنَّا ﴾ في الأولى ، وفي الثانية بقوله ﴿ إِنَّهُمْ ﴾ ، و بـ " اللام " في قوله ﴿ لَمِنَ ﴾ ، والجملة الأولى تعليل لما وصفوا به ، والباء للسببية و ﴿ خَالِصَةٍ ﴾ اسم فاعل وتنوينها للتفخيم ، أي جعلناهم خالصين لنا بسبب خصلة خالصة جليلة الشأن لا شوب فيها هي تذكُّرهم دائماً الدار الآخرة ؛ فإن خلوصهم في الطاعة بسبب تذكُّرهم إياها ، وذلك لأن مطمح انظارهم ، ومطرح أفكارهم في كل ما يأتون ويدرون رضاء الله - عز وجل - والفوز ببقائه ، ولا يتسنَّى ذلك إلا في الآخرة . وقيل

^١ سورة الفتح / ٢٥ .

^٢ سورة المنافقين / ٧ .

^٣ سورة القدر / ١ .

^٤ سورة ص / ٤٦ - ٤٧ .

أخلصناهم بتوفيقهم لها ، واللطف بهم في اختيارها ، والباء كما في الوجه الأول للسببية ،
أي بسبب تذكرهم إياها .

وأخرج ابن المنذر عن الضحاك أن ذكرى الدار تذكيرهم الناس الآخرة ، وترغيبهم
إياهم فيها ، وتزهيدهم إياهم على وجه خالص من الحظوظ النفسانية كما هو شأن
الأنبياء عليهم السلام ، وقيل المراد بالدار الدار الدنيا ، وبذراها الثناء الجميل ، ولسان
الصدق الذي ليس لغيرهم . وحكى ذلك عن الجبائي^١ . وأبي مسلم^٢ وذكره ابن عطية
احتمالاً ، وحاصل الآية عليه كما قال الطبرسي : ” إنا خصصناهم بالذكر الجميل في
الأعقاب “ .

وقوله ﷻ : ﴿ وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ ﴾ أي المختارين من بين أبناء
جنسهم ، وتم تأكيد الجملة لمزيد الاعتناء بكونهم عنده تعالى من المصطفين من الناس .
﴿ الْأَخْيَارِ ﴾ الفاضلين^٣ .

٦ . ومنه قوله ﷻ : ﴿ هَذَا ذِكْرٌ وَإِن لِلْمُتَّقِينَ لِحُسْنِ مَّآبٍ ﴾^٤ . ومثلها قوله ﷻ : ﴿ وَإِن
لِلطَّغِينَ لَشَرَّ مَّآبٍ ﴾^٥ .

فقوله ﴿ وَإِن لِلْمُتَّقِينَ لِحُسْنِ مَّآبٍ ﴾ هذه جملة خبرية طلبية مؤكدة بمؤكدين ، ﴿ إِن
﴿ ، واللام في ﴿ لِحُسْنٍ ﴾ ، ويمكن أن نضيف تأكيد ثالث وهو الجملة الاسمية . وجاء
التوكيد هنا ليؤكد أجرهم الجزيل في الآجل بعد بيان ذكرهم الجميل في العاجل ، والمراد
بالمؤمنين إما الجنس وهم داخلون فيه دخولاً أولاً ، وإما نفس المذكورين عبر عنهم بذلك

^١ محمد بن عبد الوهاب بن سلام الجبائي أبو علي من أئمة المعتزلة ورئيس علماء الكلام في عصره (توفي -
رحمه الله - سنة ثلاث وثلاثمائة هجرية ، وفيات الأعيان ١ / ٤٨٠ ، والبداية والنهاية ١١ / ١٢٥ .

^٢ أبو مسلم محمد بن بحر معتزلي مفسر ، له : جامع التأويل والتأسيخ والمنسوخ ، توفي - رحمه الله - سنة
اثنين وعشرين وثلاثمائة هجرية . ينظر : بغية الوعاة ١ / ٥٩ .

^٣ يُنظَر : روح المعاني ٢٣ / ٢١٠ - ٢١١ .

^٤ سورة ص / ٤٩ .

^٥ سورة ص / ٥٥ .

مدحاً لهم بالتقوى التي هي الغاية القصوى في الكمال ، والجملة فيما أرى عطف على الجملة قبلها كأنه قيل: هذا شرف لهم في الدنيا وإن لهم ولأضربهم أو إن لهم في الآخرة لحسن مآب أو هي من قبيل عطف القصة على القصة^١ .

٧. ومنه قوله ﷺ : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيَجُ فِتْرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾^٢ .

فقوله : ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ هذه جملة خبرية طلبية مؤكدة بـ ﴿ إِنَّ ﴾ ، وباللام في ﴿ لَذِكْرًا ﴾ ، ففي هذه الآية إشارة إلى ما ذكر تفصيلاً ، وما فيه من معنى البعد للإيذان ببعد منزلته في العرابة ، والدلالة على ما قصد بيانه ، ﴿ لَذِكْرًا لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ لتذكيراً عظيماً - وجاء باللام للتوكيد - لأصحاب العقول الخالصة عن شوائب الخلل وتببيها لهم على حقيقة الحال يتذكرون بذلك أن حال الحياة الدنيا في سرعة النقص والانصرام كما يشاهدونه من حال الحطام كل عام ، فلا يغترون ببهجتها ، ولا يفتنون بفتنتها ، أو يجزمون بأن من قدر على إنزال الماء من السماء ، وإجرائه في ينابيع الأرض ؛ قادر على إجراء الأنهار من تحت الغرف^٣ .

^١ يُنظَر : روح المعاني ٢٣ / ٢١٢ .

^٢ سورة الزمر / ٢١ .

^٣ يُنظَر : إرشاد العقل السليم ٧ / ٢٤٩ .

ثالثاً : الخبر الإنكاري

حين يصل المُخَاطَب إلى حالة الإنكار ، ورفض قبول الخبر ، يكون من بلاغة الكلام الخبري وجوب اقترانه بالمؤكّدات التي تلائم حالة الإنكار والرفض في نفس المُخَاطَب به ضعفاً وشدةً .

من أمثلة الخبر الإنكاري

١ . قوله ﷺ : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾^١ .

فهذان خبران اقتضى المقام فيهما تأكيدهما بأكثر من مؤكّد دفعاً لإنكار المنكرين ، وتبديداً لارتباب ، وشكّ الشاكّين .
فهذه الآية ((ردّ لإنكارهم التّنزيل ، واستهزائهم برسول الله ﷺ بذلك وتسليّة له ، أي نحن بعظم شأننا ، وعلوّ جنابنا ، نزلنا ذلك الذّكر الذي أنكروه ، وأنكروا نزوله عليك ، ونسبوك بذلك إلى الجنون ، وعمّوا منزله ، حيث بنوا الفعل للمفعول إيماءً إلى أنّه أمرٌ لا مصدر له ، وفعلٌ لا فاعل له ، ﴿ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ من كل ما لا يليق به ، فيدخل فيه تكذيبهم له ، واستهزأؤهم به دخولاً أولياً ، فيكون وعيداً للمستهزئين ، وأما الحفظ عن مجرد التّحريف ، والزيادة والنقص وأمثالها فليس بمقتضى المقام ، فالوجه الحمل على الحفظ من جميع ما يقدر فيه من الطّعن فيه والمجادلة في حقّيته ، ويجوز أن يراد حفظه بالإعجاز دليلاً على التّنزيل من عنده تعالى ، إذ لو كان من عند غير الله لتطرّق عليه الزيادة والنقص والاختلاف ، وفي سبك الجملتين من الدّلالة على كمال الكبرياء ، والجلالة ، وعلى فخامة شأن التّنزيل ما لا يخفى ، وفي إيراد الثّانية بالجملة الاسمية دلالة على دوام الحفظ والله سبحانه أعلم))^٢ .

^١ سورة الحجر / ٩ .

^٢ يُنظَر : إرشاد العقل السليم / ٥ / ٦٣ .

فالكفرة قد أنكروا نزول القرآن ، وقالوا ساخرين : ﴿ وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ * لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَكَةِ إِن كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِينَ ﴾^١ ، واقتضى هذا الإنكار تأكيد الخبر بالمؤكّدات التالية :

١. ﴿ إِنَّ ﴾ .

٢. وضمير الفصل ﴿ نَحْنُ ﴾ .

٣. وتكرار الإسناد للضمير ﴿ نَحْنُ نَزَّلْنَا ﴾ .

ولمّا كانت هناك شكوك محتملة أن يصيب القرآن ما أصاب التوراة ، والإنجيل من التحريف ، والتبديل ، جاء الخبر الثاني مؤكّداً بـ ﴿ إِنَّ ﴾ ، ولام التوكيد في ﴿ لِحَافِظُونَ ﴾ ، وتقديم الجار والمجرور ﴿ لَهُ ﴾ ، وهذا التأكيد يدفع تلك الشكوك المحتملة ، ويبث الطمأنينة في قلوب المؤمنين^٢ .

٢. وقوله ﷺ : ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾^٣ .

وقد يُنزّل غير المنكر إذا بدت عليه أمارات الإنكار منزلة المنكر .

الأمثلة

* المثال الأول :

حذر الله ﷻ الذين كفروا من أن يُنزّل بهم الهلاك الشامل الذي أنزله بكفّار أهل القرون الأولى ، مبيّناً لهم أنه إنّما أهلكهم ضمن مجرى سنّته الثابتة في معاملة عباده .

• فكان البيان الإخباري في أول الأمر بأسلوب التساؤل عن إهلاك الأولين ، لانتزاع الاعتراف بحصول المستفهم عنه ، فقال ﷻ : ﴿ أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ ﴾^٤ .

فقوله ﷻ : ﴿ أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ ﴾ ، كقوم نوح وعاد وثمود لتكذيبهم به سؤال خالي من المؤكّدات ؛ لأنّ إهلاك المكذّبين الأولين لرسّل ربّهم قضية معروفة لدى الناس الموجّهة لهم هذا السؤال ، لذا اكتفى هنا بتوجيه السؤال لهم عن إهلاك الأولين بدون

^١ سورة الحجر / ٦ - ٧ .

^٢ يُنظَر : علم المعاني دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني / ١ / ٣٨ .

^٣ سورة التوبة / ١٠٤ .

^٤ سورة المرسلات / ١٦ .

مؤكدات . وقُرِئَ " نَهْلِكُ " بفتح النون من " هَلَكَه " بمعنى " أَهْلَكَه " ، ثم أخبر عن إهلاك الآخرين ولم يؤكد بأيِّ مؤكِّد لعدم الإنكار أو الإحجام عن قبول الخبر ، فقال : ﴿ ثُمَّ نَتَّبِعُهُمُ الْآخِرِينَ ﴾^١ بالرفع على ثم نحن نتبعهم الآخرين من نظرائهم السالكين لمسلكتهم في الكفر والتكذيب ، وهو وعيدٌ لكفار مكة . وقُرِئَ ﴿ ثُمَّ سَتُبْعُهُمْ ﴾ ، وقُرِئَ ﴿ نَتَّبِعُهُمْ ﴾ بالجزم عطفاً على نهلك فيكون المراد بالآخرين المتأخرين هلاكاً من المذكورين كقوم لوط وشعيب وموسى عليهم السلام . ثم يواصل الإخبار بدون المؤكِّدات فيقول : ﴿ كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ * وَيَلْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴾^٢ . ٣ .

• ثم جاء البيان الإخباري مقترناً بمؤكِّدٍ واحدٍ ابتدائيٍّ ، فقال ﷻ : ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ ﴾^٤ .

((أي كثيراً أهلكنا قبل قومك ﴿ مِّنْ قَرْنٍ ﴾ قوماً مقترنين في زمن واحد ﴿ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا ﴾ أي قوة كما قيل ، أو أخذاً شديداً في كلِّ شيء كعاد وقوم فرعون ﴿ فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ ﴾ ساروا في الأرض ، وطوفوا فيها حذار الموت ، فالتفتيب السَّير ، وقطع المسافة كما ذكره الرَّاغب . وغيره ٠٠٠ والفاء على تفسير التَّنْقِيبِ بالسَّير ، ونحوه المروي عن ابن عباس لمجرد التَّنْقِيبِ ، وعلى تفسيره بالتَّصَرُّفِ للسببية ؛ لأنَّ تصرفهم في البلاد مسبب عن اشتداد بطشهم ، وهي على الوجهين عاطفة على معنى ما قبلها كأنه قيل : " اشتدَّ بطشهم ، فنقَّبوا " ، وقيل : هي على ما تقدَّم أيضاً للسببية والعطف على ﴿ أَهْلَكْنَا ﴾ على أنَّ المراد أخذنا في إهلاكهم ، فنقَّبوا في البلاد ﴿ هَلْ مِن مَّحِيصٍ ﴾ على إضمار قول هو حال من واو ﴿ نَقَّبُوا ﴾ أي قائلين هل لنا مخلص من الله تعالى أو من الموت ؟ ، أو على إجراء التَّنْقِيبِ لما فيه من معنى التَّنَبُّعِ ، والتَّنْفِيشِ مجرى القوى على ما قيل ، أو هو كلام مستأنف لنفي أن يكون لهم محيص ؛ أي هل لهم مخلص من الله عزَّ وجلَّ أو من الموت ؟ ، وقيل : ضمير ﴿ نَقَّبُوا ﴾ لأهل مكة ، أي ساروا في مسابريهم وأسفارهم في بلاد القرون المهلكة ، فهل رأوا لهم محيصاً حتى يؤملوا مثله لأنفسهم ؟ .

وأيدَّ بقراءة ابن عباس ، وابن يعمر^١ ، وأبي العالية^٢ ، ونصر بن سيار^٣ ، وأبي حيوة^٤ ، والأصمعي^٥ عن أبي عمرو ﴿ فَنَقَّبُوا ﴾ على صيغة الأمر ، لأنَّ الأمر للحاضر

^١ سورة المرسلات / ١٧ .

^٢ سورة المرسلات / ١٨ - ١٩ .

^٣ يُنظَر : إرشاد العقل السليم / ٩ / ٧٧ ، و البلاغة العربية / ١ / ١٨٠ .

^٤ سورة ق / ٣٦ .

١ ابن يعمر العدواني ، هو : يحيى بن يعمر الوشقي العدواني، أبو سليمان : أول من نقط المصاحف. ولد بالأهواز . وسكن البصرة . وكان من علماء التابعين ، عارفاً بالحديث والفقہ ولغات العرب ، من كتاب الرسائل الديوانية ، وفي لغته إغراب وتقعير . أدرك بعض الصحابة . وأخذ اللغة عن أبيه ، والنحو عن أبي الأسود الدؤلي. وكان فصيحاً ، ينطق بالعربية المحضة ، طبيعة فيه ، غير متكلف . وتشيع لأهل البيت من غير انتقاص لفضل غيرهم . وصحب يزيد بن المهلب إلى خراسان سنة ثلاث وثمانين من الهجرة ، فكان كاتب رسائله . وأعجب الحجاج بقوة أسلوبه ، فطلبه من يزيد ، فجاءه إلى العراق .

وحادثه فلم ترضه صراحتة ، فرجع إلى خراسان ، وهذه رواية الجهشياري للخبر ، وهي تختلف عن رواية غيره ، ولما ولي قتيبة ابن مسلم على الري ولاة القضاء بمرور . ثم عزل بتهمة إدمان النبيذ ، فيما يقال . وفي خبر أورده ابن الأبار ، عن العقد أن الحجاج ولأه قضاء بلده ، فلم يزل بالبصرة قاضياً حتى مات سنة تسع وثمانين للهجرة ، وقيل سنة تسع وعشرين ومائة من الهجرة . يُنظر : الأعلام للزركلي - ٨ / ١٧٧ ، ونزهة الألباء / ٢٤ - ٢٥ ، وبغية الوعاة / ٤١٧ ، وأخبار النحويين / ٢٠ .

٢ أبو العالية زُفيع بن مهران ، الإمام المقرئ الحافظ المفسر ، أبو العالية الرياحي البصري . أحد الأعلام . كان مؤلفاً لامراً من بني رياح بن يزوع ، ثم من بني تميم . أدرك زمان النبي وهو شاب ، وأسلم في خلافة أبي بكر الصديق ، ودخل عليه . وسمع من : عمر ، وعلي ، وأبي ، وغيرهم . توفي أبو العالية - رحمه الله - في شوال سنة تسعين من الهجرة . وقيل مات سنة ثلاث وتسعين . يُنظر : سير أعلام النبلاء ٣ / ١٧٨ .

٣ نصر بن سيار بن ساعد بن سيار ، الشيخ الإمام الفقيه المعمر ، مسند خراسان ، شرف الدين ، أبو الفتح الكِنَانِي الهَرَوِي الحَنَفِي القاضي . قال : وكان فقيهاً مُناظراً فاضلاً مُتديناً ، حسن السيرة ، مطبوع الحركات ، تاركاً للتكلف ، سليم الجانب ، وُلد سنة خمس وسبعين وأربعمائة من الهجرة . مات يوم عاشوراء سنة اثنتين وسبعين وخمسائة من الهجرة . يُنظر : سير أعلام النبلاء ١٥ / ٢٨١ .

٤ أبو حيوة : هو شريح بن يزيد الحضرمي ، وله اختيار في القراءة ، روى عن عمران بن عثمان ، وروى عنه ابنه حيوة ، توفي - رحمه الله - سنة ثلاث ومائتين هجرية ، غاية النهاية في طبقات القراء ١ / ٣٢٥ ، وخزانة الأدب ولب لسان الأدب ١ / ٣٢٦ ، وابن الأثير / ١٤٨ .

٥ أبو سعيد عبد الملك بن قُريب بن علي بن أصمع الباهلي ، رواية العرب وأحد أئمة العلم باللغة والشعر والبلدان ، وتعلم في البصرة على الخليل وأبي عمرو بن العلاء ، وأخذ عن خلف الأحمر ؛ وعنه أخذ أبو الفضل الرياشي ، وأبو عبيد السجستاني ، من آثاره : " كتاب خلق الإنسان " ، و " كتاب الخليل " ، و " كتاب الإبل " ، و " كتاب الأضداد " .

يُنظر : التاريخ ، ليحيى بن معين ، رواية عباس الدوري - تحقيق : أحمد محمد نور سيف - مكة المكرمة ١٩٧٩ م / ٣٧٤ ، التاريخ الكبير ٥ / ٤٢٨ ، المعارف لابن قتيبة / ٥٤٣ ، ٥٤٤ ، الجرح والتعديل ٥ / ٣٦٣ ، مراتب النحويين / ٤٦ - ٦٥ ، طبقات النحويين ، للزبيدي / ١٦٧ - ١٧٤ ، وأخبار النحويين البصريين / ٥٨ - ٦٧ ، تاريخ أصبهان ٢ / ١٣٠ ، الفهرست / ٦٠ ، ٦١ ، تاريخ بغداد ١٠ / ٤١٠ - ٤٢٠ ، الأنساب ، للسَّمعاني ١ / ٢٩٣ ، ونزهة الألباء / ١١٢ - ١٢٤ ، وإنباه الرواة ٢ / ١٩٧ - ٢٠٥ ، تهذيب الأسماء واللغات ٢ / ٢٧٣ ، ووفيات الأعيان ٣ / ١٧٠ - ١٧٦ ، وتاريخ أبي الفدا ٢ / ٣٠ ، وسير أعلام النبلاء ١٠ / ١٧٥ - ١٨١ ، والعبر ١ / ٣٧٠ ، ميزان الاعتدال ٢ / ٦٦٢ ، مرآة الجنان ٢ / ٦٤ ، غاية

وقت النزول من الكفار وهم أهل مكة لا غير، والأصل توافق القرائتين ، وفيه على هذه القراءة التفات من الغيبة إلى الخطاب . وقرأ ابن عباس أيضاً . وعبيد عن أبي عمرو ﴿ فَنَقَّبُوا ﴾ بفتح القاف مخففة ، والمعنى كما في المشددة ، وقُرِء بكسر القاف خفيفة من النَّقْب محرراً^١ .

وكان هذا في الربع الأول من العهد المكي من نشأة الدعوة المحمدية ، فجاء بمؤكد واحد في هذه الآية وهو جرٌ تمييز " كم " الخبرية بحرف الجر " من " للتأكيد فقال : ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا ﴾ .

• ثم جاء البيان الإخباري حول إهلاك القرون الماضية المكذبة لرسولها ، ولكن هنا مؤكدة بمؤكدين اثنين ، فقال الله ﷻ : ﴿ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِّنْ قَرْنٍ فَنَادَواْ وَلاَ تَحِثُّ مَنَاصٍ ﴾^٢ .

فأضيفت في هذه الآية " من " قبل ﴿ قَبْلِهِمْ ﴾ على الآية التي في سورة " ق " ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا ﴾^٣ ، مع جرٌ تمييز " كم " بحرف الجر " من " ، فالزيادة في اللفظ تدلُّ على زيادة في المعنى وهو توكيد الكلام زيادة على التوكيد السابق في سورة " ق " فهو وعيد لهم على كفرهم واستكبارهم ببيان ما أصاب أضرابهم .

قال أبو السعود - رحمه الله - في تفسير هذه الآية : ﴿ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِّنْ قَرْنٍ ﴾ وعيدٌ لهم على كفرهم ، واستكبارهم ببيان ما أصاب من قبلهم من المستكبرين . وكم مفعولٌ أهلكنا ، ومن قرنٍ تمييزٌ ، والمعنى : وقرناً كثيراً أهلكنا من القرون الخالية ﴿ فَنَادَواْ ﴾ عند نزول بأسنا وحلول نعمتنا استغاثةً وتوبةً لينجوا من ذلك . وقوله تعالى : ﴿ وَلاَ تَحِثُّ مَنَاصٍ ﴾ حالٌ من ضمير نادوا ، واستغاثوا طلباً للنجاة والحال أن ليس الحين حين مناصٍ ؛ أي فوتٍ ونجاةٍ ، من ناصه أي فاتته ، لا من ناص بمعنى تأخر ، و " لا " : هي المشبهة بليس زيدت عليها تاء التانيث للتأكيد كما زيدت على رُبٍّ وثمَّ . وخصت بنفي

النهاية في طبقات القراء ١ / ٤٧٠ ، تهذيب التهذيب ٦ / ٤١٥ ، النجوم الزاهرة ٢ / ١٩٠ ، وروضات الجنان ٤٥٨ - ٤٦٢ ، وبغية الوعاة ٢ / ١١٢ ، ١١٣ ، المزهر في علوم اللغة وأنواعها ٢ / ٤٠٤ ، ٤٠٥ ، وخالصة تهذيب الكمال ٢٤٥ ، وطبقات المفسري ١ / ٣٥٤ - ٣٥٦ ، وشذرات الذهب ٢ / ٣٦ - ٣٨ ،

وشرح الشريشي ٢ / ٢٥٦ .

^١ روح المعاني ٢٦ / ١٩٠ .

^٢ سورة ص / ٣ .

^٣ سورة ق / ٣٦ .

الأحيان ، ولم يبرز إلا أحد معموليها ، والأكثر حذف اسمها . وقيل هي النافية للجنس زيدت عليها التاء وخصت بنفي الأحيان ، وحين مناصٍ . منصوبٌ على أنه اسمها ؛ أي ” ولا حين مناصٍ “ . وقُرىء بالرفع فهو على الأول اسمها ، والخبر محذوفٌ أي وليس حين مناصٍ حاصلًا لهم وعلى الثاني مبتدأ محذوف الخبر أي ولا حين مناصٍ كائنٌ لهم وقُرىء بالكسر)^١ .

• ثم جاء البيان الإخباري حول إهلاك القرون الماضية المكذبة لرسالتها أيضاً بأسلوب أكثر تأكيداً من الآيتين السابقتين ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا ﴾^٢ ، و ﴿ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِّنْ قَرْنٍ فَنَادَواْ وَلاَ تِجَارَةً أَضَاعَوْاْ إِنَّا عَمِلْنَا خِطْأًا ﴾^٣ ، فقال ﷺ في سورة يونس : ﴿ وَ لَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴾^٤ .

فجاء الخبر في هذه الآية مؤكداً بثلاثة مؤكّدات :

١. لام الابتداء في ﴿ لَقَدْ ﴾ .
 ٢. حرف قد الذي من معانيه التحقيق ، ويؤتى به للتأكيد .
 ٣. إدخال حرف ﴿ مِنْ ﴾ على لفظ ﴿ قَبْلِكُمْ ﴾ مع أنّ الكلام يتم بدونها^٥ .
- فقوله ﷺ : ﴿ وَ لَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴾^٦ ، هذا خطابٌ لأهل مكة على طريقة الالتفات للمبالغة في تشديد التهديد بعد تأييده بالتوكيد القسمي ﴿ وَ لَقَدْ ﴾ ، والجار والمجرور ﴿ مِنْ قَبْلِكُمْ ﴾ متعلق بـ ﴿ أَهْلَكْنَا ﴾ ، ومنع أبو البقاء كونه حالاً من القرون ، فقال : ((﴿ مِنْ قَبْلِكُمْ ﴾ متعلق بـ ﴿ أَهْلَكْنَا ﴾ وليس بحال من ﴿ الْقُرُونَ ﴾ ؛ لأنه زمان ، و ﴿ وَجَاءَتْهُمْ ﴾

^١ إرشاد العقل السليم ٧ / ٢١٣ ، ويُنظر : روح المعاني ٢٣ / ١٣٦ .

^٢ سورة ق / ٣٦ .

^٣ سورة ص / ٣ .

^٤ سورة يونس / ١٣ .

^٥ يرى الكوفيون و الأخفش من البصريين أنّ حرف ” من “ يُزاد للتأكيد دون تحقيق الشّروط التي ذكرها البصريون لزيادتها ، وهي أن يكون مسبوقاً بنفي أو نهى أو استفهام ” هل “ ، وأن يكون مجرورها نكرة ، وفاعلاً أو مفعولاً به أو مبتدأ . ويرى ابن مالك أنّ ” مِنْ “ الدّاخلية على ” قبل “ ، و ” بعد “ زائدة . والنّظر في النّصوص القرآنية يرجح رأي الكوفيين في هذا الموضوع . يُنظر : البلاغة العربية ١ / ١٨١ .

^٦ سورة يونس / ١٣ .

رُسُلُهُمْ ﴿ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ حَالًا : أَيْ " وَقَدْ جَاءَتْهُمْ " ، وَ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَعْطُوفًا عَلَى ﴿ ظَلَمُوا ﴾ ١ .

قوله ﷺ : ﴿ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا ﴾ عَلَى أْبْلَغُ وَجْهِ وَأَكْثَرِهِ ؛ لِأَنَّ اللَّامَ لِتَوْكِيدِ النَّفْيِ . وَجُمْلَةُ ﴿ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا ﴾ يُمْكِنُ أَنْ تَعْرَبَ عَطْفَ عَلَى ﴿ ظَلَمُوا ﴾ ، وَيُمْكِنُ إِعْرَابُهَا أَنَّهَا اعْتِرَاضِيَّةٌ ، وَالْاعْتِرَاضُ لِلتَّأْكِيدِ بَيْنَ الْفِعْلِ وَمَا يَجْرِي مَجْرَى مَصْدَرِهِ التَّشْبِيهِى أَعْنَى قَوْلِهِ ﷺ ﴿ كَذَلِكَ ﴾ ، فَإِنَّ الْجِزَاءَ الْمَشَارَ إِلَىهِ عِبَارَةٌ عَنِ مَصْدَرِهِ ؛ أَيْ مِثْلَ ذَلِكَ الْجِزَاءِ الْفِطْرِيِّ (الْإِهْلَاكُ الشَّدِيدُ) الَّذِي هُوَ الْاسْتِنْتِصَالُ بِالْمَرَّةِ ﴿ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴾ ، أَيْ كُلِّ طَائِفَةٍ مَجْرَمَةٍ فِيَشْمَلُ الْقُرُونُ . وَحَاصِلُ الْمَعْنَى عَلَى تَقْدِيرِ الْعَطْفِ أَنَّ السَّبَبَ فِي إِهْلَاكِهِمْ تَكْذِيبُهُمُ الرُّسُلَ ، وَأَنْتَهُمْ مَا صَحَّ ، وَمَا اسْتَقَامَ لَهُمْ أَنْ يُؤْمِنُوا لِفَسَادِ اسْتِعْدَادِهِمْ ، وَخِذْلَانِ اللَّهِ تَعَالَى إِيَّاهُمْ .

وَفِي الْآيَةِ وَعِيدٌ شَدِيدٌ وَتَهْدِيدٌ أَكِيدٌ لِأَهْلِ مَكَّةَ لِأَنَّهُمْ وَأَوْلِيَّكَ الْمَهْلِكِينَ مَشْتَرِكُونَ فِيمَا يَقْتَضِي الْإِهْلَاكَ مِنَ الْجَرَائِمِ وَالْجَرَائِرِ الَّتِي هِيَ تَكْذِيبُ الرُّسُولِ وَالْإِصْرَارُ عَلَيْهِ ٢ . قَالَ أَبُو حَيَّانٍ - رَحِمَهُ اللَّهُ - عِنْدَ تَفْسِيرِ قَوْلِهِ ﷺ : ﴿ وَ لَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴾ ٣ : ((هَذَا إِخْبَارٌ لِمَعَاصِرِي الرُّسُولِ ﷺ وَخِطَابٌ لَهُمْ بِإِهْلَاكِ مَنْ سَلَفَ قَبْلَهُمْ مِنَ الْأُمَمِ بِسَبَبِ ظَلَمِهِمْ وَهُوَ الْكُفْرُ ، عَلَى سَبِيلِ الرَّدْعِ لَهُمْ ، وَالتَّذْكِيرِ بِحَالِ مَنْ سَبَقَ مِنَ الْكُفَّارِ ، وَالْوَعِيدِ لَهُمْ ، وَضَرْبِ الْأَمْثَالِ ، فَكَمَا فَعَلَ بِهِؤَلَاءِ ، يَفْعَلُ بِكُمْ ، وَلَفْظَةُ ﴿ لَمَّا ﴾ مَشْعُرَةٌ بِالْعَلِيَّةِ ، وَهِيَ حَرْفٌ تَعْلِيقٌ فِي الْمَاضِي ، وَمَنْ ذَهَبَ إِلَى أَنَّهَا ظَرْفٌ مَعْمُولٌ لِأَهْلَاكِ كَالرَّمْخَشْرِيِّ ٤ مُتَّبِعًا لِغَيْرِهِ ، فَإِنَّمَا يَدُلُّ إِذْ ذَاكَ عَلَى وَقُوعِ الْفِعْلِ فِي حِينِ الظُّلْمِ ، فَلَا يَكُونُ لَهَا إِشْعَارٌ إِذْ ذَاكَ بِالْعَلِيَّةِ لَوْ قُلْتُ : " جِئْتُ حِينَ قَامَ زَيْدٌ " ، لَمْ يَكُنْ مَجِيئَكَ مُتَسَبِّبًا عَنِ قِيَامِ زَيْدٍ ، وَأَنْتَ تَرَى حَيْثُمَا جَاءَتْ " لَمَّا " كَانَتْ جَوَابَهَا ، أَوْ مَا قَامَ مَقَامَهُ مُتَسَبِّبًا عَمَّا بَعْدَهَا ، فَدَلَّ ذَلِكَ عَلَى صِحَّةِ مَذْهَبِ سَيَبَوِيهِ ، مِنْ أَنَّهَا حَرْفٌ وَجُوبٌ لَوْجُوبِ ﴿ وَجَاءَتْهُمْ ﴾ ظَاهِرَةٌ أَنَّهُ مَعْطُوفٌ عَلَى ﴿ ظَلَمُوا ﴾ أَيْ : لَمَّا حَصَلَ هَذَا الْأَمْرَانِ : " مَجِيءُ الرُّسُلِ بِالْبَيِّنَاتِ ، وَظَلْمُهُمْ "

١ إِمْلَاءُ مَا مِنْ بِهِ الرَّحْمَنِ / ٣٢١ - ٣٢٢ .

٢ يُنْظَرُ : إِرْشَادُ الْعَقْلِ السَّلِيمِ / ٤ ، ١١٥ ، وَ رُوحُ الْمَعَانِي / ١١ ، ٨٠ .

٣ سُورَةُ يُونُسَ / ١٣ .

٤ يُنْظَرُ : الْكَشَافُ / ٢ ، ٣٣٣ .

أهلكوا . وقال الزمخشري^١ : والواو في ﴿ وَجَاءَتْهُمْ ﴾ للحال أي : ظلموا بالتكذيب ، وقد جاءتهم رسالهم بالحجج والشواهد على صدقهم وهي المعجزات انتهى ، وقال مقاتل : البيئات مخوفات العذاب ، والظاهر أن الضمير في قوله ﴿ وَمَا كَانُوا ﴾ عائداً على القرون ، وأنه معطوف على قوله : ﴿ ظَلَمُوا ﴾ . وجوز الزمخشري^٢ أن يكون اعتراضاً ، لا معطوفاً قال : ” واللام لتأكيد النفي ” ؛ بمعنى : ” وما كانوا يؤمنون حقاً تأكيداً لنفي إيمانهم ، وأن الله تعالى قد علم أنهم مصررون على كفرهم ، وأن الإيمان مستبعد منهم “ ، والمعنى : ” أن السبب في إهلاكهم تعذيبهم الرسل ، وعلم الله أنه لا فائدة في إهمالهم بعد أن ألزموا الحجة ببعثة الرسل انتهى . وقال مقاتل : الضمير في قوله : ﴿ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا ﴾ ، عائداً على أهل مكة ، فعلى قوله يكون التفاتاً ، لأنه خرج من ضمير الخطاب إلى ضمير الغيبة ، ويكون متسقاً مع قوله : ﴿ وَإِذَا تَثَلَى عَلَيْهِمْ ءآيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ ﴾^٣ . والكاف في ﴿ كَذَلِكَ ﴾ في موضع نصب ؛ أي : مثل ذلك الجزاء ، وهو ” الإهلاك “ . نجزي القوم المجرمين ، فهذا وعيد شديد لمن أجرم ، يدخل فيه أهل مكة وغيرهم . وقرأت فرقة : ﴿ يَجْزِي ﴾ بالياء ، أي يجزي الله ، وهو التفات^٤ .

المثال الثاني

قوله ﷻ : ﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهَىٰ ﴾ * وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى * وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا * وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ * مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ * وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْأُخْرَىٰ * وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ * وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشَّعْرَىٰ * وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَىٰ * وَتَمُودَ فَمَا أَبْقَىٰ * وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْعَىٰ ﴾^٥ .

تجد في هذه الآيات أن ضمير الفصل ” هو “ قد جاء في بعض الآيات دون بعض ، وأن الآيات التي جاء بها بحاجة إلى مزيد من تأكيد الخبر ، وتقوية نسبة أفعالها إلى الله ﷻ واختصاصها به ، فالإضحاك والإبكاء ، والإحياء والإماتة ، والإغماء و

^١ الكشاف ٢ / ٣٣٣ .

^٢ الكشاف ٢ / ٣٣٣ .

^٣ سورة يونس / ١٥ .

^٤ البحر المحيط ٥ / ١٣٤ - ١٣٥ .

^٥ سورة النجم / ٤٢ - ٥٢ .

الإفناء ، هذه الأفعال لما كانت مظنة الشرك ، وأنّ لغير الله ﷻ دخلاً وفعالية فيها ، وهناك من ينكر البعث ، كما في قول الدهريين ﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾^١ جاء ضمير الفصل ليؤكد نسبة هذه الأفعال إلى الله ﷻ واختصاصها به ، ولينفي عن غيره أي دخل في شؤون عباده ، وليستأصل مظنة الشرك فيها فلا ينطلع المؤمن و لا ينظر إلا إلى السماء .

وكذلك ﴿ الشَّعْرَى ﴾ لما كانت خزاعة تعبدها من دون الله ، أكد النظم إلى تقديم الجار والمجرور ﴿ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى ﴾ ، ﴿ عَلَيْهِ النَّشْأَةُ الْآخِرَى ﴾ ، ليؤكد بهذا التقديم ما ينكره المعاندون من انقلابهم إليه تعالى ، وإحيائه لهم بعد مماتهم ، ثم انظر إلى الأفعال التي جاءت بدون ضمير الوصل في الآيات ، ولاحظ أنّها ليست موضع إنكار ولا مظنة شركة : ﴿ وَأَنَّهُ خَلَقَ الزُّوجَيْنِ ﴾ ، ﴿ وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى ﴾ ، فهم لا ينكرون أنّ الله هو الخالق ، بل يقرّون بذلك ، وينطقون بنسبة الخلق إليه ﷻ : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴾^٢ ، ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾^٣ ، وإهلاك عاد ، وشمود ، وقوم نوح يعلمونه ، ويسمعونه من غير القرآن ، ولا ينكرونه ، فليس الخلق ، والإهلاك مما تظنّ فيه الشرك ، ولذا خلت الآيتان من ضمير الفصل ، وهكذا نجد نبرة التوكيد في الآيات تلو ، وتهبط ؛ لتلائم مواقع المعاني في النفوس ، وما يكمن داخلها ، وسبحان المحيط بالأسرار^٤ .

* قال أبو حيان - رحمه الله - عند تفسير ﴿ وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى ﴾ * وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا * وَأَنَّهُ خَلَقَ الزُّوجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى * مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى * وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْآخِرَى * وَأَنَّهُ هُوَ أَعْنَى وَأَقْنَى * وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشَّعْرَى * وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى ﴾^٥ ((جاء بين أنّ وخبرها لفظ ﴿ هُوَ ﴾ ، وذلك في قوله : ﴿ وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ ﴾^٦ ، ﴿ وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ ﴾^٧ ، ﴿ وَأَنَّهُ هُوَ أَعْنَى ﴾^٨

^١ سورة الجاثية / ٢٤ .

^٢ سورة الزخرف / ٩ .

^٣ سورة الزخرف / ٨٧ .

^٤ يُنظَر : علم المعاني دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني ١ / ٣٨ - ٣٩ ، خصائص التراكيب / ٥٠ .

^٥ سورة النجم / ٤٣ - ٥٠ .

^٦ سورة النجم / ٤٣ .

^٧ سورة النجم / ٤٤ .

^٨ سورة النجم / ٤٨ .

﴿ وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشَّعْرَى ﴾^١ ، ففي الثلاثة الأولى ، لما كان قد يدّعي ذلك بعض الناس ، كقول نمرود : ﴿ أَنَا أَحْيِي وَأُمِيتُ ﴾^٢ ، احتيج إلى تأكيد في أنّ ذلك إنّما هو الله لا غيره ، فهو الذي يضحك ويبكي ، وهو المميت المحيي ، والمغني ، والمقني حقيقة ، وإن ادّعى ذلك أحد فلا حقيقة له .

وأما ﴿ وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشَّعْرَى ﴾^٣ ، فلأنّها لما عبت من دون الله تعالى ، نصّ على على أنّه تعالى هو ربّها وموجدها . ولما كان خلق الزوجين ، والإنشاء الآخر ، وإهلاك عاد ومن ذكر ، لا يمكن أن يدّعي ذلك أحد ، لم يحتج إلى تأكيد ، ولا تنصيص أنّه تعالى هو فاعل ذلك . وعاد الأولى هم قوم هود ، وعاد الأخرى ” إرم “ . وقيل : الأولى : القدماء ؛ لأنّهم أوّل الأمم هلاكاً بعد قوم نوح عليه السّلام^٤ .

المثال الثالث

قصّ الله ﷻ قصّة الرّسل الثلاثة الذين أرسلهم إلى أهل قرية يقال : إنّها إنطاكية ، ويقال : إنّ الرّسل السّبعين الذين أرسلهم عيسى - عليه الصّلاة والسّلام - إلى الأقاليم ، لنشر دين الله ﷻ في الأرض . فقال الله ﷻ : ﴿ وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ * إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُّرْسَلُونَ * قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ * قَالُوا رَبَّنَا عَلِّمْنَا لَمَّا يَتْلَوْنَ مِثْلَنَا وَما عَلَّمْنَا إِلَّا الْبَلْغُ الْمُبِينُ ﴾^٥ .

• جاء أولاً ﴿ مُرْسَلُونَ ﴾ بغير لام لأنّه ابتداء إخبار ، فلا يحتاج إلى توكيد ؛ لأنّ الرّسولان في ابتداء الأمر عرض على أصحاب هذه القرية أنّهما رسولان يبلّغان تعاليم الدّين ، فجاء الكلام غير مقرون بمؤكّدات لفظية .

^١ سورة النّجم / ٤٩ .

^٢ سورة البقرة / ٢٥٨ .

^٣ سورة النّجم / ٤٩ .

^٤ البحر المحيط ٨ / ١٦٥ - ١٦٦ .

^٥ سورة يس / ١٣ - ١٧ .

- فلما كذبوهما عزّهما الله ﷻ برسولٍ ثالثٍ ﴿ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ ﴾ ، فقالوا لهم : ﴿ إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ ﴾ فجاء الإخبار مؤكّداً تأكيداً متوسطاً ، لأنّ إنكار القوم كان في بدايته .

والتأكيد في هذه الجملة الخبرية قد جاء بحرف التأكيد ﴿ إِنَّ ﴾ ، ويمكن أن نفهم من تقديم ﴿ إِلَيْكُمْ ﴾ في قوله ﴿ إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ ﴾ على عامله ﴿ مُرْسَلُونَ ﴾ تأكيداً آخر ، لأنّ فيه معنى القصر ، أو زيادة الاهتمام ، وكلاهما يفيد تأكيداً ، والمؤكّد الثالث كون الجملة جملة اسمية .

- ولكن لما أمعنوا بالتكذيب ، وأصرّوا على تكذيب الرّسل الثلاثة ، وهؤلاء أمّة أنكرت النبوات بقولها : ﴿ مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴾ ، عندها راجعتهم الرّسل بأن ردّوا العلم إلى الله ، وقنعوا بعلمه ، وأعلموهم أنّهم إنّما عليهم البلاغ فقط ، وما عليهم من هداهم وضلالهم ، فقالوا ﴿ رَبَّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴾ فزاد الرّسل جملتهم الخبرية تأكيداً ؛ لمبالغة المخاطبين في الإنكار .

فالمؤكّدات في قولهم ﴿ رَبَّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴾ :

١. ﴿ رَبَّنَا يَعْلَمُ ﴾ فهذه عبارة فيها معنى القسم .
٢. ﴿ إِنَّ ﴾ وهو حرف تأكيد .
٣. لام التوكيد " المزلقة للخبر " في ﴿ لَمُرْسَلُونَ ﴾ .
٤. كون الجملة اسمية^١ .

^١ يُنظَر : البحر المحيط ٧ / ٣١٣ ، و البلاغة العربية ١ / ١٨١ - ١٨٢ .

إخراج الخبر على خلاف مقتضى الظاهر من حيث التأكيد ، أو عدمه

كثيراً ما يخرج الخبر على خلاف مقتضى الظاهر من حيث التأكيد ، أو عدمه ، فيأتي على أمور اعتبارية يعتبرها المتكلم في المخاطب ، فينزل حاله منزلة حال أخرى ، فينزل غير السائل منزلة السائل ، وينزل خالي الذهن منزلة المتردد ، أو المنكر ، وينزل المنكر منزلة غير المنكر ، ويكون ذلك لدواعٍ ، وأسرارٍ بلاغيةٍ يقتضيها المقام ، وذلك لأسرارٍ يلتفت إليها المتكلم ، ويعيها البصير بطائفة هذه اللغة .

فعندما تكون الجملة المتقدمة في سياق الكلام متضمنة ما يشير إلى الخبر ، ويلوح بها و يوميء إليه فإثها تثير في النفس المتلقية تساؤلاً يجعلها تتطلع ، وتستشرف إلى معرفة الخبر والوقوف عليه ، وعندئذ تأتي جملة الخبر مؤكدة ؛ لتزيل ما أثير في نفس المخاطب من تساؤلات ، و استشراقات منزلة إياه منزلة المتردد السائل ، ويقع هذا غالباً إذا كانت الجملة السابقة تتضمن نصائح ، أو إرشاداً و توجيهاً ، أو نهياً و أمراً ، أو حديثاً غريباً يستدعي وقوف النفس و تأملها^١ .

صور خروج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر

- ١ . إنزال العالم منزلة الخالي ، أو السائل ، أو المنكر .
- ٢ . إنزال الخالي منزلة السائل ، أو المنكر .
- ٣ . إنزال السائل منزلة الخالي ، أو المنكر .
- ٤ . إنزال المنكر منزلة الخالي ، أو السائل .

فحال المخاطب بالخبر منحصر في العلم بالحكم ، والخلو منه ، والسؤال له ، والإنكار له . والعالم لا يخرج معه الكلام على مقتضى الظاهر^٢ .

الأمثلة

^١ يُنظر : علم المعاني دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني ١ / ٣٩ .

^٢ يُنظر : الإيضاح ، شرح وتعليق وتنقيح د . محمد عبد المنعم خفاجي / ٧١ - ٧٢ .

إنزال خالي الذهن منزلة السائل

كثيراً ما ينزل خالي الذهن منزلة السائل إذا فُدم إليه ما يلوح له بحكم الخبر فيتطلع له تطلع السائل المتردد الطالب .

• كقوله ﷻ : ﴿ وَأَوْحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ * وَأَصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُّعْرِفُونَ ﴿ ١ ﴾ .

فقوله ﷻ : ﴿ إِنَّهُمْ مُّعْرِفُونَ ﴾ جملة خبرية مؤكدة بـ " إِنَّ " ، مع أنَّ المخاطب هو نوح - عليه الصلاة والسلام - ، فهو ليس متردداً في مضمون إفادتها ، لأنه لما تقدّم في سياق الآيات إخباره أنه لن يؤمن من قومه إلا من قد آمن : ﴿ وَأَوْحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ ءَامَنَ ﴾ ، ونهيه عن أن يحزن لما صنعوا ﴿ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ ٢ ، ثم أمره بصنع الفلك ﴿ وَأَصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾ ، ونهيه عن مخاطبة الله في شأن من أعرض وكفر ؛ صيانة له عن سؤال لا يجاب فيه ، هذا كله أثار في نفس نوح - عليه الصلاة والسلام - تساؤلاً عما سيحلُّ بهؤلاء القوم ، وتطلّعت نفسه إلى معرفة الخبر ، أهو إغراق ؟ خاصّة وأنَّ الأمر بصنع الفلك يشير إليه إشارة ظاهرة ؟ ، فنزل لهذا منزلة المتردد السائل ، فألقى إليه الخبر مؤكداً فقال ﷻ : ﴿ إِنَّهُمْ مُّعْرِفُونَ ﴾ .

قال أبو السعود - رحمه الله - : ((﴿ وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُّعْرِفُونَ ﴾ أي : لا تراجعني فيهم ولا تدعني باستدفاع العذاب عنهم ، وفيه من المبالغة ما ليس فيما لو قيل : " ولا تدعني فيهم " ، وحيث كان فيه ما يلوح بالسببية أكد التعليل ، فقيل : ﴿ إِنَّهُمْ مُّعْرِفُونَ ﴾ ؛ أي محكوم عليهم بالإغراق قد مضى به القضاء ، وجفّ القلم فلا سبيل إلى كفه ، ولزمتهم الحجّة ، فلم يبق إلا أن يجعلوا عبرة للمعتبرين ومثلاً للآخرين)) ٣ .

• وقوله ﷻ : ﴿ وَمَا أُبْرِيءُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لِأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ . ٤

^١ سورة هود / ٣٦ - ٣٧ .

^٢ سورة هود / ٣٦ .

^٣ إرشاد العقل السليم / ٤ / ٤ / ١٩٩ ، ويُنظر : روح المعاني / ١٢ / ٤٩ .

^٤ سورة يوسف / ٥٣ .

فصدر الآية تضمّن خبراً غريباً ، وهو اتهام المتكلم نفسه ، ونفي التبرئة عنها ، والمتكلم وهو يوسف - عليه الصلاة والسلام - أو امرأة العزيز ، على خلاف بين المفسرين - رحمهم الله - فعلى أنه يوسف ، يكون نفي التبرئة عن نفسه أمراً غريباً يثير في النفس تساؤلاً ، وتطلّعا لمعرفة الخبر ، إذ كيف لا يُبرىء يوسف نفسه وهو التقيّ النقي ؟ ، فلذا جاء الخبر مؤكداً : ﴿ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ ﴾ بحيث نُزِلَ المُخاطب خالي الذهن منزلة السائل المتردد .

وأما على الرأي القائل بأن المتكلم في ﴿ وَمَا أُبْرِيءُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ ﴾ امرأة العزيز ، فلا يخلو نفي التبرئة عنها من الأمور المستبعدة^١ .

• ومنه قوله ﷺ : ﴿ إِلَّا تَتَّصِرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِي أَثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾^٢ .

فقوله ﷺ ﴿ لَا تَحْزَنْ ﴾ هذا قول رسول الله ﷺ لأبي بكر الصديق ﷺ حيث قال له : لَا تَحْزَنْ لَأَنَّ اللَّهَ مَعَنَا ، وَاللَّهُ نَاصِرُنَا ، فَلَنْ يَعْلَمَ الْمُشْرِكُونَ بِنَا ، وَلَنْ يَصِلُوا إِلَيْنَا ، فهذا النهي أثار في نفس أبي بكر ﷺ تطلّعا ، وتشوقاً إلى معرفة الخبر ، ولذا جاء الخبر مؤكداً ، مع أن أبا بكر غير شاك ولا متردد في معية الله ﷻ ، ولكن نُزِلَ منزلة السائل المتردد^٣ .

• ومنه قوله ﷺ : ﴿ قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً لَنْ يُتَقَبَلَ مِنْكُمْ إِنْ كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴾^٤ .
فقوله ﷺ : ﴿ إِنْ كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴾ جملة خبرية مؤكدة بـ " إِنَّ " ؛ لمجيء الخبر بعد الأمر بالإنفاق الذي أثار في نفس المخاطبين تساؤلاً ، وتطلّعا إلى معرفة الخبر ، فنزل منزلة السائل المتردد . ﴿ قُلْ أَنْفِقُوا ﴾ في وجوه البرّ ﴿ طَوْعاً أَوْ كَرْهاً ﴾ طائعين أو مكرهين نصب على الحال . وهو أمر في معنى الخبر ومعناه ﴿ لَنْ يُتَقَبَلَ مِنْكُمْ ﴾ أنفقتم طوعاً أو كرهاً ، وقوله ﴿ طَوْعاً ﴾ أي من غير إلزام من الله ورسوله و ﴿ كَرْهاً ﴾ أي ملزمين ، وسمي الإلزام إكراهاً لأنهم منافقون ، فكان إلزامهم الإنفاق شاقاً عليهم كالإكراه ﴿

^١ يُنظَر : علم المعاني دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني ١ / ٤١ .

^٢ سورة التوبة / ٤٠ .

^٣ يُنظَر : علم المعاني دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني ١ / ٤٠ .

^٤ سورة التوبة / ٥٣ .

﴿إِنكُمْ﴾ تعليل لردّ إنفاقهم ﴿كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ متمردين عاتين^١ ، وهي جملة خبرية مؤكدة أوكدة لتقدم الأمر بالإنفاق الذي أثار التطلع لهذا الخبر .

ومنه قوله ﷺ : ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ﴾^٢ .

فقوله ﷺ : ﴿إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ﴾ جملة خبرية مؤكدة بـ "إِنَّ" ؛ لمجيء الخبر بعد نهي الله ﷻ لنبيه ﷺ : ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ﴾ أي لا تصل يا محمد على أحد مات من هؤلاء المنافقين الذين تخلفوا عن الخروج معك أبداً . ولا تقم على قبره ، ولا تتولّ دفنه وتقبره ، فأثار في نفس النبيّ تساؤلاً ، وتطلّعا إلى معرفة السبب ، فنزل منزلة السائل المتردد فأكد له الخبر بقوله : ﴿إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ﴾ أي إنهم جحدوا توحيد الله ورسالة رسوله ، وماتوا وهم خارجون من الإسلام مفارقون أمر الله ونهيه .

• ومنه قوله ﷺ : ﴿سَيَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾^٣ .

فقوله ﷺ : ﴿إِنَّهُمْ رِجْسٌ﴾ جملة خبرية مؤكدة بـ "إِنَّ" ؛ لمجيء الخبر بعد الأمر بالإعراض عنهم الذي أثار في نفس المخاطبين تساؤلاً ، وتطلّعا إلى معرفة الخبر ، فنزل منزلة السائل المتردد .

فقوله ﷺ : ﴿سَيَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ﴾ أي لتركوهم ولا توبّخوهم ، ﴿فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ﴾ فأعطوهم طلبتهم ، فهذا الأمر أثار في نفس هؤلاء المخاطبين تساؤلاً عن سبب الإعراض عنهم ، فأنزلوا منزلة السائل المتردد فقال لهم الله ﷻ : ﴿إِنَّهُمْ رِجْسٌ﴾ تعليل لترك معابرتهم ، أي أنّ المعابرة لا تنفع فيهم ، ولا تصلحهم ؛ لأنّهم أرجاس لا سبيل إلى تطهيرهم ﴿وَمَاوَاهُمْ جَهَنَّمُ﴾ ومصيرهم النار يعني وكفتهم النار عتاباً وتوبيخاً ، فلا تتكلّفوا عتابهم ﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ أي يجزون جزاء كسبهم^٤ .

• ومنه قوله ﷺ : ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزَّيْنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾^٥ .

^١ يُنْظَر : مدارك التنزيل ٢ / ١٨٧ .

^٢ سورة التوبة / ٨٤ .

^٣ سورة التوبة / ٩٥ .

^٤ يُنْظَر : مدارك التنزيل ٢ / ٢٠٢ .

^٥ سورة الإسراء / ٣٢ .

فقوله ﷺ : ﴿ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴾ جملة خبرية مؤكدة بـ " إِنَّ " ؛ لمجيء الخبر بعد نهي الله ﷻ ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الرِّئَى ﴾ أي وقضى أن لا تقرّبوا أيها الناس الرّنا ، فأثار هذا النهي تساؤلاً في معرفة سبب النهي ، فنزل منزلة السائل المتردد ، فأكد له الخبر ﴿ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴾ .

• ومنه قول الشاعر :

فَعَنَّا وَهِيَ لَكَ الْفِدَاءُ إِنَّ غِنَاءَ الْإِبِلِ الْحِدَاءُ

فعندما قال الشاعر غنّا ليشتم سيرها ، تردّد السامع في غنائها ، أهو الحداء ، أم غيره ؟ فجاء الخبر مؤكداً " إِنَّ غِنَاءَ الْإِبِلِ الْحِدَاءُ " ، على خلاف مقتضى الظاهر بتنزيل خالي الذهن منزلة المتردد السائل ليزيل ما أثير في نفس السامع .

• ومنه قول بشّار^١ :

بَكَرًا صَاحِبِي قَبْلَ الْهَجِيرِ إِنَّ ذَلِكَ النَّجَاحَ فِي التَّبْكِيرِ^٢

بحيث ((رُوِيَ عن الأصمعي أنه قال : " كنت أسير مع أبي عمرو بن العلاء ، وخلف الأحمر^٣ ، وكانا يأتیان بشّاراً ، فيسلمان عليه بغاية الإعظام ، ثمّ يقولان : " يا أبا معاذ ، ما أحدثت ؟ " ، فيخبرهما ، وينشدهما ، ويسألانه ، ويكتبان عنه متواضعين له ، حتى يأتي وقت الزوال ، ثمّ ينصرفان . وأتياه يوماً فقالا : " ما هذه القصيدة التي أحدثتها في مسلم بن قتيبة ؟ " قال : " هي التي بلغنكم " ، قالوا : " بلغنا أنك أكثرت فيها من الغريب " ، قال : " نعم ؛ بلغني أنّ مسلم بن قتيبة يتباصر بالغريب ، فأحببت أن أورد عليه ما لا يعرف " ، قالوا : " فأنشدهنا يا أبا معاذ " ، فأنشدهما من بحر الخفيف :

بَكَرًا صَاحِبِي قَبْلَ الْهَجِيرِ إِنَّ ذَلِكَ النَّجَاحَ فِي التَّبْكِيرِ

^١ سبقت ترجمته في التأكيد وعدمه في الجمل الخبرية .

^٢ سبق تخريجه .

^٣ خلف بن حيّان ، أبو مُحَرَّر ، المعروف بالأحمر . رواية ، عالم بالأدب ، شاعر ، من أهل البصرة ، أستاذ الأصمعي ، ومعلم أهل البصرة ، وقال الاخفش: لم أدرك أحدا أعلم بالشعر من خلف والأصمعي. وكان يضع الشعر وينسبه إلى العرب، قال صاحب مراتب النحويين: وضع خلف على شعراء عبد القيس شعرا كثيرا، وعلى غيرهم، عبثا به، فأخذ ذلك عنه أهل البصرة وأهل الكوفة. وله (ديوان شعر) وكتاب (جبال العرب) و (مقدمة في النحو - ط) (٢). ، وممّا يؤخذ عليه أنه كان يضع الشعر ، وينسبه إلى العرب ، وله ديوان شعر ، وكتاب (جبال العرب) . توفي - رحمه الله - في ثمانين ومائة هجرية الموافق ست وتسعين وسبعمائة ميلادية . يُنظَر : الأعلام للزركلي ٢ / ٣١٠ .

حتى فرغ منها فقال له خلف : ” لو قلت يا أبا معاذ مكان ” إِنَّ ذَاكَ النَّجَاحَ فِي التَّبْكِيرِ “
 ” بَكْرًا فَالنَّجَاحَ فِي التَّبْكِيرِ “ كان أحسن ، فقال بَشَّارُ : ” إِنَّمَا بَنِيهَا أَعْرَابِيَّةٌ ، وَحَشِيَّةٌ ،
 فقلت ” إِنَّ ذَاكَ النَّجَاحَ فِي التَّبْكِيرِ “ كما يقول الأعراب البدويون ، ولو قلت ” بَكْرًا
 فَالنَّجَاحَ “ كان هذا من كلام المؤلدين ، ولا يشبه ذلك الكلام ، ولا يدخل في معنى القصيدة
 ، قال : ” فقام خلف ، فقبل بَشَّارًا بين عينيه “ .

فهل كان هذا القول من خلف ، والنقد على بَشَّارٍ إلا للطف المعنى في ذلك ،
 وخفائه . واعلم أن من شأن ” إِنَّ “ إذا جاءت على هذا الوجه أن تغني غناء الفاء
 العاطفة مثلاً ، وأن تفيد من ربط الجملة بما قبلها أمراً عجبياً ، فأنت ترى الكلام بها
 مستأنفاً غير مستأنف مقطوعاً موصولاً معاً ، أفلا ترى أنك لو أسقطت إِنَّ من قوله ” إِنَّ
 ذَاكَ النَّجَاحَ فِي التَّبْكِيرِ “ لم تر الكلام يلتئم ، ولرأيت الجملة الثانية لا تتصل بالأولى ، ولا
 تكون منها بسبيل حتى تجيء بالفاء ، فتقول ” بَكْرًا صَاحِبِي قَبْلَ الْهَجِيرِ ، فَذَاكَ النَّجَاحَ
 فِي التَّبْكِيرِ “ (١٠٠) .

ف” بَكْرًا فَالنَّجَاحَ “ كان من كلام المؤلدين ، لأنه ليس فيه من دقة الإشارة إلى تنزيل
 غير المتردد ، ما في قوله ” إِنَّ ذَاكَ النَّجَاحَ “ ، ولكن فيه تكرير الأمر بالتبكير لتأكيد
 على وجه ظاهر ليس فيه دقة ذلك التأكيد الخفي ، والمولدون يؤثرون السهولة على الدقة^٢
 .

((واعلم أن هاهنا دقائق لو أن الكندي استقرأ وتصفح وتتبع مواقع إن ثم أطف
 النظر وأكثر التدبر لعلم علم ضرورة أن ليس سواء دخولها وأن لا تدخل فأول ذلك
 وأعجبه ما قدمت لك ذكره في بيت بشار :

بَكْرًا صَاحِبِي قَبْلَ الْهَجِيرِ إِنَّ ذَاكَ النَّجَاحَ فِي التَّبْكِيرِ

وما أنشدته معه من قول بعض العرب :

فَعَنَّهَا وَهِيَ لَكَ الْفِدَاءُ إِنَّ غِنَاءَ الْإِبِلِ الْحِدَاءُ

^١ دلائل الإعجاز / ٢١١ - ٢١٢ .

^٢ يُنظَر : علم المعاني دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني ١ / ٤٢ .

وذلك أنه هل شيء أبين في الفائدة وأدلّ على أن ليس سواء دخولها ، وأن لا تدخل من أنك ترى الجملة إذا هي دخلت ترتبط بما قبلها ، وتألف معه ، وتتحد به حتى كأنّ الكلامين قد أفرغاً وإفراغاً واحداً ، وكأن أحدهما قد سبك في الآخر . هذه هي الصورة حتى إذا جئت إلى ” إن ” فأسقطتها رأيت الثاني منهما قد نبا عن الأول ، وتجاوى معناه عن معناه ، ورأيت لا يتصل به ، ولا يكون منه بسبيل حتى تجيء بالفاء ، فنقول : بكرة صاحبي قبل الهجير ، فذاك النجاح في التّكبير ، وغنّها وهي لك الفداء ، فغناء الإيل الحداء ، ثم لا ترى الفاء تعيد الجمليتين إلى ما كانتا عليه من الألفة ، ولا ترد عليك الذي كنت تجد بـ ” إن ” من المعنى ، وهذا الضرب كثير في التّنزيل جدّاً ، من ذلك قوله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴾^١ وقوله - عزّ اسمه - : ﴿ يَا بَنِي إِدْرِيمِ اتَّقُوا اللَّهَ يَوْمَ تُغْلَبُ الْعَرْشَةُ عَلَى الْعَرْسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾^٢ ، ومن أبين ذلك قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَخَاطَبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُعْرِضُونَ ﴾^٣ ، وقد يتكرّر في الآية الواحدة كقوله - عزّ اسمه - : ﴿ وَمَا أُبْرِيءُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾^٤ ، وهي على الجملة من الكثرة بحيث لا يدركها الإحصاء))^٥ .

إنزال غير المنكر^٦ منزلة المنكر

قد ينزل غير المنكر منزلة المنكر إذا ظهر عليه شيء من أمارات الإنكار ، فيلقى إليه الخبر مؤكداً ، ومن أمثلة ذلك :

^١ سورة الحج / ١ .

^٢ سورة لقمان / ١٧ .

^٣ سورة التوبة / ١٠٣ .

^٤ سورة هود / ٣٧ .

^٥ سورة يوسف / ٥٣ .

^٦ دلائل الإعجاز / ٢٤٣ .

^٧ غير المنكر يشمل خالي الدهن ، والسائل ، والعالم .

• و قوله ﷺ : ﴿ وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَعَمِنُوا إِنْ رَّبِّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾^١ .

فقوله ﷺ : ﴿ إِنْ رَّبِّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ جملة خبرية مؤكدة ، بـ " إِنْ " ، وباللام في ﴿ لَغَفُورٌ ﴾ ، مع إِنْ الذين تابوا ، وآمنوا لا ينكرون مغفرة الله ﷻ ورحمته ، ولكنهم لما كانوا قد ارتكبوا السيئات ، واقترفوا الذنوب ، والمعاصي أصبحوا في خوف ، ووجلٍ من غضب الله ﷻ وعقاب ، وكلما تذكروا ما اقترفوا اقشعرت جلودهم ، وتذكروا عذاب الله ، فعوملت حالتهم هذه ، وما هم فيه من خوفٍ وقلقٍ ، وعدم أمنٍ ، واستقرار ، معاملة من ينكر رحمة الله ، ومغفرته ، فألقي إليهم الخبر مؤكداً ، طمأنة لهم ، وتثبيتاً لقلوبهم ، حتى يستقرُّوا ، ويسكنوا^٢ .

• و قوله ﷺ : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾^٣ .

فقوله ﷺ : ﴿ إِنْ صَلَاتِكَ سَكَنٌ لَهُمْ ﴾ جملة خبرية مؤكدة بـ ﴿ إِنْ ﴾ ، وبالاسمية ، مع أنه يخاطب الرسول ﷺ ، فلن يكون الرسول ﷺ متردداً ، ولا منكراً ، ولكن عندما جاءه التائبون بأموالهم - الذين ذكرهم الله ﷻ في الآية السابقة ﴿ وَعَاخِرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَعَاخِرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾^٤ - فقالوا : " يا رسول الله هذه أموالنا ؛ فتصدق بها عنا ، واستغفر لنا ، فقال ﷺ : ((ما أمرت أن آخذ من أموالكم شيئاً)) فنزلت عليه هذه الآية تأمره بفعل ذلك ، فأُنزل منزلة المتردد ، بحيث أكد له الخبر ﴿ إِنْ صَلَاتِكَ سَكَنٌ لَهُمْ ﴾^٥ .

• و قوله ﷺ : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾^٦ .

فقوله ﷺ : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ ﴾ جملة خبرية مؤكدة « رداً لإنكار المنكرين واستهزائهم في قولهم : ﴿ وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴾^٧ ، ولذلك قال :

^١ سورة الأعراف / ١٥٣ .

^٢ يُنظَر : علم المعاني دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني ١ / ٤٤ .

^٣ سورة التوبة / ١٠٣ .

^٤ سورة التوبة / ١٠٢ .

^٥ يُنظَر : روح المعاني ١١ / ١٤ .

^٦ سورة الحجر / ٩ .

^٧ سورة الحجر / ٦ .

﴿ إِنَّا نَحْنُ ﴾ ، فأكد عليهم أنه هو المنزل على القطع ، والبتات ، وأنه هو الذي بعث به جبريل إلى محمد ﷺ وبين يديه ، ومن خلفه رصد ، حتى نزل ، وبلغ محفوظاً من الشياطين ، وهو حافظه في كل وقت من كل زيادة ، ونقصان ، وتحريف ، وتبدل ، بخلاف الكتب المتقدمة ؛ فإنه لم يتولَّ حفظها . وإنما استحفظها الربانيين ، والأحبار فاختلَفوا فيما بينهم بغيا فكان التَّحريف ، ولم يكَلِ القرآن إلى غير حفظه ^١ .

وقوله ﷺ : ﴿ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ جملة خبرية مؤكدة بثأ للطمأنينه في قلوب المؤمنين الذين رأوا ما أصاب الكتب السابقة - كالثَّوراة ، والإنجيل - من تحريف ، وتبديل ، فخافوا على القرآن من أن يصاب كما أصيبت تلك الكتب من قبل ، فتطلَّعوا إلى حفظه من التَّحريف ، والتبديل ، وجمال القلق في نفوسهم على القرآن ، فنزلوا منزلة المنكرين ، فأكد لهم الخبر ، تنبيهاً لهم ، على خلاف مقتضى الظاهر ^٢ .

• وقوله ﷺ : ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴾ ^٣ .

فقوله ﷺ : ﴿ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴾ جملة خبرية أكد فيها إثبات الموت بمؤكدين ، بـ "إِنَّ" ، وباللام في ﴿ لَمَيِّتُونَ ﴾ ، وإن كان مما لا ينكر ؛ لتنزيل المخاطبين منزلة من يباليغ في إنكار الموت ؛ لتماديهم في الغفلة ، والإعراض عن العمل لما بعده ، ولهذا قال ﷺ : ﴿ مَيِّتُونَ ﴾ ، ولم يقل تموتون ، لأنَّ الجملة الاسمية تفيد الثبوت والدوام ، وأما الفعلية تفيد التَّجدد والحدوث ، والمناسب للمقام الجملة الاسمية ^٤ .

• وقوله ﷺ : ﴿ إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى وَلَا تَسْمَعُ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ * وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمَىٰ عَنِ ضَلَّاتِهِمْ إِنْ تَسْمَعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ ^٥ .

فقوله ﷺ : ﴿ إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى ﴾ جملة خبرية مؤكدة ، بحيث نُزِّل فيها الرِّسول ﷺ منزلة من يعتقد أنه يستطيع إسماع الصُّمِّ ، وهداية العمى ، وينكر عدم قدرته على إسماعهم ، وهدايتهم ، فألقى إليه الخبر مؤكداً ؛ لأنه ﷺ كان شديد الحرص على هدايتهم

^١ الكشَّاف ٢ / ٣٨٨ .

^٢ يُنظَر : علم المعاني دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني ١ / ٤٤ .

^٣ سورة المؤمنين / ١٥ .

^٤ يُنظَر : الإيضاح ١ / ٧٦ .

^٥ سورة النمل / ٨٠ - ٨١ .

، مجهداً نفسه في إبلاغهم ما أنزل إليه ، متطوعاً إلى استجابتهم ، وقبول الحق ، وإقلاعهم عن الضلال ، والكفر^١ .

• و كقول حبل بن نضلة الباهلي^٢ :

جَاءَ شَقِيقٌ عَارِضاً رُمْحُهُ إِنَّ بَنِي عَمِّكَ فِيهِمْ رِمَاحُ^٣

فإن مجيئه هكذا مدلاً بشجاعته قد وضع رمحه على عرضه ، وجاعله على فخذيه ، دليل على إعجاب شديد منه بشجاعته ، مفتخراً بقوته ، واعتقاد أنه لا يقوم إليه من بني عمه أحد ، كأنهم كلهم عزل ليس مع أحد منهم رمح ، فنزله الشاعر منزلة المنكر ، فأكد له الخبر بأن بني عمومته أقويا أشداء .

إنزال المنكر منزلة غير المنكر

قد ينزل المنكر منزلة غير المنكر إذا كان معه ما إن تأمله ارتدع عن الإنكار،

ومن أمثلة ذلك :

• قوله ﷺ في حق القرآن : ﴿ ذَلِكِ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾^٤ .

فجملة ﴿ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ ، أي لا شك فيه ، جملة خبرية غير مؤكدة ، مع أن ذلك الخبر كثير من ينكره ، ولكن نزل المنكر منزلة غير المنكر ؛ لما معه من الدلائل الدالة

^١ يُنْظَرُ : علم المعاني دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني ١ / ٤٤ .

^٢ حبل بن نضلة الباهلي ، شاعر جاهلي ، وكان قد أسر ابنة عمرو بن كلثوم (النوار) ، وركب بها المفاوز . له شعر في الأصمعيات .

^٣ البيت لحبل بن نضلة الباهلي ، من السريع . شقيق اسم رجل . عارضاً رمحه ، أي : واضعاً له على العرض ، بأن جعله ، وهو راكب على فخذه ، فهو لا ينكر أن في بني عمه رماحاً ، لكن مجيئه هكذا واضعاً الرمح على العرض من غير التفات وتهيؤ أمانة على أنه يعتقد أنه لارماح فيهم ، بل كلهم عزل ؛ لا سلاح معهم ، فنزله منزلة المنكر ، فأكد له الكلام ، فقال : ((إن بني عمك فيهم رماح)) . وفي البيت تهكم واستهزاء ، كأنه يرميه بالضعف والجبن ، وبأنه لو علم أن فيهم رماحاً لما حملت يده السلاح ، ولفر من خوف الكفاح . يُنْظَرُ : شرح عقود الجمان ١ / ٣٩ ، وبلا نسبة في الطراز ٢ / ٢٠٣ ، والمصباح ١١ / ، والإيضاح ٢٤ ،

والتلخيص / ١١ .

^٤ سورة البقرة / ٢ .

على أنه ليس ممّا ينبغي أن يُرتاب فيه ، من ظهور إعجازه ، وكون من أتى به صادقاً مصدوقاً بالمعجزات^١ .

قال النَّسفي - رحمه الله - في تفسيره : ((لَا رَيْبَ فِيهِ)) لا شك ، وهو مصدر رابني إذا حصل فيك الرّيبة . وحقيقة الرّيبة قلق النَّفس ، واضطرابها ، ومنه قوله عليه السّلام : « دع ما يريبك إلى ما لا يريبك »^٢ ، فإنّ الشك ريبية ، وإنّ الصّدق طمأنينة ، أي فإن كون الأمر مشكوكاً فيه مما تقلق له النَّفس ولا تستقرّ ، وكونه صحيحاً صادقاً مما تطمئنّ له وتسكن ، ومنه ريب الزّمان وهو ما يقلق النَّفوس ، ويشخص بالقلوب من نوائبه . وإنّما نفي الرّيب على سبيل الاستغراق ، وقد ارتاب فيه كثير ؛ لأنّ المنفي كونه متعلّقاً للرّيب ، ومظنّة له ؛ لأنّه من وضوح الدّلالة ، وسطوع البرهان ، بحيث لا ينبغي لمرتّب أن يقع فيه ، لا أنّ أحداً لا يرتاب ، وإنّما لم يقل : " لا فيه ريب " كما قال : ﴿ لَا فِيهَا عَوَّلٌ ﴾^٣ ؛ لأنّ المراد في إيلاء الرّيب حرف النّفي ، نفي الرّيب عنه ، وإثبات أنّه حقّ لا باطل ، كما يزعم الكفّار ، ولو أولى الضّرف يقصد إلى ما يبعد عن المراد ، وهو أنّ كتاباً آخر فيه ريب ، لا فيه . كما قصد في قوله تعالى : ﴿ لَا فِيهَا عَوَّلٌ ﴾ ، تفضيل خمر الجنّة على خمور الدّنيا بأنّها لا تغتال العقول ، كما تغتالها هي . والوقف على ﴿ فِيهِ ﴾ هو المشهور ، وعن نافع ، وعاصم أنّهما وقفاً على ﴿ رَيْبٌ ﴾ . ولا بدّ للواقف من أن ينوي خبراً ، والتّقدير : لا ريب فيه))^٤ .

• ومنه قوله ﷺ : ﴿ وَاللَّهُمَّ إِلَهَ وَاحِدٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾^٥ .

نجد أنّ الخطاب موجّه إلى المشركين المعاندين الذين لا يقرّون بالوحدانية لله تعالى ، وكان مقتضى حالهم أن يلقي إليهم الكلام مؤكّداً ، ولكنّهم نزلوا منزلة غير المنكرين ؛ لعدم الاعتداد بهذا الإنكار ، لأنّهم لو تأملوا ، وتدبّروا لأقلعوا عن إنكارهم ، ولأقرّوا بما ينبغي لجلال سلطانه ، وعظيم شأنه^٦ .

^١ يُنظَر : الإيضاح / ١ / ٧٥ .

^٢ رواه الترمذي والنسائي ، قال الترمذي : حديث صحيح . قوله يريبك بفتح الياء وضمّها لغتان ، والفتح أشهر .

^٣ سورة الصافات / ٤٧ .

^٤ مدارك التنزيل / ١ / ٣٩ .

^٥ سورة البقرة / ١٦٣ .

^٦ علم المعاني دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني / ١ / ٤٢ .

وجاء عن الطبري - رحمه الله - : « وأما قوله : ﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴾ فَإِنَّهُ خَبِرَ مِنْهُ تَعَالَى ذَكَرَهُ أَنَّهُ لَا رَبَّ لِلْعَالَمِينَ غَيْرَهُ ، وَلَا يَسْتَوْجِبُ عَلَى الْعِبَادِ الْعِبَادَةَ سِوَاهُ ، وَأَنَّ كُلَّ مَا سِوَاهُ فَهَمُ خَلَقَهُ ، وَالْوَاجِبُ عَلَى جَمِيعِهِمْ طَاعَتَهُ ، وَالْإِنْقِيَادَ لِأَمْرِهِ ، وَتَرَكَ عِبَادَةَ مَا سِوَاهُ مِنَ الْأَنْدَادِ ، وَالْآلِهَةِ ، وَهَجَرَ الْأَوْثَانَ ، وَالْأَصْنَامَ ، لِأَنَّ جَمِيعَ ذَلِكَ خَلَقَهُ ، وَعَلَى جَمِيعِهِمُ الدِّينُونَ لَهُ بِالْوَحْدَانِيَّةِ ، وَالْأَلُوْهِيَّةِ ، وَلَا تَتَّبِعِي الْأَلُوْهِيَّةَ إِلَّا لَهُ ٠٠ وَهَذَا تَتَّبِيهِ مِنْ اللَّهِ تَعَالَى ذَكَرَهُ أَهْلُ الشَّرْكِ بِهِ عَلَى ضَلَالِهِمْ ، وَدَعَاءِ مِنْهُ لَهُمْ إِلَى الْأَوْبَةِ مِنْ كُفْرِهِمْ ، وَالْإِنَابَةِ مِنْ شُرْكَهِمْ . ثُمَّ عَرَّفَهُمْ تَعَالَى ذَكَرَهُ بِالْآيَةِ الَّتِي تَتْلُوْهَا مَوْضِعَ اسْتِدْلَالِ ذَوِي الْأَلْبَابِ مِنْهُمْ عَلَى حَقِيْقَةِ مَا نَبَّهَهُمْ عَلَيْهِ مِنْ تَوْحِيدِهِ وَحُجْجِهِ الْوَاضِحَةِ الْقَاطِعَةِ عِذْرَهُمْ ، فَقَالَ تَعَالَى ذَكَرَهُ : أَيُّهَا الْمَشْرِكُونَ إِنْ جَهِلْتُمْ أَوْ شَكَّكْتُمْ فِي حَقِيْقَةِ مَا أَخْبَرْتُمْ مِنَ الْخَبْرِ مِنْ أَنَّ إِلَهَكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ دُونَ مَا تَدْعُونَ أَلُوْهِيَّتَهُ مِنَ الْأَنْدَادِ وَالْأَوْثَانَ ، فَتَدْبِرُوا حُجْجِي وَفَكِّرُوا فِيهَا ، فَإِنْ مِنْ حُجْجِي : خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ، وَاخْتَلَفَ اللَّيْلَ ، وَالنَّهَارَ ، وَالْفَلَكَ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ ، وَمَا أَنْزَلْتَ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَيْتَ بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ، وَمَا بَثَّنْتَ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ ، وَالسَّحَابَ الَّذِي سَخَّرْتَهُ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ . فَإِنْ كَانَ مَا تَعْبُدُونَهُ مِنَ الْأَوْثَانَ ، وَالْآلِهَةِ ، وَالْأَنْدَادِ ، وَسَائِرِ مَا تَشْرِكُونَ بِهِ إِذَا اجْتَمَعَ جَمِيعُهُ ، فَتَظَاهَرَ ، أَوْ انْفَرَدَ بَعْضُهُ دُونَ بَعْضٍ يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ نَظِيرَ شَيْءٍ مِنْ خَلْقِي الَّذِي سَمِيتَ لَكُمْ ، فَلَكُمْ بِعِبَادَتِكُمْ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِي حِينْتُمْ عِذْرٌ ، وَإِلَّا فَلَا عِذْرَ لَكُمْ فِي اتِّخَاذِ إِلَهٍ سِوَايَ ، وَلَا إِلَهَ لَكُمْ وَلَمَّا تَعْبُدُونَ غَيْرِي . فَلْيَتَدَبَّرْ أُولُو الْأَلْبَابِ إِجْزَاءَ اللَّهِ احْتِجَاجَهُ عَلَى جَمِيعِ أَهْلِ الْكُفْرِ بِهِ وَالْمُلْحِدِينَ فِي تَوْحِيدِهِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ ، وَفِي الَّتِي بَعْدَهَا بِأَوْجَزِ كَلَامٍ وَأَبْلَغِ حُجَّةٍ وَالطَّفِ مَعْنَى يَشْرَفُ بِهِمْ عَلَى مَعْرِفَةِ فَضْلِ حِكْمَةِ اللَّهِ وَبَيَانِهِ »^١ .

• وَمِنْهُ قَوْلُهُ ﷻ : ﴿ كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لَتَتْلُوَ عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابٌ ﴾^٢ .

فَتَجَدُ أَنَّ قَوْلَهُ ﷻ : ﴿ هُوَ رَبِّي ﴾ جَمَلَةٌ خَبَرِيَّةٌ غَيْرُ مُؤَكَّدَةٌ وَجَّهَتْ لِهَوْلَاءِ الْمُنْكَرِينَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالرَّحْمَنِ ، فَالْحَالُ يَقْتَضِي أَنْ يُؤَكَّدَ لَهُمُ الْكَلَامُ لِإِنْكَارِهِمْ وَجُحُودِهِمْ ، وَلَكِنْ عُوْمِلُوا مَعَامَلَةً غَيْرَ الْمُنْكَرِ ، لِعَدَمِ الْإِعْتِدَادِ بِإِنْكَارِهِمْ ؛ لِضَعْفِ عَقُولِهِمْ ، وَقَصْرِ نَظَرْتِهِمْ ، فَلَوْ تَأَمَّلُوا ، وَفَكَّرُوا قَلِيلاً لَمَا أَنْكَرُوا ، وَلَمَّا جَحَدُوا .

^١ جامع البيان في تفسير القرآن ٢ / ٣٦ .

^٢ سورة الرعد / ٣٠ .

- ومنه قوله ﷻ : ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴾^١ .
فقوله ﷻ : ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴾ جملة خبرية أكد فيها إثبات البعث بمؤكد واحد ﴿ إِنَّكُمْ ﴾ ، وإن كان ممّا ينكر ؛ لأنه لما كانت أدلته ظاهرة ، كان جديراً بأن لا ينكر ، فإمّا أن يعترف به ، أو يتردد فيه ، فينزل المخاطبون منزلة المترددين ، تنبيهاً لهم على ظهور أدلته ، وحثاً لهم على النظر فيها ، ولهذا جاء بالجملة الفعلية على الأصل ﴿ تُبْعَثُونَ ﴾ ، ولم يغيرها إلى الاسمىة "مبعوثون" ؛ لأنه لا يريد إثبات ذلك ، فالأمر واضح لا يحتاج توضيح .
- ومنه قوله ﷻ : ﴿ حَمَّ * تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾^٢ .
فقوله ﷻ : ﴿ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾ جملة خبرية غير مؤكدة مع أن الخطاب موجّه فيها للناس كافة ، مؤمنهم ، وكافرهم ، ولكن في هذه الآية لم يعبأ بإنكار المنكر ، ولا جحود الكافر ، بتكذيبه رسالة محمد ﷺ ، وتنزيل الكتاب ، فألقيت الجملة الخبرية بدون توكيد ، لأنّ هذا الأمر يعقله كلّ ذي لب .
- ومنه قوله ﷻ : ﴿ فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَالْيَهُ الْمَصِيرُ ﴾^٣ .
فقوله ﷻ : ﴿ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ﴾ جملة خبرية غير مؤكدة ، مع أنّها موجّهة للكفرة المنكرين لربوبيته ﷻ ، ولكنّه عاملهم معاملة غير المنكرين فلم يعتدّ بإنكارهم ، إشارة إلى أنّه ممّا لا ينبغي جحوده ، ولا نكرانه ، فهو أمر واضح للعيان لا ينكره إلا جاهل ، أو معاند .
- ومنه قوله ﷻ : ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيداً * مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكْعاً سَجْدًا يَبْتَغُونَ فَضلاًً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِمَّنْ أَثَرَ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيُغَيِّظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً ﴾^٤ .

^١ سورة المؤمنین / ١٦ .

^٢ سورة غافر / ١ - ٢ .

^٣ سورة الشوری / ١٥ .

^٤ سورة الفتح / ٢٨ - ٢٩ .

قوله ﷺ: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ﴾ جملة خبرية موجبة للناس جميعاً ، مسلمهم وكافرهم ، فالكافر منكر بأن محمد ﷺ رسول الله فهو بحاجة إلى تأكيد هذا الخبر ، ليزول إنكاره ، ولكن هنا نُزِلَ منزلة غير المنكر ، فلم يعتبر تكذيبه ، لأنه لو تأمل في الدلائل ، والمعجزات التي جاء بها لما بقي عنده أي ريب في أنه رسول من عند الله ﷻ .
• ومنه قوله ﷺ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ﴾^١ .

فالآيتان جاءتا رادة على عبَاد الأوثان ، والقائلين بالثنوية ، وبالتثليث ، وبغير ذلك من المذاهب المخالفة للتوحيد ، فمقتضى الظاهر أن يكون الخبر مؤكداً بأكثر من مؤكّد ، ولكن عوملوا معاملة غير المنكر ؛ لوضوح هذه القضية ، فلا داعي للتوكيد ، فوجدانية الله ﷻ وصمديته تدلُّ عليهما كلّ الموجودات ، كما قال الشاعر :

وَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَةٌ تَدُلُّ عَلَيَّ أَنَّهُ الْوَاحِدُ^٢

فلو فكروا ، وتأملوا قليلاً لانتضح لهم ذلك .

فائدة

قد يخرج الخبر على خلاف مقتضى الظاهر من حيث تأكيده ، وعدم تأكيده ، لاعتبارات أخرى - غير اعتبار حال المخاطب - ومن هذه الاعتبارات :

حال المتكلم نفسه

بحيث ينظر إلى حاله ، ومدى انفعاله بالحقائق التي يصورها ، وحرصه على إذاعتها ، ونقلها إلى النفوس كما أحسها ، وهذا كثير في القرآن الكريم ، وإليك بعضاً من هذا :

• منه قوله ﷻ: ﴿وَإِذَا لَفُؤُا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامِنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيْطَانِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾^٣ .

^١ يُنظَر : علم المعاني دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني ١ / ٤٢ - ٤٣ .

^٢ سورة الإخلاص / ١ - ٢ .

^٣ البيت لأبي العتاهية في ديوانه من المتقارب ، وهو خاتمة مقطع من خمسة أبيات مطلعته :

ألا إننا كلنا بائد وأي بني آدم خالد

والرواية المشهورة " واحد " بالتركيب ، وروي البيت أيضاً للبيد العامري .

^٤ سورة البقرة / ١٤ .

فإذا تدبرنا قول المنافقين عندما خاطبوا الذين آمنوا قالوا ﴿ءَامِنَّا﴾ نجد أن الخبر هنا جاء غير مؤكد مما يدل أن نفوسهم غير ممتلئة بالإيمان ، وأن هذا القول لم يصدر عن صدق رغبة ، واعتقاد ، وإنما خوفاً ومداهنة لهم ، أما خطابهم عندما تحوّل إلى شياطينهم جاء مؤكداً ، ﴿وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾ وهذا يُنبئ أن نفوسهم قد امتلأت بهذا القول ، كونه يصدر عن نفسٍ تعتقد ذلك ، وتدين به^١ .

• منه قوله ﷻ : ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾^٢ .

فإذا تدبرنا قول المؤمنين في هذه الآية نجد أنهم أكدوا الخبر كما أحسوه في نفوسهم ، وكما انفعلت به ، فهم واثقين من أن الله ﷻ سيجمع الناس جميعاً يوم القيامة ، لا ريب في ذلك ، وواثقين من أنه لا يخلف الميعاد ، فأكدوا الخبر كما أحسوه ، ولم ينظروا إلى حال المخاطب .

• منه قوله ﷻ : ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تَدْخِلُ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ * رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَنِ أَنْ ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَأَمَّا رَبَّنَا فَأَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ﴾^٣ .

فوجد المؤمنين يخاطبون ربهم وهم موقنين بكل ما يخبرون به ، ومع هذا جاءوا بالأخبار مؤكدة كما يحسونها ، وكما انفعلت بها نفوسهم ، ولم ينظروا في صياغتها إلى اعتبارات خارجية تُلحظ عند المخاطب .

ففي قولهم ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تَدْخِلُ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ﴾ «مبالغة في استدعاء الوقاية من النار وبيان لسببه ، وصدرت الجملة بالنداء مبالغة في التضرع إلى معود الإحسان كما يشعر به لفظ الرب . . والتأكيد بأن الإظهار كمال اليقين بمضمون الجملة ، والإيدان بشدة الخوف ، ووضع الظاهر موضع الضمير للتسهيل»^٤ .

وفي قولهم ﴿رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَنِ﴾ فقد صدرت مقامة الدعاء بالنداء إشارة إلى كمال توجههم إلى مولاها ، وعدم غفلتهم عنه مع إظهار كمال الضراعة

^١ يُنظَر : علم المعاني دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني ١ / ٤٧ .

^٢ سورة آل عمران / ٩ .

^٣ سورة آل عمران / ١٩٢ - ١٩٣ .

^٤ روح المعاني ٤ / ١٦٢ .

، والابتغال إلى معوّد الإحسان والإفضال ، وفي التأكيد إيذاناً بصدور ذلك عنهم بوفور الرغبة ، ومزيد العناية وكمال النشاط^١ .

• رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْنِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٢﴾ .

ففي قول إبراهيم - عليه الصلاة والسلام - ﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ ﴾ خبر مؤكّد كما كان يحسّه إبراهيم - عليه الصلاة والسلام - وكما كانت تتفعل به نفسه ، ولم ينظر إبراهيم عند صياغة هذا الخبر إلى اعتبارات خارجية يلحظها عند الخطاب ، وإنما صاغ الخبر كما كان يحسّه ، ويشعر به .

قال الألوسي - رحمه الله - عند تفسيره ﴿ إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي ﴾ : « والتأكيد

لمزيد الاعتناء فيما قصده من الخبر »^٢ .

ومثله قوله ﷻ : ﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴾^٣ ، فإبراهيم - عليه الصلاة والسلام - يعلم ، ويعتقد أنّ الله ﷻ يعلم السرّ ، وأخفى ، وليس عنده أي ريب ، ولكن أكّد الخبر لما كان يحسّه ، ويعتقده ، ويريد أن يذيع هذا الأمر ، ويغرسه في نفوس الآخرين ، كما يعتقد ويحسّه ؛ فلذا أكّد الخبر ، و تكرير النداء للمبالغة في الضراعة والابتغال ، و لشدة اعتقاده قدّم ﴿ مَا نُخْفِي ﴾ على ﴿ مَا نُعْلِنُ ﴾ لتحقيق المساواة بينهما في تعلق العلم على أبلغ وجه ، فكان تعلقه بما يخفى أقدم منه بما يعلن ، أو لأنّ مرتبة السرّ ، والخفاء متقدّمة على مرتبة العلن ، إذ ما من شيء يعلن إلا وهو قبل ذلك خفي ، فتعلّق علمه تعالى بحاله الأولى أقدم من تعلقه بحالته الثانية . . . والتقديم والتأخير لتحقيق المساواة أيضاً . . . والمقصود من فحوى كلامه - عليه السلام - أنّ إظهار هذه الحاجات ، وما هو من مبادئها ، وتنمّاتها ليس لكونها غير معلومة لك ، بل إنّما هو لإظهار العبوديّة ، والتّخشع لعظمتك ، والتّذلّل لعزتك ، وعرض الافتقار لما عندك ، والاستعجال لنيل أيديك ، وقيل : أراد - عليه السلام - أنّك

^١ يُنْظَرُ : روح المعاني ٤ / ١٦٤ .

^٢ سورة إبراهيم / ٣٧ .

^٣ روح المعاني ١٣ / ٢٣٦ .

^٤ سورة إبراهيم / ٣٨ .

أعلم بأحوالنا ، ومصالحنا ، وأرحم بنا من أنفسنا ، فلا حاجة لنا إلى الطلب ، لكن ندعوك لإظهار العبودية إلى آخره »^١ .

• منه قوله ﷺ : ﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُنْفِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنْفِقِينَ لَكَاذِبُونَ إِذَا جَاءَكَ الْمُنْفِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنْفِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴾^٢ .

فإذا تأملنا قول المنافقين في هذه الآية نجد أنهم قد أكدوا الخبر ﴿ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ ﴾ ليفيدوا أنه قد امتلأت به نفوسهم ، وأن هذه الشهادة صادرة عن صميم قلوبهم ، ولما كان قولهم هذا عن غير اعتقاد ، فقد جاء تأكيد الخبرين : ﴿ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ ﴾ ، ﴿ إِنَّ الْمُنْفِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴾ ليفيد أن ما قرروه ، وأكدوه عن غير اعتقاد ، سيبقى مؤكداً قوياً في علم الله ، وفي اعتقاد المؤمن ، وليبرز كذبهم بنفس القوة ، و التأكيد الذي أكدوا به شهادتهم عن غير اعتقاد ، وفي هذا توبيخ وتقريع لهؤلاء المنافقين^٣ .

قال الألوسي - رحمه الله - عند تفسيره هذه الآية : « ﴿ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ ﴾

﴿ التأكيد بأن ، واللام لازم فائدة الخبر ، وهو علمهم بهذا الخبر المشهود به ، فيفيد تأكيد الشهادة ، ويدل على ادعائهم فيها المواطأة ، وإن كانت في نفسها تقع على الحق ، والزور ، والتأكيد في قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ ﴾ لمزيد الاعتناء حقيقة بشأن الخبر ، أو ليس إلا ليوافق صنيعهم ، وجيء بالجملة اعتراضاً لإمارة ما عسى أن يتوهم من قوله عز وجل : ﴿ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنْفِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴾ من رجوع التأكيد إلى نفس الخبر المشهود به من أول الأمر ، وذكر الطيبي أن هذا نوع من التتميم لطيف المسلك ، ونظيره قول أبي الطيب :

وَتَحْتَقِرُ الدُّنْيَا احْتِقَارَ مُجْرَبٍ تَرَى كُلَّ مَا فِيهَا - وَحَاشَاكَ - فَأَنِيَاءُ

فالتأكيد راجع إلى ﴿ نَشْهَدُ ﴾ باعتبار الخبر الضمني الذي دل عليه التأكيد ، وهو دعوى المواطأة في الشهادة أي ، والله يشهد إنهم لكاذبون فيما ضمنوه قولهم : ﴿ نَشْهَدُ ﴾ من

^١ روح المعاني ١٣ / ٢٤٠ .

^٢ سورة المنافقين / ١ .

^٣ يُنظَر : علم المعاني دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني ١ / ٤٧ .

^٤ البيت في ديوان المتنبي من الطويل من قصيدة طويلة مطلعها :

أبا كل طيب لا أبا المسك وحده وكل سحاب لا أخص الغواصيا .

دعوى المواطأة ، وتوافق اللسان ، والقلب في هذه الشهادة ، وقد يقال : الشهادة خبر خاص ، وهو ما وافق فيه اللسان القلب ، وأما شهادة الزور فتجوز كإطلاق البيع على غير الصحيح فهم كاذبون في قولهم : ﴿ نَشْهَدُ ﴾ المتفرع على تسمية قولهم ذلك شهادة ، وهو مراد من قال : أي لكاذبون في تسميتهم ذلك شهادة فلا تغفل .

وعلى هذا لا يحتاج في تحقق كذبهم إلى ادعائهم المواطأة ضمناً ؛ لأنَّ اللَّفْظَ موضوع للمواطء ، وجوز أن يكون التَّكْذِيبُ راجعاً إلى قولهم : ﴿ إِنَّكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﴾ باعتبار لازم فائدة الخبر ، وهو بمعنى رجوعه إلى الخبر الضمني . وأن يكون راجعاً إليه باعتبار ما عندهم ؛ أي لكاذبون في قولهم : ﴿ إِنَّكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﴾ عند أنفسهم ؛ لأنَّهم كانوا يعتقدون أنَّه كذب ، وخبر على خلاف ما عليه حال المخبر عنه ، قيل : وعلى هذا الكذب هو الشرعي اللاحق به الذمُّ ألا ترى أنَّ المجتهدين لا ينسبون إلى الكذب وإن نسبوا إلى الخطأ^١ .

* وقد يكون داعي التوكيد هو الرغبة في تحقيق الوعد أو الوعيد كما في قوله ﷺ : ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ ﴾^٢ ، فالخبر هنا مؤكداً ؛ لأنه ﷺ أراد أن يؤكد تحقيق الوعيد ، والخطاب لكفار مكة ، وتصريح بمآل أمرهم ، مع كونه معلوماً مما سبق على وجه الإجمال مبالغة في الإنذار وإزاحة الأعدار .

ومنه قوله ﷺ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴾^٣ ، فالخبر هنا مؤكداً ؛ لأنَّ الله ﷻ يريد أن يؤكد تحقيق الوعد بأنَّ أولئك المنعوتون بما ذكر من النَّعْتِ الجميل عن جهنم ﴿ مُبْعَدُونَ ﴾ لأنَّهم في الجنة ، وشتان بينها ، وبين النار .

ومنه قوله ﷺ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴾ * أذن للَّذِينَ يُقْتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ^٤ ، فالله ﷻ في الآية الأولى أكد دفاعه عن الذين آمنوا ؛ ليؤكد تحقق هذا الوعد ، وأنَّه لا شك كائن ، وهو « كلام مستأنف مسوق لتوطين قلوب المؤمنين ببيان أنَّ الله تعالى ناصرهم على أعدائهم ، وتصديره بكلمة التَّحْقِيقِ لإبراز الاعتناء التَّام بمضمونه ، وصيغة المفاعلة ﴿ يُدَافِعُ ﴾ إما للمبالغة ، أو

^١ روح المعاني ٢٨ / ١٠٨ .

^٢ سورة الأنبياء / ٩٨ .

^٣ سورة الأنبياء / ١٠١ .

^٤ سورة الحج / ٣٨ - ٣٩ .

للدلالة على تكرر الدَّفْع ، فإنَّها قد تتجرَّد عن وقوع الفعل المتكرَّر من الجانبين ، فيبقى تكرُّره كالممارسة ؛ أي إنَّ الله تعالى يبالغ في دفع غائلة المشركين ، وضررهم الذي من جملة الصَّدِّ عن سبيل الله تعالى ، والمسجد الحرام مبالغة من يغالب فيه ، أو يدفعها عنهم مرَّةً بعد أخرى حسبما يتجدَّد منهم القصد إلى الإضرار بهم كما في قوله تعالى : ﴿ كَمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ ﴾^١ ، وكذا تأكيده في قوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴾ ، فهو « تعليل لما في ضمن الوعد الكريم من الوعيد للمشركين ، وإيدان بأنَّ دفعهم بطريق القهر والخزي . وقيل : تعليل للدَّفْع عن المؤمنين بيبغض المدفوعين على وجه يتضمن إنَّ العلة في ذلك الخيانة والكفر ، وأوثر ﴿ لَا يُحِبُّ ﴾ على يبغض تنبيهاً على مكان التَّعريض ، وأنَّ المؤمنين هم أحبَّاء الله تعالى ، ولعلَّ الأول أولى لإيهام هذا إنَّ الآية من قبيل قولك : ” إنِّي أدفع زيداً عن عمرو ؛ لبغضي زيداً “ وليس في ذلك كثير عناية بعمرو ؛ أي أنَّ الله تعالى يبغض كل خوان في أماناته تعالى ، وهي أوامره تعالى شأنه ونواهيته ، أو في جميع الأمانات التي هي معظمها كفور لنعمه عزَّ وجلَّ ، وصيغة المبالغة فيهما لبيان أنَّ المشركين كذلك ، لا للتَّقييد المشعر بمحبة الخائن ، والكافر ، أو لأنَّ خيانة أمانة الله تعالى ، وكفران نعمته لا يكونان حقيرين ، بل هما أمران عظيمان ، أو لكثرة ما خانوا فيه من الأمانات ، وما كفروا به من النِّعم ، أو للمبالغة في نفي المحبَّة على اعتبار النفي أولاً ، وإيراد معنى المبالغة ثانياً ، كما قيل في قوله تعالى : ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴾^٢ ، وقد علمت ما فيه .

وأياً ما كان فالمراد نفي الحبِّ عن كل فرد من الخونة الكفرة^٤ .

وفي قوله ﷻ : ﴿ وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴾ وعد لهم بالنَّصر ، وتأكيد لما مرَّ من العدَّة ، وتصريح بأنَّ المراد به ليس مجرد تخليصهم من أيدي المشركين بل تغليبهم ، وإظهارهم عليهم ، وقد أخرج الكلام على سنن الكبرياء فإنَّ الرَّمزة والابتسام من الملك

^١ سورة المائدة / ٤٦ .

^٢ روح المعاني ١٧ / ١٦١ .

^٣ سورة فصلت / ٦٤ .

^٤ روح المعاني ١٧ / ١٦١ .

الكبير كافية في تيقن الفوز بالمطلوب ، وقد أكد تأكيداً بليغاً زيادة في توطين نفوس المؤمنين^١ .

ومنه قوله ﷺ : ﴿ وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا حَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِن قَبْلٍ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِّيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ﴾^٢ ، فنرى قوله ﷺ : ﴿ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ﴾ جملة خبرية مؤكدة ليؤكد تحقيق الوعيد للكافر جاعل الأنداد لله بأنه لاشك ، ولا ريب في أنه من أصحاب النار أي من سكانها المخدئين فيها .

* وقد يكون داعي التوكيد هو رغبة المتكلم في تقوية مضمون الكلام ، وتقريره في نفس المخاطب

:

كما في قوله ﷺ : ﴿ إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴾ ، فالخبر هنا مؤكداً ؛ لأنه ﷺ أراد أن يقوي مضمون هذا الخبر ، ويقرره في نفس موسى - عليه الصلاة والسلام - ، بأنه لا إله إلا هو ، حيث يقول إنني أنا المعبود الذي لا تصلح العبادة إلا له ، لا إله إلا أنا فلا تعبد غيري ، فإنه لا معبود تجوز ، أو تصلح له العبادة سواي فاعبُدني ؛ أي فأخلص العبادة لي دون كل ما عبد من دوني ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴾ .

ومنه قوله ﷺ : ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴾ * وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ * وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾^٣ ، فالآيات هذه كلها أخبار جاءت مؤكدة ، لأن الله ﷻ أراد أن يقوي مضمون هذه الأخبار ، ويقررها في النفوس ، فيقول إن « في تعذيبنا قوم شعيب عذاب يوم الظلة ، بتكذيبهم نبيهم شعيباً ، لآية لقومك يا محمد ، وعبرة لمن اعتبر ، إن اعتبروا أن سنتنا فيهم بتكذيبهم إياك ، سنتنا في أصحاب الأيكة ، ﴿ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴾ في سابق علمنا فيهم ، ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ يَا مُحَمَّدَ لَهُوَ الْعَزِيزُ ﴾ في نعمته ممن انتقم منه من أعدائه ﴿ الرَّحِيمُ ﴾ بمن تاب من خلقه ، وأتاب إلى طاعته «^٤ ، ثم أكد أن هذا القرآن تنزيل رب العالمين .

^١ المصدر السابق ١٧ / ١٦٢ .

^٢ سورة الزمر / ٨ .

^٣ سورة الشعراء / ١٩٠ - ١٩٢ .

^٤ جامع البيان في تفسير القرآن ١٩ / ٦٨ .

ومنه قوله ﷺ: ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ﴾^١ ، فقوله ﷺ: ﴿إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ﴾ جملة خبرية مؤكدة لأنه ﷺ أراد أن يقوي مضمون هذا الخبر ، ويقرره في نفس « نبيه محمد ﷺ ففوض إلى الله يا محمد أمورك ، وثق به فيها ، فإنه كافيك ، ﴿إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ﴾ لمن تأمله ، وفكر ما فيه بعقل ، وتدبره بفهم ، أنه الحق ، دون ما عليه اليهود والنصارى المختلفون من بني إسرائيل ، ودون ما عليه أهل الأوثان المكذبوك فيما أتيتهم به من الحق»^٢ .

ومنه قوله ﷺ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا﴾^٣ ، فالخبر هنا مؤكداً ، لأنه ﷺ أراد أن يقوي مضمون هذا الخبر ، وهو تنزيل القرآن أنه من عنده ، ويقرره في نفس نبيه محمد ﷺ ، وجاء التوكيد ب ﴿إِنَّ﴾ لمضمون الخبر ، ومدلول المخبر عنه ، وأكد الفعل بالمصدر ، ليؤكد للرسول ﷺ أنه وعد حق لا ريب فيه ، ليطمئنه ويثبت قلبه ، ويثبت قلوب المؤمنين .

* وقد يكون التوكيد لغرابية الخبر :

كما في قوله ﷺ: ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِي الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يُمُوسَىٰ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾^٤ ، فقوله ﷺ: ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ جملة خبرية مؤكدة على خلاف مقتضى الظاهر ، لأن الله ﷻ هو القائل ، فلا داعي للتأكيد ، ولكن أكد الخبر لغرابية الأمر على موسى - عليه الصلاة والسلام - في هذه الحال ، لأنه ذهب إلى النار كما قال : ﴿إِنِّي أَنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾^٥ ، فإذا به يسمع ذلك الصوت ، فأكد الخبر لغرابيته ، وكأنه يقول : «إن الذي يخاطبك ، ويكلّمك هو رب العالمين ، الفعّال لما يشاء لا إله غيره ، ولا رب سواه ، تعالى وتقدّس ، وتنزّه عن مماثلة المخلوقات في ذاته ، وصفاته وأقواله وأفعاله سبحانه»^٦ .

* وقد يؤكد الخبر للإشارة إلى مجيئه على غير ما كان يرجو المتكلّم ، ويأمل :

^١ سورة النمل / ٧٩ .

^٢ جامع البيان في تفسير القرآن ٢٠ / ٩ .

^٣ سورة الإنسان / ٢٣ .

^٤ سورة القصص / ٣٠ .

^٥ سورة القصص / ٢٩ .

^٦ تفسير القرآن العظيم ٦ / ٢١٠ .

وكأن نفس المتكلم تنكره فيؤكد لها ، نحو قوله ﷺ : ﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ انِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾^١ ، فقول أم مريم - عليهما السلام - ﴿ رَبِّ انِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ ﴾ جملة خبرية مؤكدة ، لأنَّ أم مريم كانت تأمل أن تتجب ذكراً ؛ لأنها وهبته لخدمة بيت الله الحرام ﴿ رَبِّ انِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾^٢ ، فإذا بها تفاجأ أنَّ المولود أنثى ، لا ذكراً ََََََََََََ ، فأكدت الخبر ﴿ رَبِّ انِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ ﴾ .

ونحوه قوله ﷺ ﴿ قَالَ رَبِّ انِّي قَوْمِي كَذَّبُونِ * فَأَفْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾^٣ ، فقول نوح - عليه الصلاة والسلام - : ﴿ قَالَ رَبِّ انِّي قَوْمِي كَذَّبُونِ ﴾ جملة خبرية مؤكدة مع أنَّ نوح - عليه الصلاة والسلام - يخاطب ربَّ العزة ، الذي يعلم السرَّ ، وأخفى ، فلا داعي للتوكيد ، ولكن نوح - عليه الصلاة والسلام - لم يؤكد لهذا الأمر ، وإنما أكد الخبر ؛ لأنه كان يأمل أن يستجيب قومه له ، ولكن حصل ما لم يأمله ، فأكد الكلام لنفسه .

وهناك أسباب ، ودواعي كثيرة وردت في النظم القرآني يؤكد لها الخبر ، فنكتفي

بما ذكر .

^١ سورة آل عمران / ٣٦ .

^٢ سورة آل عمران / ٣٥ .

^٣ سورة الشعراء / ١١٧ - ١١٨ .

المبحث الثالث

تأكيد الجملة الخبرية

إنَّ ممَّا أغمض الطَّرِيقَ إلى معرفته توكيد الجملة الخبرية في أحيان كثيرة منها ما رُوِيَ عن ابن الأنباري أنه قال : ركب الكندي المتفلسف إلى أبي العباس ، وقال له : ((إنِّي لأجد في كلام العرب حشواً)) ، فقال له أبو العباس : ((في أيِّ موضع وجدت ذلك)) ، فقال : أجد العرب يقولون : ((عبد الله قائم)) ، ثمَّ يقولون : ((إنَّ عبدَ الله قائم)) ، ثمَّ يقولون : ((إنَّ عبدَ الله لقائم)) ، فالألفاظ متكررة ، والمعنى واحد ، فقال أبو العباس : ((بل المعاني مختلفة لاختلاف الألفاظ ، فقولهم : ((عبد الله قائم)) إخبارٌ عن قيامه ، وقولهم : ((إنَّ عبدَ الله قائم)) جواب عن سؤال سائل ، وقولهم : ((إنَّ عبدَ الله لقائم)) جواب عن إنكار منكر قيامه ، فقد تكررت الألفاظ لتكرر المعاني . فلو أنَّ الكندي استقرأ ، وتصفَّح ، وتتبع مواقع إنَّ ، ثمَّ ألطف النَّظر ، وأكثر التدبُّر لعلم علم ضرورة أنَّ ليس سواء دخولها ، وعدمه ، لهذا أحببت أن أوضِّح بعضاً من ذلك^١ :

مؤكِّدات الإسناد الخبري

لكلِّ من الجملة الفعلية ، والجملة الاسمية موجبة كانت ، أو سالبة مؤكِّدات تؤكِّده إرادة صحَّة و صدق الإسناد فيها ، أو تؤكِّد تحقُّق صدق الإسناد فيها موجباً كان ، أو سالباً .

و الأصل في بناء الجملة في اللسان العربي الجملة الفعلية ، خالية ممَّا يدلُّ على إرادة تأكيد النسبة فيها^٢ ، مثل قوله ﷺ : ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾^٣ ، و مثله قوله ﷺ : ﴿ فَأَرْزَلَهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ﴾^٤ ، و مثله قوله ﷺ : ﴿ نَزَلَ عَلَيْكَ

^١ يُنظَر : دلائل الإعجاز / ٢٤٢ - ٢٤٣ .

^٢ البلاغة العربية أسسها ، وعلومها ، وفنونها / ١ / ١٨٦ .

^٣ سورة البقرة / ٣١ .

^٤ سورة البقرة / ٣٦ .

الْكِتَابِ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴿١﴾ ، و مثله قوله ﷺ : ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴾ ﴿٢﴾ ، و مثله قوله ﷺ : ﴿ لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴾ ﴿٣﴾ ، و مثله قوله ﷺ : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ ﴿٤﴾ ، و مثله قوله ﷺ : ﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ ﴿٥﴾ ، و مثله قوله ﷺ : ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ ﴾ ﴿٦﴾ .

((ويؤكد الإسناد في الجملة الخبرية بمؤكدات قد ينفرد بعضها ، وقد يجتمع مع

غيره بشروط ، ويختص بعضها بالجملة الفعلية ، وبعضها يختص بالجملة الاسمية)) ﴿٧﴾ .

^١ سورة آل عمران / ٣ .

^٢ سورة آل عمران / ١٤ .

^٣ سورة النساء / ١٤٨ .

^٤ سورة المائدة / ٩ .

^٥ سورة المائدة / ٤٦ .

^٦ سورة المائدة / ٤٨ .

^٧ البلاغة العربية أسسها ، وعلومها ، وفنونها / ١ / ١٨٦ .

مؤكدات الجملة الخبرية في القرآن الكريم

عناصر توكيد الجملة الخبرية في القرآن الكريم كثيرة جداً لا يمكن حصرها ،
 فيأتي التوكيد من قبل بناء الكلام ، وأدوات التوكيد ؛ فالذكر فيه توكيد ، وكذا الحذف قد
 يفيد ، والفصل والوصل ، وكثير من ألوان الإطناب البلاغي ، و الالتفات ، وكل ألوان
 البيان ، وكل ذلك يفيد تثبيت المعنى ، أو نفيه ، بل قد تدلُّ الكلمة بخصوص دلالتها على
 المعنى مع التوكيد ، كما في قوله ﷺ : ﴿ قُلْنَا لَا تَخَفُ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى ﴾^١ ، فكلمة العلو
 أفادت معناها مع التوكيد عليه ، وفي هذه الآية تواكيد عدة ، ففي ((الْأَعْلَى)) تقرير لغلبته
 ، وقهره ، ومعه توكيد بالاستئناف ، وبالحرف ((إِنَّ)) ، وبتكرير الضمير ((إِنَّكَ أَنْتَ)) ،
 وتعريف الخبر ((الْأَعْلَى)) ، واختصاص هذه المادة بالعلو ممّا يفيد الغلبة والتفضيل ، قال
 الزمخشري - رحمه الله - عند تفسيره هذه الآية : ((فيه تقرير لغلبته وقهره ، وتوكيد
 بالاستئناف ، وبكلمة التشديد ، وبتكرير الضمير وبلاد التعريف ، وبلفظ العلو ، وهو الغلبة
 الظاهرة ، وبالتفضيل))^٢ .

هذا كله يدخل من باب التوكيد ، والتقرير لحالة نبي الله موسى - عليه السلام -
 حتى ينتفي عنه الخوف ((لَا تَخَفْ)) .
 لتوكيد الجملة الخبرية طرق ، وأدوات .

أولاً - طرق توكيد الجملة الخبرية

الطريق المؤكدة الأولى - تقديم الفاعل من حيث المعنى على فعله

وإنما قلت من حيث المعنى ؛ لأنَّ الفاعل عند النُّحاة لا يتقدّم على فعله ، وإن
 قدّم أعربوه مبتدأً ، لا فاعلاً .

و البلاغيون لا يختلفون مع النحويين من حيث الإعراب ، لكن يذهبون إلى ما
 هو أبعد من ذلك ، فيعدّون الفاعل المقدّم على فعله فاعلاً من حيث المعنى ، فمثلاً في

^١ سورة طه / ٦٨ .

^٢ الكشّاف / ٢ / ٥٤٤ . يُنظَر : البحر المحيط / ٧ / ٣٥٢ ، روح المعاني / ١٦ / ٢٢٨ .

قوله ﷻ : ﴿ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾^١ ، يعدُّون لفظ الجلالة ﴿ اللَّهُ ﴾ فاعلاً من حيث المعنى ، بحيث يفرِّقون بين الجملتين : ((اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ)) ، و ((يَسْتَهْزِئُ اللَّهُ بِهِمْ)) ، ويجعلون جملة : ((اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ)) مفيدة للتوكيد ؛ لأنَّ المسند إليه وهو الفاعل - لفظ الجلالة ﴿ اللَّهُ ﴾ - قد أسند إليه الفعل - الأستَهْزَاءُ - مرتين ، أسند إليه أولاً ؛ لأنَّ جملة يستهزئ خبراً له ، و ثانياً أسند إلى ضميره ، واجتماع هذين الإسنادين في الجملة بمثابة تكرير الجملة ، كأنه قال : ((اللهُ يَسْتَهْزِئُ اللَّهُ بِهِمْ)) ، وتحولت الجملة الفعلية إلى الجملة الاسمية^٢ .

قال الطاهر بن عاشور - رحمه الله - عند تفسيره هذه الآية : ((فكان الاستئناف بقوله : ((اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ)) غاية الفخامة والجزالة . ولم يقل " يستهزأ الله بهم " ؛ لأنَّ ما يجول في خاطر السائل يقول : من الذي يتولَّى مقابلة ذلك سوء صنيعهم ، فأعلم أنَّ الذي يتولَّى ذلك هو ربُّ العزة تعالى . وفي ذلك تنويه بشأن المنتصر لهم ، وهم المؤمنون ، كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾^٣ ، فتقديم المسند إليه على الخبر الفعلي هنا لإفادة تقوي الحكم لا محالة ، ثم يفيد مع ذلك قصر المسند على المسند إليه ، فإنَّه لما كان تقديم المسند إليه على المسند الفعلي في سياق الإيجاب يأتي لتقوي الحكم ، ويأتي للقصر على رأي الشيخ عبد القاهر ، وصاحب الكشاف^٤ ، كما صرح به في قوله : ﴿ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴾^٥ ، كان الجمع بين قصر النَّقْوَى ، وقصد التَّخْصِصِ جائزاً في مقاصد الكلام البليغ ، وقد جوزه الكشاف^٦ عند قوله تعالى : ﴿ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴾^٧ ؛ لأنَّ ما يراعيه البليغ من الخصوصيات لا يُترك حمل الكلام البليغ عليه ، فكيف بأبلغ كلام ، ولذلك يُقال نُكَّتْ لا تتراحم))^٨ .

^١ سورة البقرة / ١٥ .

^٢ يُنظَر : البلاغة العربية أسسها ، وعلومها ، وفنونها / ١ - ١٨٦ - ١٨٧ ، و البلاغة فنونها ، وأفنانها / ١٢١ .

^٣ سورة الحج / ٣٨ .

^٤ يُنظر الكشاف / ٤ / ١٧٨ .

^٥ سورة المزمل / ٢٠ .

^٦ يُنظر الكشاف / ٤ / ١٦٩ .

^٧ سورة الجن / ١٣ .

^٨ التَّحْرِيرُ وَالتَّوْبِيرُ / ١ / ٢٩٣ .

ومثله قوله ﷺ: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضلاً وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾^١.

ونحو قوله ﷺ: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضلاً وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾^٢، ((﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ﴾ استئناف لبيان سبب تيمم الخبيث في الإنفاق، وتوهين شأنه، والوعد في أصل وضعه لغة شائع في الخير والشر، وأما في الاستعمال الشائع فالوعد في الخير، والإيعاد في الشر حتى يحملوا خلافة على المجاز والتَّهْكُم، وقد استعمل هنا في الشر نظراً إلى أصل الوضع لأنَّ الفقر مما يراه الإنسان شراً، ولهذا يخوِّف الشيطان به المتصدِّقين، فيقول لهم: لا تنفقوا الجيد من أموالكم، وأنَّ عاقبة إنفاقكم أن تنفقوا، وتسمية ذلك وعداً مع أنَّه اعتبر فيه الإخبار بما سيكون من جهة المخبر، والشيطان لم يضيف مجيء الفقر إلى جهته للإيذان بمبالغة اللعين في الإخبار بتحقيق مجيئه، كأنَّه نزلَه في تقرُّر الوقوع منزلة أفعاله الواقعة حسب إرادته، أو لوقوعه في مقابلة وعده تعالى على طريق المشاكلة، ومن النَّاس من زعم أنَّ استعمال الوعد هنا في الخير حسب الاستعمال الشائع، والمراد أنَّ ما يخوِّفكم به هو وعد الخير؛ لأنَّ الفقر للإنفاق أجل خير، ولا يخفى أنَّه بمراحل عن مذاق التَّنْزِيل))^٣.

ومثله: ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ من قوله ﷺ: ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلاً عَظِيماً﴾^٤، فقدَّم لفظ الجلالة "اللَّهُ" الفاعل في الأصل فجعله مبتدأ ليؤكد الجملة الخبرية، بحيث يؤكد بأنَّ الله ﷻ وحده هو الذي يريد أن يتوب عليكم. قال الطاهر بن عاشور - رحمه الله - عند تفسيره هذه الآية: ((قدَّم المسند إليه على الخبر الفعلي في قوله: ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ ليدلَّ على التَّخْصِصِ الإِضَافِيِّ، أي: الله وحده هو الذي يريد أن يتوب عليكم، أي: يحرضكم على التَّوْبَةِ، والإقلاع عن المعاصي، وأما الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ، فيريدون انصرافهم عن الحقِّ، وميلكم عنه إلى المعاصي، وإطلاق الإرادة على رغبة أصحاب الشَّهَوَاتِ في ميل المسلمين عن الحقِّ لمشاكلة: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ﴾^٥، والمقصود: ويحبُّ الذين

^١ سورة البقرة / ٢٦٨.

^٢ سورة البقرة / ٢٦٨.

^٣ يُنْظَر: روح المعاني ٣ / ٤٠.

^٤ سورة النساء / ٢٧.

^٥ سورة النساء / ٢٦.

يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا ، وَلَمَّا كَانَتْ رَغْبَتُهُمْ عَلَى مِيلِ الْمُسْلِمِينَ عَنِ الْحَقِّ رَغْبَةً لَا تَخْلُو عَنْ سَعِيهِمْ لِحَصُولِ ذَلِكَ ، أَشْبَهَتْ رَغْبَتَهُمْ إِرَادَةَ الْمُرِيدِ لِلْفِعْلِ ، وَنَظِيرُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى بَعْدَ هَذِهِ الْآيَةِ : ﴿ يَشْتَرُونَ الضَّلَالََةَ وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ ﴾^١ ((^٢ .

ومثله قوله ﷻ : ﴿ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيصُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ ﴾^٣ .

ومثله قوله ﷻ : ﴿ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ ﴾^٤ .

ومثله قوله ﷻ : ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لَكُمْ لَا يَعْلَمُ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴾^٥ .

ومثله قوله ﷻ : ﴿ وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِي رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفَبِعِزَّةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾^٦ .

ومثله قوله ﷻ : ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِالنِّعْمَةِ اللَّهُ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴾^٧ .

ومثله قوله ﷻ : ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾^٨ .

ومثله قوله ﷻ : ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثْنَا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴾^٩ .

ومثله قوله ﷻ : ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمُ بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴾^{١٠} .

^١ سورة النساء / ٤٤ .

^٢ التحرير والتثوير / ٥ / ٢١ .

^٣ سورة الرعد / ٨ .

^٤ سورة الرعد / ٢٦ .

^٥ سورة النحل / ٧٠ .

^٦ سورة النحل / ٧١ .

^٧ سورة النحل / ٧٢ .

^٨ سورة النحل / ٧٨ .

^٩ سورة النحل / ٨٠ .

^{١٠} سورة النحل / ٨١ .

الطريق المؤكدة الثانية - الجملة الاسمية :

الجملة الاسمية تفيد التوكيد بطريق الثبوت والاستمرار كما في الجملة الاسمية الخبرية ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾^١ .

فتوكيد الجملة الاسمية لا يكون بها وحدها ، وإنما يكون بضمينة توكيد آخر بالحرف ((إِنَّ)) ، أو بالمقام المساعد على ذلك ، هذا ما قرره أهل البلاغة من سياق النصوص .

وقد يكون التوكيد بترتيب عناصر الجملة ترتيباً خاصاً يؤكد المعنى المراد ، كما في قوله ﷺ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَعْضُونَ أَسْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى ﴾^٢ ، ففي هذه الآية توكيدات عديدة ، منها نظم الآية ، حيث أكد المعنى ، قال الزمخشري - رحمه الله - في هذه الآية : ((وهذه الآية بنظمها الذي رتبت عليه ؛ من إيقاع الغاضين أصواتهم اسماً لـ ((إِنَّ)) المؤكدة ، وتصيير خبرها جملة من مبتدأ وخبر معرفتين معاً . والمبتدأ : اسم الإشارة ، واستئناف الجملة المستودعة ما هو جزاؤهم على عملهم ، وإيراد الجزاء نكرة : مبهماً أمره ناظرة في الدلالة على غاية الاعتداد ، والارتضاء لما فعل الذين وقرؤا رسول الله ﷺ من خفض أصواتهم ، وفي الإعلام بمبلغ عزة رسول الله ﷺ وقدر شرف منزلته ، وفيها تعريضٌ بعظيم ما ارتكب الرافعون أصواتهم ، واستيجابهم ضد ما استوجب هؤلاء))^٣ .

واختيار الجملة الاسمية ابتداءً بدل الجملة الفعلية يُعتبر من مؤكدات الجملة الخبرية ؛ لأنَّ الجملة الاسمية تحمل تأكيداً لا تحمله الجملة الفعلية ، وهو أنَّ خبر الجملة الاسمية يحمل في التقدير الذي يلاحظ في ذهن العربي ضميراً يعود على المبتدأ ، أو ما أصله المبتدأ ، فيكون حال الجملة الاسمية دوماً مثل حال تقديم ما هو فاعل في المعنى على فعله ، قد جرى فيها الإسناد إلى المسند إليه مرتين : بحيث أسند إلى الاسم الظاهر ، وأسند إلى ضميره^٤ .

^١ سورة البقرة / ١٠٣ .

^٢ الحجرات / ٣ .

^٣ الكشاف / ٣ / ٥٥٦ .

^٤ يُنظر : البلاغة العربية أسسها ، وعلومها ، وفنونها / ١ / ١٨٧ ، و البلاغة فنونها ، وأفنانها / ١٢١ .

مثل قوله ﷻ : ﴿ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلاً وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾^١ . فجملة ﴿ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ ﴾ جملة اسمية استأنافية مؤكدة مسوقة للتحذير من الإصغاء للشيطان ووساوسه . وبعدها أيضاً الجملتين الاسميتين : ﴿ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلاً ﴾ ، و ﴿ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ هذه جملة اسمية مؤكدة .
ومثل قوله ﷻ : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثاً ﴾^٢ .

ومثل قوله ﷻ : ﴿ بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾^٣ ، فهي جملة خبرية تفيد التوكيد ، فـ ﴿ بَرَاءَةٌ ﴾ مبتدأ ، ﴿ مِنَ اللَّهِ ﴾ نعت لها ، و ﴿ إِلَى الَّذِينَ ﴾ شبه الجملة في محل رفع خبر^٤ .

ومثل قوله ﷻ : ﴿ وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾^٥ .

ومثل قوله ﷻ : ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾^٦ . فقوله ﷻ : ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ جملة اسمية مؤكدة . وكذا قوله ﴿ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ .

ومثل قوله ﷻ : ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكْعاً سَجداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً ﴾^٧ .

^١ سورة البقرة / ٢٦٨ .^٢ سورة النساء / ٨٧ .^٣ سورة التوبة / ١ .^٤ يُنظَر : إملاء ما من به الرحمن / ٣٠٧ .^٥ سورة التوبة / ٣ .^٦ سورة النور / ٣٥ .^٧ سورة الفتح / ٢٩ .

ومثل قوله ﷻ : ﴿ هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴾^١.

ومن مؤكّدات الجملة الخبرية

أدوات تأكيد الجملة الخبرية

أدوات تأكيد الجملة الخبرية كثيرة منها : (إِنَّ) ، ولام الابتداء ، وضمير الفصل ، والقسم ، وإمّا الشرطية ، وحرفا التنبيه ؛ (ألا) ، و (أمّا) ، والحروف الزائدة ؛ (إِنَّ) ، و (أَنْ) ، و (ما) ، و (من) ، و الباء ، و (قد) التي هي للتّحقيق ، والسّين ، و سوف الدّاخلتان على فعل دالّ على وعدٍ ، أو وعيدٍ ، و تكرير النّفي ، و (إنّما) ، و نونا التّوكيد .

المؤكّد الأوّل - ((إِنَّ)) ، و ((أَنْ))

بكسر الهمزة ، وفتحها ، وهما من الأحرف المشبّهة بالفعل ؛ لأنّها تعمل فيما بعدها عمل الفعل فيما بعده ، وتدخلان على الجمل الاسميّة^١ .
((فر (إِنَّ)) و ((أَنْ)) مجازهما واحد ؛ فلذلك عددناهما حرفاً واحداً^٢) .

وكلّ منهما ينصب المبتدأ الذي لا يلزم الصّدارة دائماً ، ويسمّى اسمها ، ويرفع الخبر غير الطّلبيّ و الإنشائي ، ويسمّى خبرها . وتفيدان تأكيد النّسبة بين اسمها وخبرها^٣ .

قال الجوهري - رحمه الله - : ((إِنَّ)) و ((أَنْ)) : حرفان ينصبان الأسماء ، ويرفعان الأخبار ، فالمكسورة منهما يؤكّد بها الخبر ، والمفتوحة وما بعدها في تأويل مصدر . وقد يخفّفان ، فإذا خُفّفتا : فإن شئت أعملت ، وإن شئت لم تعمل^٤ .
مواضع (إِنَّ) مخالفة لمواضع (أَنْ) .

^١ يُنظَر : الكتاب ٢ / ١٣١ ، والمقتضب ٢ / ٣٤٠ .

^٢ المقتضب ٢ / ٣٤٠ .

^٣ البلاغة العربيّة أسسها ، وعلومها ، وفنونها ١ / ١٨٩ .

^٤ الصّاح ٥ / ١٦٧٥ . (أنن) .

مواضع ((إن))

لـ ((إن)) ثلاث حالات وهي : وجوب الكسر ، ووجوب الفتح ، وجواز الأمرين^١

أولاً : مواضع وجوب كسر ((إن))

يجب كسر ((إن)) في تسع مواضع ، ذكرها ابن هشام - رحمه الله - فقال : ((تكسر ((إن)) في : الابتداء ، وفي أول الصلّة ، والصفة ، والجملة الحالية ، والمضاف إليها ما يختص بالجملة ، والمحكيّة بالقول ، وجواب القسم ، والمخبر بها عن اسم عين ، وقبل اللام المعلقة))^٢ .

ثم فصل - رحمه الله - هذه المواضع فقال : ((فيجب الكسر في تسع مسائل : إحداهما : في ابتداء الكلام نحو : ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴾^٣ ، ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾^٤ . الثانية : أن تقع في أول الصلّة كقوله تعالى : ﴿ وَأَتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنْتُوءَ ﴾^٥ ، " ما " مفعول ثانٍ لـ " آتَيْنَاهُ " ، وهي موصولة بمعنى الذي ، و " إن " وما بعدها صلة ، واحترزت بقولي : أول الصلّة من نحو : ((جاء الذي عندي أنه فاضل)) فإن واجبة الفتح ، وإن كانت في الصلّة لكنها ليست في أولها . الثالثة : أن تقع في أول الصفة كـ ((مَرَرْتُ بِرَجُلٍ إِنَّهُ فَاضِلٌ)) ، ولو قلت : ((مَرَرْتُ بِرَجُلٍ عِنْدِي أَنَّهُ فَاضِلٌ)) لم تكسر ؛ لأنها ليست في ابتداء الصفة . الرابعة : أن تقع في أول الجملة الحالية كقوله تعالى : ﴿ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ ﴾^٦ ، واحترزت بقيد الأوليّة من نحو : ((أَقْبَلَ زَيْدٌ وَعِنْدِي أَنَّهُ ظَافِرٌ)) .

^١ يُنظَر : المقتضب ٢ / ٣٤٠ - ٣٤١ ، وشرح شذور الذهب : ١ / ٢٦٤ - ٢٦٥ .

^٢ شرح شذور الذهب : ١ / ٢٦٤ - ٢٦٥ .

^٣ سورة الكوثر / ١ .

^٤ سورة القدر / ١ . وينظر : رسالتان في اللغة / ٥٧ .

^٥ سورة القصص / ٧٦ .

^٦ سورة الأنفال / ٥ .

الخامسة : أن تقع في أول الجملة المضاف إليها ما يختص بالجملة ، وهو " إذ " ، و " إذا " ، و " حيث " ، نحو : « جَلَسْتُ حَيْثُ إِنَّ زَيْدًا جَالِسٌ » ، وقد أُلْعَ الفقهَاء وغيرهم بفتح " إِنَّ " بعد " حيث " ، وهو لحن فاحش ، فإنها لا تضاف إلا إلى الجملة ، و " أَنْ " المفتوحة ومعمولاها في تأويل المفرد ، واحتُرزت بقيد الأوليّة من نحو : « جَلَسْتُ حَيْثُ اعْتَقَادَ زَيْدٌ أَنَّهُ مَكَانٌ حَسَنٌ » ولم أرَ أحداً من النحويين اشترط الأوليّة في مسألتي الحال ، وحيث ، ولا بدّ من ذلك .

السادسة : أن تقع قبل اللام المعلقة نحو : ﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴾^١ ، فاللام من " لَرَسُولُهُ " ومن " لَكَاذِبُونَ " معلقان لفعلي العلم والشهادة ، أي : مانعان لهما من التسلط على لفظ ما بعدهما فصار لما بعدهما حكم الابتداء ، فلذلك وجب الكسر ، ولولا اللام لوجب الفتح ، كما قال الله تعالى : ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ ﴾^٢ ، و ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴾^٣ .

السابعة : أن تقع محكية بالقول ، نحو : ﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ﴾^٤ ، و ﴿ وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ﴾^٥ ، ﴿ قُلْ إِنْ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ ﴾^٦ .
الثامنة : أن تقع جواباً للقسم كقوله تعالى : ﴿ حَم * وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ * إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ ﴾^٧ .

التاسعة : أن تقع خبراً عن اسم عين نحو : « زَيْدٌ إِنَّهُ فَاضِلٌ » ، وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾^٨ .
٩

^١ سورة المنافقين / ١ .

^٢ سورة الأنفال / ٤١ .

^٣ سورة آل عمران / ١٨ .

^٤ سورة مريم / ٣٠ .

^٥ سورة الأنبياء / ٢٩ .

^٦ سورة سبأ / ٤٨ .

^٧ سورة النحان / ١ - ٣ .

^٨ سورة الحج / ١٧ .

^٩ شرح شذور الذهب : ١ / ٢٦٥ - ٢٦٧ ، وينظر : رسالتان في اللّغة / ٥٧ - ٥٨ .

ثانياً : مواضع وجوب فتح ((إن))

و ((إن)) المفتوحة فهي مع ما بعدها بمنزلة المصدر ، ولا بدّ من أن يعمل فيها ما يعمل في الأسماء ، فالمفتوحة أبداً بمعنى المصدر ، والمكسورة بمعنى الاستئناف وما جرى مجراه لأنّ الحكاية بعد القول تجرى مجرى الاستئناف ، ولذا يجب فتح ((إن)) في ثمانية مواضع .

ذكر ابن هشام - رحمه الله - أنّه يجب فتحها في ثمانية مواضع ، فقال : ((ويجب الفتح في ثمان مسائل :

- ١ إحداهما : أن تقع فاعلة نحو : ﴿ أَوْلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ ﴾^١ ، أي : إنزلنا .
- ٢ الثانية : أن تقع نائبة عن الفاعل نحو : ﴿ وَأَوْحِيْ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ ﴾^٢ ، ﴿ قُلْ أَوْحِيْ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ ﴾^٣ .
- ٣ الثالثة : أن تقع مفعولاً لغير القول نحو : ﴿ وَلَا تَخَافُوكُمْ أَنْتُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ ﴾^٤ .
- ٤ الرابعة : أن تقع في موضع رفع بالابتداء نحو : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْتَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً ﴾^٥ .
- ٥ الخامسة : أن تقع في موضع خبر عن اسم معنى نحو : ((اعْتِقَادِي أَنْتَ فَاصِلٌ)) .
- ٦ السادسة : أن تقع مجرورة بالحرف نحو : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ ﴾^٦ .
- ٧ السابعة : أن تقع مجرورة بالإضافة نحو : ﴿ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنْتُمْ تَنْطِفُونَ ﴾^٧ .
- ٨ الثامنة : أن تقع تابعة لشيء مما ذكرنا نحو : ﴿ اذْكُرُوا نِعْمَتِي الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾^٨ ، ونحو : ﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ ﴾^٩ ، فإنّها في الأولى معطوفة على المفعول وهو " نِعْمَتِي " ، وفي الثانية بدل منه وهو " إِحْدَى "))^{١٠} .

^١ سورة العنكبوت / ٥١ .

^٢ سورة هود / ٣٦ .

^٣ سورة الجن / ١ .

^٤ سورة الأنعام / ٨١ .

^٥ سورة فصلت / ٣٩ .

^٦ سورة الحج / ٦ .

^٧ سورة الذّاريات / ٢٣ .

^٨ سورة البقرة / ٤٧ .

^٩ سورة الأنفال / ٧ .

^{١٠} شرح شذور الذهب : ١ / ٢٦٨ - ٢٦٩ ، وينظر : رسالتان في اللّغة / ٥٨ .

ثالثاً : مواضع جواز فتح وكسر ((إن))

ويجوز فيها الأمران في ثلاثة مواضع ، ذكرها ابن هشام - رحمه الله - فقال : ((ويجوز الوجهان في ثلاث مسائل في الأشهر :

إحداها : بعد " إذا " الفجائية كقولك : « خَرَجْتُ فَإِذَا إِنِّ زَيْدًا بِالْبَابِ » ، قال الشاعر :

وَكُنْتُ أَرَى زَيْدًا - كَمَا قِيلَ - سَيِّدًا إِذَا أَنَّهُ عَبْدُ الْقَفَا وَاللَّهَازِمِ^١
 يروى بفتح " أن " وبكسرهما .

الثانية : بعد الفاء الجزائية كقوله تعالى : ﴿ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾^٢ ، فُريء بكسر " إن " وفتحها .

الثالثة : في نحو : « أَوَّلُ قَوْلِي أَنِّي أَحْمَدُ اللَّهُ » ، وضابط ذلك أن تقع خبراً عن قولٍ ، وخبرها قولٌ ، كـ " أَحْمَد " ونحوه ، وفاعل القولين واحدٌ ، فما استوفى هذا الضابط كالمثال المذكور جاز فيه الفتح على معنى : أَوَّلُ قَوْلِي حمد الله ، والكسر على جعل أَوَّلُ قَوْلِي مبتدأ ، وإني أحمد الله جملة أخبر بها عن هذا المبتدأ ، وهي مستغنية عن عائد يعود على المبتدأ ؛ لأنها نفس المبتدأ في المعنى ، فكأنه قيل : أَوَّلُ قَوْلِي هذا الكلام المفتوح بإني ، ونظير ذلك قوله - سبحانه - : ﴿ دَعَاؤُهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ ﴾^٣ ، وقول النَّبِيِّ : « أَفْضَلُ مَا قُلْتُهُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ »^٤ .^٥

^١ هذا البيت من شواهد سبويه ، التي لم تتسب على قائل . ينظر الكتاب : ٣ / ١٤٤ ، والمقتضب ٢ / ٣٥١ ، والخصائص ٢ / ٣٩٩ ، وابن يعيش ٤ / ٩٧ ، ٨ / ٦١ ، وخزانة الأدب للبغدادي ٤ / ٣٠٣ ، والأشموني ١ / ٢٧٦ .

والشاهد فيه جواز فتح " أن " ، وكسرهما بعد إذا ، فالفتح على تأويل المصدر مبتدأ والإخبار عنه بإذا ، والتقدير : فإذا العبودية ، أو الخبر محذوف ، أي : فإذا العبودية شأنه . والكسر على نية وقوعه المبتدأ والخبر بعد " إذا " .

^٢ سورة الأنعام / ٥٤ .

^٣ سورة يونس / ١٠ .

^٤ الحديث في شرح النووي على صحيح مسلم ١٧ / ١٨ ، وتحفة الأحوزي ٩ / ٣٠٨ .

^٥ شرح شنور الذهب : ١ / ٢٦٩ - ٢٧١ .

أولاً : ((إن)) المكسورة

قال المبرّد - رحمه الله - في (إن) : ((اعلم أنّ (إن) مكسورة مشبهة بالفعل بلفظها ، فعملها عمل الفعل المتعدّي إلى مفعول ٠٠٠ فر (إن) إنّما معناها الابتداء ؛ لأنّك إذا قلت : ((إن زيدا منطلقاً)) كان بمنزلة قولك : ((زيداً منطلقاً)) في المعنى ، وإنّ غيرت اللفظ .

وكذلك لكنّ ٠٠٠ أمّا (إنّ) فتكون صلة للقسم لأنّك لو قلت : ((والله زيداً منطلقاً)) لانقطع المحلوف عليه من القسم . فإن قلت : ((والله إنّ زيدا منطلقاً)) اتّصل بالقسم ، وصارت (إنّ) بمنزلة اللام التي تدخل في قولك : ((والله لزيداً خيراً منك))^١

كلام المبرّد هنا صريح في وجوب كسر همزة (إنّ) إذا وقعت في جواب القسم ، وإن لم يكن في خبرها اللام ، ونسب إليه الرّضي في شرح الكافية أنّه يجيز الفتح مع الكوفيين حيث قال : ((وكذا كُسِرَت في جواب القسم ؛ لأنّه جملة لا محالة ، نحو :)) بالله إنّك قائم)) ، وقد تفتح (إنّ) في جواب القسم عند المبرّد والكوفيّون إذا لم يكن في خبرها اللام ، ولعلّ ذلك لتأويلهم لها بالمفرد^٢ .

وهي الأصل في توكيد الجملة الخبرية ، وقد استعملت كثيراً في النظم القرآني ،

ومن ذلك :

• قوله ﷻ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾^٣ .

فقوله ﷻ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ﴾ جملة خبرية أكّدت بـ (إنّ) ، فقد أكّد الله ﷻ إنّ الذين كفروا ، أي بما أنزل إليك من ربك ، وإن قالوا إنّنا قد آمنّا بما قد جاءنا من قبلك ، فهم كافرون في قرارة نفوسهم ، فمهما أنذرتهم لا يؤمنون ، وكان ابن عباس - رضي الله عنهما - يرى أنّ هذه الآية ، نزلت في اليهود الذين كانوا بنواحي المدينة على عهد رسول الله ﷺ توبيخاً لهم في جحودهم نبوة محمد ﷺ وتكذيبهم به ، مع علمهم به ومعرفتهم بأنّه رسول الله ﷻ إليهم ، وإلى النّاس كافّة^٤ .

^١ يُنظَر : المقتضب ٢ / ٣٤٠ .

^٢ شرح الرّضي على الكافية ٢ / ٣٢٥ .

^٣ سورة البقرة / ٦ .

^٤ انظر جامع البيان في تفسير القرآن ١ / ١٤١ .

وقوله ﷺ : ﴿ أَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ فقد ظهر به الكلام ظهور الاستفهام ، وهو خبر ؛ لأنه وقع موقع أي ، كما تقول : ((لا نبالي أقمت ، أم قعدت)) ، وأنت مخبر لا مستفهم ؛ لوقوع ذلك موقع أي ، وذلك أن معناه : إذا قلت ذلك ما نبالي أي هذين كان منك ، فكذلك ذلك في قوله : ﴿ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ ﴾ لما كان معنى الكلام : سواء عليهم أي هذين كان منك إليهم حسن في موضعه ، مع سواء أفعلت ، أم لم تفعل ، وقد كان بعض نحويي البصرة يزعم أن حرف الاستفهام إنما دخل مع سواء ، وليس باستفهام ؛ لأن المستفهم إذا استفهم غيره ، فقال : ((أزيد عندك ، أم عمرو)) ، ومستثبت صاحبه أيهما عنده فليس أحدهما أحق بالاستفهام من الآخر ، فلما كان قوله ﴿ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ ﴾ بمعنى التسوية أشبه ذلك الاستفهام ؛ إذ شبهه في التسوية . فتأويل الكلام : إذا معتدلاً يا محمد على هؤلاء الذين جحدوا نبوتك من أحبار يهود المدينة بعد علمهم بها وتموا بيان أمرك للناس بأنك رسولي إلى خلقي ، وقد أخذت عليهم العهد والميثاق أن لا يكتموا ذلك ، وأن يبينوه للناس ، ويخبروهم أنهم يجدون صفتك في كتبهم أنذرتهم أم لم تنذرهم ، فأنهم لا يؤمنون ، ولا يرجعون إلى الحق ، ولا يصدقون بك ، وبما جنتهم به^١ .

- ومنه قوله ﷺ : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾^٢ .

فهذه الآية نزلت في المنافقين الذين كانوا على عهد رسول الله ﷺ ، وإن كان معنيا بها كل من كان بمثل صفتهم من المنافقين بعدهم إلى يوم القيامة ، فقولهم ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾ أي قالوا : إنما نريد الإصلاح بين الفريقين من المؤمنين وأهل الكتاب ، كما قال ابن عباس - رضي الله عنهما - وخالفه في ذلك غيره . ومنهم مجاهد ﷺ ، فقال : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ ﴾ قال : إذا ركبوا معصية الله ، ف قيل لهم : لا تفعلوا كذا وكذا ، قالوا : إنما نحن على الهدى مصلحون .

قال أبو جعفر ﷺ : وأي الأمرين كان منهم في ذلك ، أعنى في دعواهم أنهم مصلحون ، فهم لا شك أنهم كانوا يحسبون أنهم فيما أتوا من ذلك مصلحون . فسواء بين اليهود ، والمسلمين كانت دعواهم الإصلاح ، أو في أديانهم ، وفيما ركبوا من معصية

^١ جامع البيان في تفسير القرآن ١ / ١٤٤ .

^٢ سورة البقرة / ١١ .

الله ، وكذبهم المؤمنون فيما أظهروا لهم من القول ، وهم لغير ما أظهروا مستبطنون ، لأنهم كانوا في جميع ذلك من أمرهم عند أنفسهم محسنين ، وهم عند الله مسيئون ، ولأمر الله مخالفون لأن الله جل ثناؤه قد كان فرض عليهم عداوة اليهود وحربهم مع المسلمين ، وألزمهم التصديق برسول الله ﷺ وبما جاء به من عند الله كالذي ألزم من ذلك المؤمنين ، فكان لقاؤهم اليهود على وجه الولاية منهم لهم ، وشكهم في نبوة رسول الله ﷺ وفيما جاء به أنه من عند الله أعظم الفساد ، وإن كان ذلك كان عندهم إصلاحاً ، وهدى : في أديانهم ، أو فيما بين المؤمنين واليهود^١ .

• ومنه جملة : ﴿ إِنَّا مَعَكُمْ ﴾ من قوله ﷺ : ﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴾^٢ ، فقد أكد الجملة الخبرية بـ "إِنَّ" المؤكدة . قال الطاهر بن عاشور - رحمه الله - : ((واعلم أنه حكى خطابهم للذين آمنوا بما يقتضي أنهم حققوا لهم بقاءهم على دينهم بتأكيد الخبر بما دلَّ عليه حرف التأكيد في قوله : ﴿ إِنَّا مَعَكُمْ ﴾ ، مع أن مقتضى الظاهر أن يكون كلامهم بعكس ذلك ؛ لأن المؤمنين يشكون في إيمان المنافقين ، وقومهم لا يشكون في بقائهم على دينهم ، فجاءت حكاية كلامهم الموافقة لمدلولاته على خلاف مقتضى الظاهر لمراعاة ما هو أجدر بعناية البليغ من مقتضى الظاهر ، فخلَّوا خطابهم مع المؤمنين عمَّا يفيد تأكيد الخبر لأنهم لا يريدون أن يعرضوا أنفسهم في معرض من يتطرق ساحتها الشك في صدقه ؛ لأنهم إذا فعلوا ذلك ، فقد أيقظوهم إلى الشك ، وذلك من إتقان نفاقهم على أنه قد يكون المؤمنون أخصاء الذهن من الشك في المنافقين ؛ لعدم تعيينهم عندهم ، فيكون تجريد الخبر من المؤكِّدات مقتضى الظاهر .

وأما قولهم لقومهم : ﴿ إِنَّا مَعَكُمْ ﴾ بالتأكيد ، فذلك لأنه لما بدا من إبداعهم في النفاق ، وكذلك قولهم : ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴾^٣ ، فقد أبدوا به وجه ما أظهروه للمؤمنين ، وجاء فيه بصيغة قصر القلب لردِّ اعتقاد شياطينهم فيهم إنَّ ما أظهروه حقيقة ، وإيمان صادق))^٤ .

^١ انظر جامع البيان في تفسير القرآن ١ / ١٥٩ - ١٦٠ .

^٢ سورة البقرة / ١٤ .

^٣ سورة البقرة / ١٤ .

^٤ التحرير والتنوير ١ / ٢٩١ - ٢٩٢ .

ثم نقل - رحمه الله - رأي الزمخشري في العدول عن التوكيد في قولهم : ﴿ آمناً ﴾ ، وفي قولهم : ﴿ إِنَّا مَعَكُمْ ﴾ ، فقال : ((وقد وجّه صاحب الكشاف العدول عن التوكيد في قولهم : ﴿ آمناً ﴾ ، وفي قولهم : ﴿ إِنَّا مَعَكُمْ ﴾ أن مخاطبتهم المؤمنين انتفى عنها ما يقتضي تأكيد الخبر ؛ لأنّ المخبرين لم يتعلّق غرضهم بأكثر من ادّعاء حدوث إيمانهم ؛ لأنّ نفوسهم لا تساعدهم على أن يتلفّظوا بأقوى من ذلك ، ولأنّهم علموا أنّ ذلك لا يروج على المسلمين ٠٠٠)) ١ .

حيث قال الزمخشري - رحمه الله - عند تفسيره هذه الآية : ((﴿ إِنَّا مَعَكُمْ ﴾ إنّها مصاحبوكم ، وموافقوكم على دينكم . فإن قلت : لم كانت مخاطبتهم المؤمنين بالجملة الفعلية ، وشياطينهم بالإسمية محقّقة بـ " أن " ؟ قلت : ليس ما خاطبوا به المؤمنين جديراً بأقوى الكلامين وأوكدهما ، لأنّهم في ادّعاء حدوث الإيمان منهم ونشئه من قبلهم ، لا في ادّعاء أنّهم أوحديون في الإيمان غير مشقوق فيه غبارهم ، وذلك إمّا لأنّ أنفسهم لا تساعدهم عليه ، إذ ليس لهم من عقائدهم باعث ومحرّك ، وهكذا كلّ قول لم يصدر عن أريحية ، وصدق رغبة واعتقاد .

وإمّا لأنّه لا يروج عنهم لو قالوه على لفظ التوكيد والمبالغة . وكيف يقولونه ويطمعون في رواجه ، وهم بين ظهрани المهاجري ، والأنصار الذين مثلهم في التوراة والإنجيل . ألا ترى إلى حكاية الله قول المؤمنين : ﴿ رَبَّنَا إِنَّا آمَنَّا ﴾ ٢ .

وأما مخاطبة إخوانهم ، فهم فيما أخبروا به عن أنفسهم من الثبات على اليهودية ، والقرار على اعتقاد الكفر ، والبعد من أن يزلوا عنه على صدق رغبة ، ووفور نشاط وارتياح للتكلم به ، وما قالوه من ذلك ، فهو رائج عنهم متقبّل منهم ، فكان مظنةً للتحقيق ومثنةً للتوكيد . فإن قلت : أنّي تعلّق قوله : ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴾ بقوله : ﴿ إِنَّا مَعَكُمْ ﴾ قلت : هو توكيد له ؛ لأنّ قوله : ﴿ إِنَّا مَعَكُمْ ﴾ معناه الثبات على اليهودية . وقوله : ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴾ ردّ للإسلام ودفع له منهم ؛ لأنّ المستهزئ بالشّيء المستخفّ به منكر له ودافع لكونه معتداً به ، ودفع نقيض الشّيء تأكيداً لثباته أو بدل منه ؛ لأنّ من حقّر الإسلام فقد عظّم الكفر . أو استئناف ، كأنّهم اعترضوا عليهم حين قالوا لهم : ﴿ إِنَّا

١ التحرير والتّوير ١ / ٢٩١ - ٢٩٢ . يُنظَرُ : الكشاف ١ / ١٠٤ .

٢ سورة آل عمران / ١٦٠ والآية بتمامها : ﴿ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّا آمَنَّا فَأَغْرَ لَنَا دُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ .

﴿ مَعَكُمْ ﴾ ، فقالوا : فما بالكم إن صح أنكم معنا توافقون أهل الإسلام ، فقالوا : ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴾ ((١ .

• و نحو قوله ﷺ : ﴿ إِنَّ الصَّافَا وَالْمَرُونَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتِ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطُوفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴾ ٢ .
فقله ﷺ : ﴿ إِنَّ الصَّافَا وَالْمَرُونَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ ﴾ جملة خبرية مؤكدة بـ (إِنَّ) ، وقد أكدت لتحرج المسلمون من الطواف بهما ؛ لأن الله أمر بالطواف بالبيت ، ولم يذكر الطواف بهما ، وقد نقل القرطبي - رحمه الله - عن أبي بكر الصديق ؓ أنه قال : ((فأسمع هذه الآية نزلت في الفريقين كليهما : في الذين كانوا يتحرجون أن يطوفوا في الجاهلية بالصفاء والمروة ، والذين يطوفون ثم تحرجوا أن يطوفوا بهما في الإسلام ؛ من أجل أن الله تعالى أمر بالطواف بالبيت ، ولم يذكر الصفاء حتى ذكر ذلك بعد ما ذكر الطواف بالبيت)) ٣ .

• و نحو قوله ﷺ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ﴾ ٤ .
فقله ﷺ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ ﴾ جملة خبرية مؤكدة بـ (إِنَّ) ، فقد أكد الله ﷻ أن كل من كتم علماً من دين الله يحتاج إلى بئته فهو ملعون ، وهذا تخويف ، وتحذير من الله ﷻ .

• و نحو قوله ﷻ : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَخْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ آيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ ٥ .

فقد أكد الله ﷻ هذا الخبر لما نزلت ﴿ وَاللَّهُمَّ إِلَهَ وَاحِدٌ ﴾ ٦ قال كفار قريش : كيف يسع الناس إله واحد ! فنزلت ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ وروى أنه لما نزلت

١ الكشاف ١ / ١٧٩ ، وينظر : التحرير والتنوير ١ / ٢٩٢ .

٢ سورة البقرة / ١٥٨ .

٣ الجامع لأحكام القرآن ٢ / ١٧٧ .

٤ سورة البقرة / ١٥٩ .

٥ سورة البقرة / ١٦٤ .

٦ سورة البقرة / ١٦٣ .

﴿ وَاللَّهُمَّ إِلَهَ وَاحِدٍ ﴾ قالوا هل من دليل على ذلك؟ فأُنزل الله تعالى ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ فكأنهم طلبوا آية فبين لهم دليل التوحيد، وأن هذا العالم، والبناء العجيب لا بد له من بانٍ وصانع. وَجَمَعَ السَّمَوَاتِ لِأَنَّهَا أَجْنَاسٌ مُخْتَلِفَةٌ كُلُّ سَمَاءٍ مِنْ جِنْسٍ غَيْرِ جِنْسِ الْأُخْرَى. وَوَحَّدَ الْأَرْضَ لِأَنَّهَا كُلُّهَا تَرَابٌ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ^١.

• و نحو قوله ﷺ: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴾^٢ ، فهذه جملة خبرية مؤكدة بـ ((إِنَّ)) ، قال الطاهر بن عاشور عند تفسيره هذه الآية : ((وافتتاح الجملة بحرف التوكيد ((إِنَّ)) لتحقيق مضمونها . وإعادة حرف ((إِنَّ)) في الجملة المخبر بها عن المبتدأ الواقع في الجملة الأولى لمزيد العناية والتحقيق كقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾^٣))^٤ . وموقع ((إِنَّ)) الثانية في هذه الآية بليغة ؛ ((لأنَّ)) الجملة التي وقعت فيها في هذه الآية لها استقلال بمضمونها من حيث هي مفيدة حكماً يعم ما وقعت خبراً عنه ، وغيره من كل من يماثل الخبر عنهم في عملهم ، فذلك العموم في ذاته حكم جدير بالتأكيد لتحقيق حصوله لأربابه . . . وأما آية سورة الحج فقد اقتضى طول الفصل حرف التأكيد حرصاً على إفادة التأكيد))^٥ .

• و نحو قوله ﷺ: ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ﴾^٦ .

فهذه جملة خبرية مؤكدة بـ ((إِنَّ)) ، والغرض من التأكيد هو الاعتناء بهذا الفتح ، لا الإنكار ؛ لأنه يخاطب الرسول ﷺ ، وصحابته - رضي الله عنهم - ، وقيل أكد الخبر لظم شأن هذا الأمر .

قال الألوسي - رحمه الله - : ((والتأكيد بـ ((إِنَّ)) للاعتناء لا لرد الإنكار ، وقيل لأنَّ الحكم لعظم شأنه مظنة للإنكار ، وقيل : لأنَّ بعض السامعين منكر كون ما وقع فتحاً ، ويقال في تكرير الحكم نحو ذلك))^١ .

^١ يُنظَر : الجامع لأحكام القرآن ٢ / ١٩١ .

^٢ سورة الكهف / ٣٠ .

^٣ سورة الحج / ١٧ .

^٤ التحرير والتثوير ١٥ / ٣١٠ .

^٥ التحرير والتثوير ١٥ / ٣١٠ .

^٦ سورة الفتح / ١ .

- و نحو قوله ﷻ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾^٢ .
- و نحو قوله ﷻ : ﴿ فَمَنْ خَافَ مِنْ مَوْصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾^٣ ، فجملة : ﴿ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ جملة اسمية مؤكدة بـ ﴿ إِنَّ ﴾ ، والجملة تعليلية لرفع الإثم لا محل لها من الإعراب .
- و نحو قوله ﷻ : ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾^٤ .
- و نحو قوله ﷻ : ﴿ فَإِنْ أَنْتَهُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾^٥ .
- و نحو قوله ﷻ : ﴿ سَلِّ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾^٦ .
- و نحو قوله ﷻ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴾^٧ .
- و نحو قوله ﷻ : ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكِ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعْزِزُ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾^٨ .
- و نحو قوله ﷻ : ﴿ قُلِ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴾^٩ .
- و نحو قوله ﷻ : ﴿ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴾^{١٠} .
- و نحو قوله ﷻ : ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾^{١١} .
- و نحو قوله ﷻ : ﴿ لَنْ نَسْأَلَهُ الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴾^١ .

^١ روح المعاني ٢٦ / ٢٤ .

^٢ سورة البقرة / ١٥٣ .

^٣ سورة البقرة / ١٨٢ .

^٤ سورة البقرة / ١٩٠ .

^٥ سورة البقرة / ١٩٢ .

^٦ سورة البقرة / ٢١١ .

^٧ سورة آل عمران / ٥ .

^٨ سورة آل عمران / ٢٦ .

^٩ سورة آل عمران / ٣٢ .

^{١٠} سورة آل عمران / ٣٨ .

^{١١} سورة آل عمران / ٧٦ .

- و نحو قوله ﷻ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ آتَتْهُمُ الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾^١ .
- و نحو قوله ﷻ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾^٢ .
- و نحو قوله ﷻ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾^٣ .
- و نحو قوله ﷻ : ﴿ وَلِكُلِّ جَعَلْنَا مَوَالِي مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَاتَوْهُمُ نَصِيْبَهُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴾^٤ .
- و نحو قوله ﷻ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يَضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾^٥ .
- و نحو قوله ﷻ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾^٦ .
- و نحو قوله ﷻ : ﴿ وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ﴾^٧ .
- و نحو قوله ﷻ : ﴿ وَأَسْتَغْفِرِ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾^٨ .
- و نحو قوله ﷻ : ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴾^٩ .
- و نحو قوله ﷻ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾^{١٠} .

^١ سورة آل عمران / ٩٢ .

^٢ سورة آل عمران / ١٥٥ .

^٣ سورة النساء / ١٠ .

^٤ سورة النساء / ٢٩ .

^٥ سورة النساء / ٣٣ .

^٦ سورة النساء / ٤٠ .

^٧ سورة النساء / ٥٨ .

^٨ سورة النساء / ٨٦ .

^٩ سورة النساء / ١٠٦ .

^{١٠} سورة النساء / ١٤٥ .

^{١١} سورة المائدة / ٥١ .

- و نحو قوله ﷻ : ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾^١ .
 - و نحو قوله ﷻ : ﴿ يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴾^٢ .
 - ونحو قوله ﷻ : ﴿ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾^٣ .
 - و نحو قوله ﷻ : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضَرْبٌ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَفْتِنُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبِ ﴾^٤ .
- فقوله ﷻ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا ﴾ جملة خبرية مؤكدة ؛ ليوكد لهم ضعف ما كانوا يعبدونه ؛ كونهم لا يستطيعون أن يخلقوا هذا المخلوق الحقير المهان ، ولم يكتفي بذا فقط بل أكد لهم إنهم لا يستطيعون أن يستنفذوا ما أخذه منهم .
- وكثيراً ما يُذكر مع (إِنَّ) لام الابتداء ، والقسم ، ومن أمثلة ذلك :
- قوله ﷻ : ﴿ وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴾^٥ .
 - ومنه قوله ﷻ : ﴿ وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴾^٦ .
 - ومنه قوله ﷻ : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾^٧ .
 - ومنه قوله ﷻ : ﴿ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾^٨ .
 - ومنه قوله ﷻ : ﴿ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَقْصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾^٩ .

^١ سورة المائدة / ٥٥ .

^٢ سورة المائدة / ١٠٩ .

^٣ سورة الأعراف / ٥٥ .

^٤ سورة الحج / ٧٣ .

^٥ سورة البقرة / ٤٥ .

^٦ سورة البقرة / ١٣٠ .

^٧ سورة البقرة / ٢٤٣ .

^٨ سورة البقرة / ٢٥٢ .

^٩ سورة آل عمران / ٦٢ .

- ومنه قوله ﷻ : ﴿ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴾^١ .
- ومنه قوله ﷻ : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِأُولِي الْأَبْصَارِ ﴾^٢ .
- ومنه قوله ﷻ : ﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهْمُؤَلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ ﴾^٣ .
- ومنه قوله ﷻ : ﴿ بَلْ بَدَأَ لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾^٤ .
- ومنه قوله ﷻ : ﴿ قَالَ أَمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾^٥ .

و قد استعملت (إِنَّ) لتأكيد الجمل الخبرية في القرآن الكريم بكثرة بحيث لا يدركها الإحصاء ، فنكتفي بما ذكر .

خصائص ((إِنَّ)) المكسورة وفوائدها

تحدثت سيبويه - رحمه الله - عن بعض خصائصها^٦ ، ومن جاءوا بعده لم يزيدوا على ما قال شيئاً ، وقد نبه أيضاً عن هذه الخصائص الإمام عبد القاهر الجرجاني - رحمه الله - حيث نبه أن هذا الحرف يدل في أصل وضعه على التأكيد^٧ .

ولـ ((إِنَّ)) مع ذلك خصائص ، و محاسن كثيرة ، منها :

١ . أنها تربط الجملة بما قبلها :

^١ سورة آل عمران / ٦٨ .

^٢ سورة آل عمران / ١٩٠ .

^٣ سورة المائدة / ٥٣ .

^٤ سورة الأنعام / ٢٨ .

^٥ سورة الأعراف / ٦٦ .

^٦ يُنظَر : الكتاب ٣ / ١١٩ .

^٧ يُنظَر : دلائل الإعجاز / ٢٥٠ .

بحيث لو أسقطت لذهب رونق النظم ، و أصبح الكلام مفككاً ؛ لا ميزة له ، ولا روح فيه ، و قد تُخفي هذه على ذوي المعرفة اللغوية :

((وهذا الضرب كثير في التنزيل جداً من ذلك قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴾^١ ، وقوله عز اسمه : ﴿ يَبْنِي أَيْمَانَ الصَّلَاةِ وَأُمُرَ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنَّهُ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾^٢ ، وقوله سبحانه : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾^٣ ، ومن أبين ذلك قوله تعالى : ﴿ وَأَصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحِّينَا وَلَا تَخْطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ ﴾^٤ .

وقد يتكرر في الآية الواحدة كقوله عز اسمه : ﴿ وَمَا أُبْرِيءُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾^٥ ، وهي على الجملة من الكثرة بحيث لا يدركها الإحصاء))^٦ .

ومنه قوله ﷺ : ﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴾^٧ ، ((ومقصودهم من هذا . كما قال غير واحد . عرض كمال افتقارهم إلى الرحمة ، وأنها المقصد الأسنى عندهم ، والتأكيد لإظهار ما هم عليه من كمال الطمأنينة وقوة اليقين بأحوال الآخرة لمزيد الرغبة في استئزال طائر الإجابة . ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴾^٨ .
تعليل لمضمون الجملة المؤكدة أو لانتفاء الريب ، وقيل : تأكيد بعد تأكيد للحكم السابق ، وإظهار الاسم الجليل مع الالتفات للإشارة إلى تعظيم الموعود ، والإجلال الناشئ من ذكر اليوم المهيب الهائل ، وللاشعار بعلّة الحكم ، فإن الألوهية منافية للإخلاف))^٨ .

^١ سورة الحج / ١ .

^٢ سورة لقمان / ١٧ .

^٣ سورة التوبة / ١٠٣ .

^٤ سورة هود / ٣٧ .

^٥ سورة يوسف / ٥٣ .

^٦ دلائل الإعجاز ٢٤٣ .

^٧ سورة آل عمران / ٩ .

^٨ روح المعاني ٣ / ٩١ .

ومنه قوله ﷻ : ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوْتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾^١ .

ومنه قوله ﷻ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصَلِّيهِمْ نَارًا كَلَّمًا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بِدَلْنِهِمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾^٢ .

ومنه قوله ﷻ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾^٣ .

ومنه قوله ﷻ : ﴿ فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾^٤ .

ومنه قوله ﷻ : ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِيَسِينَ وَرُهَبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾^٥ .

ومنه قوله ﷻ : ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَنِ جَاءَهُمْ نَارًا كَلَّمًا لِيُؤْمِنُوا بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾^٦ .

ومنه قوله ﷻ : ﴿ قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خَنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهْلًا لِعَٰلَمٍ غَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾^٧ .

ومنه قوله ﷻ : ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكَ خَلْفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيُبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾^٨ .

فلو أنك أسقطت (أن) ، فقل مثلًا فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ، أو لِيُبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ رَبُّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ ، فسيذهب حسن الكلام ، ورونقه ،

^١ سورة آل عمران / ١٩ .

^٢ سورة النساء / ٥٦ .

^٣ سورة النساء / ٥٨ .

^٤ سورة المائدة / ٣٩ .

^٥ سورة المائدة / ٨٢ .

^٦ سورة الأنعام / ١٠٩ .

^٧ سورة الأنعام / ١٤٥ .

^٨ سورة الأنعام / ١٦٥ .

ويكون نابياً • وقد تظنُّ أنَّ الفاء تصلح للربط بين الجملتين ، فتقول مثلاً : فَمَنْ اضْطُرَّ
غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَرَبِّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ، أو لِيَبْلُوكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَرَبُّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ ، ولكنَّ
الفاء لا تسدُّ مسدًّا (إِنَّ) ؛ لا من حيث جمال الإيقاع فحسب ، بل لا تسدُّ مسدًّا من
حيث المعنى ، وما يتطلَّبه من جمال النظم ؛ لأنَّ الفاء ليس لها مزية إلاَّ الربط بين
الجملتين ، أمَّا (إِنَّ) فمع أنَّها تسدُّ مسدًّا الفاء ، فتربط بين الجملتين ، فإنَّها تدلُّ على
التوكيد كذلك ، وهكذا يُقال في الآيات السابقة •

و الذي قلنا في (إِنَّ) من أنَّها تدخل على الجملة من شأنها إذا هي أسقطت
منها أن يحتاج فيها إلى الفاء ، لا يطرد في كلِّ شيءٍ ، وكلُّ موضع ، بل يكون في
موضع دون موضع ، وفي حال دون حال •

٢. قد تربط ((إِنَّ)) بين الجملتين ، ولا تصلح الفاء بدلاً عنها :

فإنَّها قد تربط بين جملتين لا تصلح الفاء بدلاً منها ، وذلك ممَّا لا يحصى في
النظم القرآني ، كقوله ﷻ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴾^١ ، فإنَّه لا يصلح أن يقال : فلا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ؛ لأنَّ جملة : ﴿ إِنَّا لَا
نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴾ خبر لقوله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ ، فوضع الفاء موضعها ربمَّا
يوهم العطف ؛ لأنَّ المعنى : إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا ، فترك الكلام الأوَّل ،
واعتمد على الثاني بنية التكرير ، كما قيل : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ﴾^٢
بمعنى : قتال فيه على التكرير^٣ •

ومنه قوله ﷻ : ﴿ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴾ * إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مَنَا
الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ^٤ ؛ لأنَّه لا يصلح أن يُقال : ((لهم فيها زفير ، وهم فيها لا
يسمعون ، فالذين سبقت لهم منا الحسنَى)) لأنَّك لا تجد لإدخالك الفاء فيه وجهًا •

^١ سورة الكهف / ٣٠ •

^٢ سورة البقرة / ٢١٧ •

^٣ يُنظَر : جامع البيان في تفسير القرآن ١٥ / ١٥٩ •

^٤ سورة الأنبياء / ١٠٠ - ١٠١ •

ومنه قوله ﷺ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾^١ ، ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ ، اسم ﴿ إِنَّ ﴾ ، وما بعده معطوف عليه ، وقوله ﷺ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ جملة في موضع الخبر ، ودخول الفاء فيها محال ؛ لأنَّ الخبر لا يعطف على المبتدأ .
ومنه قوله ﷺ : ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ * إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ * إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ * فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴾^٢ ، فلا يُقَالُ : ((إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ ، فالمتقون في جنات وعيون)) ، لأنَّه لا مسوِّغ للعطف ، فالحديث في قوله : ﴿ إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ ﴾ عن المجرمين .

فمما سبق يتضح أنَّ الفاء تصحُّ أن تحلَّ محلَّ (إِنَّ) إذا كان مصدر الكلام يصحُّ به ما قبله ، ويحتجُّ له ، ويبين وجه الفائدة فيه ، ألا ترى أنَّ الغرض من قوله ﷺ : ﴿ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴾^٣ بيان لمعنى في قوله ﷺ : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ ﴾ ولم أمروا بأن يتقوا .

وكذلك في قوله ﷺ : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾^٤ ، فقوله : ﴿ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ ﴾ بيان للمعنى في أمر النَّبِيِّ بالصَّلَاةِ ؛ أي بالدُّعاء لهم ، ولهذا سبيل كل ما أنت ترى فيه الجملة يحتاج فيها إلى الفاء .

ومن ذلك قوله ﷺ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾^٥ ، فإنَّه لا يصلح أن يقال : ((فالله يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)) ؛ لأنَّ جملة ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ ﴾ خبر لقوله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ ، ووضَع الفاء موضعها ربَّما يوهم العطف .

^١ سورة الحج / ١٧ .

^٢ سورة النُّحَان / ٤٩ - ٥٢ .

^٣ سورة الحج / ١ .

^٤ سورة التَّوْبَةِ / ١٠٣ .

^٥ سورة الحج / ١٧ .

ومما لا تصلح فيه الفاء قوله ﷺ : ﴿ إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ * إِنَّ الْمُنْقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴾^١ ، فلا يصلح أن يقال : فالمتمتون في مقام أمين ؛ لأنه لا مسوغ للعطف ، فالحديث في قوله : ﴿ إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ ﴾ عن المجرمين .
 فيبضح مما سبق أن الفاء لا تحل محل (إن) على الإطلاق ، بل (إن) مميزات تمتاز بها عنها^٢ .

٣. ترى لضمير الأمر والشأن معها من الحسن واللطف ما لا تراه إذا هي لم تدخل عليه

:

ومن خصائص ((إن)) أنك ترى لضمير الأمر والشأن معها من الحسن واللطف ما لا تراه إذا هي لم تدخل عليه :

بل تراه لا يصلح حيث صلح إلا بها ، وقد كثر ذلك في النظم القرآني ، ومن ذلك : قوله ﷺ : ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مِنْ يُحَادِدِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ ﴾^٣ ، وذلك في معرض الحديث عن المنافقين المخالفين لله ﷻ ، ورسوله ﷺ لزيادة التقرير والتوبيخ .

ومنه قوله ﷺ : ﴿ قَالُوا أَعْنِكَ لَأَنْتَ يُونُسُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾^٤ ، أي ﴿ إنه ﴾ الشأن ﴿ من يتق ﴾ أي يفعل التقوى في جميع أحواله ، أو يق نفسه عما يوجب سخط الله تعالى وعذابه ﴿ ويصبر ﴾ على البلايا والمحن ، أو على مشقة الطاعات ، أو عن المعاصي التي تستلذها النفس ﴿ فإن الله لا يضيع أجر المحسنين ﴾ أي أجرهم ، وإنما وضع المظهر موضع المضمرة تنبيهاً على أن المنعوتين بالتقوى ، والصبر موصوفون بالإحسان ، والجملة في موضع العلة للمن^٥ .

ومنه قوله ﷺ : ﴿ رَبِّ إِنَّهُمْ أَضَلُّنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾^٦ .

^١ سورة الدخان / ٥٠ - ٥١ .

^٢ يُنظَر : دلائل الإعجاز / ٢٤٧ - ٢٤٨ ، و البلاغة فنونها ، وأفنانها / ١٣٩ - ١٤٠ .

^٣ التوبة / ٦٣ .

^٤ سورة يوسف / ٩٠ .

^٥ يُنظَر : روح المعاني / ١٣ / ٤٨ .

^٦ سورة إبراهيم / ٣٦ .

ومنه قوله ﷺ : ﴿ وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴾^١ .

ومنه قوله ﷺ : ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾^٢ .

وأجاز أبو الحسن فيها وجهاً آخر ، وهو أن يكون الضمير في إنها للأبصار ، أضمرت قبل الذكر على شريطة التفسير ، والحاجة في هذا الوجه أيضاً إلى (إن) قائمة كما كانت في الوجه الأول ، فإنه لا يقال : ((هي لا تعمي الأبصار)) ، كما لا يقال : ((هو من يتق ، وبصبر ، فإن الله لا يضيع)) ، فإن قلت : أو ليس قد جاء ضمير الأمر مبتدأ به معرّى من العوامل في قوله تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾^٣ ، قيل وإن جاء هاهنا ، فإنه لا يكاد يوجد مع الجملة من الشرط ، والجزاء بل تراه لا يجيء إلا بـ (إن) على أنهم قد أجازوا في ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ أن لا يكون الضمير للأمر^٤ .

وأَيّ الأمرين كان ، فإنه لا بد فيه من (إن) ولا سبيل إلى إسقاطها ؛ لأنك إن أسقطتها أفضى ذلك بك إلى خلو الكلام من رونقه ، ودقته ، وقد يفضي بك إلى شيء شنيع غير مُرضي .

٤ . تهیی النكرة ، وتصلحها لأن يكون لها حكم المبتدأ :

ومن خصائص ((إن)) أنك تراها تهیی النكرة ، وتصلحها لأن يكون لها حكم المبتدأ :

بحيث تجعلها سالحة بأن يُحدّث عنها ، و يبتدأ بها الكلام ؛ لأنّ النكرة لا يجوز الابتداء بها إلا إذا كانت مفيدة ، كما قال ابن مالك في ألفيته :

وَ لَا يَجُوزُ الْإِبْتِدَاءُ بِالنَّكْرَةِ مَا لَمْ تُفِدْ كَعِنْدَ زَيْدٍ نَمْرَةً^٥

^١ سورة المؤمنین / ١١٧ .

^٢ سورة الحجّ / ٤٦ .

^٣ سورة الإخلاص / ١ .

^٤ يُنظَر : دلائل الإعجاز / ٢٤٤ ، و البلاغة فنونها ، وأفنانها / ١٤٠ .

^٥ ألفية ابن مالك .

فإذا دخلت (إِنَّ) على النكرة ، فهي مسوَّغ من مسوَّغات الابتداء بالنكرة ؛ فتجعلها صالحة لأن يبتدأ بها ، ومن ذلك قوله ﷺ : ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾^١ ، فالجملة الاسمية ﴿ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ ﴾ المؤكدة بـ ﴿ إِنَّ ﴾ في محلِّ نصب على الحال ، والواو حالية ، ويمكن أن تعرب الواو استئنافية ، فتكون الجملة مستأنفة لتقرير حالتهم ((مِّنْهُمْ)) ، و متعلقان بمحذوف صفة لـ ﴿ فَرِيقًا ﴾ ، اللام المزحلقة ، و ﴿ يَكْتُمُونَ ﴾ فعل ، وفاعل والجملة في محلِّ رفع خبر ﴿ إِنَّ ﴾ .

وقوله ﷺ : ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴾^٢ .

وقوله ﷺ : ﴿ وَإِنِ أَحْكَمَ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِن كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ﴾^٣ .

وقوله ﷺ : ﴿ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مِمَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيرًا لِّيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ ﴾^٤ .

وقوله ﷺ : ﴿ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِن بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ ﴾^٥ .
وقوله ﷺ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن كَثِيرًا مِّنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لِيَآكُلُوا أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا ينفقونها فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾^٦ .

وقوله ﷺ : ﴿ فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَن خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَن آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ ﴾^٧ .

^١ سورة البقرة / ١٤٦ .

^٢ سورة المائدة / ٣٢ .

^٣ سورة المائدة / ٤٩ .

^٤ سورة الأنعام / ١١٩ .

^٥ سورة الأنفال / ٥ .

^٦ سورة التوبة / ٣٤ .

^٧ سورة يونس / ٩٢ .

قوله ﷻ : ﴿ أُولَٰئِكَ يَتَفَكَّرُونَ فِي أَنفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَفُرُونَ ﴾ ٢٠١ .

٥. تغني عن الخبر إذا كانت في الجملة في بعض الكلام :

ومن خصائص ((إن)) أنها تغني عن الخبر إذا كانت في الجملة في بعض

الكلام :

ويؤب سيوييه - رحمه الله - فقال : ((هذا باب ما يحسن عليه السكوت في هذه الأحرف الخمسة))^٣ ؛ لإضمارك ما يكون مستقراً لها وموضعا لو أضمرته وليس هذا المضمرة بنفس المظهر ، وذلك مثل قولك : ((إن مالا)) ، و ((إن ولدا)) ، و ((إن عددا)) ؛ أي : إن لهم مالا ، فالذي أضمرت هو لهم . ويقول الرجل للرجل : ((هل لكم أحد ، إن الناس ألبء عليكم)) ، فيقول : ((إن زيدا ، وإن عمرا)) ؛ أي إن لنا زيدا ، وإن لنا عمرا ، وقول الأعشى :

إِنَّ مَحَلًّا ، وَإِنَّ مُرْتَحَلًّا وَإِنَّ فِي السَّفَرِ إِنْ مَضَوْا مَهَلًّا

فالخبر محذوف ، وتقديره : إن لنا في الدنيا محلا ، وإن لنا عنها إلى الآخرة

مُرْتَحَلًّا .

وتقول : ((إن غيرها إبلا ، وشاء)) ، كأنه قال : إن لنا ، أو عندنا غيرها ، وانتصب الإبل ، و الشاء ، كانتصاب الفارس إذا قلت : ((ما في الناس مثله فارسا)) ، ومثل ذلك قول الرّاجز :

يا لبيت أيام الصبا رواجعاً

^١ سورة الرّوم / ٨ .

^٢ يُنظَر : دلائل الإعجاز / ٢٤٦ ، و البلاغة فنونها ، وأفنانها / ١٤٠ - ١٤١ .

^٣ يُنظَر : الكتاب ٢ / ١٤١ .

^٤ وهُم عليه ألبُّ وألبُّ واحدٌ: مُجْتَمِعُونَ عَلَيْهِ بِالظُّمِّ وَالْعَدَاوَةِ . (القاموس المحيط ، للفيروز أبادي ، ويُنظَر : النهاية في غريب الحديث ، والأثر ، لابن الأثير) .

^٥ البيت من بحر المنسرح . ينظر : ديوان الأعشى / ١٥٥ ، وابن الشّجري ١ / ٣٢٢ ، والخصائص ٢ / ٢٧٣ ، وابن يعيش ١ / ١٠٣ ، وخزانة الأدب للبغدادي ٤ / ٣٨١ ، وهمع الهواكع ١ / ١٣٦ .

والشّاهد فيه حذف خبر " إن " لقرينة السّامع .

^٦ البيت للعبّاج ، وقد سبق تخريجه .

فهذا كقولك : ((ألا ماءً بارداً)) ، كأنتك قلت : ألا ماءً لنا بارداً ، وكأنَّ الرَّاجز قال : ((يا ليت أيام الصِّبا أقبلت رَوَاجِعَ)) ، فالخبر محذوف في هذه الأمثلة ، ومع هذا ترى حسن الكلام ، وصحَّته مع حذفه ، وترك النُّطق به ، ثمَّ إِنَّكَ إنَّ عمدت إلى (إنَّ) فأسقطتها ، وجدت الذي كان حسن من حذف الخبر لا يحسن ، أو لا يسوغ ، فلو قلت : مال ، وعدد ، ومحلٌّ ، ومرتحل ، وغيرها إبلا ، وشاء لم يكن شيئاً ، وذلك أنَّ (إنَّ) كانت السَّبب في أنَّ حسن حذف الذي حذف من الخبر ، وأنها حاضنته ، والمترجم عنه والمتكفل بشأنه^١ .

٦. تزيد الكلام حسناً وجمالاً :

ومن خصائص (إنَّ) ما ذكرناه من جواب أبي العباس للكندي عن قوله إنِّي أجد في كلام العرب حشواً :

فبيِّن له أنَّ المعاني مختلفة ، منها قوله : ((إنَّ عبدَ الله قائمٌ)) ، قال له : أنَّها جوابٌ عن سؤال سائل ، فإذا دققنا في المسألة ، وجدناها تحسن في الجواب ، ويزداد بها الكلام حسناً وجمالاً ، فهي تأتي محققة للجواب ، مقررة له ، ومؤكدة ، فالذي يدلُّ على أنَّ لها أصلاً في الجواب أنَّ رأيناهم قد ألزموها الجملة من المبتدأ ، والخبر إذا كانت جواباً للقسم نحو : ((والله إنَّ زيدا منطلقٌ)) وامتنعوا من أن يقولوا : ((والله زيدٌ منطلقٌ)) ، ثمَّ إنَّنا إذا استقرينا الكلام وجدنا الأمر بيِّناً في الكثير من مواقعها أنَّه يقصد بها إلى الجواب ، كقوله ﷺ : ﴿ قُلْ أَعْيُرَ اللَّهُ اتَّخَذَ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾^٢ .

ومنه قوله ﷺ : ﴿ قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قُلْ لَا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذَا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴾^٣ .

ومنه قوله ﷺ : ﴿ قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّنْ رَبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنْ أَلْحَمُّ إِلَّا لِلَّهِ يَقْضُ الْحَقُّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَصْلِينَ ﴾^٤ .

^١ يُنظَر : دلالات الإعجاز / ٢٤٧ - ٢٤٨ ، و البلاغة فنونها ، وأفنانها / ١٤١ - ١٤٢ .

^٢ سورة الأنعام / ١٤ .

^٣ سورة الأنعام / ٥٦ .

^٤ سورة الأنعام / ٥٧ .

ومنه قوله ﷻ: ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامِنْتَ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلْ أَنْتَظِرُونَ إِنَّا مُنْتَظِرُونَ ﴾^١ .

ومنه قوله ﷻ: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يُفْرِعُونَ إِنِّي رَسُولٌ مِّنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾^٢ .

ومن البين في ذلك قوله تعالى في قصة السحرة: ﴿ قَالُوا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ﴾^٣ ؛ وذلك لأنه جواب فرعون عن قوله ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آدَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَّكْرَتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾^٤ .

ومنه قوله ﷻ: ﴿ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْأُسْتَنِينَ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمْ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُّتَرَبِّصُونَ ﴾^٥ .

ومنه قوله ﷻ: ﴿ فَلَمَّا رَأَىٰ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكَرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴾^٦ .

ومنه قوله ﷻ: ﴿ قَالَ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾^٧ .

ومنه قوله ﷻ: ﴿ وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ ﴾^٨ .

ومنه قوله ﷻ: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَا هُدًى

﴿^٩

ومنه قوله ﷻ: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ ذِي الْقُرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا * إِنَّا مَكَّنَا لَهُ

فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ﴾^{١٠} .

^١ سورة الأنعام / ١٥٨ .

^٢ سورة الأعراف / ١٠٤ .

^٣ سورة الأعراف / ١٢٥ .

^٤ سورة الأعراف / ١٢٣ .

^٥ سورة التوبة / ٥٢ .

^٦ سورة هود / ٧٠ .

^٧ سورة يوسف / ٣٦ .

^٨ سورة الحجر / ٨٩ .

^٩ سورة الكهف / ١٣ .

^{١٠} سورة الكهف / ٨٣ - ٨٤ .

ومنه قوله ﷺ : ﴿ فَآتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾^١ ، وذلك أنه يعلم أنّ المعنى : فأتياه ، فإذا قال لكما : ما شأنكما ؟ وما جاء بكما ؟ وما تقولان ؟ فقولا : ﴿ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ .

ومنه قوله ﷺ : ﴿ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴾^٢ ، وأشبه ذلك مما يعلم به أنه كلام أمر النبي ﷺ بأن يجيب به الكفار في بعض ما جادلوا ، وناظروا فيه .
ومنه قوله ﷺ : ﴿ قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لِمَا جَاءَنِي الْبَيِّنَاتُ مِنْ رَبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾^٣ .

و منه قوله ﷺ : ﴿ قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴾^٤ .
و منه قوله ﷺ : ﴿ قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴾^٥ .
٧. تزداد حسناً إذا كان الخبر يبعد مثله في الظن ، و شيء قد جرت عادة الناس على خلافه :

ومن خصائص ((إن)) تزداد حسناً إذا كان الخبر يبعد مثله في الظن ، و شيء قد جرت عادة الناس على خلافه : الأصل أن ((إن)) للتأكيد ، فإذا كان الخبر بأمر ليس للمخاطب ظن في خلافه البتة ، ولا يكون قد عقد في نفسه أن الذي تزعم أنه كائن غير كائن ، وأن الذي تزعم أنه لم يكن كائن ، فأنت لا تحتاج هناك إلى ((إن)) .
قال الشيخ عبد القاهر الجرجاني - رحمه الله - : ((وإنما تحتاج إليها إذا كان له ظن في الخلاف ، وعقد قلب على نفي ما تثبت ، أو إثبات ما تنفي ، ولذلك تراها تزداد حسناً إذا كان الخبر بأمر يبعد مثله في الظن ، وبشيء قد جرت عادة الناس بخلافه ، كقول أبي نواس :

عَلَيْكَ بِالْيَأْسِ مِنَ النَّاسِ إِنْ الْغِنَى - وَيَحْكَ - فِي الْيَأْسِ^٦

^١ سورة الشعراء / ١٦ .

^٢ سورة الشعراء / ٢١٦ .

^٣ سورة غافر / ٦٦ .

^٤ سورة الجن / ٢١ .

^٥ سورة الجن / ٢٢ .

^٦ البيت في ديوان أبي نواس من بحر السريع ، وهو صدر مقطع من خمسة أبيات ختمها بقوله :

قطع بالقنطير حبل الصفا مني ولما يرض بالفاس

فقد ترى حسن موقعها ، وكيفية قبول النفس لها ، وليس ذلك إلا لأنَّ الغالب على النَّاس أَنَّهُمْ لا يحملون أنفسهم على اليأس ولا يدعون الرجاء ، والطَّمَع ، ولا يعترف كلُّ أحد ، ولا يسلمُّ أَنَّ الغنى في اليأس ، فلما كان كذلك ؛ كان الموضع موضع إالى التأكيد ، فلذلك كان من حسنها ما ترى .

ومثله سواء قول محمد بن وهيب :

أَجَارَتْنَا إِنَّ التَّعَفُّفَ بِالْيَأْسِ وَصَبْرًا عَلَى اسْتِزْرَاءِ دُنْيَا بِإِبْسَاسِ
حَرِيَّانٍ أَنْ لَا يَقْدِفَا بِمَذَلَّةٍ كَرِيمًا وَأَنْ لَا يَخْوِجَاهُ إِلَى النَّاسِ
أَجَارَتْنَا إِنَّ القِدَاحَ كَوَادِبُ وَأَكْثَرَ أَسْبَابِ النَّجَاحِ مَعَ الْيَأْسِ^١

وهو كما لا يخفى كلام مع من لا يرى أنَّ الأمر كما قال ، بل ينكره ، ويعتقد خلافه ، ومعلوم أنَّه لم يقله إلا و المرأة تحدوه ، وتبعثه على التَّعْرِضِ لِلنَّاسِ ، وعلى الطَّلَبِ^٢ .

وهناك خصائص أخرى لـ (إِنَّ) نكتفي بما ذكر .

ثانياً : ((أَنَّ)) المفتوحة

فهي وما بعدها في تأويل المصدر ، قال المبرد - رحمه الله - : ((فإذا قلت :))
أَنَّ)) مفتوحة ، فهي وصلتها في موضع المصدر . ولا تكون إلا في موضع الأسماء دون الأفعال ؛ لأنها مصدر ، والمصدر إنما هو اسم . وذلك قولك : ((بلغني انطلقك)) ، وتقول : ((علمتُ أنك منطلق)) ، أي : ((علمتُ انطلقك)) . وكذلك : ((أشهدُ أنك

ديوان أبي نواس تحقيق : أحمد عبد المجيد الغزالي / ٦٠١ .

^١ الأبيات لمحمد بن وهيب من بحر الطويل ، يُنظَر : الأغاني ١٩ / ٧٥ ، المعاهد ١ / ٢٢١ .
الإبساس : هو النَّصُوبُ عند الحلب ؛ ليستدر لبن النَّاقَةِ . و القِدَاح : جمع قِدَح بالكسر فيهما وهي الأزام التي كانوا يستقسمون بها في الجاهلية .

يقول إنَّ الصبر على مكاره الحياة ، واليأس فيما في أيدي النَّاسِ ، هذان الأمران حريَّان أن يحولا بين الإنسان ، والمذلة و أن لا يحويه إلى النَّاسِ ، أمَّا تلك القِدَاح التي يعوّل النَّاسُ عليها ؛ فهي كاذبة ، لا ترتفع بالإنسان ، ولا تهيبه له نجاحاً ، إنما النَّجَاح بالصَّبْرِ مع اليأس من النَّاسِ ؛ لأنَّ هذا اليأس من النَّاسِ يدفع صاحبه لمضاعفة جهده .

^٢ دلائل الإعجاز / ٢٥٠ - ٢٥١ .

منطلق)) ، و : ((أشهد بأنك منطلق قائم)) ، أي : ((أشهد على انطلاقك ، وقيامك)) ، فهذا جملة هذا) ^١ .

وكما سبق و أن قدّمنا الفرق بين (إن) المكسورة ، و (أن) المفتوحة نرى أن بعض العلماء يبدلون (أن) المفتوحة بـ(إن) المكسورة ، مثل قوله ﷺ : ﴿فَالِئِمَّ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ ^٢ ، ومثله قوله ﷺ : ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ ^٣ ، فإن وما بعدها تؤول بمصدر ، ويؤتى بها للتأكيد ، فهي أبلغ من الإتيان بالمصدر .

قال الآلوسي - رحمه الله - في تفسير قوله ﷺ : ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ ^٤ : ((قُلْ بعد أن بينت شأن كلماته عز شأنه ﴿إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ لا أدعي الإحاطة بكلماته جلّ وعلا ﴿يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾ من تلك الكلمات ﴿أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ ، وإنما تميّزت عنكم بذلك ، و(أَنَّ) المفتوحة ، و أن كفت بما في تأويل المصدر القائم مقام فاعل ﴿يُوحَىٰ﴾ والاقتران على ما ذكر ؛ لأنه ملاك الأمر ، والقصر في الموضعين بناء على القول بإفادة ﴿إِنَّمَا﴾ بالكسر ، و ﴿أَنَّمَا﴾ بالفتح الحصر من قصر الموصوف على الصفة قصر قلب ، والمقصود عليه في الأول ﴿أَنَا﴾ ، والمقصود البشرية مثل المخاطبين ، وهو على ما قيل مبني على تنزيلهم لاقتراحهم عليه ﷺ ما لا يكون من بشر مثلهم منزلة من يعتقد خلافه ، أو على تنزيلهم منزلة من ذكر لزعمهم أن الرسالة التي يدعيها ﷺ مبرهنة بالبراهين الساطعة تنافي ذلك ، وقيل : إن المقصود بأن يقصر عليه الإيحاء إليه ﷺ على معنى أنه ﷺ مقصور على إيحاء ذلك إليه لا يتجاوزه إلى عدم الإيحاء كما يزعمون ، والمقصود الثاني ﴿إِلَهُكُمُ﴾ أي معبودكم الحق ، والمقصود عليه الوجدانية المعبر عنها باله واحد ؛ أي لا يتجاوز معبودكم بالحق تلك الصفة التي هي الوجدانية ؛ أي الوحدة في الألوهية إلى صفة أخرى كالتعدد فيها الذي تعتقدونه أيها المشركون

^١ المقتضب ٢ / ٣٤٠ .

^٢ سورة هود / ١٤ .

^٣ سورة الكهف / ١١٠ .

^٤ سورة الكهف / ١١٠ .

ومما يوضح ما ذكرنا أنه لو قيل : ((إنما إلهكم واحد)) لم يكن إلا من قصر الموصوف على الصفة ، فزيادة إله للتوطئة للوصف بواحد ، والإشارة إلى أن المراد الوحدة في الألوهية وأما جعله من قصر الصفة على الموصوف قصر أفراد على أن الله تعالى هو المقصور عليه ، والوحدانية هي المقصور فباطل قطعاً ؛ لأن قصر الصفة على الموصوف كذلك إنما يخاطب به من يعتقد اشتراك الصفة بين موصوفين كما تقرر في محلّه ، وهذا الاعتقاد لا يتصور هنا من عاقل لبداهة استحالة اشتراك موصوفين في الوحدانية ؛ أي الوحدة في الألوهية ، وما يوهم إرادة هذا القصر من كلام الرّمخسري في نظير هذه الآية مؤول كما لا يخفى على المنصف ، وجوّز أن يكون من قصر التّعيين ، وليس بذاك فتأمل جميع ذلك والله تعالى يتولى هداك)^١ .

وقد تدخل على (أن) المفتوحة الكاف ، نحو قوله ﷺ : ﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾^٢ .

ومنه قوله ﷺ : ﴿ وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾^٣ .

ومنه قوله ﷺ : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَلُهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمُ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾^٤ .

ومنه قوله ﷺ : ﴿ يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ﴾^٥ .

ومنه قوله ﷺ : ﴿ وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيَكَانَ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيَكَانَهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴾^٦ .

^١ روح المعاني ٨ / ٣٧٢ - ٣٧٤ .

^٢ سورة البقرة / ١٠١ .

^٣ سورة الأعراف / ١٧١ .

^٤ سورة الأعراف / ١٨٧ .

^٥ سورة الأنفال / ٦ .

^٦ سورة القصص / ٨٢ .

ومنه قوله ﷺ : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾^١ ، ((أي ولو ثبت صبرهم ، وانتظارهم حتى تخرج لكان الصبر خيراً لهم من الاستعجال لما فيه من حفظ الأدب وتعظيم النبي ﷺ الموجبين للتناء ، والثواب ، (فإنَّ) المفتوحة المؤولة بالمصدر هنا فاعل فعل مقدر ، وهو ثبت كما اختاره المبرّد ، والقرينة عليه معنى الكلام ، فإنَّ (أَنَّ) تدلُّ على الثبوت ، وهو إنّما يكون في الماضي حقيقة ، ولذا يقدر الفعل ماضياً .

وضمير ﴿ كَانِ ﴾ للمصدر الدال عليه ﴿ صَبَرُوا ﴾ كما في قولك : ((من كذب كان شراً له)) ؛ أي الكذب ، ومذهب سيبويه أنّ المصدر في موضع المبتدأ ، فقول : خبره مقدر ؛ أي لو صبرهم ثابت ، وقيل : لا خبر له ؛ وأنت تعلم أنّ في تقدير الفعل إبقاء ﴿ لو ﴾ على ظاهرها من دخولها على الفعل ، فإنّها في الأصل شرطية مختصة به ، وجوز كون ضمير ﴿ كَانِ ﴾ لمصدر الفعل المقدر ؛ أي لكان ثبوت صبرهم ، وصنيع الزمخشري يقتضي أولويته .

وَأُوتِرَتْ ﴿ حَتَّى ﴾ هنا على . إلى . لأنّها موضوعة لما هو غاية في نفس الأمر ، ويُقال له الغاية المضروبة ؛ أي المعيّنة ، وإلى لما هو غاية في نفس الأمر ، أو بجعل الجاعل ، وإليه يرجع قول المغاربة ، وغيرهم : إنّ مجرور حتّى دون مجرور إلى لا بد من كونه آخر جزء نحو : ((أكلت السمكة حتّى رأسها)) ، أو ملاقياً له نحو : ﴿ سَلَّمَ هِيَ حَتَّى مَطَّلَعِ الْفَجْرِ ﴾^٢ ، ولا يجوز سهرت البارحة حتى تلتئها ، أو نصفها فيفيد الكلام معها أنّ انتظارهم إلى أن يخرج ﷺ أمر لازم ليس لهم أن يقطعوا أمراً دون الانتهاء إليه ، فإن الخروج لما جعله الله تعالى غاية كان كذلك في الواقع ، وإلى هذا ذهب الزمخشري ، وتوهم ابن مالك أنّه لم يقل به أحد غيره ((^٣ .

^١ سورة الحجرات / ٥ .

^٢ سورة القدر / ٥ .

^٣ يُنظَر : روح المعاني / ١٣ - ٢٩٥ - ٢٩٦ .

المؤكد الثاني : ((قَدْ)) الحرفية

وتختصُّ بالدخول على الفعل المتصرفِ الخبريِّ المثبتِ المجردِ من ناصبٍ وجازمٍ ، من حرف تنفيسٍ ، وتلازمه ، ولا تنفكُ عنه إلا بالقسم أحياناً .
قال العكبري - رحمه الله - : ((وَإِنَّمَا اخْتَصَّتْ (قَدْ) بِالْفِعْلِ ؛ لِأَنَّهَا وَضَعَتْ لِمَعْنَى لَا يَصِحُّ إِلَّا فِيهِ ، وَهُوَ تَقْرِيبُ الْمَاضِي مِنَ الْحَالِ ، وَتَقْلِيلُ الْمُسْتَقْبَلِ ، كَقَوْلِكَ :))
قَدْ قَامَ زَيْدٌ)) ، أي : عن قريب ، و : ((زَيْدٌ قَدْ يُعْطِي)) ، أي : يقلُّ ذلك منه . فأما قوله ﷺ : ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لِيَحْزُنَكَ الَّذِي يَفُولُونَ ﴾^٢ ، فمعناه : قد علمنا^٣ .

معاني ((قَدْ)) الحرفية

لقد الحرفية خمسة معانٍ ، هي :

١. التَّوَقُّعُ : إذا جاءت بمعنى التَّوَقُّعِ ومع المضارع واضح ، كقولك : ((قَدْ يَقْدُمُ الْغَائِبُ الْيَوْمَ)) اليوم إذا كنت تتوقع قدومه ، وأمّا مع الماضي فأثبتته الأكثرون ، قال الخليل : يقال : ((قَدْ فَعَلَ)) لقوم ينتظرون الخبر ، ونحو قوله ﷺ : ﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا ﴾^٤ ؛ لأنها كانت تتوقع إجابة الله ﷻ لدعائها ، وأنكر بعضهم كونها للتَّوَقُّعِ مع الماضي ، وقال التَّوَقُّعُ انتظار الوقوع ، والماضي قد وقع ، وقد تبين بما ذكرنا أنّ مراد المثبتين لذلك أنّها تدلُّ على أنّ الفعل الماضي كان قبل الإخبار به متوقعاً ؛ لا أنّه الآن متوقع .

قال ابن هشام - رحمه الله - بعد أن ذكر ذلك : ((والذي يظهر لي قولٌ ثالث وهو : أنّها لا تفيد التَّوَقُّعَ أصلاً ، أمّا في المضارع ؛ فلأنّ قولك : ((يَقْدُمُ الْغَائِبُ)) يفيد التَّوَقُّعَ بدون قد إذ الظاهر من حال المخبر عن مستقبل أنّه متوقع له ، وأمّا في الماضي فلأنّه لو صحَّ إثبات التَّوَقُّعِ لها ، بمعنى أنّها تدخل على ما هو متوقع لصحَّ أن يقال في :

^١ قال الجوهري - رحمه الله - الصَّحاح (قدد) ٢ / ٥٢٢ : ((و (قَدْ) مَخْفَفَةٌ حَرْفٌ ، لَا يَدْخُلُ إِلَّا عَلَى الْأَفْعَالِ)) .

^٢ سورة الأنعام / ٣٣ . والآية كاملة : ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لِيَحْزُنَكَ الَّذِي يَفُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ .

^٣ اللُّبَابُ فِي عِلَلِ الْبِنَاءِ ، وَالْإِعْرَابِ ١ / ٤٩ .

^٤ سورة المجادلة / ١ .

((لَا رَجُلَ)) بالفتح إِنَّ " لا " للاستفهام ؛ لأنها لا تدخل إلا جواباً لمن قال : ((هَلْ مِنْ رَجُلٍ ؟)) ونحوه ، فالذي بعد " لا " مستفهم عنه من جهة شخص آخر ، كما أَنَّ الماضي بعد " قَدْ " متوقَّع كذلك ، وعبارة ابن مالك في ذلك حسنة ، فإنه قال : إنها تدخل على ماضٍ متوقَّع ، ولم يقل إنها تفيد التَّوَقُّع ، ولم يتعرَّض للتَّوَقُّع في الداخلة على المضارع البتَّة ، وهذا هو الحق))^١ .

٢. التَّقْرِيب : أي تقريب الفعل الماضي من الحال ، مثل قول المؤدَّن : ((قد قامت الصَّلَاة)) . قال الزَّمخشي - رحمه الله - : ((" قد " تقرِّب الماضي من الحال إذا قلت : ((قد فعل)) ، ومنه قول المؤدَّن : ((قد قامت الصَّلَاة)) ، لا بدَّ فيه من معنى التَّوَقُّع))^٢ .

قال سيبويه : ((وأما " قد " فجواب لقوله : ((لَمَّا يَفْعَلْ)) ، فتقول : ((قَدْ فَعَلَ))^٣ ، وزعم الخليل : أَنَّ هذا الكلام لقوم ينتظرون الخبر))^٤ .

٣. التَّقْلِيل : إذا دخلت على الفعل المضارع ، و أفادت التقليل ، فتكون بمنزلة ريمًا ، كقولك : ((إِنَّ الكذوب قد يصدق)) . قال الزَّمخشي - رحمه الله - : ((وتكون - قد - للتقليل بمنزلة " ريمًا " إذا دخلت على المضارع ، كقولهم : ((إِنَّ الكذوب قد يصدق))))^٥ .

التَّكْثِير : إذا دخلت على الفعل المضارع ، و أفادت التَّكْثِير ، قال ابن هشام - رحمه الله - : ((قاله سيبويه^٦ في قول الهذلي^٧ :

قَدْ أَتْرَكَ الْوَزْنَ مُصْفَرًا أَنَامِلُهُ [كَأَنَّ أَثْوَابَهُ مُجَبَّتْ بِفُرْصَادِ]^٨

^١ مغني اللبيب / ٢٢٨ .

^٢ المفصل في صنعة الإعراب / ٤٣٣ .

^٣ قال السيرافي - رحمه الله - : يعني أَنَّ الإنسان إذا سأل عن فعل فاعل ، أو كان يتوقَّع أن يُخْبَرَ به قيل له : " قد فعل " . وإن كان المخبر مبتدئاً قلت : " فعل فلان كذا " . وإذا أردت أن تنفي ، والمحدث يتوقَّع إخبارك عن ذلك الفعل ، قلت : " لَمَّا يَفْعَلْ " ، وهو نقيض " قد فعل " . وإذا ابتدأت قلت : " لم يفعل " .

^٤ الكتاب / ٤ / ٢٢٣ ، وينظر مغني اللبيب / ٢٨٨ - ٢٣٠ .

^٥ المفصل في صنعة الإعراب / ٤٣٣ ، وينظر مغني اللبيب / ٢٣٠ - ٢٣١ .

^٦ الكتاب / ٤ / ٢٢٤ .

^٧ هو شماس كما ذكر الشنتمري . ولم أقف له على شعر ، ولا ذكر في الهذليين . والحق أَنَّ البيت لعبيد بن الأبرص في ديوانه / ٧١ . ينظر : المقتضب / ١ / ٤٣ ، وابن الشجري / ١ / ٢١٢ ، وابن يعيش / ٨ / ١٤٧ ، وخرزانه الأدب ، للبغدادي / ٤ / ٥٠٢ ، وهمع الهوامع / ٢ / ٧٣ .

قال الزمخشري في : ﴿ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ ﴾^٢ ، أي : ربّما نرى ، ومعناه تكثير الرؤية ، ثم استشهد بالبيت ((^٣

٤. التّحقيق : إذا قُصِدَ منها تحقيق الفعل الذي دخلت عليه ، سواء أكان الفعل ماضياً ، أم مضارعاً ، نحو قوله ﷺ : ﴿ إِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرِبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾^٤ ، فقوله ﴿ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرِبَهُمْ ﴾ جملة خبرية مؤكدة بـ ﴿ قَدْ ﴾ ، وهي جملة مستأنفة تؤكد أنّ كل سبط منهم قد صار له مشرب يعرفه فلا يتعدى لمشرب غيره ((^٥

وهذا الذي يفيد التّحقيق هو الذي يعيننا هنا ؛ لأنّه هو الذي يفيد التّوكيد . نحو قوله ﷺ : ﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾^٦

وقد تجتمع ((قد)) ، والقسم ، فتكون الجملة مؤكدة بمؤكدين

مثل قوله ﷺ : ﴿ وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ ﴾^٧

ومنه قوله ﷺ : ﴿ وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ ﴾^٨

ومنه قوله ﷺ : ﴿ وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا ﴾^٩

وَأَنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴾^٩

^١ الشّاهد هنا وقوع " قد " بمعنى ربّما .

^٢ سورة البقرة / ١٤٤ .

^٣ مغني اللّيب / ٢٣١ .

^٤ سورة البقرة / ٦٠ .

^٥ مغني اللّيب / ٢٣١ - ٢٣٢ .

^٦ سورة البقرة / ٧٥ .

^٧ سورة البقرة / ٩٢ .

^٨ سورة البقرة / ٩٩ .

^٩ سورة البقرة / ١٣٠ .

ومنه قوله ﷻ : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ
يَتَضَرَّعُونَ ﴾^١ ، فقوله ﷻ : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ ﴾ جملة خبرية مؤكدة بالقسم ،
وقد ، وهو كلام مستأنف سيق لبيان أن من المشركين من لا يدعو الله تعالى عند إتيان
العذاب لتماديه في الغي ، والضلال ، ولا يتأثر بالزواج التكوينية كما لا يتأثر بالزواج
التنزيلية ، وقيل : مسوق لتسليته ﷻ .

وتصدير الجملة بالقسم لإظهار مزيد الاهتمام بمضمونها ، والمفعول محذوف
لأن مقتضى المقام بيان حال المرسل إليهم لا حال المرسلين ؛ وتكوين ﴿ أُمَمٍ ﴾ للتكثير ، و
﴿ مِنْ ﴾ ابتدائية ، أو بمعنى في أو زائدة بناءً على جواز زيادتها في الإثبات ، وضعف ؛
أي تالله لقد أرسلنا رسلاً إلى أمم كثيرة كائنة من زمان أو في زمان قبل زمانك^٢ .

ومنه قوله ﷻ : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا
إِبْلِيسَ لَمْ يُكُن مِّن السَّاجِدِينَ ﴾^٣ .

ومنه قوله ﷻ : ﴿ أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سَأَلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ وَمَن يَتَّبِعِ
الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾^٤ .

ومنه قوله ﷻ : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ
مِن قَبْلِهِمْ مِّثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَبِهت قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾^٥ .

ومنه قوله ﷻ : ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا
يَعْمَلُونَ ﴾^٦ .

ومنه قوله ﷻ : ﴿ فَإِن ءَامَنُوا بِمِثْلِ مَا ءَامَنتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي
شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكُهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾^٧ .

^١ سورة الأنعام / ٤٢ .

^٢ يُنظَر : روح المعاني ٧ / ١٥٠ .

^٣ سورة الأعراف / ١١ .

^٤ سورة البقرة / ١٠٨ .

^٥ سورة البقرة / ١١٨ .

^٦ سورة البقرة / ١٣٤ .

^٧ سورة البقرة / ١٣٧ .

ومنه قوله ﷺ : ﴿ قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قُلْ لَا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴾^١ ، فقوله ﷺ : ﴿ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴾ جملة خبرية مؤكدة بقد ، أي إن اتبعت أهواءكم فقد ضللت . وهو استئناف مؤكد لانتهائه ﷺ عما نهى عنه مقرر لكونه في غاية الضلال .

ومنه قوله ﷺ : ﴿ وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِي وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يُشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴾^٢ ، فقوله ﷺ : ﴿ وَقَدْ هَدَانِي ﴾ جملة خبرية مؤكدة ، في موضع الحال من ضمير المتكلم مؤكدة للإنكار ، فإن كونه ﷺ مهدياً من جهة الله تعالى ، ومؤيداً من عنده ﷺ مما يوجب الكف عن محاجته ﷺ وعدم المبالاة بها ، و الالتفات إليها إذا وقعت^٣ .

ومنه قوله ﷺ : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنَّبُوءَةَ فَاِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيَسُوْا بِهَا بِكَافِرِيْنَ ﴾^٤ ، فقوله ﷺ : ﴿ فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيَسُوْا بِهَا بِكَافِرِيْنَ ﴾ جملة خبرية مؤكدة بقد ، ومعناها فإن يكفر بها هؤلاء فلا اعتداد بهم أصلاً ، فقد وفقنا للإيمان قوماً مستمرين على الإيمان بها ، والعمل بما فيها ففي إيمانهم مندوحة عن إيمان هؤلاء^٥ .
ومنه قوله ﷺ : ﴿ يَبْنَى آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُورِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَكَّرُونَ ﴾^٥ .

المؤكد الثالث : القسم

قال الزمخشري - رحمه الله - في حدّ القسم : ((يشترك فيه الإسم والفعل ، وهو جملة فعلية ، أو اسمية تؤكّد بها جملة موجبة ، أو منفية ، نحو قولك : ((بالله ، وأقسمت ، وآليت ، وعلم الله ، ويعلم الله ، ولعمرك ، ولعمرك أبيك ، ولعمرك الله ، ويمين الله ، وأيمن الله ، وإيم الله ، وأمانة الله ، وعلي عهد الله لأفعلن ، أو لا أفعل)) ، ومن شأن الجملتين أن تنتزلا منزلة جملة واحدة ، كجملتي الشرط والجزاء ، ويجوز حذف الثانية ها هنا عند

^١ سورة الأنعام / ٥٦ .

^٢ سورة الأنعام / ٨٠ .

^٣ يُنظَر : روح المعاني ٧ / ٢٠٤ .

^٤ سورة الأنعام / ٨٩ .

^٥ سورة الأعراف / ٢٦ .

الدلالة جواز ذلك ثمة ، فالجملة المؤكّدة بها هي القسم ، والمؤكّدة هي المُقسَمَ عليها ،
والإسم الذي يلصق به القسم ليعظم به ، ويفخم هو المقسم به))^١ .

وقال العكبري - رحمه الله - : ((القسم ليس بمصدر ، " أقسمت " بل هو عبارة
عن جملة اليمين ، فهو بمعنى المقسم به ، فهو كالمقبض ، والنقض بمعنى المقبوض ،
والمنقوض))^٢ .

ثم وضّح - رحمه الله - الغرض من القسم فقال : ((والغرض منه توكيد الكلام
الذي بعده من إثبات أو نفي))^٣ .

ونقل القرافي - رحمه الله - الإجماع على أنه إنشاء ، وأن فائدته تأكيد الجملة
الخبرية وتحقيقتها^٤ .

وقد أوضح سعد الدين التفتازاني - رحمه الله - هذه المسألة فقال لمن التبس
عليه قول الزمخشري - رحمه الله - في تفسير قوله ﷺ : ﴿ وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ
أَصَابْتُمْ مُصِيبَةً قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا ﴾^٥ ، ((اللام في ﴿ لَمَنْ ﴾ للابتداء
بمنزلتها في قوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾^٦ ، وفي ﴿ لَيُبَطِّئَنَّ ﴾ جواب قسم محذوف تقديره
: وإن منكم لمن أقسم بالله لَيُبَطِّئَنَّ ، والقسم وجوابه صلة مَنْ ، والضمير الراجع منها إليه
ما استكن في ﴿ لَيُبَطِّئَنَّ ﴾ والخطاب لعسكر رسول الله ﷺ))^٧ .

فقال التفتازاني - رحمه الله - ((مراده أن الصلة هو الجواب المؤكّد بالقسم ، وهو
جملة خبرية محتملة للصدق ، والكذب ، ولذا يقال في تأكيد الإخبار ، (والله لزيد قائم) ،
والإنشاء إنما هو نفس الجملة القسمية ، مثل قولنا : (والله) ، و (أقسم بالله) ، ونحو ذلك
، وهذا كما أن الشرطية خبرية بخلاف الشرط))^٨ .

^١ المفصل في صنعة الإعراب / ٤٨٢ .

^٢ اللباب في علل البناء والإعراب / ١ / ٣٧٤ .

^٣ اللباب في علل البناء والإعراب / ١ / ٣٧٤ .

^٤ الإتقان / ٢ / ٢٢٤ .

^٥ سورة النساء / ٧٢ .

^٦ سورة النحل / ١٨ .

^٧ الكشف / ٢ / ١٠٦ .

^٨ المطول / ٢٤٠ .

و القسم ((هو أن يريد المتكلم الحلف على شيء ، فيحلف بما يكون فيه فخر له ، أو تعظيم لشأنه ، أو تنويه لقدره ، أو ذم لغيره ، أو جارياً مجرى الغزل ، والترقُّق ، أو خارجاً مخرج الموعظة والزهد))^١ .

و ((القسم يؤكد الجملة خبرية ، وهو الغالب في القرآن الكريم ، كقوله ﷻ : ﴿ فَوَرَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطَفُونَ ﴾^٢ .

فجملة القسم ﴿ فَوَرَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ جملة إنشائية جاءت لتوكيد الجملة الخبرية ﴿ إِنَّهُ لَحَقٌّ ﴾ .

كما يؤكد الجملة الطلبية كقوله ﷻ : ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾^٣ ، مع أن هذا القسم قد يراد به تحقيق المقسم عليه ، فيكون من باب الخبر ، وقد يراد به تحقيق القسم ، فالمقسم عليه يراد بالقسم توكيده ، وتحقيقه فلا بد أن يكون مما يحسن فيه ، وذلك كالأمور الغائبة ، والخفية إذا أقسم على ثبوتها ، فأما الأمور المشهودة الظاهرة كالشمس ، والقمر ، والليل ، والنهار ، والسماء والأرض .

والقسم لما كان يكثر في الكلام اختصر ، فصار فعل القسم يحذف ، ويكتفى بالباء ، ثم عوض من الباء الواو في الأسماء الظاهرة ، والتاء في اسم الله تعالى ، كقوله ﷻ : ﴿ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَمَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُولُوا مُدْبِرِينَ ﴾^٤ .

والذي يعيننا هنا القسم المؤكد للجملة الخبرية ، مثل قوله ﷻ : ﴿ فَوَرَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطَفُونَ ﴾^٥ ، أقسم ﷻ بقسم يوجب الفخر ؛ لتضمنه التمدح بأعظم قدرة ، وأجل عظمة .

ومنه قوله ﷻ : ﴿ لَعَنَّاكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾^٦ ، أقسم ﷻ بحياة نبيه تعظيماً لشأنه ، وتنويهاً بقدره .

^١ الإتيان ٢ / ٢٥١ .

^٢ سورة الدَّارِيَاتِ / ٢٣ .

^٣ سورة الحجر / ٩٢ .

^٤ سورة الأنبياء / ٥٧ .

^٥ يُنظَر : التبيان في أقسام القرآن / ٣ - ١٦ ، والإتيان ٢ / ٣٥٣ ، وأسرار العربية / ٢٤٧ ، والمفصل في

صناعة الإعراب / ٤٨٣ - ٤٨٤ ، واللُّبَابُ فِي عِلَلِ الْبِنَاءِ وَالْإِعْرَابِ / ١ / ٣٧٥ .

^٦ سورة الدَّارِيَاتِ / ٢٣ .

^٧ سورة الحجر / ٧٢ .

ونقل الإمام بن جرير الطبري - رحمه الله - قول ابن عباس - رضي الله عنهما - في تفسير هذه الآية : ((عن ابن عباس ، في قول الله : ﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ قال : ما حلف الله تعالى ب حياة أحدٍ إلا بحياة محمدٍ ﷺ قال : وحياتك يا محمد ، وعمرك ، وبقائك في الدنيا إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ))^١ .

ويقسم الله ﷻ على أصول الإيمان التي تجب على الخلق معرفتها ، فتارة يقسم على التوحيد ، كقوله ﷻ : ﴿ وَالصَّافَّاتِ صَفًا * فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا * فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا * إِنَّ إِلَهُكُمْ لَوَاحِدٌ ﴾^٢ ، أقسم الله - تعالى ذكره - بالصَّافَّاتِ ، والزَّاجِرَاتِ ، والتَّالِيَاتِ ذِكْرًا ، فأما الصَّافَّاتِ : فإنَّها الملائكة الصَّافَّاتِ لربها في السَّماءِ ، وهي جمع صافَّةٍ ، فالصَّافَّاتِ : جَمْعُ جَمَعٍ ، فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا : و هي الملائكة تزجر السَّحابِ تسوقه ، فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا : هي الملائكة القارئات كتاباً ، فهذه جمل إنشائية أقسم الله ﷻ بها ليؤكد الجملة الخبرية التي تلي هذه الأقسام ، وهي : ﴿ إِنَّ إِلَهُكُمْ لَوَاحِدٌ ﴾ ؛ أي والصَّافَّاتِ صَفًا إِنَّ مَعْبُودَكُمْ الَّذِي يَسْتَوْجِبُ عَلَيْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ الْعِبَادَةَ ، وَإِخْلَاصَ الطَّاعَةِ مِنْكُمْ لَهُ لَوَاحِدٌ ، لا ثاني له ، ولا شريك . يقول : فأخلصوا العبادة ، وإياه فأفردوا بالطَّاعة ، ولا تجعلوا له في عبادتكم إياه شريكاً^٣ . وأقسم على أن القرآن حقٌ ، فقال ﷻ : ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ * وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ * إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴾^٤ ، أي أقسم بمساقط النجوم ومغايبها في السماء ، وقوله ﷻ : ﴿ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴾ يقول تعالى ذكره ، وإنَّ هذا القسم الذي أقسمت لقسم لو تعلمون ما هو ، وما قدره ، قسم عظيم ، من المؤخَّر الذي معناه التَّقْدِيمُ ؛ أي : وإنه لقسم عظيم لو تعلمون عظمه .

﴿ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴾ ؛ أي يقول تعالى ذكره : فلا أقسم بمواقع النجوم أن هذا القرآن لقرآن كريمٌ ، والهاء في قوله : ﴿ إِنَّهُ ﴾ من ذكر القرآن^٥ .

وأقسم ﷻ أن الرسول ﷺ حق فقال : ﴿ يَسَّ * وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ * إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾^٦ ، أي والقرآن المحكم بما فيه من أحكامه ، وبيِّنات حججه إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ، حيث يقسم

^١ جامع البيان في تفسير القرآن ٧ / ٥٢٦ .

^٢ سورة الصَّافَّاتِ / ١ - ٤ .

^٣ يُنظَر : جامع البيان في تفسير القرآن ١٠ / ٤٦٨ .

^٤ سورة الواقعة / ٧٥ - ٧٧ .

^٥ يُنظَر : جامع البيان في تفسير القرآن ١١ / ٦٥٨ - ٦٥٩ .

^٦ سورة يس / ١ - ٣ .

تعالى ذكره بوحيه ، وتنزيله لنبيه محمد ﷺ : إِنَّكَ يَا مُحَمَّدُ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ بوحى الله إلى عباده

وأقسم ﷻ على الجزاء والوعد والوعيد ، فقال : ﴿ وَالذَّارِيَاتِ ذُرُوءًا * فَأَلْحَامَاتِ وُقُرَاءَ * فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا * فَالْمُقَسَّمَاتِ أَمْرًا * إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٍ * وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ ﴾^١ ، أقسم تعالى ذكره بالرياح التي تذر التراب ذرراً ، و بالسحاب التي تحمل قرها من الماء ، وبالسفن التي تجري في البحار ، وبالملائكة التي تقسم أمر الله في خلقه ، فهذه جمل إنشائية أقسم الله ﷻ بها ؛ ليؤكد الجمل الخبرية التالية لها ﴿ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٍ * وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ ﴾ ، أي إن الذي توعدون أيها الناس من قيام الساعة ، وبعث الموتى من قبورهم لصادق ، ولكائن حق يقين^٢ .

وأقسم ﷻ على حال الإنسان ، فقال : ﴿ وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا * فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا * فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا * فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا * فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا * إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ * وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَلِكَ لَشَهِيدٌ * وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴾^٣ .^٤

((وأكثر ما يحذف الجواب إذا كان في نفس المقسم به دلالة على المقسم عليه ، فإن المقصود يحصل بذكره ، فيكون حذف المقسم عليه أبلغ وأوجز كقوله : ﴿ ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ ﴾^٥ ، فإن في القسم به ؛ من تعظيم القرآن ، ووصفه بأنه ذو الذكر المتضمن لتذكير العباد ما يحتاجون إليه ، والشرف ، والقدر ما يدل على المُقسَم عليه ، وهو كونه حقاً من عند الله ، غير مفترى كما يقول الكافرون ، ولهذا قال كثيرون : إن تقدير الجواب ((إنَّ الْقُرْآنَ لِحَقٌّ)) ، وهذا مطرد في كل ما شابه ذلك ، كقوله : ﴿ ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ﴾^٦ .^٧

^١ سورة الذاريات / ١ - ٦ .

^٢ يُنظَر : جامع البيان في تفسير القرآن ٢٦ / ١١٥ .

^٣ سورة العاديات / ١ - ٨ .

^٤ يُنظَر : الإتيان ٢ / ٣٥٣ - ٣٥٤ .

^٥ سورة ص / ١ .

^٦ سورة ق / ١ .

^٧ يُنظَر : الإتيان ٢ / ٣٥٣ - ٣٥٤ .

ومن القسم قوله ﷺ : ﴿ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ * فَوَرَبَّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطَفُونَ ﴾^١ ، أي فرب السماء والأرض ، إن الذي قلت لكم ﴿ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾ لحق ، كما أنه حق أنكم تنطقون . فعندما سمعها بعض الأعراب صرخ ، وقال : من ذا الذي أغضب الجليل حتى ألجأه إلى اليمين !

المؤكّد الرَّابِع : ((ضمير الفصل))

هو ((ضمير بصيغة المرفوع مطابق لما قبله تكلماً ، وخطاباً ، وغيبة ، وإفراداً وغيره وإنما يقع بعد مبتدأ أو ما أصله المبتدأ وقبل خبر كذلك))^٢ .
وسمّي ضمير الفصل ؛ لأنه يفصل بين الخبر ، والصفة ، أو بين ما أصله المبتدأ والخبر^٣ .

ويسمّيه البصريون فصلاً ، والكوفيون عماداً ، نحو قوله ﷺ : ﴿ أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾^٤ ، فقوله : ﴿ هُمْ ﴾ ضمير فصل ، وضمير الفصل إما للقصر . أو لمجرد تأكيد النسبة ، ولا استبعاد في جريان القصر قلباً ، أو تعييناً ، بل إفراداً أيضاً ، أو للجنس . فتشير إلى ما يعرفه كل أحد من هذا المفهوم ، فإن أريد القصر كان الفصل لتأكيد النسبة ، ولتأكيد الاختصاص أيضاً ، وإن أريد الاتّحاد كان لمجرد تأكيد النسبة^٥ .

ومثله قوله ﷺ : ﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُمْ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُمْ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾^٦ ، فقوله ﷺ : ﴿ كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ﴾ جملة خبرية مؤكدة بضمير الفصل ﴿ أَنْتَ ﴾ الذي توسط بين ما أصله المبتدأ والخبر .

^١ سورة الدّاريات / ٢٢ - ٢٣ .

^٢ الإتقان / ١ / ٥٥١ .

^٣ يُنظَر : المفصل في صنعة الإعراب / ١٧٢ ، و شرح ابن عقيل / ١ / ٣٧٢ ،

^٤ سورة البقرة / ٥ .

^٥ يُنظَر : روح المعاني / ١ / ١٢٨ .

^٦ سورة المائدة / ١١٧ .

ومثله قوله ﷻ : ﴿ وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَابًا مِّنَ السَّمَاءِ أَوْ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾^١ ، فقوله ﴿ هُوَ ﴾ ضمير فصل توسط بين ما أصله المبتدأ ، والخبر . ويفيد التوكيد .

ومثله قوله ﷻ : ﴿ وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَقُومُ هَؤُلَاءِ بِبَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴾^٢ ، فقوله ﷻ : ﴿ هَؤُلَاءِ بِبَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ﴾ جملة خبرية مؤكدة بضمير الفصل ﴿ هُنَّ ﴾ .

ومثله قوله ﷻ : ﴿ وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِن تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴾^٣ ، ف ﴿ أَنَا ﴾ ضمير فصل ، وحينئذ يتعين أن تكون الرؤية علمية ؛ لأنَّ الفصل إنما يقع بين مبتدأ وخبر في الحال ، أو في الأصل .

ومثله قوله ﷻ : ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتَبَكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِّنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ ﴾^٤ ، فقوله ﷻ : ﴿ وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ ﴾ جملة مؤكدة بضمير الفصل ﴿ نَحْنُ ﴾ المتوسط بين ما أصلهما المبتدأ والخبر .

ومثله قوله ﷻ : ﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ ﴾^٥ .

ومثله قوله ﷻ : ﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ ﴾^٦ ، ف ﴿ نَحْنُ ﴾ في الآيتين السابقتين ضمير فصل ، فصل بين المبتدأ ، وخبره ، و إنَّ ، واللام ، وتوسط ضمير فصل تفيد التأكيد ، والاختصاص .

إعراب ضمير الفصل

اختلف النحاة في إعراب ضمير الفصل ، فكثير منهم يجعلونه مبتدأ ، وما بعده مبنياً عليه ، وعن رؤية^٧ أنه يقول : ((أظنُّ زيدٌ هو خيرٌ منك)) ، ويقرؤون : ﴿ وَمَا

^١ سورة الأنفال / ٣٢ .

^٢ سورة هود / ٧٨ .

^٣ سورة الكهف / ٣٩ .

^٤ سورة القصص / ٥٨ .

^٥ سورة الصافات / ١٦٥ .

^٦ سورة الصافات / ١٦٦ .

^٧ هو رؤية بن العجاج التميمي الرّاجز من أعراب البصرة ، وكان رأساً في اللغة ، ورؤية بالهمزة قطعة من خشب يشعب بها إناء جمعها رئاب ، والرؤية بواو : خميرة اللبن والرؤية أيضاً قطعة من الليل . المتوفى سنة مائة وخمسة وأربعين من الهجرة ، راجزٌ فحلُّ يُكثر علماء اللغة والنحو من الاحتجاج بشعره لما مات قال الخليل : دفناً

ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ ﴿١﴾ ، والقراءة المشهورة : ﴿ هُمُ الظَّالِمِينَ ﴾ ، ويقرؤون قوله ﷺ : ﴿ وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلُّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴾^٢ ،
)) والقراءة المشهورة بالنصب : ﴿ إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلُّ ﴾^٣ .

ويسميه الكوفيون عماداً حيث قالوا : إِنْ ما يُفصل به بين النَّعت ، والخبر يسمَّى عماداً ، وله موضع من الأعراب .
 وذهب بعضهم إلى أَنَّ حكمه حكم ما قبله ، وذهب بعضهم إلى أَنَّ حكمه حكم ما بعده .

ويُسميه البصريون فصلاً ؛ لأنَّه يفصل بين النَّعت والخبر إذا كان الخبر مضارعاً لنعت الاسم ؛ ليخرج من معنى النَّعت كقوله ﷺ : ﴿ هَذَا هُوَ الْحَقُّ ﴾^٤ ، ولا موضع له من الإعراب))^٥ .

والذي عليه المعول هو قول البصريين ، أي لا محلَّ له من الإعراب .
 وذكر السيوطي - رحمه الله - خلاف العلماء في ضمير الشَّان فقال : ((جوز الأخفش وقوعه بين الحال وصاحبها ، وخرَّج عليه قراءة ﴿ هُنَّ أَطَهَرَ ﴾ بالنصب . وجوز الجرجاني وقوعه قبل مضارع ، وجعل منه ﴿ إِنَّهُ هُوَ يُبْدِيءُ وَيُعِيدُ ﴾^٦ . وجعل منه أبو البقاء : ﴿ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴾^٧))^٨ . قال أبو البقاء العكبري - رحمه الله - : ((قوله تعالى : ﴿ وَمَكْرُ أُولَئِكَ ﴾ مبتدأ ، والخبر ﴿ يَبُورُ ﴾ ، و ﴿ هُوَ ﴾ فصل أو توكيد ، ويجوز أن يكون مبتدأ ، ويبور الخبر ، والجملة خبر مكر))^٩ .

الشَّعْر ، واللُّغَة ، والفصاحة . يُنظَر : البداية والنَّهْيَة ١٠ / ٩٦ ، والخزانة ١ / ٨٩ ، السَّيْر ٦ / ١٦٢ ، لسان

الميزان ٢ / ٢٦٤ ، ومعجم الأدياء ١١ / ١٤٩ .

^١ سورة الزُّخْرَف / ٧٦ .

^٢ سورة الكهف / ٣٩ .

^٣ يُنظَر : المفصَّل في صنعة الإعراب / ١٧٢ .

^٤ سورة الأنفال / ٣٢ .

^٥ يُنظَر : الإنصاف في مسائل الخلاف ٢ / ٧٠٦ .

^٦ سورة البروج / ١٣ .

^٧ سورة فاطر / ١٠ .

^٨ الإتيقان ١ / ٥٥١ .

^٩ إملاء ما منَّ به الرَّحْمَن / ٤٩٥ .

فوائد ضمير الفصل

ولضمير الفصل ثلاثة فوائد ، هي :

١. الإعلام بأن ما بعده خبر لا تابع .
٢. التأكيد ، ولهذا سماه الكوفيون دعامة ؛ لأنه يدعم به الكلام ؛ أي يقوى ويؤكد .
٣. الاختصاص .

وقد ذكر الزمخشري هذه الفوائد في تفسير قوله ﷺ : ﴿ أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾^١ ، فقال - رحمه الله - : ((و ﴿ هُمْ ﴾ فصل ، وفائدته : الدلالة على أن الوارد بعده خبر لا صفة ، والتوكيد ، وإيجاب أن فائدة المسند ثابتة للمسند إليه دون غيره . أو هو مبتدأ ، والمفلحون خبره ، والجملة خبر أولئك))^٢ .

وضمير الفصل سمي ضميراً تجوّزاً ؛ لأنه جاء على صورة الضمير ، والحقيقة أنه يختلف معها كونه حرف ليس له محلّ من الإعراب - على الصحيح - ، والضمائر كلّها لها محلّ من الإعراب .

المؤكد الخامس : لام الابتداء

تدخل على المبتدأ والخبر مؤكدة ، ومانعة ما قبلها من تخطيها إلى ما بعدها ، وهي غير عاملة ، و لا تلحق إلا الأسماء ، وما يكون بمنزلتها كالمضارع^٣ ، نحو قوله ﷺ : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ مِّنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ أَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾^٤ ، فقوله ﷺ : ﴿ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ﴾ جملة خبرية مؤكدة بلام الابتداء .

^١ سورة البقرة / ٥٠ .

^٢ الكشاف / ١ / ١٦١ .

^٣ يُنظَر : اللّامات ، لأبي القاسم عبدالرحمن بن إسحاق - دار الفكر - دمشق - ١٩٨٥ م - الطبعة الثانية -

تحقيق : مازن المبارك / ٧٨ .

^٤ سورة يوسف / ١٠٩ .

ومنه قوله ﷺ : ﴿ وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ ﴾^١ ، فقوله ﷺ : ﴿ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ ﴾ ، و ﴿ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ ﴾ جملتان خبريان مؤكدتان بلام الابتداء .

ومنه قوله ﷺ : ﴿ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ ﴾^٢ ، فقوله ﷺ : ﴿ لَمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى ﴾ جملة خبرية مؤكدة بلام الابتداء .

وخالف الكوفيون ذلك فقالوا : إن اللام الداخلة على المبتدأ هي لام جواب قسم مقدر ، فأضمر اليمين اكتفاء باللام منها . فقالوا مثلاً في قوله ﷺ : ﴿ لَمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى ﴾ اللام جواب قسم محذوف تقديره : ((والله لَمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى)) .

فائدة لام الابتداء

للام الابتداء فائدتان :

١. توكيد مضمون الجملة ، ولهذا زحلقوها في باب إن عن صدر الجملة كراهة توالي مؤكدين .
٢. تخليص المضارع للحال^٣ .

مواضع دخولها

١. تدخل على المبتدأ :

نحو قوله ﷺ : ﴿ وَلِأُمَّةٍ مٌؤْمِنَةٍ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ﴾^٤ ، في ﴿ لِأُمَّةٍ ﴾ ، و ﴿ لَعَبْدٌ ﴾ .

ونحو قوله ﷺ : ﴿ لِأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِّنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴾^٥ .

^١ سورة النحل / ٣٠ .

^٢ سورة التوبة / ١٠٨ .

^٣ يُنظَر : الإِتْقَان ١ / ٤٩٩ .

^٤ سورة البقرة / ٢٢١ .

^٥ سورة الحشر / ١٣ .

٢. تدخل على الفعل الذي لا يتصرف :

نحو قوله ﷻ : ﴿ وَلَيْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾^١ .

ونحو قوله ﷻ : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ

٢٠

ونحو قوله ﷻ : ﴿ وَتَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسْرِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتِ لَبِئْسَ مَا

كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾^٢ .

ونحو قوله ﷻ : ﴿ تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ

سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ ﴾^٣ .

ونحو قوله ﷻ : ﴿ وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ

الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلِلَّذِينَ الْآخِرَةَ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ ﴾^٤ .

ونحو قوله ﷻ : ﴿ وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ ﴾^٥ ، فاللام في ﴿ بِنِسْ ﴾ ،

نِعْمَ ﴿ لام الابتداء .

٣. وتدخل على الفعل المضارع :

نحو قوله ﷻ : ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ

أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِيَسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ

٧

المؤكد السادس : اللام المزحلقة

وتسمى المزحلقة ؛ لأنهم زحلقتها عن صدر الجملة كراهة توالي مؤكداين ، ولأنها

تدلُّ بجهة التأكيد ، و((إن)) تدلُّ بجهتين ؛ العمل والتأكيد ، والدالُّ بجهتين مقدَّم على

^١ سورة البقرة / ١٠٢ .

^٢ سورة البقرة / ٢٠٦ .

^٣ سورة المائدة / ٦٢ .

^٤ سورة المائدة / ٨٠ .

^٥ سورة النحل / ٣٠ .

^٦ سورة الصافات / ٧٥ .

^٧ سورة المائدة / ٨٢ .

الدالّ بجهة ، وإذا جاءت مع ((إِنَّ)) كان بمنزلة تكرار الجملة ثلاث مرّات ، لأنّ ((إِنَّ)) أفادت التّكرير مرّتين ، فإذا دخلت اللّام صارت ثلاثاً^١ .

مواضع دخولها

١. تدخل على خبر ((إِنَّ)) :

ومن ذلك قوله ﷺ : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴾^٢ ، فقوله ﷺ : ﴿ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴾ جملة خبرية مؤكّدة بـ ﴿ إِنَّ ﴾ ، وباللام المزحلّقة في ﴿ لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴾ ، و ﴿ سَمِيعٌ ﴾ خبر ﴿ إِنَّ ﴾ .
ومنه قوله ﷺ : ﴿ إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اختلفُوا فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾^٣ ، فقوله ﷺ : ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ جملة خبرية مؤكّدة بـ ﴿ إِنَّ ﴾ ، وباللام المزحلّقة في ﴿ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ ﴾ ، وجملة ﴿ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ ﴾ في محلّ رفع خبر ﴿ إِنَّ ﴾ .

ومنه قوله ﷺ : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾^٤ .

٢. تدخل على اسم ((إِنَّ)) المؤخّر :

نحو قوله ﷺ : ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى * وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَى ﴾^٥ .

٣. تدخل على ضمير الفصل :

نحو قوله ﷺ : ﴿ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَقْصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾^٦ ، قال الزّمخشري - رحمه الله - في تفسيرها : ((إِنَّ هَذَا ﴾ الذي فُصّ عليك من نبأ عيسى ﴿ لَهُوَ الْفَقْصُ الْحَقُّ ﴾ فُرىء بتحريك الهاء على الأصل وبالسكون ؛ لأنّ اللّام تنزل من ﴿ هُوَ ﴾ منزلة بعضه ، فحفّف كما حفّف عضد. و ﴿ هُوَ ﴾ إمّا فصل بين اسم ﴿ إِنَّ ﴾ وخبرها ، وإمّا مبتدأ ، و ﴿ الْفَقْصُ الْحَقُّ ﴾ خبره. والجملة خبر ﴿ إِنَّ ﴾ .
فإن قلت : لمّ جاز دخول اللّام على الفصل ؟ قلت : إذا جاز دخولها على الخبر كان

^١ يُنظَر : البرهان في علوم القرآن ٢ / ٤٨ - ٤٩ .

^٢ سورة إبراهيم / ٣٩ .

^٣ سورة النحل / ١٢٤ .

^٤ سورة القلم / ٤ .

^٥ سورة الليل / ١٢ - ١٣ .

^٦ سورة آل عمران / ٦٢ .

دخولها على الفصل أجوز ؛ لأنه أقرب إلى المبتدأ منه ، وأصلها أن تدخل على المبتدأ
 .^١

المؤكد السابغ - حرفا التثنية ((ألا)) و ((أما)) أولاً - ((ألا))

وترد للتثنية في فاتحة الكلام ، وتدخل على الجملتين الاسمية ، والفعلية ، وقد كثر
 وروده في القرآن الكريم ، منه قوله ﷺ : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ
 مُصْلِحُونَ * أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ * وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ قَالُوا
 أَنُؤْمِنُ كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴾^٢ ، ف((ألا)) تفيد تحقق ما
 بعدها ، ففي هذه الآية نرى أن الله ﷻ أكد لنا أن المنافقين الذين يسفّهون المؤمنين ، أنهم
 هم الأحقون بهذا السفه ؛ حيث قال : ﴿ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ ﴾ حقيقة .

قال الألوسي - رحمه الله - في تفسير قوله ﷻ : ﴿ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا
 يَشْعُرُونَ ﴾^٣ : ((ردٌ لدعواهم المحكية على أبلغ وجه ؛ حيث سلك فيه مسلك الاستئناف
 المؤدّي إلى زيادة تمكّن الحكم في ذهن السّامع مع تأكيد الحكم ، وتحقيقه بـ ((إن)) و ((ألا
)) بناءً على تركبها من همزة الاستفهام الإنكاري الذي هو نفي معنى ، و ((لا)) النافية فهو
 نفي نفي ، فيفيد الإثبات بطريق برهاني أبلغ من غيره ، وإفادتها التّحقيق كما قال ناصر
 الدين : لا يكاد تقع الجملة بعدها إلا مصدرية بما يتلقى به القسم (كان ، واللّام ، وحرف
 النفي) ، والذي ارتضاه الكثير أنّها بسيطة ، لا لأنّها تدخل على ((إن)) المشدّدة ، و ((لا))
 النافية لا تدخل عليها إذ قد يقال : انفسخ بعد التّركيب حكمها الأصلي ؛ بل لأنّ الأصل
 البساطة))^٤ .

وقال الطاهر بن عاشور - رحمه الله - عند تفسيره هذه الآية : ((أتى بما يقابل
 جفاء طبعهم انتصاراً للمؤمنين ، ولو لا جفاء قولهم : ﴿ أَنُؤْمِنُ كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ ﴾^٥ ، لمّا
 تصدّى القرآن لسبابهم مع أنّ عادته الإعراض عن الجاهلين ، ولكنهم كانوا مضرب المثل

^١ الكشاف / ١ / ٥٦٦ .

^٢ سورة البقرة / ١١ - ١٣ .

^٣ سورة البقرة / ١٢ .

^٤ روح المعاني / ١ / ١٥٦ .

^٥ سورة البقرة / ١٣ .

: ((قُلْتَ فَأُوجِبَتْ)) ، ولأنه مقام بيان الحق من الباطل ، فتحسن فيه الصراحة ، والصرامة كما تقرّر في آداب الخطابه ، وأعلن ذلك بكلمة " ألا " المؤذنة بالتثبيته للخبر ، وجاء بصيغة القصر على نحو ما قرّر في : ﴿ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ ﴾^١ ؛ ليدلّ على أنّ السفاهة مقصورة عليهم دون المؤمنين ، فهو إضافي لا محالة ، وإذا ثبت لهم السفاهة انتفى عنهم الجلم لا محالة ؛ لأنّهما ضدّان في صفات العقول . و " إن " هنا لتوكيد الخبر ، وهو مضمون القصر ، وضمير الفصل لتأكيد القصر))^٢ .

ومنه قوله ﷺ : ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرَ اللَّهُ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾^٣ .

ومنه قوله ﷺ : ﴿ فَإِذَا جَاءَتْهُمْ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾^٤ ، فقوله ﷺ : ﴿ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ ﴾ جملة خبرية مؤكدة بحرف التثبيته ((ألا)) و ((إن)) ، وهي استئناف مسوق من قبله ﷺ لردّ مقالتهم الباطلة ، وتحقيق للحق في ذلك ، وتصديره بحرف التثبيته لإبراز كمال العناية بمضمونه ؛ أي ليس شؤمهم إلا عند الله أي من قبله وحكمه^٥ .

ومنه قوله ﷺ : ﴿ وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرْبَاتٍ عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾^٦ ، فقوله ﷺ : ﴿ أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ ﴾ جملة خبرية مؤكدة بـ ((ألا)) و ((إن)) ، وهي شهادة لهم من الله ﷺ بصحة ما اعتقدوه وتصديق لرجائهم .

ومنه قوله ﷺ : ﴿ أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ

لَا يَعْلَمُونَ ﴾^٧ .

^١ سورة البقرة / ١٢٠ .

^٢ التحرير والتشوير ١ / ٢٨٨ .

^٣ سورة البقرة / ٢١٤ .

^٤ سورة الأعراف / ١٣١ .

^٥ يُنظَر : روح المعاني ٥ / ٣٢ .

^٦ سورة التوبة / ٩٩ .

^٧ سورة يونس / ٥٥ .

ومنه قوله ﷻ : ﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾^١ ، فقوله ﷻ :
﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ ﴾ جملة خبرية مؤكدة بـ ((أَلَا)) و ((إِنَّ)) .

وقال أبو السعود - رحمه الله - في تفسير هذه الآية : هي ((بيان على وجه التنبؤ ، والوعد نتيجة لأعمال المؤمنين ، وغاية لما ذكر قبله من كونه تعالى مهيمناً على نبيه - عليه السلام - ، وأمته في كل ما يأتون ، وما يذرون ، وإحاطة علمه سبحانه بجميع ما في السماء ، والأرض ، وكون الكل مثبتاً في الكتاب المبين بعد ما أشير إلى فظاعة حال المفتريين على الله تعالى يوم القيامة ، وما سيعتريهم من الهول إشارة إجمالية على طريق التهديد والوعيد ، وصدرت الجملة بحرفي التنبؤ ، والتحقق ؛ لزيادة تقرير مضمونها ، والولي لغة القريب والمراد بأولياء الله خلص المؤمنين ؛ لقربهم الروحاني منه ﷻ كما سيفصح عنه تفسيرهم .

﴿ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ ﴾ في الدارين من أحوق مكروه ، ﴿ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ من فوات مطلوب ؛ أي لا يعتريهم ما يوجب ذلك ، لا أنه يعتريهم لكنهم لا يخافون ، ولا يحزنون ، ولا أنه لا يعتريهم خوف ، وحزن أصلاً بل يستمرّون على النشاط والسُرور ، كيف لا واستشعار الخوف والخشية استعظماً لجلال الله - سبحانه - وهيبته واستقصاراً للجد والسعي في إقامة حقوق العبودية من خصائص الخواص والمقرّين ، والمراد بيان دوام انتفائهما ، لا بيان انتفاء دوامهما ، كما يوهمه كون الخبر في الجملة الثانية مضارعاً ؛ لما مرّ مراراً من أن النفي وإن دخل على نفس المضارع يفيد الاستمرار والدوام بحسب المقام ، وإنما لا يعتريهم ذلك ؛ لأن مقصدهم ليس إلا طاعة الله تعالى ونيل رضوانه المستتبع للكرامة والرّلى ، وذلك مما لا ريب في حصوله ولا احتمال لفواته بموجب الوعد بالنسبة إليه تعالى ، وأمّا ما عدا ذلك من الأمور الدنيوية المترددة بين الحصول ، والفوات فهي بمعزل من الانتظام في سلك مقصدهم وجوداً وعدمًا ، حتى يخافوا من حصول ضارّها أو يحزنوا بفوات نافعها))^٢ .

ومنه قوله ﷻ : ﴿ أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾^٣ .

^١ سورة يونس / ٦٢ .

^٢ إرشاد العقل السليم / ٤ / ١٥١ .

^٣ سورة يونس / ٦٦ .

ثانياً : ((أما)) الاستفتاحية

وهو مثل ((ألا)) إلا أنه يكثر بعدها القسم ، وتأتي بمعنى ((حقاً)) ، وهذا نادر في القرآن الكريم . مثل قول أبي صخر الهذلي^١ :
أما والذي أبكى وأضحك والذي أمات وأحيا والذي أمره الأمر^٢

المؤكد الثامن : ((أما)) الشرطية

وهي حرف شرط يدل عليها لزوم الفاء بعدها، وحرف تفصيل ، وتوكيد . ويأتي بعدها المبتدأ ، أو الخبر ، أو جملة الشرط ، أو اسم منصوب بالجواب .
نحو قوله ﷺ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ ﴾^٣ ، فقله ﷺ : ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ ﴾ ، وكذا : ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا ﴾ .
قال الألوسي - رحمه الله - : ((فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ ﴾ تفصيل لما أشار إليه قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ﴾ من أنه وقع فيه ارتياب بين التحقيق والارتياب ، أو لما يترتب على ضرب المثل من الحكم إثر تحقيق حقية صدره عنه سبحانه ، والفاء للدلالة على ترتب ما بعدها على ما يشير إليه ما قبلها ، وكأنه قيل كما قيل فيضربه ، ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ ﴾ وتقديم بيان حال المؤمنين لشرفه ، و﴿ أما ﴾ على ما عليه المحققون حرف متضمنة لمعنى الشرط ، ولذا لزمها الفاء غالباً ، وتفيد مع هذا تأكيد ما دخلت عليه من الحكم ؛ وتكون لتفصيل مجمل تقدمها صريحاً ، أو دلالةً ، أو لم يتقدم لكنه حاضر في الذهن ولو تقديراً ، ولما كان هذا خلاف الظاهر في كثير من موارد استعمالها جعله

^١ أبو صخر عبدالله بن سلمة الهذلي .

^٢ هذا البيت لأبي صخر الهذلي ، وجواب القسم في بيت لاحق :

لقد تركتني أحسد الوحش أن أرى أليفين منها لا يروعهما الدعر

، ينظر : شرح أشعار الهذليين ، للسكري ٢ / ٩٥٧ ، وشرح الحماسة ٣ / ١١٩ ، وشواهد السبوطي / ٦٢ .

^٣ سورة البقرة / ٢٦ .

الرّضي والمرضى من المحققين أغلبياً ، وفسّر سيبويه ((أمّا زيدٌ فذاهبٌ)) بمهما يكن من شيء ، فزيدٌ ذاهبٌ ، وليس المراد به أنّها مرادفة لذلك الاسم ، والفعل إذ لا نظير له ، بل المراد أنّها لما أفادت التأكيد ، وتحتم الوقوع في المستقبل كان مآل المعنى ذلك . ولما أشعرت بالشرطية قدر شرط يدل على تحتم الوقوع ، وهو وجود شيء ما في الدنيا ، إذ لا تخلو عنه ، فما عُلق عليه محققٌ ، وحيث كان المعنى ما ذكر سيبويه))^١ .

وقال العكبري - رحمه الله - في قوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ ﴾ : (((أَمَّا)) حرفٌ ناب عن حرف الشرط ، وفعل الشرط ، ويذكر لتفصيل ما أجمل ، ويقع الاسم بعده مبتدأ ، وتلزم الفاء خبره ، والأصل ((مهما يكن من شيء ، فالذين آمنوا يعلمون)) ، لكن لما نابت ((أَمَّا)) عن حرف الشرط كرهوا أن يولوها الفاء ، فأخروها إلى الخبر ، وصار ذكر المبتدأ بعدها عوضاً من اللفظ بفعل الشرط))^٢ .

قال الزمخشري - رحمه الله - : ((و)) ((أمّا)) فيها معنى الشرط ، قال سيبويه إذا قلت : ((أمّا زيدٌ ، فمنطلق)) ، فكأنك قلت مهما يكن من شيء فزيد منطلق))^٣ .

ومن أمثلة ذلك قوله ﷺ : ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأَعَذَّبْنَاهُمْ عَذَاباً شَدِيداً فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِّنْ نَّاصِرِينَ * وَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾^٤ .

ومنه قوله ﷺ : ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ * وَأَمَّا الَّذِينَ أَبْيَضَتْ وُجُوهُهُمْ ففِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾^٥ .

ومنه قوله ﷺ : ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنكَفُوا وَسَتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً أَلِيماً وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ وَلِيّاً وَلَا نَصِيراً ﴾^٦ .

^١ روح المعاني ١ / ٢٠٩ .

^٢ إملاء ما من به الرحمن / ٣٣ .

^٣ الفصل في صنعة الإعراب / ٤٤٣ .

^٤ سورة آل عمران / ٥٦ - ٥٧ .

^٥ سورة آل عمران / ١٠٦ - ١٠٧ .

^٦ سورة النساء / ١٧٣ .

ومنه قوله ﷻ: ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَءَاغْتَصَمُوا بِهِ فَنَسُدُّ لَهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴾^١.

ومنه قوله ﷻ: ﴿ وَإِذَا مَا أَنزَلْنَا سُورَةً فَمِنْهُمْ مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ ءِيمَةً فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فزَادَتْهُمْ ءِيمَةً وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ * وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ ﴾^٢.

ومنه قوله ﷻ: ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴾^٣.

ومنه قوله ﷻ: ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ سَعَدُوا فِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرٌ مَجْدُودٍ ﴾^٤.

ومنه قوله ﷻ: ﴿ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أوديةً بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُه كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ ﴾^٥.

ومنه قوله ﷻ: ﴿ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا * وَأَمَّا الْعُلَمَاءُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنِينَ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهَقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴾^٦.

ومنه قوله ﷻ: ﴿ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴾^٧.

ومنه قوله ﷻ: ﴿ قَالَ أَمَا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُه ثُمَّ يَرْدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُه عَذَابًا نُكَرًا ﴾^٨.

ومنه قوله ﷻ: ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ * وَأَمَّا

الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴾^٩.

^١ سورة النساء / ١٧٥ .

^٢ سورة التوبة / ١٢٤ - ١٢٥ .

^٣ سورة هود / ١٠٦ .

^٤ سورة هود / ١٠٨ .

^٥ سورة الرعد / ١٧ .

^٦ سورة الكهف / ٧٩ - ٨٠ .

^٧ سورة الكهف / ٨٢ .

^٨ سورة الكهف / ٨٧ - ٨٨ .

^٩ سورة الزوم / ١٥ - ١٦ .

ومنه قوله ﷺ : ﴿ أَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَىٰ نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴾^١ .

وينبغي أن نفرّق بين ((أَمَّا)) بالفتح ، و ((إِمَّا)) بالكسر ؛ فر ((أَمَّا)) بالفتح تفيد التوكيد .

قال الكسائي - رحمه الله - : في باب ((أَمَّا و إِمَّا)) : إذا كنت آمراً ، أو ناهياً ، أو مخبراً فهو ((أَمَّا)) مفتوحة ، وإذا كنت مشترطاً ، أو شاكاً ، أو مخيراً ، أو مختاراً ، فهي ((إِمَّا)) بكسر الألف .

الشاهد هنا قوله : ((إذا كنت آمراً ، أو ناهياً ، أو مخبراً فهو ((أَمَّا)) مفتوحة)) ، فقوله مخبراً ، وأعطى المثال على ذلك فقال : تقول ((أَمَّا زيدٌ ، فقد خرج))^٢ .

المؤكّد التّاسع : ((السّين)) و ((سوف))

ومن المؤكّدات ((السّين)) و ((وسوف)) الدّاخلتان على الفعل المضارع ، فيخلصاه للاستقبال ، وينزلان منه منزلة الجزء ؛ ولهذا لم يعمل فيهما مع اختصاصيهما به . و ((سوف)) أشدُّ تراخياً في الاستقبال من ((السّين)) ؛ فر ((سوف)) تدلُّ على الزّمن البعيد ، ويسمّى ((التّسويّف)) ، و ((السّين)) تدلُّ على الزّمن القريب ، ويسمّى ((التّنفيس)) ، ومعنى قول المعريين فيهما حرف تنفيس حرف توسيع ؛ وذلك أنّهما يقلبان المضارع من الزّمن الضيّق ، وهو الحال إلى الزّمن الواسع وهو الاستقبال ، وأوضح من عبارتهم قول الرّمخشري وغيره حرف استقبال^٣ .

^١ سورة السّجدة / ١٩ - ٢٠ .

^٢ يُنظَر : لسان العرب / ١٤ / ٤٧ .

^٣ يُنظَر : الإتصاف في مسائل الخلاف / ٢ / ٦٤٧ ، والمغني / ١٨٤ .

قال العكبري - رحمه الله - : ((وَإِنَّمَا اخْتَصَّت (السَّيْن) بالفعل ؛ لِأَنَّ معناها جواب (لَنْ يَفْعَل) ^١ ، وكذلك (سوف) تدلُّ على المستقبل من الحال ، و (السَّيْن) أقرب إلى ذلك منها ، ولمَّا كانت (لَنْ) لا معنى لها إلا في المستقبل كان جوابها كذلك)) ^٢ .
وتفيدان التوكيد إن دخلتا على فعلٍ مضارعٍ فيه الوعد أو الوعيد ؛ أي : إن دلَّ الفعل على محبوب ، أو مكروه ، نحو قوله ﷺ : ﴿ فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ ^٣ ، ف((السَّيْن)) في ﴿ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ ﴾ تفيد توكيد الجملة الخبرية ، أي : إن الله ﷻ أكَّد لنبِيِّه محمدٍ ﷺ أَنَّهُ سيكفيه هؤلاء الذين لم يؤمنوا بمثل ما آمن به ، من اليهود ، والنصارى وغيرهم . فذلك الوعد كائن لا محالة ، وإن تأخر إلى حين .

ومنه قوله ﷻ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصَلِّيهِمْ نَارًا كَلَّمًا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بِدَنَانِهِمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ ^٤ ، ف﴿ سَوْفَ ﴾ هنا تفيد توكيد الجملة الخبرية ﴿ سَوْفَ نُصَلِّيهِمْ نَارًا ﴾ ، ونقل أبو السعود - رحمه الله - قول سيبويه في ﴿ سَوْفَ نُصَلِّيهِمْ نَارًا ﴾ فقال : ((قال سيبويه : سوف كلمة تُذكر للتهديد والوعيد وينوب عنها السيْنُ ، وقد يُذكران في الوعد فيفيدان التأكيد ، أي : نُدخلهم ناراً عظيمة هائلة)) ^٥ .
ومنه قوله ﷻ : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ ^٦ ، قال الزمخشري - رحمه الله - : ((﴿ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ ﴾)) ((السَّيْن)) مفيدة وجود الرحمة لا محالة ، فهي تؤكد الوعد ، كما تؤكد الوعيد في قولك : ((سَأَنْتَقِمُ))

^١ جاء في كتاب سيبويه - رحمه الله - ٤ / ٢١٧ : ((و (السَّيْن) التي في قولك : (سيفعل) زعم الخليل أَنَّها جواب (لَنْ يَفْعَل))) . ويبدوا أَنَّ (الجواب) في كلام العكبري ههنا ، وفي كلام الجليل قسيم النَّفْي ، لا قسيم السُّؤال .

^٢ اللُّبَاب في علل البناء ، والإعراب ١ / ٤٩ .

^٣ سورة البقرة / ١٣٧ .

^٤ سورة النساء / ٥٥ .

^٥ ينظر الكتاب ١ / ١٤ .

^٦ إرشاد العقل السليم ٢ / ١٨١ .

^٧ سورة براءة / ٧١ .

﴿ مِنْكَ يَوْمًا ﴾ ، تعني أنك لا تفوتني ، وإن تباطأ ذلك ، ونحوه : ﴿ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴾^١ ، ﴿ وَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ﴾^٢ ، ﴿ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أَجْرَهُمُ ﴾^٣ ، ﴿^٤

ومنه قوله ﷺ : ﴿ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبَلَتِهِمُ اللَّتَى كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾^٥ .

ومنه قوله ﷺ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصَلِّيهِمْ نَارًا كَلَّمًا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بِدَأْنِهِمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾^٦ .

ومنه قوله ﷺ : ﴿ سَتَجِدُونَ ءآخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلٌّ مَّا رَدُّوا إِلَيَّ الْفِتْنَةَ أَرْمِسُوا فِيهَا فَأِن لَّمْ يَعْزِلُوكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلْمَ وَيَكْفُوا أَيَدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأُولَئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطٰنًا مُّبِينًا ﴾^٧ .

ومنه قوله ﷺ : ﴿ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾^٨ .

فـ ((السَّيْنِ)) و ((سَوْفَ)) (في الآيات السَّابِقَاتِ حُرُوفَ زَائِدَةٍ تَقِيدُ تَوْكِيدَ الْجَمَلِ الْخَبَرِيَّةِ ، فَهِيَ تَوْكَّدُ الْوَعْدَ ، كَمَا تَوْكَّدُ الْوَعِيدُ .

المؤكد العاشر : ((لَكِنَّ))

وهي حرف ينصب الاسم ، ويرفع الخبر من أخوات ((إِنَّ)) ، لتأكيد الجمل ذكره ابن عصفور^١ ، والتتوخي^٢ في الأقصى ، وقيل للتأكيد مع الاستدراك ، وقيل للاستدراك

^١ سورة مريم / ٩٦ .

^٢ سورة الضحى / ٥ .

^٣ سورة النساء / ١٥٢ .

^٤ الكشاف / ٢ / ٢٠٢ .

^٥ سورة البقرة / ١٤٢ .

^٦ سورة النساء / ٥٦ .

^٧ سورة النساء / ٩١ .

^٨ سورة النساء / ١٤٦ .

المجرّد ، وهي أن يثبت لما بعدها حكم يخالف ما قبلها ، ومثلها ليت ، ولعل ولعن في لغة بني تميم ؛ لأنّهم يبدلون همزة أن المفتوحة عيناً ، وممن ذكر أنّها من المؤكّدات التّوخي ، وقيل : تردّ تارة للاستدراك ، وتارة للتّوكيد^١ .

وقال الزّمخشري - رحمه الله - في مفصّله : ((هي للاستدراك لتوسّطها بين كلامين متغايرين نفيّاً ، وإيجاباً ، فيستدرك بها النّفي بالإيجاب ، والإيجاب بالنّفي ، وذلك قولك : ((ما جاءني زيدٌ لكنّ عمراً جاءني)) ، و ((جاءني زيدٌ لكنّ عمراً لم يجرى)) ، والتّغاير في المعنى بمنزلة في اللفظ ، كقولك : ((فارقتني زيدٌ لكنّ عمراً حاضرٌ)) ، و ((جاءني زيدٌ لكنّ عمراً غائبٌ)) ، وقوله - عزّ وجلّ - : ﴿ وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيراً لَفَشَلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ ﴾^٢ ، على معنى النّفي ، وتضمّن ما أراكمهم كثيراً ، وتخفّف فيبطل عملها كما يبطل عمل ((إنّ)) و ((أنّ)) ، وتقع في حروف العطف))^٣ .

^١ علي بن مؤمن بن محمد بن علي أبو الحسن بن عصفور النّحوي الحضرمي الإشبيلي حامل لواء العربيّة في زمانه بالأندلس ، توفي - رحمه الله - في الرّابع عشر من ذي القعدة سنة ثلاث - وقيل تسع وستين وستمئة - يُنظر : بغية الوعاة ٢ / ٢١٠ .

^٢ يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن بهلول ، أبوبكر البغدادي الكاتب ، ولد سنة ثمان وثلاثين ومائتين ، وتوفي - رحمه الله - في آخر سنة تسع وعشرين و ثلاثمئة . يُنظر : تاريخ بغداد ١٤ / ٣٢١ - ٣٢٢ ، والأنساب ١ / ٢٢٠ - ٢٠١ ، والمننظم ٦ / ٣٢٥ ، وسير أعلام النبلاء ١٥ / ١٣١ - ٢٩٠ ، والعبر ٢ / ٢١٩ .

^٣ لاختلاف بين النّحويين في أنّ « لكن » للعطف ، ومعناها الاستدراك اورد ابن الطّرواة هذا القول ، وقال : إنّ « لكن » ليست للاستدراك ، وإنّما هي ضدّ « لا » توجب للتّاني ما نفي عن الأوّل .

ولكن إنّ وليها فغير عاطفة ، بل حرف ابتداء ، سواء كانت بالواو ، أو بدونها . وقال ابن أبي الرّبيع : هي عاطفة جملة على جملة مالم تقترن بالواو أو وليها مفرد فشرطها تقدّم نفي أو نهي ، قال الكوفيون : أو إيجاب ، والبصريون منعه ؛ لأنّه لم يُسمع ، فيتعيّن كونها حرف ابتداء بعده الجملة . ومن أحكامها أن لا تقترن بالواو ، فإن اقتترنت به ، فحرف ابتداء ؛ لأنّ العاطف لا يدخل على العاطف ، وقيل : لا تكون عاطفة مع المفرد إلا بها ، قاله ابن خروف . وزعم يونس العطف بالواو دونها ، فلا تكون عاطفة أصلاً ؛ لأنّها لم تُستعمل غير مسبوقه بواو ، وهو عند عطف مفرد على مفرد . وزعم ابن مالك أنّ العطف بالواو دونها لكن عطف جملة حذف بعضها على جملة صرّح بجميعها . وزعم ابن عصفور الواو الزائدة لازمة والعطف بـ « لكن » . وزعم ابن كيسان أنّها زائدة غير لازمة والعطف بـ « لكن » . يُنظر : البرهان في علوم القرآن ٢ / ٤٠٨ ، والبسيط في شرح جمل الرّجّاجي ، ابن أبي الرّبيع ، تحقيق : عياد النّبّيتي دار الغرب الإسلامي - بيروت ١٩٨٦ م ١ / ٣٤٠ ، وهمع الهوامع ٢ / ١٣٧ - ١٣٨ .

^٤ سورة الأنفال / ٤٣ .

^٥ المفصّل في صنعة الإعراب / ٣٩٨ .

مثل قوله ﷺ : ﴿ وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيْطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ ﴾^١ ، قال أبوحيان - رحمه الله - في قوله ﷺ : ﴿ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا ﴾ : ((واستعمال ﴿ لَكِنَّ ﴾ هنا حسن ؛ لأنها بين نفي وإثبات . وقرىء : ﴿ لَكِنَّ ﴾ بالتشديد ، فيجب إعمالها ، وهي قراءة نافع ، وعاصم ، وابن كثير ، وأبي عمرو . وقرىء : بتخفيف النون ورفع ما بعدها بالابتداء والخبر ، وهي قراءة ابن عامر وحمزة والكسائي . وإذا خففت ، فهل يجوز إعمالها ؟ مسألة خلاف الجمهور على المنع . . . والصحيح المنع . وقال الكسائي والفرّاء : الاختيار ، التشديد إذا كان قبلها واو ، والتخفيف إذا لم يكن معها واو ، وذلك لأنها مخففة تكون عاطفة ، ولا تحتاج إلى واو معها . قيل : فإذا كانت قبلها واو لم تشبه بل ؛ لأنّ بل لا تدخل عليها الواو ، فإذا كانت ((لَكِنَّ)) مشددة عملت عمل ((إِنَّ)) ، ولم تكن عاطفة . انتهى الكلام . وهذا كله على تسليم أن ((لَكِنَّ)) تكون عاطفة ، وهي مسألة خلاف الجمهور على أن ((لَكِنَّ)) تكون عاطفة . وذهب يونس^٢ إلى أنها ليست من حروف العطف ، وهو الصحيح ؛ لأنه لا يحفظ ذلك من لسان العرب ، بل إذا جاء بعدها ما يوهم العطف ، كانت مقرونة بالواو كقوله ﷺ : ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ ﴾^٣ ، وأما إذا جاءت بعدها الجملة ، فتارة تكون بالواو ، وتارة لا يكون معها الواو ، كما قال زهير :

إِنَّ ابْنَ رِقَاءَ لَا تُخْشَىٰ بَوَادِرُهُ^٤ لَكِنَّ وَقَائِعُهُ فِي الْحَرْبِ تُنْتَظَرُ^٥

^١ سورة البقرة / ١٠٢ .

^٢ يونس إمام النحو ، هو أبو عبد الرحمن يونس بن حبيب الضبّي ، مولاهم البصري . أخذ عن : أبي عمرو بن العلاء ، وحماد بن سلمة . وعنه أخذ : الكسائي ، وسيبويه ، والفرّاء ، وآخرون . وعاش ثلاثاً وثمانين سنة . توفي - رحمه الله - في سنة ثلاث وثمانين ومائة من الهجرة . وذكره ثعلب ، فقال : جاوز المائة . وقيل : إنه لم يتزوج ، ولا تسرى . وله تواليف في القرآن واللغات . يُنْتَظَرُ : المعارف / ٥٤١ ، والبيان والتبيين ١ / ٧٧ ، وتاريخ الطبري ٧ / ٢٣ ، ومراتب النحويين / ٢١ ، وطبقات الزبدي / ٤٨ ، والفهرست / ٤٢ ، ونزهة الألباء / ٣١ ، ومعجم الأدباء ٢٠ / ٦٤ ، وتاريخ ابن الأثير ٦ / ١٦٥ ، وسير أعلام النبلاء ٨ / ١٩١ - ١٩٢ ، ووفيات الأعيان ٧ / ٢٤٤ - ٢٤٩ ، و تهذيب التهذيب ٥ / ٣٤٦ ، ومرآة الجنان ١ / ٣٨٨ ، ونور القيس ٤٨ - ٥٥ ، والمزهر في علوم اللغة وأنواعها ٢ / ٢٣١ ، وبغية الوعاة / ٤٢٦ .

^٣ سورة الأحزاب / ٤٠ .

^٤ وفي رواية غوائله .

^٥ البيت لزهير بن أبي سلمى من البسيط ، وهو من قصيدة مطلعها :

ابلق بني نوفل عني فقد بلغوا مني الحفيظة لما جاءني الخبر .

وأما ما يوجد في كتب النحويين من قولهم : ((ما قام زيد ، لكن عمرو)) ، و ((ما ضربت زيداً ، لكن عمراً)) ، و ((ما مررت بزيد ، لكن عمرو)) ، فهو من تمثيلهم ، لا أنه مسموع من العرب . ومن غريب ما قيل في ((لكن)) : إنها مركبة من كلم ثلاث : لا للنفي ، والكاف للخطاب ، وأن التي للإثبات والتحقق ، وأن الهمزة حذفت للاستتقال ، وهذا قول فاسد ، والصحيح أنها بسيطة ^١ .

ونحو قوله ﷺ : ﴿ لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قَبْلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَعَاتَى أَمَالٍ عَلَىٰ حَبِّهِ ذُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَعَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُؤْفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ ^٢ ، فقوله ﷺ : ﴿ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ ﴾ ، أي ولكن البرُّ برُّ من آمن ، فحذف المضاف ، وأقيم المضاف إليه مقامه ، كقوله تعالى : ﴿ وَأَسْأَلُ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعَيْرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴾ ^٣ ، أي وأسأل أهل القرية ، وجاء بـ ((لكن)) ليؤكد الجملة الخبرية .

قال أبو حيان - رحمه الله - في قوله ﷺ : ﴿ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ ﴾ : ((البرُّ : معنى من المعاني ، فلا يكون خبره الدوات إلا مجازاً ، فإما أن يجعل : البرُّ ، هو نفس من آمن ، على طريق المبالغة ، قاله أبو عبيدة ، والمعنى : ولكن البار . وإما أن يكون على حذف من الأول ، أي : ولكن ذا البرِّ ، قاله الزجاج . أو من الثاني أي : برُّ من آمن ، قاله قطرب ^٤ ، وعلى هذا خرجه سيبويه ، قال في كتابه : ((وقال جلَّ وعزَّ : ﴿ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ ﴾ ، وإنما هو : ولكن البرُّ برُّ من آمن بالله)) ^٥ .

^١ يُنظَر : ديوانه / ٣٠٦ ، وشرح شواهد المغني / ٤ / ١٧٨ ، والنصريح على التوضيح / ٢ / ١٤٧ ، وهمع

الهوامع / ٢ / ١٣٧ ، والدُّرر اللوامع / ٢ / ١٨٩ ، والأشْمونى / ٣ / ١١٠ .

^٢ البحر المحيط / ١ / ٥٠٨ .

^٣ سورة البقرة / ١٧٧ .

^٤ سورة يوسف / ٨٢ .

^٥ هو أبو علي محمد بن المستنير ، لُغويٌّ نحويٌّ ، المعروف بقطرب ، لازم سيبويه وكان يدلج إليه فإذا خرج رآه على بابهِ فقال : ما أنت إلا قطرب ليل ، فلقَّب به ، وعرف بأنه أول من وضع المتلث في اللغة ، وله فيه كتاب المتلثات ، والنوادر ، والعلقي النحو . توفي - رحمه الله - سنة ست ومائتين هجرية . يُنظَر : معجم الأدباء / ٢٩ / ٣٥ ، وبغية الوعاة / ١ / ٢٤٢ ، وتاريخ الأدب العربي ، لكارل بروكلمان ، ترجمة عبد الخليم النجار -

القاهرة ١٩٥٩ م / ٢ / ١٣٩ .

^٥ الكتاب / ١ / ٢١٢ .

وإنما اختار هذا سيبويه ؛ لأنَّ السَّابِق ، إنَّما هو نفي كون البرِّ هو تولية الوجه قبلَ المشرقِ والمغربِ ، فالذي يستدرك إنَّما هو من جنس ما ينفي ، ونظير ذلك : ليس الكرم أن تبذل درهماً ، ولكنَّ الكرم بذل الآلاف ، فلا يناسب : ولكنَّ الكرم من يبذل الآلاف ؛ إلا إن كان قبله : ليس الكرم ببازل درهم .

وقال المبرِّد : لو كنت ممن يقرأ القرآن ، ولكن البرِّ بفتح الباء ، وإنَّما قال ذلك لأنَّه يكون اسم فاعل ، تقول : بررت أبرّ ، فأنا برّ وبارّ ، قيل : فبني تارة على فعل ، نحو : كهل ، وصعب ، وتارة على فاعل ، والأولى ادعاء حذف الألف من البرِّ ، ومثله : سرّ ، وقرّ ، وربّ ، أي: سارّ ، وقارّ ، وبارّ ، ورابّ .

وقال الفرّاء : من آمن ، معناه الإيمان لمّا وقع من موقع المصدر جعل خبراً للأول ، كأنَّه قال : ولكن البرِّ الإيمان بالله ، والعرب تجعل الاسم خبراً للفعل ، وأنشد الفرّاء :

لَعَمْرُكَ مَا الْفِتْيَانُ أَنْ تَنْبَتَ اللَّحَىٰ وَلَكِنَّمَا الْفِتْيَانُ كُلُّ فِتْيٍ نَدِي^١

جعل نبات اللحية خبراً للفتى ، والمعنى : لعمرِكَ ما الفتوة أن تنبت اللحية ، وقرأ نافع ، وابن عامر : ولكن بسكون النون خفيفة ، ورفع البرِّ ، وقرأ الباقر بفتح النون مشددة ونصب البرِّ))^٢ .

ونحو قوله ﷺ : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجَّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَىٰ وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾^٣ . وقد تقدّم مثل ذلك ، وجاءت ((لَكِنَّ)) لتوكّد الجملة الخبرية .

ونحو قوله ﷺ : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾^٤ . لمّا ذكر الله ﷺ فضله على جميع الناس بالإيجاد والرّزق ، وغير ذلك ، فكان المناسب لهم أنّهم يشكرون الله على ذلك ، ولمّا لم يكن ذلك استدرك بـ ((لَكِنَّ)) بأنّ أكثرهم لا يشكرون ، ودلّ على أنّ الشّاكرين قليل ، كقوله : ﴿ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحْرِبٍ وَتَمَثِيلٍ وَجَفَانٍ كَأَلْجَابِ

^١ لم أفق على قائله ، وهو في مغني اللبيب / ٩٠٧ . والشاهد فيه " أن تنبت اللحية " المؤوله بصدر ، ثمّ

تأويل المصدر باسم الفاعل .

^٢ البحر المحيط ٢ / ٤ - ٥ .

^٣ سورة البقرة / ١٨٩ .

^٤ سورة البقرة / ٢٤٣ .

وَقَدُورٍ رُسِيَّتٍ أَعْمَلُوا ءَالَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ^١ ، وأفاد الاستدراك بـ ((لَكِنَّ))
توكيد الجملة الخبرية .

ونحو قوله ﷻ : ﴿ فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾^٢ .
فقوله ﷻ : ﴿ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ أنه لما قسم الناس إلى مدفوع ، ودافع ، وأنه بدفعه بعضهم ببعض امتنع فساد الأرض ، فيظن من غلب وقهر عن ما يريد من الفساد في الأرض أن الله تعالى ، غير متفضل عليه ، إذ لم يبلغه مقاصده ومآربه ، فاستدرك أنه ، وإن لم يبلغ مقاصده هذا الطالب للفساد أن الله لذو فضل عليه . وقد أفاد الاستدراك بـ ((لَكِنَّ)) توكيد الجملة الخبرية .

ونحو قوله ﷻ : ﴿ لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَأَنْفُسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُؤَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَظْلُمُونَ ﴾^٣ . أي :
ليس عليك أن تهديهم ، أي: خلق الهدى في قلوبهم ، وأمّا الهدى بمعنى الدعاء فهو عليه ، وليس بمراد هنا . وفي ذلك تسلية للنبي ﷺ وبعدها استدراك بـ ((لَكِنَّ)) ليؤكد أن الله ﷻ هو وحده الذي يملك تلك الهداية .

ونحو قوله ﷻ : ﴿ لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴾^٤ .

ونحو قوله ﷻ : ﴿ وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوا أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾^٥ .

ونحو قوله ﷻ : ﴿ وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قَبْلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ جَاهِلُونَ ﴾^٦ .

ونحو قوله ﷻ : ﴿ وَيَقَوْمٍ لَا سَأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَا لَإِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلَأُوا رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَأَيْتُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴾^١ .

^١ سورة سبأ / ١٣ .

^٢ سورة البقرة / ٢٥١ .

^٣ سورة البقرة / ٢٧٢ .

^٤ سورة النساء / ١٦٦ .

^٥ سورة المائدة / ٨١ .

^٦ سورة الأنعام / ١١١ .

ففي الآيات السابقات نلاحظ أنّ ((لَكِنَّ)) وردت في الجملة الخبرية لتوكيدها .

المؤكّد الحادي عشر : ((لَنْ))

تفيد توكيد الجملة الخبرية ؛ لأنّ لفظها زائد على لفظ ((لَأ)) النافية ، والزيادة في لسان العرب إنّما تكون غالباً لزيادة المعنى ، كما يُقال : ((الزيادة في المبنى ، زيادة في المعنى)) ، ولفظ ((لَنْ)) مشابه للفظ ((لَأ)) بزيادة نون ساكنٍ في آخره لزم من وجوده حذف الألف ؛ لأنّه ساكنٌ مدّيٌّ لِيْنٌ ، والنّافي ابتداءً يقول : ((لَأْ أَفْعُلْ)) ، فإذا ألحّ عليه طالب الفعل قال : ((لَنْ أَفْعُلْ))^٢ .

ونحو قوله ﷻ : ﴿ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾^٣ ، قال الألوسي - رحمه الله - في ((لَنْ)) في قوله ﷻ : ﴿ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا ﴾ : ((لَنْ)) كـ ((لَأ)) في نفي المستقبل ، وإنّ فارقتها بالاختصاص بالمضارع ، وعمل النصب ، إلّا فيما شدّ من الجزم بها . ولا تقتضي النفي على التأييد ، وإنّ أفادت التأكيد ، والتشديد ، ولا طول مدّة ، أو قلتها خلافاً لبعضهم ، وليس أصلها ((لَأَنْ)) كما روي عن الخليل ؛ فحذفت الهمزة لكثرتها ، وسقطت الألف للسّاكنين ، وتغيّر الحكم ، وصار ((لَنْ)) تضرب كلاماً تامّاً دون ((أَنْ)) ومصحوبها . واحتمال زيادة ((أَنْ)) يوهن الاحتجاج ، و ((لَأ)) ، كما عند الفراء ؛ فأبدلت ألفه نوناً ، إذ لا داعي إلى ذلك ، وهو خلاف الأصل ، والجملة اعتراض بين جزئي الشرطيّة ، ظاهر مقرّر لمضمون مقدّمها ، ومؤكّد ؛ لإيجاد العمل بتاليها ، وهذه معجزة باهرة ، حيث أخبر بالغيب الخاص علمه به سبحانه ، وقد وقع الأمر كذلك ، كيف لا ولو عارضوه بشيء يدانيه لتناقله الرّواة لتوفر الدّواعي ؟^٤ .

ومنه قوله ﷻ : ﴿ وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلَفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾^٥ .

^١ سورة هود / ٢٩ .

^٢ يُنظَر : البلاغة العربيّة أسسها ، وعلومها ، وفنونها ١ / ١٩٣ .

^٣ سورة البقرة / ٢٤ .

^٤ روح المعاني ١ / ١٩٧ .

^٥ سورة البقرة / ٨٠ .

ومنه قوله ﷺ : ﴿ وَلَنْ يَتَمَنَّوهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾^١ ، فد ﴿ لَنْ ﴾ نافية مؤكدة ، فهي تؤكد نفي تمني الموت في المستقبل ، وهذه الجملة إخبار بالغيب ومعجزة له ﷺ وفيها دليل على اعترافهم بنبوته ﷺ لأنهم لو لم يتيقنوا ذلك ما امتنعوا من التمني .

ومنه قوله ﷺ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ ﴾^٢ .

المؤكد الثاني عشر : نونا التوكيد الخفيفة و الثقيلة

يلحق الفعل للتوكيد نونان هما : نون التوكيد الخفيفة والنقيلة ، فالت نقيلة أشد توكيداً من الخفيفة ، وقد اجتمعا في قوله ﷺ : ﴿ قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِينَ لُمْتُنَنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاودتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا ءَامُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّغِيرِينَ ﴾^٣ .

تلحق نونا التوكيد فعل الأمر ، نحو : ((اضْرِبْ زَيْدًا)) ، والفعل المضارع المستقبل الدال على طلب ، نحو قَوْلِكَ : ((لَتَضْرِبَنَّ زَيْدًا)) ، و ((لَا تَضْرِبَنَّ زَيْدًا)) ، والواقع شرطاً بعد إن المؤكدة ما ، نحو قوله ﷺ : ﴿ فَإِنَّمَا تَتَفَنَّهٖمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرَّدَ بِهِمْ مِّنْ خَلْفِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَدْكُرُونَ ﴾^٤ ، أو الواقع جواب قسم مثبتاً مستقبلاً ، نحو قَوْلِكَ : ((وَاللَّهِ لَتَضْرِبَنَّ زَيْدًا)) ، فإن لم يكن مثبتاً لم يؤكد بالنون ، نحو قَوْلِكَ : ((وَاللَّهِ لَا تَفْعَلُ الشَّرَّ)) ، وإن كان حالاً ، نحو قَوْلِكَ : ((وَاللَّهِ لَيَقُومُ زَيْدٌ الْآنَ)) ، وقل دخول النون في الفعل المضارع الواقع بعد ما الزائدة التي لا تصحب إن ، والواقع بعد لا النافية كقوله ﷺ : ﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾^٥ ، والواقع بعد غير إمّا من أدوات الشرط^٦ . و يكون الفعل بعدهما مبني على الفتح معهما .

^١ سورة البقرة / ٩٥ .

^٢ سورة آل عمران / ١٠ .

^٣ سورة يوسف / ٣٢ .

^٤ سورة الأنفال / ٥٧ .

^٥ سورة الأنفال / ٢٥ .

^٦ يُنظَر : شرح بن عقيل ٣ / ٣٠٨ - ٣١٩ .

وأكثر ما تدخلان فيه القسم ، نحو ﴿لَأَرْجُمَنَّكَ﴾ في قوله ﷺ : ﴿قَالَ أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا بَرِّهَيْمُ لَئِن لَّمْ يَنْتَه لَأَرْجُمَنَّكَ وَأَهْجُرَنِي مَلِيًّا﴾^١ ، و نحو ﴿لَنْسَفَعَا﴾ في قوله ﷺ : ﴿كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنْتَه لَنْسَفَعَا بِالنَّاصِيَةِ﴾^٢ ، وقد تدخلان في الأمر والنهي ، والاستفهام والنفي^٣ ؛ ومنه قوله ﷺ : ﴿وَلَا تَتَّبِعَنَّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾^٤ ، ودخولها هنا على الجمل الاستفهامية ليس موضوعنا ، فلا يهمنا ، وإنما يهمنا دخولها على الجمل الخبرية ، ومنه قوله ﷺ : ﴿لَتَبْلُؤَنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعَنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَدَى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾^٥ ، فأكد الجملتين الخبريتين ﴿لَتَبْلُؤَنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعَنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ بنون التوكيد الثقيلة ؛ لتهوين الخطب ، ولتحقيق معنى الابتلاء^٦ . وقيل لتحقيق وقوع المبتلى به مبالغة في الحث على ما أريد منهم من التهيؤ والاستعداد^٧ .

قال الآلوسي - رحمه الله - في قوله : « ﴿لَتَبْلُؤَنَّ﴾ جواب قسم محذوف ، أي : والله لَتُخْتَبِرَنَّ ، والمراد لتعاملنَّ معاملة المختبر ؛ ليظهر ما عندكم من الثبات على الحق ، والأفعال الحسنة ، ولا يصح حمل الابتلاء على حقيقته ؛ لأنه محال على علام الغيوب ، كما مر ، والخطاب للمؤمنين ، أو لهم معه ﷺ وإنما أخبرهم سبحانه بما سيقع ؛ ليوطئوا أنفسهم على احتمالها عند وقوعه ، ويستعدوا للقاءه ، ويقابلوه بحسن الصبر ، والثبات فإن هجوم البلاء ممَّا يزيد في اللأواء ، والاستعداد للكرب ممَّا يهون الخطب ، ولتحقيق معنى الابتلاء لهذا التهوين أتى بالتأكيد ، وقد يقال : أتى به لتحقيق وقوع المبتلى به مبالغة في الحث على ما أريد منهم من التهيؤ والاستعداد ، وعلى أي وجه ، فالجملة مسوقة لتسليية أولياء الله تعالى عمَّا سيلقونه من جهة أعدائه سبحانه إثر تسليتهم عمَّا وقع منهم »^٦ .

ومنه قوله ﷺ : ﴿لَتَرْكَبَنَّ طَبَقًا عَنْ طَبِقٍ﴾^٧ .

^١ سورة مريم / ٤٦ .

^٢ سورة العلق / ١٥ .

^٣ يُنظَر : اللُّمَع / ١٩٨ - ١٩٩ .

^٤ سورة يونس / ٨٩ .

^٥ سورة آل عمران / ١٨٦ .

^٦ روح المعاني / ٤ / ١٤٩ .

^٧ سورة الانشقاق / ١٩ .

الوقف على نون التوكيد الخفيفة

وإذا وقفت على النَّون الخفيفة أبدلت منها للفتحة قبلها ألفاً ، فتقول في ﴿ لَنْسَفَنَّ ﴾ عند الوقف عليها ((لَنْسَفَعًا)) ، فإن لقيها ساكن بعدها حذفت لالتقاءهما^١ .

المؤكد الثالث عشر : الأحرف الزوائد

وهي حروف تضاف في الكلام ، وسماها النحاة زوائد ؛ لأنها إذا حذفت من الكلام لا يتغير المعنى المراد ، ولكنها في القرآن من عناصر النظم ، فلا زيادة في كتاب الله إطلاقاً ، وإنما أضيفت لغرض التوكيد ، فكل حرف جرّ زيد في المبتدأ ، أو الخبر ، أو الفاعل ، فهو للتوكيد ؛ لأنه ليس في القرآن حرف جرّ زائدة ، ولكنه الاصطلاح النحوي جرى على ذلك ، فهو عند البلاغيين حرف لا يستغنى عنه ، ومنها : ((مِنْ)) الجارة ، وتفيد الاستغراق ، و الباء الجارة ، الواقعة في خبر ليس ، و ((إِنْ)) - بكسر الهمزة - الواقعة بعد النفي ، و ((أَنْ)) - بفتح الهمزة - الواقعة بعد لَمَّا الظرفية ، و ((مَا)) .

١ . ((مِنْ)) الجارة الاستغراقية

نحو قوله ﷻ : ﴿ وَمَا يُعْلَمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾^٢ ، ف((مِنْ)) في المواضع الثلاثة من الآية : ﴿ وَمَا يُعْلَمَانِ مِنْ أَحَدٍ ﴾ ، و ﴿ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ ﴾ ، ﴿ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ ﴾ زائدة جاءت لتؤكد الجمل الخبرية . ف((مِنْ)) في ﴿ وَمَا يُعْلَمَانِ مِنْ أَحَدٍ ﴾ مزيدة في المفعول به لإفادة تأكيد الاستغراق . و

^١ يُنظَر : اللُّمَع / ٢٠١ .^٢ سورة البقرة / ١٠٢ .

مِنْ)) في ﴿ وَمَا هُمْ بِضَارِينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ ﴾ زائدة لاستغراق النفي ، كأنه قال : وما يضرُّون به أحداً .

ونحو قوله ﷺ : ﴿ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَقْصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾^١ ، فد(مِنْ)) في قوله ﷺ : ﴿ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ ﴾ زائدة للتأكيد كما هو شأن الصلوات ، وقد فهم أهل اللسان . كما قال الشَّهاب^٢ . أَنَّهَا لِتَأْكِيدِ اسْتِغْرَاقِ الْمَفْهُومِ مِنَ النَّكْرَةِ الْمَنْفِيَّةِ لِاخْتِصَاصِهَا بِذَلِكَ فِي الْأَكْثَرِ ، وَقَدْ تَوَقَّفَ مَحَبُّ الدِّينِ فِي وَجْهِ إِفَادَةِ الْكَلِمَاتِ الْمَزِيدَةِ لِلتَّأْكِيدِ بِأَيِّ طَرِيقٍ هِيَ ، فَإِنَّهَا لَيْسَتْ وَضْعِيَّةً ، وَأَجَابَ بِأَنَّهَا ذَوْقِيَّةٌ يَعْرِفُهَا أَهْلُ اللِّسَانِ ، وَاعْتَرَضَ بِأَنَّ هَذَا حَوَالَةٌ عَلَى مَجْهُولٍ فَلَا تَفِيدُ ، فَالْأَوْلَى أَنْ يُقَالَ : إِنَّهَا وَضْعِيَّةٌ ، لَكِنَّهُ مِنْ بَابِ الْوَضْعِ النَّوْعِيِّ))^٣ .

ونحو قوله ﷺ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مَلَأُ الْأَرْضِ ذَهَابًا وَلَوْ أُفْتَدِيَ بِهِ أَوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴾^٤ .

ونحو قوله ﷺ : ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونََهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾^٥ .

ونحو قوله ﷺ : ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾^٦ .

ونحو قوله ﷺ : ﴿ وَلَوْطاً إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴾^٧ ، و(مِنْ)) في قوله ﴿ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ ﴾ فهي زائدة لتوكيد الجملة الخبرية تفيد استغراق الجنس ، أي لم يكن اللواط في أمة قبل قوم لوط .

^١ سورة آل عمران / ٦٢ .

^٢ الشَّهابُ الطُّوسِيُّ ، الشَّيْخُ الْإِمَامُ ، الْعَالِمُ الْعَلَامَةُ ، شَيْخُ الشَّافِعِيَّةِ ، شَهَابُ الدِّينِ ، أَبُو الْفَتْحِ ، مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدِ الْخِرَاسَانِيِّ الطُّوسِيِّ . وُلِدَ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَعَشْرِينَ وَخَمْسِمَائَةٍ . مَاتَ - رَحِمَهُ اللَّهُ - بِمِصْرَ فِي ذِي الْقَعْدَةِ سَنَةَ سِتِّ وَتِسْعِينَ وَخَمْسِمَائَةٍ مِنَ الْهَجْرَةِ . يُنْظَرُ : سِيرَ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ ١٥ / ٥٩٠ .

^٣ روح المعاني / ٣ / ١٩٠ .

^٤ سورة آل عمران / ٩١ .

^٥ سورة المائدة / ٧٣ .

^٦ سورة الأعراف / ٥٩ .

^٧ سورة الأعراف / ٨٠ .

ونحو قوله ﷺ : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضُرَّعُونَ ﴾^١

ونحو قوله ﷺ : ﴿ وَإِذَا مَا أَنْزَلْنَا سُوْرَةَ نَّظَرْتُمْ عَلَىٰ بَعْضِهَا لِئَلَّا يَأْتِيَكُمُ الْفِتْنَةُ وَفِيهَا تَلْمِزٌ لِّبَعْضِكُمْ مِّنْ أُمَّةٍ وَمَا يَنْصُرُوهَا اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾^٢

ونحو قوله ﷺ : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ﴾^٣ ، فقوله ﷺ : ﴿ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ﴾ جملة خبرية منفية مؤكدة بـ " مِنْ " ، والجملة بيان لاستبداده ﷺ في التدبير ، والتقدير ، ونفي للشفاعة على أبلغ وجه ، فإن نفي جميع أفراد الشفيع بمن الاستغراقية يستلزم نفي الشفاعة على أتم الوجوه^٤ .

ونحو قوله ﷺ : ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ وَاللَّيْلِ إِذَا يَجِيءُ ﴾^٥ ، والجملة خبرية مؤكدة بـ " إِذَا " ، والجملة بيان لاستبداده ﷺ في التدبير ، والتقدير ، ونفي للشفاعة على أبلغ وجه ، فإن نفي جميع أفراد الشفيع بمن الاستغراقية يستلزم نفي الشفاعة على أتم الوجوه^٤ .

ونحو قوله ﷺ : ﴿ مَا ءَامَنَتْ قَبْلَهُمْ مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ﴾^٦ ، فـ ﴿ مِنْ ﴾ في قوله سبحانه : ﴿ مِنْ قَرْيَةٍ ﴾ مزيدة لتأكيد العموم ، وما بعدها في محلّ الرّفْع على الفاعلية .

قال الألوسي - رحمه الله - في قوله سبحانه : ﴿ مَا ءَامَنَتْ قَبْلَهُمْ مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ﴾ : ((﴿ مِنْ قَرْيَةٍ ﴾ على حذف المضاف ، أي : من أهل قرية ، و ﴿ مِنْ ﴾ مزيدة لتأكيد العموم ، وما بعدها في محلّ الرّفْع على الفاعلية ، وقوله سبحانه : ﴿ أَهْلَكْنَاهَا ﴾ في محلّ جر ، أو رفع صفة قرية ، والمراد : أهلكتناها بإهلاك أهلها ؛ لعدم إيمانهم بعد مجيء ما اقترحوه من الآيات ، وقيل : القرية مجاز عن أهلها فلا حاجة إلى تقدير المضاف .

واعترض بأنّ ﴿ أَهْلَكْنَاهَا ﴾ ياباه ، والاستخدام وإن كثر في الكلام خلاف الظاهر ، وقال بعضهم : لك أن تقول إن إهلاكها كناية عن إهلاك أهلها ، وما ذكر أولاً أولى))^١ .

^١ سورة الأعراف / ٩٤ .

^٢ سورة التوبة / ١٢٧ .

^٣ سورة يونس / ٣ .

^٤ يُنظَر : روح المعاني / ١١ / ٦٤ .

^٥ سورة هود / ٨٤ .

^٦ سورة الأنبياء / ٦ .

ونحو قوله ﷻ : ﴿ وَلَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴾^٢ .

ونحو قوله ﷻ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكْتَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾^٣ .

ونحو قوله ﷻ : ﴿ فَمَا مِنْكُمْ مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴾^٤ ، فـ ((مِنْ)) زائدة لتوكيد الجملة الخبرية تفيد استغراق الجنس ، أي فما منكم قوم يحجزون عنه .

٢ . ((الباء)) الجارة

نحو قوله ﷻ : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَيَأْتِينَهُمُ الْآخِرُ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴾^٥ ، فالباء في ﴿ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ حرف جر زائدة غير متعلقة بشيء ، وهكذا كل حرف جر زيد في المبتدأ ، أو الخبر ، أو الفاعل ، وجاء لتوكيد الجملة الخبرية ؛ لأنه ليس في القرآن حرف جر زائدة ، ولكنه الاصطلاح النحوي جرى على ذلك ، فهو عند البلاغيين حرف لا يُستغنى عنه ، و التقدير : وَمَا هُمْ مُؤْمِنِينَ^٦ .

نحو قوله ﷻ : ﴿ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴾^٧ ، والباء في « بِاللَّهِ » زائدة ، لتوكيد الجملة الخبرية ، و التقدير وكفى الله حسيباً .

ونحو قوله ﷻ : ﴿ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَانِكُمْ وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا ﴾^٨ ، ((والباء مزيدة في فاعل ﴿ كَفَى ﴾ تأكيداً للنسبة بما يفيد الاتصال ، وهو الباء الإلصاقية ، وقال الزجاج : إنما دخلت هذه الباء ؛ لأن الكلام على معنى اکتفوا بالله ، و ﴿ وَلِيًّا ﴾ و

^١ روح المعاني ١٧ / ١١ .

^٢ سورة العنكبوت / ٢٨ .

^٣ سورة فاطر / ٤١ .

^٤ سورة الحاقة / ٤٧ .

^٥ سورة البقرة / ٨ .

^٦ يُنظَر : إملاء ما من به الرحمن / ٢٣ ، و إعراب القرآن وبيانه ١ / ٤٦ .

^٧ سورة النساء / ٦ .

^٨ سورة النساء / ٤٥ .

﴿ نَصِيْرًا ﴾ منصوبان على التَّمييز ، وقيل : على الحال ، وتكرير الفعل في الجملتين مع إظهار الاسم الجليل لتأكيد كفايته عزَّ وجلَّ مع الإشعار بالعلية))^١ .

ونحو قوله ﷻ : ﴿ فَمِنْهُمْ مَنْ ءَامَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴾^٢ .
أي : وكفى بسعير جهنم سعيراً، وهو كناية عن شدة العذاب والعقوبة .

ونحو قوله ﷻ : ﴿ ذَٰلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ عَلِيْمًا ﴾^٣ .

ونحو قوله ﷻ : ﴿ مَا أَصْلَبُكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصْلَبُكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴾^٤ ، والباء في « بِاللَّهِ » زائدة ، لتوكيد الجملة الخبرية ، و التَّقدير وكفى الله شهيداً على رسالتك ، أو على صدقك في جميع ما تدعيه حيث نصب المعجزات ، وأنزل الآيات البيِّنات ، وقيل : المعنى كفى الله تعالى شهيداً على عباده بما يعملون من خير أو شر .

ونحو قوله ﷻ : ﴿ وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّنُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴾^٥ . والباء في « بِاللَّهِ » زائدة ، لتوكيد الجملة الخبرية ، و التَّقدير وكفى الله وكيلاً ، وناصباً ، ومعيناً لمن توكل عليه وأتاب إليه .

ونحو قوله ﷻ : ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴾^٦ . والباء في « بِرَبِّكَ » زائدة ، لتوكيد الجملة الخبرية ، و التَّقدير وَكَفَىٰ رَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ، أي : هو عالم بجميع أعمالهم : خيرا وشرها ، لا يخفى عليه منها خافية ﷻ .

ونحو قوله ﷻ : ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴾^٧ . والباء في « بِرَبِّكَ » زائدة ، لتوكيد الجملة الخبرية ، و التَّقدير وَكَفَىٰ رَبِّكَ وَكِيلًا ، أي حافظاً ومؤيداً وناصباً .

^١ روح المعاني ٥ / ٤٥ .

^٢ سورة النساء / ٥٥ .

^٣ سورة النساء / ٧٠ .

^٤ سورة النساء / ٧٩ .

^٥ سورة النساء / ٨١ .

^٦ سورة الإسراء / ١٧ .

^٧ سورة الإسراء / ٦٥ .

ونحو قوله ﷺ : ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ﴾^١ . والباء في « بنا » زائدة ، لتوكيد الجملة الخبرية ، و التقدير وَكَفَانَا حَاسِبِينَ .

ونحو قوله ﷺ : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴾^٢ . والباء في « بالله » زائدة ، لتوكيد الجملة الخبرية .
ونحو قوله ﷺ : ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا ﴾^٣ .

نحو قوله ﷺ : ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴾^٤ .
في الآيات السابقات نرى زيادة الباء في الجمل الخبرية لتوكيدها .

٣. ((ما)) :

أ - ((ما)) بعد ((إذا)) :

نحو قوله ﷺ : ﴿ وَإِذَا مَا أَنْزَلْنَا سُورَةً فَمِنْهُمْ مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾^٥ ، ف((ما)) في ﴿ إِذَا مَا أَنْزَلْنَا سُورَةً ﴾ زائدة لا تنفي ، وإنما جاءت لتوكيد الجملة الخبرية ، فتقدير الكلام : ((إِذَا أَنْزَلْنَا سُورَةً)) ، وهكذا في كل جملة جاءت فيها ((ما)) بعد ((إذا)) .

^١ سورة الأنبياء / ٤٧ .

^٢ سورة الفرقان / ٣١ .

^٣ سورة الفرقان / ٥٨ .

^٤ سورة الفتح / ٢٨ .

^٥ سورة التوبة / ١٢٤ .

ونحو قوله ﷺ : ﴿ أَتُمُّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنْتُمْ بِهِمْ ءَأَلَكْنَ وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِمْ تَسْتَعْجِلُونَ ﴾^١

ونحو قوله ﷺ : ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنذَرُكُمْ بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴾^٢

ونحو قوله ﷺ : ﴿ حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَرُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾^٣ ، ف((ما)) مزيدة لتأكيد اتصال الشهادة بالحضور ، لأنها تؤكد ما زيدت بعده فهي تؤكد معنى إذا .

ونحو قوله ﷺ : ﴿ وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوْحِشِ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ﴾^٤ .
ونحو قوله ﷺ : ﴿ فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ * وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ ﴾^٥ .

ب - ((ما)) بعد النكرة :

مثل قوله ﷺ : ﴿ وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴾^٦ ، ف((ما)) زائدة لتوكيد الجملة الخبرية ، ويرى الإمام ابن جرير الطبري - رحمه الله - أنها ليست زائدة ؛ لأنَّ زيادة « ما » لا تفيد في الكلام معنى ، فالكلام غير جائز إضافته إلى الله جل ثناؤه .

ولكن الذي عليه أغلب المفسرين أنها زائدة ، و لا يعني أنها لا تفيد معنى البتة ، وإنما هي تفي التوكيد ، فليست هي عبثاً .

^١ سورة يونس / ٥١ .

^٢ سورة الأنبياء / ٤٥ .

^٣ سورة فصلت / ٢٠ .

^٤ سورة الشورى / ٣٧ .

^٥ سورة الفجر / ١٥ - ١٦ .

^٦ سورة البقرة / ٨٨ .

قال ابن جرير - رحمه الله - : ((فأما أهل العربية فإتَّهم اختلفوا في معنى «ما» التي في قوله : ﴿ فقليلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ ، فقال بعضهم : هي زائدة لا معنى لها ، وإنما تأويل الكلام : ((قليلًا يؤمنون)) ، كما قال جلَّ ذكره : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ ﴾^١ وما أشبه ذلك . فزعم أن «ما» في ذلك زائدة ، وأن معنى الكلام : ((فبرحمة من الله لنت لهم))^٢ . وأنكر آخرون ما قاله قائل هذا القول في «ما» في الآية ٠٠ وقالوا : إنما ذلك من المتكلم على ابتداء الكلام بالخبر عن عموم جميع الأشياء ، إذ كانت « ما » كلمة تجمع كل الأشياء ثم تخصُّ ، وتعمُّ ما عمته بما تذكره بعدها . وهذا القول عندنا أولى بالصواب ، لأن زيادة « ما » لا تفيد من الكلام معنى في الكلام غير جائز إضافته إلى الله جل ثناؤه))^٣ .

وقال أبو البقاء - رحمه الله - في ((ما)) في قوله ﷻ : ﴿ فقليلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ : ((و ((ما)) ؛ أي فإيمانًا قليلًا ﴿ يُؤْمِنُونَ ﴾ ، وقيل صفة لظرف ؛ أي فزمانًا قليلًا يؤمنون ، و لا يجوز أن تكون ((ما)) مصدرية ؛ لأنَّ قليلًا لا يبقى له ناصبٌ ، وقيل ((ما)) نافية ؛ أي فما يؤمنون قليلًا ، ولا كثيرًا ، و مثله : ﴿ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ ، ﴿ قَلِيلًا مَّا تَذْكُرُونَ ﴾ ، وهذا أقوى في المعنى ، وإنما يضعف شيئًا من جهة تقدُّم معمول ((ما)) في حيز ((ما)) عليها))^٣ .

ومثله قوله ﷻ : ﴿ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذْكُرُونَ ﴾^٤ .

ونحوه قوله ﷻ : ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾^٥ .
ونحوه قوله ﷻ : ﴿ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ * وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذْكُرُونَ ﴾^٦ .

٤ . ((إن)) بكسر الهمزة ، وسكون النون

^١ سورة آل عمران / ١٥٩ .

^٢ جامع البيان في تفسير القرآن / ١ / ٣٢١ .

^٣ إملاء ما من به الرحمن / ٥٧ .

^٤ سورة الأعراف / ٣ .

^٥ سورة المؤمنین / ٧٨ .

^٦ سورة الحاقة / ٤١ - ٤٢ .

((إن)) تأتي بعد ما التافية زائدة ؛ لأن دخولها كخروجها ، فإنه لا فرق في المعنى بين قول القائل : ((ما إن زيد قائم)) ، وبين : ((ما زيد قائماً)) ، فلما كان خروجها كدخولها تنزلت منزلة ((من)) بعد النفي ، كما في قوله ﷺ : ﴿ مَا لَكُمْ مَنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾^١ ، أي ما لكم إله غيره ، وأشبهت ((ما)) إذا وقعت زائدة كما في قوله الله ﷻ : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾^٢ ، فد ((ما)) في ﴿ فَبِمَا ﴾ مزيدة للتأكيد ، وعليه أجلة المفسرين ، وهو المأثور عن قتادة ، وحكى الزجاج الإجماع عليه ، وفيه نظر ، فقد قال الأخفش وغيره يجوز أن تكون نكرة بمعنى شيء ، ورحمة بدل منها ، وجوز أن تكون صفة لها ، وقيل : إنها استفهامية للتعجب ، والتقدير ((فبأي رحمة لنت لهم)) ، والتنوين في رحمة على كل تقدير للتخيم^٣ .

وأما الكوفيون فذهبوا إلى أن ((إن)) إذا وقعت بعد ((ما)) التافية نحو : ((ما إن زيد قائم)) فإنها بمعنى ((ما)) ، وهو قول مرجوح^٤ .

٥. ((أن)) بفتح الهمزة ، وسكون النون

((أن)) الزائدة تكون صالحه للسقوط في الأكثر ، وأنها لا تعمل خلافا لأبي الحسن ، مثل ((أن)) في قول صاحب الحماسة :

حَتَّى يَكُونَ عَزِيْزاً فِي نَفْسِهِمْ أَوْ أَنْ يَبَيِّنَ جَمِيعاً وَهُوَ مُخْتَارٌ^٥

فد ((أن)) زائدة ، و نصب الفعل هنا بالعطف ، لا بد ((أن)) .

فقول أبي الفتح في هذا البيت : ((يجوز كون " أن " زائدة فلأن النصب هنا يكون بالعطف لا بـ " أن "))^١ .

^١ سورة هود / ٨٤ .

^٢ سورة آل عمران / ١٥٩ .

^٣ يُنظَر : روح المعاني ٤ / ١٠٥ .

^٤ يُنظَر : الإنصاف في مسائل الخلاف ٢ / ٦٣٦ - ٦٤٠ .

^٥ البيت ليزيد بن حمان السكوني ينظر : ديوان الحماسة ١ / ١٠٨ ، والدرر اللوامع ٢ / ٦ ، ومعجم الشعراء /

٤٩٣ . ونسب لعدي بن يزيد في المؤلف / ١٢٨ ، ومغني اللبيب / ٩٠٧ .

ومنه قوله ﷻ : ﴿ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَانِنَا ﴾^٢ ، قال الأخفش بزيادة ((أَنْ)) في قوله ﴿ أَنْ لَا نُقَاتِلَ ﴾ ، والجملة حال تقديره : ((ومالنا غير مقاتلين)) ، مثل قوله ﴿ مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا ﴾^٣ ، وقد أعمل ((أَنْ)) وهي زائده^٤ .

وقال الإمام ابن جرير الطبري - رحمه الله - في ((أَنْ)) في هذه الآية : ((فَإِنْ قَالَ لَنَا قَاتِلْ : وما وجه دخول ((أَنْ)) في قوله : ﴿ وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ ، وحذفه من قوله : ﴿ وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ يَدْعُوكُمْ ﴾^٥ ، قيل : هما لغتان فصيحتان للعرب تحذف ((أَنْ)) مرّة مع قولنا : ((مَا لَكَ)) ، فتقول : ((مَا لَكَ لَا تَفْعَلْ كَذَا)) بمعنى : ((ما لك غير فاعله)) ، وذلك هو الكلام الذي لا حاجة بالمتكلم به إلى الاستشهاد على صحته ؛ لفشو ذلك على ألسن العرب ، وتثبت ((أَنْ)) فيه أخرى توجيهاً لقولها ((ما لك)) إلى معناه إذ كان معناه ((ما منعك)) ، كما قال تعالى ذكره ﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ﴾^٦ ، ثم قال في سورة أخرى في نظيره ﴿ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴾^٧ ، فوضع ((ما منعك)) موضع ((ما لك)) ، و ((ما لك)) موضع ((ما منعك)) لاتفاق معنييهما ، وإن اختلفت ألفاظهما ، كما تفعل العرب ذلك في نظائره مما تتفق معانيه ، وتختلف ألفاظه وكان بعض أهل العربية يقول : أُدْخِلْتَ ((أَنْ)) في ﴿ أَلَّا تُقَاتِلُوا ﴾ لأنه بمعنى قول القائل : ((ما لك في ألا تقاتل)) ، ولو كان ذلك جائزاً لجاز أن يُقَالَ ((ما لك أن قمت)) ، و ((ما لك أنك قائم)) ، وذلك غير جائز ؛ لأن المنع إنما يكون للمستقبل من الأفعال ، كما يقال : ((منعتك أن تقوم)) ، و لا يقال : ((منعتك أن قمت)) ، فلذلك قيل في ((ما لك)) ما لك ألا تقوم ، ولم يقل : ((ما لك أن قمت)) .

^١ مغني اللبيب / ٩٠٧ .

^٢ سورة البقرة / ٢٤٦ .

^٣ سورة يوسف / ١١ .

^٤ يُنْظَرُ : إِمْلَاءُ مَا مَنَّ بِهِ الرَّحْمَنُ / ١١٠ ، وَ رُوحُ الْمَعَانِي ٢ / ١٦٤ .

^٥ سورة الحديد / ٨ .

^٦ الأعراف / ١٢ .

^٧ سورة الحجر / ٣٢ .

وقال آخرون منهم ((أَنْ)) ههنا زائدة بعد ((مَا)) ، ((فَلَمَّا)) ، و ((لَمَّا)) ، و ((لو)) وهي تزداد في هذا المعنى كثيراً قال : ومعناه : ((وما لنا لا نقاتل في سبيل الله)) فَأَعْمَلَ ((أَنْ)) وهي زائدة ، وقال الفرزدق :

لَوْ لَمْ تَكُنْ غَطْفَانَ لَا ذُنُوبَ لَهَا إِذِنْ لَلَّامَ دَوُوَ أَحْلَامِهِمْ عُمَرَا^١

والمعنى : ((لو لم تكن غطفان لها ذنوب)) ، و ((لَا)) زائدة ، فأعملها • وأنكر ما قال هذا القائل - من قوله الذي حكينا عنه - آخرون ، وقالوا غير جائز أن تجعل ((أَنْ)) زائدة في الكلام وهو صحيح في المعنى ، وبالكلام إليه الحاجة ، قالوا والمعنى : ما يمنعنا ألا نقاتل ، فلا وجه لدعوى مدَّع أَنْ ((أَنْ)) زائدة ، وله معنى مفهوم صحيح • قالوا : وأما قوله : ((لو لم تكن غطفان لا ذنوب لها)) ، فإن ((لَا)) غير زائدة في هذا الموضع ؛ لأنه جحد ، والجحد إذا جحد صار إثباتاً ، قالوا : فقوله ((لو لم تكن غطفان لا ذنوب لها)) إثبات الذنوب لها ، كما يقال : ((ما أخوك ليس يقوم)) بمعنى ((هو يقوم)) •

وقال آخرون معنى قوله : ((ما لنا ألا نقاتل)) ، ((ما لنا ولأن لا نقاتل)) ثم حذف الواو فتركت كما يقال في الكلام : ((ما لك ولأن تذهب إلى فلان)) فألقي منها الواو لأن ((أن)) حرف غير متمكن في الأسماء ، وقالوا نجيز أن يُقال : ((ما لك أن تقوم)) ، ولا نجيز ((ما لك القيام)) ؛ لأن القيام اسم صحيح ، وأن اسم غير صحيح ، وقالوا قد تقول العرب : ((إياك أن تتكلم)) بمعنى : ((إياك وأن تتكلم)) ، وأنكر ذلك من قولهم آخرون وقالوا : لو جاز أن يُقال ذلك على التأويل الذي تأوله قائل من حكينا قوله لوجب أن يكون جائزاً ((ضربتك بالجارية وأنت كفيل)) بمعنى : وأنت كفيل بالجارية ، وأن تقول : ((رأيتك أبانا ويزيد)) بمعنى : ((رأيتك وأبانا يزيد)) ؛ لأن العرب تقول : ((إياك بالباطل أن تتطرق)) ، قالوا فلو كانت الواو مضمرة في ((أن)) لجاز جميع ما ذكرنا ، ولكن ذلك غير جائز ؛ لأن ما بعد الواو من الأفاعيل غير جائز له أن يقع على ما قبلها ، واستشهدوا على فساد قول من زعم أن الواو مضمرة مع ((أن)) بقول الشاعر :

فَبُحْ بِالسَّرَائِرِ فِي أَهْلِهَا وَإِيَّاكَ فِي غَيْرِهِمْ أَنْ تَبُوحَا^١

^١ وفي رواية :

لَوْ لَمْ تَكُنْ غَطْفَانَ لَا ذُنُوبَ لَهَا إِلَيَّ لَامَ دَوُوَ أَحْلَامِهِمْ عُمَرَا

والبيت للفرزدق من بحر البسيط ، من قصيدة يهجو فيها عمر بن هبيرة مطلعها :

أنا ابن خندف والحامي حقيقتها قد جعلوا في يدي الشمس والقمر

وَأَنْ ((أَنْ تَبُوحَا)) لو كان فيها واو مضمرة لم يجز تقديم غيرهم عليها))^٢ .
 قال ابن السَّرَّاج في الأَصُول : (()) أَنْ)) المفتوحة يكون وما بعدها بمنزلة
 المصدر ، وتكون بمنزلة ((أَي)) ، وتكون مخففة من التَّثْقِيلَة ، وتكون لغواً ، نحو قولك :
 ((لَمَّا أَنْ جَاءَ)) و ((أَمَا وَاللَّهِ أَنْ فَعَلْتَ)) فأما كونها بمنزلة المصدر ، فقولك : ((أَنْ
 تَأْتِي خَيْرٌ لَكَ)) ، واللام تحذف من ((أَنْ)) ، كقوله : ((أَنْ تَقْتُلَ أَحَدَهُمَا)) ، و ((أَنْ
 كَانَ ذَا مَالٍ))^٣ .

ومن أمثلة ذلك قوله ﷺ : ﴿ فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَازْتَدَّ بِصِيرًا قَالَ أَلَمْ
 أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾^٤ . قال القرطبي - رحمه الله - في تفسير هذه الآية :
 (()) أَنْ)) زائدة^٥ ، وقد أطردت زيادتها بعد ((لَمَّا)) .

ومنه قوله ﷺ : ﴿ وَأَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلَّا يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي
 وَكَيْلًا ﴾^٦ ، على قراءة بعض قراء البصرة : بالياء على الخبر عن بني إسرائيل ، بمعنى :
 وجعلناه هدى لبني إسرائيل ، ألا يتخذ بنو إسرائيل ، من دوني وكَيْلًا . ف((أَنْ)) في ﴿
 أَلَّا يَتَّخِذُوا ﴾ فيها ((ثلاثة أوجه :

- أحدها : أَنْ ((أَنْ)) بمعنى ((أَي)) وهي مفسرة لما تضمنه الكتاب من الأمر والنهي .
- والثاني : أَنْ ((أَنْ)) زائدة : أي قلنا لا تتخذوا .
- والثالث : أَنْ ((لَأَ)) زائدة ، والتقدير : مخافة أَنْ تتخذوا))^٧ .

ومنه قوله ﷺ : ﴿ أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَيْنَ ﴾^٨ ، قال العكبري - رحمه الله - : (()) ﴿
 أَنْ كَانَ ﴾ يُقْرَأُ بكسر الهمزة على الشَّرْطِ ، وبفتحها على أنها مصدرية^٩ . وإذا جعلته
 مصدراً كان التقدير : ((لَأَنْ كَانَ ذَا مَالٍ يَكْفُرَ))^٩ . وإذا جعلتها زائدة - كما يرى
 الأخفش - فالتقدير : ((كَانَ ذَا مَالٍ وَبَيْنَ)) .

^١ لم أجد له قائلاً ، والبيت في دَرَّة الغواص للحريري .

^٢ جامع البيان في تفسير القرآن ٢ / ٣٥٩ .

^٣ الأصول في النحو ٢ / ٢٠٧ .

^٤ سورة يوسف / ٩٦ .

^٥ الجامع لأحكام القرآن ٩ / ٢٦١ .

^٦ سورة الإسراء / ٢ .

^٧ إملاء ما من به الرحمن / ٣٨٣ - ٣٨٤ .

^٨ سورة القلم / ١٤ .

^٩ يُنْظَرُ : إملاء ما من به الرحمن / ٥٦٢ .

ونكتفي بما تقدّم عن حروف الزيادة .

المؤكّد الرّابع عشر : ((إن)) و ((أن)) المخفّتان

إذا خُفّفت ((إن)) ، و ((أن)) يبطل عملهما ، ومن العرب من يعملهما ، والمكسورة أكثر إعمالاً ، ويقع بعدهما الاسم ، والفعل ، والفعل الواقع بعد المكسورة يجب أن يكون من الأفعال الدّاخلية على المبتدأ والخبر ، وجوّز الكوفيون غيره ، وتلزم المكسورة اللّام في خبرها ، والمفتوحة يعوّض عما ذهب منها أحد الأحرف الأربعة ؛ حرف النّفي ، وقد ، وسوف ، والسّين^١ .

ونحو قول الله ﷻ : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَيَّ عَقْبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾^٢ ، فد ﴿ إن ﴾ في قوله ﷻ : ﴿ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً ﴾ ذهب الفراء إلى أن « إن » واللام بمعنى ((ما)) و ((إلا)) ؛ والبصريون يقولون : هي ((إن)) الثّقيلة خُفّفت . وقال الأخفش : أي وإن كانت القبلة ، أو التّحويلة ، أو التّولية لكبيرة^٣ .

وناقش العكبري - رحمه الله - هذه المسألة ورجّح قول البصريين بأن ((إن)) هي ((إن)) الثّقيلة خُفّفت ، وضعّف قول الكوفيين أن « إن » واللام بمعنى ((ما)) و ((إلا)) حيث قال : ((إن)) المخففة من الثّقيلة ، واسمها محذوف ، واللام في قوله ﴿ لَكَبِيرَةً ﴾ عوض من المحذوف ؛ وقيل فصل باللام بين ((إن)) المخففة من الثّقيلة ، وبين غيرها من أقسام ((إن)) .

وقال الكوفيون : « إن » بمعنى ((ما)) ، واللام بمعنى ((إلا)) ، وهو ضعيف جداً من جهة أن وقوع اللّام بمعنى ((إلا)) لا يشهد له سماع ولا قياس^٤ .

ونحو قول الله ﷻ : ﴿ وَإِنْ كُلُّ لَمَّا جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴾^١ ، وقُرئ قوله ﷻ : ﴿ إِنَّ كُلًّا لَمَّا لِيُؤْفِقِيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾^٢ ، بالتّخفيف على الإعمال ، ((اختلف

^١ يُنظَر : المفصّل في صنعة الإعراب / ٣٩٤ - ٣٩٥ .

^٢ سورة البقرة / ١٤٣ .

^٣ الجامع لأحكام القرآن ٢ / ١٥٣ .

^٤ إملاء ما منّ به الرّحمن / ٧٤ . ويُنظَر : الإنصاف في مسائل الخلاف ٢ / ٦٤٠ - ٦٤٣ .

القرء في قراءة ﴿ وَإِنْ كُلاًّ لَمَّا ﴾ ، فقرأ أهل الحرمين . نافع وأبن كثير وأبو بكر معهم . ﴿ وَإِنْ كُلاًّ لَمَّا ﴾ بالتخفيف ، على أنها « إِنْ » المخففة من الثَّقِيلَة معملة ؛ وقد ذكر هذا الخليل ، وسيبويه ، قال سيبويه : حدثنا من أثق به أنه سمع العرب تقول : ((إِنْ زِيداً لمنطلق)) ؛ وأنشد قول الشاعر ٣ :

كَأَنَّ طَبِيئَةً تَعْطُو إِلَى وَارِقِ السَّلْمِ ٤

أراد كأنها طيبة ، فخفف ونصب ما بعدها ؛ والبصريون يجوزون تخفيف « إِنْ » المشددة مع إعمالها ؛ وأنكر ذلك الكسائي ، وقال : ما أدري على أي شيء فُرىء ﴿ وَإِنْ كُلاًّ ﴾ ! ، وزعم الفرء أنه نصب « كلاً » في قراءة من خفف بقوله : « لِيُوفِينَهُمْ » أي : ((وَإِنْ لِيُوفِينَهُمْ كلاً)) ؛ وأنكر ذلك جميع النحويين ، وقالوا : هذا من كبير الغلط ؛ لا يجوز عند أحد ((زيداً لأضربنه)) . وشدد الباقون « إِنْ » ونصبوا بها « كلاً » على أصلها . وقرأ عاصم وحمزة وأبن عامر « لَمَّا » بالتشديد . وخففها الباقون على معنى : وإن كلا ليوفينهم ، جعلوا « ما » صلة ٥ .

وقال الله ﷻ : ﴿ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴾ ٦ ، وقال و ﷻ : ﴿ إِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾ ، وقال ﷻ : ﴿ وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ ﴾ ٧ ، ((﴿ إِنْ ﴾ مخففة من الثَّقِيلَة ، واسمها محذوف ، أي : ((وإناً وجدنا)) واللام في ﴿ لَفَاسِقِينَ ﴾ لازمة لها لتفصل بين ((إِنْ)) المخففة ، وبين ((إِنْ)) بمعنى ((مَا)) ، وقال الكوفيون : من الثَّقِيلَة ((إِنْ)) بمعنى ((مَا)) ٨ .

١ سورة يس / ٣٢ .

٢ سورة هود / ١١١ .

٣ هو علباء بن أرقم بن عوف بن سعد بن عجل بن عتيك بن يشكر بن بكر بن وائل ، شاعر جاهلي ، كان معاصراً للنعمان بن المنذر ، له شعر في الأصمعيات .

٤ البيت بكماله : فيوما توافينا بوجه مقسم كان طيبة تعطو إلى ناصر السلم والبيت للشاعر علباء بن أرقم من بحر الطويل ، من قصيدة مطلعها :

ألا تلكما عرسي تصدُّ بوجهها وترزعم في جاراتها أن من ظلم

٥ الجامع لأحكام القرآن ٩ / ١٠٤ .

٦ سورة يوسف / ٣ .

٧ سورة الأعراف / ١٠٢ .

٨ إملاء ما من به الرحمن / ٢٨٨ .

((أن)) المفتوحة

و((أن)) المفتوحة مثل ((إن)) المكسورة ، نحو قوله ﷺ : ﴿ دَعَوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَأَخْرَجُ دَعَوَاهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾^١ قال القرطبي - رحمه الله - : ((ولم يحك أبو عبيد إلا تخفيف « أن » ورفع ما بعدها ؛ قال : وإنما نراهم اختاروا هذا ، وفرقوا بينها وبين قوله عز وجل : ﴿ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ ﴾^٢ ، و ﴿ أَنْ غَضِبَ اللَّهُ ﴾^٣ ؛ لأنهم أرادوا الحكاية حين يقال : ((الحمد لله)) . قال النحاس : مذهب الخليل ، وسيبويه أن « أن » هذه مخففة من الثقيلة ، والمعنى : ((أنه الحمد لله)) . قال محمد بن يزيد : ويجوز « أن الحمد لله » يعملها خفيفة عملها ثقيلة ؛ والرفع أقيس . قال النحاس : وحكى أبو حاتم أن بلال بن أبي بردة قرأ ﴿ وَأَخْرَجُ دَعَوَاهُمْ أَنَّهُ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ . قلت : وهي قراءة ابن محيصن ، حكاها العزني ؛ لأنه يحكي عنه)^٤ .

ومنه قوله ﷺ : ﴿ إِنْ رَبِّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عِلْمَ لَنْ تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عِلْمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَّرْضَى ﴾^٥ ، ف ﴿ أَنْ ﴾ في قوله ﷺ : ﴿ عِلْمَ لَنْ تُحْصُوهُ ﴾ مخففة من الثقيلة ؛ أي : ((علم أنكم لن تحصوه)) ؛ لأنكم إن زدتم ثقل عليكم ، واحتجتم إلى تكليف ما ليس فرضاً ، وإن نقصتم شق ذلك عليكم . ومثلها ﴿ أَنْ ﴾ في قوله : ﴿ عِلْمَ أَنْ سَيَكُونُ ﴾ فهي مخففة من الثقيلة ؛ أي : ((علم أنه سيكون)) .

ومثله قوله ﷺ : ﴿ أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ * يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُبَدًا * أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ ﴾^٦ ، ف ﴿ أَنْ ﴾ في قوله ﷺ : ﴿ أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ﴾ مخففة من الثقيلة ؛ أي : ((أيحسب أنه لن يقدر عليه أحد)) . ومثلها في : ﴿ أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ ﴾ .

مشاكلة الفعل لـ ((أن)) المفتوحة في التحقيق

^١ سورة يونس / ١٠ .^٢ سورة الأعراف / ٤٤ .^٣ سورة النور / ٩ .^٤ الجامع لأحكام القرآن ٨ / ٣١٣ .^٥ سورة المزمل / ٢٠ .^٦ سورة البلد / ٥ - ٧ .

قال الزمخشري - رحمه الله - : ((والفعل الذي يدخل على المفتوحة مشددة أو مخففة يجب أن يشاكلها في التحقيق ، كقوله تعالى : ﴿ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ ﴾^١ ، قوله تعالى : ﴿ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ ﴾^٢ ، فإن لم يكن كذلك ، نحو ((أطمع)) ، و ((أرجو)) ، و ((أخاف)) ، فليدخل على ((أن)) الناصبة للفعل ، كقوله تعالى : ﴿ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي ﴾^٣ ، وما فيه وجهان ، كـ ((ظننت)) ، و ((حسبت)) ، و ((خلت)) ، فهو داخل عليهما جميعاً ، تقول : ((ظننت أن تخرج)) ، و ((أن ستخرج)) ، و ((أنك تخرج)) ، وقرئ قوله تعالى : ﴿ وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِئْتَةً ﴾^٤ ، بالرفع ، والنصب^٥ .

المؤكد الخامس عشر - ((إنما)) و ((أنما))

أصلهما ((إن)) و ((أن)) اتصلت بهما ((ما)) الزائدة للتأكيد ، فكفتها عن العمل ، وهياتهما للدخول على الجمل الفعلية ، فهما بذلك يدخلان على الجمل الاسمية ، والفعلية ، وبضم ((ما)) إليهما اجتمع في لفظيهما مؤكدان ، إذ أصلهما يفيد التوكيد ، وزاد التوكيد بضم ((ما)) إليهما^٦ .

نحو قوله ﷺ : ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾^٧ .

نحو قوله ﷺ : ﴿ قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾^٨ . قال الألوسي - رحمه الله - في قوله ﷺ : ﴿ إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ ﴾ : ((ذهب جماعة إلى أن في الآية حصرين بناءً على أن ﴿ أنما ﴾ المفتوحة تفيد ذلك كالمكسورة ،

^١ سورة النور / ٢٥ .

^٢ سورة طه / ٨٩ .

^٣ سورة الشعراء / ٨٢ .

^٤ سورة المائدة / ٧١ .

^٥ المفصل في صناعة الإعراب / ٣٩٧ .

^٦ يُنظر : أوضح المسالك / ١ / ٣٤٧ ، و شرح شذور الذهب / ١ / ٣٦١ ، و البلاغة العربية أسسها ، و علومها ، و فنونها / ١ / ١٩٠ - ١٩١ .

^٧ سورة الكهف / ١١٠ .

^٨ سورة الأنبياء / ١٠٨ .

والأول لقصر الصفة على الموصوف ، والثاني لقصر الموصوف على الصفة ؛ فالثاني قصر فيه الله تعالى على الوجدانية ، والأول قصر فيه الوحي على الوجدانية ، والمعنى : ما يوحى إليّ إلا اختصاص الله تعالى بالوجدانية .

واعترض بأنه كيف يقصر الوحي على الوجدانية وقد أوحى إليه ﷺ أمور كثيرة غير ذلك كالتكاليف ، والقصص ، وأجيب بوجهين ؛ الأول : أن معنى قصره عليه أنه الأصل الأصيل ، وما عداه راجع إليه ، أو غير منظور إليه في جنبه فهو قصر ادعائي ، والثاني : أنه قصر قلب بالنسبة إلى الشرك الصادر من الكفار ، وكذا الكلام في القصر الثاني . وأنكر أبو حيان إفادة ﴿ إِنَّمَا ﴾ المفتوحة الحصر ؛ لأنها مؤولة بمصدر ، واسم مفرد ، وليست كالمكسورة المؤولة بما ، و إلا ، وقال : لا نعلم خلافاً في عدم إفادتها ذلك ، والخلاف إنما هو في إفادة ﴿ إِنَّمَا ﴾ المكسورة إيّاه .

وأنت تعلم أن الزمخشري ، وأكثر المفسرين ذهبوا إلى إفادتها ذلك ، والحق مع الجماعة ، ويؤيده هنا أنها بمعنى المسكورة ؛ لوقوعها بعد الوحي الذي هو في معنى القول ، ولأنها مقولة ((قل)) في الحقيقة ، ولا شك في إفادتها التأكيد ، فإذا اقتضى المقام القصر كما فيما نحن فيه انضم إلى التأكيد لکنه ليس بالوضع كما في المكسورة ، فقد جاء ما لا يحتمله كقوله تعالى : ﴿ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ ﴾^١ ، ولذا فسره الزمخشري بقوله : ابتليناه لا محالة ، مع تصريحه بالحصر هنا ، نعم في توجيه القصر هنا بما سمعت من كونه قصر الله تعالى على الوجدانية ما سمعته في آخر سورة الكهف فتذكر^٢ .

ونحو قوله ﷻ : ﴿ يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَافُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ

يَنْظُرُونَ ﴾^٣ .

ونحو قوله ﷻ : ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا مَنَّادٌ وَمَا مِنِّي إِلَّا اللَّهُ الْوَحْدُ الْقَهَّارُ ﴾^٤ .

ونحو قوله ﷻ : ﴿ إِنْ يُوحَىٰ إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾^٥ .

ونحو قوله ﷻ : ﴿ قَالَ إِنَّمَا أَعْلِمُ عِنْدَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا

تَجْهَلُونَ ﴾^١ .

^١ سورة ص / ٢٤ .

^٢ تفسير الألوسي / ١٧ / ١٠٦ .

^٣ سورة الأنفال / ٦ .

^٤ سورة ص / ٦٥ .

^٥ سورة ص / ٧٠ .

﴿ أَنَّمَا ﴾ المفتوحة ، ﴿ إِنَّمَا ﴾ المكسورة في الآيات السابقات تفيد توكيد للجملة الخبرية . وألغت ((مَا)) عمل ((أَنْ)) ، و ((إِنَّ)) الداخلتان عليهما ، ويسميان مع ((مَا)) الزائدة كافة ، ومكفوفة . ولولا إلغاؤهما لم يصح دخولهما على الجملة الفعلية ، وكان دخولهما على المبتدأ والخبر واجباً .

المؤكد السادس عشر : ((لام التعليل)) أي : ((لام كي))

نحو : ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ ﴾ من قوله ﷻ : ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾^١ ، فاللام في " لِيُبَيِّنَ " تعليلية جاءت لتوكيد الجملة الخبرية ، قال الطاهر بن عسور - رحمه الله - عند تفسيره هذه الآية : ((وقوله : ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ ﴾ انتصب فعل " لِيُبَيِّنَ " بأن المصدرية محذوفة ، والمصدر المنسبك مفعول " يُرِيدُ " ، أي : يريد الله البيان لكم ، والهدى ، والتوبة ، فكان أصل الاستعمال ذكر " أَنْ " المصدرية ، ولذلك فاللام هنا لتوكيد معنى الفعل الذي قبلها ، وقد شاعت زيادة هذه اللام بعد مادة الإرادة ، وبعد مادة الأمر ، معاقبة لأن المصدرية تقول : ((أريدُ أَنْ تَفْعَلَ)) ، و ((أريدُ لِنَفْعَلِ)) ، و قال تعالى : ﴿ يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ ﴾^٢ ، وقال : ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ ﴾^٣ ، وقال : ﴿ وَأَمْرٌ أَنْ أُسَلِّمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾^٤ ، وقال : ﴿ وَأَمْرٌ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ ﴾^٥ ، فإذا جاؤوا باللام أشبهت لام التعليل ، فقدروا " أَنْ " بعد اللام المؤكدة ، كما قدروها بعد لام " كي " ؛ لأنها أشبهتها في الصورة ، ولذلك قال الفراء : اللام نائبة عن " أَنْ " المصدرية ، وإلى هذه الطريقة مال صاحب الكشاف ((^٦ .

^١ سورة الأحقاف / ٢٣ .

^٢ سورة النساء / ٢٦ .

^٣ سورة التوبة / ٣٢ .

^٤ سورة الصَّف / ٨ .

^٥ سورة غافر / ٦٦ .

^٦ سورة الشورى / ١٥ .

^٧ التحرير والتنوير / ٥ / ٢٠ - ٢١ .

وعدَّ سيبويه - رحمه الله - اللام في : " لِيُبَيِّنَ " من قوله ﷻ : ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾^١ لام تعليل ، أي : لام كي ، وأنَّ ما بعدها علَّةٌ • وعدَّها الخليل - رحمه الله - ظرفية لـ " مستقر " ، فهي خبر عن الفعل السابق • وعدَّها بعضهم لام " أن " •

وقد نقل الطاهر بن عاشور هذه الآراء ، ثم رجَّح رأي سيبويه ، فقال : ((وقال سيبويه : هي لام التعليل ، أي : لام " كي " وأنَّ ما بعدها علَّةٌ ، ومفعول الفعل الذي قبلها محذوف يقدر بالقرينة ، أي : يريد الله التعليل ، والتَّحريم لِيُبَيِّنَ ، ومنهم من قرَّر قول سيبويه بأنَّ المفعول المحذوف دلٌّ عليه التعليل المذكور ، فيقدر ، يريد الله البيان لِيُبَيِّنَ ، فيكون الكلام مبالغة بجعل العلة نفس المعلل •

وقال الخليل ، وسيبويه ، ورواية عنه : اللام ظرف " مستقر " فهو خبر عن الفعل السابق ، وذلك الفعل مقدر بالمصدر دون سابق على حدِّ : ((تسمع بالمعيدي خيرٌ من أن تراه)) ، أي : إرادة الله كائنة للبيان • ولعلَّ الكلام عندهم محمول على المبالغة كأنَّ إرادة الله انحصرت في ذلك • وقال طائفة قليلة : هذه اللام للتقوية على خلاف الأصل ؛ لأنَّ لام التقوية إنَّما يجاء بها إذا ضعف العامل بالفرعية ، أو بالتأخير •

وأحسن الوجوه قول سيبويه بدليل دخول اللام على " كي " في قول قيس بن سعد بن عبادة الخزرجي :

أَرَدْتُ لِكَيْمًا يَعْلَمَ النَّاسُ أَنَّهَا سَرَاوِيلُ قَيْسٍ وَالْوُفُودُ شُهُودُ
وَعَنِ النَّحَّاسِ أَنَّ بَعْضَ الْقَرَاءِ سَمَّى هَذِهِ اللَّامَ لَامَ " أَنْ " ((^٢ •

^١ سورة النساء / ٢٦ •

^٢ التحرير والتنوير / ٥ / ٢٠ - ٢١ •

الفصل الرَّابِع

ظاهرة الإعراب في

الجملة الخبرية

ظاهرة الإعراب في الجملة الخبرية

اللغة العربية من اللغات المعربة ، وقد ورثت العربية الإعراب من اللغة السامية الأم ، فقد كانت معربة ، وكذلك اللغات السامية الأخرى ، فقد كانت اللغات السامية القديمة كلها معربة ، وقد احتفظت العربية بالإعراب كاملاً إلى الآن^١ .

وقبل أن نخوض في الإعراب نعرج على البناء ، فنقول ، وبالله التوفيق :

^١ العربية ليوهان فك - ترجمة الدكتور عبد الحليم النجار - مطبعة دار الكتاب العربي - القاهرة ١٣٧٠ هـ - ١٩٥١ م / ٣٣ ، والتطور النحوي للغة العربية للأستاذ برجستراسر - أخرجه وعلق عليه الدكتور رمضان عبد الثواب - مطبعة المجد ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م / ٧٥ ، وفصول في فقه العربية / ٣٨٢ ، ومعاني النحو ، د. فاضل السامرائي - مطابع دار الحكمة للطباعة والنشر - الموصل ط ١ / ٢١ ، والجملة العربية ، والمعنى /

المبحث الأول

البناء

البناء لغة

اللُزوم والثَّبَات • قال الرّازي : ((بنى بيتاً ، وبنى على أهله ••• وكانَّ الأصل فيه : أنَّ الدَّاخل بأهله كان يضرب عليها قَبَّة ليلة دخوله بها ، ف قيل لكلِّ داخلٍ بأهله بانٍ))^١

وقال ابن منظور - رحمه الله - : عن البناء ((سُمِّي بناءً ، من حيث كان البناء لازماً موضعاً ، لا يزول من مكان إلى غيره ، وليس كذلك سائر الآلات المنقولة المبتدلة ، كالخيمة ، والمظلة ، والفسطاط ، والسرداق ، ونحو ذلك وعلى أنه مذ أوقع على هذا الضرب من المستعملات المزالة من مكانٍ إلى مكانٍ ، لفظ البناء تشبيهاً بذلك من حيث كان مسكوناً ، وحاجزاً ، ومظلاً بالبناء من الآجر ، والطين ، والجصّ))^٢

البناء اصطلاحاً

قال ابن جنِّي - رحمه الله - : ((باب القول على البناء : وهو لزوم آخر الكلمة ضرباً واحداً : من السكون أو الحركة ، لا لشيءٍ أحدث ذلك من العوامل ، وكأنَّهم إنَّما سمَّوه بناءً ؛ لأنَّه لمَّا لزم ضرباً واحداً ، فلم يتغير تغير الإعراب سمِّي بناءً ، من حيث كان البناء لازماً موضعه ، لا يزول من مكان إلى غيره ؛ وليس كذلك سائر الآلات المنقولة المبتدلة^٣ ، كالخيمة والمظلة ، والفسطاط والسرداق ، ونحو ذلك • وعلى أنه قد

^١ مختار الصحاح ١ / ٢٧ •

^٢ لسان العرب ١٤ / ٩٤ - ٩٥ •

^٣ أي : التي دون الأبنية الثابتة ، وروى : " المبتدلة " • أي : التي تبدل ، وتنقل •

أوقع على هذا الضرب من المستعملات المزالة من مكان إلى مكان لفظ البناء ؛ تشبيهاً لذلك من حيث كان مسكوناً وحاجزاً ومِظلاً بالبناء من الأجرّ والطين والحِصّ))^١ .

((ومن هذا قولهم : " قد بنى فلانٌ بأهله " ؛ وذلك أنّ الرّجل كان إذا أراد الدّخول بأهله بنى بيتاً من آدم ، أو قبة ، أو نحو ذلك من غير الحجر والمدر ، ثمّ دخل بها فيه ، فقبيل لكل داخل بأهله : هو بانٍ بأهله ، وقد بنى بأهله . وابتنى بالمرأة هو افتعل من هذا اللفظ ، وأصل المعنى منه . فهذا كلّهُ على التّشبيه لبيوت الأعراب ببيوت ذوي الأمصار))^٢ .

((و البناء : لزوم آخر الكلمة ضرباً واحداً من السّكون ، أو الحركة لا لشيءٍ أحدث ذلك من العوامل ، وكأنّهم إنّما سمّوه بناءً ؛ لأنّه لمّا لزم ضرباً واحداً ، فلم يتغيّر تغير الإعراب سُمّي بناءً ، من حيث كان البناء لازماً موضعاً ، لا يزول من مكان إلى غيره))^٣ .

وقال العكبري - رحمه الله - في تعريف البناء : ((الثبوتُ واللزومُ كبناء الحائط . وحدهُ في النّحو : لزومُ آخرِ الكلمة سكوناً أو حركةً . وإن شئت قلت : هو أن لا يختلفَ آخرُ الكلمة لاختلاف العامل فيها))^٤ .

قال ابن أبي الوفاء - رحمه الله - : ((البناء : منقول من هذا البناء المعروف ؛ للزومه ، وثبوته ، وحدهُ لزوم أو آخر الكلم بحركة أو سكون)) .

^١ الخصائص ١ / ٣٧ - ٣٨ .

^٢ الخصائص ١ / ٣٩ .

^٣ لسان العرب ١٤ / ٩٤ .

^٤ ذكر المؤلف - رحمه الله - فحوى كلام سيبويه وخصالته . يُنظر : الكتاب ١ / ٢ ، ٣ ، والمقتضب ١ / ٣ ،

٤ ، وشرح الكافية للرضي ١ / ٥٥ ، و ٢ / ٣٩٧ ، ٣٩٨ ، وأسرار العربية / ١٨ .

^٥ اللباب في علل البناء ، والإعراب ٢ / ٧٤ .

وقال الأشموني^١ في شرحه للألفية : ((والبناء في اللغة وضع شيء على شيء على صفة يراد بها الثبوت . وأما في الاصطلاح فقال في التسهيل : ما جاء به لا لبيان مقتضى العامل من شبه الإعراب ، وليس حكاية أو اتباعاً أو نقلاً أو تخلصاً من سكونين ، فعلى هذا هو لفظي . وقيل هو لزوم آخر الكلمة حركة أو سكوناً لغير عامل أو اعتلال ؛ وعلى هذا هو معنوي ؛ والمناسبة في التسمية على المذهبين فيهما ظاهرة)) .

^١ علي بن محمد بن عيسى ، أبو الحسن ، نور الدين الأشموني ولد سنة ثمانٍ وثلاثينٍ وثمانمائة هجرية توفي - رحمه الله - سنة تسعمائة هجرية ، نحوي من فقهاء الشافعية ، أصله من أشمون بمصر ، ومولده بالقاهرة من مؤلفاته : " شرح ألفية ابن مالك " . ينظر : همع الهوامع ١ / ٥٨ ، كشف الظنون ١ / ١٣٥ ، والأعلام ٥ /

المبحث الثاني

الإعراب

تعريف الإعراب

الإعراب لغةً

قال ابن جنّي - رحمه الله - عن الإعراب : ((وأما لفضه ، فإنه مصدر " أَعْرَبْتُ " عن الشيء إذا أوضحت عنه ؛ وفلانٌ مُعْرَبٌ عمّا في نفسه ، أي : مبينٌ له ، وموضح عنه ، ومنه : " عَرَبْتُ الفرسَ تعريباً " إذا بزغته ، وذلك أن تتسف أسفل حافره ، ومعناه : أنه قد بَانَ بذلك ما كان خفياً من أمره ؛ لظهوره إلى مرآة العين بعد ما كان مستوراً ، وبذلك تعرف حاله ؛ أصلب هو أم رخو ؟ وأصحيح^١ هو أم سقيم ؟ وغير ذلك . وأصل هذا كله قولهم " العرب " ، وذلك لما يعزى إليها^٢ من الفصاحة ، والإعراب ، والبيان ، ومنه قوله في الحديث : « النَّبِيُّ تُعْرَبُ عن نفسها »^٣ ، و " الْمُعْرَبُ " : صاحب الخيل العَرَب ، وعليه قول الشاعر :

وَيَصْهَلُ فِي مِثْلِ جَوْفِ الطَّوِيِّ صَهِيلاً يُبَيِّنُ لِلْمُعْرَبِ^٤

^١ كذا في الأصول بتقديم العاطف على أداة الاستفهام ، والاستفهام له الصُدارة ، والاستعمال الصَّحيح : « وأصحيح » .

^٢ يرجع الضمير هنا إلى العرب ، وكأنَّ المراد : إلى الإعراب ، وفي شرح ابن يعيش على المفصل ١ / ٧٢ : " إليهم " وهي ظاهرة .

^٣ الحديث صحيح أخرجه أحمد في مسنده ، وابن ماجه عن عميرة الكندي . يُنظَر : صحيح الجامع (ح ٣٠٨٤) ، والإرواء (١٨٣٦) .

^٤ ويروي الرُّكبي بدل الطَّوِيِّ ، وكلاهما البئر ، كأن جوفه بئر ، أو أنه يصف شدة صهيله ؛ لأنَّ الصوت بين في البئر . البيت في ديوان النَّابغة الجعدي من المتقارب من قصيدة طويلة مطلعها :

سما لك همّ ولم تطرب وبتَّ بيتٌ ولم تنصب

ذكرت في كتاب الخيل لأبي عبيدة . يُنظَر : ديوان النَّابغة الجعدي / ٢٣ ، ولسان العرب (عرب) ، وتهذيب اللُّغة ٢ / ٣٦٥ ، وكتاب الجيم ٢ / ٢٤٧ ، وسمط اللآلي ١ / ٤١٤ ، والكامل ٦ / ١٦٨ ، وتاج العروس (

أي إذا سمع صاحب الخيل العراب صوته علم أنه عربي^٥ . ومنه عندي عروبة ، و العروبة للجمعة^١ ، وذلك أن يوم الجمعة أظهر أمراً من بقية أيام الأسبوع ، لما فيه من التأهب لها ، والتوجه إليها ، وقوة الإشعار بها ٠٠٠ ولما كانت معاني المسمين مختلفة ، كان الإعراب الدال عليها مختلفاً أيضاً ، وكأنه من قولهم : " عربت معدته " ، أي : فسدت كأنها استحالت من حال إلى حال ، كاستحالة الإعراب من صورة إلى صورة))^٢ .

وقال الإمام ابن منظور - رحمه الله - في لسان العرب : ((قال الأزهري الإعراب و التعريب معناهما واحد : وهو الإبانة ، يقال أعرب عنه لسانه ، و عرب ، أي أبان ، وأفصح ، و أعرب عن الرجل ، بين عنه ٠٠٠ وإنما سمي الإعراب إعراباً ؛ لتبينه ، وإيضاحه ٠٠٠ و أعرب الكلام ، و أعرب به بينه ، أنشد أبو زياد :

وإنِّي لأَكُونُ عَنْ قُدُورٍ بغيرِهَا وَأُعْرِبُ أحياناً بِهَا ، فَأُصَارِحُ^٣

٠٠٠ و عرب منطقه أي هدبه من اللحن .

والإعراب - الذي هو النحو : إنما : هو الإبانة عن المعاني بالألفاظ ، و أعرب كلامه إذا لم يلحن في الإعراب ، ويقال : عربت له الكلام تعريياً ، و أعربت له إعراباً إذا بينته له حتى لا يكون فيه حزيمة))^٤ .

فالإعراب لغة الإبانة عما في النفس ، وهو مصدر الفعل " أعرب " ، ومعنى " أعرب " أبان . ومنه قول الرسول ﷺ : « أمروا النساء ؛ تعرب النبيب عن نفسها ، وإذن البكر صمتها »^٥ .

عرب (، وبلا نسبة في المخصص ٦ / ١٧٧ ، وجمهرة اللغة / ٣١٩ ، والخصائص ١ / ٨٩ ، ويروى : " تبين " بدلاً من تبين " .

^١ يريد أن عروبة - ممنوعة من الصرف - والعروبة معناها الجمعة . وعبرة اللسان : وعروبة ، والعروبة كلتاها الجمعة ، والجمعة بيان لهما .

^٢ الخصائص ١ / ٨٨ - ٨٩ .

^٣ البيت لم أقف على قائله ، وهو من شواهد لسان العرب . ينظر : لسان العرب ٧ / ٣١٧ ، ٩ / ١١٥ ، ١٢ / ١٧٤ /

^٤ لسان العرب ١ / ٥٨٨ - ٥٨٩ . لابن منظور ، ط ١ ، صادر ، بيروت .

^٥ رواه الطبراني وقال : زاد سفيان في الإسناد العرس . ورواه الليث بن سعد عن ابن أبي حسين ولم يجاوز عدي بن عدي ، قلت ورجاله ثقات . " مجمع الزوائد ، علي بن أبي بكر الهيثمي ، القاهرة ١٣٥٢ هـ / في الحديث رقم : ٧١٩٣ .

وقال الأشموني في شرحه : ((الإعراب في اللغة مصدر " أَعْرَبَ " أي أَبَانَ . أي أظهر ، أو أجال ، أو حسن ، أو غير ، أو أزال عرب الشيء وهو فساده . أو تكلم بالعربية . أو أعطى العربون . أو ولد له ولد عربي اللون . أو تكلم بالفحش . أو لم يلحن في الكلام . أو صار له خيل عرب . أو تحبب إلى غيره . ومنه " العرُوب " المتحبة إلى زوجها)) .

الإعراب اصطلاحاً

قال ابن جنّي - رحمه الله - في تعريف الإعراب : ((هو الإبانة عن المعاني بالألفاظ ؛ ألا ترى إنك إذا سمعت : " أكرم سعيداً أباه " ، و " شكراً سعيداً أبوه " علمت برفع أحدهما ، ونصب الآخر الفاعل من المفعول ، ولو كان الكلام شرجاً واحداً لاستنبه أحدهما من صاحبه .

فإن قلت : فقد تقول : " ضرب يحيى بشرى " ، فلا تجد هناك إعراباً فاصلاً ، وكذلك نحوه قيل : إذا اتفق ما هذه سبيله ، ممّا يخفى في اللفظ حاله ، ألزم الكلام من تقديم الفاعل ، وتأخير المفعول ، ما يقوم مقام بيان الإعراب . فإن كانت هناك دلالة أخرى من قبل المعنى وقع التصرف فيه بالتقديم والتأخير ؛ نحو : " أكل يحيى كمنثري " لك أن تقدم ، وأن تؤخر كيف شئت ؛ وكذلك : " ضربت هذا هذه " ، و " كلم هذه هذا " ؛ وكذلك إن وضح الغرض بالتنية ، أو الجمع جاز لك التصرف ؛ نحو قولك : " أكرم يحيى البشرى " ، و " ضرب البشرى البشرى " ؛ وكذلك لو أوّمت إلى رجلٍ وفرسٍ ، فقلت : " كلم هذا هذا " ، فلم يجبه " ، لجعلت الفاعل ، والمفعول أيهما شئت ؛ لأن في الحال بياناً لما تعني . وكذلك قولك : " ولدت هذه هذه " من حيث كانت حال الأم من البنت معروفة غير منكورة . وكذلك إن ألحقت الكلام ضرباً من الإتياع جاز لك التصرف لما تعقب من البيان ، نحو : " ضرب يحيى نفسه بشرى " ، أو " كلم بشرى العاقل معلّى " ، أو " كلم هذا وزيداً يحيى " . ومن أجاز " قام وزيدٌ عمرو " لم يجز ذلك في نحو " كلم

^١ أي : نوعاً ، وفي نسخة أخرى " شرعاً " ، يقال : هما في هذا الأمر شرع واحد ، أي : سواء ، والأثبت " شرجاً " .

هذا وزيدٌ يحيى " ، وهو يريد : كَلَّمَ هذا يحيى وزيدٌ ، كما يجيز : " ضرب زيداً وعمرو وجعفر ")^١ .

و قال أبو البقاء العكبري - رحمه الله - ((الإعراب^٢ عند النحويين : هو اختلاف آخر الكلمة لاختلاف العامل فيها لفظاً ، أو تقديراً ، ويدخل في هذا إعراب الاسم الصحيح ، والمعتل ، فالمقصود يقدر على ألفه الإعراب كاللفظ^٣ ، وليس كذلك آخر المبنى ، فإنَّ آخره إذا كان ألفاً لا تقدر عليه حركة ، إلا أن يكون ممّا يستحقُّ البناء على الحركة))^٤ .
وقال الأشموني - رحمه الله - في شرحه على الألفية : ((وأمّا في الاصطلاح ففيه مذهبان :

- أحدهما : أنه لفظي ، واختاره الناظم ونسبه إلى المحققين ، وعرفه في التسهيل بقوله : ما جاء به لبيان مقتضى العامل من حركة ، أو حرف ، أو سكون ، أو حذف .
- والثاني : أنه معنوي ، والحركات دلالات عليه ، واختاره الأعم^٥ ، وكثيرون ؛ وهو ظاهر مذهب سيبويه ؛ وعرفوه : بأنه تغيير أواخر الكلم لاختلاف العوامل الداخلة عليها لفظاً أو تقديراً.

^١ الخصائص ١ / ٣٥ .

^٢ قال ابن الخشاب - رحمه الله - : ((وحده أنه تغيير يلحق آخر الكلمة المعربة بحركة أو سكون لفظاً أو تقديراً بتغيير العوامل في أولها)) " المرتجل في شرح الجمل ، ابن خشاب ، تحقيق : علي حيدر - دمشق ١٩٧٢ م / ٣٤ " . وابن الخشاب : أبو محمد عبدالله بن أحمد بن عبدالله بن نصر بن الخشاب ، له كتاب المرتجل ، وغير ذلك توفي سنة سبع وستين وخمسمائة هجرية . ينظر : بغية الوعاة : ٢ / ٢٩ - ٣١ .

^٣ قال ابن الخشاب : ((والمانع في ظهور الإعراب في هذا الضرب من الأسماء ، أعني المقصور ، أن حرف إعرابه الألف ، والألف لا يصح تحريكها ؛ لأنها إن حُرِّكت انقلبت همزة)) " المرتجل في شرح الجمل / ٤٥ " .
^٤ اللباب في علل البناء والإعراب ١ / ٥٢ .

^٥ (٤١٠ - ٤٧٦ هـ = ١٠١٩ - ١٠٨٤ م)

يوسف بن سليمان بن عيسى الشنتمري الأندلسي ، أبو الحجاج المعروف بالأعلم : عالم بالأدب واللغة . ولد في شنتمري الغرب ستة عشر وأربعمائة للهجرة الموافق سنة تسع عشرة وألف للميلاد ، ورحل إلى قرطبة . وكفَّ بصره في آخر عمره ومات في إشبيلية سنة ست وسبعين وأربعمائة للهجرة ، الموافق سنة أربع وثمانين وألف للميلاد . كان مشقوق الشفة العليا ، فاشتهر بالأعلم . من كتبه " شرح الشعراء الستة - ط " و " شرح ديوان زهير بن أبي سلمى - ط " و " شرح ديوان طرفة بن العبد - ط " و " شرح ديوان علقمة الفحل - ط " و " تحصيل عين الذهب - ط " في شرح شواهد سيبويه ، و " شرح ديوان الحماسة - خ " في مجلدين كتبها سنة ٥١٣ - ٥١٤ من مخطوطات الخزانة الأحمديّة بتونس ، و " النكت على كتاب سيبويه - خ " منقن ، في الرباط

والمذهب الأول أقرب إلى الصواب ؛ لأنَّ المذهب الثاني يقتضي أن
التَّغيير الأول ليس إعراباً ، لأنَّ العوامل لم تختلف بعد وليس كذلك))^١ .

جاء في " أسرار العربية " لابن أبي الوفاء - رحمه الله - عن الأصل الذي اشتقَّ
منه : ((الإعراب فيه ثلاثة أوجه :

- أحدها : أن يكون سُمِّيَ بذلك ؛ لأنَّه يبيِّن المعاني ، مأخوذ من قولهم : " أَعْرَبَ الرَّجُلُ
عَنْ حُجَّتِهِ " إذا بيَّنها ، ومنه قوله ﷺ : " الثَّيْبُ يُعْرَبُ عَنْهَا لِسَانُهَا " ؛ أي بيَّين ، ويوضِّح
... فلما كان الإعراب يُعيِّن المعاني سُمِّيَ إعراباً .

- والوجه الثاني : أن يكون سُمِّيَ إعراباً ؛ لأنَّه تَغْيِيرٌ يلحق أواخر الكلم من قولهم : "
عَرَبَتْ مَعِدَّةَ الْفَصِيلِ " إذا تَغَيَّرَتْ .

فإن قيل العرب في قولهم : " عَرَبَتْ مَعِدَّةَ الْفَصِيلِ " معناه الفساد ، فكيف يكون
الإعراب مأخوذاً منه ؟

قيل : معنى قولك " أَعْرَبْتُ الْكَلَامَ " ؛ أي : أزلت عربه ، وهو فساد ، وصار
هذا ، كقولك : " أَعْجَمْتُ الْكِتَابَ " ، إذا أزلت عجمته ، و " أَشَكَيْتُ الرَّجُلَ " ، إذا
أزلت شكايته ، و على هذا حمل بعض المفسرين قوله تعالى : ﴿ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ
أُخْفِيهَا ﴾^٢ ، أي أزيل خفاءها ، وهذه الهمزة تسمى همزة السَّلْبِ .

- والوجه الثالث : أن يكون سُمِّيَ إعراباً ؛ لأنَّ المعرب للكلام كأنَّه يتحبَّب إلى
السَّامِعِ بإِعْرَابِهِ ، من قولهم : " امرأةٌ عَرُوبٌ " إذا كانت متحبِّبه إلى زوجها ، قال
الله تعالى : ﴿ عَرَبًا أُنثَرَبًا ﴾^٣ ؛ أي متحبِّبات إلى أزواجهن ، فلما كان المُعْرَبُ
للكلام كأنَّه يتحبَّب إلى السَّامِعِ بإِعْرَابِهِ سُمِّيَ إعراباً))^٤ .

(١٤٢ أوقاف) لعله غير كتابه "تحصيل عين الذهب - ط" في شرح شواهد سيبويه . يُنظَر : الأعلام
للزركلي ٨ / ٢٣٣ ، ووفيات ٢ / ٢٥٣ ، وإرشاد ٧ / ٣٠٧ ، ونكت الهميان ٣١٣ و ٥٤٢ ، ودائرة المعارف
الإسلامية ٢ / ٣٢١ ، ومعجم المطبوعات / ٤٥٩ .

^١ شرح الأشموني ١ / ، وينظر همع الهوامع : ١ / ٥٣ - ٥٥ .

^٢ سورة مريم / ١٥ .

^٣ سورة الواقعة / ٣٧ .

^٤ أسرار العربية / ٤٠ - ٤١ .

وأضاف أبو البقاء العكبري - رحمه الله - وجهاً رابعاً فقال : ((وفي أصله الذي نقل منه أربعة أوجه :

- أحدها : أنه من قولهم : " أعرب الرجل " إذا أبان عمًا في نفسه^١ ، والحركات في الكلام كذلك ؛ لأنها تبين الفاعل من المفعول^٢ ، وتفرق بين المعاني ، كما في قولهم : " ما أحسن زيداً ! " ، فإنه إذا عُرِّي عن الحركات احتمل النفي ، والاستفهام ، والتعجب ، وكذلك قولك : " ضرب زيدٌ عمراً " لو عرَّيته من الإعراب لم تعرف الفاعل من المفعول^٣ .
 - والثاني : أنه من قولك : " أعرب الرجل " إذا تكلم بالعربية ، كقولهم : " أعرب الرجل " إذا كان له خيل عرب^٤ ، فالمتكلم بالرفع ، والنصب ، والجر متكلم كلام العرب ، وليس " البناء " كذلك ؛ لأنه لا يخص العرب دون غيرهم .
 - والثالث : أنه من قولهم : " أعربت معدة الفصيل " إذا عريت ، أي فسدت من شرب اللبن ، فأصلحتها ، و أزلت فسادها ، فالهمزة فيه همزة السلب ، كقولك : " عتب علي فاعتبته " ، و " شكاً فأشكيتُهُ " .
 - والرابع : أنه مأخوذ من قولهم : " امرأة عروب^٥ " ، أي متحبة إلى زوجها بتحسُّنها ، فالإعراب يحبب الكلام إلى المستمع^٦ .
- فالإعراب في النحو مأخوذ من الفعل " أعرب " بمعنى أبان ، أي : الإبانة عمًا في النفس ، والكشف عنه^١ ، لأن الإعراب يبين عن المعاني ، ويكشف عنها ، وبغير

^١ يُنظَر : الإيضاح في علل النحو - أبي القاسم الزجاجي ، تحقيق مازن مبارك - ط ٢ سنة ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م بيروت / ٩١ ، والخصائص / ١ / ٣٦ .

^٢ قال ابن الخشاب في المرتجل / ٣٤ : ((وفائدته (أي فائدة الإعراب) أنه قد يفرق بين المعاني المختلفة التي لو لم يدخل الإعراب الكلمة التي تتعاقب عليها تلك المعاني التبتست . والمثال في ذلك المسألة المشهورة ، وهي : " ما أحسن زيداً " ، " ما أحسن زيداً " ، " ما أحسن زيداً ؟ ")) .

^٣ فصل العكبري - رحمه الله - هذه المسألة في كتابه التبيين . يُنظَر : المسألة التاسعة / ١٥٦ - ١٦٠ ، والمسألة الثانية عشرة ١٦٧ - ١٦٩ ، فإن فيهما عرضاً وافياً لعلل الإعراب وحقيقته .

^٤ قال الجوهرى - رحمه الله - في الصحاح " عرب " ٢ / ١٧٩ : ((وقال الكسائي : المعرب من الخيل : الذي ليس فيه عرق هجين ، والأنثى معربة)) .

^٥ ومنه قوله - سبحانه وتعالى - : ﴿ عُرْبًا أَتْرَابًا ﴾ .

^٦ اللباب في علل البناء والإعراب / ١ / ٥٢ - ٥٣ .

الإعراب يلتبس الكلام ، ويكون محتملاً لمعانٍ عدّة ، فقولك مثلاً " مَا أَجْمَلَ السَّمَاءَ " يحتمل معانٍ عدّة ، فيحتمل الاستفهام ، و يحتمل التّعجب ، و يحتمل النّفي ، فقولك :

- " مَا أَجْمَلَ السَّمَاءِ ؟ " يفيد الاستفهام .
- " مَا أَجْمَلَ السَّمَاءَ ! " يفيد التّعجب .
- " مَا أَجْمَلَ السَّمَاءُ " يفيد النّفي .

وقولك : " إِنَّ أَحَدًا شَاهِدٌ " يحتمل نفي الشّاهد ، و يحتمل إثباته ، فقولك :

- " إِنَّ أَحَدًا شَاهِدٌ " يفرع الأوّل والثّاني ، أو " إِنَّ أَحَدًا شَاهِدًا " برفع الأوّل ونصب الثّاني يفيد النّفي على لغتين .
- " إِنَّ أَحَدًا شَاهِدٌ " بنصب الأوّل ورفع الثّاني يفيد الإثبات مع التّوكيد ، والمعنى : " إِنَّ أَحَدًا شَاهِدٌ " .

وقولك : " لَا يَشْهَدُ أَحَدٌ " يحتمل النّهي والنّفي ، فقولك :

- " لَا يَشْهَدُ أَحَدٌ " بجزم الفعل " يَشْهَدُ " يفيد النّهي .
- " لَا يَشْهَدُ أَحَدٌ " برفع الفعل " يَشْهَدُ " يفيد النّفي^٢ .

وهذا كثير في اللّغة العربيّة .

وجاء في " شرح ابن يعيش " : ((اعلم أنّ الإعراب في اللّغة البيان

والإعراب الإبانة عن المعاني باختلاف أواخر الكلم ؛ لتعاقب العوامل في أولها ألا ترى أنّك لو قلتي : " ضَرَبَ زَيْدٌ عَمْرًا " بالسكون من غير إعراب لم يُعَلَمَ الفاعل من المفعول؟! . ولو اقتصرنا في البيان على حفظ المرتبة ، فيُعَلَمُ الفاعل بتقدّمه ، والمفعول بتأخّره لضاق المذهب ، ولم يوجد من الاتساع بالتّقديم والتّأخير ما يوجد بوجود الإعراب . ألا ترى أنّك تقول : " ضَرَبَ زَيْدٌ عَمْرًا " ، و " أَكْرَمَ أَخَاكَ أَبُوكَ " ، فيُعَلَمُ الفاعل برفعه ، والمفعول بنصبه ، سواء تقدّم أو تأخّر .

فإن قيل : فأنت تقول : " ضَرَبَ هَذَا هَذَا " ، و " أَكْرَمَ عَيْسَى مُوسَى " وتقتصر في البيان على المرتبة ، قيل هذا شيءٌ قادت إليه الضّرورة ؛ لتعدّر ظهور الإعراب فيهما

^١ انظر شرح الرّضي على الكافية - رضي الدّين الاسترابادي - تحقيق : محمد محيي الدين وجماعة - مطبعة حجازي بالقاهرة ١ / ٢٤ - ٢٥ ، شرح ابن يعيش ١ / ٧٢ .

^٢ يُنظَر : اللّباب في علل البناء والإعراب ١ / ٥٢ - ٥٣ ، و الجملة العربيّة والمعنى / ٣٠ - ٣١ .

، ولو ظهر الإعراب فيهما ، أو في أحدهما ، أو وجدت قرينة معنوية ، أو لفظية ، جاز الاتساع بالتقديم والتأخير ، نحو : " ضربَ عيسى زيداً " ^١ .

و حدَّ الإعراب اختلاف أواخر الكلم باختلاف العوامل لفظاً أو تقديراً .

وقال أبو البقاء العكبري - رحمه الله - : ((والإعراب معنى لا لفظ ^٢ لأربعة أوجه

:

- أحدها : أنَّ الإعراب : هو الاختلاف على ما سبق في حدِّه ، والاختلاف معنى لا لفظ .

- الثاني : أنَّه فاصل بين المعاني ، والفاصل والتَّمييز معنى لا لفظاً .

- الثالث : أنَّ الحركات تضاف إلى الإعراب ، فيقال حركات الإعراب ، وضمه إعراب ، والشَّيء لا يضاف إلى نفسه .

- الرَّابع : أنَّ الحركة ، والحرف يكونان في المبني ، وقد تزول حركة المعرب بالوقف ، مع الحكم بإعرابه ، وقد يكون السُّكون إعراباً ، وهذا كلُّه دليل على أنَّ الإعراب معنى ^٣ .

ومعنى الإعراب الذي أطبق عليه النُّحاة جميعاً هو المعنى اللُّغوي للإعراب الذي هو : " الإبانة عن المعاني بالألفاظ " ، ولم يخالف إلا " أبا علي قطرب " ، فهو لا يرى هذا الرأي ، وذهب مذهبه من المحدثين " إبراهيم أنيس " ^٤ .

جاء في " الإيضاح في علل النَّحو " للزَّجاجي في بيان الغرض من الإعراب : ((إنَّ الأسماء لما كانت تعتورها المعاني ، فتكون فاعلة ، ومفعولة ، ومضافة إليها لم تكن في صورتها ، وأبنيتها أدلَّة على هذه المعاني ، بل كانت مشتركة ، جُعِلت حركات الإعراب

^١ شرح ابن يعيش ١ / ٧١ - ٧٢ ، يُنظَر : الإيضاح في علل النَّحو / ٩١ ، والجمال في النَّحو ، لأبي القاسم الزَّجاجي ط ٢ سنة ١٣٧٦ هـ ١٩٥٧ م - مطبعة كلنكسيك - ١١ شارع ليل / ٢٦١ ، والخصائص ١ / ٣٥ - ٣٦ ، وشرح الرُّضي على الكافية ١ / ٢٤ - ٢٥ ، وهمع الهوامع ١ / ١٣ ، وشرح الأشموني ١ / ٤٧ - ٨٤ .
^٢ قال السيوطي - رحمه الله - في همع الهوامع : ((اختلف هل الإعراب لفظي أو معنوي على قولين : فالجمهور على الأوَّل ، وإليه ذهب ابن خروف ، والشُّلوبيين ، وابن مالك ، ونسبه للمحقِّقين ، وابن الحاجب ، وسائر المتأخِّرين ... وذهب الأعلام ، وجماعة من المغاربة إلى أنَّه معنوي ، ونسب لظاهر قول سيبويه ، ورجَّحه أبو حيَّان)) .

^٣ اللُّباب في علل البناء والإعراب ١ / ٥٣ - ٥٤ .

^٤ يُنظَر : من أسرار العربية ، إبراهيم أنيس / ١٤٢ ، ١٥٨ .

فيها تُنبىء عن هذه المعاني ، فقالوا : " ضرب زيدٌ عمراً " ، فدلُّوا برفع " زيد " على أنَّ الفعل له ، وينصب " عمرو " على أنَّ الفعل واقع به .

وقالوا : " ضرب زيدٌ " فدلُّوا بتغيير أول الفعل ، ورفع " زيد " على أنَّ الفعل ما لم يُسمَّ فاعله ، وأنَّ الفعل قد ناب منابه .

وقالوا : " هذا غلامٌ زيدٌ " فدلُّوا بخفض " زيد " على إضافة الغلام إليه .

وكذلك سائر المعاني جعلوا هذه الحركات دلائل عليها ؛ ليتسَّعوا في كلامهم ، ويقدموا الفاعل – إنَّ أرادوا ذلك – أو المفعول عند الحاجة إلى تقديمه ، وتكون الحركات دالة على المعاني . هذا قول جميع النحويين إلا " قطرباً " ؛ فإنه عاب عليهم هذا الاعتلال ، وقال : لم يُعرب الكلام للدلالة على المعاني ، والفرق بين بعضها ، وبعض ؛ لأننا نجد في كلامهم أسماء متَّفقة في الإعراب مختلفة في المعاني ، و أسماء مختلفة في الإعراب متَّفقة في المعاني . فما اتفق إعرابه ، واختلف معناه ، قولك : " إنَّ زيداً أخوك " ، و " لعلَّ زيداً أخوك " ، و " كأنَّ زيداً أخوك " ، اتَّفق إعرابه ، واختلف معناه . ومما اختلف إعرابه ، واتَّفق معناه ، قولك : " ما زيدٌ قائماً " ، و " ما زيدٌ قائمٌ " ، اختلف إعرابه ، واتَّفق معناه .

ومثله : " ما رأيته منذُ يومين " و " منذُ يومانٍ " ، و " لا مَالَ عِنْدَكَ " ، و " لا مَالٌ عِنْدَكَ " ، و " ما في الدَّارِ أَحَدٌ إِلاَّ زيدٌ " ، و " ما في الدَّارِ أَحَدٌ إِلاَّ زيداً " . ومثله : " أنَّ القومَ كلُّهم ذاهبونَ " ، و " أنَّ القومَ كلُّهم ذاهبونَ " . ومثله : ﴿ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ ﴾^١ ، و ﴿ أَنْ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ ﴾ قرىء بالوجهين جميعاً . ومثله : " ليس زيدٌ بجان " ، و " لا بخيلٍ " ، و " لا بخيالاً " . ومثل هذا كثيرٌ جداً ممَّا اتَّفق إعرابه ، واختلف معناه ، ومما اختلف إعرابه ، واتَّفق معناه .

قال : فلو كان الإعراب إنمَّا دخل الكلام ، للفرق بين المعاني لوجب أن يكون لكل معنى إعراب يدلُّ عليه لا يزولُ إلا بزواله .

قال قطرب : إنمَّا أعربت العرب كلامها ؛ لأنَّ الاسم في حال الوقف يلزمه السكون للوقف ، فلو جعلوا وصله بالسكون أيضاً لكان يلزمه الإسكان في الوقف ،

^١ سورة آل عمران / ١٥٤ .

والوصل . وكانوا يبيطون عند الإدراج ، فلمَّا وصلوا ، وأمکنهم التَّحرُّك جعلوا التَّحرِيك معاقباً للإسكان ؛ ليعتدل الكلام . . .

وقال المخالفون له ردًّا عليه : لو كان كما زعم لجاز لجاز خفض الفاعل مرَّة ، ورفعه أخرى ، ونصبه ، وجاز نصب المضاف إليه ؛ لأنَّ القصد في هذا إنَّما هو الحركة تعاقب سكوناً يعتدل به الكلام . وأيِّ حركة أتى بها المتكلِّم أجزأته ، فهو مخيَّر في ذلك . . . واحتجُّوا لما ذكره " قطرب " من اتفاق الإعراب ، واختلاف المعاني ، واختلاف الإعراب ، واتفاق المعاني في الأسماء التي تقدِّم ذكرها بأنَّ قالوا : إنَّما كان أصل دخول الإعراب في الأسماء التي تذكر بعد الأفعال ؛ لأنَّه يذكر بعدها اسمان ؛ أحدهما فاعل ، والآخر مفعول ، فمعناهما مختلف ، فوجب الفرق بينهما ، ثمَّ جعل سائر الكلام على ذلك . . .^١

وقال العُكبري - رحمه الله - : ((والإعراب دخل الأسماء لمسييس الحاجة إلى الفصل بين المعاني^٢ ..))

وقال فُطْرُب دخل الكلام استحساناً ؛ لأنَّ المتكلِّم يصل بعض كلامه ببعض ، وفي تسكين أواخر الكلم في الوصل كلفة ، فحرَّك تسهياً على المتكلِّم ، و لو كان الإعراب لحاجة الفصل ، وللفرق لا ستغني عنه بتقديم الفاعل على المفعول ، وكان الاتفاق في الإعراب يوجب الاتفاق في المعاني ، وليس كذلك ألا ترى أنَّ قولك : " زيدٌ قائمٌ " ، مثل قولك : " هل زيدٌ قائمٌ " ، وقولك : " إنَّ زيداً قائمٌ " ، مثل قولك : " زيدٌ قائمٌ " في المعنى ؟

والجواب عمَّا قاله من وجهين :

- أحدهما : أنَّ السُّكون أسهل على المتكلِّم من الحركة .
 - والثَّاني : أنَّ الغرض لو كان ما ذكر لكان المتكلِّم بالخيار ؛ إنَّ شاء حرَّك بأيِّ حركة شاء ، وإنَّ شاء سَكَن .
- وأما التَّقْدِيم فجوابه من وجهين :

^١ الإيضاح في علل النَّحو / ٦٩ - ٧١ ، ويُنظَر : الأشباه والنظائر في النَّحو - جلال الدِّين السيوطي - ط ٢ حيدر أباد - الدكن - ١٣٥٩ هـ - ١٩٤٠ م ، ١ / ٨٤ - ٨٦ .

^٢ يُنظَر : الإيضاح في علل النَّحو / ٦٩ ، و الصَّاحبي في فقه اللُّغة ، لأحمد بن فارس ، مطبعة المؤيِّد ، القاهرة ١٣٢٨ هـ - ١٩١٠ م / ٧٦ .

- أحدهما : أنه لا يمكن في كلِّ مكان ، ألا ترى أنَّ التَّقديم في قولك : " ما أحسن زيدا " غير ممكن .

- والثَّاني : أنَّ في لزوم التَّقديم تضييقاً على المتكلِّم مع حاجته إلى التَّسجيع ، وإقامة القافية .

وأما اختلاف الإعراب مع اتفاق المعنى ، وعكسه فشيء عارض جاز لضرب من التشبيه بالأصول فلا يناقض به ^١ .

وذهب الأستاذ إبراهيم أنيس - من المحدثين - مذهب قطرب ، حيث قال في كتابه " من أسرار اللُّغة : ((يظهر - والله أعلم - أنَّ تحريك أواخر الكلمات كان صفة من صفات الوصل في الكلام ، شعراً ، أو نثراً ، فإذا وقف المتكلِّم ، أو اختتم لم يحتج إلى تلك الحركات ، بل يقف على آخر كلمة من قوله بما يُسمَّى السُّكون . كما يظهر أنَّ الأصل في كلِّ الكلمات أن تنتهي بهذا السُّكون ، وأنَّ المتكلِّم لا يلجأ إلى تحريك إلاَّ لضرورة شعريَّة)) ^٢ .

وقال في موضعٍ آخر : ((لم تكن تلك الحركات الإعرابيَّة تحدّد المعاني في أذهان العرب القدماء - كما يزعم النُّحاة - بل لا تعدو أن تكون حركات يحتاج إليها في الكثير من الأحيان لوصل الكلمات بعضها ببعض)) ^٣ .

من كلِّ ما سبق يتضح لنا أنَّ الإعراب علماً على المعاني هو الرأى الصَّواب ، إذ لو كانت الغاية منه الخفة عند درج الكلام - كما يقول قطرب ، و إبراهيم أنيس - ما التزمته العرب هذا الالتزام .

ومن الأدلَّة على ذلك ، قوله ﷺ : ﴿ وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ ^٤ ، فقوله ﷺ : ﴿ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ ﴾ فـ ﴿ رَسُولُهُ ﴾ بالرفع ، أي : وإعلام من الله ، ورسوله إلى النَّاس في يوم الحجِّ الأكبر ، أنَّ الله ، ورسوله من عهد المشركين بريئان .

فلو قرأت بالجرِّ لفسد المعنى ، ولكان المعنى مغايراً تماماً لما هو مراد .

^١ اللُّباب في علل البناء ، والإعراب ١ / ٥٥ - ٥٧ .

^٢ من أسرار العربيَّة / ١٤٢ .

^٣ المصدر السَّابق / ١٥٨ .

^٤ سورة التَّوبة / ٣ .

روى القرطبي - رحمه الله - عن ابن أبي مليكة^١ أنه قال : ((قدم أعرابي في زمان عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فقال : مَنْ يُقَرِّئُنِي مِمَّا أَنْزَلَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ ؟ قال : فأقرأه رجل « براءة » ؛ فقال : ﴿ أَنْ أَلَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولِهِ ﴾ . بالجر ، فقال الأعرابي : أو قد برىء الله من رسوله ؟ ، فإن يكن الله بريء من رسوله ، فأنا أبرأ منه ؛ فبلغ عمر مقالة الأعرابي ، فدعاه فقال : يا أعرابي أتبرأ من رسول الله ﷺ ؟ ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إني قدمت المدينة ، ولا علم لي بالقرآن ، فسألت من يُقَرِّئُنِي ، فأقرأني هذا سورة « براءة » ، فقال : ﴿ أَنْ أَلَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولِهِ ﴾ ؛ فقلت : أو قد برىء الله من رسوله ، إن يكن الله بريء من رسوله ، فأنا أبرأ منه ؛ فقال عمر : ليس هكذا يا أعرابي ؛ قال : فكيف هي يا أمير المؤمنين ؟ ، قال : ﴿ أَنْ أَلَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولِهِ ﴾ ، فقال الأعرابي : وأنا ، والله أبرأ مما برىء الله ورسوله منه ؛ فأمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه ألا يُقَرِّئَ النَّاسَ إِلَّا عَالِمٌ بِاللُّغَةِ ، وأمر أبا الأسود ، فوضع النحو))^٢ .

وفي قوله ﷺ : ﴿ وَرَسُولُهُ ﴾ بالرفع وجوهاً ، قال الفخر الرازي - رحمه الله - في تفسيره : ((واعلم أن في رفع قوله : ﴿ وَرَسُولُهُ ﴾ وجوهاً :

الأول : أنه رفع بالابتداء ، وخبره مضمرة ، والتقدير " ورسوله أيضاً بريء " ، والخبر عن الله دل على الخبر عن الرسول .

والثاني : أنه عطف على المنوي في بريء ، فإنَّ التَّقدير " بريء هو ورسوله من المشركين " .

الثالث : أن قوله : ﴿ أَنْ أَلَّهَ ﴾ رفع بالابتداء ، وقوله : ﴿ بَرِيءٌ ﴾ خبره ، وقوله : ﴿ وَرَسُولُهُ ﴾ عطف على المبتدأ الأول))^٣ .

قال صاحب الكشاف - رحمه الله - في قوله ﷺ ﴿ وَرَسُولُهُ ﴾ : ((وقد فُرى بالنَّصب عطفاً على اسم ﴿ أَنْ ﴾ ؛ لأنَّ الواو بمعنى مع ، أي : " بريء مع رسوله منهم ")

^١ هو عبدالله بن عبيدالله بن عبدالله ، التيمي ، المدني ، أدرك ثلاثين من أصحاب النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ثقة ، فقيه ، من الثالثة ، مات سنة ١١٧ هـ . تقريب ١ / ٤٣١ ، تهذيب ٥ / ٣٠٦ .

^٢ الجامع لأحكام القرآن / المقدمة ، ويُظنر : الكشاف ٢ / ١٧٣ .

^٣ مفاتيح الغيب ١٥ / ٥٢٥ .

، وقُرِئَ بِالْجَزْرِ عَلَى الْجَوَارِ ، وَقِيلَ عَلَى الْقِسْمِ ، وَالنَّقْدِيرُ : " أَنْ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ، وَحَقُّ رَسُولِهِ " ١ .

وفي قوله ﷺ : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾ ٢ ، ما يدلُّ على أنَّ تَغْيِيرَ الْإِعْرَابِ يَغْيِرُ الْمَعْنَى ، فَمَعْنَى قَوْلِهِ ﷺ : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ : ((إِنَّمَا يَخَافُ اللَّهَ ، فَيَتَّقِي عِقَابَهُ بِطَاعَتِهِ الْعُلَمَاءُ ، بِقُدْرَتِهِ عَلَى مَا يَشَاءُ مِنْ شَيْءٍ ، وَأَنَّهُ يَفْعَلُ مَا يَرِيدُ ، لِأَنَّ مِنْ عِلْمِ ذَلِكَ أَيْقَنَ بِعِقَابِهِ عَلَى مَعْصِيَتِهِ ، فَخَافَهُ ، وَرَهَبَهُ خَشْيَةً مِنْهُ أَنْ يَعَاقِبَهُ)) ٣ .

وقدَّم المفعول ﴿ اللَّهُ ﴾ ؛ لِأَنَّ الْمَقْصُودَ حَصْرُ الْفَاعِلِيَّةِ ، أَي : إِنَّمَا يَخْشَاهُ تَعَالَى بِالْغَيْبِ الْعَالَمُونَ بِهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَبِمَا يَلِيْقُ بِهِ مِنْ صِفَاتِهِ الْجَلِيلَةِ ، وَأَفْعَالِهِ الْجَمِيلَةِ ؛ لِأَنَّ مَدَارَ الْخَشْيَةِ مَعْرِفَةُ الْمَخْشِيِّ ، وَالْعِلْمُ بِشُؤْنِهِ ، فَمَنْ كَانَ أَعْلَمَ بِهِ تَعَالَى كَانَ أَخْشَى مِنْهُ عَزَّ وَجَلَّ ، وَلِذَلِكَ عَقَّبَ بِذِكْرِ أَفْعَالِهِ الدَّالَّةِ عَلَى كَمَالِهِ .

فلو أُبْدِلَتْ حَرَكَةُ لَفْظِ الْجَلَالَةِ ﴿ اللَّهُ ﴾ إِلَى الضَّمَّةِ ، وَحَرَكَةُ ﴿ الْعُلَمَاءُ ﴾ إِلَى الْفَتْحَةِ ، لَتَغَيَّرَ الْمَعْنَى إِلَى الْعَكْسِ تَمَامًا . أَوْ لاحتِجَّ إِلَى تَخْرِيجِ بَعِيدٍ لِكَيْ يَسْتَقِيمَ الْمَعْنَى . فَقَدْ فُرِئَ بِرَفْعِ الْأَسْمِ الْجَلِيلِ ، وَنَصَبِ الْعُلَمَاءِ عَلَى أَنَّ الْخَشْيَةَ مُسْتَعَارَةٌ لِلتَّعْظِيمِ ، فَإِنَّ الْمَعْظَمَ يَكُونُ مَهِيْبًا .

وقوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾ جملة خبرية مؤكدة ، تعليل لوجوب الخشية لدلالته على أنه معاقب للمصرِّ على طغيانه غفورٌ للتائب عن عصيانه ٤ .

ومن ذلك قوله ﷺ : ﴿ وَإِذْ أَبْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَعَلْتُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾ ٥ ، فَنُصِبَ ﴿ إِبْرَاهِيمَ ﴾ عَلَى الْمَفْعُولِيَّةِ ، وَرَفَعَ ﴿ رَبُّ ﴾ عَلَى الْفَاعِلِيَّةِ ، وَهِيَ قِرَاءَةُ الْجُمْهُورِ ، بِمَعْنَى : أَنَّهُ ﷺ ابْتَلَىٰ عَبْدَهُ ، وَنَبِيَّهُ إِبْرَاهِيمَ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - بِكَلِمَاتٍ مِنْ عِنْدِهِ ، فَقَامَ بِمَهْنٍ ؛ فَنَجَحَ فِيهِ . وَقَدَّمَ الْمَفْعُولَ لِلاِهْتِمَامِ بِمَنْ وَقَعَ الْإِبْتِلَاءُ ، إِذْ مَعْلُومٌ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى هُوَ الْمَبْتَلَى .

١ الكشاف ٢ / ١٧٣ .

٢ سورة فاطر / ٢٨ .

٣ جامع البيان في تفسير القرآن ٢٢ / ٨٦ .

٤ يُنْظَرُ : إرشاد العقل السليم ٧ / ١٥٠ .

٥ سورة البقرة / ١٢٤ .

ولو ورفع ﴿إِبْرَاهِيمَ﴾ ، ونصب ﴿رَبَّهُ﴾ ، لصار الفاعل إبراهيم ، واحتاج الكلام إلى تخريج ، على أنّ إبراهيم دعا ربه ، وسأله بكلمات من الدعاء يتطلب فيها الإجابة ، فأطلق على ذلك ابتلاء على سبيل المجاز ؛ لأنّ في الدعاء طلب استكشاف لما تجري به المقادير على الإنسان . وفيه بُعدٌ ؛ لأجل الباء في قوله : ﴿بِكَلِمَاتٍ﴾ . وبذلك قرأ ابن عباس رضي الله عنه ، وأبو الشعثاء ، وأبو حنيفة - رحمهما الله - ^١ .

^١ يُنظَر : الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢ / ٩٦ ، و

وقفة مع أبي علي قطرب

ونقف وقفة مع أبي علي قطرب لنتناقش بعض الشبه التي احتج بها :

الشبهة الأولى : " لم يُعرب الكلام للدلالة على المعاني ، والفرق بين بعضها البعض "

الشبهة الأولى التي احتج بها هي قوله : " لم يُعرب الكلام للدلالة على المعاني ، والفرق بين بعضها ، وبعض ؛ لأننا نجد في كلامهم أسماء متفقة في الإعراب مختلفة في المعاني ، و أسماء مختلفة في الإعراب متفقة في المعاني . فما اتفق إعرابه ، واختلف معناه ، قولك : " إنَّ زيدا أخوك " ، و " لعلَّ زيدا أخوك " ، و " كأنَّ زيدا أخوك " ، اتفق إعرابه ، واختلف معناه .

ومما اختلف إعرابه ، واتفق معناه ، قولك : " ما زيد قائماً " ، و " ما زيد قائم " ، اختلف إعرابه ، واتفق معناه ^١ .

الرد على شبهة قطرب

فنقول رداً على هذه الشبهة :

١. إنَّ النُّحاة قالوا : إنَّ الإعراب يدلُّ على معنى ، ولم يقولوا أنَّ الذي يحمل إعراباً واحداً يتفق في معناه :

لأنَّ الكلام يتكوَّن من جمل مثبتة ، وأخرى منفية ، ومن جمل خبرية ، وأخرى إنشائية ؛ فهناك الاستفهام ، والتعجب ، والنداء ، والترجي ، وغير ذلك ، فلا يمكن أن يكون لكلِّ حالة إعرابها الخاصُّ بها ^٢ .

٢. إنَّ الحالات الإعرابية محدودة ، وهي :

ثلاث في الأسماء : الرِّفْع ، والنَّصْب ، والجَرُّ ، وثلاث في الفعل المضارع ، وهي : الرِّفْع ، والنَّصْب ، والجزم . قال ابن جنِّي - رحمه الله - : " الإعراب أربعة

^١ يُنظَر : الإيضاح في علل النُّحو / ٧٠ .

^٢ يُنظَر : الجملة العربية ، والمعنى / ٣٣ - ٣٤ .

أضرب : رفع ، ونصب ، وجرّ ، وجزم ، فالرّفْع ، والنّصْب يشترِك فيهما الاسم ، والفعل ، والجرّ يختص بالأسماء ، ولا يدخل الأفعال ، والجزم يختص بالأفعال ، ولا يدخل الأسماء "١ . فالحالات الإعرابية محدودة ، أمّا المعاني فغير محدّدة فلا يمكن أن يكون لكلّ معنى إعراب ؛ فلذا اشتركت عدّة معاني إعرابية في حالة إعرابية واحدة .

فالرّفْع مثلاً اشترِك فيه الفاعل ، ونائبه ، والمبتدأ ، والخبر ، واسم كان ، وخبر إنّ ، وغيرها .

والنّصْب اشترِك فيه المفاعيل الخمسة ، والتّمييز ، والحال ، وغيرها .

والجرّ اشترِك فيه المضاف إليه ، والاسم المجرور بحرف الجرّ ، وغير ذلك .

وهذا لا يمنع من أن يكون الإعراب إنّما جاء للدّلالة على المعنى ، والتّمييز بين المعاني ، كما سبق إيضاحه ٢ .

٣. إنّ علماء النّحو قالوا : إنّ الرّفْع علّمُ الابتداء ، أو الفاعليّة ، أو علّمُ العمدة ، والنّصْب علمُ الفضلة ، وما ألحق بها ، والجرّ علمُ الإضافة ، ونحوها من التّفسير .

قال الزّمخشري - رحمه الله - : ((وجوه الإعراب هي : الرّفْع ، والنّصْب ، والجرّ ، وكلّ واحدٍ منها علّمٌ على معنى ، فالرّفْع علمُ الفاعلية ، والفاعل واحد ليس إلّا ، وأمّا المبتدأ ، وخبره ، وخبر " إنّ " ، وأخواتها ، و " لا " التي لنفي الجنس ، واسم " كان " ، وأخواتها ، واسم " ما " ، و " لا " المشبّهتين بـ " ليس " ، فملحقات بالفاعل على سبيل التّشبيه .

وكذلك النّصْب علمُ المفعوليّة ، والمفعول أضرب ؛ المفعول المطلق ، والمفعول فيه ، والمفعول معه ، والمفعول له ، والحال ، والتّمييز ، و المستثنى المنصوب ، والخبر في باب " كان " ، والاسم في باب " إنّ " ، والمنصوب بلا التي لنفي الجنس ، وخبر " ما " ، و " لا " المشبّهتين بـ " ليس " ، ملحقات بالمفعول .

والجرّ علمُ الإضافة ، وأمّا التّوابع ، فهي في رفعها ، ونصبها ، وجرّها داخلة تحت أحكام المتبوعات ينصب عمل العامل على القبيلين انصبابة)) ٣ .

١ اللّمع في العربيّة / ١٠ .

٢ يُنظَر : الجملة العربيّة ، والمعنى / ٣٤ .

٣ المفصل في صنعة الإعراب / ٣٧ .

ولا تخرج الأمثلة التي ذكرها أبو علي " قطرب " - رحمه الله - عمّا قاله النُّحاة ،
فقوله : " إنَّ زيداً أخوك " ، و " كأنَّ زيداً أخوك " ، و " لعلَّ زيداً أخوك " ، و " ليت زيداً
أخوك " ، كلُّها الاسم المرفوع فيها المسند " أخوك " ، والاسم المنصوب فيها المسند إليه " زيداً " ،
فهي لم تخرج عن القاعدة التي ذكرها النُّحاة ، والمعنى الذي ذكروه •

٤. ننظر في الأمثلة التي أوردها " قطرب " ، وهي : " إنَّ زيداً أخوك " ، و " كأنَّ زيداً
أخوك " ، و " لعلَّ زيداً أخوك " ، و " ليت زيداً أخوك " ، وغيرها ، فنقول :

لو كان الإعراب لا يدلُّ على معنى - كما يزعم - فلماذا يصحُّ العطف بالرفع
عل اسم " إنَّ " ، و " أنَّ " ، و " لكنَّ " ، و لا يصحُّ في " ليت " ، و " لعلَّ " ، و " كأنَّ " ؟

لماذا يصحُّ أن يُقال : " إنَّ زيداً ، عمروٌ صالحٌ " ، و لا يصحُّ أن يُقال : " لعلَّ
زيداً ، عمروٌ صالحٌ " ، ولا : " ليت زيداً ، عمروٌ صالحٌ " ؟ أليس ذلك بسبب المعنى ؟
وذلك أنَّ العطف بالرفع على اسم " لعلَّ " ، و " ليت " ، و " كأنَّ " لا يدلُّ على معنى ؛
لأنَّ المعطوف لا يدخل مع المعطوف عليه في التَّرجي ، والتَّمني ، والتَّشبيه ، فلا يكون
له معنى ، بخلاف العطف على اسم " إنَّ " ، و " أنَّ " ، و " لكنَّ " فإنَّ المعنى يبقى على
حاله •

لماذا يصحُّ أن يُقال : " إنَّ زيداً سجَّدَ ، والله " بخفض لفظ الجلالة ، ولا يصحُّ أن
يُقال : " إنَّ زيداً سجَّدَ ، والله " بنصب لفظ الجلالة ، ولا : " إنَّ زيداً سجَّدَ ، والله " برفع
لفظ الجلالة ، أليس ذلك يعود إلى صحَّة المعنى ، وعدمه ؟ لأنَّ قولك : " إنَّ زيدٌ سجَّدَ ،
والله " بخفض لفظ الجلالة ؛ لأنَّها قسمٌ • أمَّا في قولك : " إنَّ زيدٌ سجَّدَ ، والله " برفع لفظ
الجلالة ، أو : " إنَّ زيدٌ سجَّدَ ، والله " بنصب لفظ الجلالة ؛ لأنَّه لا يصحُّ أن يُقال : سجَّدَ
الله •

لماذا يصحُّ أن يُقال : " إنَّ عمراً لئيمٌ ، والله " بخفض لفظ الجلالة ، ولا يصحُّ أن
يُقال : " إنَّ عمراً لئيمٌ ، والله " بنصب لفظ الجلالة ، ولا : " إنَّ عمراً لئيمٌ ، والله " برفع
لفظ الجلالة ، أليس ذلك يعود إلى صحَّة المعنى ، أو فساده ؟ ، فيصحُّ قولك " إنَّ عمراً
لئيمٌ ، والله " بخفض لفظ الجلالة ، لأنَّ الجملة قسمٌ • ولا قولك " إنَّ عمراً لئيمٌ ، والله " بنصب
لفظ الجلالة ، ولا : " إنَّ عمراً لئيمٌ ، والله " برفع لفظ الجلالة ؛ لأنَّه لا يصحُّ أن
يوصف الله - عزَّ وجلَّ - باللؤم ، فلا يصحُّ العطف لذلك •

ولكن يصح أن يقال : " إِنَّ أَبَاكَ رَحِيمٌ بِكَ ، وَاللَّهِ " بخفض لفظ الجلالة ، ويصحُ : " إِنَّ أَبَاكَ رَحِيمٌ بِكَ ، وَاللَّهِ " بنصب لفظ الجلالة ، ويصحُ : " إِنَّ أَبَاكَ رَحِيمٌ بِكَ ، وَاللَّهِ " برفع لفظ الجلالة ؛ لأنَّ المعنى هنا في كلِّ الوجوه الثلاثة صحيح ، فالأولى خفض بسبب أنَّها قسم ، و الثانية ، والثالثة ؛ لأنَّ الله ﷻ يصحُّ أن يوصف بالرحمة . وكذا تصحُّ الحالات الثلاث في قولك : " إِنَّ عَمْرًا سَمِيعٌ ، وَاللَّهِ " بخفض لفظ الجلالة ، ويرفعه ، ونصبه ، لأنَّ الله ﷻ يصحُّ أن يوصف بأنه سميعٌ ، وغير ذلك كثير . ونحو قوله ﷻ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّالِّينَ وَالنَّصِرَىٰ وَالصَّالِّينَ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾^١ . ونحو قوله ﷻ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّالِّينَ وَالنَّصِرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾^٢ .

أورد العكبري - رحمه الله - في ﴿ الصَّالِّينَ ﴾ قراءاتٍ عدَّة ، فقال : " يقرأ بالنَّصب عطفًا على الذين ، وهو شاذ في الرواية صحيح في القياس ، وهو مثل الذي في البقرة^٣ ، والمشهور في القراءة الرَّفع . وفيها أقوال ٠٠٠ " ذكر سبعة " ٤ .

وذكر الألوسي - رحمه الله - هذه الأقوال في رفع ﴿ الصَّالِّينَ ﴾ ، فقال : ((ورفع " الصَّالِّينَ " على الابتداء ، وخبره محذوف لدلالة خبر ﴿ إِنَّ ﴾ عليه ، والنَّية فيه التَّأخير عمَّا في خبر ﴿ إِنَّ ﴾ ، والنَّقْدِير : إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ، والذين هادوا ، والنصارى حكمهم كيت ، وكيت ، والصابئون كذلك ، بناءً على أنَّ المحذوف في " إِنَّ زَيْدًا ، وعمرُو قائمٌ " خبر التَّأني ، لا الأوَّل كما هو مذهب بعض النُّحاة ٠٠٠ فالصَّواب منع هذا الوجه بأنَّه يلزم عليه توارد عاملين على معمول واحد ، ومثله لا يصحُّ على الأصحِّ خلافًا للكوفيين ٠٠٠ وإنَّما وسَّطت الجملة هنا بين " إِنَّ " وخبرها - مع اعتبار نية التَّأخير - ليسلم الكلام عن الفصل بين الاسم والخبر ، وليعلم أنَّ الخبر ماذا دلالة . كما قيل . على أنَّ الصابئين . مع ظهور ضلالهم ، وزيغهم عن الأديان كلها حيث قبلت توبتهم . إنَّ صحَّ منهم الإيمان ، والعمل الصَّالح ، فغيرهم أولى بذلك ، ومن هنا قيل : إنَّ الجملة كاعتراض دلَّ به على ما ذكر ، وإنَّما لم تجعل اعتراضاً حقيقة ؛ لأنَّها معطوفة على جملة ﴿ إِنَّ ﴾

^١ سورة البقرة / ٦٢ .

^٢ سورة المائدة / ٦٩ .

^٣ سورة البقرة / ٦٢ .

^٤ إملاء ما منَّ به الرَّحمن / ٢٢٨ - ٢٢٩ .

الَّذِينَ ﴿ وخبرها ، وأورد عليه ما قاله ابن هشام من أن فيه تقديم الجملة المعطوفة على بعض الجملة المعطوف عليها ، وإنما يتقدم المعطوف على المعطوف عليه في الشعر ، فكذا ينبغي أن يكون تقديمه على بعض المعطوف عليه ، بل هو أولى منه بالمنع ، وأما ما أجاب به عنه بأن الواو واو الاستئناف التي تدخل على الجمل المعترضة ، كقوله تعالى : ﴿ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ ﴾^١ ، وهذه الجملة معترضة لا معطوفة ، فلا يتمشى فيما نحن فيه ؛ لأنه يفوت نكتة التقديم من تأخير التي أشير إليها ؛ لأنها إذا كانت معترضة لا تكون مقدّمة من تأخير ، وبعض المحققين صرف الخبر المذكور إلى قوله تعالى : ﴿ الصَّابِئُونَ ﴾ وجعل خبر ﴿ إِنَّ ﴾ محذوفاً ، وهو القول الآخر للنحاة في مثل هذا التركيب ، وهو موافق للاستعمال أيضاً ٠٠٠ وعورض بأن الكلام فيما نحن فيه مسوق لبيان حال أهل الكتاب ، فصرف الخبر إليهم أولى ، وفي توسيط بيان حال الصابئين ما علمت من التأكيد ، وأيضاً في صرف الخبر إلى الثاني فصل للنصارى عن اليهود ، وتفرقة بين أهل الكتاب ؛ لأنه حينئذ عطف على قوله سبحانه : ﴿ الصَّابِئُونَ ﴾ قطعاً ، نعم لو صح أن المنافقين ، واليهود أوغل المعدودين في الضلال ، والصابئين والنصارى أسهل حسن تعاطفهما ، وجعل المذكور خبراً عنهما ، وترك كلمة التحقيق المذكورة في الأولين دليلاً على هذا المعنى ، وقيل : إِنَّ ﴿ الصَّابِئُونَ ﴾ عطف على محلّ ﴿ إِنَّ ﴾ واسمها ، وقد أجازها بعضهم مطلقاً ، وبعضهم منعه مطلقاً ، وفصل آخرون ، فقالوا : يمتنع قبل مضي الخبر ويجوز بعده . وذهب الفراء إلى أنه إن خفي إعراب الاسم جاز لزوال الكراهة اللفظية نحو : " إِنَّكَ وَزَيْدٌ زَاهِبَانٌ " ، وإلا امتنع ، والمانع عند الجمهور لزوم توارد عاملين ، وهما ﴿ إِنَّ ﴾ و الابتداء ، أو المبتدأ على معمول واحد وهو الخبر ، ولهذا ضعّفوا هذا القول في الآية ، وبنوا على مذهب الكوفيين ، وكون خبر المعطوف فيها محذوفاً . وحينئذ لا يلزم التوارد . ليس بشيء ؛ لأن الجملة حينئذ تكون معطوفة على الجملة ، ولم يكن ذلك من العطف على المحلّ في شيء ، ومن قال : إِنَّ ﴿ خبر ﴾ ﴿ إِنَّ ﴾ مرفوع بما كان مرفوعاً به قبل دخولها لم يلزم عليه حديث التوارد . ونقل عن الكسائي إن العطف على الضمير في ﴿ هَادُوا ﴾ ، وخطأه الزجاج ؛ بأنه لا يعطف على الضمير المرفوع المتصل من غير فصل ، وبأنه لو عطف على الفاعل لكان التقدير : " وهاد الصابئون " ، فيقتضي أنهم هود . وليس كذلك . ولعل الكسائي يرى صحة العطف من غير

^١ سورة البقرة / ٤٢ .

فاصل ، فلا يرد عليه الاعتراض الأول ، وقيل : ﴿ إِنَّ ﴾ بمعنى نعم الجوابية ، ولا عمل لها حينئذ ، فما بعدها مرفوع المحلّ على الابتداء ، والمرفوع معطوف عليه ، وضعفه أبو حيّان ؛ بأنّ ثبوت ﴿ إِنَّ ﴾ بمعنى نعم فيه خلاف بين النحويين ، وعلى تقدير ثبوته ، فيحتاج إلى شيء يتقدّمها تكون تصديقا له ، ولا يجيء أول الكلام ، والجواب بأنّ ثمة سؤالاً مقدّراً بعيد ركيك ، وقيل : إنّ " الصابئين " عطف على الصلّة بحذف الصدر ، أي الذين هم الصابئون ، ولا يخفى بعده ، وإنّ عدّ أحسن الوجوه ، وقيل : إنّ منصوب بفتحة مقدّرة على الواو ، والعطف حينئذ مما لا خفاء فيه ، واعترض بأنّ لغة بلحارث وغيرهم . الذين جعلوا المثني دائماً بالألف ، نحو : " رأيت الزيدان " ، و " مررت بالزيدان " ، وأعرّبوه بحركات مقدّرة ، إنّما هي في المثني خاصّة ، ولم ينقل نحو ذلك عنهم في الجمع خلافاً لما تقتضيه عبارة أبي البقاء ، والمسألة مما لا يجري فيها القياس فلا ينبغي تخريج القرآن العظيم على ذلك .

وقرأ أبي ، وكذا ابن كثير ﴿ الصّابئين ﴾ وهو الظاهر ﴿ الصّابيون ﴾ بقلب الهمزة ياءً على خلاف القياس ، ﴿ الصّابون ﴾ بحذفها من صبا بإبدال الهمزة ألفاً ، فهو كرامون " من " رمى . " . وقرأ عبد الله : " يا أيها الذين آمنوا ، والذين هادوا والصابئون ")^١ .

وكذا في الفعل المضارع ، كقولهم : " يريد أن يعرّبه ، فيُعجمه " ، فيصحّ ذلك برفع " يُعجمه " ، ولا يصحّ نصبه ، فلا تقول : " يريد أن يعرّبه ، فيُعجمه " ؛ لأنّ المعنى سيكون : يريد إعرابه ، وإعجامه ، وهو عكس المعنى المطلوب .

وكذا : " أرغب أن تأتيني ، فترهقني " برفع " ترهق " ، بمعنى : " أحب أن تأتيني ، ولكنك ترهقني " ، ولا يصحّ : " أحب أن تأتيني ، فترهقني " ؛ لأنّ المعنى سيكون : " أحب إتيانك ، فأرهاقك " وهو غير المرغوب فيه .

وكذا قولك : " لا تشرك تدخل النار " ، برفع " تدخل " ، ولا يصحّ : " لا تشرك تدخل النار " ، وهذا غير صحيحٍ معنى^٢ .

^١ روح المعاني ٦ / ٢٠٠ .

^٢ يُنظر : الجملة العربية ، والمعنى / ٣٦ .

٥. إذا كان الإعراب لا يفيد معنىً ، فكيف يمكن التفريق بين الفاعل ، والمفعول ، أو غيرهما ، في حين أنّ العربية تبيح التقديم ، والتأخير - حسب الأهمية - ؟ وليست كسائر اللغات المبنية التي توجب تقديم الفاعل على مفعوله .

كيف نعرف الفاعل ، من المفعول في قوله ﷺ : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾^١ ، أو في قوله ﷺ : ﴿ وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ﴾^٢ ؟ ، كيف نعرف من المُبتلى ، من المُبتلى ؟ من الذي فعل الفعل ، ومن قع عليه الفعل ؟

وكيف نعلم دلالة قوله ﷺ : ﴿ أَنْ أَلَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ ﴾^٣ ، أن تكون براءة الله ﷻ من المشركين ، والرسول ، أم من المشركين فقط ؟

وكيف نعرف الفاعل ، من المفعول في قوله ﷻ : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾^٤ ؟ ، وعليه كيف نعرف من الخاشي من المخشي ؟ .

فإن قال : نعلم ذلك من الحركات ، وهي : الضمة على الفاعل ، والفتحة على المفعول ، قلنا : فقد أقرت بأن للإعراب معنى ؛ فلا يصح القول : إن الإعراب لا يدل على معنى^٥ .

٦. ثم ليس من المعقول ألا يفرق قطرب ، أو غيره ممن له أدنى معرفة باللُّغة العربية بين معنى تعبير ، وآخر ممّا اختلف إعرابه ، نحو قولك :

" أعطيتك ، وعمرو " ، و " أعطيتك ، وعمراً " ، فقولك : " أعطيتك ، وعمرو " ، برفع " عمرو " ، عطفاً على الفاعل ، فيكون المعنى : أعطيتك أنا ، وعمرو ، فهما اشتركا في إعطاء المخاطب ، وأمّا قولك : " أعطيتك ، وعمراً " ، فـ"عمرو " معطوف على المفعول به ، فالمعنى : أن المتكلم أعطى المخاطب ، وأعطى عمراً .

قال العكبري - رحمه الله - : ((وإعراب الأسماء يفرق بين المعاني المختلفة الحادثة العارضة على المسمى ، وإنما أعرب الفعل للشبه على ما تقدّم .

واحتج الآخرون ، بأن الإعراب في الفعل يفرق بين المعاني^١ ؛ ألا ترى أن قولك : " لا تأكل السمك ، وتشرب اللبن " إذا جزمت الثاني كان له معنى فإذا نصبت ، أو

^١ سورة الفاتحة / ٥ .

^٢ سورة البقرة / ١٢٤ .

^٣ سورة التوبة / ٣ .

^٤ سورة فاطر / ٢٨ .

^٥ يُنظر : الجملة العربية ، والمعنى / ٣٦ .

رفعته كان له معنى آخر . وكذلك : " أريدُ أنْ أزرَكَ ، فيمنعني البَوَابُ " فالرَّفْعُ يدلُّ على خلاف ما يدلُّ عليه النَّصْبُ . وكذلك : " لا يَسْعُنِي شيءٌ ، ويعجزُ عنكَ " ، وكذلك : " لتضربُ زيداً " إنْ جزمتَ كان أمراً ، وإنْ نصبتَ كان علّةً .

والجواب : إنَّ اختلافَ المعنى فيما ذكروا حاصلٌ بالإعرابِ ، لا بعدم الإعرابِ ؛ فإنَّكَ لو سكَّنتَ في هذه المواضع كلَّها لعرفتَ المعنى بدليلٍ آخر ، فالواو في قولك : " لا تأكلُ السمكَ ، وتشربُ اللبنَ " للعطفِ ، فيحتملُ أنْ يُعطفَ على لفظِ الفعلِ الأوَّلِ فيكونُ نهياً عنهما جميعاً ، مُجتمَعينَ ومُنفردَينَ ، فعند ذلك يُجزمُ على تقدير : " ولا تشربُ اللَّبْنَ " ، ويحتملُ أنْ تريدَ به العطفَ على الموضعِ ، ومعنى الجمعِ ، ولا يصحُّ ذلك إلا بإرادة " أنْ " ليصيرَ المعنى : " لا تجمعُ بينَ أَكْلِ السَّمَكِ ، وشربِ اللَّبَنِ " ، ولو ظهرت " أنْ " لفهمَ المعنى بدون الإعرابِ ، وكذلك لو ظهرت " لا " ، فاللَّبْسُ جاء من حذفِ العاملِ ، فأقمتَ الحركاتِ مقامَ ظُهوره ، لا أنَّ معنى الفعلِ تغيَّرَ بالعاملِ ، كما تغيَّرَ الاسمُ بالفعلِ ، فيكونُ تارةً فاعلاً ، وتارةً مفعولاً .

والفعلُ مع عامله قد يكونُ له موضعُ الاسمِ المفردِ المفتقرِ إلى عاملٍ ، ومن ها هنا كان الرَّفْعُ في قولك : " فيمنعني البَوَابُ " هو الوجهُ ؛ لأنَّكَ لو نصبتَ عطفته على " أزرَكَ " ، وذلك مرادٌ ، والمنعُ ليس بمرادٍ ، فيفسدُ المعنى ؛ بسببِ العطفِ الموجبِ للتَّشريكِ ، ولذلك لو سكَّنتَ لم يفسدِ المعنى ، فقد رأيتَ الإعرابَ بالنَّصْبِ كيف أفسدَ المعنى ، ولو نصبتَ العربَ الفاعلَ ، ورفعتَ المفعولَ ، لحصلَ الفرقُ ، ولو نصبتَ هنا لفسدَ المعنى ؛ لما ذكرنا ، والرَّفْعُ فيه لم يتعيَّنَ ليصححِ المعنى ، بل النَّصْبُ هو المتعيَّنُ ؛ لفسادِ المعنى .

وكذلك : " لا يَسْعُنِي شيءٌ ، ويعجزُ عنكَ " ^٢ الرَّفْعُ يفسدُ المعنى ؛ لأنَّه يصيرُ : " لا يَسْعُنِي شيءٌ ، ولا يعجزُ عنكَ " ، فبوجودِ الرَّفْعِ يفسدُ المعنى . وفي الأسماءِ بعدم الإعرابِ يفسدُ المعنى .

وأما قولك : " ليضربُ زيدٌ " ، فلا يلتبسُ إذا كان هذا الكلامُ وحده ، بل يكونُ أمراً لا محالةً ، فإذا انضمَّ إليه كلامٌ آخر يصلحُ أنْ يكونَ علّةً له فهمَ المعنى ، وإنْ سكَّنته ^١ .

^١ يُنظَرُ : مسائلُ خلافيَّةٍ / ٩٠ ، والإيضاحُ في عللِ النُّحوِ / ٨٠ .

^٢ يُنظَرُ : مسائلُ خلافيَّةٍ في النُّحوِ / ٩٠ .

وقال أيضاً - في مسألة هل الإعراب أصل في المضارع - : ((المعرب بحق الأصل هو الاسم ، والفعل المضارع محمول عليه ، وقال بعض الكوفيين : المضارع أصل في الإعراب أيضاً ، وحجّة الأولين : أنّ الإعراب أتى به لمعنى لا يصح إلا في الاسم ، فاختص بالاسم ، كالتصغير وغيره من خواص الاسم ، والدليل على ذلك : أنّ الأصل عدم الإعراب ؛ لأنّ الأصل دلالة الكلمة على المعنى اللازم لها ، والزيادة على ذلك خارجة عن هذه الدلالة ، وإنّما يوتى بها لتدلّ على معنى عارض يكون تارة ، والمعنى الذي يدلّ عليه الإعراب كون الاسم فاعلاً ، أو مفعولاً ، أو مضافاً إليه ؛ لأنّه يفرّق بين هذه المعاني ، وهذه المعاني تصحّ في الأسماء ، ولا تصحّ في الأفعال ، فعلم أنّها ليست أصلاً ، بل هي فرع محمول على الأسماء في ذلك .

واحتج الآخرون بأنّ الإعراب في الفعل يفرّق بين المعاني ، فكان أصلاً ، كإعراب الأسماء ، وبيانه قولك : " أريدُ أنْ أزورَكَ ، فيمنعني البوّابُ " إذا رفعت كان له معنى ، وإذا نصبت كان له معنى . وكذلك قولك : " لا يسعني شيءٌ ، ويعجز عنك " إذا نصبت كان له معنى ، وإذا رفعت كان له معنى آخر . وكذلك باب الجواب بالفاء والواء نحو : " لا تأكلِ السمكَ ، وتشربِ اللبنَ " وهو في ذلك كالاسم ؛ إذا رفعت كان له معنى ، وإذا نصبت ، أو جررت كان له معنى آخر .

والجواب : أمّا إعراب الفعل فلا يتوقّف عليه فهم المعنى ، بل المعنى يدرك بالقرائن المحقّقة به ، والإشكال يحصل فيه بالحركة التي لا يقتضيه المعنى ، لا بعدم الحركة ؛ ألا ترى أن قوله : " أريدُ أنْ أزورَكَ ، فيمنعني البوّابُ " لو سكّنت العين لفهم المعنى ، وإنّما يشكّل إذا نصبتها ، وإنّما جاء الإشكال من جهة العطف ، لا بالنظر إلى نفس الفعل ، إذ لا فرق بين قولك : " يضربُ زيدٌ " في الضمّ ، والفتح ، والكسر ، والسكون ، فإنّه في كلّ حال يدلّ على الحدث والزمان . وكذلك إذا قلت : " لم يضربُ " ، و " لن تضربَ " فإنّ الفعل منفى ضممت ، أو فتحت ، أو سكّنت . وكذلك " لا يسعني شيءٌ ، ويعجز عنك " إذا فتحت أردت الجواب ، وإذا ضممت عطف ، ولو أهملته لفهمت المعنى . وكذلك : " لا تأكلِ السمكَ ، وتشربِ اللبنَ " ، والحاصل من ذلك كلّ أمر عرض بالعطف ، وحرف العطف يقع على معان ، فلا بدّ من تخليص بعضها من

بعض ، فبالحركة يفرّق بين معاني حرف العطف ، ولا يفرّق بين معنى الفعل ، ومعنى له
آخر والله أعلم))^١ .

ونحو : " إِنَّ عَمْرًا نَاجِحٌ ، وَفَائِزٌ فِي الْمَسَابِقَةِ " برفع " فائز " ، و " إِنَّ عَمْرًا نَاجِحٌ ، وَفَائِزٌ فِي الْمَسَابِقَةِ " برفع " فائز " ، وفي قولك : " إِنَّ عَمْرًا نَاجِحٌ ، وَفَائِزٌ فِي الْمَسَابِقَةِ " برفع " فائز " ، فأنت مخبرٌ عن عمرٍ بأنه فائزٌ ، وأنه فائزٌ في المسابقة ؛ لأنَّ " فائزٌ " معطوف على " نائم " ، وفي قولك : " إِنَّ عَمْرًا نَاجِحٌ ، وَفَائِزٌ فِي الْمَسَابِقَةِ " برفع " فائز " ، فأنت هنا مخبرٌ عن نجاح عمروٍ ، ومخبرٌ أيضاً عن نجاح شخصٍ آخر معه ، فتقدير الكلام : " إِنَّ عَمْرًا ، وَفَائِزًا فِي الْمَسَابِقَةِ نَاجِحَانِ " .

ونحو : " هَذَا رَطْبًا أَطِيبٌ مِنْهُ بَسْرًا " برفع " رطب " ، و " هَذَا رَطْبٌ أَطِيبٌ مِنْهُ بَسْرًا " برفع " رطب " ، ففي قولك : " هَذَا رَطْبًا أَطِيبٌ مِنْهُ بَسْرًا " برفع " رطب " أنت تخبر عن شيءٍ واحدٍ في حالتين ، بمعنى : هَذَا التَّمْرُ وَهُوَ رَطْبٌ ، أَفْضَلُ مِنْ وَهُوَ بَسْرٌ . و قولك : " هَذَا رَطْبٌ أَطِيبٌ مِنْهُ بَسْرًا " برفع " رطب " ، فأنت تخبر عن شيئين ، والمعنى : هَذَا رَطْبٌ ، غَيْرَ أَنَّ هُنَاكَ بَسْرًا أَطِيبٌ مِنْهُ .

ونحو قوله ﷺ : ﴿ يَبْنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ وَوَعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَى ﴾^٢ ، فقوله : ﴿ وَوَعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ ﴾ ، بفتح ﴿ الْأَيْمَنِ ﴾ صفة للجانب وهذا لا يقتضي وجود أكثر من طور ، بمعنى : أَنَّ الْمَوَاعِدَةَ كَانَتْ فِي الْجَانِبِ الْأَيْمَنِ مِنَ الطُّورِ ، وَلَيْسَ الطُّورُ الْأَيْمَنُ . وَلَوْ كَانَ بِجَرْ ﴿ الْأَيْمَنِ ﴾ لَكَانَ صِفَةً لِلطُّورِ ، وَذَلِكَ يَقْتَضِي وَجُودَ أَكْثَرَ مِنْ طُورٍ ، وَسَيَكُونُ الْمَعْنَى : أَنَّ الْمَوَاعِدَةَ كَانَتْ فِي جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ ، أَيْ أَنَّ هُنَاكَ أَكْثَرَ مِنْ طُورٍ . وَلَيْسَ كَذَلِكَ .

قال الألوسي - رحمه الله - في ﴿ الْأَيْمَنِ ﴾ في قوله ﷺ : ﴿ وَوَعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ ﴾ : ((بِالنَّصْبِ عَلَى أَنَّهُ صِفَةُ الْمَضَافِ . وَقَرِئَ بِالْجَرِّ ، وَخَرَجَ الزَّمْخَشَرِيُّ عَلَى الْجَوَارِ ، نَحْوُ : " هَذَا جَرٌّ ضَبٌّ خَرِبٌ " . وَتَعَقَّبَهُ أَبُو حَيَّانَ بِأَنَّ الْجَرَّ الْمَذْكُورَ مِنَ الشُّدُودِ ، وَالْقَلَّةُ بَحِيثٌ يَنْبَغِي أَنْ لَا تُخْرَجَ الْقِرَاءَةُ عَلَيْهِ ، وَقَالَ : الصَّحِيحُ أَنَّهُ نَعَتْ لِلطُّورِ لِمَا فِيهِ مِنَ الْيَمَنِ ، وَإِمَّا لِكَوْنِهِ عَنْ يَمِينٍ مِنْ يَسْتَقْبَلُ الْجَبَلَ^٣ .

^١ مسائل خلايفية في النحو / ٨٧ - ٨٩ .

^٢ سورة طه / ٨٠ .

^٣ يُنْظَرُ : الْبَحْرُ الْمَحِيطُ / ٦ / ٢٤٦ .

والحقُّ أنَّ القلَّةَ لم تصل إلى حدِّ منع تخريج القراءة ، لا سيما إذا كانت شاذَّةً على ذلك ، وتوافق القراءتين يقتضيه ، قوله : وإمَّا لكونه الخ ، غير صحيح على تقدير أن يكون الطُّور هو الجبل ، ولو قال : وإمَّا لكونه عن يمين من انطلق من مصر إلى الشام كان صحيحاً^١ .

ثمَّ قال - رحمه الله - عن نصب ﴿ جَانِبَ ﴾ : ((ونصب ﴿ جَانِبَ ﴾ على الظرفية بناء على ما نقل الخفاجي عن الرَّاغب . وابن مالك في « شرح التَّسهيل » من أنَّه سمع نصب " جنب " وما بمعناه على الظرفية . ومنع بعضهم ذلك ؛ لأنَّه محدود ، وجعله منصوباً على أنه مفعول ﴿ وَاعِدْنَا ﴾ على الاتِّساع ، أو بتقدير مضاف ؛ أي : إتيان جانب الخ . وإلى هذا ذهب أبو البقاء^٢ . وإذا كان ظرفاً فالمفعول مقدراً ، أي : وواعدناكم بواسطة نبيكم في ذلك الجانب إتيان موسى - عليه السَّلام - للمناجاة ، وإنزال التَّوراة عليه ، ونسبة المواعدة إليهم مع كونها لموسى - عليه السَّلام - نظراً إلى ملابستها إيَّاهم ، وسراية منفعتها إليهم ، فكأنَّهم كلُّهم مواعدون ، فالمجاز في النسبة . وفي ذلك إيفاء مقام الامتتان حقه ما فيه^٣ .

فغير معقول أن يفرَّق قطرب ومن وافقه بين معاني هذه التَّعابير المختلفة الإعراب^٤ .

٧. والمعنى قد يتم ، أو لا يتم بحسب الحالة الإعرابية :

فمثلاً قولك : " أشهدُ أنَّ محمداً رسولُ الله " برفع " رسول " ، تام المعنى ؛ لأنَّه خبر " إنَّ " ، ولكن لو قلت : " أشهدُ أنَّ محمداً رسولَ الله " بنصب " رسول " ، كان المعنى ناقصاً حتى تأتي بالخبر .

ومثله قول الحارث المخزومي^٥ :

^١ روح المعاني ١٦ / ٢٣٨ .

^٢ يُنظَر : إملاء ما منَّ به الرَّحمن / ٤٢١ .

^٣ روح المعاني ١٦ / ٢٣٨ .

^٤ يُنظَر : الجملة العربية ، والمعنى / ٣٦ - ٣٧ .

^٥ الحارثُ بنُ خالدِ بنِ العاصِ بنِ هشامِ المَخزُومِيّ ، من قريش ، شاعر غزل ، من أهل مكَّة نشأ في أواخر أيام عمر بن أبي ربيعة ، وكان يذهب مذهبه ، لا يتجاوز الغزل إلى المديح ولا الهجاء . وكان يهوى عائشة بنت طلحة ويشبب بها ، وله معها أخبار كثيرة . ولأه يزيد بن معاوية إمارة مكة ، فظهرت دعوة عبد الله بن الزبير ،

أَظُّوْمُ إِنَّ مُصَابِكُمْ رَجُلًا رَدَّ السَّلَامَ تَحِيَّةً ظُلْمًا^١

بنصب " رجل " المعنى صحيح ، وبرفعه المعنى غير تام ، بل غير صحيح .
قال ابن هشام - رحمه الله - : ((حُكي عن اليزيدي^٢ أَنَّهُ قَالَ فِي قَوْلِ الْعَرَجِيِّ^٣ :

أَظُّوْمُ إِنَّ مُصَابِكُمْ رَجُلًا رَدَّ السَّلَامَ تَحِيَّةً ظُلْمًا^٤

فاستتر الحارث خوفاً ، ثم رحل إلى دمشق وافتداً على عبد الملك بن مروان فلم ير عنده ما يحب ، فعاد إلى مكة وتوفي بها - رحمه الله - سنة ثمانين هجرية الموافق تسع وتسعين وستمئة ميلادية .

^١ البيت للحارث المخزومي ، ورؤي هذا البيت للعرجي ، من بحر الكامل من قصيدة قصيرة مطلعها :

أَقْوَى مِنْ أَلْ ظُلَيْمَةِ الْحَزْمِ فَالْغَمْرَتَانِ فَأَوْحَشَ الْخَطْمُ .

وفي رواية أخرى للبيت : أَظْلَيْمُ إِنَّ مُصَابِكُمْ رَجُلًا أَهْدَى السَّلَامَ تَحِيَّةً ظُلْمًا

البيت المذكور من شواهد النحاة في المصدر الميمي ، وحادثته مع ما نجم عنها من الحظوة عند الخليفة مفصلة في الأغاني أخبار الحارث ، وفي المغني الباب الخامس آخر الجهة الأولى ، وفي الوفيات ، وكذا معجم الأدباء وإنباه الرواه مع تفصيل الأسئلة التي وجهها المازني ، ونقل كل ذلك في شرح درة الغواص عند الوهم ٦٠ " النجوم الزاهرة سنة ٢٣٢ " .

يُنظَرُ : ديوان الحماسة ٢ / ٩٢ ، ومعجم الأدباء ١ / ٢٩٤ - ٢٩٥ ، والاشتقاق ١ / ٩٩ - ١٥١ ، وتاج العروس (صوب) ٣ / ٢١٤ ، ولسان العرب (صوب) ١ / ٥٣٤ ، ومعجم ما استعجم ٢ / ٥٠٤ ، ومعجم القواعد العربية ٢٥ / ٤٩ ، وقواعد اللغة العربية (الكفاف) / ١٤٣ .

^٢ يحيى بن المبارك بن المغيرة العدوي الإمام أبو محمد اليزيدي النحوي ، المقرئ ، اللُّغوي ، من مؤلفاته : المقصور والمدود ، توفي - رحمه الله - سنة اثنتين ومائتين هجرية . ينظر : بغية الوعاة ٢ / ٣٤٠ .

^٣ عبد الله بن عمر بن عمرو بن عثمان بن عفان الأموي القرشي العرجي ، أبو عمر . شاعر ، غزل مطبوع ، ينحو نحو عمر بن أبي ربيعة ، كان مشغولاً باللهو والصيد ، وكان من الأدباء الظرفاء الأسخياء ، ومن الفرسان المعدودين ، صحب مسلمة بن عبد الملك في وقائعه بأرض الروم ، وأبلى معه البلاء الحسن ، وهو من أهل مكة ، ولقب بالعرجي لسكانه قرية (العرج) في الطائف . وسجنه والي مكة محمد بن هشام في تهمة دم مولى لعبد الله بن عمر ، فلم يزل في السجن إلى أن توفي سنة عشرين ومائة هجرية ، الموافق سبع وثلاثين وسبعمئة للميلاد ، وهو صاحب البيت المشهور ، من قصيدة :

أَضَاعُونِي وَأَيُّ فِتَى أَضَاعُوا لِيَوْمِ كَرِيهَةِ وَسَدَادِ ثَغْرِ

^٤ البيت للعرجي ، ورؤي هذا البيت للحارث المخزومي ، من بحر الكامل من قصيدة قصيرة مطلعها :

أَقْوَى مِنْ أَلْ ظُلَيْمَةِ الْحَزْمِ فَالْغَمْرَتَانِ فَأَوْحَشَ الْخَطْمُ .

وفي رواية أخرى للبيت : أَظْلَيْمُ إِنَّ مُصَابِكُمْ رَجُلًا أَهْدَى السَّلَامَ تَحِيَّةً ظُلْمًا

والبيت من شواهد الأشموني برقم / ٨٦٣ ، يُنظَرُ : ثمرات الأوراق ، لابن حجة الحموي / ١ ، وطيب المذاق من ثمرات الأوراق ، لتقي الدين أبو بكر بن علي بن عبد الله التقي الحموي المعروف بابن حجة ، دار النشر : دار الفتح - الشارقة - ١٩٩٧م ، تحقيق : أبو عمار السخاوي / ٩ - ١٠ ، ودرة الغواص في أوهام الخواص / ٨٧ .

إنَّ الصواب رجل بالرفع خبراً لـ "إنَّ" ، وعلى هذا الإعراب يفسد المعنى ، المراد في البيت ، ولا يتحصّل له معنى البتّة ، وله حكاية مشهورة بين أهل الأدب ٠٠٠ ثمّ قدّر أن غنّت جارية بحضرة الواثق بهذا البيت ، فاختلف الحاضرون في نصب رجل ، ورفع وأصرت الجارية على النّصب ، وزعمت أنّها قرأته على أبي عثمان^١ كذلك ، فأمر الواثق بإشخاصه من البصرة ، فلما حضر أوجب النّصب ، وشرحه بأنّ "مصابكم" بمعنى إصابتكم ، و "رجلاً" مفعوله ، و "ظلم" الخبر ، ولهذا لا يتمّ المعنى بدونه ، قال : فأخذ اليزيدي في معارضتي ، فقلت له : وهو كقولك : "إنّ ضربك زيداً ظلم" ، فاستحسنه الواثق^٢ .

وغير ذلك كثير من الأمثلة التي لا تنحصر ، والتي يتغيّر فيها المعنى ؛ لتغيّر

الإعراب .

وقال أبو البقاء - رحمه الله - في قوله ﷻ : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴾^٣ ، الأصل فهي تصبح ، والضّمير للقصة وتصبح خبره ، أو تصبح بمعنى أصبحت ، وهو معطوف على أنزل ، فلا محلّ له إذاً .

وقال الرّمخشري - رحمه الله - : ((فإن قلت : هلاً قيل : فأصبحت ؟ ولم صرف إلى لفظ المضارع ؟ قلت : لنكتة فيه ، وهي : إفادة بقاء أثر المطر زماناً بعد زمان

^١ المازني ، إمام العربية ، أبو عثمان ، بكر بن محمد بن عدي ، البصري . صاحب «التصريف» والتصانيف . أخذ عن : أبي عبيدة ، والأصمعي . قال المبرد : لم يكن أحد بعد سيبويه أعلم بالنحو من المازني . قال : وذكر لنا المازني أنّ رجلاً قرأ عليه «كتاب» سيبويه في مدة طويلة ، فلما بلغ آخر قال : أما إني ما فهمت منه حرفاً ، وأما أنت فجزاك الله خيراً . مات المازني سنة سبع أو ثمان وأربعين ومائتين . يُنظر : سير أعلام النبلاء ٨ / ١٨١ .

^٢ مغني اللبيب / ٦٩٧ - ٨٨٢ . يُنظر : الحور العين / ١٢ ، والمحاسن والمساوي / ١٧٥ ، و خزنة الأدب / ٤٣٢ ، و مجالس ثعلب / ٤٨ ، ومحاضرات الأدباء / ١ - ٤٤ - ٤٥ ، ونثر الدر / ١ - ٢١٠ ، ونفح الطيب / ٢ - ٥٣٨ ، و نور القيس / ٨١ ، وتاريخ العلماء النحويين / ٥ ، و شرح نهج البلاغة / ١٨ - ٩٦ ، و همع الهوامع / ٣ - ٦٦ ، والأصول في النحو / ١ - ٣٩ ، وأوضح المسالك / ٣ - ٢١٠ ، وحاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك / ١١٠٨ ، و شرح شذور الذهب / ٥٢٧ ، شرح شذور الذهب / ٢ - ٧٢١ .

^٣ سورة الحج / ٦٣ .

^٤ يُنظر : إملاء ما من به الرحمن / ٤٤٢ ، و مغني اللبيب / ٥٥٤ ، و البحر المحيط / ٦ - ٣٥٥ - ٣٥٦ .

، كما تقول : أنعم عليّ فلان عام كذا ، فأروح وأغدوا شاكرًا له . ولو قلت : فرحت وغدوت ؛ لم يقع ذلك الموقع ، فإن قلت : فما له رفع ولم ينصب جواباً للاستفهام ؟ قلت : لو نصب لأعطى ما هو عكس الغرض ، لأنّ معناه إثبات الاخضرار ، فينقلب بالنصب إلى نفي الاخضرار ، مثاله أن تقول لصاحبك : ألم تر أنّي أنعمت عليك فتشكر : إن نصبتّه فأنت نافٍ لشكره شاكٍ تفريطه فيه ، وإن رفعتّه فأنت مثبت للشكر . وهذا وأمثاله مما يجب أن يرغب له من اتسم بالعلم في علم الإعراب وتوقير أهله)^١ .

وقال ابن عطية : ((قال ابن عطية : وقوله ﴿ فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ ﴾ بمنزلة قوله ، فتضحى أو تصير عبارة عن استعجالها أثر نزول الماء واستمرارها كذلك عادة ، ووقع قوله ﴿ فَتُصْبِحُ ﴾ من حيث الآية خبراً ، والفاء عاطفة ، وليست بجواب ؛ لأنّ كونها جواباً لقوله ﴿ أَلَمْ تَرَ ﴾ فاسد المعنى)) .

وعلق أبو حيان على قولي ابن عطية والزّمخشري فقال : ((ولم يبيّن هو ولا الزّمخشريّ كيف يكون النّصب نافيّاً للاخضرار ، ولا كون المعنى فاسداً . وقال سيبويه : ((وسألته - يعني الخليل - عن ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَةً ﴾^٢ ، فقال : هذا واجب وهو تنبيه . كأنك قلت : أسمع « أنزل الله من السماء ماءً » فكان كذا وكذا . قال ابن خروف ، وقوله فقال هذا واجب ، وقوله فكان كذا يريد أنّهما ماضيان ، وفسر الكلام بـ " أسمع " ؛ ليريك أنّه لا يتّصل بالاستفهام لضعف حكم الاستفهام فيه))^٣ .

ثمّ قال : ((وقال بعض شراح الكتاب : ﴿ فَتُصْبِحُ ﴾ لا يمكن نصبه ؛ لأنّ الكلام واجب ، ألا ترى أنّ المعنى « أن الله أنزل » فالأرض هذا حالها . وقال الفراء : ﴿ أَلَمْ تَرَ ﴾ خبر كما تقول في الكلام : اعلم أن الله يفعل كذا فيكون كذا انتهى .

ويقول إنّما امتنع النّصب جواباً للاستفهام هنا ؛ لأنّ النّفي إذا دخل عليه الاستفهام ، وإن كان يقتضي تقريراً في بعض الكلام هو معامل معاملة النّفي المحض في

^١ الكشاف ٣ / ٢٠ .

^٢ سورة الحج / ٦٣ .

^٣ البحر المحيط ٦ / ٣٥٥ .

الجواب ، ألا ترى إلى قوله ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى ﴾^١ ، وكذلك في الجواب بالفاء إذا أجبنا النفي كان على معنيين في كلٍّ منهما ينتفي الجواب ، فإذا قلت : ما تأتينا فتحدثنا بالنصب ، فالمعنى ما تأتينا محدثاً ، إنما يأتي ولا يحدث ، ويجوز أن يكون المعنى إنك لا تأتي فكيف تحدث ، فالحديث منتفٍ في الحالتين ، والتقرير بأداة الاستفهام كالنفي المحض في الجواب يثبت ما دخلته الهمزة ، وينتفي الجواب فيلزم من هذا الذي قرناه إثبات الرؤية ، وانتفاء الاخضرار ، وهو خلاف المقصود . وأيضاً فإنَّ جواب الاستفهام ينعقد منه مع الاستفهام السابق شرط وجزاء فقوله :

ألم تسأل فتخبرك الرسوم^٢

يتقدَّر أن تسأل فتخبرك الرسوم ، وهنا لا يتقدَّر أن ترى إنزال المطر تصبح الأرض مخضرة ؛ لأنَّ اخضرارها ليس مترتباً على علمك أو رؤيتك ، إنما هو مترتب على الإنزال ، وإنما عبَّر بالمضارع ، لأنَّ فيه تصويراً للهيئة التي الأرض عليها ، والحالة التي لا بست الأرض ، والماضي يفيد انقطاع الشيء^٣ .

فالإعراب يميِّز المعاني ، ويوقِّف على أغراض المتكلمين .

الشبهة الثانية : " إنه قد يختلف الإعراب ، ويتفق المعنى "

الشبهة الثانية التي احتجَّ بها هي قوله : " إنه قد يختلف الإعراب ، ويتفق المعنى " :

فهذا غير صحيح ، فليس اختلاف أوجه الإعراب لمجرد الاستكثار من التعبيرات التي لا فائدة فيها ، وأنَّ جواز أكثر من وجه تعبيرى ليس يعني أنَّ هذه الأوجه التعبيرية ذات دلالات معنوية واحدة ، وأنَّ من حقك استخدام أيِّ وجه تعبيرى متى تشاء ، كما تشاء ، وإنما لكلِّ وجه تعبيرى دلالاته ، فإذا ما أردت معنى ما لزمك أن تستعمل التعبير الذي يؤدي ذلك المعنى ، ولا يمكن أن يؤدي تعبيران مختلفان معنى واحداً ، اللهم إذا كانا

^١ سورة الأعراف / ١٧٢ .

^٢ سبق تخريجه . أنظر /

^٣ البحر المحيط / ٦ - ٣٥٥ - ٣٥٦ .

التعبيران المختلفان من لغتين مختلفتين ، نحو قولك : " ما عمرو شجاعاً " في لغة الحجازيين ، يقابله في لغة التميميين : " ما عمرو شجاع " ، فالحجازيون يُعملون " ما " ، والتميميون يُهملون ، ولا يترتب على هذا اختلاف في المعنى ، ونحو : " ليس الطيب إلا المسك " بنصب " المسك " ، " ليس الطيب إلا المسك " برفع " المسك " ، و " لعلّ عمراً بارعٌ " بنصب " عمرو " ، و " لعلّ عمرو بارعٌ " برفع " عمرو " ، ونحو : " ما في البلد شيخٌ إلا عمروٌ " برفع " عمرو " ، و : " ما في البلد شيخٌ إلا عمراً " بنصب " عمرو " ، فهذه لغات مختلفة ، تحتل معنى واحداً . ومع هذا حاول بعض النحاة أن يذكروا الاختلاف في المعنى في بعض التعبيرات .

وفيما عدا ذلك لا بد أن يكون لكلّ تعبيرٍ معنى ، فكلّ تعبير لا بد أن يحمل معنى يختلف عن معنى التعبير الآخر ، فالأوجه التعبيرية المتعددة ، إنما هي صور لأوجه معنوية متعددة .

فالإعراب إنما هو للدلالة على المعاني المختلفة ، و يدلّ على ذلك مثلاً قولك : " أجبني القوم زيد " ، فهذه جملة بدون إعراب تحتل معانٍ عدّة لا يتضح المعنى من الآخر إلا بالإعراب . فتقول :

- أجبني القوم زيدٌ .
- أجبني القوم زيدا .
- أجبني القوم زيدٌ .
- أجبني القوم زيدٌ .

فلكلّ تعبيرٍ معنى خاصٍ به لا يمكن أن نعبر به بتعبير آخر .

وكذا قوله ﷻ : ﴿ أَنْ اللَّهَ بِرِئَاءِ مَنْ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ ﴾^١ ، فلو تغيرت حركة
ورسوله - من الرفع إلى النصب - لتغير المعنى ، وفسد ، إلا بتخريج للآية بعيد ، ذكرناه
من قبل .

وكذا قوله ﷻ : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾^٢ .

^١ سورة التوبة / ٣ .

^٢ سورة فاطر / ٢٨ .

المبحث الثالث

الغرض من الإعراب

الإعراب سمة من سمات اللغة العربية ، ومزية من مزاياها ، وله فوائد ، وأغراض حرمت منها اللغات المبنية . وقد ورثت اللغة العربية هذه المزية من اللغة السامية الأم . وقد يقول قائل : أن الإعراب يؤدي إلى التعقيد في تعلم اللغة ، واستعمالها ، بعكس اللغات المبنية ، فهي أيسر تعلماً ، واستعمالاً ، فإن عليك في اللغة المعربة أن تتعلم ثلاثة استعمالات لكل كلمة معربة ، في حالة الرفع تكون مرفوعة ، وتكون منصوبة في حالة النصب ، وتكون مجرورة في حالة الجر . وكذا الفعل المضارع ، فيجب عليك أن تتعلم ثلاثة استعمالات له ؛ في حالة الرفع ، والنصب ، والجزم .

أما اللغات المبنية فلا تتطلب ذلك الأمر ، بل تنطق فيها الكلمة بحالة واحدة في كل هذه الحالات .

فيقول أن اللغة المبنية أسهل ، وأيسر تعلماً ، واستعمالاً ، ولهذا فالإعراب إذاً يزيد اللغة تعقيداً ، وصعوبة ؟

فنقول : صحيح أن الإعراب يزيد اللغة تعقيداً ، وصعوبة ، لكن هذا لا يعني أنه لا فائدة منه ، فالإعراب كما أنه يزيد اللغة تعقيداً ، وصعوبة ، ولكن يعطي اللغة منافع عديدة لا توجد في اللغات المبنية ، فهو يؤدي ما لا تؤديه اللغات المبنية من دقة في المعاني ، واتساع ، وشمول فيها ، ومن المعروف أن اللغة إنما وجدت للتعبير عن المعاني ، فما كان أكثر دقة في التعبير عن المعاني ، وأكثر اتساعاً ، وشمولاً في الدلالة عليها كان أفضل ، وأحسن^١ .

وعليه نقول : إن للإعراب أغراض ، وفوائد ، منها ما لا نستطيع الاستغناء عنه ، ومنها ما فيه نفع كثير للغة ، وأهلها ، وأهم هذه الأغراض :

^١ يُنظر : الجملة العربية ، والمعنى / ٤٨ - ٤٩ .

أولاً - التعبير عن المعاني المختلفة

الأصل في الإعراب - كما عرفنا - بيان المعنى ، فكثير من الجملة إذا كانت بدون إعراب تحتمل أكثر من معنى ، وأي تغير في الإعراب يصحبه تغيير في المعنى .

فمثلاً قولك : " بعثُ طعامكَ بعضه مكيلاً ، وبعضه موزونٌ " فهذا يعني أنك بعثت هذا الطعام بعضه مكيل ، والبعض الآخر موزون ، أي أن الوزن ، والكيل ، وقعا قبل البيع ، وليس متعلقاً بالبيع .

وإذا قلت : " بعثُ طعامكَ بعضه مكيلاً ، وبعضه موزوناً " فهذا يدلُّ أن الوزن والكيل صفةٌ للبيع ، فيجب أن يسلمه إليه مكيلاً ، وموزوناً .

قال ابن السراج في قولك : " بعثُ طعامكَ بعضه مكيلاً ، وبعضه موزوناً " : ((إذا أردت أن الكيل ، والوزن وقعا في حال البيع ، فإن رفعت فإلى هذا المعنى ، ولم يكن متعلقاً بالبيع ، فقلت : " بعثُ طعامكَ بعضه مكيلاً ، وبعضه موزونٌ " ، أي : بعته وهو موجودٌ كذا ، وكذا ، فيكون الوزن ، والكيل قد لحقاه قبل البيع ، وليس بصفةٍ للبيع . وتفهم هذا بأنَّ الرَّجُلَ إذا قال : " بعثكَ هذا الطعامَ مكيلاً ، وهذا الثوبَ مقصوراً " ، فعليه أن يسلمه إليه مكيلاً ، ومقصوراً . وإذا قال : " بعثك ، وهو مكيلٌ " فإثما باعه شيئاً موصوفاً بالكيل ، ولم يتضمَّنه البيع))^١ .

قال ابن أبي الوفاء - رحمه الله - : ((الأصل في الإعراب أن يكون للأسماء دون الأفعال ، والحروف ، وذلك لأنَّ الأسماء تتضمَّن معاني مختلفة ، نحو الفاعلية ، والمفعولية ، والإضافة ، فلو لم تعرب لالتبست هذه المعاني بعضها ببعض ، يدلك على ذلك أنك لو قلت : " مَا أَحْسَنَ زَيْدًا ! " لكنك متعجبا ، ولو قلت : " مَا أَحْسَنَ زَيْدٌ " . لكنك نافياً ، ولو قلت : " مَا أَحْسَنَ زَيْدٌ ؟ " لكنك مستقهما ، فلو لم تعرب في هذه

^١ الأصول في النحو لابن السراج - تحقيق الدكتور عبد الحين الفتلي - مطبعة النعمان - النجف الأشرف ٢ /

المواضع لالتبس التَّعْجُبُ بالنَّفْيِ ، والنَّفْيُ بالاستفهام ، واشتبهت هذه المعاني بعضها ببعض ، وإزالة الالتباس واجب .

وأما الأفعال ، والحروف فإنَّها تدلُّ على ما وضعت له بصيغها ، فعدم الإعراب لا يخلُّ بمعانيها ، ولا يورث لبساً فيها ، والإعراب زيادة ، والحكيم لا يزيد شيئاً لغير فائدة .

فإن قيل فإذا كان الأصل في الفعل المضارع أن يكون مبنياً ، فلم حمل على الاسم في الإعراب .

قيل إنَّما حمل الفعل المضارع على الاسم في الإعراب ؛ لأنَّه ضارِعُ الاسم ، ولهذا سُمِّيَ مضارعاً ، والمضارعة المشابهة ، ومنها سُمِّيَ الضَّرْعُ ضرعاً ؛ لأنَّه يشابهه .^١

فقولك :

- " مَا أَحْسَنُ زَيْدٍ ؟ " يفيد الاستفهام .
- " مَا أَحْسَنَ زَيْدًا ! " يفيد التَّعْجُبَ .
- " مَا أَحْسَنَ زَيْدٌ " يفيد النَّفْيَ .

وقد سبق وأن ذكرنا قول أبي البقاء العُكْبَرِي - حين تحدَّث عن أصل اشتقاق الإعراب - قال : ((أَنَّهُ من قولهم أعرب الرَّجُل إذا أبان عمَّا في نفسه ، والحركات في الكلام كذلك ؛ لأنَّها تبيِّن الفاعل من المفعول ، وتفرِّق بين المعاني ، كما في قولهم : " ما أحسن زيداً " ، فإنَّه إذا عُرِّي عن الحركات احتل النَّفْيُ ، والاستفهام ، والتَّعْجُبُ ، وكذلك قولك : " ضَرَبَ زَيْدٌ عمراً " لو عرَّيته من الإعراب لم تعرف الفاعل من المفعول))^٢ .

^١ أسرار العريية / ٤٦ .

^٢ اللُّبَاب في علل البناء والإعراب ١ / ٥٢ .

ونحو قوله ﷻ : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴾^١ ، فقوله ﷻ : ﴿ فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ ﴾ برفع ﴿ تُصْبِحُ ﴾ وهو إخبارٌ لإثبات اخضرار الأرض ، ولا يجوز النَّصْب ؛ لأنَّ النَّصْب يُعْطِي ما هو عكس الغرض ، فينقلب بالنَّصْب إلى نفي الاخضرار .

قال الزَّمخشري - رحمه الله - : ((فَإِنْ قُلْتَ : هَلَّا قِيلَ " فَأَصْبَحْتَ " ، وَلَمْ صُرِّفَ إِلَى لَفْظِ الْمَضَارِعِ ؟ قُلْتَ : لِنَكْتَةِ فِيهِ ، وَهِيَ إِفَادَةُ بَقَاءِ أَثَرِ الْمَطَرِ زَمَانًا بَعْدَ زَمَانٍ . كَمَا تَقُولُ : أُنْعِمَ عَلَيَّ فَلَانٌ عَامَ كَذَا ، فَأَرْوِحُ ، وَأَغْدُو شَاكِرًا لَهُ . وَلَوْ قُلْتَ : فَرِحْتُ ، وَغَدَوْتُ ، لَمْ يَقَعْ ذَلِكَ الْمَوْقِعَ .

فإن قلت : فما باله رفع ، ولم ينصب جواباً للاستفهام ؟ قلت : لو نصب لأعطى ما هو عكس الغرض ؛ لأنَّ معناه إثبات الاخضرار ، فينقلب بالنَّصْب إلى نفي الاخضرار ، مثاله أن تقول لصاحبك : " أَلَمْ تَرَ أَنِّي أَنْعَمْتُ عَلَيْكَ فَتَشْكُرُ ؟ إِنْ نَصَبْتَهُ ، فَأَنْتَ نَافٍ لَشُكْرِهِ ، شَاكٍ تَقْرِيطُهُ ، وَإِنْ رَفَعْتَهُ ، فَأَنْتُمْ مُثَبِّتٌ لِلشُّكْرِ ، هَذَا وَأَمثَالُهُ مِمَّا يَجِبُ أَنْ يَرْغَبَ لَهُ مَنْ اتَّسَمَ بِالْعِلْمِ فِي عِلْمِ الْإِعْرَابِ وَتَوْقِيرِ أَهْلِهِ))^٢ .

ونقل الألويسي - رحمه الله - بعض آراء أهل العلم : ((وَقَالَ ابْنُ عَطِيَّةَ : وَقَوْلُهُ ﴿ فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ ﴾ بِمَنْزِلَةِ قَوْلِهِ : فَتَضْحِي ، أَوْ تَصِيرُ عِبَارَةً عَنْ اسْتِعْجَالِهَا أَثَرِ نَزُولِ الْمَاءِ ، وَاسْتِمْرَارِهَا كَذَلِكَ عَادَةً ، وَوَقَعَ قَوْلُهُ : ﴿ فَتُصْبِحُ ﴾ مِنْ حَيْثُ الْآيَةُ خَبْرًا ، وَالْفَاءُ عَاطِفَةٌ ، وَلَيْسَتْ بِجَوَابٍ ؛ لِأَنَّ كَوْنَهَا جَوَابًا لِقَوْلِهِ : ﴿ أَلَمْ تَرَ ﴾ فَاسَدَ الْمَعْنَى أَنْتَهَى . وَلَمْ يُبَيِّنْ هُوَ ، وَلَا الزَّمخشري كَيْفَ يَكُونُ النَّصْبُ نَافِيًا لِلْإِخْضَارِ ، وَلَا كَوْنَ الْمَعْنَى فَاسِدًا .

وقال سيبويه : وسألته يعني الخليل عن ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَةً ﴾ ، فقال : هذا واجب ، وهو تنبيه . كأنك قلت : أسمع " أَنْزَلَ اللَّهُ

^١ سورة النحل / ٦٣ .

^٢ الكشاف / ٣ / ٢٠ .

مِنَ السَّمَاءِ مَاءً " ، فكان كذا ، وكذا . قال ابن خروف ، وهذا واجب ، وقوله : فكان كذا يريد أنَّهما ماضيان ، وفسر الكلام بـ " أسمع " ليريك أنَّه لا يتصل بالاستفهام ؛ لضعف حكم الاستفهام فيه ، ووقع في الشَّرْقِيَّة عوض أسمع انتبه انتهى . ومعنى في الشَّرْقِيَّة في النسخة الشرقية من كتاب سيبويه .

وقال بعض شراح الكتاب ﴿ فَتُصْبِحُ ﴾ لا يمكن نصبه ؛ لأنَّ الكلام واجب ، ألا ترى أن المعنى ﴿ أَنْ أَلَّهَ أَنْزَلَ ﴾ ، فالأرض هذا حالها . وقال الفراء : ﴿ أَلَمْ تَرَ ﴾ خبر كما تقول في الكلام : اعلم أنَّ الله يفعل كذا فيكون كذا انتهى . ويقول : إنَّما امتنع النَّصْب جواباً للاستفهام هنا ؛ لأنَّ النَّفْي إذا دخل عليه الاستفهام ، وإن كان يقتضي تقريراً في بعض الكلام هو معامل معاملة النَّفْي المحض في الجواب ، ألا ترى إلى قوله : ﴿ أَلَسْتَ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى ﴾^١ ، وكذلك في الجواب بالفاء إذا أجبت النَّفْي كان على معنيين ، في كل منهما ينتفي الجواب ، فإذا قلت : " مَا تَأْتِينَا ، فَتُحَدِّثُنَا " بالنَّصْب ، فالمعنى : مَا تَأْتِينَا مُحَدِّثًا ، إنَّما يأتي ولا يحدث ، ويجوز أن يكون المعنى : إنَّك لا تأتي ، فكيف تحدِّث ؟ ، فالحديث منتف في الحالتين ، والتقرير بأداة الاستفهام ، كالنَّفْي المحض في الجواب ، يثبت ما دخلته الهمزة ، وينتفي الجواب ، فيلزم من هذا الذي قررناه إثبات الرُّؤْيَا ، وانتفاء الاخضرار ، وهو خلاف المقصود . وأيضاً فإنَّ جواب الاستفهام ينعقد منه مع الاستفهام السَّابِق شرط ، وجزاء ، فقوله :

أَلَمْ تَسْأَلْ فَتُخْبِرُكَ الرُّسُومُ

يتقدَّر أن تسأل ، فتخبرك الرُّسوم ، وهنا لا يتقدَّر أن ترى إنزال المطر تصبح الأرض مخررة ؛ لأنَّ اخضرارها ليس مترتباً على علمك ، أو رؤيتك ، إنَّما هو مترتب على الإنزال ، وإنَّما عبَّر بالمضارع ؛ لأنَّ فيه تصويراً للهيئة التي الأرض عليها ، والحالة

^١ سورة الأعراف / ١٧٢ . والآية بكمالها ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتَ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴾ .

التي لا بست الأرض ، والماضي يفيد انقطاع الشيء ٠٠٠ والظاهر تعقب اخضرار الأرض إنزال المطر ، وذلك موجود بمكة ، وتهامة فقط ١٠

ومنه قوله ﷺ : ﴿ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتَيْنِ فَمَحْوَنًا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلُّ شَيْءٍ فَصْلَانَاهُ تَفْصِيلاً ﴾ ٢ ، فقوله ﷺ : ﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ فَصْلَانَاهُ تَفْصِيلاً ﴾ جملة خبرية أخبر الله ﷻ بها أن : ﴿ كُلُّ شَيْءٍ ﴾ تفتقرون إليه في معاشكم ، ومعادكم سوى ما ذكر من جعل الليل ، والنهار آيتين ، وما يتبعه من المنافع الدينية والدنيوية .

فعلى هذا المعنى ﴿ كُلُّ ﴾ منصوب بفعل يفسره قوله ﷺ : ﴿ فَصْلَانَاهُ تَفْصِيلاً ﴾ ، وهذا من باب الاشتغال ، ورجح النصب لتقديم جملة فعلية ، وجوز أن يكون معطوفاً على ﴿ الْحِسَابَ ﴾ ، وجملة ﴿ فَصْلَانَاهُ ﴾ صفة شيء ، وهو بعيد معنى .

والتفصيل من الفصل بمعنى القطع ، والمراد به الإبانة التامة ، وجيء بالمصدر للتأكيد . فالمعنى بيئاً كل شيء في القرآن الكريم بياناً بليغاً لا التباس معه ، كقوله تعالى : ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ ٣ ، فظهر كونه هادياً للتي هي أقوم ظهوراً بيئاً ٤ .

والرفع هنا ضعيف لأن المعنى سيكون على احتمالين ، احتمال يحمل هذا المعنى السابق الذي يؤدبه النصب ، والاحتمال الآخر أن يكون ﴿ فَصْلَانَاهُ ﴾ صفة لـ ﴿ شَيْءٍ ﴾ وسيكون المعنى أن الأمر الذي فصلناه ، فصلناه تفصيلاً بيئاً ، وهناك أمور أخرى لم فصلها . وهذا المعنى غير صحيح .

١ روح المعاني ٨ / ٧ / ٥١٠ .

٢ سورة الإسراء / ١٢ .

٣ سورة النحل / ٨٩ .

٤ يُنظَر : روح المعاني ٤ / ١٥ / ٢٥ .

ونحوه قوله ﷺ : ﴿ وَكُلُّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَبْعَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مِنْشُورًا ﴾^١ ، ((فقوله ﷺ : ﴿ وَكُلُّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَبْعَهُ فِي عُنُقِهِ ﴾ ، جملة خبرية أخبر الله ﷻ بها أن : كُلُّ إِنْسَانٍ مَكْلَفُ أَلْزَمْنَاهُ عَمَلَهُ الصَّادِرَ مِنْهُ بِاخْتِيَارِهِ حَسْبَمَا قَدَّرَ لَهُ خَيْرًا كَانَ ، أَوْ شَرًّا كَأَنَّهُ طَارَ إِلَيْهِ مِنْ عَشِّ الْغَيْبِ ، وَوَكَّرَ الْقَدْرَ .

و﴿ كُلُّ ﴾ منصوب بفعل يفسره الفعل الذي بعده ﴿ أَلْزَمْنَاهُ ﴾ ، أي : أَلْزَمْنَا كُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَبْعَهُ .

ورفع ﴿ كُلُّ ﴾ ضعيف لأنَّ المعنى سيكون على احتمالين ، احتمال يحمل هذا المعنى السابق الذي يؤدبه النَّصْبُ ، والاحتمال الآخر أن يكون ﴿ أَلْزَمْنَاهُ ﴾ صفة لـ ﴿ إِنْسَانٍ ﴾ ، وسيكون المعنى أن النَّاسَ صَنَّفَانِ : صَنَّفَ أَلْزَمْنَاهُ طَبْعَهُ فِي عُنُقِهِ ، وَصَنَّفَ آخَرَ لَمْ نَلْزَمْهُ طَبْعَهُ فِي عُنُقِهِ . وهذا المعنى غير صحيح .

ومنه ما روي عن الكسائي - رحمه الله - : أَنَّهُ قَالَ : ((اجتمعت وأبو يوسف القاضي عند هارون الرشيد ، فجعل أبو يوسف يذمُّ النَّحْوَ ، ويقول : ما النَّحْوُ ؟ ، فقلت له - وأردت أن أعلمه فضل النَّحْوِ - : ما تقول في رجلٍ قال لرجلٍ : " أنا قاتلُ غلامِكَ " ، وقال له آخر : " أنا قاتلُ غلامِكَ " أيُّهما كنت تأخذ به ؟ قال : آخذ بهما جميعاً .

فقال له هارون أخطأت - وكان له علمٌ بالعربية - فاستحيا ، وقال : كيف ذلك ؟ فقال : الذي يُؤخَذُ بقتل الغلام هو الذي قال : " أنا قاتلُ غلامِكَ " بالإضافة لأنَّه فعلٌ ماضٍ ، فأما الذي قال : " أنا قاتلُ غلامِكَ " بلا إضافة فإنَّه لا يؤخذ ؛ لأنَّه مستقبلٌ لم يكن بعد كما قال ﷺ : ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا * إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴾^٢ ، فلولا أنَّ التَّنْبِيْنَ مستقبلٌ ما جاز فيه غداً^٣ .

^١ سورة الإسراء / ١٣ .

^٢ سورة الكهف / ٢٣ - ٢٤ .

^٣ الأشباه والنظائر ٣ / ٢٢٤ ، وانظر تأويل مشكل القرآن / ١١ .

ونحو قوله ﷺ : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَعَانَاهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾^١ فقولهُ ﷺ : ﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾ جملة خبرية ، أخبر الله ﷺ فيها أنه أحصى كل شيء في اللوح المحفوظ ، حيث كتب في اللوح ما كان ، وما يكون إلى يوم القيامة .

﴿ كُلٌّ ﴾ منصوب على الاشتغال ؛ أي : وأحصينا كل شيء أحصيناه .

ورفع ﴿ كُلٌّ ﴾ على الابتداء ضعيف ؛ لأنَّ المعنى سيكون على احتمالين ، احتمال يحمل هذا المعنى السابق الذي يؤدِّيه النَّصْب ، والاحتمال الآخر أن يكون ﴿ أَحْصَيْنَاهُ ﴾ صفة لـ ﴿ شَيْءٍ ﴾ و ﴿ فِي إِمَامٍ ﴾ خبراً ﴿ كُلٌّ ﴾ أي : كلُّ شيءٍ أحصيناه إنما هو مثبت في إمام مبين ، وهذا المعنى غير صحيح ؛ لأنَّ الأشياء ستكون على قسمين : قسمٌ مُحْصَى ، فهو مثبت في اللوح ، وقسمٌ غير مُحْصَى ، فهو غير مثبت ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

ونحوه قوله ﷺ : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾^٢ ، قرأ الجمهور بنصب ﴿ كُلٌّ ﴾ على الاشتغال ، والتقدير : " إِنَّا خَلَقْنَا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ " ، والمعنى : أن كل شيء من الأشياء خلقه الله سبحانه ملتبساً بقدر قدره ، وقضاء قضاءه سبق في علمه مكتوب في اللوح المحفوظ قبل وقوعه .

وقرأ أبو السَّمَّال برفع ﴿ كُلٌّ ﴾ على الابتداء ، وهو ضعيف ؛ لأنَّ المعنى سيكون على احتمالين ، احتمال يحمل هذا المعنى السابق الذي يؤدِّيه النَّصْب ، والاحتمال الآخر أن يكون ﴿ خَلَقْنَاهُ ﴾ صفة لـ ﴿ شَيْءٍ ﴾ ، و ﴿ بِقَدَرٍ ﴾ خبر لـ ﴿ كُلٌّ ﴾ أي : كلُّ شيءٍ خلقناه إنما خلقناه بقدر ، وهذا المعنى غير صحيح ؛ لأنَّ الأشياء ستكون على قسمين : قسمٌ خلقه الله ﷻ ، فيكون بقدر ، وقسمٌ خلقه غيره ، فلا يكون بقدر ، تعالى الله عن الشريك علواً كبيراً .

^١ سورة يس / ١٢ .

^٢ سورة القمر / ٤٩ .

فإن قال قائل : المعروف أن الاختيار في نحو : " إني زيدٌ كَلَّمته " الرَّفَع ؛ لأنَّه جملة في موضع الخبر ، فلم اختير النَّصْب في : ﴿ إِنَّا كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾^١ ، وكلام الله ﷻ أولى بالاختيار ؟

فالجواب أن في النَّصْب ههنا دلالة على معنى ليس في الرَّفَع ، فإنَّ التَّقْدِير على النَّصْب إِنَّا خَلَقْنَا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ، فهو يوجب العموم . وإذا رُفِعَ فليس فيه عموم إذ يجوز أن يكون ﴿ خَلَقْنَاهُ ﴾ نعتاً لـ ﴿ شَيْءٍ ﴾ ، و ﴿ بِقَدَرٍ ﴾ خبر لـ ﴿ كُلِّ ﴾ ، ولا يكون فيه دلالة على خلق الأشياء كلها ، إِنَّمَا يدلُّ على إنَّ ما خلقه منها خلقه بقدر^٢ .

ونحوه قوله ﷻ : ﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ * وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَظَرٌ ﴾^٣ ، فقوله ﷻ : ﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ﴾ جملة خبرية ، أخبر الله ﷻ فيها أن جميع ما فعلته الأمم من خير ، أو شرٍّ مكتوب في اللُّوح المحفوظ ، وقيل : في كتب الحفظة^٤ ، برفع ﴿ كُلِّ ﴾ على الابتداء ، و ﴿ فَعَلُوهُ ﴾ صفة لـ ﴿ شَيْءٍ ﴾ ، و ﴿ فِي الزُّبُرِ ﴾ خبراً ﴿ كُلِّ ﴾ أي : كلُّ شيءٍ فعلوه مثبت في الزُّبُرِ ، أي : مدوّن فيها .

ولا يصحُّ النَّصْب على الاشتغال ؛ لأنَّ المعنى سيكون أنَّهم فعلوا كلَّ شيءٍ في الزُّبُرِ ، وهو غير صحيح ، لأنَّهم لم يفعلوا شيئاً في الزُّبُرِ .

قال الفراء - رحمه الله - عن ﴿ كُلِّ ﴾ في قوله ﷻ : ﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ﴾ : ((لا يكون إلا رفعا ؛ لأنَّ المعنى - والله أعلم - : كلُّ فعلهم في الزُّبُرِ مكتوب ، فهو مرفوع^٥ ، و ﴿ فَعَلُوهُ ﴾ صلة لـ ﴿ شَيْءٍ ﴾ ، ولو كانت ﴿ فِي ﴾ صلة لـ ﴿ فَعَلُوهُ ﴾

^١ سورة القمر / ٤٩ .

^٢ يُنظَر : حاشية سيبويه ١ / ٧٤ ، التَّصْرِيح ١ / ٣٠٢ ، الأشموني ٢ / ٨٠ .

^٣ سورة القمر / ٥٢ - ٥٣ .

^٤ يُنظَر : فتح القدير ٥ / ١٢٨ .

^٥ سورة القمر / ٥٢ - ٥٣ .

في مثل هذا من الكلام جاز رفع ﴿كُلُّ﴾ ، ونصبها ، كما تقول : " وكلّ رجلٍ ضربه في الدار " ، فإن أردت : ضربوا كلّ رجلٍ في الدار ، رفعت ، ونصبت .

وإن أردت : وكلُّ مَنْ ضربه هو في الدار ، رفعت ^١ .

ومن ذلك قول عتبان الحروري ^٢ :

فَإِنَّ يَكُ مِنْهُمْ كَانَ مَرْوَانَ وَابْنَهُ وَعَمْرُوَ وَمِنْهُمْ هَاشِمٌ وَحَبِيبٌ
فَمِمَّا حُصَيْنٌ ^٣ وَالْبَطِينُ وَقَعْنَبُ وَمِمَّا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ شَبِيبٌ ^٤

فلما بلغ الشعر هشاماً ، وظفر به قال : أنت القائل : " وممّا أميرُ المؤمنين شبيب " ، فقال : يا أمير المؤمنين : ما قلت إلا : " وممّا أميرُ المؤمنين شبيب " ، فتخلص بفتح الرّاء بعد ضمّها ^٥ ، ففتح الرّاء من " أمير " أنجاه من هلاك محقق توعدّه به أمير المؤمنين " هشام بن عبد الملك بن مروان ^٦ " ، وذلك أنّ المعنى برفع " أمير " أنّ شبيباً هو أمير المؤمنين ، لا هشاماً ؛ فمّمّا " خبر مقدّم ، و " أمير " مبتدأ مؤخر ، وشبيب بدلٌ .

وأما بنصب " أمير " فيكون منادى ، أي : " وممّا - يا أمير المؤمنين - شبيب " ، ففرّق الإعراب بين التّعبيرين ، حيث أعطى معنيين للتّعبيرين مختلفين تماماً ^٧ .

^١ معاني القرآن ٢ / ٩٥ - ٩٦ .

^٢ عتبان بن شراحيل بن شريك بن عبدالله بن الحصين الشيباني . شاعر خارجي ، وأصيلة أو وصيلة هي أمّه ، وهي من بن محلم ، وهو من شراة الجزيرة .

^٣ وفي رواية : " سويد " .

^٤ البيتان لعتبان بن أصيلة الحروري من بحر الطويل من قصيدة مطلعها :

لعمري لقد نادى شبيب وصحبه على الباب لو أنّ الأمير يجيب .

^٥ تحرير النّحير / ٢٤٩ - ٢٥٠ ، ويُنظر : خزنة الأدب ص ١ / ٢٤٩ .

^٦ هشام بن عبد الملك بن مروان الخليفة ، أبو الوليد القرشي الأموي الدمشقي . وُلِدَ بعد السبعين ، واستُخلفَ بعهد معقود له من أخيه يزيد ، استُخلفَ في شعبان سنة خمس ومائة إلى أن مات في ربيع الآخر ، وله أربع

وخمسون سنة . يُنظر : سير أعلام النبلاء ٤ / ١٦٧ .

^٧ يُنظر : معاني النّحو ١ / ٣٥ .

ومن ذلك : قولك : " بكم ثوبك مصبوغٌ " ، وتقول : " بكم ثوبك مصبوغاً " ،
فالتعبيرين مختلفين باختلاف الإعراب ، ففي قولك : " بكم ثوبك مصبوغٌ " بالرفع ، فهو
خبر ، والمبتدأ ثوبك ، والظرف متعلق بنفس مصبوغ ، ويكون السؤال عن ثمن الصبغ .

أمّا قولك : " بكم ثوبك مصبوغاً " بالنصب ، فالظرف خبراً عن الثوب ، ونُصب
مصبوغاً على الحال ، والظرف مع النصب متعلق بمحذوف ؛ لأنه الخبر ، ويكون السؤال
عن ثمن الثوب^١ .

ومن ذلك : قولك : " قمت ، وزيداً " بنصب " زيد " على المعية ، أي : قمت مع
زيد ، وقولك : " قمت ، وزيدٌ " برفع " زيد " بعطف زيد على تاء الفاعل ، أي : قمت ،
وقام زيدٌ .

ومنه قولك : " جاءَ البردُ ، والطّيالسةُ " فمع النصب يكون المعنى جاءَ البرد مع
الطيالسة ، ولو رفعت ، فقلت : " جاءَ البردُ ، والطّيالسةُ " ، فالمعنى : جاءَ البرد ،
وجاءت الطيالسة .

جاء في كتاب سيبويه - رحمه الله - : ((" ما أنت وعبداً الله ؟ " ، و " كيف أنت
وعبداً الله ؟ " كأنك قلت : " ما أنت ، وما عبداً الله ؟ " وأنت تريد أن تحقّر أمره . وكذلك :
كيف أنت وعبداً الله ؟ " ، وأنت تريد أن تسأل عن شأنهما ؛ لأنك إنما تعطف بالواو إذا
أردت معنى " مع " ، على " كيف " ، و " كيف " بمنزلة الابتداء ، كأنك قلت : " وكيف
عبد الله ؟ "))^٢ .

ومنه قولك : " كيف أنت ، ومحمدٌ " بالرفع ، فيكون المعنى : كيف أنت ، وكيف
محمدٌ ، فالسؤال عن كل واحدٍ منهما . أمّا قولك : " كيف أنت ، ومحمداً " ، فالسؤال عن
العلاقة بينهما .

^١ يُنظر : اللّمع في العربية / ١٤٨ - ١٤٩ .

^٢ كتاب سيبويه ١ / ١٥١ - ١٥٢ .

ومنه : ((جاء الشتاء ، والحطب " ، ولم يرد أن الحطب جاء ، وإنما أراد الحاجة إليه ، فإن أراد مجيئها قال : " والحطب "))^١ .

وأما قولك : " استوى الماء الخشبة " ، أي : استوى الماء مع الخشبة ، فلا يجوز فيها إلا النصب لأنك تريد ساوى الماء الخشبة ، واستوى مع الخشبة^٢ .

ومنه المثال المشهور : " لا تأكل السمك ، وتشرب اللبن " ((تقول : " لا تأكل السمك ، وتشرب اللبن " ، فتنصب تشرب إن قصدت النهي عن الجمع بينها ، وتجزم إن قصدت النهي عن كل واحد منهما ، أي : " لا تأكل السمك ، ولا تشرب اللبن " ، وترفع إن نهيته عن الأول ، وأبحت الثاني ، أي : " لا تأكل السمك ، ولك شرب اللبن "))^٣ .

ومنه قولك : ((" حسبته شتمني ، فأئب عليه " ، إذا لم يقع الوثوب ، ومعناه : لو شتمني لوئبت عليه . وإن كان الوثوب قد وقع فليس إلا الرفع))^٤ .

ومنه : " سرق اللص جانب السوق الأيمن " برفع " الأيمن " يكون وصفاً للوص ، أي : سرق اللص الأيمن ، جانب السوق ، ولو قلت : " سرق اللص جانب السوق الأيمن " بالنصب يكون وصفاً للجانب ، أي : سرق اللص الجانب الأيمن من السوق ، ولو قلت : " سرق اللص جانب السوق الأيمن " بالجر كان وصفاً للسوق ، أي : سرق اللص جانب السوق الأيمن ، بمعنى أن هناك أكثر من سوق .

ومنه قوله ﷺ : ﴿ يَبِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنْجَيْنَكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ وَوَعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَى ﴾^١ ، فقوله : ﴿ وَوَعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ ﴾ ، بفتح ﴿ الْأَيْمَنِ ﴾

^١ الصّاحبي في فقه اللغة / ١٩١ .

^٢ الجمل للزجاجي / ٣٠٦ .

^٣ شرح قطر الندى / ٦٩ .

^٤ الرد على النحاة ، لبن مضاء القرطبي ، أحمد بن عبدالرحمن - تحقيق : شوقي ضيف - دار المعارف - دار

الحديث - القاهرة ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م / ١٤٧ .

صفة للجانب وهذا لا يقتضي وجود أكثر من طور ، بمعنى : أن المواعدة كانت في الجانب الأيمن من الطور ، وليس الطور الأيمن . ولو كان بجر ﴿ الأيمن ﴾ لكان صفة للطور ، وذلك يقتضي وجود أكثر من طور ، وسيكون المعنى : أن المواعدة كانت في جانب الطور الأيمن ، أي أن هناك أكثر من طور . وليس كذلك .

ثانياً : السعة في التعبير

بحيث يكون للمتكلم سعة في التعبير ، وحرية في الكلام ، فيقدم ، ويؤخر من دون لبس ، إذ يبقى الكلام مفهوماً ، وذلك لأن المفردة تحمل معها ما يدل على وظيفتها اللغوية ، وهذا ما حرمت منه اللغات المبنية - كما سبق أن أوضحنا ذلك - فهي تتبع طريقة حفظ المراتب ؛ لأن أي تغيير في موقع الكلمة يلبس المعنى ، فلا يمكن في اللغة المبنية تقديم المفعول به على الفاعل ، بل لابد للمتكلم أن يسير على طريقة واحدة في التعبير . ويتضح ذلك في اللغة العربية في الكلمات المبنية ، أو التي لا تظهر عليها علامات الإعراب ، فإذا لم توجد قرينة تدل على المعنى المقصود ، فلا يجوز التأخير ، بل لا بد أن تسير على ترتيب معين ، لا تحيد عنه .

أما في الكلمات التي تظهر عليها علامات الإعراب تحتفظ بمركزها في الجملة ، فيمكن تقديمها أو تأخيرها حسب الأهمية ، كما قاله سيوييه - رحمه الله - : ((إن العرب يقدمون في كلامهم ما هم به أهم ، وبيانه أعنى ، وإن كانا جميعاً يهمانهم ويعنيانهم))^١ . فمثلاً جملة : " أعطى المعلم الطالب جائزة " ، فنستطيع في هذه الجملة أن تقدم أو تأخر ، حسب الأهم لديك دون أن يحصل لبس بين المعطي ، والآخذ ، فالمعطي سيظل المعلم ، والآخذ هو الطالب ، ويعرف ذلك من حركة الـ"ت" ، فالرفع يشير إلى الفاعل ، والنصب يشير إلى المفعول به ، فيمكن أن نقول :

١. أعطى المعلم الطالب جائزة .
٢. أعطى الطالب جائزة المعلم .
٣. أعطى الطالب المعلم جائزة .
٤. المعلم أعطى الطالب جائزة .
٥. الطالب أعطى المعلم جائزة .
٦. جائزة أعطى المعلم الطالب .
٧. جائزة الطالب أعطى المعلم .
٨. جائزة الطالب المعلم أعطى .
٩. الطالب جائزة المعلم أعطى .

^١ وهذا ذكره بعد بيانه أن الواو لا تقتضي الترتيب قال فتقول صمت شعبان ورمضان وإن شئت صمت رمضان وشعبان بخلاف الفاء وثم ، وقال عقيبه إلا أنهم يقدمون في كلامهم إلى آخره .

- ١٠. المعلمُ الطالبَ أعطى جائزةً .
- ١١. المعلمُ جائزةً أعطى الطالبَ .
- ١٢. المعلمُ الطالبَ جائزةً أعطى .
- ١٣. أعطى جائزةً المعلمُ الطالبَ .

فهذه جمل متعدّدة تحمل معنىً عاماً واحداً ، وإن تغيّرت صورها ، ولا تستطيع أن تفعل مثل هذا في اللغات المبنية إلا بتغيير أساسي في الجملة ، أو بتغيير في المعنى ، فأنت مقيد بصيغة واحدة لا غير .

قال السيرافي - رحمه الله - في شرحه على " الكتاب " في قوله : " ضرب زيداً عبدالله " : ((إنّما قدّموا المفعول هنا على الفاعل لدلالة الإعراب عليه ، فلم يضر من جهة المعنى تقديمه ، واكتسبوا بتقديمه ضرباً من التوسّع في الكلام ؛ لأنّ في كلامهم الشّعْرُ المقفَى ، والكلام المسجّع ، وربما اتفق أن يكون السجّع في الفاعل فيؤخّرونه . فإذا وقع في الكلام ما لا يتبيّن فيه الإعراب في فاعل ، ولا مفعول ، قدّم الفاعل لا غير كقولهم " ضرب عيسى موسى " ، فعيسى هو الفاعل لا غير .

وإن كان الإعراب في أحدهما جاز التّقديم ، والتأخير ، كقولهم : " ضرب زيداً عيسى " ، و " ضرب عيسى زيداً ") .

وقال ابن يعيش - رحمه الله - : ((والإعراب الإبانة عن المعاني باختلاف أواخر الكلم ؛ لتعاقب العوامل في أولها ألا ترى أنّك لو قلتي : " ضرب زيد عمرو " بالسكون من غير إعراب لم يُعلم الفاعل من المفعول؟! . ولو اقتصر في البيان على حفظ المرتبة ، فيُعلم الفاعل بتقدّمه ، والمفعول بتأخّره لضاق المذهب ، ولم يوجد من الاتساع بالتّقديم والتأخير ما يوجد بوجود الإعراب . ألا ترى أنّك تقول : " ضرب زيداً عمراً " ، و " أكرم أخاك أبوك " ، فيُعلم الفاعل برفعه ، والمفعول بِنصبه ، سواء تقدّم أو تأخّر .

فإن قيل : فأنت تقول : " ضرب هذا هذا " ، و " أكرم عيسى موسى " وتقتصر في البيان على المرتبة ، قيل هذا شيءٌ قادت إليه الضّرورة ؛ لتعدّر ظهور الإعراب فيهما

^١ شرح السيرافي على كتاب سيبويه مطبوع بهامش الكتاب ١ / ١٤ .

• ولو ظهر الإعراب فيهما ، أو في أحدهما ، أو وجدت قرينة معنوية ، أو لفظية ، جاز الاتساع بالتقديم والتأخير ، نحو : " ضربَ عيسى زيداً ")^١ .
 فينبُذُح مماً سبق أن الإعراب يعطينا سعة في التعبير ، فنستطيع لذلك أن نقدّم أو نؤخّر حسب ما نريد ، وللتقديم والتأخير هذا فوائد كثيرة ، وله أيضاً أسباب .

الأسباب المقتضية للتقديم

فالعرب . كما عرفنا - يقدّمون في كلامهم ما هم به أهم ، ويبيناه أعنى ، وإن كانا جميعاً يهمانهم ويعنيانهم ، وهذا يستدعي بيان الأسباب المقتضية للتقديم ، والاهتمام ؛ لنتعرّف من خلالها على سعة التعبير في اللغة العربية ، في مواضع من الجمل الخبرية في القرآن الكريم قدّم بعضها على بعض لحكمة تقتضي التقديم في ذلك المقام من حيث المعنى ، أمّا من حيث اللفظ فقد يراعى سبب ذلك ، فيقدّم بعض الألفاظ على بعض بحسب الخفة ، والنقل ، كقولهم : " ربيعة ومضر " ، وكان تقديم مضر أولى لشرفها بالنبي ﷺ ولاتساع قبائلها ، وكثرة فضائلها ، ولكن قدّمت ربيعة ؛ لكثرة الحركات ، وتواليها في لفظ مضر ، فإذا أخّرت ، وقف عليها بالسكون ، فتقلّ حركاتها ، ولكن اعتبار هذا قليل جداً ، والأكثر الغالب إنّما هو اعتبار المعنى ، وذلك بأحد خمسة أشياء ، وهي : الزّمان ، والطّبع ، والرّتبة ، والسبب ، والفضل ، فإذا سبقَ معنى من هذه المعاني إلى الخلد ، والفكر سبقَ اللفظ الدال على ذلك المعنى ، وكان ترتّب الكلام بحسب ذلك ، وهذا كله على وجه الأولوية ، وبيان المناسبة لا على وجه اللزوم ، وأنّه لا يجوز غيره ، بل وقع خلاف ذلك مع عدم المناسبة ، وقد يكون في اللفظ معنيان من هذه الخمسة ، فيقدّم بسبب أحدهما في موضع ، ويؤخّر بسبب الآخر في موضع آخر ؛ لتقدّم ما يكون أهم منه في ذلك الموضع بالنسبة إلى ذلك المعنى^٢ .

^١ شرح ابن يعيش ١ / ٧٢ ، يُنظَر : الإيضاح في علل النحو / ٩١ ، الجمل للزجاجي / ٢٦١ ، الخصائص ١ / ٣٥ - ٣٦ ، شرح الرّضي على الكافية ١ / ٢٤ - ٢٥ ، همع الهوامع ١ / ١٣ ، شرح الأشموني على ألفية ابن ١ / ٤٧ - ٨٤ .

^٢ يُنظَر : الفصول المفيدة في الواو المزيدة / ١١١ - ١١٢ .

تفصيل الأسباب المقتضية للتقديم

قلنا أنّ من أغراض الإعراب سعة التعبير ، بحيث يمكن أن نجعل من تعبير واحد عدّة صور ؛ فنقدّم ونؤخّر في كلمات الجملة لحكمة تقتضي التقديم في ذلك المقام من حيث المعنى ، أو من حيث اللفظ - ولا نستطيع ذلك في اللغات المبنية ، لأنّ المعنى سيتغيّر - •

أسباب التقديم والتأخير

١. أن يكون أصله التقديم ولا مقتضى للعدول عنه :
كتقديم الفاعل على المفعول ، والمبتدأ على الخبر ، وصاحب الحال عليها نحو :
" جاء زيدٌ راكباً "

٢. أن يكون في التأخير إخلال ببيان المعنى ، كقوله تعالى : ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَابٌ ﴾^١ ، فإنّه لو أحرّ قوله : ﴿ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ ﴾ فلا يفهم أنّه منهم •

وجعل السكّاء من الأسباب كون التأخير مانعاً مثل الإخلال بالمقصود ، كقوله تعالى : ﴿ وَقَالَ أَمْلَأْ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِإِيعَابِ الْآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴾^٢ ، بتقديم الحال أعنى : ﴿ مِنْ قَوْمِهِ ﴾ على الوصف أعنى : ﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ ، ولو تأخّر لتوهم أنّه من صفة الدنيا ؛ لأنّها هاهنا اسم تفضيل من الدنو ، وليست أسماً ، والدنو يتعدّى بـ " من " وحينئذ يشتبه الأمر في القائلين أنّهم من قومه أم لا ؟ فقدّم لاشتمال التأخير على الإخلال ببيان المعنى المقصود ، وهو كون القائلين من قومه ، وحين أمن هذا الإخلال بالتأخير قال تعالى في موضع آخر من هذه السورة : ﴿ فَقَالَ أَمْلَأْ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ

^١ سورة غافر / ٢٨ •

^٢ سورة المؤمنین / ٣٣ •

يَنْفَضِّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأُولَى ﴿١﴾ ، بتأخير المجرور عن صفة المرفوع .

٣. أن يكون في التأخير إخلال بالتناسب فيقدم لمشكلة الكلام ولرعاية الفاصلة :

كقوله : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾^٢ ، بتقديم ﴿ إِيَّاهُ ﴾ ، على ﴿ تَعْبُدُونَ ﴾ لمشكلة رعوس الآي .

وكقوله : ﴿ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى ﴾^٣ ، فإنه لو أَّخَّرَ ﴿ فِي نَفْسِهِ ﴾ عن ﴿ مُوسَى ﴾ فات تناسب الفواصل ؛ لأنَّ قبله ﴿ قَالَ بَلْ أَلْفُوا بِإِذَا جِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى ﴾^٤ ، وبعده ﴿ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى ﴾^٥ .
وكقوله : ﴿ سَرَابِيلُهُمْ مِّنْ قَطِرَانٍ وَتَغَشَّىٰ وُجُوهُهُمُ النَّارُ ﴾^٦ ، فإنَّ تأخير الفاعل عن المفعول لمناسبته لما بعده .

وكقوله : ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾^٧ ، وهو أشكل بما قبله ؛ لأنَّ قبله ﴿ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴾^٨ .

وجعل منه السكاكي : ﴿ أَمَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى ﴾^٩ ، بتقديم ﴿ هَارُونَ ﴾ مع أنَّ ﴿ وَمُوسَى ﴾ أحق بالتقديم .

٤. لعظمته والاهتمام به :

وذلك أن من عادة العرب الفصحاء إذا أُخبرت عن مخبر ما ، وأناطت به حكماً ، وقد يشركه غيره في ذلك الحكم ، أو فيما أُخبر به عنه ، وقد عطف أحدهما على

^١ سورة المؤمنین / ٢٤ .

^٢ سورة فصلت / ٣٧ .

^٣ سورة طه / ٦٧ .

^٤ سورة طه / ٦٦ .

^٥ سورة طه / ٦٨ .

^٦ سورة إبراهيم / ٥٠ .

^٧ سورة آل عمران / ١٩ .

^٨ سورة إبراهيم / ٤٩ .

^٩ سورة طه / ٧٠ .

الآخر بالواو المقتضية عدم الترتيب ، فإنهم مع ذلك إنما يبدعون بالأهم ، والأولى قال سيبويه - رحمه الله - : ((كأنهم يقدمون الذي شأنه أهم لهم ، وهم ببيانه أعنى ، وإن كانا جميعاً يهمانهم ويعنيانهم))^١ انتهى .

قال تعالى : ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴾^٢ ، فبدأ بالصلاة ؛ لأنها أهم ، وقال سبحانه ﷻ : ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ﴾^٣ .
وقال تعالى : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾^٤ ، فقدّم العبادة للاهتمام بها ، ومنه تقدير المحذوف في " بسم الله " مؤخراً ، وأوردوا : ﴿ بِأَسْمِ رَبِّكَ ﴾^٥ ، وأجيب بوجهين :

أحدهما : أن تقديم الفعل هناك أهم ؛ لأنها أول سورة نزلت .
والثاني : أن : ﴿ بِأَسْمِ رَبِّكَ ﴾ متعلق بـ ﴿ أَفْرَأُ ﴾ الثاني ، ومعنى الأول أوجد القراءة ، والقصد التعميم .

٥. أن يكون الخاطر ملتفتاً إليه ، والهمة معقودة به :

وذلك كقوله تعالى : ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ ﴾^٦ ، بتقديم المجرور على المفعول الأول ؛ لأنّ الإنكار متوجّه إلى الجعل لله لا إلى مطلق الجعل .
٦. أن يكون التّقديم لإرادة التّبكيّة ، والتّعجب من حال المذكور :

كتقديم المفعول الثاني على الأول في قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنِّ ﴾^٧ ، والأصل " الجن شركاء " ، وقدّم لأنّ المقصود التّوبيخ ، وتقديم الشركاء أبلغ في حصوله .

ومنه قوله تعالى في سورة يس : ﴿ وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى ﴾^١ .

^١ الكتاب / .

^٢ سورة البقرة / ٤٣ .

^٣ سورة التغابن / ١٢ .

^٤ سورة الفاتحة / ٥ .

^٥ سورة العلق / ١ .

^٦ سورة الأنعام / ١٠٠ .

^٧ سورة الأنعام / ١٠٠ .

٧. الاختصاص وذلك بتقديم المفعول والخبر والظرف والجار والمجرور ونحوها على الفعل :

- كقوله تعالى : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾^٢ ، أي نخصك بالعبادة فلا نعبد غيرك .
- وقوله : ﴿إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾^٣ ، أي إن كنتم تخصونه بالعبادة .
- والخبر كقوله : ﴿قَالَ أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي﴾^٤ .
- وقوله : ﴿وَوَظَنُوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِّنَ اللَّهِ﴾^٥ .
- وأما تقديم الظرف ففيه تفصيل ؛ فإن كان في الإثبات دللاً على الاختصاص ، كقوله تعالى : ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾^٦ .
- وكذلك : ﴿لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ﴾^٧ ، فإن ذلك يفيد اختصاص ذلك بالله تعالى
- وقوله : ﴿لِإِلَهِ اللَّهِ تُخَشِرُونَ﴾^٨ ، أي لا إلى غيره .
- وقوله : ﴿لَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً﴾^٩ ، أخرت صلة الشهادة في الأول ، وقدمت في الثاني ؛ لأن الغرض في الأول إثبات شهادتهم على الأمم ، وفي اختصاصهم بكون الرسول شهيداً عليهم .
- وقوله : ﴿وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولاً﴾^{١٠} ، أي لجميع الناس ؛ من العجم والعرب على أن التعريف للاستغراق ، وإن كان في النفي ، فإن تقديمه يفيد تفضيل المنفى عنه ، كما في قوله تعالى : ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ﴾^{١١} ، أي ليس في خمر الجنة ما في خمرة غيرها من الغول .

^١ سورة يس / ٢٠ .

^٢ سورة الفاتحة / ٥ .

^٣ سورة البقرة / ١٧٢ .

^٤ سورة مريم / ٤٦ .

^٥ سورة الحشر / ٢ .

^٦ سورة الغاشية / ٢٥ - ٢٦ .

^٧ سورة التغابن / ١ .

^٨ سورة آل عمران / ١٥٨ .

^٩ سورة البقرة / ١٤٣ .

^{١٠} سورة النساء / ٧٩ .

^{١١} سورة فصلت / ٤٧ .

وأما تأخيره ، فإنها تفيد النفي فقط ، كما في قوله : ﴿ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾^١ ، وكذلك إذا قلنا : " لا عيب في الدار " كان معناه نفي العيب في الدار ، وإذا قلنا : " لا في الدار عيب " كان معناه أنها تفضل على غيرها بعدم العيب .

تنبيه : ما ذكرناه من أن تقديم المعمول يفيد الاختصاص ، فهمه الشيخ أبو حيان في كلام الزمخشري ، وغيره والذي عليه محققو البيانين أن ذلك غالب لا لازم بدليل قوله تعالى : ﴿ كَلَّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ ﴾^٢ ، وقوله : ﴿ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ ﴾^٣ ، إن جعلنا ما بعد الظرف مبتدأ .

وقد رد صاحب الفلك الدائر القاعدة بالآية الأولى ، وكذلك ابن الحاجب ، والشيخ أبو حيان ، وخالفوا البيانين في ذلك ، وأنت إذا علمت أنهم ذكروا في ذلك قيد الغلبة سهل الأمر نعم له شرطان :

أحدهما : ألا يكون المعمول مقدماً بالوضع ، فإن ذلك لا يسمي تقديماً حقيقة ، كاسم الاستفهام ، وكالمبتدأ عند من يجعله معمولاً لخبره .

والثاني : ألا يكون التقديم لمصلحة التركيب مثل : ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ ﴾^٤ ، على قراءة النصب .

وقد اجتمع الاختصاص وعدمه في آية واحدة ، وهي قوله : ﴿ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * بَلْ إِلَهُهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴾^٥ ، التقديم في الأول قطعاً ليس للاختصاص بخلاف الثاني^٦ .

^١ سورة البقرة / ٢ .

^٢ سورة الأنعام / ٨٤ .

^٣ سورة إبراهيم / ١٠ .

^٤ سورة فصلت / ١٧ .

^٥ سورة الأنعام / ٤٠ - ٤١ .

^٦ يُنظَر : البرهان في علوم القرآن ٣ / ٢٣٣ - ٢٣٨ .

ومن أمثلة سعة الكلام عن طريق الإعراب ، مثلاً قولك : " حسبَ الظَّمَانُ السَّرَابَ ماءً " فأنت تستطيع أن تجعل هذه الجملة بصور متعددة ، كلّها واضحة المعنى ، وتحمل معنى عاماً واحداً ، فنقول :

١. حسبَ الظَّمَانُ السَّرَابَ ماءً .
٢. حسبَ الظَّمَانُ ماءً السَّرَابَ .
٣. حسبَ ماءً الظَّمَانُ السَّرَابَ .
٤. ماءً حسبَ الظَّمَانُ السَّرَابَ .
٥. حسبَ السَّرَابَ الظَّمَانُ ماءً .
٦. السَّرَابَ حسبَ الظَّمَانُ ماءً .
٧. الظَّمَانُ حسبَ السَّرَابَ ماءً .
٨. الظَّمَانُ السَّرَابَ حسبَ ماءً .
٩. الظَّمَانُ ماءً حسبَ السَّرَابَ .
١٠. الظَّمَانُ السَّرَابَ ماءً حسبَ .
١١. السَّرَابَ الظَّمَانُ حسبَ ماءً .
١٢. السَّرَابَ ماءً حسبَ الظَّمَانُ .
١٣. السَّرَابَ ماءً الظَّمَانُ حسبَ .
١٤. ماءً الظَّمَانُ حسبَ السَّرَابَ .
١٥. ماءً السَّرَابَ حسبَ الظَّمَانُ .
١٦. ماءً الظَّمَانُ السَّرَابَ حسبَ .

فأنت ترى أنّ هذه الجمل مكونة من كلمات واحدة ، فقدّمت وأخّرت حسب الأهميّة ، وفي جميع هذه الجمل الفاعل " الظَّمَانُ " ، وعُرف من الضمّة الواقعة في آخره . وهذا الأمر تفتقده اللغات المبنية .

ومثل ذلك قولك : " أعطى المعلمُ الطالبَ جائزةً " ، فأنت تستطيع أن تأتي منها
بجمل متعددة ، بصور مختلفة عن هذه الجملة ، ومن نفس الكلمات ، فنقول :

١. أهدى المعلمُ الطالبَ كتاباً .
٢. أهدى المعلمُ كتاباً الطالبَ .
٣. أهدى الطالبَ المعلمُ كتاباً .
٤. أهدى الطالبَ كتاباً المعلمُ .
٥. أهدى كتاباً المعلمُ الطالبَ .
٦. أهدى كتاباً الطالبَ المعلمُ .
٧. المعلمُ أهدى الطالبَ كتاباً .
٨. المعلمُ أهدى كتاباً الطالبَ .
٩. المعلمُ كتاباً أهدى الطالبَ .
١٠. المعلمُ الطالبَ كتاباً أهدى .
١١. الطالبَ كتاباً أهدى المعلمُ .
١٢. الطالبَ كتاباً المعلمُ أهدى .
١٣. الطالبَ أهدى المعلمُ كتاباً .
١٤. كتاباً أهدى المعلمُ الطالبَ .
١٥. كتاباً الطالبَ أهدى المعلمُ .
١٦. كتاباً الطالبَ المعلمُ أهدى .

ثالثاً : الدقة في التعبير

ومن فوائد الإعراب أنه يمنح اللغة غناءً ، ودقةً في التعبير عن المعاني ، بحيث يُمكن المتكلم من التعبير بدقة عن المعاني التي يريد الحديث عنها ، ولا نجد لهذا نظيراً في اللغات المبنية الأخرى^١ .

وتوضيح ذلك أننا قلنا في " سعة التعبير " : أننا نستطيع من جملة واحدة نستطيع أن نأتي بعدة صيغ مختلفة ، مع بقاء المعنى العام ، فمثلاً جملة : " أعطى المعلم الطالب جائزة " يمكننا أن نصيغ منها عدة صور مختلفة ، ولكل صورة منها معنى جديداً لا نجده في الجملة الأخرى ، مع أن المعنى العام واحد ، وهو أن المعلم أعطى الطالب جائزة .

واليك إيضاح هذه المسألة بشيء من الإيجاز :

١. أعطى المعلم الطالب جائزة :

هذه جملة خبرية ابتدائية فعلية قدم فيها الفعل ؛ لأنه تعبير ابتدائي ، فالمخاطب خالي الذهن عن الموضوع ، فلا يعلم عنه شيء من قبل ، فكأنه جواب لمن سأل : ماذا حدث ؟ ، فنقول له : " أعطى المعلم الطالب جائزة " .

٢. المعلم أعطى الطالب جائزة :

٣.

هذه جملة خبرية طلبية تُقال لمن يعلم أن شخصاً ما أعطى الطالب جائزة ، ولكنه لا يعلم المُعطي من يكون ، أو كان يظن أنه غير المعلم ، فيصح له هذا الوهم ، فكأنه سأل : من أعطى الطالب جائزة ؟ ، فأجيب : المعلم أعطى الطالب جائزة ، بحيث أكد له أن المُعطي هو المعلم لا غير .

٤. الطالب أعطى المعلم جائزة :

^١ يُنظر : معاني النحو / ٣٩ .

هذه جملة خبرية طلبية تُقال لمن يعلم أنّ المعلمَ أعطى جائزةً لشخصٍ ما ، ولكنه لا يعلم من هو هذا الشخص المُعطى ، أو كان يظنُّ أنّه غير الطالب ، فكأنّه سأل : مَنْ الذي أعطاهُ المعلمُ جائزةً ؟ ، فأجيبَ : الطالبَ أعطى المعلمُ جائزةً ، فقدّم الذي يهّمُ السائلُ أولاً .

٥. جائزةً أعطى المعلمُ الطالبَ :

فهذه جملة خبرية طلبية تُقال لمن يعلم أنّ المعلمَ أعطى الطالبَ شيئاً ما ، ولكنه لا يعلم هذا الشيء ، أو كان يظنُّ أنّه شيءٌ معنوي غير ملموسٍ ، فكأنّه سأل : ماذا أعطى الطالبَ المعلمُ ؟ ، فأجيبَ : جائزةً أعطى المعلمُ الطالبَ ، فقدّم الذي يهّمُ السائلُ أولاً .

٦. الطالبَ جائزةً المعلمُ أعطى :

فهذه جملة خبرية طلبية تُقال لمن يعلم أنّ المعلمَ أعطى شخصاً ما شيئاً ما ، فهو يجهل المُعطى ، والشيء الذي أُعطي إليه ، فيقال له هذا التعبير لإيضاح ما يجهله ، وكأنّه سأل : مَنْ أعطى المعلمُ ؟ ، ماذا أعطاهُ ؟ ، فأجيبَ : الطالبَ جائزةً المعلمُ أعطى ، بحيث قدّم الذي يهّمُ السائلُ أولاً .

٧. المعلمُ الطالبَ أعطى جائزةً :

فهذه جملة خبرية طلبية تُقال لمن يعلم أنّ شخصاً ما أعطى آخر جائزةً ، ولكن لا يعلمُ الشخصَ المُعطى ، ولا المُعطى ، فكأنّه سأل : مَنْ أعطى جائزةً ؟ ولمنَ أعطاهَا ؟ ، فأجيبَ : المعلمُ الطالبَ أعطى جائزةً ، فقدّم ما هو جاهلٌ به أولاً .

٨. المعلمُ جائزةً أعطى الطالبَ :

فهذه جملة خبرية طلبية تُقال لمن يعلم أنّ شخصاً أعطى الطالبَ شيئاً ما ، ولكنه لا يعلمُ المُعطى ، ولا ماذا أعطى ، فبيّن له ذلك ، فكأنّه سأل : مَنْ أعطى الطالبَ ؟ ، وماذا أعطاهُ ؟ ، فأجيبَ : المعلمُ جائزةً أعطى الطالبَ . بحيث قدّم الذي يهّمُ السائلُ أولاً .

٩. المعلمُ الطالبَ جائزةً أعطى :

فهذه جملة خبرية طلبية تُقال لمن يعلم أنّ شخصاً ما أعطى شخصاً آخر ، ولكنّه لا يعلم الشخص المُعطي ، ولا المُعطى ، ولا ماذا أعطاه ، فبيّن له ذلك ، فكأنّه سأل : من المُعطي ، ومن المُعطى ، وما أعطاه ؟ ، فأجيب : المُعلّم الطّالب جائزةً أعطى .

١٠ . أعطى الطّالب جائزةً المُعلّم

فالجملة فعلية فُدم فيها المفعولان على فاعلها ؛ لأهميتهما ، كما قال سيبويه - رحمه الله - : ((كأنّهم يقدّمون الذي بيانه أهم لهم ، وهم بشأنه أعنى ، وإن كانا جميعاً يهمانهم ، ويعنيانهم))^١ ؛ لأنّ المُعلّم الأصل فيه أن يُعطى ، فلا غرابة في الإخبار عن ذلك ، ولكنّ الغريب أن يُعطى هذا الطّالب بالذات جائزةً ، فالغرابة في هذا الطّالب الذي أعطاه المُعلّم ، وفي الشّيء الذي أعطاه إيّاه . فإنّ هذا الطّالب لم يُعطى من قبل ، ولا هو من الطّلاب المعروفين ، أو المبرزين ، ولكن هذه المرّة الأولى ، وهي غير متوقّعة ، وكذا أعطاه جائزةً ، فهو أيضاً أمرٌ جديدٌ عليه ، قدّم هذين الشّيئين ؛ لأهميتهما ، وغرابتها .

١١ . أعطى جائزةً المُعلّم الطّالب :

هذه جملة خبرية فعلية يُقال إذا كان من شأن المُعلّم إعطاء الطّالب ، ولكنّ الاهتمام وقع على ذكر الجائزة ؛ لأنّه كان منتظر أن لا يعطيه جائزةً هذه المرّة ، وإنّما المتوقّع غير ذلك ، فقدّم لغرابتها هذه المرّة .

فيُتضح ممّا سبق أنّ الإعراب يعطينا سعة في التعبير ، ودقّة في المعاني ، فنستطيع لذلك أن نقدّم أو نوخّر حسب ما نريد ، وللتقدّم والتأخير هذا فوائد كثيرة ، وله أيضاً أسباب .

قال عبد القاهر الجرجاني - رحمه الله - : ((فصل في التّقديم ، والتّأخير : هو باب كثير الفوائد جمّ المحاسن واسع النَّصْرُف بعيد الغاية ، لا يزال يفتر لك عن بديعة ويفضي بك إلى لطيفة ، ولا تزال ترى شعراً يروقك مسمعه ، ويلطف لديك موقعه ، ثمّ

^١ كتاب سيبويه ١ / ١٥ .

تتظر ، فتجد سبب أن راقك ، ولطف عندك أن قدّم فيه شيء ، وحوّل اللفظ عن مكان إلى مكان واعلم أننا لم نجدهم اعتمدوا فيه شيئاً يجري مجرى الأصل غير العناية والاهتمام ، قال صاحب الكتاب - وهو يذكر الفاعل والمفعول - : ((كأنهم يقدمون الذي بيانه أهم لهم ، وهم بشأنه أعنى ، وإن كانا جميعاً يهمانهم ، ويعنيانهم))^١ . . .

وقال النحويون : إن معنى ذلك أنه قد تكون أغراض الناس في فعل ما أن يقع بإنسانٍ بعينه ، ولا يباليون من أوقعه ، كمثل ما يعلم من حالهم في حال الخارجي يخرج ، فيعيث ، ويفسد ، ويكثر في الأذى أنهم يريدون قتله ، ولا يباليون من كان القتل منه ، ولا يعينهم منه شيء ، فإذا قتل وأراد مريد الإخبار بذلك ، فإنه يقدم ذكر الخارجي ، فيقول : " قتل الخارجي زيد " ، ولا يقول : " قتل زيد الخارجي " ؛ لأنه يعلم أن ليس للناس في أن يعلموا أن القاتل له " زيد " جدوى وفائدة ، فيعنيهم ذكره ويهمهم ويتصل بمسرتهم ، ويعلم من حالهم أن الذي هم متوقعون له ، ومتطلعون إليه متى يكون ، وقوع القتل بالخارجي المفسد ، وأنهم قد كفوا شره ، وتخلصوا منه .

ثم قالوا : فإن كان رجل ليس له بأس ، ولا يقدر فيه أنه يقتل ، فقتل رجلاً ، وأراد المخبر أن يخبر بذلك ، فإنه يقدم ذكر القاتل ، فيقول : " قتل زيد رجلاً " ؛ ذلك لأن الذي يعنيه ، ويعني الناس من شأن هذا القتل طرفته ، وموضع الثدرة فيه ، وبعده كان من الظن ، ومعلوم أنه لم يكن نادراً وبعيداً من حيث كان واقعاً بالذي وقع به ، ولكن من حيث كان واقعاً من الذي وقع منه ، فهذا جيد بالغ ، إلا أن الشأن في أنه ينبغي أن يعرف في كل شيء قدم في موضع من الكلام مثل هذا المعنى ، ويفسر وجه العناية فيه هذا التفسير ، وقد وقع في ظنون الناس أنه يكفي أن يقال إنه قدم للعناية ، ولأن ذكره أهم من غير أن يذكر من أين كانت تلك العناية ، وبم كان أهم ، ولتخليهم ذلك قد صغر أمر ، التقديم والتأخير ، في نفوسهم ، وهونوا الخطب فيه ، حتى إنك لترى أكثرهم يرى تتبّعه ، والنظر فيه ضرباً من التكلّف ، ولم تر ظناً أزرى على صاحبه من هذا ، وشبهه .

وكذلك صنعوا في سائر الأبواب ، فجعلوا لا ينظرون في الحذف ، والتكرار ،
والإظهار ، والإضمار ، والفصل ، والوصل ، ولا في نوع من أنواع الفروق ، والوجه^١

فمن خلال هذا يتأكد لنا أهمية الإعراب ؛ حيث أتاح لنا التوسُّع في التعبير
بالتقديم ، والتأخير ليتيح لنا مجالاً واسعاً في صياغة الأساليب المتعددة لتتوصَّل إلى
المعنى الذي نريد ، بكلمات قليلة ، في حين لا تجد ذلك في اللغات المبنية .

^١ دلائل الإعجاز / ٩٦ - ٩٨ .

التقديم والتأخير

التقديم والتأخير في النفي

فر) إذا قلت : " ما فعلتُ " كنت نفيت عنك فعلاً لم يثبت أنه مفعول ، وإذا قلت : " ما أنا فعلتُ " كنت نفيت عنك فعلاً ثبت أنه مفعول ، تفسير ذلك أنك إذا قلت : " ما فعلتُ هذا " كنت نفيت أن تكون قد قلت ذلك ، وكنت نوظرت في شيء ثبت أنه مقول ، وكذلك إذا قلت : " ما ضربتُ زيداً " كنت نفيت عنك ضربه ، ولم يجب أن يكون قد ضرب ، بل يجوز أن يكون قد ضربه غيرك ، وأن لا يكون قد ضرب أصلاً ، وإذا قلت : " ما أنا ضربتُ زيداً " لم نقله إلاً وزيداً مضروباً ، وكان القصد أن تنفي أن تكون أنت الضارب ، ومن أجل ذلك صلح في الوجه الأول أن يكون المنفي عامّاً ، كقولك : " ما قلت شعراً قطُ " ، و " ما أكلت اليوم شيئاً " ، و " ما رأيتُ أحداً من الناس " ، ولم يصلح في الوجه الثاني ، فكان خلفاً أن تقول : " ما أنا قلت شعراً قطُ " ، و " ما أنا أكلتُ اليوم شيئاً " وما أنا رأيتُ أحداً من الناس " ، وذلك لأنه يقتضي المحال ، وهو أن يكون هاهنا إنسان قد قال كلَّ شعر في الدنيا ، وأكل كلَّ شيء يؤكل ، ورأى كل أحد من الناس ، فنفيت أن تكونه ويجيء لك هذا الفرق على وجهه في تقديم المفعول ، وتأخيره ، فإذا قلت : " ما ضربتُ زيداً " ، فقدّمت الفعل كان المعنى أنك قد نفيت أن يكون قد وقع ضرب منك على زيد ، ولم تعرض في أمر غيره لنفي ، ولا إثبات ، وتركته مبهماً محتملاً ، وإذا قلت : " ما زيداً ضربتُ " ، فقدّمت المفعول كان المعنى على أن ضرباً وقع منك على إنسان ، وظنّ أن ذلك الإنسان زيد ، فنفيت أن يكون إياه ، فلك أن تقول في الوجه الأول : " ما ضربتُ زيداً ، ولا أحداً من الناس " ، وليس لك في الوجه الثاني ، فلو قلت : " ما زيداً ضربتُ ، ولا أحداً من الناس " كان فاسداً على ما مضى في الفاعل .

ومما ينبغي أن تعلمه أنه يصحُّ لك أن تقول : " ما ضربتُ زيداً ، ولكني أكرمته " ، فتعقب الفعل المنفي بإثبات فعل هو ضده ، ولا يصحُّ أن تقول : " ما زيداً ضربتُ ، ولكني أكرمته " ، وذلك أنك لم ترد أن تقول : لم يكن الفعل هذا ، ولكن ذاك ، ولكنك أردت أنه لم يكن المفعول هذا ، ولكن ذاك ، فالواجب إذاً أن تقول : " ما زيداً ضربتُ ،

ولكن عمراً " ، وحكم الجار مع المجرور في جميع ما ذكرنا حكم المنصوب ، فإذا قلت : " ما أمرتك بهذا " كان المعنى على نفي أن تكون قد أمرته بذلك ، ولم يجب أن تكون قد أمرته بشيء آخر ، وإذا قلت : " ما بهَذَا أَمَرْتُكَ " كنت قد أمرته بشيء غيره)^١ .

ثُمَّ تَحَدَّثَ - رحمه الله - عن التَّقْدِيم ، والتَّأخِير في الخبر المثبت ، فقال : ((واعلم أَنَّ هذا الذي بان لك في ٠٠ النَّفْي من المعنى في التَّقْدِيم قائم مثله في الخبر المثبت ، فإذا عمدت إلى الذي أردت أن تحدث عنه بفعل ، فقدمت ذكره ، ثم بنيت الفعل عليه ، فقلت : " زيدٌ قد فعلَ " ، و " أنا فعلتُ " ، و " أنتَ فعلتَ " اقتضى ذلك أن يكون القصد إلى الفاعل إلا أن المعنى في هذا القصد ينقسم قسمين :

أحدهما : جلي لا يشكك ، وهو أن يكون الفعل فعلاً قد أردت أن تنص فيه على واحد ، فتجعله له ، وتزعم أنه فاعله دون واحد آخر ، أو دون كل أحد ، ومثال ذلك أن تقول : " أنا كتبتُ في معنى فلان ، وأنا شفعت في بابه " تريد أن تدعي الانفراد بذلك ، والاستبداد به ، وتزيل الاشتباه فيه ، وترد على من زعم أن ذلك كان من غيرك ، أو أن غيرك قد كتب فيه ، كما كتبت ، ومن البين في ذلك قولهم في المثل : " أَتُعَلِّمُنِي بِضَبِّ أَنَا حَرَشْتُهُ " ^٢ .

والقسم الثاني : أن لا يكون القصد إلى الفاعل على هذا المعنى ، ولكن على أنك أردت أن تحقق على السامع أنه قد فعل ، وتمنعه من الشك ، فأنت لذلك تبدأ بذكره ، وتوقعه أولاً ، ومن قبل أن تذكر الفعل في نفسه ؛ لكي تباعده بذلك في الشبهة ، وتمنعه من الإنكار ، أو من أن يظن بك الغلط ، أو التزويد ، ومثاله قولك : " هُوَ يُعْطِي الْجَزِيلَ ، وَهُوَ يَحِبُّ النَّأءَ " لا تريد أن تزعم أنه ليس هاهنا من يعطي الجزيل ، ويحبُّ النَّأءَ غيره ، ولا أن تعرض بإنسان ، وتحطه عنه ، وتجعله لا يعطي كما يعطي ، ولا يرغب كما يرغب ، ولكنك تريد أن تحقق على السامع أن إعطاء الجزيل ، وحبَّ النَّأءَ دأبه ، وأن تمكن ذلك في نفسه . ومثاله في الشعر :

^١ دلائل الإعجاز / ١٠٨ - ١١٠ .

^٢ يقول هذا المثل العالم بالشئ لمن يريد تعليمه إياه .

هُمُ يَفْرِشُونَ اللَّبْدَ كُلَّ طِمْرَةٍ وَأَجْرَدَ سَبَّاحٍ بَيْدُ الْمُغَالِيَا^١

لم يرد أن يدعي لهم هذه الصفة دعوى من يفردهم بها ، وينص عليهم فيها حتى كأنه يعرض بقوم آخرين ، فينفي أن يكونوا أصحابها . هذا محال ! وإنما أراد أن يصفهم بأنهم فرسان يمتهدون سهوات الخيل ، وأنهم يقتعدون الجياد منها^٢ وأن ذلك دأبهم ، من غير أن يعرض لنفيه عن غيرهم ، إلا أنه بدأ بذكرهم ؛ لينبه السامع لهم ، ويعلم بدياً^٣ قصده إليهم بما في نفسه من الصفة ؛ ليمنعه بذلك من الشك ، ومن توهم أن يكون قد وصفهم بصفة ليست هي لهم ، أو أن يكون قد أراد غيرهم ، فغلط إليهم ، وأبين من الجميع قوله تعالى : ﴿ وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴾^٤ ، وقوله - عز وجل - : ﴿ وَإِذَا جَاءَ أَوْكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكَفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ ﴾^٥ ، وهذا الذي قد ذكرت من أن تقديم ذكر المحدث عنه يفيد التنبيه له ، قد ذكره صاحب الكتاب^٦ في المفعول إذا قدم ، فرفع بالابتداء ، وبني الفعل الناصب كان له عليه ، وعددي إلى ضميره ، فشغل به ، كقولنا في " ضربت عبد الله " : " عبد الله ضربته " ، فقال : وإنما قلت : " عبد الله " ، فنيته له ، ثم بنيت عليه الفعل ، ورفعته بالابتداء^٧ .

وقال عبد القاهر الجرجاني - رحمه الله - بعد أن استرسل في أهمية التقديم ، وتقديم الذي تريد التحدث عنه ، وما يضيفي للتعبير من معنى : ((جملة الأمر أنه ليس إعلامك الشيء بغتة مثل إعلامك له بعد التنبيه عليه ، والتقدمة له ؛ لأن ذلك يجري

^١ البيت من البحر الطويل ، للمعدل بن عبد الله الليثي . اللبد : الصوف ، أو الشعر المتلبد ، وقد جرت العادة بوضع قطعة منه على ظهر الفرس تحت السرج للينة . والطمرة : أنثى الطمر ، وهو الفرس الجواد . والأجرد : الفرس القصير الشعر . والسباح : الذي يشبه عدوه السباحة . بيد : يغلب ، فهو يصفهم بالفروسية وجودة المطاردة ، فهم يفرشون اللبد أي يجعلون اللبد فراشا للظهور يقال فرشت الفراش وأفرشنيه فلان ، أي جعلني أفرشه . يُنظر : ديوان الحماسة ٢ / ٣٥٩ ، وشرح ديوان الحماسة ٢ / ٤١ ، وشرح التبرير ٤ / ١٣٦ ، والإيضاح في علوم البلاغة ، للقزويني / ٦٠ .

^٢ أي : يملكونها ، ويريطونها من اعتقد إذا اتخذ عقدة ، أي : عقاراً .

^٣ أي : أولاً ، وابتداءً .

^٤ سورة الفرقان / ٣ .

^٥ سورة المائدة / ٦١ .

^٦ الكتاب / .

^٧ دلائل الإعجاز / ١١٠ - ١١٢ .

مجري تكرير الإعلام في التأكيد ، والإحكام ، ومن هاهنا قالوا : إِنَّ الشَّيْءَ إِذَا أَضْمَرَ ، ثُمَّ فَسَّرَ كَانَ ذَلِكَ أَفْخَمَ لَهُ مِنْ أَنْ يَذَكَرَ مِنْ غَيْرِ تَقَدُّمِ إِضْمَارِ ، وبِدَلٍ عَلَى صِحَّةِ مَا قَالُوهُ أَنَّا نَعْلَمُ ضَرُورَةَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبَ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾^١ ، فخامة ، وشرفاً ، وروعة لا نجد منها شيئاً في قولنا : " فَإِنَّ الْأَبْصَارَ لَا تَعْمَى " ، وكذلك السبيل أبداً في كلِّ كلامٍ كان فيه ضمير قصّة ، فقوله تعالى : ﴿ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴾^٢ ، يفيد من القوّة في نفي الفلاح عن الكافرين ، ما لو قيل : " إِنَّ الْكَافِرِينَ لَا يَفْلِحُونَ " لم يفد ذلك ، ولم يكن ذلك كذلك إلا لأنك تعلمه إياه من بعد تقدمة ، وتنبيه أنت به في حكم من بدأ ، وأعاد ، ووطّد ، ثُمَّ بَيَّنَّ ، وَلَوْحَ ، ثُمَّ صَرَّحَ . ولا يخفى مكان المزية فيما طريقه هذا الطريق))^٣ .

والذي يؤكّد لنا ما قلناه من أن تقديم الشيء الذي نتحدّث عنه يقتضي تأكيد الخبر ، وتحقيقه له ما ذكرناه من قبل في الخبر الإنكاري ، من أنه يأتي مؤكّداً بعدة مؤكّدات ، كي يزيل الإنكار من ذهن المخاطب ، فلو تأملنا ذلك لوجدنا هذا الضرب من الكلام يجيء فيما سبق فيه إنكار من منكر ، نحو أن يقول لك أحدٌ : " لَيْسَ لِي عِلْمٌ بِالذِّي تَقُولُ " ، فنقول له : " أَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ الْأَمْرَ عَلَى مَا أَقُولُ ، وَلَكِنَّكَ تَمِيلُ إِلَى خَصْمِي " .

((وكقوله تعالى : ﴿ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾^٤ ، فهذا من أبين شيء ، وذاك أن الكاذب لا سيما في الذي لا يعترف بأنه كاذب ، وإذا لم يعترف بأنه كاذب ، كان أبعد من ذلك أن يعترف بالعلم بأنه كاذب ، أو يجيء فيما اعترض فيه شكٌ ، نحو أن يقول الرَّجُلُ : " كَأَنَّكَ لَا تَعْلَمُ مَا صَنَعَ فَلَانٌ ، وَلَمْ يَبْلُغَكَ " ، فيقول : " أَنَا أَعْلَمُ ، وَلَكِنِّي أَدَارِيهِ " ، أو في تكذيب مدّع ، كقوله عزّ وجلّ : ﴿ وَإِذَا جَاءَ عُرُوكُمْ قَالُوا ءَأَمْنَا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكَفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ ﴾^٥ ، وذلك أن قولهم " آمنة " دعوى منهم أنهم لم يخرجوا بالكفر كما

^١ سورة الحج / ٤٦ .

^٢ سورة المؤمنين / ١١٧ .

^٣ دلائل الإعجاز / ١١٣ .

^٤ سورة آل عمران / ٧٥ .

^٥ سورة المائدة / ٦١ .

دخلوا به ، فالموضع موضع تكذيب ، أو فيما القياس في مثله أن لا يكون ، كقوله تعالى : ﴿ وَأَتَّخِذُوا مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴾^١ ، وذلك أن عبادتهم لها تقتضي أن لا تكون مخلوقة ، وكذلك في كل شيء كان خبراً على خلاف العادة ، وعمّا يستغرب من الأمر ، نحو أن نقول : " ألا تعجب من فلان يدعي العظيم ، وهو يعيا باليسير ، ويزعم أنه شجاع ، وهو يفزع من أدنى شيء " .

ومما يحسن ذلك فيه ، ويكثر الوعد ، والضمان ، كقول الرجل : " أنا أعطيك ، أنا أكفيك ، أنا أقوم بهذا الأمر " ، وذلك أن من شأن من تعدّه ، وتضمن له أن يعترضه الشك في تمام الوعد ، وفي الوفاء به ، فهو من أحوج شيء إلى التأكيد ، وكذلك يكثر في المدح ، كقولك : " أنت تعطي الجزيل ، أنت تقري في المحلّ ، أنت تجود حين لا يجود أحد " ، وكما زهير بن أبي سلمى :

وَلَأَنْتَ تَقْرِي مَا خَلَقْتَ وَبَعْدَ ضُ الْقَوْمِ يَخْلُقُ نَمَّ لَا يَفْرِي^٢

وكقول الآخر^٣ :

نَحْنُ فِي الْمَشْتَاةِ نَدْعُو الْجَفَلَى « لَا تَرَى الْآدِبَ فِينَا يَنْتَوِرُ »^٤

وذلك أن من شأن المادح أن يمنع السامعين من الشك فيما يمدح به ، ويباعدهم من الشبهة ، وكذلك المفتخر ، ويزيدك بياناً أنه إذا كان الفعل ممّا لا يشك فيه ، ولا ينكر

^١ سورة الفرقان / ٣ .

^٢ البيت لزهير بن أبي سلمى من بحر الكامل من قصيدة يمدح فيها هرم بن سنان مطلعها :

لمن الديار بقنّة الحجر أفوين من حجج ومن شهر

فرى الشيء يفريه قطعه . والخلق التقدير ، والذي يصنع شيئاً من الجلود ، ونحوه على مثالي سابق ، والفعل يقدر ثم يقطع ، ويفصل . يُنظَر : ديوانه / ٩٤ ، والكتاب ٢ / ٢٨٩ ، وتهذيب اللغة ، لمحمد بن أحمد الأزهري ، بعناية تلة من المحققين - القاهرة ١٩٦٤ م ٧ / ٢٦ ، ١٥ / ٢٤٢ ، ومقاييس اللغة ٢ / ٢١٤ ، ٤ / ٤٩٧ ، شرح شواهد الشافية / ٢٩ .

^٣ طرفة بن العبد .

^٤ البيت في ديوان طرفة بن العبد من بحر الرمل من قصيدة طويلة مطلعها :

ولي الأصل الذي في مثله يصلح الابزرع المؤنبر

المشتا ، والمشتاة : مكان الشتاء ، وزمانه . والجفلى : الدعوة العامة إلى الطعام ، والبيت . والشطر

النائي بمعنى : أن الذين يأدبون المآدب ممّا لا ينتقرون الضيوف . بل يدعونهم دعوة عامّة

يُنظَر : ديوان طرفة بن العبد / ٥٥ .

بحال لم يكديجيء على هذا الوجه ، ولكن يُوتى به غير مبني على اسم ، فإذا أخبرت بالخروج مثلاً عن رجل من عاداته أن يخرج في كلِّ غداة قلت : " قد خرج " ، ولم تحتج إلى أن تقول : " هو قد خرج " ؛ ذاك لأنه ليس بشيء يشكُّ فيه السامع ، فحتاج أن تحقِّقه ، وإلى أن تقدِّم فيه ذكر المحدث عنه ٠٠٠ وإنما الكلام البليغ هو أن تبدأ بالاسم ، وتبني الفعل عليه ٠٠٠ ومما هو بهذه المنزلة في أنك تجد المعنى لا يستقيم إلا على ما جاء عليه من بناء الفعل على الاسم ، قوله تعالى : ﴿ إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ﴾^١ ، وقوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾^٢ ، وقوله تعالى : ﴿ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾^٣ ، فإنه لا يخفى على من له ذوق أنه لو جيء في ذلك بالفعل غير مبني على الاسم ، فقيل : " إن وليي الله الذي نزل الكتاب ويتولى الصالحين " ، و " اكتتبها ، فتملى عليه " ، و " حشر لسليمان جنوده من الجن ، والإنس ، والطير ، فيوزعون " ، لوجد اللفظ قد نبا عن المعنى ، والمعنى قد زال عن صورته ، والحال التي ينبغي أن يكون عليها ٠

واعلم أنَّ هذا الصنيع يقتضي في الفعل المنفي ما اقتضاه في المثبت ، فإذا قلت : " أنت لا تحسنُ هذا " كان أشدَّ لنفي إحسان ذلك عنه من أن تقول : " لا تحسنُ هذا " ، ويكون الكلام في الأول مع من هو أشدَّ إعجاباً بنفسه ، وأعرض دعوى في أنه يحسن ، حتى إنك لو أتيت بـ " أنت " فيما بعد تحسن ، فقلت : " لا تحسنُ أنت " لم يكن له تلك القوة ، وكذلك قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴾^٤ ، يفيد من التأكيد في نفي الإشراك عنهم ما لو قيل : " والذين لا يشركون بربهم " ، أو " بربهم لا يشركون " لم يفد ذلك ، وكذا قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾^٥ ، وقوله تعالى : ﴿

^١ سورة الأعراف / ١٩٦ .

^٢ سورة الفرقان / ٥ .

^٣ سورة النمل / ١٧ .

^٤ سورة المؤمنین / ٥٩ .

^٥ سورة يس / ٧ .

فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ ﴿١﴾ ، و ﴿٢﴾ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣﴾ .

ومن أمثلة ذلك قوله ﷺ : ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْرُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾^٤ ، فقوله ﷺ : ﴿ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ فنصب أصغر في موضع جر صفة لذرة ، أولمقال على اللفظ .
وقوله ﷺ في سورة سبأ : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عِلْمُ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾^٥ ، فقوله ﷺ : ﴿ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ برفع أصغر ، وأكبر على أصل الابتداء .

ولكل من هذه الآيتين دلالة ، ويدل على ذلك الإعراب . قال أبو حيان - رحمه الله - في تفسير قوله ﷺ : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عِلْمُ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾^٦ : ﴿ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ ﴾ ، أي : من مثقال ذرة . ولما ذكر تعالى : أَنَّهُ لَا يَغِيبُ عَنْ عِلْمِهِ أَدْقُ الْأَشْيَاءِ الَّتِي نَشَاهَدُهَا ، ناسب تقديم ، ﴿ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ ﴾ ، ثُمَّ أَتَى بِقَوْلِهِ : ﴿ وَلَا أَكْبَرَ ﴾ ، على سبيل إحاطة علمه بجميع الأشياء . ومعلوم أن من علم أدق الأشياء ، وأخفاها كان علمه متعلقاً بأكبر الأشياء ، وأظهرها . وقرأ الجمهور : ﴿ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ ﴾ لا أصغر من ذلك ، ولا أكبر بفتح الراء فيهما ، ووجه على أنه عطف على ذرة ، أو على مثقال على اللفظ . وقرأ حمزة وحده : برفع الراء فيهما ، ووجه على أنه عطف على موضع مثقال ؛ لأن من زائدة ، فهو مرفوع بيعزب ، هكذا ، وجهه الحوفي ، وابن

^١ سورة القصص / ٦٦ .

^٢ سورة الأنفال / ٥٥ .

^٣ دلائل الإعجاز / ١١٣ - ١١٦ .

^٤ سورة يونس / ٦١ .

^٥ سورة سبأ / ٣ .

^٦ سورة سبأ / ٣ .

عطية ، وأبو البقاء^١ . وقال الرّمخشري^٢ تابعاً لاختيار الزجاج : والوجه النّصب على نفي الجنس ، والرّفْع على الابتداء ، يكون كلاماً مبتدأ . وفي العطف على محلّ مقال ذرة ، أو لفظه فتحاً في موضع الجرّ أشكال ؛ لأنّ قولك : لا يعزب عنه شيء إلا في كتاب مشكل انتهى . وإنما أشكل عنده ؛ لأنّ التّقدير يصير : إلا في كتاب فيعزب ، وهذا كلام لا يصح . وخرجه أبو البقاء^٣ على أنّه استثناء منقطع تقديره : لكن هو في كتاب مبين ، ويزول بهذا التّقدير الإشكال^٤ .

ومن دقّة التّعبير قوله ﷺ : ﴿ وَجَاءُوا عَلَىٰ قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾^٥ ، فقوله ﷺ : ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ﴾ جملة خبرية اسمية تفيد الأمر بالصبر الدائم الطويل غير المنقطع ، أمّا لو قال : " فَصَبْرًا جَمِيلًا " ، فلن يعطي المعنى السابق المراد ، وإنما هو عبارة عن أمر بالصبر غير الدائم ؛ لأنّ الجملة فعلية ، والجملة الفعلية كما سبق تدلّ على التّجدّد ، والحدوث .

قال الرّازي - رحمه الله - عند تفسير قوله ﷺ : ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ﴾ : ((منهم من قال : إنّهُ مرفوع بالابتداء ، وخبره محذوف ، والتّقدير : فصبر جميل أولى من الجزع ، ومنهم من أضمر المبتدأ ، قال الخليل : الذي أفعله صبر جميل . وقال قطرب : معناه : فصبري صبر جميل . وقال الفراء : فهو صبر جميل))^٦ .

وقال أبوحيان - رحمه الله - في تفسير قوله ﷺ : ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ﴾ : ((أي : فأمرني صبر جميل ، أو فصبر جميل أمثل . وقرأ أبيّ ، والأشهب^٧ ، وعيسى بن عمر^٨ :

^١ يُنظَر : التبيان في إعراب القرآن / ٣٢٦ .

^٢ يُنظَر : الكشاف / ٢ / ٢٤٢ .

^٣ يُنظَر : التبيان في إعراب القرآن / ٣٢٦ .

^٤ يُنظَر : البحر المحيط / ٧ / ٢٤٨ - ٢٤٩ .

^٥ سورة يوسف / ١٨ .

^٦ مفاتيح الغيب / ١٨ / ٤٢٨ .

^٧ لم أقف على ترجمته .

^٨ عيسى بن عمر العلامة ، إمام النحو ، أبو عمر النّفّعي البصريّ . أخذ عنه : الأصمعي ، والخليل بن أحمد ، وغيرهم ، نزل في تقيف فاشتهر بهم ، وقد أخذ القراءة عرضاً عن عبد الله بن أبي إسحاق ، وابن كثير المكي ، وصنف في النحو كتابي : « الإكمال » و « الجامع » . أرخ النّفّطي وابن خلكان موته في سنة تسع وأربعين ومائة ، قال الذهبي بعد هذا النّقل : " وأراه وهمأ ، فإن سيبويه جالسه ، وأخذ عنه ، ولعله بقي إلى بعد السنتين

فصبراً جميلاً بنصبهما ، وكذا هي في مصحف أبيّ ، ومصحف أنس بن مالك . وروي كذلك عن الكسائي . ونصبه على المصدر الخبري ، أي : فاصبر صبراً جميلاً . قيل : وهي قراءة ضعيفة عند سيبويه ، ولا يصلح النَّصْب في مثل هذا إلا مع الأمر ، وكذلك يحسن النَّصْب في قول ملبد بن حرمة :

شَكَاَ إِلَيَّ جَمَلِي طُولَ السَّرَى صَبْرًا جَمِيلًا فَكَلَانَا مُبْتَلَى^١

ويروى صبرٌ جميلٌ في البيت . وإنما تصحُّ قراءة النَّصْب على أن يُقدَّر أن يعقوب رجع إلى مخاطبة نفسه ، فكأنه قال : فاصبري يا نفس صبراً جميلاً^٢ .

ومثله قوله ﷺ : ﴿ وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَّمَ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾^٣ ، فقوله : ﴿ سَلَّمَ عَلَيْكُمْ ﴾ لها مدلول غير : " سلاماً عليكم " ، وتقديره نسلم عليكم سلاماً .

قال أبو حيان - رحمه الله - في قوله ﷺ : ((أمر الله نبيه محمداً ﷺ بأن يقول لهم ﴿ سَلَّمَ عَلَيْكُمْ ﴾ ، فيكون هذا التَّسْلِيمُ بشارةً بحصول الكرامة عقيب تلك السَّلامَة . . . وقال الزَّجاج : مصدر لسلم تسليماً ، وسلاماً كالسَّراح من سرح ، والأداء من أدى . وقال عكرمة والحسن : أمر بابتداء السَّلام عليهم تشريفاً لهم . وقال ابن زيد : أمر بإبلاغ السَّلام عليهم من الله ، وقيل : معنى السَّلام هنا الدُّعاء من الآفات . وقال أبو الهيثم^٤ :

ومائة . يُنظَر : المعارف / ٥٣١ ، والجرح والتَّعديل ٦ / ٢٨٢ ، وطبقات الرُّبَيْدِي / ٤٠ - ٤٥ ، ومعجم الأدباء ١٦ / ١٤٦ - ١٥٠ ، وإنباه الرُّوَاة ٢ / ٣٧٤ - ٣٧٧ ، ووفيات الأعيان ٣ / ٤٨٦ - ٤٨٨ ، سير أعلام النبلاء ٧ / ٢٠٠ ، وتاريخ الإسلام ٦ / ٢٦٥ - ٢٦٦ ، والبداية والنَّهْيَة ١٠ / ١٠٥ - ١٠٦ ، والبلغة في تاريخ أئمَّة اللُّغة / ١٧٩ - ١٨١ ، و غاية النِّهْيَة في طبقات القراء ١ / ٦١٣ ، و تهذيب التَّهْذِيب ٨ / ٢٢٣ - ٢٢٤ ، والنُّجُوم الزَّاهِرَة ٢ / ١١ ، وبغية الوعاة ٢ / ٢٣٧ - ٢٣٨ ، و خلاصة تهذيب الكمال / ٣٠٣ ، وشذرات الذَّهَب ١ / ٢٢٤ - ٢٢٥ .

^١ البيت للملبد بن حرمة من بني أبي ربيعة بن ذهل بن شيبان ، وقيل لبعض السَّواقين وليس للملبد . فرحة الأديب / ١٧٩ . ويروى بالضَّم .

^٢ البحر المحيط ٥ / ٢٩٠ .

^٣ سورة الأنعام / ٥٤ .

^٤ أبو الهيثم الرَّازِي ، إمام لغويّ ، أدرك العلماء وأخذ عنهم ، وتصدَّر بالرِّيِّ للإفادة ، توفي - رحمه الله - سنة ستِّ وسبعين ومائتين هجرية . ينظر : بغية الوعاة : ٢ / ٣٢٩ .

السَّلَام والتَّحِيَّة بمعنى واحد ، ومعنى السَّلَام عليكم حياكم الله . وقال الزَّمخشري : إما أن يكون أمر بتبليغ سلام الله إليهم ، وإمّا أن يكون أمر بأن يبدأهم بالسَّلَام إكراماً لهم ، وتطيبياً لقلوبهم انتهى^١ . ٠٠ وقال ابن عطية : لفظه لفظ الخبر ، وهو في معنى الدُّعاء ، وهذا من المواضع التي جاز فيها الابتداء بالنُّكرة إذ قد تخصصت انتهى .

والتَّخصيص الذي يعينه النُّحاة في النُّكرة التي يبتدأ بها هو أن يتخصص بالوصف ، أو العمل أو الإضافة ، وسلامٌ ليس فيه شيءٌ من هذه التَّخصيصات ، وقد رام بعض النُّحويين أن يجعل جواز الابتداء بالنُّكرة راجعاً إلى التَّخصيص ، والتَّعميم ، والذي يظهر من كلام ابن عطية أنّه يعني بقوله إذ قد تخصصت ، أي : استعملت في الدُّعاء ، فلم تبق النُّكرة على مطلق مدلولها الوصفي ، إذ قد استعملت يراد بها أحد ما تحتمله النُّكرة

٠ ٢ ((

ونحوه قوله ﷺ : ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ * إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَّمَ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ﴾^٣ ،

قال الزَّمخشري - رحمه الله - ” ﴿ سَلَامًا ﴾ مصدر سادّ مسدّ الفعل مستغنى به عنه . وأصله : نسلم عليكم سلاماً ، وأمّا ﴿ سَلَّمَ ﴾ معدول به إلى الرِّفَع على الابتداء . وخبره محذوف ، معنا هـ : عليكم سلام ، للدُّلالة على ثبات السَّلَام ، كأنه قصد أن يحييهم بأحسن مما حيوه به ، أخذا بأدب الله تعالى . وهذا أيضاً من إكرامه لهم . وقرئاً مرفوعين . وقرئ : « سلاماً » قال « سلاماً » والسلم : السلام . وقرئ : « سلاماً قال سلم » ﴿ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ﴾ أنكرهم للسلام الذي هو علم الإسلام^٤ .

ومنه قوله ﷺ : ﴿ لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَعَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوَى الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَأَبْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَعَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُؤْفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا

^١ يُنْظَر : الكشَّاف ٢ / ٢٣ .

^٢ البحر المحيط ٤ / ١٤٣ .

^٣ سورة الدَّارِيَات / ٢٤ - ٢٥ .

^٤ الكشَّاف ٤ / ١٧ .

وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿١﴾ ، فعطف ﴿الصَّابِرِينَ﴾ منصوبةً على ﴿الْمُؤْمِنُونَ﴾ مرفوعةً لغرض التَّعْظِيمِ . قال الألوسي - رحمه الله - في ﴿الصَّابِرِينَ﴾ في قوله ﷺ : ﴿وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ﴾ : ((نصب على المدح بتقدير . أخصُّ أو أمدح . وغُيِّرَ سبكه عما قبله تنبيهاً على فضيلة الصَّبْرِ ، ومزيته على سائر الأعمال حتى كأنه ليس من جنس الأوَّل ، ومجي القطع في العطف ممَّا أثبتته الأئمة الأعلام ، ووقع في الكتاب أيضاً ، واستحسنه الأجلة ، وجعلوه أبلغ من الإتياع ، وقد جاء في النُّكْرَةِ أيضاً كقول الهذلي :

وَيَأْوِي إِلَى نِسْوَةٍ عَطِلٍ وَشَعْنَا مَرَضِيْعُ مِثْلَ السَّعَالِي ٢ ((٣ .

ومن ذلك قولك : " سلِّمْتُ على سالمِ العالمِ " ، و " سلِّمْتُ على سالمِ العالمِ " بقطع الصِّفَةِ ، فقولك : " سلِّمْتُ على سالمِ العالمِ " يُقال لمن علم أنه مُتَّصِفٌ بالصِّفَةِ ، ولمن لم يعلم . وأمَّا قولك : " سلِّمْتُ على سالمِ العالمِ " فلا يقال إلا لمن علم اتِّصافِ الموصوفِ بالصِّفَةِ .

ومن ذلك قولك : " هو في البيت مُنْفِقٌ " ، و " هو في البيت مُنْفِقٌ " ، فإنَّ قولك : " هو في البيت مُنْفِقٌ " تقتضي وجوده في البيت ، ولا تقتضي أنه مُنْفِقٌ في وقت الإخبار ، ولكن إذا أراد أن ينفق فإنه ينفق في البيت . وأمَّا قولك : " هو في البيت مُنْفِقٌ " فتقتضي وجوده في البيت ، وأنه يقوم بالإنفاق في وقت الإخبار .

ونحو : " إنَّ خالداً قارئاً ، ومحمداً " ، و : " إنَّ خالداً قارئاً ، ومحمداً " فإنَّ محمدٌ " في الجملة الأولى مؤكدة بخلاف الثانية ١ .

١ سورة البقرة / ١٧٧ .

٢ لأبي أمية بن أبي عائذ الهذلي ، وهو من شواهد سيبويه ينظر : ديوان الهذليين ٢ / ١٨٤ ، والكتاب ١ / ٣٩٩ ، ٢ / ٦٦ ، وأشعار الهذليين ٢ / ٥٠٧ ، وخزانة الأدب ، للبغدادي ٢ / ٤٢٦ ، ٤٣٢ ، ٤٠ / ٤٠ ، وشرح أبيات سيبويه ١ / ١٤٦ ، وشرح التصريح ٢ / ١١٧ . ورواية الديوان :

له نسوة عاطلات الصدور عوج مرضيع مثل السعالي

والشاهد فيه عطف " شعث " على " عطل " بالواو ، لا الفاء ؛ لأنَّ الفاء تفيد التفرقة .

٣ روح المعاني ٢ / ٤٤ .

ومن الدقة في التعبير تقديم بعض مسميات طرفي النهار ((العشي والإبكار)) على بعض ، ووجه تنوعها في السياق القرآني :

فإذا تأملنا النظم القرآني بغية الوقوف على سرّ التنوع في التعبير عن طرفي النهار ، وأردنا الكشف عن علائق التراكيب التي قُدِّم فيها بعض مسميات هذين الوقتين على البعض الآخر ، وابتغينا الغوص للتعرف على وجوه اختلاف سياقاتها ، وتناغيها وتواصلها ؛ فإنه لا بد لنا أولاً أن نوضّح الملابسات التي ورد فيها ذكر هذين الوقتين .

والمتمائل للسياق القرآني الذي قُدِّم فيه لفظ " العشي " على الإبكار ، كما جاء في حقّ زكريا - عليه السلام - : ﴿ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمَزًا وَادُّكَّرُ رَبِّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعُشِيِّ وَالْإِبْكَارِ ﴾^١ ، وقوله في مخاطبة نبيّه محمد ﷺ قبل هجرته إلى مكة : ﴿ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعُشِيِّ وَالْإِبْكَارِ ﴾^٢ ، يبصر بضمير ما جاء في قوله ﷺ في حق داوود - عليه السلام - : ﴿ إِنَّا سَخَرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعُشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ﴾^٣ ، وأنّ الإبكار يدقُّ جعله وصفاً لأوّل النهار من بعد طلوع الشمس ، لا الفجر^٤ ، كما يرمق أنّ في اصطفاء مفردة " الإبكار " ، وفي تقديم " العشي " عليها ما يصرّ حال الأمم السابقة المستضعفة ، وما كانت عليه من تلبّس بالعبادة المفروضة ، وكذا ما كان عليه النبي ﷺ وصحبه الكرام قبل فرض الصلوات الخمس ، وقبل الجهر بالدعوة والصدع بها .

ونعلم أنّه ﷺ قد أمر بأن يقتدي بالأنبياء من قبله ، وأن يعبد الله بالكيفية التي كانوا يعبدونه ﷺ بها^٥ ، وصلاة ركعتين في آخر النهار ، ومثلها بأوله هو الأوفق لحال أولئك الأوائل الذين صدّقوا بدعوة النبي ﷺ في صدر الإسلام ، فقد كان معظمهم خليط

^١ يُنظَر : الجملة العربية ، والمعنى / ٥٦ .

^٢ سورة آل عمران / ٤١ .

^٣ سورة غافر / ٥٥ .

^٤ سورة ص / ١٨ .

^٥ وسيأتي ما يفيد أن طرف النهار الأول يطلق ويراد به أحد معنيين : مابعد طلوع الفجر ومابعد طلوع الشمس ، فعلى من التزم جعل أول النهار من طلوع الفجر جعل ما بعد طلوع الشمس مجازاً فيه والعكس بالعكس .

^٦ وذلك قوله سبحانه : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ أَقْتَدَهُ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴾

﴿ سورة الأنعام / ٩٠ .

من الفقراء ، والضعفاء ، والأرقاء ، وليس بوسعهم مجابهة قوى الكفر المتعصبة لشركها ووثنيتها ، بل ولا إظهار شعائر الدين الذي آمنت به ، ولقد بلغ الضعف بهذه التلة المؤمنة التي آمنت بالنبي محمد ﷺ في بداية الأمر لحدّ أنه إذا أراد أحدهم ممارسة عبادة من العبادات التي كُلف بها ذهب إلى شعاب مكة يستخفي فيها من عيون قريش ، فالبدء بالعشيّ أقدر على تصوير هذه الفترة ، وأبلغ في بيان حالتي الإخفاء ، والهمس اللذين كانوا عليهما أثناء تأدية ما كلفوا به من صلاة ، وترديد ما كان ينزل على نبيهم ﷺ من أي الذكر الحكيم .

ولا يبعد أن يكون حال زكريا - عليه السلام - مع مناوئيه من اليهود شبيهاً بحال أولئك الصّحب الكرام مع كفار مكة ، فيكون في هذا أيضاً الوجه في البدء بالعشيّ الأمر الذي يعكس مدى الهلع ، والخوف الذي كان ينتاب أهل الحق في تلك الأزمنة الغابرة ، ويعكس بالتالي سرّ البدء بالعشيّ في آية آل عمران^١ .

وقد تطرّق لسرّ تقديم "العشيّ" في النّظم القرآني كثير من العلماء ؛ منهم : البقاعي حيث قال في قوله ﷺ : ﴿ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ ﴾^٢ : ((لما كان المقام لإثبات قيام الساعة^٣ ، وكان العشيّ أدلّ عليها قدّمه))^٤ .

^١ قول الله - سبحانه وتعالى - : ﴿ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَادْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ ﴾ سورة آل عمران / ٤١ .

^٢ سورة غافر / ٥٥ .

^٣ يعني بالمقام الآيات التي سبقت هذه الآية وهي قوله - سبحانه وتعالى - : ﴿ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ * وَإِذْ يَتَحَاوُونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُعْتَدُونَ عَنَّا نَصِيحًا مِنَ النَّارِ * قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ * وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِحَرَّتِهِمْ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ * قَالُوا أَوْلَمْ تَكُنْ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ * إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهُادُ ﴾ سورة غافر / ٤٦ - ٥١ .

^٤ نظم الدرر في تناسب الآي والسور ، للبقاعي / ٦ / ٥٢٥ .

وأياً ما كان الأمر فإن السياق في الآيتين المذكورتين^١ يختلف عنه في قوله ﷺ : ﴿ إِنَّا سَخَرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعِشِيِّ وَالْأَشْرَاقِ ﴾^٢ ، وإن كان منه بسبب ؛ إذ المناسب البدء بالعشي قبل الإشراق ، هو ما كان عليه داوود - عليه السلام - من أوب إلى الله وترجيع ، وقد كان يشاركه في ذلك الجبال والطير كما دل عليه قوله ﷺ : ﴿ اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾^٣ ، وقوله ﷺ : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالَ أُوْبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلْنَا لَهُ الْحَدِيدَ ﴾^٤ ، وقوله ﷺ : ﴿ وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ ﴾^٥ ، وظهر كل ذلك في وقت العشي أبين في تذكر المصير وما سيؤول إليه حال الخلق .

يقول البقاعي^٦ - رحمه الله - : ((لما كان^٧ في سياق الأوبة ، وكان آخر النهار وقت الرجوع لكل ذي الف إلى مألفه ، مع أنه وقت للفتور ، والاستراحة من المتاعب قال " بالعشي " ، وكان من ثم البدء به تقوية للعامل ، وتذكيراً للغافل))^٨ .

وإنما كان تقديم العشي - فيما هو قريب مما ذكرناه من أمر الإبكار والإشراق - أعني الإظهار في قوله ﷺ : ﴿ فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ * وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴾^٩ ، لنفس ما سبق ذكره في قوله ﷺ : ﴿ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعِشِيِّ وَالْإِبْكَارِ ﴾^{١٠} ، بعد قوله ﷺ : ﴿ النَّارُ

^١ قول الله - سبحانه وتعالى - : ﴿ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا زَمْزًا وَاذْكُرَ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعِشِيِّ وَالْإِبْكَارِ ﴾ سورة آل عمران / ٤١ ، و قوله - سبحانه وتعالى - : ﴿ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعِشِيِّ وَالْإِبْكَارِ ﴾ سورة غافر / ٥٥ .

^٢ سورة ص / ١٨ .

^٣ سورة ص / ١٧ .

^٤ سورة سبأ / ١٠ .

^٥ سورة ص / ١٩ .

^٦ هو إبراهيم بن عمر بن حسن البقاعي ، الشافعي ، توفى - رحمه الله - سنة خمس وثمانين وثمانمائة للهجرة ، من مؤلفاته نظم الدرر في تناسب الآي والسور ، والفتح القدسي في آية الكرسي ، ومصاعد النظر للأشراف على مقاصد السور . يُنظر : كشف الظنون / ١ / ٢٤١ .

^٧ أي : التسييح .

^٨ نظم الدرر / ٦ / ٣٧٠ .

^٩ سورة الزم / ١٧ - ١٨ .

^{١٠} سورة غافر / ٥٥ .

يُغْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ * وَإِذْ يَتَحَاوُونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ * قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ * وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخِزْنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ * قَالُوا أَوْلَمْ تَأْتِكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ * إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ^١ ، حيث الكلام عن القيامة ، وإثبات الحشر ، والبعث حتى ليكاد يكون متطابقاً معه تمام التَّطابُقِ ، ومن ثمَّ فملابساتها هي من ملابسات نظيرتها .

وفي مراعاة تقديم ما هو أَلصَقُ بالسِّيَاقِ في قوله ﷻ : ﴿ فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ * وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴾ ^٢ ، وأدَلَّ عليه يقول الفخر الرَّازِي - رحمه الله - : ((قَدَّمَ الإِمْسَاءَ عَلَى الإِصْبَاحِ ههنا ، وَأَخَّرَهُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ﴾ ^٣ ؛ لِأَنَّ ههنا ، أَوَّلَ الْكَلَامِ ذَكَرَ الْحَشْرَ ، وَالْإِعَادَةَ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ﴾ ^٤ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُخَضَّرُونَ ﴾ ^٥ ، وَأَخَّرَ هَذِهِ الْآيَةَ أَيْضاً - يَعْنِي مَا جَاءَ عَقِبَهَا - ذَكَرَ الْحَشْرَ وَالْإِعَادَةَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُخَيِّبُ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ ﴾ ^٦ ، وَالْإِمْسَاءَ آخِرَ فَذَكَرَ الْآخِرَ أَوَّلًا لِتَذَكُّرِ الْآخِرَةِ)) ^٧ ، وَهُوَ فِي مَعْنَى مَا ذَكَرَهُ الْبِقَاعِي فِي حَقِّ قَوْلِهِ ﷻ : ﴿ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ ﴾ ^٨ وَفَاءً بِحَقِّ السِّيَاقِ . وَيُرِيدُ الرَّازِي - رحمه الله - بِمَا ذَكَرَهُ أَنَّ مَقَابِلَةَ الْعَشِيِّ بِالظُّهَيْرَةِ ، وَالْإِمْسَاءَ بِالْإِصْبَاحِ ، وَتَقْدِيمَ مَا تَقَدَّمَ فِي كُلِّ جَاءٍ مَلَأْتُمَا لِّلْسِيَاقِ فِي التَّذْكَيرِ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ، فَعَلَى نَحْوِ مَا يَعْقِبُ الرُّكُونَ إِلَى الدَّعَةِ ، وَالرَّاحَةِ ، وَالنَّوْمِ ، وَالسُّكُونِ فِي الإِمْسَاءِ ، وَالْعَشِيِّ حَرَكَةً بَعْدَ الْاسْتِيفَاطِ ، وَانْتِشَارَ يَعْقِبُ الْمَوْتَ ، وَإِعَادَةَ إِحْيَاءِ الْخَلْقِ مِنْ جَدِيدٍ ، وَإِخْرَاجَهُمْ

^١ سورة غافر / ٤٦ - ٥١ .

^٢ سورة الرُّوم / ١٧ - ١٨ .

^٣ سورة الأحزاب / ٤٢ .

^٤ سورة الرُّوم / ١١ .

^٥ سورة الرُّوم / ١٦ .

^٦ سورة الرُّوم / ١٩ .

^٧ مفاتيح الغيب ١٢ / ٤٥٢ .

^٨ سورة غافر / ٥٥ .

من قبورهم ، الحشر واجتماع الناس في يوم لا ريب فيه ، ولما كان الموت الذي يمثل الإساء والعشي ، ويشبهه في ترتيبه الزمني بوقوعه قبل الحشر ، وكان الغرض من السياق التذكير بالآخرة قدم من ثمت الإساء والعشي ، رداً على قائلهم السوء بإنكار البعث والحساب من ناحية ، وإقامة للحجة عليهم بنصب الأدلة عليهما بتشبيهما بالاستيقاظ بعد الموتة الصغرى من ناحية أخرى .

وقال أبو حيان - رحمه الله - : ((قوبل بالعشيّ الإساء ، وبالإظهار الإصباح ؛ لأنّ كلاّ منهما يُعقَّب بما قابله ، فالعشيّ يعقبه الإساء ، والإصباح يعقبه الإظهار))^١ ، وفي معنى ما ذكره قول الألويسي - رحمه الله - : ((قدّم الإساء على الإصباح لتقدّم الليل والظلمة ، وقدّم العشيّ على الإظهار ؛ لأنّه بالنسبة إلى الإظهار كالإساء بالنسبة إلى الإصباح))^٢ ، ويعنيان بذلك أنّهم في ((الاستعمال العربي يعتبرون فيه الليالي مبدأ عدد الأيام^٣ ، فهو أسبق في حساب أيام الشّهر ، وفي التّنزيل قال تعالى : ﴿ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِي وَأَيَّاماً آمِنِينَ ﴾^٤))^٥ ، وقال أبو السعود بأنّ تقديم ” عَشِيّاً ” على ﴿ حِينَ تَظْهَرُونَ ﴾ لمراعاة الفواصل وتغيير الأسلوب^٦ ، وليس ما ذكره بالوجه بل هو - والله أعلم - على ما ذكرت ، مراعاة لمكان النزول . ولا أرى - والله أعلم - بأساً فيما ذكره الفخر الرّازي - وفاءً بحقّ السياق - ، وفي محصلّته يقول الطّاهر بن عاشور - رحمه الله - في عبارة بليغة موجزة : ((قدّم فعل الإساء على فعل الإصباح ؛ لأنّ الكلام لمّا وقع عقب ذكر الحشر من قوله : ﴿ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخُلُقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾^٧ ، وذكر قيام الساعة ، ناسب أن يكون الإساء - وهو آخر اليوم - خاطراً في الدّهن فقدّم لهم ذكره))^٨ .

^١ البحر المحيط ٦ / ١٦٢ .

^٢ روح المعاني ٢١ / ٤٥ مجلد ١٢ ، وينظر حاشية الشّهاب على البيضاوي ٧ / ٣٧٩ .

^٣ كما كانوا يؤرخون بالليالي وبيدنون الشهر بالليلة الأولى التي بعد طلوع الهلال ، وهو ما أقرهم الإسلام عليه واستمر عليه الحال .

^٤ سورة سبأ / ١٨ .

^٥ التّحرير والتّوير ٢١ / ٦٦ ، ٢٦ / ٣٢٧ .

^٦ يُنظَر : إرشاد العقل السّليم ٧ / ٥٥ .

^٧ سورة الرّوم / ١١ .

^٨ التّحرير والتّوير ٢١ / ٦٦ .

وهكذا يجيء النظم القرآني غاية في التناسق بين مفرداته ، والتآخي بين جملة ، كما يجيء التّقديم والتأخير للأوقات محققاً الغرض الذي يهدف إليه سياق النصّ القرآني ، وتلك آية من آيات الإعجاز في كتاب الله عزّ وجلّ .

((وتغيير الأسلوب في " عشياً " لما أنّه لا يجيء منه الفعل بمعنى الدخول في العشي كال مساء والصبح والظّهيرة ، ولعلّ السرّ في ذلك على ما قيل : إنّهُ ليس من الأوقات التي تختلف فيها أحوال الناس ، وتتغير تغيراً ظاهراً مصححاً لوصفهم بالخروج عمّا قبلها والدخول فيها ، كالأوقات المذكورة ، فإنّ كلاً منها وقت يتغير فيه الأحوال تغيراً ظاهراً ، أمّا في المساء والصبح فظاهر ، وأمّا في الظّهيرة فلأنّها وقت يعاد فيه التّجرّد عن الثياب للقبولة))^١ ، فهو وقت عورة كما صرّح بذلك في سورة النور^٢ .

وفي سرّ تخصيص الأولين في قوله تعالى : ﴿ حِينَ تُمَسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴾^٣ بالتّرتيب ، والأخيرين ﴿ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴾^٤ بالتّحميد ، يقول البيضاوي - رحمه الله - : ((تخصيص التّسبيح بالمساء والصبح ؛ لأنّ آثار القدرة والعظمة فيهما أظهر ، وتخصيص الحمد بالعشيّ الذي هو آخر النهار .. والظّهيرة التي هي وسطه ؛ لأنّ تجدد النعم فيهما أكثر))^٥ .. وما جاء في الحواشي الشّهابية ، وكذا ما ذكره الألوسي من أنّ هذا يرد عليه عطف ظرف الزّمان " عشياً " على المكان " في السّموات " ، وأنّ هذا وعكسه لا يجوز^٦ ، جوابه أنّه يمكن جعله معطوفاً على مقدّر ، أي : ((وله الحمد في السّموات والأرض)) دائماً " وعشياً " ، على أنّه تخصيص بعد تعميم ، والجملة اعتراضية^١ ، وعليه

^١ روح المعاني ٢١ / ٤٥ .

^٢ وهو قوله - سبحانه وتعالى - : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ سورة النور / ٥٨ .

^٣ سورة الرّوم / ١٧ .

^٤ سورة الرّوم / ١٨ .

^٥ أنوار التّنزيل ٧ / ٣٨٠ .

^٦ حاشية الشّهاب ، المسماة عناية القاضي وكفاية الرازي ٧ / ٣٨٠ ، ومفتاح العلوم ٢١ / ٤٥ .

^١ المصدران السابقان .

يكون العطف في : ﴿ وَحِينَ تَظْهَرُونَ ﴾ على قوله قبل : ﴿ وَحِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴾ ، ويكون التخصيص في الثلاث بالتنزيه ، وفي العشي بالتحميد .

وعلى نحو ما جاء الترتيب في تقديم العشي في حال الاستضعاف والخوف - على الوجه الذي ذكر - متناغماً مع سياق الآيات ومع نظمها .. يجيء الترتيب كذلك في تقديم المقابل للعشي عندما يُزال ذلك ، ويُستشعر بدلاً عنه معاني الأمن والقوة ، والأمان والكثرة .

ويمكن أن نرى مثل هذا في حديث القرآن الكريم عن أهل الجنة وتحديداً في قوله ﷺ عنهم : ﴿ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾^١ ، وفي حديثه عما كان من أمر زكريا - عليه السلام - حيث قال ﷺ : ﴿ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾^٢ ، وفي حديثه عن أهل الإيمان بعد أن مكن الله لهم وذلك في قوله ﷺ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا * وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾^٣ ، فقد أضحى الذين زحزحوا عن النار ، وأدخلوا الجنة في مأمن من عناء الدنيا ومن عذاب جهنم ، قال ﷺ : ﴿ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ * لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴾^٤ ، وأضحى زكريا - عليه السلام - في مأمن عن أعين الرقباء والأعداء ، وفي منعة من قومه الذين ((كانوا من وراء المحراب ينتظرونه أن يفتح لهم الباب فيدخله ويصلوا))^٥ ، كما تغير حال المؤمنين في المدينة بعد أن تهيب لهم المجتمع الآمن المستقر ، وبعد أن أذهب الله عنهم ما كان بهم من ضعف وصاروا ذوي بأس شديد ومنعة ، ويمكن لك أن تستكنه هذه المعاني ، وتستشعر أنفة العظمة والعزة التي انخلعت على الصَّحْب الكرام ، وأنت تقارن ما جاء في آية الأحزاب بما جاء في قوله ﷺ عنهم : ﴿ وَادْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ

^١ سورة مريم / ٦٢ .

^٢ سورة مريم / ١١ .

^٣ سورة الأحزاب / ٤١ - ٤٢ .

^٤ سورة الأنبياء / ١٠٢ - ١٠٣ .

^٥ إرشاد العقل السليم / ٥ / ٢٥٨ .

وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١﴾ . الأمر الذي يؤكد على أنه حتى عندما يكون أمر تقديم كلمة على كلمة متعلقاً بما ذكره العلوي في الطراز تحت باب ((ما يجوز تقديمه ولو لم يفسد معناه))^٢ ، فإنَّ بلاغة النظم القرآني تقتضي أن يجيء التناسق ، والترتيب بين الكلمات تحقيقاً للغرض ، وأنه عندما يتغيّر الغرض من موضع إلى موضع آخر لا جرم يتغيّر معه ترتيب النظم . وإلاّ فر((لو كان القصد بالنظم إلى اللفظ نفسه دون أن يكون الغرض ترتيب المعاني في النفس ، ثمّ النطق بالألفاظ على حدوها لكان ينبغي أن لا يختلف حال اثنين في العلم بحسن النظم ، أو غير الحسن فيه لأنهما يحسان بتوالي الألفاظ في النطق إحساساً واحداً ، ولا يعرف أحدهما في ذلك شيئاً يجله الآخر .

وأوضح من هذا كله ، وهو أنّ النظم الذي يتوآصفه البلاغاء ، وتتفاضل مراتب البلاغة من أجله صنعة يستعان عليها بالفكرة لا محالة ، وإذا كانت مما يستعان عليه بالفكرة ، ويستخرج بالرؤية ، فينبغي أن ينظر في الفكر بماذا تلبس بالمعاني ، أم بالألفاظ ؟ فأيّ شيء وجدته الذي تلبس به فكرك من بين المعاني ، والألفاظ فهو الذي تحدث فيه صنعتك ، وتقع فيه صياغتك ونظمك وتصويرك ، فمحال أن تتفكّر في شيء وأنت لا تصنع فيه شيئاً ، وإنما تصنع في غيره))^٣ .^٤

^١ سورة الأنفال / ٢٦ .

^٢ ينظر : الطراز المتضمن لأسرار البلاغة ، ليجيى بن حمزة العلوي دار الكتب العلمية بيروت ٢ / ٧٣ .

^٣ دلائل الإعجاز / ٥٧ .

^٤ ينظر : من بلاغة القرآن فى التعبير بالغدو و الأصال والعشى والإبكار / ١٦ - ٢٢ .